

سلسلة المدن الفلسطينية

لواء عكا

في عهد التنظيمات العثمانية

١٢٨١ - ١٣٣٧هـ / ١٨٦٤ - ١٩١٨م



زهير غنايم عبد اللطيف غنايم

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان
ص. ب: ٧١٦٤ ـ ١١. بيروت ـ لبنان
هاتف: ٨٠٤٩٥٩. فاكس: ٨١٤١٩٣
هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧
E-mail: ipsbrt@cyberia.net.lb

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O.Box: 11-7164. Beirut, Lebanon
Tel. 804959. Fax: 814193
Tel. & Fax: 868387
E-mail: ipsbrt@cyberia.net.lb

يسُرّ مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة
أن تعرب عن تقديرها وشكرها
للسّيّد حسيب الصبّاغ
الذي تم إصدار هذا الكتاب بفضل معونته

إلى زَوجَتي وَأولادي
إلى أخي سُهَيْل
أهْدي هٰذا العَمَل

سلسلة المدن الفلسطينية ـ ٤

لواء عكا

في عهد التنظيمات العثمانية

١٢٨١ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤-١٩١٨م

زهير غنايم عبد اللطيف غنايم

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

Liwā' 'Akkā fī 'ahd al-tanẓīmāt al-'uthmānīyah, A.H. 1281-1337/A.D. 1864-1918
Zuhayr Ghanāyim 'Abd al-Laṭīf Ghanāyim

The District of Acre during the Ottoman Tanzimat Period, A.H. 1281-1337/A.D. 1864-1918
Zuhayr Ghanayim Abd al-Latif Ghanayim

الطبعة الأولى ـ بيروت
حزيران/ يونيو ١٩٩٩

المحتويات

تَمْهِيد

تتناول هذه الدراسة لواء عكا في فترة التنظيمات العثمانية (١٢٨١ ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤ ـ ١٩١٨م)، وقد حاولت فيها أن أقدم صورة واضحة للواء من النواحي الإدارية والسكانية والعمرانية والاقتصادية. فقسمت الدراسة إلى مقدمة وسبعة فصول، وتناولت المقدمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها.

عالجت في الفصل الأول الأوضاع السياسية والاقتصادية من بداية العصر العثماني حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

ثم تتبعت في الفصل الثاني التنظيمات الإدارية، وبينت تبعية لواء عكا لولاية سوريا ثم لولاية صيدا (عكا) فلولاية بيروت حتى نهاية العصر العثماني، مبيّناً الأقضية والنواحي وأعداد القرى التي كان يتكون منها اللواء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

كما أشرت في هذا الفصل إلى الموظفين الإداريين ومهمات كل منهم، وإلى أسماء بعضهم. كذلك أشرت إلى المجالس الإدارية بدءاً من مجلس إدارة اللواء ومجالس إدارة الأقضية والنواحي ومجالس اختيارية القرى.

وعالجت في الفصل الثالث السكان وأعدادهم بصورة عامة في اللواء والأقضية والمدن والقرى، وازدياد عدد السكان وانخفاضه من سنة إلى أُخرى، ونسبة هذا الازدياد أو الانخفاض والعوامل المؤثرة في السكان.

كما بيّنت العناصر السكانية في اللواء: الدروز؛ البدو؛ السكان المهاجرين إلى اللواء، مثل المغاربة (الجزائريين) والمصريين والبوسنيين والشركس؛ المهاجرين الأجانب، أي اليهود والألمان والفرس (البهائيين).

ثم تناولت في الفصل الرابع الحركة العمرانية بدءاً من دُور السكن والبيوت والأقسام التي تتكون منها، ومواد البناء: الحجارة، والطين، والشيد، والخشب.

كما تتبعت مصادر المياه كالآبار النابعة، وآبار الجمع، والصهاريج، والبرك، والعيون، وأشرت إلى اهتمام الدولة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بإنشاء قساطل المياه الفخارية والمعدنية لإيصال المياه إلى البيوت.

ثم تطرقت إلى تطور وسائل المواصلات بدءاً من الدواب والعربات وخطوط سكك الحديد، وأظهرت أثر إنشاء وسائل المواصلات الحديثة في السكان وفي

أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

وأفردت في هذا الفصل باباً خاصاً تناول الأماكن الدينية من مساجد وكنائس ومعابد وأديرة، فذكرت السنوات التي أنشئت فيها هذه الأماكن، وكيفية الإنفاق عليها، ومن تولى إنشاءها. كما أشرت إلى الخانات والحمامات والمستشفيات وأماكن وجودها وكيفية الإنفاق عليها.

أمّا في الفصل الخاص بملكية الأرض والزراعة فأشرت إلى أنواع الأراضي الزراعية: الأراضي الميري، وأراضي الجفتلك، وأراضي الأوقاف بقسميها ـ الوقف الذري والوقف الخيري ـ وأراضي الملك الخاص وأنماط ملكيتها وتوزعها بين عدد من الملاك على الرغم من صغر مساحتها.

وأشرت إلى قانون الأراضي الذي صدر سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م وقضى بتمليك الأراضي الميري وسمح للمزارعين ببيعها، الأمر الذي مهد الطريق أمام نشوء الملكيات الكبيرة. كما تتبعت تأثير الديون في دفع المزارعين إلى بيع أراضيهم لتجار المدن، ووضحت دور البنك الزراعي العثماني في ذلك، على الرغم من أن البنك أنشىء لمساعدة الفلاحين في مواجهة مشكلة الديون.

كما أشرت إلى كبار الملاك، وخصوصاً التجار من مدن حيفا وبيروت وعكا والناصرة ودمشق، وبيّنت أملاك الأجانب، كاليهود والألمان، ومساحة الأراضي التي تم شراؤها والأهداف من ذلك، وذكرت القرى والمناطق التي اشترى فيها هؤلاء الأجانب.

ثم تناولت موضوع الزراعة، فبيّنت أهم المحاصيل الزراعية والعوامل المتعددة التي تؤثر فيها، والأساليب الزراعية، مع الإشارة إلى الثروة الحيوانية وأشكال تربيتها.

أمّا في الفصل الخاص بالصناعة والتجارة فتناولت الصناعات في اللواء: المعاصر والمطاحن، وصناعة المنسوجات والحصر، والحرف اليدوية مثل: الحدادة والنجارة والصباغة والنحاسة وغيرها.

ثم تطرقت إلى المهن في المدن والقرى ومنها المرتبطة بالزراعة كالحراثين والحصادين، والمرتبطة بالحيوانات مثل العربجية والمكارية والبغالين والرعاة. وذكرت مهناً متعددة أُخرى مثل العتالين والقهوجية والحلاقين والصباغين والنجارين والحجارين وأجورهم. كما تناولت التجارة، فأشرت إلى التجارة الخارجية التي تتمثل في التجارة مع أوروبا والتجارة ضمن الدولة العثمانية، وبينت السلع المصدرة عبر عكا وحيفا، والسلع المستوردة من أوروبا.

ثم تناولت التجارة الداخلية وبينت أنواعها، كالتجارة في الأسواق، والتجارة

المتجولة، والأسواق التجارية الموقتة.

وأشرت في هذا الفصل إلى الموارد المالية في اللواء وأهمها الضرائب: ضريبة العشر (الميري)، والويركو، والرسوم على الحيوانات، والإعانات، والاحتكارات الحكومية، وبيّنت أساليب جباية هذه الضرائب والمبالغ التي تم جمعها. ثم أشرت إلى التحويلات المالية إلى اللواء من خارجه وأثرها في الموارد المالية فيه، كما ذكرت الواردات والنفقات فبينت موارد الدولة المالية ونفقاتها.

* * *

تمتع لواء عكا بأهمية خاصة منذ أوائل العصر العثماني، وازدادت أهميته أيام ظاهر العمر الذي حاول إقامة إمارة مستقلة عن الدولة العثمانية. وعاش اللواء بعد القضاء على ظاهر العمر فترة من الهدوء السياسي والأمني النسبي قياساً بالألوية المجاورة، ولا سيما ألوية نابلس والقدس ويافا وصيدا. كما أصبحت ولاية صيدا، ولا سيما في عهد أحمد باشا الجزار وسليمان باشا العادل من بعده، محور الأحداث السياسية في جنوب بلاد الشام. إذ أصبح ولاتها الذين اتخذوا من عكا مقراً لهم أقوى الولاة في بلاد الشام، وأسندت إليهم الدولة العثمانية مهمة القضاء على الثورات المحلية في المناطق المجاورة، إضافة إلى التصدي للأخطار الخارجية، مثل خطر الوهابيين الذين هاجموا بلاد الشام حتى وصلوا قريباً من دمشق، وخطر الفرنسيين الذين احتلوا مصر وهاجموا بلاد الشام. ونتيجة هذا الدور الذي قام به حكام هذه الولاية كانت الدولة، في الغالب، تجمع لهم ولايات الشام معاً، وخصوصاً في حالة الحروب والفتن.

شهدت فلسطين خاصة، وبلاد الشام عامة، سلسلة من التغييرات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد بدأت بوادر هذه التغييرات في أثناء الحملة المصرية على بلاد الشام التي طبقت الحكم المباشر على السكان وفرضت التجنيد الإجباري، وحاولت تطبيق مفهوم الدولة الحديثة، وأجرت تعديلات في النظام الاقتصادي ولا سيما في ملكية الأرض وطريقة جمع الضرائب. وتوجت هذه التغييرات بسلسلة التنظيمات التي أصدرتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر والتي تمثلت في تغيير أنظمة الإدارة، وملكية الأرض، والتجارة، والتعليم، وكان لكل ذلك تأثيره الواضح في اللواء وسكانه.

في الوقت نفسه شهد اللواء، في القرن التاسع عشر، سلسلة من التغييرات السكانية، إذ هاجرت إليه أعداد كبيرة من السكان من مصر ولبنان وشرق الأردن،

وحتى من البوسنة والهرسك والقوقاز. وكان هؤلاء السكان من أصول اجتماعية متفاوتة، إذ كان جزء منهم من سكان المدن، وجزء من المزارعين سكان القرى، وجزء آخر من البدو الرحل. فأدت هذه الهجرات إلى ازدياد عدد السكان في اللواء ازدياداً كبيراً، وساعدت في تعمير القرى الخربة فيه.

ازداد الاهتمام الأوروبي بالمنطقة في هذه الفترة واتخذ طابعاً دينياً وسياسياً واقتصادياً، ولا سيما أن اللواء يضم مدينة الناصرة المقدسة عند المسيحيين. وتبع الاهتمام الديني اهتمام سياسي واهتمام اقتصادي، إذ كانت كل دولة أوروبية تدعم الإرساليات الدينية التابعة لها.

في الوقت نفسه، ازدادت العلاقات التجارية بين اللواء والدول الأوروبية، ولا سيما فرنسا التي كانت تستورد منه المحاصيل الزراعية وتصدر إليه المواد المصنعة من آلات ومعدات ومنسوجات. وترافق ذلك مع اهتمام الشركات الأوروبية بإنشاء المشاريع المتعددة في المنطقة، والتي تمثلت في إنشاء خطوط سكك الحديد وطرق العربات والبنوك، الأمر الذي ساعد في ازدياد التغلغل السياسي والاقتصادي في المنطقة الذي ترافق مع ضعف الدولة العثمانية عسكرياً وسياسياً.

وعلى الرغم من أهمية هذه الأحداث التي مر بها اللواء، فإن المؤرخين أهملوا دراسة تطور الأحداث في فلسطين عامة في القرن التاسع عشر، وأسهبوا كثيراً في الكتابة عن فترة الانتداب البريطاني، ولا سيما من النواحي السياسية. فقد كان القرن التاسع عشر الميلادي، وخصوصاً النصف الثاني منه، الأساس الذي بنيت عليه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في فترة الانتداب. وكان زعماء الحركة الوطنية، في معظمهم، ممن عاشوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وشهدوا التغييرات الجذرية التي حدثت فيه.

لذلك، فمن أجل فهم حقيقة الأوضاع المختلفة في فلسطين بصورة عامة، وفي لواء عكا بصورة خاصة، لا بد من دراسة هذه الفترة.

مُقَدّمَة
دراسة المصادر والمراجع

أولاً: سجلات المحكمة الشرعية في حيفا

احتوت سجلات المحكمة الشرعية في حيفا على قضايا وحجج متعددة منها: قضايا الزواج[(١)] والمهور والطلاق؛ التركات والإرث والنفقة؛ عمليات البيع والشراء وتسجيل الأملاك، كالأراضي والدور؛ تسجيل الأوقاف. كما احتوت على قضايا النزاعات والخلافات والدعاوى المتعددة.[(٢)]

ومن خلال هذه القضايا توفر تلك السجلات معلومات متنوعة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسكانية. فهي تقدم معلومات مهمة عن ملكية الأرض وأنواعها وأسماء الملاك ومناطق أملاكهم،[(٣)] وعن الأوقاف. كما تبين

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية في حيفا، شريط ٢٦١، سجل ٦، صفحة ٨٧، نمرة ٢٠، ١ رجب ١٣٣٠هـ/ ١٦ حزيران (يونيو) ١٩١١م. وسيشار إلى هذا المصدر، عند وروده، كما يلي: س ح، ش، س، ص، ن.
س ح، ش ١، س ٣، ص ٩٠، ن ٥٦، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ١ حزيران (يونيو) ١٩١٠م؛
س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٢١٤، ن ٩٢، ٢٧ ذو الحجة ١٣٢٠هـ/ ٢٨ آذار (مارس) ١٩٠٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٤، ٣٥، ن ٧٥٠، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩١٤م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٧٣١، ٢٥ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٤م؛
س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١١٥، ن ٦٤، ١٨ ربيع الثاني ١٣١٩هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٩٠١م.

(٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٦، ٤٧، ن ٢٠، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ/ ٢٤ شباط (فبراير) ١٨٨٣م.

(٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٩، ن ٢، ٨ ربيع الثاني ١٣٢١هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩٠٣م؛ س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٥، ١٦، ن ٢٤، ٢٩ صفر ١٣٢٣هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

حجم عمليات بيع الأراضي وشرائها، وتوضح تأثير الديون في دفع المزارعين إلى بيع أراضيهم.[٤]

كما أوردت السجلات أنواع المحاصيل الزراعية كالحبوب والأشجار المثمرة، والمناطق التي تزرع فيها هذه المحاصيل،[٥] ووضحت بعض أنماط الزراعة.[٦]

كذلك بينت السجلات، من خلال التركيبات، أنواع الثروة الحيوانية وأماكن تربيتها وطرق ذلك.[٧]

وقد تجلت أهمية السجلات فيما أوردته من معلومات عن العملات المستخدمة في اللواء، كالليرة العثمانية ووحداتها،[٨] والعملات الأجنبية، كالليرة الفرنسية[٩] والليرة الإنكليزية[١٠] وأسعارهما بالنسبة إلى العملة العثمانية.[١١]

وتقدم السجلات معلومات عن النواحي الإدارية، فتذكر أحياناً اسم المتصرف والقائمقام،[١٢] وتشير إلى المخاتير في القرى والمدن.

كذلك احتوت السجلات على عدد كبير من حجج البيع والشراء. ومن خلال

---

(٤) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١١٢، ن ١٤٢، ١٩ رجب ١٣٣٠هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

(٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٢، ن ٦٠١، ٢١ صفر ١٣٣١هـ/ ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م؛
س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١١، ن ١٧٤، ١٨ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٣، ن ٥١، ٧ صفر ١٣١٠هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٨٩٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٤٤، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٣٣، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١١٣، ن ٦٤٩، ٤ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٩) س ح، ش ١٤١، س ٣٠، ص ١٩٦، ١٩٧، ن ٢٤١، ٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

(١٠) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٢٦، من دون نمرة، ٢٢ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(١١) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٤٣، من دون نمرة، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٦هـ/ ٥ تموز (يوليو) ١٩٠٨م.

(١٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٦٨، ن ١٤٣، ٢٧ شوال ١٣٢٢هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥م.

هذه الحجج أوردت معلومات مهمة عن تنظيم المدن وتقسيمها إلى حارات ومحلات وأزقة. كما أنها تبين المواد المستخدمة في البناء وطريقة البناء والتنظيم الداخلي للدار وأقسامها، كالحوش والعقد والديوان والبايكة.[١٣]

وتورد السجلات معلومات مهمة عن عناصر السكان من مسلمين ومسيحيين ويهود.[١٤] وتظهر العناصر السكانية التي هاجرت إلى اللواء، كاليهود والألمان والجزائريين والبوسنيين والشركس والمصريين، والمناطق التي استقروا بها والمدن التي هاجروا منها.[١٥]

كما تعرّف السجلات العشائر البدوية في اللواء والأماكن التي تقيم بها، وتبين أوضاع الأسرة ومعدل أفرادها وعدد الزوجات في كل أسرة ونسبة الذكور إلى الإناث وقيمة المهور، وتبين الأدوات المنزلية التي تستخدمها الأسر الفقيرة والغنية.[١٦]

وتساهم السجلات في توضيح فئات المجتمع المتعددة من تجار وملاك ومزارعين وموظفين ومهنيين وحرفيين.[١٧] وتوضح التغيرات التي طرأت على تركيبة المجتمع عقب ظهور فئات اجتماعية جديدة كملاك الأراضي والمزارعين الأجراء؛ وتبين الوظائف الدينية في اللواء كالإمام والقاضي[١٨] والمؤذن.[١٩]

إضافة إلى ذلك تعرّف السجلات المهن والحرف في القرى والمدن مثل: الفران والحلاق والمزارع والقهوجي والعربجي والحجار والراعي والعتال والصراف.[٢٠]

---

(١٣) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٥، ١٦، ن ٢٢٥، ١٨ شوال ١٣٢٥هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(١٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١١٦، ن ٢٨٤، ٣ شوال ١٣٠٦هـ/ ٢ حزيران (يونيو) ١٨٨٩م.

(١٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٤٣، ٣٤٤، من دون نمرة، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(١٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠، ن ١٠، ١٥ جمادى الأولى ١٣١٧هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٩م.

(١٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠١، ١٠٢، ن ٦٩، ١٢ محرم ١٣١١هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٩٣م.

(١٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٣٩، ن ١٠٤٥، ٣ صفر ١٣٣٤هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(١٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٠٠، ن ٤٥، ٤ صفر ١٣٠٨هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٠م.

(٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٠، ن ٢٢٩، ٣٠ محرم ١٣١٢هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٩٤م.

ثانياً: دفاتر الأراضي العثمانية

أ) دفاتر الأقضية

كان يسجل في هذه الدفاتر أسماء الملاك في المدن والقرى، سواء أكانوا ملاك أراضٍ أم دور أم مخازن أم خانات أم دكاكين. كما يسجل فيها عمليات البيع والشراء ونقل الملكية والضرائب على هذه الأملاك.(٢١)

ب) دفاتر سجلات أراضي القرى

كان يسجل في هذه الدفاتر أسماء الملاك في كل قرية ومساحة أملاكهم وكيفية حصولهم عليها بالإفراز أو بالشراء. واقتصرت أهميتها على معرفة أسماء الملاك وأعدادهم في هذه القرى ومساحة ما يملكونه من أراضٍ.(٢٢)

ج) دفاتر الديون والرهونات

١ ـ دفتر زراعة بانقه (أراضي دفتري)، سجل ٣:

يحتوي هذا الدفتر على أسماء المقترضين من فرع البنك الزراعي في حيفا وقضائها خلال الفترة المالية ١٣١٠ ـ ١٣٣١هـ.

ويقدم هذا الدفتر معلومات مهمة عن أسماء المقترضين وقراهم وفئاتهم الاجتماعية وأسماء كفلائهم. كما يوضح دور البنك الزراعي في تقديم القروض للمزارعين بضمان أراضيهم، ودوره في دفع الفلاحين إلى بيع أراضيهم بعد عجزهم عن سداد ديونهم له، وهو ما يساهم في توضيح الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للفلاحين من خلال لجوء أعداد كبيرة منهم إلى اقتراض الأموال من البنك الزراعي.(٢٣)

٢ ـ دفتر خاقاني، أراضي رهونات، مجلد ١:

الدفتر عبارة عن سجل بأسماء المقترضين وأسماء الدائنين في قضاء حيفا، وبالمبالغ التي اقترضها المزارعون من الدائنين، وبمساحة الأراضي التي رهنها

---

(٢١) دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، سجل ٥٦، ص ١٩، ٢٠.

(٢٢) سجل قرية خبيزة، سجل ٢١، ٢٢، ص ٢٤ ـ ١٤٠؛ دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٥٣ ـ ٥٦، ٦٥ ـ ٧٢.

(٢٣) دفتر زراعة بانقه (أراضي دفتري)، سجل ٣، ص ١ ـ ٥٧.

المزارعون في مقابل ذلك؛ الأمر الذي يوضح العلاقة بين الديون وتكوين الملكيات الكبيرة في اللواء.

ثالثاً: كتب السالنامة

كتب سالنامة الدولة العلية العثمانية هي كتب سنوية كانت تصدرها الدولة العثمانية وتتناول فيها التنظيم الإداري في ولايات الدولة العثمانية كافة.

أمّا كتب سالنامة الولايات فهي كتب بدأت تصدرها ولايات الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتتحدث عن النواحي الإدارية والاقتصادية والعمرانية والسكانية والتعليمية في الولايات والألوية والأقضية التابعة لها.

ويغلب على كتب السالنامة العثمانية الطابع الإحصائي، إلاّ إنها تقدم معلومات مهمة عن النواحي الإدارية في اللواء فيما يتعلق بالتنظيم الإداري والتسلسل الوظيفي فيه.

ولا تقتصر أهمية السالنامات على النواحي الإدارية فحسب، بل تمتد أيضاً لتشمل النواحي الاقتصادية، فتذكر المحاصيل الزراعية وأنواعها وكمية إنتاجها، إضافة إلى ميزانية الألوية، وواراداتها المالية ونفقاتها. كما أنها تعدد المدارس الخاصة والحكومية في اللواء وأعداد الطلبة في كل منها وسنة تأسيسها.(٢٤)

رابعاً: كتب الرحالة الأجانب

زار فلسطين في القرن التاسع عشر الميلادي عدد من الرحالة الأوروبيين الذين دوّنوا انطباعاتهم ومشاهداتهم عن المناطق التي زاروها، إلاّ إن كتبهم تشبه بعضها بعضاً فيما تقدمه من معلومات، لأن الرحالة، في معظمهم، زاروا المناطق نفسها، وسلكوا الطرق نفسها، وكتبوا عن المدن والقرى نفسها التي مروا بها. كما أن معلوماتهم وصفية أكثر منها معلومات تاريخية، فأسهبوا في وصف الطبيعة والتضاريس مثل: الجبال والسهول والأودية والحيوانات والنباتات البرية.

وتحدث الرحالة بشيء من التفصيل عن الكنائس والأديرة في اللواء وخصوصاً في الناصرة المدينة المقدسة عند المسيحيين، فوصفوا هذه الكنائس وطرق بنائها

---

(٢٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤ ـ ١٣٨؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥ ـ ١٩٠.

وما تحويه من آثار دينية.(٢٥)

كما اهتموا بالحديث عن تاريخ المناطق التي مروا بها في فترة العصر الروماني، فكانوا يربطون تاريخ المدن والقرى والمواقع المتعددة بذكريات توراتية ومسيحية. كذلك أبرزوا تاريخ هذه المواقع والمدن خلال فترة الحروب الصليبية، مع إهمال متعمد للفترة الإسلامية. فقرية العفولة لا تعني بالنسبة إلى ريدجوي (Ridgaway) سوى أنها قرية وقعت فيها معركة بين الفرنسيين والعثمانيين خلال الحملة الفرنسية على بلاد الشام.(٢٦)

إضافة إلى ذلك، كانت المعلومات التي أوردها الرحالة تشبه بعضها بعضاً، إذ أكثروا، مثلاً، من الحديث عن القوافل التي تنقل الحبوب من حوران إلى عكا وحيفا،(٢٧) ووصفوا مشاهد النساء اللواتي ينقلن الماء من العيون إلى بيوتهن.(٢٨)

واهتم هؤلاء الرحالة باليهود والمناطق التي يعيشون فيها، فوصفوا طرق معيشتهم والفقر الذي كانوا يعانونه، والبيوت والأحياء التي يعيشون فيها وعاداتهم وتقاليدهم.(٢٩) كما اهتموا بالكولونية الألمانية بالقرب من حيفا، وتحدثوا عن سكانها وأعمالهم وطرق معيشتهم ونشاطهم الاقتصادي وتأثيرهم في المحيط الذي يعيشون فيه.(٣٠)

وعلى الرغم من ذلك، فإن كتب الرحلات تقدم معلومات محددة عن نواح معينة، كتنظيم المدن وأحيائها وحاراتها والأبنية العامة فيها، مثل المساجد والكنائس ودور الحكومة.(٣١) كما أنها تذكر أعداد السكان في المدن وبعض القرى وطوائفهم الدينية، إلاّ إنها أرقام مبنية على التقدير والتخمين، أو أنها نُقلت عن إحصاءات عثمانية.(٣٢) وقد أشار الرحالة، أحياناً، إلى المحاصيل الزراعية

(٢٥) John Fulton, *Palestine*, p. 152; Charles Leach, *The Romance of the Holy Land*, pp. 223-228; Charles Wilson, *The Land of Galilee*, p. 46.

(٢٦) Henry B. Ridgaway, *The Lords Land* , p. 576; Fulton, *op.cit.*, pp. 397-400; G. E. Franklin, *Palestine*, p. 164.

(٢٧) Wilson, *op.cit.*, p. 63; L. Valentine, *Palestine*, pp. 171, 172.

(٢٨) George Napier Wittingham, *The Home of Fadeless*, p. 253.

(٢٩) Fulton, *op.cit.*, pp. 311, 312; Wilson, *op.cit.*, p. 46; Valentine, *op.cit.*, p. 166.

(٣٠) Fulton, *op.cit.*, pp. 158, 159; Valentine, *op.cit.*, p. 172.

(٣١) Franklin, *op.cit.*, pp. 177, 178; Valentine, *op.cit.*, p. 171.

(٣٢) Fulton, *op.cit.*, pp. 158, 298, 319.

في المدن والقرى التي يمرون بها.(٣٣)

خامساً: الصحف

أ) «البشير»

صحيفة دينية كاثوليكية إخبارية أسبوعية أصدرها في بيروت أمبروسيوس مونو (Ambrosios Mono) في الرابع من جمادى الثانية ١٢٨٧هـ، الموافق للأول من أيلول (سبتمبر) ١٨٧٠م في إثر توقف «مجلة المجمع الفاتيكاني» في سورية. وقد صدرت صحيفة «البشير» أسبوعياً مدة واحد وأربعين عاماً، ثم أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع. وفي الرابع والعشرين من محرم ١٣٣١ هـ، الموافق للثالث من كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م، أصبحت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع.

وتظهر ميول الصحيفة واتجاهاتها كونها تُصدر أعداداً خاصة بالمناسبات والأعياد المسيحية الكاثوليكية. وكان جميع الذين تولوا إدارتها وتحريرها من رجال الدين الكاثوليك كالأب يوحنا بولو (John Poulo)، والأب لويس أبوجي (Louis Abbucci).(٣٤)

وقد اهتمت صحيفة «البشير»، في بداية ظهورها، بالمسائل الدينية والحوادث المحلية والعالمية التي لها علاقة بالمذهب الكاثوليكي. ولذلك لم يهتم بقراءتها سوى الكاثوليك. وعندما تولى الأب سليمان غانم اللبناني اليسوعي إدارتها، والأب خليل البدوي تحريرها، اهتما بتوسيع نطاق الموضوعات التي تتناولها، وبتحسين عباراتها وموضوعاتها حتى صار يطالعها الكاثوليك وغيرهم.(٣٥)

ولم يقتصر اهتمام صحيفة «البشير» على بلاد الشام فقط، بل تناولت أيضاً أخبار الدول الأوروبية والأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية فيها،(٣٦) ونقلت أخبار الحوادث المختلفة في البلاد العربية، في بغداد والموصل ومصر والسودان والمغرب، واهتمت بصورة خاصة بأخبار القدس.(٣٧)

(٣٣) Valentine, *op.cit.*, p. 166.

(٣٤) فيليب دي طرازي، «تاريخ الصحافة العربية»، ج ١، ص ١٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤ - ١٧.

(٣٦) صحيفة «البشير»، العدد ٦٤١، ١٢ ربيع الأول ١٣٠٠هـ/ ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٣م، ص ٢، ٣.

(٣٧) المصدر نفسه، العدد ٦٤٨، ١٠ ربيع الثاني ١٣٠١هـ/ ٨ شباط (فبراير) ١٨٨٤م، ص ٤؛ المصدر نفسه، العدد ٦٥٢، ٩ جادى الأولى ١٣٠١هـ/٨ آذار (مارس) ١٨٨٤م، ص ٣، ٤.

كذلك اهتمت «البشير» بأخبار الكاثوليك ومؤسساتهم في مجال التعليم والصحة وبناء الكنائس، فتطرقت إلى نشاط المستشفيات التابعة لرهبنة القديس مار يوحنا الإلهي، والقديس يوسف في الناصرة وشفا عمرو وحيفا، ونقلت أخبار المؤسسات التعليمية الكاثوليكية وما تقوم به المدارس والمياتم والملاجىء التابعة لها من جهود لتطوير التعليم في اللواء.[٣٨]

وعلى الرغم من الطابع الديني التبشيري لهذه الصحيفة، فإنها نوّعت الموضوعات والأخبار والأحداث التي نقلتها، فاهتمت بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في اللواء وانفردت برواية كثير من الأخبار والأحداث، وتتبعت أخبار التغييرات الإدارية،[٣٩] وأخبار القبائل والعشائر المنتشرة فيه،[٤٠] وأخبار الكوارث الطبيعية من أمراض وأوبئة وجفاف وما تركته من آثار سلبية في السكان.[٤١]

وتابعت الصحيفة تطور شبكة المواصلات من طرق وجسور وسكك حديد.[٤٢]

كما نقلت أخبار الأوضاع الاقتصادية في اللواء، وأسعار المحاصيل الزراعية في بيروت وعكا وحيفا ومرسيليا الفرنسية،[٤٣] وأسعار العملات العثمانية والأجنبية في بيروت وعكا وحيفا،[٤٤] وضريبتي الويركو والعشر،[٤٥] ورسوم الأغنام،[٤٦] ومال الحوالة الحجازية،[٤٧] والإعانات المالية التي يقدمها السكان إلى الدولة.[٤٨]

وقد تنوعت المصادر التي نقلت عنها صحيفة «البشير» أخبارها، فكان لها عدد من المراسلين في مدن اللواء،[٤٩] وكان بعض القراء يبعث لها برسائل

(٣٨) المصدر نفسه، العدد ٨٦٨، ١١ شعبان ١٣٠٤هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٨٨٧م، ص ٣.
(٣٩) المصدر نفسه، العدد ٨٣٣، ٣ ذو الحجة ١٣٠٣هـ/ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م، ص ٣.
(٤٠) المصدر نفسه، العدد ٧١٠، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٠٤هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٨٨٦م، ص ٣.
(٤١) المصدر نفسه، العدد ٢٠١٠، ١٨ صفر ١٣٢٩هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٩١١م، ص ٢.
(٤٢) المصدر نفسه، العدد ٨٢٤، ٢٢ رمضان ١٣٠٣هـ/ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ٣.
(٤٣) المصدر نفسه، العدد ٣٦٥، ٢٩ شعبان ١٢٩٤هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٧م، ص ٤.
(٤٤) المصدر نفسه، العدد ٨٩٣، ١٦ صفر ١٣٠٥هـ/ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٧م، ص ٤.
(٤٥) المصدر نفسه، العدد ٩٧٤، ٢٣ شوال ١٣٠٦هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٩م، ص ٣.
(٤٦) المصدر نفسه، العدد ١٠٢١، ٢٨ ذو القعدة ١٣٠٧هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٨٩٠م، ص ٤.
(٤٧) المصدر نفسه، العدد ٨٧٤، ١ شوال ١٣٠٤هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٧م، ص ٣.
(٤٨) المصدر نفسه، العدد ٨٨٥، ١٩ ذو الحجة ١٣٠٤هـ/ ٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٧م، ص ٣.
(٤٩) المصدر نفسه، العدد ١٠٦٧، ١٨ رمضان ١٣١٠هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٣م، ص ٣.

تتضمن أخبار المدن أو القرى التي يقيم بها.[٥٠]

كما نقلت الصحيفة أخبار اللواء من الصحف الخاصة والرسمية الحكومية، فنقلت مثلاً عن «جريدة ولاية بيروت»،[٥١] وعن صحيفة «الكرمل».[٥٢]

ب) «المقتبس»

صحيفة يومية سياسية اقتصادية ـ اجتماعية أصدرها في دمشق محمد كرد علي في الثاني والعشرين من ذي القعدة ١٣٢٦هـ، الموافق للسادس عشر من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م.[٥٣] واهتمت الصحيفة بنقل أخبار لواء عكا على الرغم من عدم تبعيته، في هذه الفترة، لولاية سورية التي تصدر فيها الصحيفة.

وقد تنوعت الأخبار والموضوعات التي أوردتها من اللواء، فنقلت أخبار الأوضاع الاقتصادية،[٥٤] وتتبعت الأوضاع الأمنية،[٥٥] وتطرقت إلى أوضاع العشائر والقبائل البدوية،[٥٦] وأظهرت اهتماماً خاصاً بمشكلة الأراضي المدورة (أراضي الجفتلك السلطاني)، ومحاولات الحكومة العثمانية بيعها.[٥٧] وانفردت بنشر مجموعة من المقالات بعنوان «عمران صفد»، و«عمران طبريا»، و«عمران الناصرة»، ذكرت فيها المدارس والمساجد والكنائس ودور الحكومة والحمامات في هذه المدن.[٥٨]

كما تنوعت المصادر التي نقلت عنها الصحيفة أخبارها، إذ كان لها مراسلون في مدن اللواء، فذكرت «جاءنا من مكاتبنا في حيفا»،[٥٩] و«جاءنا من مكاتبنا في الناصرة».[٦٠] وكان إبراهيم منصور مراسلاً للصحيفة في قرية

(٥٠) المصدر نفسه، العدد ٣٣٧، ٩ صفر ١٢٩٤هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ص ٣.
(٥١) المصدر نفسه، العدد ١٠٢١، ٢٨ ذو القعدة ١٣٠٧هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٨٩٠م، ص ٤.
(٥٢) المصدر نفسه، العدد ١٩٦٧، ٣ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٠م، ص ٣.
(٥٣) طرازي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٢؛ محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٦، ص ٣٣٧، ٣٣٨.
(٥٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.
(٥٥) المصدر نفسه.
(٥٦) المصدر نفسه، العدد ١٠٨٣، ١٦ محرم ١٣٣٠هـ/ ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م، ص ٢، ٣.
(٥٧) المصدر نفسه، العدد ١٢٩٨، ٢١ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م، ص ١.
(٥٨) المصدر نفسه، العدد ٩٣٥، ٣ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٣.
(٥٩) المصدر نفسه، العدد ٤٢٩، ١٦ رجب ١٣٢٨هـ/ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩١٠م، ص ٢.
(٦٠) المصدر نفسه، العدد ٧٧٠، ٩ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ١.

شفا عمرو.[٦١]

كذلك نقلت أخباراً عن الصحف الأُخرى، فنقلت عن جريدة «الصباح» البيروتية،[٦٢] وعن صحيفة «الكرمل» الأخبار التي تتعلق باليهود وشرائهم الأراضي في اللواء.[٦٣]

ج) «طرابلس» (الشام)

صحيفة أسبوعية أصدرها محمد كامل البحيري في طرابلس الشام سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م. وكانت موالية للسلطان عبد الحميد ومعارضة لجمعية الاتحاد والترقي ومؤيدة لحزب الائتلاف المعارض للاتحاديين.[٦٤]

تنوعت الأخبار التي نقلتها الصحيفة واهتمت بنشاطات الحكومة وأعمالها في اللواء،[٦٥] فنقلت خبراً عن زيارة والي بيروت للواء ومظاهر الاستقبال التي حظي بها.

وانفردت بنشر مجموعة من إعلانات بيع أراضٍ استدان أصحابها من البنك الزراعي وعجزوا عن سداد قروضهم.[٦٦]

وكان للصحيفة مراسلون في مدن اللواء يتابعون الأخبار وينقلونها إلى الصحيفة، فكان محمد رجب سندس مراسلها في عكا، وتوفيق الجراح مراسلها في الناصرة، وحنا منصور مراسلها في حيفا.[٦٧]

د) «الاتحاد العثماني»

صحيفة يومية سياسية وأدبية ـ اجتماعية، أصدرها الشيخ أحمد حسن طبارة في بيروت في الثالث والعشرين من شعبان ١٣٢٦هـ، الموافق للعشرين من أيلول

---

(٦١) المصدر نفسه، العدد ٩٥٧، ٣ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ٢.
(٦٢) المصدر نفسه، العدد ٩٣٦، ٥ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٣ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.
(٦٣) المصدر نفسه، العدد ٩٦٢، ٢٩ شعبان ١٣٣٠هـ/ ١٢ آب (أغسطس) ١٩١٢م، ص ٢.
(٦٤) رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ٢٦٢.
(٦٥) صحيفة «طربلس» (الشام)، العدد ١١٣، ١٩ ذو القعدة ١٣١٠هـ/ ٣ حزيران (يونيو) ١٨٩٣م، ص ٣.
(٦٦) المصدر نفسه، العدد ٤٣، ٢١ رجب ١٣١١هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٤م، ص ٤.
(٦٧) المصدر نفسه، العدد ١٢، ١٤ ذو القعدة ١٣١٠هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٨٩٣م، ص ٢، ٣.

(سبتمبر) ١٩٠٨م.[٦٨]

وقد تنوعت الأخبار التي نقلتها الصحيفة، والتزمت الحياد في أخبارها، فأشارت إلى فتنة وقعت بين المسلمين والمسيحيين في شفا عمرو، إلاّ إنها لم تحدد سبب الفتنة، ولم تُظهر أية إشارة إلى تأييد طرف ضد طرف آخر.[٦٩]

وتابعت الأحوال الاقتصادية في اللواء،[٧٠] واهتمت بالتغييرات الإدارية فيه،[٧١] وبينت أثر العوامل المناخية في الزراعة،[٧٢] وأبدت اهتماماً خاصاً بالشؤون الإدارية والسياسية فيه.[٧٣]

هـ) «جريدة ولاية سوريا»

جريدة أسبوعية حكومية كانت تصدر في دمشق يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ولذلك فهي تتبنى الموقف الرسمي للحكومة وتدافع عنه، وتعمل على إبراز أعمال الدولة ونشاطها في اللواء كفتح الطرق، وإنشاء الجسور والمدارس، وتطوير اللواء من مختلف النواحي.[٧٤]

كما اهتمت بالشؤون الاقتصادية كتلزيم الأعشار في الأراضي السلطانية[٧٥] (الجفتلك السلطاني)، والعملات العثمانية المستخدمة في اللواء وامتناع الناس من تداول بعضها.[٧٦]

واعتمدت على المصادر الحكومية في أخبارها فكانت تنقل هذه الأخبار من السجلات الرسمية،[٧٧] وتستفيد من المراسلات المتبادلة بين اللواء والمركز في

---

(٦٨) طرازي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠.
(٦٩) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٩، ٦ رمضان ١٣٢٦هـ/ ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٨م، ص ٢.
(٧٠) المصدر نفسه، العدد ٢٩٩، ٢٥ شعبان ١٣٢٧هـ/ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م، ص ٣.
(٧١) المصدر نفسه، العدد ١٣٩، ١٦ صفر ١٣٢٧هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣.
(٧٢) المصدر نفسه، العدد ١٧٢، ٢٥ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م، ص ٣.
(٧٣) المصدر نفسه، العدد ٥١٥، ١٩ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ٢٨ أيار (مايو) ١٩١٠م، ص ٣.
(٧٤) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٤٢، ٢٧ صفر ١٣٠١هـ/ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣م، ص ١.
(٧٥) المصدر نفسه، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ٢.
(٧٦) المصدر نفسه، العدد ٩٣٠، ٧ رمضان ١٣٠٠هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٨٨٣م، ص ١، ٢.
(٧٧) المصدر نفسه، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ١.

دمشق فتقول: «أنبأنا التلغراف الوارد من متصرفية عكا»،[78] و«أنبأنا التلغراف الوارد من نظارة المالية.»[79]

سادساً: كتب التاريخ المحلية

ظهر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر مجموعة من الكتب التاريخية التي تتناول تاريخ بلاد الشام بصورة عامة، وتاريخ لبنان بصورة خاصة. ويغلب على هذه الكتب الاهتمام بما يجري في لبنان، وانحصر اهتمام مؤلفيها بأحداث اللواء بقدر ارتباطها بالأحداث والأوضاع في منطقة جبل لبنان، فأسهبت، مثلاً، في الحديث عن أعمال الجزار وسياسته في لبنان، لكنها لم تهتم كثيراً بالحديث عن سياسة الجزار ضمن مركز الولاية في عكا.

كما أسهبت هذه الكتب في تناول النواحي السياسية وأخبار المعارك والحروب بين القوى المحلية، إلاّ إنها كانت قليلة الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

ويستثنى من هذه الكتب كتاب «سليمان باشا العادل» لمؤلفه إبراهيم العورة الذي اهتم، بصورة واضحة، بالأحداث السياسية، والاقتصادية، والعمرانية، والإدارية، والمالية في اللواء والمناطق المحيطة به، مثل لواء نابلس ولواء القدس.

سابعاً: الدراسات الحديثة

لم تكتب دراسة حديثة عن اللواء بصورة مستقلة عن غيره من المناطق، لكن ظهرت دراسات تناولت تاريخ فلسطين بصورة عامة أو فترة زمنية محددة، بينما تناولت مجموعة أُخرى تاريخ مدينة معينة. وكان التركيز على القدس من دون سواها من هذه المدن، ويمكن أن نذكر من هذه الدراسات:

---

(٧٨) المصدر نفسه، العدد ١٠٥٧، ١٩ رجب ١٣٠٣هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٦م، ص ١.

(٧٩) المصدر نفسه، العدد ١١٤٥، ١٣ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ١.

أ) ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»

تناول المؤلف في كتابه تاريخ فلسطين في الفترة ١٢٧٣ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٨٨٢م، فتحدّث عن تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مدن فلسطين، ومن ضمنها مدن اللواء (عكا، والناصرة، وصفد، وطبرية). وقدم معلومات مهمة ومفيدة عن النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسكانية والإدارية وخصوصاً أن معرفته باللغتين الألمانية والإنكليزية، فضلاً عن اللغة العربية، مكنته من الاطلاع الواسع على المصادر المتعددة سواء أكانت العربية أم الأجنبية، إلاّ إنه أهمل النواحي الثقافية والعمرانية في اللواء وفي غيره من المناطق.

ب) عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»

تناول المؤلف في كتابه تاريخ فلسطين في العهد العثماني من النواحي المتعددة، السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، إلاّ إن طول الفترة التي تناولها بالدراسة واتساع المنطقة الجغرافية فرضا عليه التركيز على الأحداث من دون الخوض في التفصيلات، وعلى فترات معينة، وعلى مدن محددة كالقدس ويافا وعكا أكثر من غيرها من المدن. وعلى الرغم من ذلك، فإن المؤلف قدم معلومات جديدة ومفيدة استمدها من مصادرها الأصلية.

ج) ألِكس كرمل، «تاريخ حيفا في العهد العثماني»

تناول المؤلف، بصورة خاصة، الاستيطان اليهودي في اللواء، وأسهب في الحديث عن النشاط الأوروبي في حيفا متمثلاً في دير الكرمل والكولونية الألمانية، مع تناول محدود للجانب العربي منها، محاولاً في جميع فصول كتابه إبراز دور العنصر اليهودي فيها.

الفصل الأول
التطور التاريخي في اللواء منذ بداية العصر العثماني

قام العثمانيون سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م بضم بلاد الشام إلى دولتهم بعد انتصارهم في معركة مرج دابق على المماليك الذين كانوا يسيطرون عليها، فقسموا بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي: حلب والشام وطرابلس. وأصبحت فلسطين، بموجب هذه التنظيمات الإدارية، جزءاً من ولاية الشام. وكانت المنطقة الشمالية من فلسطين (لواء عكا) مقسمة بين سنجقي اللجون وصفد.[١]

لقد أبقى العثمانيون، بعد سيطرتهم على بلاد الشام، الأمراء المحليين الذين اعترفوا وتعهدوا بالمحافظة على الأمن وجباية الضرائب من مناطقهم. فأقر السلطان سليم الأول الأمير طراباي بن قراجا، أحد زعماء منطقة نابلس، حاكماً على سنجق اللجون. وبعد وفاته سنة ١٠١٠هـ/١٦٠١م، تولى ابنه أحمد حكم سنجق اللجون.[٢]

تتميز فترة حكم الأمير أحمد بن طراباي بالخلاف مع الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي توسع في سنجقي صفد واللجون، ونجح في السيطرة على صفد وعكا والناصرة وحيفا وأقام فيها الخانات والحصون والأبراج. وقد تصدى الأمير أحمد بن طراباي للأمير فخر الدين المعني الثاني ولقي تأييداً من حسن باشا حاكم غزة، ومحمد بن فروخ حاكم نابلس، ومن العثمانيين أنفسهم، إذ تمكنت القوات التابعة لهم من هزيمة فخر الدين المعني الثاني في معارك عدة.[٣]

دفع هذا التحالف الأمير فخر الدين المعني الثاني إلى الهرب إلى إيطاليا سنة

---

(١) قسطنطين بازيلي، «سوريا وفلسطين»، ص ٣٢؛ أكرم الراميني، «نابلس في القرن التاسع عشر»، ص ٢٠؛ أحمد عزت عبد الكريم، «دراسات في تاريخ العرب الحديث»، ص ٦٢، ٦٣.

(٢) دفتر مفصل ناحية مرج ابن عامر، ص ٥؛ عدنان البخيت ونوفان الحمود، «دفتر مفصل لواء اللجون»، ص ٢ ـ ٣.

(٣) بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛ الصفدي، «فخر الدين المعني»، ص ٢٥ ـ ٤٠، ١٣٠ ـ ١٤٠، ١٩٦؛ عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٧٠٢ ـ ٧٠٥.

١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م، حيث أمضى فيها خمسة أعوام، لكنه عاد حاكماً على جبل لبنان، بموافقة الدولة العثمانية. فعاد إلى اتباع سياسته الاستقلالية، وحاول التوسع من جديد في المناطق المجاورة، ولا سيما في سنجقي صفد واللجون، ونجح في السيطرة على المدن الكبرى فيهما، فدفعت هذه الأعمال السلطان مراد الرابع إلى إرسال حملة عسكرية سنة ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م للقضاء عليه، فأسر ونقل إلى الآستانة وأعدم سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م.[٤]

بقي الأمير أحمد بن طراباي حاكماً على سنجق اللجون حتى سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م، بينما استمرت أسرة آل طراباي في حكم هذا السنجق حتى سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م، حين أعادت الدولة العثمانية فرض إدارتها المباشرة على السنجق وعينت أحمد باشا الترزبي حاكماً عليه.[٥]

قامت الدولة العثمانية سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م، أي في السنة نفسها التي هرب فيها فخر الدين المعني الثاني إلى إيطاليا، بإعادة تقسيم ولايات بلاد الشام إلى أربع ولايات بدلاً من ثلاث، وذلك بأن استحدثت ولاية صيدا، إلاّ إن هذه الولاية أُلغيت بعد فترة قصيرة من إنشائها ثم أعيد تشكيلها مرة أُخرى سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م. وقد تكونت الولاية الجديدة من مناطق فُصلت عن ولايتي الشام وطرابلس، وأصبح لواء عكا، إضافة إلى سنجقي صيدا وبيروت، ضمن ولاية صيدا الجديدة.[٦]

كانت الدولة العثمانية تهدف من هذه التغييرات إلى إضعاف سلطة والي الشام بتقليص حجم المناطق التابعة له، وبتشديد مراقبتها على الدروز والأمراء الذين خلفوا فخر الدين المعني الثاني في حكم جبل لبنان.

اهتم الأمير فخر الدين المعني الثاني بتشجيع التجارة مع أوروبا، فبنى في عكا حصناً وخاناً لإقامة التجار الأجانب، ولا سيما أن عدداً من التجار الفرنسيين والإنكليز والهولنديين اتخذ المدينة مركزاً لتجارة القطن، فكان القطن وغزول القطن ينقلان منها إلى فرنسا والبندقية.[٧] وأشار الشهابي، في حوادث سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م، إلى وصول مركبين تجاريين فرنسيين إلى عكا لشحن

(٤) منير الخوري، «صيدا»، ص ١٩٦ ـ ١٢٥؛ ف. فوستنفلد، «فخر الدين المعني»، ص ١٤٢ ـ ١٦٠.

(٥) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٢ ـ ٧٠٥.

(٦) بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

(٧) أحمد حيدر الشهابي، «تاريخ أحمد باشا الجزار»، ص ٩٥ ـ ٩٦؛ ليلى الصباغ، «الفعاليات الاقتصادية»، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ٢٩٣.

القطن.[٨] كما كانت فرنسا تستورد في سنوات الجفاف كميات كبيرة من القمح والأرز من عكا وحيفا، فقد شاهد الرحالة الفرنسي فرمانل (Fermanel)، سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م، في ميناء عكا ٣٢ مركباً حمولة أصغرها ١٥٠ طناً وحمولة أكبرها ٦٠٠ طن قدمت لشحن القمح.[٩]

ساءت العلاقات التجارية بين والي صيدا والتجار الأجانب سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، بسبب سوء معاملة والي صيدا وأعوانه لهم، فانتقل هؤلاء التجار إلى عكا، لكنهم عادوا إلى صيدا بعد عزل الوالي.[١٠]

كانت تجارة لواء عكا الخارجية تابعة لصيدا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بسبب تدهور مكانة عكا وردم مينائها وتعرضه للرياح الشديدة، لكن هذا لم يمنع السفن الأوروبية من الرسو فيه. وذكرت رسالة للقنصل الفرنسي في صيدا سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، أن مراكب هولندية كانت تأتي كل سنة إلى عكا لتشحن منها نحو ٣٠٠ ـ ٤٠٠ بالة من القطن والصوف، كما كانت تشحن، أحياناً، لحساب التجار الفرنسيين بالات من غزل القطن. كذلك كانت تأتي إليها ثلاثة أو أربعة مراكب إنكليزية في السنة لتحمل منها الصوف. ويحمل المركب منها ٢٠٠ بالة فقط، وأحياناً ٤٠ ـ ٥٠ بالة، ثم تذهب المراكب إلى الإسكندرونة لإكمال حمولتها.[١١] وقد بلغت قيمة التجارة الفرنسية مع ميناء عكا، سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، نحو ٥٢ ـ ٥٥ ألف قرش، منها ١٨ ألفاً ثمن قطن خام، و١٦ ألفاً ثمن قطن مغزول.[١٢]

تتميز الفترة الواقعة بين أواخر النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر بسيطرة ظاهر العمر على منطقة الجليل كملتزم للضرائب الميري. ففي سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م، عيّن الأمير بشير الشهابي الأول عمر بن صالح والد ظاهر العمر ملتزماً للضرائب في بعض مناطق سنجق صفد. وعندما توفي الشيخ عمر بن صالح منح والي صيدا ابنه ظاهر العمر التزام الضرائب في قريتي الدامون وعرّابة.[١٣] كما عمل ظاهر العمر على تقوية سلطته وتوسيع المناطق الخاضعة

(٨) أحمد حيدر الشهابي، «الغرر الحسان»، ج ١، ص ٦٨١.

(٩) ليلى الصباغ، «الجاليات الأوروبية»، ج١، ص ٢٩١؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨١٨.

(١٠) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨١٦.

(١١) الصباغ، «الجاليات. . .»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٩٨؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨١٧.

(١٢) الصباغ، «الجاليات. . .»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٩٦.

(١٣) عبود الصباغ، «الروض الزاهر»، ص ٢ ـ ٣؛ جورج يني، «ظاهر العمر»، «المقتطف»، المجلد ٢٨، ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

له على حساب ولاة دمشق وصيدا مستغلاً ضعف ولاة هاتين الولايتين وانهماك الدولة العثمانية في حروبها المستمرة مع روسيا في هذه الفترة.(١٤) كذلك تحالف ظاهر العمر مع القبائل العربية في المنطقة مثل بني صخر وبني صقر والسردية وتزوج منهم كي يرسخ تحالفه معهم.(١٥)

أدت أعمال ظاهر العمر التوسعية إلى الاصطدام بولاة دمشق وصيدا الذين قاموا بشن الحملات العسكرية على المناطق الخاضعة له. ففي سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، قاد سليمان باشا العظم والي الشام بالتعاون مع والي صيدا حملة ضد ظاهر العمر وحاصره في قلعة طبرية، لكن سليمان باشا اضطر إلى رفع الحصار عنها، فرد ظاهر العمر على ذلك بتحصين طبرية وقلعتها وإعادة بناء أسوار المدينة.(١٦)

عاد سليمان باشا إلى محاصرة ظاهر العمر، مرة أُخرى، في طبرية سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، لكنه فشل في احتلالها بعد حصار استمر ثلاثة أشهر، واضطر إلى رفع الحصار عن المدينة لاقتراب موعد خروج قافلة الحج الشامي من دمشق.(١٧)

وفي سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، قاد سليمان باشا حملة جديدة ضد ظاهر بدعم من القوات العثمانية التي أُرسلت إلى المنطقة. وتوجه سليمان باشا إلى محاصرة قلعة دير حنا بدلاً من محاصرة طبرية، لكنه توفي بالقرب من قرية لوبيا في السنة نفسها قبل وصوله إلى قرية دير حنا،(١٨) الأمر الذي أدى إلى فشل الحملة. وكان هذا الفشل انتصاراً لظاهر العمر الذي استمر في توسيع المناطق التابعة له بعيداً عن أي معارضة سواء من أسعد باشا العظم والي الشام الجديد أو من والي صيدا اللذين لم يقوما بأي عمل معاد له، بل العكس من ذلك، إذ منحه والي صيدا التزام مدينة عكا سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.(١٩)

في هذا الوقت، عمل ظاهر على تحسين علاقاته بالدولة العثمانية في العاصمة، وقام بدفع أموال الميري المطلوبة منه باستمرار وانتظام.(٢٠) كما

---

(١٤) أحمد البديري الحلاق، «حوادث دمشق»، ص ١٧٠ ـ ١٨٠؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

(١٥) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٧ ـ ٨.

(١٦) الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢١ ـ ٢٤؛ يني، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

(١٧) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٩ ـ ١٠؛ الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(١٨) الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ ـ ٤٨.

(١٩) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٩ ـ ١٠؛ يني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢.

(٢٠) يني، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠؛ Amnon Cohen, *Palestine*, p. 133.

استفاد، بصورة كبيرة، من الموقف المهادن الذي اتخذه أسعد باشا والي الشام منه خلال ولايته، الأمر الذي شجعه على التوسع في المناطق المجاورة، فمد التزامه ليشمل مدينة يافا التابعة لوالي الشام. كما منحه أسعد باشا التزام حيفا،(٢١) وضم ظاهر العمر إليه مناطق أُخرى في نابلس وبلاد حارثة وجبل عجلون.(٢٢)

شهدت فترة سيطرة ظاهر العمر على لواء عكا انتعاش حركة التجارة مع الدول الأوروبية، ولا سيما مع فرنسا. وقد شجع ظاهر العمر التجار الفرنسيين على الإقامة بعكا، فبنى فيها خاناً للتجار وسوقاً كبيرة،(٢٣) الأمر الذي أدى إلى ازدياد أعداد التجار الفرنسيين في المدينة. إذ كان عددهم اثني عشر تاجراً سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، ثم ارتفع إلى ثلاثة وعشرين تاجراً سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. كما أصبحت السفن الفرنسية تبحر مباشرة بين عكا ومرسيليا الفرنسية.(٢٤) وقد بلغت الواردات الفرنسية من القطن عبر ميناءي عكا وصيدا سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م على النحو التالي:(٢٥)

القطن الخام ٦٧٨,١٢٥ بالة ثمنها ٦١,٠٣١ قرشاً؛

القطن المغزول ١,٠٥٦,٦٦٥ بالة ثمنها ٢٢١,٣٣٣ قرشاً.

وكان القطن أهم المحاصيل المصدرة من عكا. ويذكر عبود الصباغ «أن ظاهر العمر كان محبوباً من الفرنساوية وكان كامل ما يطلع في بلاده من قطن وغلال يبيعها للفرنساوية في عكا.»(٢٦) فبلغت قيمة المشتريات الفرنسية من ميناء عكا سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م نحو ٢٣١,٤٦٠ ليرة فرنسية.(٢٧)

لم تقتصر التجارة الفرنسية مع لواء عكا على القطن، بل كانت أيضاً تشمل، أحياناً، القمح والأرز. فأشارت التقارير الفرنسية سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، إلى مجيء أعداد كبيرة من السفن إلى عكا لشحن الأرز بعد أن ارتفعت أسعاره في مصر

---

(٢١) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

(٢٢) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٧١١؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ١٠٨.

(٢٣) إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ٣٧٦؛ الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٢٤) ليلى الصباغ، «الفعاليات...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧؛ Cohen, *op.cit.*, p. 132; John Bowring, *Syria*, p. 58.

(٢٥) Adel Asmail, *Document*, Vol. I, p. 175.

(٢٦) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٩؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٧١١.

(٢٧) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢٥ ـ ٨٢٦.

بسبب الطلب عليه من الخارج، ولم يكن يأتي إلى عكا في الأوقات العادية إلاّ عدد قليل من السفن الفرنسية لنقل بعض حمولتها منها ثم تتابع رحلتها إلى صيدا لتكمل الحمولة منها. وكانت ترسل البضائع إليها من عكا على مراكب محلية.

وبلغ نفوذ التجار الفرنسيين في اللواء حداً دفع بعضهم إلى الحصول على التزام مال الميري في بعض مناطق اللواء. فأشارت الوثائق الفرنسية إلى التاجر موسو روسو الذي التزم مال الميري في إحدى المناطق التابعة لظاهر العمر.(٢٨)

لكن العلاقات التجارية ساءت بين ظاهر العمر والتجار الفرنسيين، في أواسط القرن الثامن عشر، بعد إصراره على احتكار تجارة القطن. فمنع المزارعين من بيعه لأحد سواه، وفرض على التجار الفرنسيين الشراء منه فقط، الأمر الذي أثار معارضتهم واحتجاجهم، لكن الخلافات بين الطرفين انتهت بتوقيع اتفاقية تنظم التجارة بينهما سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.(٢٩)

لقد وفرت الأموال الطائلة التي حققها ظاهر العمر جراء احتكار التجارة والاستيلاء على أموال الالتزام ما يكفي للقيام بالمشاريع العمرانية الكثيرة في اللواء، فأعاد بناء سور طبرية وقلعتها سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، وهدم حيفا القديمة في أواسط القرن الثامن عشر وأعاد بناءها من جديد إلى الجنوب الشرقي من المدينة القديمة، وأحاطها بسور جعل له بوابتين. كما أعاد بناء سور عكا سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م وحصنه بالأبراج.(٣٠)

لم يقتصر اهتمام ظاهر العمر على المدن بل امتد ليشمل القرى أيضاً، إذ بنى قلعة في دير حنا وبنى سوراً حول قرية عبلين وحصنه بالأبراج.(٣١)

وكانت علاقة ظاهر العمر قوية ببعض القوى المحلية في المنطقة، إذ تحالف مع المتاولة (الشيعة) في الجنوب اللبناني، لكن علاقاته كانت متوترة بالدروز في اللواء وخارجه، فدمر قرية سلمة الدرزية بالتعاون مع سكان قرية عرّابة السُنة. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن ظاهر كان يتعصب لليمنية بينما كان الدروز يتعصبون للقيسية. كما أيد الدروز عثمان بن ظاهر العمر في ثورته على والده، وتلقوا الدعم والتأييد من دروز حوران، إلاّ إن ظاهر العمر تمكن من

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨١٨؛ ليلى الصباغ، «الجاليات...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧؛ Bowring, *op.cit.*, p. 58.

(٢٩) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢٠.

(٣٠) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٨ - ١٠؛ الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٤١ - ٤٢؛ Claude Conder & H. H. Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 361.

(٣١) يني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

هزيمة هذا التحالف المعادي له بالقرب من قرية أبو سنان. كما هزم الدروز في سهل تربيخا. وقد أيد الشيعة ظاهر العمر في صراعه مع الدروز.(٣٢) كما كانت علاقته حسنة بالمسيحيين وسمح لهم بحرية إقامة الكنائس والأديرة في حيفا وعكا والناصرة.(٣٣)

دخلت علاقة ظاهر العمر بولاة الشام مرحلة جديدة عندما عينت الدولة العثمانية، سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، عثمان باشا الكرجي والياً على الشام والذي عمل منذ تعيينه على استعادة المناطق التي سيطر عليها ظاهر العمر. وحدث أول اصطدام بين الطرفين عندما خرج عثمان باشا لجمع أموال الميري، فاحتل قلعة الطنطورة التي تتبع ولاية الشام، لكن ظاهر العمر عاد فاحتلها بعد انسحاب عثمان باشا منها. كما حاول عثمان باشا استعادة حيفا وعكا سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م.(٣٤)

وازداد تهديد عثمان باشا لظاهر العمر بعد تعيين ابنه درويش باشا والياً على صيدا سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، الأمر الذي دفع ظاهر العمر إلى التحالف مع بعض القوى الخارجية، ولا سيما مع علي بك الكبير حاكم مصر ومع قائد الأسطول الروسي في البحر الأبيض المتوسط، فأدى ذلك إلى دخول المنطقة في سلسلة من الحروب والاضطرابات التي انتهت بسقوط ظاهر العمر.

بدأت هذه السلسلة من الاضطرابات بعد أن نجح علي بك الكبير في السيطرة على الحكم في مصر، وأخذ يتطلع إلى مهاجمة بلاد الشام ومحاربة عدوه عثمان باشا والي الشام، فأرسل سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م حملة احتلت غزة ويافا بالتعاون مع قوات ظاهر العمر. وفي سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، أرسل علي بك قوات إضافية إلى بلاد الشام بقيادة محمد بك أبو الذهب، الذي عُين قائداً عاماً للحملة، فاحتل الرملة وتقدم شمالاً واحتل دمشق سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م بمساعدة القوات التابعة لظاهر العمر. لكن محمد بك أبو الذهب انسحب من دمشق وعاد إلى مصر وعزل علي بك الكبير عن الحكم وتولى السلطة. فهرب علي بك إلى ظاهر العمر، ثم عاد إلى مصر وحاول استعادة سلطته فيها بمساعدة من ظاهر العمر.

(٣٢) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٨، ٢٣؛ الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠.

(٣٣) فرديناند توتل اليسوعي، «رحلة رسولية»، «المشرق»، المجلد ٢١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص ٩٥٦؛ John Makhoul, *Guide to Acre*, pp. 84, 85; Karl Baedeker, *Palestine*, p. 234.

(٣٤) الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٧٩.

وقد دفع هذا التحالف محمد بك أبو الذهب إلى مهاجمة فلسطين ومحاربة ظاهر العمر. فتقدم على رأس حملة كبيرة واحتل غزة والرملة ويافا وعكا، لكنه توفي فجأة في عكا سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، فانسحب الجيش التابع له عائداً إلى مصر.[٣٥]

دفعت هذه الأعمال العثمانيين إلى الإعداد للقضاء على ظاهر العمر ولا سيما بعد أن انتهت الحرب مع روسيا سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م بتوقيع معاهدة كوتشوك (كجك) كاينرجي. فأرسل العثمانيون حملة بحرية بقيادة القبطان حسن باشا الذي احتل حيفا وحاصر عكا فاضطر ظاهر العمر إلى الهرب، لكنه قُتل على يد أحد جنوده المغاربة خارج أسوار عكا سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م.[٣٦]

انعكست الأوضاع السياسية والعسكرية المضطربة في هذه الفترة على حركة التجارة مع أوروبا، فتدهورت حركة التجارة من اللواء إلى الموانىء الأوروبية. وذكرت رسالة للقنصل الفرنسي في صيدا سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، أن التجارة متوقفة بسبب الاضطرابات والحروب،[٣٧] وأشارت رسالة أُخرى لقنصل فرنسا في صيدا سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م إلى الأوضاع التجارية السيئة، ولا سيما ما يتعلق بصادرات فلسطين التي عانت جرّاء الاضطرابات والحروب التي انتشرت في المنطقة. وأصبح الفلاح جندياً، وعمت الحروب المنطقة، وأُهملت زراعة الأرض، وقلّ معظم المنتوجات، وأنتج القليل من القطن الذي ارتفعت أسعاره بصورة كبيرة.[٣٨]

عينت الدولة العثمانية أحمد باشا الجزار والياً على صيدا سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، فاتخذ من عكا عاصمة لولايته.[٣٩] وبدأ حكمه بالقضاء على أولاد ظاهر، واحتل القلاع التي ما زالت تحت حكمهم، كما فرض سيطرته على جبل لبنان بالتخلص من بعض أمرائه وتعيين آخرين بدلاً منهم، وتشجيع الخلافات

(٣٥) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٧٨ ـ ٨٠؛ عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ ـ ٢٠؛ حنانيا المنير، «الدر المرصوف»، ص ١١ ـ ١٢؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ ـ ٦٠.

(٣٦) الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧١؛ عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠ ـ ٣٨؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٢، ١١٣؛ إبراهيم الصباغ، «تاريخ ظاهر»، ص ٥٥ ـ ٦٠.

(٣٧) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢١.

(٣٨) المصدر نفسه؛ Charles-Roux, *Les echelles de Syrie et de Palestine*, pp. 116-120.

(٣٩) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٩٧ ـ ٩٩؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠ ـ ٦٥.

والصراعات بين الآخرين.[٤٠] ثم حاول الجزار فرض سيطرته على الزعماء المحليين في لواء نابلس، لكنه لم ينجح في ذلك، فقد حاصر يوسف جرار في قلعة سانور، لكنه لم يستطع احتلالها واضطر إلى رفع الحصار عنها.[٤١]

عمل الجزار على زيادة الضرائب المفروضة على الفلاحين، ورفع قيمة الالتزام على الملتزمين لأنه كان بحاجة مستمرة إلى الأموال للإنفاق على جيشه المكون من المماليك والبشناق والأرناؤوط والتركمان والمغاربة والهوارة والهنادي. وقد دفع ذلك الفلاحين إلى ترك قراهم، والانتقال إلى المناطق البعيدة عن سيطرة الجزار، فخرب بعض القرى وتدهور الإنتاج الزراعي في بعضها الآخر.[٤٢]

لقد ساعد انتقال عاصمة ولاية صيدا إلى عكا في ازدهار الحركة التجارية فيها، ولا سيما بعد أن عمل الجزار على تحسين مينائها ليصبح قادراً على استقبال السفن الكبيرة، وبنى خان العمدان بالقرب من الميناء لتسهيل إقامة التجار الأجانب. وهكذا أصبحت عكا من أهم موانىء بلاد الشام الجنوبية، وكان يصدر من مينائها القمح والقطن والحرير والصوف والرماد (القلي) وتستورد عبره المنسوجات والأخشاب والتوابل والأصباغ.[٤٣]

ويتضح ازدهار التجارة مع أوروبا في أيام الجزار في ارتفاع حجم الصادرات من عكا، إذ بلغت قيمتها سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م نحو ٤٢٩,٢١٠ ليرات فرنسية، ثم ارتفعت سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م إلى ١,٢٧٠,٣٥٥ ليرة.[٤٤]

لكن العلاقات التجارية ساءت بين الجزار والتجار الفرنسيين بسبب اتباع الجزار سياسة الاحتكار في التجارة، إذ لم يسمح لأحد غيره بالاتجار بالقطن وزيت الزيتون والحبوب، فكان يشتري هذه المحاصيل من المزارعين ويبيعها للتجار الفرنسيين بالأسعار التي يحددها لهم. واحتج التجار الفرنسيون على هذه السياسة وانتقلوا إلى يافا وطرابلس سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، لكنهم عادوا إلى عكا بالشروط التي فرضها عليهم الجزار.[٤٥]

(٤٠) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٦ ـ ١٢٠، ١٤٢ ـ ١٤٦؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧٥.

(٤١) بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢ ـ ١٢٠؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٧١٩.

(٤٢) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦ ـ ٥٧؛ الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

(٤٣) الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥ ـ ٩٦؛ Cohen, *op.cit.*, p. 134.

(٤٤) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢٨.

(٤٥) طنوس الشدياق، «أخبار الأعيان»، ج ٢، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٨؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

ونتيجة ازدياد الطلب الفرنسي على محاصيل اللواء، ولا سيما القمح، أجبر الجزار المزارعين على زراعة القمح سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م على الرغم من معارضتهم. وكان يشتري القمح من المزارعين ويبيعه للتجار الفرنسيين بالأسعار التي يحددها لهم.(٤٦) ولذلك، لم يستفد المزارعون من ازدياد الطلب على محاصيل البلاد وارتفاع أسعارها لأن هذه الأرباح كانت تعود إلى خزينة الجزار. وقد ساعدت المكاسب التي حققها الجزار جرّاء احتكار التجارة في توفير الأموال اللازمة له للإنفاق على المشاريع العمرانية المتعددة التي قام بها. فقد أصلح أسوار عكا، وبنى الجامع الذي عرف بجامع الجزار.(٤٧) وعانت البلاد خلال حكمه انتشار الأوبئة والأمراض، إذ انتشر الجفاف سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، كما انتشر الطاعون سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م وسنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م.(٤٨)

لعل أهم الأعمال التي قام بها الجزار كان التصدي للحملة الفرنسية على بلاد الشام بالتعاون مع العثمانيين والإنكليز. فبعد أن فرض نابليون سيطرته على مصر سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، توجه على رأس حملة من مصر إلى بلاد الشام مدعياً أن الجزار أهان مبعوثه الذي عرض عليه إقامة علاقات حسنة، وتحسين التجارة بينهما.(٤٩)

تحرك الجيش الفرنسي من مصر عبر سيناء فاحتل العريش وغزة وأسدود والرملة، ثم اتجه نحو يافا وفرض عليها الحصار، لكن حاميتها رفضت الاستسلام معتمدة على مناعة أسوار المدينة. وكان نابليون يريد الإسراع في احتلال المدينة ليؤمن عن طريقها الاتصال البحري مع كل من دمياط والإسكندرية، فاحتل الفرنسيون المدينة بعد أن وعدوا حاميتها بالأمان إلا إنهم نكثوا وعدهم وقتلوا ثلاثة آلاف شخص منها.(٥٠)

تقدم الفرنسيون شمالاً واحتلوا حيفا، ثم اتجهوا إلى عكا وفرضوا عليها

---

(٤٦) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ ـ ٥٨؛ رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢٢.

(٤٧) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥، ٨٨؛ Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 188, 189; Conder & Kitchener, *op.cit.*, Vol. I, p. 145.

(٤٨) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٦٩؛ ميخائيل مشاقة، «منتخبات من الجواب»، ص ١٢؛ المنير، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

(٤٩) نقولا الترك، «الحملة الفرنسية»، ص ٦٣ ـ ٦٤؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢١٣، ٢٥٢.

(٥٠) الترك، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧٠؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨.

الحصار سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، وكانت عكا محصنة بصورة جيدة، وتحيط بها الأسوار والأبراج، وكان يدافع عنها ستة آلاف من الجنود. وفور وصول الفرنسيين إلى المدينة حاولوا تسلق أسوارها، لكنهم صدوا وتكبدوا خسائر كبيرة. وفي المقابل، صدت القوات الفرنسية هجوماً شنه المدافعون، وقامت بهجوم معاكس تكبد فيه الطرفان خسائر كبيرة.(٥١)

في الوقت نفسه، قامت القوات الفرنسية باحتلال المناطق في جوار عكا لردع الهجوم العثماني المرتقب على الجيش الفرنسي. فاحتلت صور وصفد والناصرة وطبرية، وهزمت القوات العثمانية عند قرية الفولة في مرج ابن عامر سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م بفضل تفوق المدفعية الفرنسية.(٥٢)

عاد الفرنسيون، بعد ذلك، إلى تشديد حصارهم على عكا وقاموا بعدة هجمات على المدينة رد عليها المدافعون بهجمات معاكسة، وساعد ما أرسله العثمانيون والإنكليز من الإمدادات والجنود عن طريق البحر في صمود المدافعين. وقد فشلت جميع محاولات الفرنسيين للاستيلاء على المدينة وتكبدوا خسائر كبيرة. وانتشر الطاعون بين الجنود وترافق ذلك مع نقص المؤن والإمدادات المرسلة من مصر، ومع تصميم العثمانيين والإنكليز على مقاومة الحملة. فرأى نابليون أن استمرار هجماته على المدينة سيقضي على جيشه، ولا سيما أن العثمانيين كانوا يعدون لإرسال جيش إلى مصر لإخراجه منها. لذلك قرر رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى مصر.(٥٣)

ازداد نفوذ الجزار وقوته بعد نجاحه في مقاومة الحملة الفرنسية، فعينته الدولة العثمانية والياً على الشام إلى جانب ولاية صيدا.(٥٤) كما عمل على توسيع نفوذه في المناطق المجاورة فاستولى على يافا سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وأخرج حاكمها محمد أبو نبوت منها.(٥٥)

---

(٥١) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٨؛ الترك، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ ـ ٨٠.

(٥٢) الترك، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨؛ الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

(٥٣) الترك، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ ـ ٨٤.

(٥٤) الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٣، ٤٢٠، ٥٠١ ـ ٥٠٢؛ كامل العسلي، «وثائق مقدسية»، ج ٣، ص ١٧ ـ ١٨.

(٥٥) Cohen, *op.cit.*, pp. 165-167.

استمر الجزار في حكم ولايتي الشام وصيدا حتى وفاته سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، فخلفه في ولاية صيدا سليمان باشا العادل (١٢١٩ ـ ١٢٣٥هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨١٩م)، الذي تتميز فترة حكمه بهدوء الأوضاع في لواء عكا بصورة خاصة وبتحسن أوضاع الفلاحين والأوضاع الاقتصادية في اللواء بصورة عامة. لكن الثورات والاضطرابات قامت في بقية مناطق فلسطين، ولا سيما تلك المناطق التابعة لولاية الشام، وقام سليمان باشا بدور رئيسي في القضاء على هذه الثورات. فقضى على ثورة محمد باشا أبو المرق في يافا، وكافأته الدولة العثمانية على ذلك فعهدت إليه بمتصرفية غزة ويافا فضلاً عن ولاية صيدا.[٥٦]

كذلك كلفت الدولة العثمانية سليمان باشا التصدي للوهابيين الذين هاجموا بلاد الشام سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م ووصلوا إلى مشارف دمشق. وقد فشل ولاة الشام في التصدي للهجوم الوهابي، فكلفت الدولة العثمانية سليمان باشا مواجهة الوهابيين، وعندما نجح في ذلك عينته والياً على الشام وطرابلس إضافة إلى ولاية صيدا.[٥٧]

في سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ثار أبو عودة الجيوسي، شيخ ناحية بني صعب، وتحصن في قلعة صوفين ورفض دفع مال الدورة، فاستعان والي الشام مرة أُخرى بوالي صيدا سليمان باشا الذي أخضع آل الجيوسي، وعهد إلى موسى بن طوقان في إدارة ناحية بني صعب.[٥٨]

وعلى الرغم من ازدهار الزراعة والتجارة في فترة حكم سليمان باشا وهدوء الأوضاع السياسية والأمنية في اللواء، فإنه أُصيب بالكوارث الطبيعية التي ساهمت في تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة بصورة عامة. ففي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، داهمت السيول مدينة عكا،[٥٩] وانتشر الطاعون خلال الفترة ١٢٢٦ ـ ١٢٢٧هـ/ ١٨١١ـ١٨١٢م، وأدى إلى وفاة عدد كبير من السكان.[٦٠] كما انتشر الجراد في اللواء سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، وقضى على المحاصيل الصيفية كالقطن والسمسم،[٦١] الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب وازدياد الطلب عليها.

---

(٥٦) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ ـ ٨٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٩٧، ١٠٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١٦٨؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٥٩٠.

(٦٠) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢ ـ ١٩٨؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٥٩٠.

(٦١) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

فيذكر العورة أنه «في أول هذه السنة كانت تباع غرارة الحنطة النظيفة العال وهي اثنان وسبعون مداً بثمانية عشر غرشاً وفي آخر السنة بعد كوانين ارتفعت أسعارها رويداً حتى حصلت الغرارة بخمسة وأربعين غرشاً من شدة الطلب عليها الذي صار عليها من بيروت ومن أهل الجبل.»[٦٢]

وقد اهتم سليمان باشا بالحركة العمرانية في لواء عكا، فعمر السور سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وأقام جسراً خشبياً على الميناء لتسهيل حركة المسافرين، وبنى علي آغا، أحد مماليك سليمان باشا، خاناً لربط الدواب في عكا سماه خان الحمير، وأصلح جامع المجادلة سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م.[٦٣]

وأعاد سليمان باشا بناء القناة التي تنقل المياه من نبع الكابري إلى عكا، وأعاد بناء سوق ظاهر العمر فيها، وبنى سبيلاً للماء عند بوابة المدينة تسهيلاً للقادمين والمغادرين.[٦٤]

لم يقتصر اهتمام سليمان باشا ومماليكه على الأعمال العمرانية في عكا فقط، بل امتد أيضاً ليشمل القرى والمدن الأُخرى في اللواء. فقام علي آغا بتعمير جامع قرية كفرتا بالقرب من شفا عمرو، وأمر بعمارة جامع الناصرة وأوقف عليه الأوقاف.[٦٥]

كما قام سليمان باشا، سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، بترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة في القدس على الرغم من أن المدينة تابعة لوالي الشام، وتم ذلك بطلب من الآستانة التي كلفت سليمان باشا القيام بذلك.[٦٦]

توفي سليمان باشا سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، فعينت الدولة العثمانية عبد الله باشا ابن علي باشا والياً على صيدا التي أصبحت محور السياسة العامة في بلاد الشام الجنوبية في عهده. واستمر الوضع الأمني فيها هادئاً ولم تشهد قيام ثورات محلية لضعف نفوذ العائلات المتنفذة في اللواء، بينما امتدت الثورات لتشمل بقية مناطق فلسطين. وقد شارك عبد الله باشا في القضاء على الثورات التي قامت في المناطق التابعة لولاية الشام من فلسطين. ففي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، قامت ثورة في منطقة القدس بزعامة إبراهيم أبو غوش، وكان الباعث على هذه الثورة زيادة

---

(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٩١، ١٩٥؛ مشاقة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦ ـ ٣٧؛ توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤١؛ أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ١٨٦.

(٦٦) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٣ ـ ٣٠٠

والي الشام، مصطفى باشا، الضرائب المالية المفروضة على السكان بحجة تمويل قافلة الحج الشامي، فامتنع سكان منطقة القدس ونابلس من دفع الضرائب المطلوبة وتجمعوا حول إبراهيم أبو غوش. وكلف السلطان محمود الثاني عبد الله باشا القضاء على الثورة. فأرسل الأخير جيشاً إلى القدس واستطاع إقناع إبراهيم أبو غوش بعدم الاستمرار في الثورة بتقديم الأموال له، بينما حاصر بقية الثوار في قلعة القدس وأجبرهم على الاستسلام سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م. فكافأه السلطان على ذلك وعينه والياً على ولايتي الشام وطرابلس فضلاً عن ولاية صيدا.(٦٧)

كما ثار آل جرار في منطقة نابلس احتجاجاً على ارتفاع الضرائب التي فرضها عليهم والي الشام سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م. لذا عهد السلطان العثماني إلى عبد الله باشا في القضاء على الثوار الذين تحصنوا في قلعة سانور. وقد استعان عبد الله باشا بقوات الأمير بشير الشهابي الثاني، التي حاصرت قلعة سانور، لكن قدوم الحملة المصرية إلى بلاد الشام دفع عبد الله باشا إلى الاتفاق مع عبد الله جرار وتعيينه متسلماً على جبل نابلس.(٦٨)

كانت الحملة المصرية على بلاد الشام نقطة تحول مهمة في تاريخ المنطقة، لأن محمد علي بعد أن أقام دولة قوية في مصر، تطلع إلى ضم بلاد الشام إلى مصر والاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية. وبعد أن رفض السلطان العثماني منحه بلاد الشام مكافأة له على قيامه بالقضاء على الثورة الوهابية في الجزيرة العربية، وعلى الثورة اليونانية، أصر محمد علي على احتلال بلاد الشام بالقوة العسكرية. وفي سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، تقدمت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا نحو بلاد الشام واحتلت غزة ويافا والقدس وحيفا ومنطقة الجليل من دون مقاومة تذكر. وقدم الزعماء المحليون ولاءهم إلى إبراهيم باشا، وفي طليعتهم الشيخ حسين عبد الهادي، والشيخ قاسم الأحمد من زعماء منطقة نابلس.(٦٩)

في الوقت نفسه، شدد إبراهيم باشا الحصار على مدينة عكا التي كانت محاطة بتحصينات قوية، وهاجمها بالمدافع من البحر والبر. وبعد حصار استمر ستة أشهر استسلمت عكا سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، وأُلقي القبض على عبد الله باشا

(٦٧) بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦ ـ ١١٢.

(٦٨) أسد رستم، «المحفوظات»، ج ١، ص ٣١١ ـ ٣٢١؛ أسد رستم، «بشير»، ص ١٢٠؛ بولس قرألي، «فتوحات إبراهيم باشا»، ص ١٨ ـ ٢٩.

(٦٩) رستم، «المحفوظات»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣١١ ـ ٣٢١؛ رستم، «بشير»، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠؛ قرألي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ ـ ٢٩؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢ ـ ١٢٠.

ونقل إلى مصر ثم توجه منها إلى الآستانة.(٧٠)

تقدم إبراهيم باشا بعد ذلك لاحتلال باقي مناطق بلاد الشام، واستولى على دمشق وحماة وحلب وأنطاكية، وهزم العثمانيين في معركتي بيلان وقونية سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م. فدفعت هذه الانتصارات الدول الأوروبية إلى التدخل وأقنعت الطرفين بوقف الحرب، وتوقيع اتفاقية كوتاهية سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م التي نصت على أن يحتفظ محمد علي بحكم مصر وراثياً في أسرته فضلاً عن احتفاظه بإدارة ولايتي الشام وأضنة.

أدخل المصريون خلال حكمهم بلاد الشام سلسلة من الإصلاحات والتغييرات والتنظيمات الجديدة. فمن الناحية الإدارية أُلغيت التقسيمات الإدارية السابقة وقسمت بلاد الشام إلى أربع مديريات هي: دمشق، وحلب، وطرابلس، وصيدا. ووُضع على رأس كل منها مدير يمثل السلطة المركزية فيها. وقسمت هذه المديريات إلى متسلميات، على رأس كل منها متسلم يعينه الحكمدار العام في دمشق، وإلى جانب كل متسلم صراف يتولى أمورها المالية، ومباشر لجباية الأموال الميري، وناظر في كل قرية للغاية نفسها.

وقد ربط إبراهيم باشا هذا الجهاز الإداري به في بداية الأمر، إلاّ إنه عدل عن ذلك وعيّن محمد شريف باشا حكمداراً على جميع إيالات بر الشام، وسعى لإشراك الأهالي في الإدارة التي شكّلها للمشورة والنظر في الشؤون المحلية.(٧١) فترك للأمير بشير الشهابي حكم منطقة جبل لبنان، وعيّن حسين بن عبد الهادي على إيالة صيدا.(٧٢)

ولم تقتصر إصلاحات إبراهيم باشا على الجهاز الإداري فقط، بل امتدت لتشمل أيضاً النواحي الاقتصادية والعسكرية. فحل الجيوش الإقطاعية والمرتزقة وفرض التجنيد الإجباري على السكان ونزع السلاح منهم.(٧٣) كما ألغى الإقطاعيات الكبيرة، ونظام الالتزام في جمع الضرائب، وعيّن موظفين من الدولة

(٧٠) الشدياق، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٤٨؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ ـ ١٥٦؛ حسن هشي (تحقيق)، «تاريخ الأمراء الشهابيين»، ص ٤٨.

(٧١) رستم، «بشير. . .»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٤ ـ ١٠٥؛ عليان الجالودي، «عجلون»، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٧٢) رستم، «المحفوظات. . .»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٨٩؛ رستم، «بشير. . .»، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ ـ ٧٦.

(٧٣) سليمان أبو عز الدين، «إبراهيم باشا»، ص ١٣١ ـ ١٤٠؛ الجالودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢ ـ ١٨٣؛ عبد العزيز عوض، «الإدارة العثمانية»، ص ٦٣ ـ ٦٤.

لجمع الضرائب مباشرة من السكان.[٧٤] واتبع سياسة تقوم على مبدأ المساواة بين مختلف الطوائف السكانية من مسلمين ومسيحيين ويهود.[٧٥] فألغى الضرائب والأتاوى غير الشرعية التي كانت تفرض على المسيحيين واليهود وكنائسهم وأديرتهم، فمثلاً ألغى مبلغ ١٠,٠٠٠ قرش كان يدفعه، سنوياً، دير الفرنسيسكان في الناصرة إلى والي صيدا.[٧٦]

كما شهدت فلسطين عامة، ولواء عكا خاصة، سلسلة من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية خلال الحكم المصري، إذ أنشأ المصريون المستشفيات والمدارس في عدد من مدن اللواء ولا سيما في عكا وحيفا.[٧٧] كما أنشأوا المصانع الحديثة ولا سيما في عكا التي أنشىء فيها مصنع للعباءات، وآخر للأحذية، وثالث للحديد، ورابع للسفن.[٧٨] وشجع المصريون على زراعة الزيتون وغيره من المحاصيل إضافة إلى تربية الأغنام لتوفير الصوف اللازم لمصانع النسيج التي أقيمت في بلاد الشام ومصر.[٧٩]

اهتم إبراهيم باشا بالأعمال العمرانية في لواء عكا، فأعاد ترميم وإصلاح أسوار عكا التي دمرت بصورة كبيرة خلال حصار المدينة، كما أصلح حمامات طبرية المعدنية.[٨٠] في الوقت نفسه، تمت هجرة أعداد كبيرة من السكان من مصر إلى فلسطين واستقرت أعداد كبيرة منهم باللواء، ولا سيما قبائل الهنادي والهوارة وأولاد علي الذين خدم عدد منهم في الجيش المصري، لكنهم بقوا في البلاد بعد انسحاب المصريين منها.[٨١]

وعلى الرغم من أن الحكم المصري لبلاد الشام قوبل بالترحيب من السكان في البداية، فإن الثورات عمت البلاد بعد فترة قصيرة. وكانت العوامل المحركة لهذه الثورات، فرض ضريبة الفردة على السكان الذكور ممن هم فوق سن الرابعة عشرة، والتجنيد الإجباري الذي قرر محمد علي تطبيقه على سكان البلاد،

---

(٧٤) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٧١، ١٣٨، ١٤٦، ٣٥٥، ٣٥٦.

(٧٥) بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٢ ـ ١٦٥؛ ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»، ص ٦١.

(٧٦) قرآلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

(٧٧) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٧١، ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٤، ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ٣٢٤.

(٧٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، ٣٣٠، ٣٣٧.

(٨٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧؛ قرآلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٨١) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٨، ٢٣، ٢٩١؛ هشي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤، ٨٢.

بالإضافة إلى جمع السلاح من السكان.[٨٢]

امتدت الثورة لتشمل مناطق الخليل والقدس ونابلس والجليل، وقاد الثورة في القدس ونابلس كل من قاسم الأحمد، ومصطفى أبو غوش، وعيسى البرقاوي، لكن إبراهيم باشا نجح في القضاء على الثورة وقبض على الشيخ قاسم الأحمد وابنيه يوسف ومحمد وأعدمهم مع غيرهم من قادة الثورة.[٨٣] كما انتشرت الثورة في لواء عكا، وحاصر الفلاحون الثائرون عتليت وحيفا. وامتدت لتشمل قرى الشاغور وساحل عكا وصفد، فاستعان إبراهيم باشا، للقضاء على الثورة، بالأمير بشير الشهابي الذي تمكن من القبض على زعمائها ووضعهم في السجن.[٨٤]

ترافقت هذه الثورات مع انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات في المناطق. إذ انتشر الجفاف في سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م، وفُقدت الحنطة، وتفشت الملاريا في عكا سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م.[٨٥] وانتشر الهواء الأصفر (Cholera) بين الجنود المصريين والسكان حتى اضطر إبراهيم باشا إلى فرض الحجر الصحي على المنطقة.[٨٦] ولعل أهم الكوارث التي تعرض لها اللواء كان الزلزال المدمر الذي أصاب المنطقة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وأدى إلى تدمير عدد من القرى وإلى مقتل عدد كبير من السكان سواء في القرى أو في المدن.[٨٧]

كما تضررت التجارة بين أوروبا وبلاد الشام الجنوبية بصورة عامة بسبب الحروب التي قام بها إبراهيم باشا سواء خلال احتلاله البلاد أو خلال الحروب التي خاضها للقضاء على الثورات التي قامت في فلسطين وشرق الأردن وحوران. وتوقفت حركة التجارة في ميناء عكا بسبب التدمير الذي تعرضت له المدينة خلال الحصار المصري، فتحولت تجارتها إلى حيفا التي قصدتها المراكب الفرنسية والنمساوية والسردينية لشحن قطن نابلس وعكا.[٨٨] كما احتكر المصريون بعض

---

(٨٢) هشي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧، ٨٠؛ رستم، «بشير...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ ـ ١٢٥؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦ ـ ١٦١.

(٨٣) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٧٦؛ هشي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣ ـ ٧٨؛ الشدياق، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٥١.

(٨٤) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤١١، ٤٣٠؛ هشي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٨٥) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٩٣، ١٦٣.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣.

(٨٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢؛ قرآلي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣ ـ ٥٦.

(٨٨) قرآلي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

المحاصيل ولاسيما القطن والحرير والحبوب ومنعوا من الاتجار بها لحاجتهم إليها، الأمر الذي أضعف العلاقات التجارية بين بلاد الشام الجنوبية وأوروبا وخفض قيمة الصادرات إلى الدول الأوروبية.[٨٩]

عارضت الدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا الوجود المصري في بلاد الشام، وشجعت السلطان العثماني على استعادة المناطق التي احتلها المصريون. ففي سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، عقدت الدول الأوروبية مؤتمراً في لندن وطالبت بانسحاب القوات المصرية من بلاد الشام. ولما رفض محمد علي ذلك أرسلت الدول الأوروبية والدولة العثمانية الجيوش إلى بلاد الشام وهاجمت القوات المصرية براً وبحراً. وفي السنة نفسها، احتلت قوات عثمانية وإنكليزية بيروت وصيدا وصور ويافا، واحتلت القوات العثمانية منطقة الجليل بما فيها الناصرة وصفد وطبرية وحيفا، وقصفت السفن الإنكليزية عكا فهدمت تحصيناتها ونجحت في احتلالها، الأمر الذي أقنع محمد علي بالانسحاب من بلاد الشام بصورة نهائية سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م.[٩٠]

عادت الأوضاع في فلسطين وبلاد الشام عامة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال المصري، وأُلغيت أغلبية الإصلاحات التي أدخلها المصريون إلى البلاد. كما أعيدت التقسيمات الإدارية إلى ما كانت عليه في السابق، فأُعيد تقسيم بلاد الشام من جديد إلى أربع ولايات (الشام وطرابلس وحلب وصيدا). وبقي لواءا عكا ونابلس تابعين لولاية صيدا، بينما بقيت مناطق فلسطين الأُخرى تابعة لولاية سوريا (الشام). وظل هذا التقسيم الإداري معمولاً به حتى سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، عندما صدر قانون الولايات العثماني الجديد، وتم بموجبه إعادة تقسيم بلاد الشام إلى ولايتي الشام وحلب بدلاً من الولايات الأربع السابقة. وكان لواء عكا وجميع مناطق فلسطين ضمن ولاية الشام. وقد استمر هذا التقسيم الإداري معمولاً به حتى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، عندما قررت الدولة العثمانية إنشاء ولاية بيروت بالإضافة إلى الولايتين السابقتين (حلب والشام). وضمت الولاية الجديدة ألوية فُصلت عن ولاية سوريا وهي: بيروت وطرابلس ونابلس وعكا.[٩١]

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٧٠.

(٩٠) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٧٣؛ هشي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١، ٢٥٩.

(٩١) عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ ـ ٦٦؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٠١هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٥٠ ـ ٢٤٠؛ عبد الباسط الأنسي، «دليل بيروت»، ص ٧٢.

في ظل الفوضى الإدارية والأمنية التي عقبت عودة الحكم العثماني إلى بلاد الشام برز عقيلة آغا، زعيم قبيلة الهنادي البدوية في المنطقة، لمدة عقدين من الزمان (١٢٦٤ ـ ١٢٨١هـ/ ١٨٤٧ ـ ١٨٦٤م). ولد عقيلة آغا في غزة وانضم مع والده موسى الحاسي إلى قوات الهوارة التي تعمل في خدمة عبد الله باشا والي صيدا. وبعد السيطرة المصرية على فلسطين عمل عقيلة آغا في الجيش المصري في فلسطين، لكنه اشترك في ثورة فلسطين سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. ولما قضى إبراهيم باشا على الثورة، هرب عقيلة آغا إلى شرق الأردن، لكنه عاد إلى منطقة الجليل بعد عودة الحكم العثماني إلى بلاد الشام، وتولى سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م قيادة مجموعة من الجنود غير النظاميين (الباش بوزوك) الذين كان ميدان عملهم منطقة الجليل بين حيفا وعكا غرباً حتى طبرية شرقاً، وكانت مهمتهم الأساسية منع تعديات البدو على الفلاحين في المنطقة. وقد جعل عقيلة آغا من قرية عبلين الحصينة المقر شبه الدائم له.[٩٢]

وفي سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م، كلفت الدولة العثمانية عقيلة آغا قيادة حملة للقضاء على ثورة للدروز في حوران، فنجح، وأدى هذا إلى ازدياد قوته ونفوذه، فاتهمته الدولة العثمانية بالتآمر مع الدروز واعتقلته سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م وسجنته في قلعة ردين على نهر الدانوب. لكن عقيلة آغا نجح في الهرب من السجن إلى حلب، ومنها عاد إلى منطقة الجليل حيث انضم إليه أخوه صالح الذي كان يقود ٥٠٠ من الفرسان. واعترافاً من الدولة العثمانية، المشغولة بحرب القرم، بالأمر الواقع قامت بتعيينه من جديد قائداً لقوات الباش بوزوك في لواء عكا.[٩٣]

عملت الدولة العثمانية بعد انتصارها في حرب القرم للقضاء على عقيلة آغا، فأرسلت قوة عسكرية إلى المنطقة بقيادة محمد سعيد بن شمدين آغا الكردي. وتجمعت هذه القوة في سهل حطين بالقرب من طبرية، لكن عقيلة آغا تمكن من محاصرتها وقتل قائدها، وأدى هذا الانتصار إلى تثبيت سلطته في منطقة الجليل وظهر أنه الحاكم الفعلي للمنطقة.[٩٤]

اتبع عقيلة آغا سياسة تعتمد على إقامة علاقات حسنة بالدول الأوروبية ولا سيما بفرنسا من خلال التقرب إلى قناصل هذه الدول في المنطقة. ففي سنة

(٩٢) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦؛ عادل مناع، «أعلام فلسطين»، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٩٣) مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨؛ شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦.

(٩٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ ـ ٧٨؛

Stewart Macalister & E.W.G. Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1906, p. 289.

١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، أرسل إليه القنصل البريطاني، فن، رسالة حثه فيها على أن يتجنب ظلم المسيحيين واليهود في المنطقة، كما زاره القنصل الفرنسي في بيروت وطلب منه حماية المسيحيين في الناصرة وحيفا.[٩٥]

استغل عقيلة آغا الفتنة بين المسيحيين والدروز في منطقة جبل لبنان سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م واحتمال امتدادها إلى لواء عكا، فادعى حماية المسيحيين واليهود. وقد نال عقيلة آغا إعجاب الأوروبيين نتيجة الدور الذي حاول القيام به بأنه حامي المسيحيين واستفاد من هذه الصفة لتقوية علاقاته بالدول الأوروبية ولا سيما فرنسا التي منحه إمبراطورها نابليون الثالث وساماً، قُدم له على ظهر سفينة حربية فرنسية رست في ميناء حيفا.[٩٦] كما زاره الأمير إدوارد، أمير ويلز، سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م وقدم إليه الهدايا.[٩٧]

أدت أعمال عقيلة آغا وسياسته في التعاون مع الفرنسيين إلى تصميم العثمانيين على القضاء عليه، ولا سيما أنه كان يفرض الأموال على المسيحيين واليهود والتجار الأوروبيين في مقابل تعهده بحمايتهم، كما كان يفرض الأتاوى المرتفعة على الفلاحين وهو ما دفع حسن أفندي متصرف عكا إلى أن يرسل إلى والي سوريا مبيناً أن عقيلة آغا يحدث ضرراً في اللواء أكثر مما يحدثه البدو أنفسهم، وهو الذي من المفترض أن يقوم، بصفته قائداً للباش بوزوك، بالتصدي لهم ولا سيما أنه لم يستطع منع الاقتتال بين القبائل البدوية في المنطقة، كما أنه لم يستطع منع هجوم القبائل البدوية من شرق الأردن على منطقة طبرية والذي أحدث دماراً كبيراً في المنطقة سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م.[٩٨]

ترافقت هذه الأحداث مع محاولة الدولة العثمانية فرض سيطرتها المباشرة على المنطقة ومحاولتها إقامة نظام حكم إداري مباشر في جميع ولاياتها، وإلغاء الأنظمة الإدارية السابقة التي سمحت بظهور القوى المحلية. ولذلك أرسلت خورشيد باشا على رأس قوة عسكرية إلى المنطقة، فأقام الحصون والقلاع في الجليل وأمدها بالمدفعية الحديثة. كما أرسلت قوات نظامية إلى المنطقة من

(٩٥) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩؛ عيسى إسكندر المعلوف، «عقيلة آغا الحاسي»، ص ٧٥ _ ٨٢؛
Macalister & Masterman, *op.cit.*, pp. 289-291.

(٩٦) ناجي حبيب مخول، «عكا وقراها»، ج ٢، ص ١٦؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩.

(٩٧) مخول، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٦؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩؛
Macalister & Masterman, *op.cit.*, p. 289.

(٩٨) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

بيروت وعكا، مع أمر بعزل عقيلة آغا، سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م. شعر عقيلة آغا بالخطر المحدق به فهرب إلى شرق الأردن ومنها إلى مصر، لكن الدولة العثمانية عادت فسمحت له بالعودة إلى منطقة الجليل حيث بقي فيها إلى أن توفي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م.[٩٩]

تزامنت التطورات السياسية والعسكرية في اللواء في القرن التاسع عشر مع حركة الإصلاحات العثمانية التي بدأت أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بإصلاح الجيش العثماني، وذلك عندما أقدم السلطان سليم الثالث، سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، على إلغاء فرق الجنود الإنكشارية، وأنشأ فرقاً عسكرية جديدة على نمط الأنظمة الأوروبية، والتي عرفت بالنظام الجديد. لكن الجنود الإنكشارية عارضوا هذه الإصلاحات وثاروا على السلطان سليم الثالث وقتلوه. وعندما تولى السلطان محمود الثاني الحكم أدرك أن إصلاح الجيش لا يتم إلاّ بالتخلص من الجنود الإنكشارية. لذلك حاصر تُكنهم سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م، وقضى عليهم فيما عرف بالواقعة الخيرية. وبدأ السلطان محمود بعد ذلك سلسلة من الإصلاحات في الجيش: أنشأ المدارس العسكرية؛ استقدم العسكريين الأوروبيين لتدريب الجنود العثمانيين؛ أرسل الجنود العثمانيين إلى التدرب في أوروبا. وفي الوقت نفسه، قام بإلغاء عادة مصادرة أموال موظفي الدولة، وعمل على تثبيت سلطة الحكومة المركزية في الولايات، فقضى على الأسر الحاكمة شبه المستقلة في عدد من الولايات وأنهى حكم المماليك في العراق، والأسرة القرمنلية في ليبيا سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وأنشأ المدارس وجعل التعليم إلزامياً فيها، وأنشأ أنظمة للبريد والشرطة.[١٠٠]

وقد استمرت هذه الإصلاحات، ففُرض نظام التجنيد الإجباري على سكان الولايات الذين كانوا معفين من الخدمة في الجيش، وطُبق التجنيد على جميع السكان من المسلمين والمسيحيين واليهود بعد أن كانت الخدمة العسكرية قبل هذه التنظيمات مقصورة على المسلمين.[١٠١]

بدأت مرحلة جديدة من الإصلاحات بإصدار مجموعة من القوانين التي عرفت بالتنظيمات، وأهمها خط شريف كولخانة سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، الذي

(٩٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠؛ شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤ _ ٢٤٥.

(١٠٠) نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ١، ص ٤٠٨؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(١٠١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٠ _ ٤١٠؛ صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٤٨، ٢٧ شوال ١٣٢٧هـ/ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

تضمن منح الرعية (السكان) أماناً على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم. ووعد هذا الخط بإصلاح نظام القضاء، وبتنظيم جباية الأموال، وبإلغاء نظام الالتزام، وبتنظيم عملية الخدمة العسكرية والتجنيد الإجباري، وبالقضاء على الرشوة.[١٠٢]

وفي سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، أصدر السلطان عبد المجيد ما عُرف بالتنظيمات الخيرية التي قررت معاملة جميع سكان الدولة معاملة متساوية بغض النظر عن ديانتهم. ووعدت هذه التنظيمات بتنظيم ميزانية الدولة وإجراء إصلاحات في المواصلات والتعليم والتجارة.[١٠٣]

وفي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، صدر قانون الولايات العثماني الجديد الذي تم بموجبه تقسيم الدولة العثمانية إلى ٢٧ ولاية، وكل ولاية إلى عدد من المتصرفيات (الألوية)، واللواء إلى عدد من الأقضية، والقضاء إلى عدد من النواحي، والناحية إلى عدد من القرى، بالإضافة إلى إنشاء مجموعة من المجالس الإدارية في مراكز الولايات والألوية والأقضية والنواحي ومجالس اختيارية في القرى. وكان الأمر المهم في هذه المجالس أن عدداً من أعضائها يتم اختياره بالانتخاب والبقية بالتعيين.[١٠٤]

لعل أهم هذه الإصلاحات والتنظيمات الجديدة تمثل في إصدار الدستور العثماني سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م الذي حدد حقوق السلطان العثماني وصلاحياته، ونص على حرية العثمانيين ومساواتهم، وعلى مسؤولية الموظفين ضمن نطاق أعمالهم. وبمقتضى القانون الأساسي (الدستور) أنشىء المجلس العمومي (البرلمان) من مجلس الأعيان الذي يعينه السلطان وتكون عضويته مدى الحياة، ومن مجلس النواب (المبعوثان) الذي يتم اختيار أعضائه بالانتخاب. ونص الدستور على أن يكون الوزراء مسؤولين أمام مجلس النواب. وعلى الرغم من أن التجربة الدستورية لم تستمر طويلاً ـ إذ قام السلطان عبد الحميد الثاني بحل البرلمان واستمر الأمر كذلك حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م عندما أعادت جمعية الاتحاد والترقي العمل بالدستور ـ فإن ذلك كان خطوة مهمة لأنه سمح لسكان الدولة العثمانية، أول

(١٠٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٠ ـ ٤١٠؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٩، ٢٤.

(١٠٣) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٠ ـ ٤١٠؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤ ـ ٣٨.

(١٠٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤ ـ ٣٨.

مرة، بممارسة الانتخاب لاختيار نواب يمثلونهم في مجلس المبعوثان.[١٠٥]

لقد اتصف نظام الإدارة العثماني الجديد بالمركزية الشديدة إذ قيد الجهاز الإداري في الولايات وربطها بالعاصمة مباشرة، الأمر الذي يظهر حرص الدولة العثمانية على بسط الحكم المركزي على الولايات. كما وثقت الدولة تبعية الولايات والألوية للحكومة المركزية، ونظمت إدارة الولايات على نحو يكفل لها السيطرة على كل فروع الإدارة، فكل موظف يتبع مباشرة من هو أعلى مرتبة منه، فالمختار يتبع مباشرة مدير الناحية الذي يتبع القائمقام الذي يتبع المتصرف، بينما يتبع المتصرف الوالي الذي يتلقى التعليمات الحكومية مباشرة من العاصمة.[١٠٦]

كما حدد نظام الإدارة الجديد صلاحيات الموظفين، فحُددت اختصاصات الوالي والمتصرف ومدير الناحية، وفصلت الشؤون المالية والعسكرية والإدارية بعضها عن بعض، وعُيّن موظفون لهذه الشؤون لا يتبعون الوالي أو المتصرف. فمثلاً، أصبح مدير مال القضاء يتبع مدير مال اللواء الذي يتبع بدوره المحاسب في مركز اللواء الذي يتبع وزارة المالية في العاصمة. وقد أدى ذلك إلى زيادة عدد الموظفين العاملين في الدوائر المتعددة في اللواء والأقضية، وهو ما زاد في تعقيد العمل الإداري العثماني وزاد في مركزية الحكومة العثمانية.

اتصف نظام الإدارة العثماني قبل التنظيمات باللامركزية، فكان الوالي هو المسؤول عن إدارة ولايته، وعن تعيين موظفيها وعزلهم. فيقول المعلم إبراهيم العورة: «رتب سليمان باشا المتسلمين والكتّاب والصيارفة في هاتين الإيالتين (يقصد ولاية صيدا وولاية دمشق)، فجعل مصطفى آغا بربر متسلماً على طرابلس واللاذقية ومحمد آغا وكيلاً عنه في اللاذقية وحسين آغا أحد مماليك الجزار أمين جمرك اللاذقية وعلي الأسعد حاكماً على عكا والأمير بشير الشهابي حاكماً على لبنان وأوزون علي آغا متسلماً على بيروت وأمين جمركها وعلي آغا الصوري متسلماً على صيدا.»[١٠٧]

لذلك كان الوالي يجمع بين المهمات الإدارية والعسكرية والأمنية والمالية. وكان له مطلق الصلاحية في تصريف الشؤون الداخلية لولايته، ويفسر هذا محاولات عدد من هؤلاء الولاة، كفخر الدين المعني الثاني وظاهر العمر،

(١٠٥) عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ ـ ٤٥؛ يوسف الحكيم، «سوريا»، ص ٢٤ ـ ٢٥، ١٦٤.

(١٠٦) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٥ ـ ٤٥٠؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦ ـ ٧٠.

(١٠٧) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧، ١٦٤.

للاستقلال بمناطقهم، بينما اقتصرت مهمة الوالي في النظام الإداري الجديد على الأمور الإدارية وتُركت الشؤون المالية والعسكرية لموظفين آخرين يتبعون عدة وزارات في العاصمة ويتلقون التعليمات منها، فالمتصرف يتبع وزارة الداخلية، والمحاسب وزارة المالية، وأعضاء المحاكم التجارية والبدائية وزارة العدلية.[١٠٨]

كما شهد المجتمع العثماني في فترة التنظيمات سلسلة من التغييرات عما كان عليه قبل التنظيمات، فقد اقتصر المجتمع قبل التنظيمات على وجود فئتين سكانيتين، هما فئة الحاكمين وفئة المحكومين. تكونت فئة الحاكمين من الأمراء والولاة والملتزمين، إضافة إلى العساكر من الجنود الإنكشارية والمرتزقة. أمّا فئة المحكومين فتكوّنت من سكان المدن من أصحاب الطوائف والمهن، من صناع وتجار، بالإضافة إلى الفلاحين من سكان القرى. ويمكن إضافة فئة أُخرى إلى هاتين الفئتين وهي فئة العلماء ورجال الدين من قضاة ومفتين وأشراف. وقد تمتعت الفئة الأولى وفئة العلماء بالنفوذ والمكانة المرموقة في المجتمع على حساب الفئة الثانية من المحكومين.[١٠٩]

لكن تركيبة المجتمع تغيرت نتيجة التنظيمات، فظهرت فئات اجتماعية جديدة بعد أن سمحت الدولة العثمانية بحرية التجارة واتساعها مع الدول الأوروبية وأصدرت قانون التملك سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م الذي قضى بتمليك الأراضي الميري. فظهرت فئة التجار وفئة كبار الملاك (الفئة الرأسمالية). وقد ازداد نفوذ هاتين الفئتين وتأثيرهما في المجتمع، وتقلص وانحسر، في الوقت نفسه، نفوذ فئات أُخرى لعل أهمها الولاة، والملتزمون، وكبار موظفي الدولة.

لعل أهم ما نجم عن قانون الأراضي العثماني هو السماح للأجانب بالتملك في الدولة. واستغل اليهود هذا القانون فاشتروا مساحات واسعة من الأراضي في فلسطين على أساس تبعيتهم للدول الأوروبية لا على أساس أنهم يهود، متجاوزين بذلك القانون العثماني الذي منع اليهود من شراء الأراضي في فلسطين.[١١٠]

وأقرت التنظيمات العثمانية دور الدولة في تقديم الخدمات المتعددة للسكان، من مدارس، ومستشفيات، ووسائل مواصلات. وكانت الدولة العثمانية تركت هذه

(١٠٨) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٧، ٤٠٦؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ ـ ٩٥.

(١٠٩) الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ ـ ٣٠.

(١١٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤، ٨٠؛
س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٢٧١، ن ٤٠، ٢٨ شعبان ١٣٢١هـ/١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٣م.

الخدمات للسكان قبل التنظيمات، ولم تعتبر أن من مهماتها تقديمها. وقد أدى اهتمام الدولة العثمانية بتقديم هذه الخدمات إلى تغييرات مهمة في المجتمع العثماني. فمثلاً، أدى إنشاء المدارس في المدن والقرى إلى توفير فرص التعليم لفئات اجتماعية متعددة وفتح المجال أمامها لتولي الوظائف المتعددة في الدولة. ولم يعد التعليم مقصوراً على التعليم الديني في الكتاتيب لتوفير الأئمة والوعاظ والقضاة والمفتين، وإنما أصبح نظاماً تعليمياً يقوم على الأنماط الغربية في التعليم بهدف توفير الكوادر المتعلمة لتولي الوظائف الكثيرة التي نجمت عن التغييرات الإدارية الجديدة، وبهدف تطوير الدولة في المجالات المتعددة، إذ اقتنع المسؤولون العثمانيون بأنه لا يمكن تطوير الدولة وتقدمها من دون توفير التعليم للسكان من مختلف الفئات.[١١١]

(١١١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٤.

الفصل الثاني
التنظيمات الإدارية

أولاً: التقسيمات الإدارية

في سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، أصدرت الدولة العثمانية قانون الولايات الجديد، وبموجبه قُسمت بلاد الشام إلى ولايتين هما ولاية حلب وولاية سوريا، وسنجق لبنان، فكان لواء عكا أحد ألوية ولاية سوريا.

وفي سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، قررت الدولة العثمانية إنشاء ولاية بيروت بالإضافة إلى الولايتين السابقتين. فضمت الولاية الجديدة ألوية فُصلت عن ولاية سوريا، هي لواء بيروت بأقضيته الثلاثة، صيدا وصور ومرجعيون، بالإضافة إلى لواء اللاذقية ولواء طرابلس ولواء نابلس ولواء عكا.[١] وقد بقي لواء عكا تابعاً لولاية بيروت حتى نهاية العصر العثماني سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م.

كان لواء عكا يتكون من خمسة أقضية هي: قضاء عكا؛ قضاء حيفا؛ قضاء الناصرة؛ قضاء صفد؛ قضاء طبرية. كما كان كل قضاء يتكون من عدد متباين من النواحي والقرى التي اختلف عددها بين فترة وأُخرى تبعاً للتغيرات الإدارية في اللواء. ففي سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م، كان اللواء يتكون من خمسة أقضية، ومن ناحية شفا عمرو في قضاء عكا، ومن ١٧٦ قرية موزعة على النحو التالي:[٢]

---

(١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢/ ١٨٨٤م، ص ١١٠ ـ ١٨٠؛
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٥٠ ـ ٢٤٠؛
محمد أمين الصوفي الطرابلسي، «سمير الليالي»، ص ٦٨ ـ ١١٢؛
عبد الباسط الأنسي، «دليل بيروت»، ص ٧٢؛
Amnon Cohen, *Palestine*, pp. 117-178;
عبد العزيز عوض، «الإدارة العثمانية»، ص ٦١ ـ ٦٦.

(٢) Smith Robinson & others, *Latter Biblical*, p. 29.

الجدول رقم ٢ ـ ١

القضاء	عدد القرى
عكا	٣٨
ناحية شفا عمرو	١٨
الناصرة	٢٥
طبرية	٤٢
حيفا	٤٢
صفد	١١
المجموع	١٧٦

وقد عدلت الدولة العثمانية هذه التقسيمات الإدارية فيما بعد، فأنشأت النواحي في جميع الأقضية، وأصبح لواء عكا يتكون، في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ـ ١٨٧٢م، من عشر نواح تشمل ١٥٨ قرية موزعة على النحو التالي:(٣)

الجدول رقم ٢ ـ ٢

قضاء عكا	القرى	قضاء حيفا	القرى	قضاء الناصرة	القرى	قضاء طبرية	القرى	قضاء صفد	القرى	المجموع
ناحية الساحل	١٩	ناحية روحة	١٩	ناحية الناصرة	٢١	مدينة طبرية	ـ	ناحية الجبل	١٣	
ناحية الشاغور	١٥	ناحية الساحل	١٥	ناحية شفا عمرو	١٧	ناحية الشفا والغور	٧	ناحية جيره	٢٥	
		ناحية الجبل	٧							
مجموع القرى	٣٤		٤١		٣٨		٧		٣٨	١٥٨

يبين الجدول أن لواء عكا ضم عشر نواحٍ، ثلاثاً منها في قضاء حيفا، وناحيتين في كل من قضاء عكا وقضاء الناصرة وقضاء صفد، وناحية واحدة في قضاء طبرية، بينما ضم قضاء حيفا أكبر عدد من القرى. إن قلة عدد القرى في قضاء طبرية كان نتيجة عدم إقبال السكان على الإقامة به بسبب الأوضاع المناخية الصعبة من حيث ارتفاع درجة الحرارة صيفاً، وقلة الأمطار شتاءً، بالإضافة إلى انتشار القبائل البدوية، بصورة كبيرة في اللواء، التي كانت تهاجم الفلاحين

(٣) ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»، ص ٣٣ ـ ٣٤؛ عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٩٤٥.

وقراهم.(٤)

كما عدّلت الدولة العثمانية هذه التقسيمات الإدارية سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، عندما فصلت ناحية شفا عمرو عن قضاء الناصرة وألحقتها بقضاء عكا،(٥) ثم عادت فألغت النواحي في جميع الأقضية ما عدا قضاء عكا الذي بقي يضم ناحية شفا عمرو.(٦) ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، كان لواء عكا يضم خمسة أقضية وناحية شفا عمرو في قضاء عكا وتشمل جميعها ٢٤٧ قرية موزعة على النحو التالي:(٧)

الجدول رقم ٢ ـ ٣

القضاء	عكا	صفد	حيفا	الناصرة	طبرية	المجموع
عدد القرى	[١٠٩]*	٤٤	٤٥	٢٦	٢٣	٢٤٧

* لم تعط سالنامة ولاية سوريا عدد القرى في قضاء عكا، إلاّ إن جمع عدد القرى في باقي الأقضية والذي يبلغ ١٣٨ قرية، وطرح هذا العدد من مجموع قرى اللواء البالغة ٢٤٧ قرية، يُظهران أن عدد القرى في قضاء عكا يبلغ ١٠٩ قرى. وهذا عدد مرتفع قياساً ببقية الأقضية على الرغم من أن القضاء ضم عدداً كبيراً من القرى بعد ضم ناحية شفا عمرو إليه.

لكن الدولة العثمانية عادت فقررت استحداث ناحية قيسارية في قضاء حيفا. وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، أصبح اللواء يشمل ناحيتي شفا عمرو في قضاء عكا وقيسارية في قضاء حيفا و٢٢٥ قرية موزعة على النحو التالي:(٨)

(٤) Laurence Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 20, 21; رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٢؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١؛ المصدر نفسه، العدد ١٢٩٨، ٢٠ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م، ص ١.

(٥) Claude Conder & H. H. Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 269.

(٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦، ١٧، من دون نمرة، ٥ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٨٩١م.

(٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٩٨؛ Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 285.

(٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٢٨ ـ ٤٥١.

الجدول رقم ٢ ـ ٤

القضاء	عدد القرى
عكا	[٢١]*
ناحية شفا عمرو	-
حيفا	٥٣
ناحية قيسارية	-
الناصرة	٥٣
طبرية	٣٨
صفد	٦٠
المجموع	٢٢٥

* لم تشر سالنامة ولاية بيروت إلى عدد القرى في قضاء عكا، إلاّ إن جمع عدد القرى في أقضية اللواء وطرحها من مجموع عدد قرى اللواء يُظهران أن عدد قرى قضاء عكا يبلغ ٢١ قرية.

واستمرت هذه التقسيمات الإدارية من دون تغيير حتى استحدثت الدولة ناحيتين جديدتين هما ناحية الشاغور وناحية الساحل في قضاء عكا،(٩) بينما بقيت بقية الأقضية من دون تغييرات. وهذا ما يظهر في سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م التي أشارت إلى أن اللواء تشكل على النحو التالي:(١٠)

الجدول رقم ٢ ـ ٥

القضاء والنواحي	عدد القرى
عكا	-
ناحية الساحل	١٨
ناحية الشاغور	١٥
ناحية شفا عمرو	٢٥
المجموع	٥٨
حيفا	-
نفس حيفا	٣٧
ناحية قيسارية	٢٥
المجموع	٦٢
صفد	٧٨
طبرية	٣٠
الناصرة	٢٨
المجموع	١٣٦
المجموع العام للقرى	٢٥٦

يتبع

(٩) لم تشر المصادر المتوفرة إلى السنة التي تم فيها استحداث ناحية الشاغور وناحية الساحل في قضاء عكا.

(١٠) سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص ٣٨٩.

تظهر المقارنة بين سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، وسالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م أن عدد القرى زاد في اللواء نحو واحدة وثلاثين قرية، كما زاد عدد القرى في قضاءي حيفا وصفد، بينما تناقص عددها في قضاءي طبرية والناصرة. وتعود هذه الزيادة إلى ظهور قرى جديدة في اللواء في إثر قدوم مجموعات من المهاجرين المسلمين، من جزائريين وبوسنيين وشركس، أسكنتهم الدولة العثمانية في القرى الخربة.(١١) وهذا يفسر اهتمام الدولة باستحداث نواح جديدة في اللواء. وقد ذكر الأنسي أن عدد القرى بلغ ١٧٦ قرية موزعة على النحو التالي، سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩ ـ ١٩١٠م:(١٢)

الجدول رقم ٢ ـ ٦

القضاء	عدد القرى
عكا	٥٢
ناحية شفا عمرو	-
حيفا	-
ناحية قيسارية	٤٩
طبرية	٢٦
صفد	٤٩
المجموع	١٧٦

ويعود الانخفاض في عدد القرى في لواء عكا إلى فصل قضاء الناصرة عنه وإلحاقه بمتصرفية القدس. وهذا الفصل كان قد تم في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، واعتبر أهم تغيير إداري شهده اللواء في تلك السنة، الأمر الذي أثار دهشة السكان

(١١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١١٥، ن ١١٥، ٩ شوال ١٣٠٩هـ/٧ أيار (مايو) ١٨٩٢م؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٠٢٧، ٥ ذو القعدة ١٣٠٩هـ/١ حزيران (يونيو) ١٨٩٢م، ص ٣.

(١٢) الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

واستياءهم، لأن الفصل تجاوز لواء نابلس الذي يفصل لواء عكا عن متصرفية القدس جغرافياً. كما أن قرار الفصل تجاهل ارتباط قضاء الناصرة بلواء عكا من الناحيتين الطبيعية والإدارية.[13]

وقد حاولت الدولة العثمانية تبرير هذا التغيير الإداري عبر قولها إن القدس والناصرة مركزان دينيان عند المسيحيين، وأنها تريد تسهيل زيارة الحجاج المسيحيين للأماكن المسيحية المقدسة في المدينتين. ولذلك وضعت المنطقتين ضمن وحدة إدارية واحدة.[14]

ونتيجة ما نجم عن هذا الفصل من آثار سلبية بالنسبة إلى سكان الناصرة الذين أصبحوا مضطرين إلى السفر إلى القدس لإجراء معاملاتهم الرسمية، فإن حكومة الاتحاد والترقي أمرت بفصل قضاء الناصرة عن متصرفية القدس وإعادته إلى لواء عكا، سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م.[15]

لم تطرأ تغييرات على التقسيمات الإدارية في اللواء من حيث تقسيمه إلى نواح وقرى[16] حتى سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، عندما اتخذ مجلس إدارة لواء عكا قراراً باستحداث نواح جديدة بهدف تطوير اللواء إدارياً واقتصادياً واجتماعياً، وخصوصاً بعد زيادة عدد القرى فيه نتيجة زيادة أعداد السكان، وتعمير عدد من القرى الخربة لإسكان المهاجرين المسلمين فيها. فاستُحدثت ناحية إجزم بالإضافة إلى قيسارية في قضاء حيفا. كما استحدثت ناحيتا ترشيحا وجسر بنات يعقوب في قضاء صفد، وناحيتا الشفا والغور في قضاء طبرية، وناحية صفورية في قضاء الناصرة، بعد أن كانت هذه الأقضية خالية من النواحي.

لم تكن هذه التقسيمات الإدارية الجديدة استحداثاً جديداً للنواحي بقدر ما كانت إعادة للأوضاع الإدارية إلى ما كانت عليه سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م فيما يتعلق بأسماء النواحي وأعدادها. ونتيجة هذه التغيرات الإدارية، أصبح لواء عكا يتكون

---

(١٣) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ١٠٢.

(١٤) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٤٩، ٢٧ صفر ١٣٢٧هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣، ٤.

(١٥) المصدر نفسه؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠، ٢١.

(١٦) أشارت سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م إلى العدد نفسه من النواحي والقرى التي أشارت إليها سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م. أنظر: سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ٦٦٢.

من خمسة أقضية وعشر نواح ونحو ٢٠٠ قرية موزعة على النحو التالي:[17]

الجدول رقم ٢ ـ ٧

القضاء	عدد القرى
قضاء عكا	ـ
ناحية شفا عمرو	٢٠
ناحية الساحل	١٥
ناحية الشاغور	١٥
المجموع	٥٠
قضاء حيفا	٤٩
قضاء الناصرة	٢٥
قضاء صفد	٥١
قضاء طبرية	٢٥
المجموع	١٥٠
المجموع العام للقرى	٢٠٠

ثانياً: الجهاز الإداري في اللواء

أ) إدارة اللواء

١ ـ المتصرف:

كان يتولى إدارة لواء عكا متصرف، يعيّنه الباب العالي بإرادة سنية، ومهمته تنفيذ التعليمات التي ترد إليه من رئيسه المباشر، والي الولاية. ويشرف المتصرف على أعمال موظفي اللواء ويخبر الوالي بكل تصرف يعتبره مخالفاً للنظام، وهو مسؤول عن قوة الأمن في اللواء ويوزعها على الأقضية بعد موافقة الوالي.

٢ ـ مجلس إدارة اللواء:

يعاون المتصرف في إدارة اللواء مجلس إدارة يضم أعضاء معيّنين، منهم قاضي المركز والمفتي والرؤساء الروحيون للطوائف غير الإسلامية. كما يضم أربعة أعضاء منتخبين: اثنين عن المسلمين، واثنين عن غير المسلمين. ويتم انتخاب

---

(١٧) صحيفة «الكرمل»، العدد ٤٠١، ٢٧ صفر ١٣٣٣هـ/ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥م، ص ١، ٢؛ محمد شراب، «فلسطين»، ص ٦٢ ـ ٧٥.

هؤلاء الأعضاء عن طريق تكوين جمعية تفريق في مركز اللواء مؤلفة من المتصرف، والنائب الشرعي أو القاضي، والمحاسب، والمفتي، والرؤساء الروحيين للطوائف غير الإسلامية الموجودين في مركز اللواء، وكاتب التحريرات. ويفرز هؤلاء أسماء اثني عشر شخصاً من أهل مركز اللواء أو من أهالي الأقضية، ثم ترسل الأسماء على أوراق مطبوعة إلى مراكز الأقضية التابعة للواء كي ينتخب مجلس إدارة كل قضاء ثمانية أشخاص من الاثني عشر شخصاً المدونة أسماؤهم. ثم يختم أعضاء مجلس القضاء على ورقة الانتخاب ويعيدونها إلى مركز اللواء. وعند وصول الأوراق من مراكز الأقضية، تجتمع لجنة التفريق ثانية وتفرز أسماء الثمانية الفائزين بالأكثرية، ثم ترفع أسماءهم إلى الوالي، فيعين قسماً منهم لعضوية مجلس الإدارة، وقسماً آخر لعضوية مجلس تميز اللواء. ويكتب الوالي إلى كل منهم مرسوماً إشعاراً بانتخابه.

يبحث مجلس إدارة اللواء في جميع الإجراءات المحلية والشؤون المالية كالتدقيق في إيرادات اللواء ونفقاته، والمحافظة على أموال الدولة المنقولة وغير المنقولة ودخل الأوقاف، وإنشاء الطرق، والعمل على تنشيط الزراعة والتجارة والمعارف والمنافع العمومية، مثل الأشغال والصحة وتحصيل الأموال المفروضة للدولة من الأقضية. إلاّ إن المجلس مُنع من التدخل في القضاء.[18]

ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، كان مجلس إدارة لواء عكا يتكون من المتصرف والأعضاء الطبيعيين وهم: نائب المتصرف، والمفتي، والمحاسب، وكاتب التحريرات، ومن الأعضاء المنتخبين وهم: درويش آغا وعبد الغني بيضون، واثنين عن المسيحيين هما بشارة أفندي زحلان والياس أفندي بويز.[19]

ووفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، أصبح الأعضاء المنتخبون في مجلس إدارة لواء عكا هم درويش آغا ومصطفى دلال عن المسلمين، وسليم حبيب والياس أبيض عن المسيحيين.[20]

ويبين الجدول التالي أسماء عددٍ من المتصرفين الذين شغلوا منصب المتصرف في لواء عكا وسنة تولي كل منهم هذا المنصب بحسب ما ورد في

(١٨) نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٤، ٤١٤، ٤١٥؛ الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٢٠.

(١٩) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤.

(٢٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٥.

المصادر المختلفة:[21]

الجدول رقم ٢ ـ ٨

المتصرف	السنة
عبد الهادي باشا	١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م
محمد اليوسف	١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م
هولو باشا	١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م
رشدي أفندي	١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م
صالح باشا	١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م
عبد الرحمن باشا	١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م
أسعد أفندي	١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م
أحمد توفيق بك	١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م
فيضي باشا	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م
مصطفى ضيا أفندي	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م
ممتاز بك	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م
فريد باشا	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م
أحمد أفندي الصلح	١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م
زبور باشا	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م
أحمد حمدي باشا	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
محمود باشا اليوسف	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
حسني بن هولو باشا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
أحمد باشا أباظة	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
إبراهيم حقي	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م
صادق باشا	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
حسين أفندي	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م
جمال بن صادق باشا	١٣١٩هـ/ ١٩٠١م
ممتاز أفندي	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
يوسف ضيا بك	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م
بهجت بك	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م
شاكر الحنبلي	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م
هاشم بك الأتاسي	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

(٢١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٣٨، ٣٩؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥، ١٨٦؛ الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣، ١٧٤؛ صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ١٠٥، ١٣ شوال ١٣١٢هـ/ ٩ نيسان (أبريل) ١٨٩٥م، ص ٤؛ صحيفة «البشير»، العدد ٢٦٣، ٧ شعبان ١٢٩٢هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٥م، ص ٣؛ س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٠، ن ١٨١، ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م.

كان هؤلاء المتصرفون من العرب والأتراك وبعضهم من سكان بلاد الشام. مثلاً، كان أحمد أفندي الصلح من بيروت، وكان هاشم الأتاسي من دمشق. كما أن الأب والابن توليا منصب متصرف اللواء، أحياناً، إذ تولى هولو باشا هذا المنصب سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، بينما تولاه ابنه حسني بن هولو سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م. كذلك كان صادق باشا متصرفاً سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م وابنه جمال سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

٣ ـ محاسبجة اللواء:

عُيّن في اللواء محاسب باسم «محاسبجة»، ومهمته إجراء ومتابعة المسائل المالية، وتنفيذ التعليمات والأوامر التي يصدرها إليه دفتردار الولاية بواسطة المتصرف.[٢٢] كما كان المحاسبجة عضواً طبيعياً في مجلس إدارة اللواء.[٢٣]

يساعد المحاسبجة في عمله هيئة قلم المحاسبة التي تتكون من أربعة موظفين وأمين للصندوق.[٢٤] ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا كان نيازي بك محاسبجة اللواء سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م،[٢٥] ورؤوف بك سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م،[٢٦] ونصرت أفندي سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.[٢٧]

وكان مجلس إدارة الولاية مخولاً محاكمة محاسبجة اللواء وعزله إذا ثبتت مخالفته للقوانين والتعليمات المالية المتبعة. فمثلاً، قرر مجلس إدارة ولاية بيروت سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م عزل حسن تحسين، محاسبجة لواء عكا، لقيامه ببعض الأعمال المخالفة للقوانين المالية.[٢٨]

٤ ـ مدير التحريرات:

كان مدير التحريرات عضواً طبيعياً في مجلس إدارة اللواء،[٢٩] ويشرف

(٢٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٧، ٤٠٦.

(٢٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥١.

(٢٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥.

(٢٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤.

(٢٦) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥.

(٢٧) الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣.

(٢٨) صحيفة «البشير»، العدد ٩٥٦، ١٣ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م، ص ٣.

(٢٩) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥.

على إدارة جميع المكاتبات الرسمية مع المحافظة عليها[٣٠] بمساعدة هيئة قلم التحريرات التي كانت تتكون من مدير وستة موظفين.[٣١] وتشير كتب السالنامة إلى بعض من شغل هذه الوظيفة مثل مصطفى بك مدير التحريرات سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م،[٣٢] وعارف أفندي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.[٣٣]

٥ ـ مأمور النفوس:

كانت مهمته القيام بالأعمال المتعلقة بإدارة النفوس، والأملاك العمومية، مع إدارة معاملات تذاكر المرور، وجوازات سفر الأقضية المربوطة بمركز اللواء، بحسب الأصول المتبعة في الدولة.[٣٤] ويشرف مأمور النفوس على إدارة قلم النفوس التي تشكلت، سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، من المأمور محمد خليفة ومن الكاتب أحمد زيدان.[٣٥] واستمر الاثنان في عملهما حتى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، وفقاً لسالنامة ولاية بيروت.[٣٦]

٦ ـ مأمور الدفتر الخاقاني:

ينفذ التعليمات والأوامر التي يرسلها إليه مدير الدفتر الخاقاني في مركز الولاية، ومهمته تطبيق القوانين والأنظمة التي تتعلق بإدارة الأملاك والأراضي والنفوس، وما كان منها مختصاً بمعاملات تصرف الأملاك وتملكها، والإشراف على معاملات المأمورين الموجودين في الأقضية، وإبلاغ المتصرف عن كل موظف يتصرف بخلاف النظام، ويبدي للمتصرف ملاحظاته بشأن انتخاب موظفي الدفتر الخاقاني وعزلهم، وعليه أن يقدم تقريراً إلى الوالي يتضمن خلاصة الإجراءات التي قام بها خلال السنة.[٣٧]

ويشرف مأمور الدفتر الخاقاني على إدارة قلم الدفتر الخاقاني التي كانت

(٣٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٧، ٤٠٦.

(٣١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥.

(٣٢) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤.

(٣٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٣٦.

(٣٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٦.

(٣٦) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٦.

(٣٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٤.

تتكون، سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، من المأمور فاخر أفندي وثلاثة من الكتبة.[٣٨] وارتفع عددهم إلى ستة موظفين بالإضافة إلى المأمور سالم أفندي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م،[٣٩] وهو ما يبين توسع عمل هذه الإدارة.

٧ ـ مجلس المعارف:

كان يتكون سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م من عشرة أعضاء ورئيسين: الرئيس الأول النائب الشرعي (القاضي)، والرئيس الثاني المفتي. أمّا أعضاء المجلس فهم: عبد المجيد سعدي، ورشيد أبو الهدى، ومصطفى صبري، وسعد الدين رمضان، والحاج رشيد صفدي، وأحمد نور، وعبد الغني بيضون الذي كان أميناً للصندوق، بالإضافة إلى الكاتب رجا أفندي.[٤٠] وعلى رأس هؤلاء مدير المعارف الذي أُنيطت به مهمة النظر والتدقيق في المصالح المتعلقة بالمعارف، وتطبيق القوانين والتعليمات التي تصدرها نظارة المعارف، والتفتيش على مدارس اللواء.[٤١]

وقد عدلت الدولة العثمانية تشكيل مجلس معارف اللواء. فوفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، انخفض عدد أعضاء مجلس المعارف إلى خمسة أعضاء بدلاً من عشرة، كما أُبعد كل من النائب الشرعي والمفتي عن المجلس، فأصبح يتكون من المدير عارف أفندي وعضوية كل من محمد سعد، وأسعد شقير، ومحمد خليفة، إضافة إلى الكاتب صدقي أفندي.[٤٢]

ويُظهر هذا التعديل المتمثل في إبعاد النائب الشرعي والمفتي عن عضوية المجلس رغبة الدولة في تطوير التعليم وتطبيق أنظمة التعليم الحديثة، وفي عدم إبقاء التعليم محصوراً في التعليم الديني.

٨ ـ إدارة التلغراف والبوستة:

مهمتها الإشراف على مراكز البريد والتلغراف الحكومية في اللواء، وكانت هذه الإدارة تتكون سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م من المدير نائلي أفندي بالإضافة إلى خمسة موظفين يساعدونه في عمله.[٤٣]

(٣٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٥.
(٣٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٧.
(٤٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٦.
(٤١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٣.
(٤٢) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٧.
(٤٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٧.

ويظهر أن إدارة التلغراف ألغيت في اللواء فيما بعد، فلم تشر سالنامة ولاية بيروت إلى وجود هذه الإدارة سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.

٩ ـ إدارة النافعة:

مهمتها الإشراف على إنشاء الطرق والجسور ووسائل المواصلات وتحديد العمال المكلفين العمل في هذه الطرق.[٤٤] وقد تشكلت في اللواء دائرة للنافعة (الأشغال) ضمت في عضويتها سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، كلاً من المتصرف، والمفتي، ومأمور النفوس، ومأمور البنك الزراعي، ورئيس بلدية عكا، وعضوية عبد الغني بيضون الذي لم تحدد السالنامة صفة العضوية التي يتمتع بها.[٤٥]

١٠ ـ إدارة البنك الزراعي:

تأسس البنك الزراعي سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، وفُتحت له فروع في مدن اللواء. ولذلك تألفت إدارة للبنك الزراعي في مركز اللواء، كانت تتكون سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م من رئيس مجلس إدارة البنك الزراعي، عبد الفتاح سعدي، ومأمور البنك، نجيب إدلبي، إضافة إلى خمسة أعضاء هم: الحاج مصطفى دلال، وعلي عرابي، ومصطفى خيزران، ونقولا خوري، إضافة إلى الكاتب محمد كامل ميقاتي.[٤٦] وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، عُيّن رشيد أفندي أبو الهدى رئيساً للبنك الزراعي، وميخائيل عيد وجرجي حوا عضوين فيه.[٤٧] وكان أعضاء مجلس إدارة البنك، عادة، من التجار والأثرياء في عكا.

١١ ـ إدارة الأورمان (الغابات):

مهمة هذه الإدارة الإشراف على الغابات في اللواء، وكانت تتكون سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م من المأمور أمين أفندي.[٤٨] ثم جمعت إدارة أورمان عكا وحيفا في إدارة واحدة وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.[٤٩]

(٤٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٨، ٤٠٣.
(٤٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٨.
(٤٦) المصدر نفسه.
(٤٧) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥٨، ٦ ربيع الثاني ١٣٢٢هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩٠٤م، ص ٢.
(٤٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٦.
(٤٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٨.

١٢ ـ إدارة الأوقاف:

تتكون هذه الإدارة من مدير الأوقاف المقيم بمركز اللواء ومهمته الإشراف على الأوقاف في اللواء، وتحصيل الأموال وإرسالها إلى الخزينة في أوقاتها المعينة، وإدارة حسابات المأخوذات وقيودها، ومراقبة حسابات المسؤولين عن الأوقاف، واستيفاء الرسوم العائدة للخزينة منها.[٥٠] وكان عبد المجيد أفندي مديراً للأوقاف في اللواء سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م،[٥١] ومن ثم تولاها محمد خليفة أفندي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.[٥٢]

١٣ ـ إدارة الديون العمومية:

اتفقت الدولة العثمانية مع الدول الدائنة لها على إنشاء هذه الإدارة للإشراف على جمع الضرائب المفروضة على بعض المواد والسلع، مثل التبغ (الدخان) والملح، المخصصة لسداد الديون.[٥٣] وكانت الإدارة مؤلفة من المأمور أمين أفندي ومن كاتب واحد فقط سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.

١٤ ـ إدارة الرسومات:

أُسندت مهمة إدارتها سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م إلى أحمد مختار يشاركه في عمله أمين للصندوق وثلاثة موظفين.[٥٤] واستمر أحمد مختار مديراً لهذه الإدارة فترة طويلة، إذ أشارت إليه السجلات الشرعية مديراً سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.[٥٥]

١٥ ـ مدير الزراعة والتجارة:

مهمته العمل على تطوير الزراعة فنياً، واتخاذ الإجراءات والتدابير التي من شأنها الارتقاء بمستوى التجارة وتطويرها، ووضع المتصرف في صورة هذه الإجراءات والتدابير. ويقدم المدير تقريراً في نهاية كل سنة عن أحوال الزراعة والتجارة في اللواء إلى المتصرف الذي يرفعه بدوره إلى الوالي.[٥٦]

(٥٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٥.
(٥١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤.
(٥٢) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥.
(٥٣) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٦١٠ ـ ٦٢٨؛ Arthur Ruppin, *Syrien*, p. 442.
(٥٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٩.
(٥٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١١٣، من دون نمرة، ١٤ ذو القعدة ١٣٣٣هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٥م.
(٥٦) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣.

١٦ ـ غرفة التجارة والزراعة:

مهمتها العمل على تنشيط التجارة والزراعة في اللواء. وقد تألفت في اللواء غرفة للزراعة أولاً، فأشارت سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م إلى غرفة الزراعة التي كانت تتألف من رئيس أول قاسم أفندي، ورئيس ثان محمود أفندي وأربعة أعضاء،[٥٧] بينما جُمعت شؤون الزراعة والتجارة في غرفة واحدة وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، فأصبحت غرفة التجارة والزراعة تتكون من رئيس واحد فقط هو عبد الغني بيضون، وخمسة أعضاء هم: الحاج مصطفى دلال، ومصطفى خيزران، وإبراهيم الخوري، وجبران سعد، وميخائيل عيد، إضافة إلى الكاتب عارف أفندي.[٥٨] وكان هؤلاء الأعضاء من كبار التجار والملاك في اللواء.[٥٩]

١٧ ـ إدارة الأملاك:

كان يتولاها مأمور الأملاك الذي تشمل وظيفته إجراء القيود الأساسية المحلية المتعلقة بأجناس الأملاك والأراضي وما يتبعها، وكذلك أنواعها وعددها وإيراداتها السنوية وما ينجم عنها من التكاليف.[٦٠] وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، كانت إدارة الأملاك تتكوّن من رئيس وعضوين.[٦١] أمّا في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، فأصبحت تتكون من رئيس وأربعة أعضاء.[٦٢]

١٨ ـ إدارة الأمن:

كانت قوة الأمن في اللواء تتألف من ثلاثة أقسام:

قوة الدرك (الجندرمة): تشرف على حفظ الأمن ومطاردة الأشقياء واللصوص، ومنع التهريب على الحدود. وكانت هذه القوة تتألف من خيالة ومشاة، ومهمتها تبليغ أوامر الحكومة وتنفيذ قرارات المحاكم الجزائية والحكومية والمساعدة في جمع الضرائب، وتعمل ضمن نطاق وزارة الداخلية، وتتبع الوالي

(٥٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٠.
(٥٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٨.
(٥٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٨، ن ٥٧٤، ٢٦ محرم ١٣٣٢هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.
(٦٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٤.
(٦١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٦.
(٦٢) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٧.

والمتصرف والقائمقام ومدير الناحية. وكل تشكيل منها يتبع من هو في المركز الأعلى.(٦٣)

ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، كانت هذه القوة تتألف من مدير الجندرمة، وخمسة من السواري (المشاة) وثلاثة من الخيالة (بيادة).(٦٤) ولم تشر سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م إلى وجود هذه القوة في مركز اللواء، بينما أشارت إلى وجودها في بعض مراكز الأقضية كقضاء حيفا، إذ أشارت السالنامة إلى علي آغا يوزباشي جندرمة سواري (مشاة).(٦٥)

قوة الشرطة (الضابطة): عهد إلى هذه القوة العمل في مراكز الأقضية لتبليغ المذكرات الإدارية والعدلية، وللمساعدة في جمع الضرائب والأموال الميري، وللمحافظة على الأمن والنظام.(٦٦)

ولم تشر سالنامة ولاية سوريا إلى وجود مثل هذه القوة سواء في مركز اللواء أو في مراكز الأقضية،(٦٧) بينما أشارت سالنامة ولاية بيروت إلى وجودها في مراكز الأقضية. فكانت قوة الضابطة في الناصرة تتألف من المأمور يوسف آغا وثلاثة من أفراد الضابطة،(٦٨) بينما جُمعت رئاسة الجندرمة والضابطة معاً في قضاء صفد، إذ أشارت السالنامة إلى مأمور الجندرمة والضابطة صالح أفندي.(٦٩)

وأظهرت الصحف المحلية بعض الأعمال التي كُلف أفراد الضابطة القيام بها كالتحقيق في جرائم القتل. فعندما وقع حادث قتل في قرية الشيخ بريك ناحية شفا عمرو تحرك إلى القرية حسني أفندي، مدير الناحية، برفقة مأمور الضابطة ونفر من الخيالة.(٧٠)

وكان بعض أفراد الضابطة من خريجي مدرسة الدرك، فذكرت صحيفة «المقتبس» أن رفعت أفندي عُيِّن مأموراً للضابطة في ناحية شفا عمرو ومعه ثلاثة أنفار وكلهم من مدرسة الدرك الجديدة.(٧١)

---

(٦٣) عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩؛ محمد عزة دروزة، «نشأة الحركة العربية»، ص ١٥٩.

(٦٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٧.

(٦٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٠.

(٦٦) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٦٥١.

(٦٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥١ ـ ١٦٢.

(٦٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٢.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٧٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٨٤٨، ٤ صفر ١٣٢٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٩٠٨م، ص ٣.

(٧١) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٥٧، ٣ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ٢.

قوة البوليس: عهد إليها التحقيق في المخالفات، ومراقبة الأجانب، والتدقيق في جوازات سفرهم.(٧٢) ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، وجدت قوة للبوليس في مركز اللواء، بينما لم يوجد مثل هذه القوة في مراكز الأقضية.(٧٣) إلاّ إن مثل هذه القوة وُجد في مركز اللواء ومراكز الأقضية وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.(٧٤)

لم تكن أعمال هذه الأجهزة الأمنية الثلاثة محددة بصورة دقيقة، إذ كانت تشترك معاً في كثير من الأعمال والمهمات. فمثلاً، عندما تأخر ماير ماشون اليهودي من صفد عن دفع البدل العسكري المقرر عليه، توجهت إلى بيته هيئة مؤلفة من وكيل مأمور الضابطة محمد رشيد أفندي، ومأمور التحصيلات، ومأمور البوليس، وتحصيلدار المحلة، وبرفقتهم أربعة من الضابطة.(٧٥)

كما كانت مهمة هذه الأجهزة الأمنية المحافظة على الأمن والنظام. فعندما تجمّع أهالي حيفا احتجاجاً على استيلاء اليونان على جزيرة كريت، أحاط بهم الجند النظامي والدرك، بمن فيهم هاشم باشا قائد فرقة النظامية، وعزت بك يوزباشي بلوك النظامية، ووكيل قائد الدرك.(٧٦)

ب) إدارة الأقضية

١ ـ القائمقام:

كان يرئس كل قضاء من أقضية اللواء الخمسة قائمقام يُعنى بأمور الإدارة المحلية، والشؤون المالية، وحفظ الأمن. وهو مسؤول أمام متصرف اللواء مسؤولية مباشرة، وعليه تنفيذ الأوامر والتعليمات جميعها التي تصدر عن الوالي والمتصرف، كما ترأس مجلس إدارة القضاء.

٢ ـ مجلس إدارة القضاء:

وضع القانون في تصرف القائمقام كاتبين أحدهما للأعمال الحسابية والمالية، والآخر للتحريرات الرسمية وحفظ الأوراق والسجلات. وكان يعاون القائمقام

---

(٧٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٦٦٧ ـ ٦٦٩؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٧٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٧.

(٧٤) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٧٧، ١٨٤، ١٨٦.

(٧٥) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٥٨، ٩ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣.

(٧٦) صحيفة «المقتبس»، العدد ٧٠٩، ٢٤ جمادى الثانية ١٣٢٩هـ/ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١١م، ص ١، ٢.

مجلس إدارة مؤلف من القاضي، والمفتي، ورؤساء الطوائف الدينية غير الإسلامية، وثلاثة أعضاء منتخبين. وكانت صلاحية هذا المجلس هي صلاحيات مجلس إدارة اللواء نفسها. كما مُنع المجلس من التدخل في القضاء.[٧٧] ويعني ذلك أن لواء عكا كان يضم خمسة مجالس إدارية في أقضيته الخمسة. وكانت مجالس الإدارة في الأقضية تضم في عضويتها أعضاء طبيعيين وأعضاء منتخبين. أمّا الأعضاء الطبيعيون فهم القائمقام، ونائبه، وكاتب التحريرات، والمدير المالي، ويُختار الأعضاء المنتخبون من جمعية تفريق تُعقد في مركز القضاء، تتألف من قائمقام القضاء، والحاكم الشرعي (القاضي)، والمفتي، ورؤساء الطوائف غير الإسلامية، وكتّاب القضاء. وتفرز هذه الجمعية أسماء عدد من أهالي مركز القضاء والقرى التابعة له لمجلس إدارة القضاء، ويساوي عدد هؤلاء المرشحين ثلاثة أضعاف العدد المطلوب. فمثلاً، إذا كان مجلس إدارة القضاء يحتاج إلى ثلاثة أعضاء منتخبين، ترشح الجمعية تسعة أعضاء وتوزع لوائح بأسمائهم على القرى التابعة للقضاء، كي تنتخب مجالس الاختيارية فيها العدد المطلوب أي ستة أعضاء. وبعد ذلك تعاد هذه الأوراق إلى مركز القضاء، وتجتمع جمعية التفريق ثانية وتنظر في هذه الأوراق باعتبار كل قرية رأياً واحداً، والأعضاء الثلاثة الذين ينالون أكثرية الأصوات هم الذين يجري تعيينهم.[٧٨]

وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، تألف مجلس إدارة قضاء حيفا من الأعضاء الطبيعيين الأربعة السابق ذكرهم ومن أربعة أعضاء منتخبين هم: محمود أفندي وعبد السلام أفندي عن المسلمين، وسمعان الخوري وفرنسيس أفندي الجدع عن المسيحيين.[٧٩] وتكوّن مجلس إدارة قضاء صفد من الحاج ياسين آغا ومحمد أفندي وعيد أفندي عن المسلمين، وإسرائيل أفندي عن اليهود.[٨٠] وخلا المجلس من المسيحيين لقلة عددهم في المدينة. بينما تكوّن مجلس إدارة قضاء الناصرة من كنج الأسعد وسليمان إبراهيم عن المسلمين، وطنوس أفندي ومنصور أفندي عن المسيحيين.[٨١] وتكوّن مجلس إدارة قضاء طبرية من اثنين عن

(٧٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٩، ٤١٤، ٤١٥؛ الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٧٨) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٤؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٧٩) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٩.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

المسلمين هما عبد الهادي أفندي ويوسف أفندي، ومن اثنين عن المسيحيين واليهود هما إليان أفندي ويوسف أفندي.[٨٢]

أمّا في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، فكان الأعضاء المنتخبون في مجلس إدارة قضاء حيفا هم: الحاج سليمان وعبد الرحمن أفندي عن المسلمين، وأسعد أفندي وبشارة أفندي عن المسيحيين.[٨٣] أمّا قضاء الناصرة فضم ثلاثة أعضاء منتخبين هم: كنج الأسعد عن المسلمين، وبشارة عزام وشبلي جبران عن المسيحيين.[٨٤] وضم قضاء صفد الحاج محمود مصطفى، وعيد أفندي، ويوسف فريد، وشكري أفندي.[٨٥] وفي طبرية كان عبد الهادي أفندي وسليمان حمو عن المسلمين، والياس غريب عن المسيحيين، ويهودا طوليداي عن اليهود.[٨٦]

ويبين الجدول التالي أسماء عدد من القائمقامين والسنوات التي تبوأوا فيها مناصبهم في أقضية اللواء:[٨٧]

الجدول رقم ٢ ـ ٩

قضاء حيفا/ القائمقام	السنة
صلاح بن شاكر باش	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
معين بك	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
محمود بك حلبي	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م
مصطفى أفندي القنواتي	١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م
أحمد شكري محمد	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
محمود أفندي	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م
كامل بك بدرخان	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م
نظام الدين بك	١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م
رفعت أفندي	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
كنعان أفندي	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م

قضاء صفد/ القائمقام	السنة
سعيد بك الشهابي	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م
محمد سعيد بك الشهابي	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
موسى كاظم الحسيني	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
محمد حمدي أفندي	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
صالح أفندي	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
نصرت أفندي	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
عبد الله أفندي غريب	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
خالد بك	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م

يتبع

(٨٢) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٨٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٩.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٢٥ ـ ١٨٦؛ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٣٨ ـ ١٤٦؛ الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧٢؛ صحيفة «البشير»، العدد ٩٦٨، ١١ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١١ أيار (مايو) ١٨٨٩م، ص ٣؛ س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١١٠، ن ١٣٩، ١٩ رمضان ١٣٢٣هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥م.

تابع الجدول رقم ٢ ـ ٩

قضاء طبرية/ القائمقام	السنة
سليم أفندي	١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م
محمد سعيد بك	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
عبد الكريم أفندي	١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م
نجيب أفندي	١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م
محمد سعيد أفندي	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م
محمد توفيق أفندي	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م
علي راسخ	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م
عبد الله رزق الله خير	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م
حسن كاظم	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م
فوزي الملكي	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

قضاء الناصرة/ القائمقام	السنة
نعمان الجوهري	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
أسعد أفندي	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
محمد الإسماعيل	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
محمد سعيد	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
محمد أمين	١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م
شكري العسلي	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
أمين بك عبد الهادي	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م

وكانت الدولة العثمانية تكثر من نقل هؤلاء القائمقامين إلى الألوية الأُخرى وتعيّن آخرين بدلاً منهم. ففي سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، نقل علي راسخ قائمقام قضاء طبرية إلى قضاء حصن الأكراد التابع للواء اللاذقية، وعُيّن محمد توفيق قائمقام حصن الأكراد قائمقاماً على قضاء طبرية.(٨٨) وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، صدر الأمر بنقل نجيب أفندي قائمقام طبرية إلى قضاء جنين، وتعيين عبد الكريم أفندي قائمقام جنين بدلاً منه.(٨٩)

بالإضافة إلى الدوائر الإدارية السابقة وُجد في كل قضاء من أقضية اللواء عدد من الإدارات الأُخرى مثل: إدارة الطابو، وإدارة النفوس، وإدارة مال القضاء، وإدارة الرسومات، وإدارة التلغراف والبوستة، وإدارة البنك الزراعي، وتتبع هذه الإدارات مثيلاتها في مركز اللواء وتقوم بالأعمال نفسها، لكن ضمن القضاء فقط.(٩٠)

ج) المجالس البلدية

صدر القانون الذي نص على إنشاء المجالس البلدية في مراكز الولايات والألوية والأقضية في الرابع والعشرين من شعبان ١٢٨٤هـ، الموافق للرابع

(٨٨) صحيفة «البشير»، العدد ١١٦١، ٢٦ رجب ١٣١٣هـ/ ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٥م، ص ٤.
(٨٩) المصدر نفسه، العدد ١٠٥٧، ٧ رجب ١٣١٠هـ/ ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣م، ص ٤.
(٩٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٠، ١٦٢.

والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٧م. ونص على إنشاء مجلس بلدي مكون من ستة أعضاء، ورئيس، ومعاون له، ومن طبيب ومهندس بصفتهما عضوين مشاورين، بالإضافة إلى كاتب ومحاسب (أمين الصندوق).(٩١) واشترط القانون أن يكون أعضاؤه من فئات المجتمع المتعددة ومن أصحاب الأملاك والأراضي، وأن تكون مدة خدمتهم عامين. وبعد أن تُجرى الانتخابات مرة ثانية يتغير نصفهم كل عام، ويعمل الكاتب وأمين الصندوق موظفين في المجلس بينما يعمل بقية الأعضاء مجاناً.(٩٢)

وحدد القانون مهمة المجلس البلدي بما يلي: مراقبة إنشاء الأبنية المختلفة؛ القيام بالأعمال المتعلقة بالمياه؛ إزالة الأبنية الخربة؛ اتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل أمر المرور والعبور والنقليات؛ المحافظة على نظافة البلدة؛ مراقبة أماكن تجمع الناس؛ تسهيل وسائط النقل وتنظيم أجورها؛ مراقبة المقاييس والأوزان والأسعار.(٩٣)

ويعقد المجلس البلدي اجتماعين أسبوعياً برئاسة رئيس المجلس أو معاونه في حالة غياب الأول. وإذا غاب الاثنان تكون الرئاسة لأكبر الأعضاء سناً. ولا يستطيع المجلس أن يجري مناقشات بشأن موضوع معين ما لم يحضر الجلسة ثلثا أعضاء المجلس. وتُتخذ القرارات في المجلس بأكثرية الأصوات، وعندما تتساوى الأصوات تكون الأكثرية في الجهة التي يكون فيها رأي الرئيس.(٩٤)

وتتكوّن إيرادات المجالس البلدية من الرسوم والمبالغ التي تخصصها لها الحكومة، ومن الأموال التي تؤخذ من الذين يستفيدون من تنظيمات البلدية، ومن أموال الجزاء النقدي التي تفرض على السكان، ومما يقدمه السكان من الإعانات والهبات إلى البلديات. أمّا نفقاتها فتتكون من النفقات المخصصة للطرق والمعابر، والإنشاءات والتعميرات العائدة للمنافع العمومية وما يتعلق بالتنظيمات والإجراءات البلدية، ومن أجرة محل إقامة الإدارة البلدية ومعاشات المأمورين والموظفين فيها.(٩٥)

(٩١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ٤١٩؛ محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٥، ص ١٣١ ـ ١٣٤.
(٩٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٩.
(٩٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٠؛ سليم سلام، «مذكرات سليم علي سلام»، ص ١١٦.
(٩٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٢٠.
(٩٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢١.

تشكلت البلديات في مدن اللواء في فترات متفاوتة، فتألفت بلدية الناصرة في ذي الحجة ١٢٩٢هـ/كانون الثاني (يناير) ١٨٧٥م، وكان طنوس قعوار أول رئيس لها، وبقي رئيساً مدة عشر سنوات، وقد ضم المجلس البلدي الأول سبعة أعضاء إضافة إلى رئيس المجلس وهم: عبد المجيد الفاهوم، وعلي الأسعد، وبشارة عزام، وعيسى العديني، وشبلي الجبران، وعبد الله الخوري، ويوسف الحلو.[٩٦] ومثّل المسلمين عضوان في المجلس بينما مثّل المسيحيين ستة أعضاء، لأن عدد المسيحيين يفوق عدد المسلمين في المدينة.

وفي الجدول التالي أسماء رؤساء بلدية الناصرة منذ إنشائها حتى الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م:[٩٧]

الجدول رقم ٢ ـ ١٠

رئيس البلدية	السنة
طنوس قعوار	١٢٩٢ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨٧٥ ـ ١٨٨٢م
عبد المجيد الفاهوم	١٣٠١ ـ ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٨٨٨م
علي آغا الأسعد	١٣٠٧ ـ ١٣١٠هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٨٩٢م
الشيخ عباس الفاهوم	١٣١١ ـ ١٣٢١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٩٠٣م
عبدالله بك الفاهوم	١٣٢٢ ـ ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧م
شبلي أفندي الجبران	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م
راجي أفندي فرح	١٣٢٧ ـ ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م
توفيق أفندي الفاهوم	١٣٢٨ ـ ١٣٣١هـ/ ١٩١٠ ـ ١٩١٢م
سعيد بك الفاهوم	١٣٣١ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٢ ـ ١٩١٤م
بدري أفندي قطينة	١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م
الياس أفندي قعوار	مدة نحو عام
توفيق أفندي الفاهوم	١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م

يبين الجدول أنه خلال الفترة ١٢٩٢ ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٥ ـ ١٩١٨م تولى رئاسة بلدية الناصرة اثنا عشر رئيساً، ستة منهم من عائلة الفاهوم، واثنان من عائلة قعوار، والأربعة الآخرون من عائلات متعددة، ويعني ذلك أن عائلتي قعوار والفاهوم شغلتا هذا المنصب فترة طويلة، كما توزعت رئاسة البلدية بين المسلمين

(٩٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

والمسيحيين على حد سواء، فتولى المنصب سبعة من المسلمين وخمسة من المسيحيين.

تألفت بلديات عكا وحيفا وصفد وطبرية في فترات متقاربة مع تأليف بلدية الناصرة، وأشارت سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م إلى وجود البلديات في هذه المدن. وفي تلك السنة، كان المجلس البلدي في عكا يتكون من عشرة أعضاء منهم رئيس المجلس قاسم سالم أفندي. وشكل المسيحيون خمسة أعضاء في المجلس كما شكل المسلمون خمسة أعضاء على الرغم من أن عدد المسلمين يفوق عدد المسيحيين في المدينة.[٩٨]

وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، تألف المجلس البلدي في حيفا من رئيس المجلس مصطفى الخليل وستة أعضاء: ثلاثة من المسلمين هم الحاج أسعد أفندي وديب أفندي وعلي الخطيب، وثلاثة من المسيحيين هم سليم الخوري وسمعان منصور وجرجس قطران، ومن أمين الصندوق ميخائيل أفندي.[٩٩]

وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، أصبح المجلس البلدي في حيفا يتكون من أربعة عشر عضواً، بمن فيهم مصطفى الخليل رئيس المجلس، ستة من المسلمين والباقي من المسيحيين.[١٠٠]

وتكوّن المجلس البلدي في الناصرة سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م من ثمانية أعضاء، أربعة من المسلمين وأربعة من المسيحيين، إضافة إلى رئيس المجلس عبد المجيد الفاهوم.[١٠١] وقد بقي المجلس البلدي مكوناً من ثمانية أعضاء حتى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، بمن فيهم الرئيس عبد المجيد الفاهوم، بينما كان جميع أعضائه من المسيحيين.[١٠٢]

وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، تألف المجلس البلدي في طبرية من خمسة أعضاء: اثنين من المسلمين، واثنين من المسيحيين، والرئيس عبداه أفندي.[١٠٣] بينما تألف سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م من الرئيس عبد الله الحسين ومن ستة أعضاء: ثلاثة من المسلمين، ومسيحي واحد، واثنين من اليهود.[١٠٤]

(٩٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٧.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(١٠٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٠.

(١٠١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٣.

(١٠٢) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٢.

(١٠٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٥.

(١٠٤) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٥.

وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، تألف المجلس البلدي في صفد من الرئيس حسن نحوي، ومن ستة أعضاء: خمسة من المسلمين ويهودي واحد هو الحاخام مخلوف أفندي.[١٠٥] وقد خلا المجلس من الأعضاء المسيحيين لقلة عددهم في المدينة. بينما تألف، سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، من الرئيس الحاج محمد صبح ومن ثمانية أعضاء: سبعة من المسلمين وعضو عن المسيحيين.[١٠٦]

ويعود ارتفاع عدد المسيحيين في بعض المجالس البلدية، كالمجلس البلدي في عكا، إلى أن المسيحيين سبقوا المسلمين في تولي بعض الوظائف في المجالس البلدية كطبيب البلدية وأمين الصندوق والكاتب.[١٠٧] كما اختلف عدد أعضاء المجالس البلدية من مدينة إلى أُخرى تبعاً لعدد السكان في كل مدينة.

وكان جميع رؤساء البلديات في اللواء من المسلمين ما عدا الناصرة التي تولى فيها المسيحيون رئاسة البلدية ويعود ذلك إلى ارتفاع عددهم.[١٠٨] وقد مثّل أعضاء المجلس البلدي سكان المدينة بمختلف طوائفهم، وكان عدد الأعضاء المسلمين والمسيحيين واليهود يختلف بحسب أعداد الطوائف الثلاث. وقد زاد عدد المسيحيين على عدد المسلمين في الناصرة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م،[١٠٩] لذا أصبح جميع الأعضاء من المسيحيين سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م،[١١٠] بينما زاد عدد الأعضاء المسلمين على المسيحيين في صفد وطبرية لارتفاع عدد المسلمين في المدينتين قياساً بعدد المسيحيين.[١١١]

كما ضمت المجالس البلدية، إضافة إلى الرئيس والأعضاء المنتخبين، عدداً من الموظفين الذين يُعتبرون أعضاء مشاورين في المجالس البلدية، مثل الطبيب، ومفتش الصحة، والمهندس.[١١٢] ففي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ضم المجلس البلدي في عكا المهندس صالح أفندي والطبيب الياس مدور، وضم المجلس في حيفا الطبيب إبراهيم الخوري، بينما خلا المجلس البلدي في الناصرة من وجود

(١٠٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤١.
(١٠٦) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨١.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥.
(١٠٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢، ٣٠٣.
(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.
(١١٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٢.
(١١١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤١؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٤.
(١١٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٩.

طبيب أو مهندس. وضم المجلس البلدي في صفد مهندساً وخلا من الطبيب، وخلت بلدية طبرية من وجود طبيب أو مهندس.[١١٣]

ويُظهر تعيين الأطباء والمهندسين في المجالس البلدية اهتمام الدولة بالأمور الصحية والتنظيمية في المدن، إلاّ إنهم لم يوجدوا في بعض المجالس، في ذلك الوقت، بسبب قلة أعدادهم.

كان معظم رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية من العائلات الغنية والمتنفذة. لذا توزعت رئاسة المجلس البلدي في الناصرة، بصورة رئيسية، بين عائلتي الفاهوم وقعوار؛[١١٤] وفي حيفا بين عائلتي مصطفى الخليل وصادق باشا.[١١٥] وشغلت عائلة بيضون رئاسة المجلس البلدي في عكا، فتولى زكي بن عبد الغني بيضون رئاسته سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.[١١٦] وأثار ذلك احتجاج بعض السكان، فكتب محمد جمال طبارة، كاتب محكمة بداية عكا، معلقاً على ذلك: «وناهيك عن رياسة بلديتها (يقصد حيفا) التي أصبحت محتكرة بصورة الدور والتسلسل من مصطفى الخليل إلى ولده إبراهيم إلى جمال بن صادق باشا.»[١١٧]

وقد تنوعت واردات البلديات المالية والطرق التي تنفق فيها هذه الأموال. ويوضح الجدول التالي واردات (رسوم) بلدية الناصرة ونفقاتها سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢م:[١١٨]

الجدول رقم ٢ ـ ١١

الواردات (الرسوم)		النفقات	
الذبيحة	٢٣,٥٠٠ قرش	راتب الرئيس سنوياً	٤٨٠٠
الباج	٦٠٠٠ قرش	راتب كاتب وأمين الصندوق سنوياً	٤٢٠٠
الدلالة	٩٠٠٠ قرش	راتب المفتش	٢٤٠٠
الجرينة	٩٠٠٠ قرش	راتب الشاويش	٢١٠٠

(١١٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥.
(١١٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢، ٣٠٣.
(١١٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٠؛ س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٢، ن ١٩، ٢٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.
(١١٦) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨، ن ٢٧، ٤ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩٠٥م.
(١١٧) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٢٤٣، ٢٠ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ/ ٩ تموز (يوليو) ١٩٠٩م، ص ٤.
(١١٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

تابع الجدول رقم ٢ ـ ١١

الكازخانة	٤٥٠٠ قرش
الفحم	٢١٠٠ قرش
الخضر	٨٠٠ قرش
الأبنية	٣٥٠٠ قرش
المجموع	**٥٨,٤٠٠ قرش**
تنظيفات	٩٦٠٠ قرش
رسوم داخلية تصديق، إيجار	٢٠٠٠ قرش
المجموع	**٧٠,٠٠٠ قرش**

راتب الأوضجي	٣٦٠
نفقات قرطاسية	١٠٠٠
راتب الطبيب	٧٢٠٠
راتب القابلة	٤٢٠٠
المجموع	**٢٦,٢٦٠**
نفقات عجزة	١٢٠٠
دفن غرباء	٥٠٠
مأمورو تنظيفات	٣٦٠٠
أجرة كازخانة	٦٠٠
أجرة تنظيف وتنوير	٢٤,٠٠٠
أجرة مفتش صحة	٦٠٠
أجرة احتفالات عمومية	١٠,٠٠٠
المجموع	**٦٦,٧٦٠**

يبين الجدول أن واردات بلدية الناصرة زادت على نفقاتها في تلك السنة، وشكلت الرسوم على الذبائح أعلى نسبة من واردات البلدية، ثم تلتها رسوم الدلالة. وشكلت الرواتب جزءاً كبيراً من نفقات البلدية، فبلغت رواتب موظفي البلدية ٢٦,٢٦٠ قرشاً سنوياً، ويتقاضى طبيب البلدية أعلى راتب بين موظفيها، الأمر الذي يوضح اهتمام الدولة بالحالة الصحية في المدن. ثم يليه رئيس البلدية، والقابلة، وأمين الصندوق. وبلغت نفقات التنظيف والإنارة ٢٤,٠٠٠ قرش. كما يلاحظ من هذه الميزانية ارتفاع المبالغ المخصصة للاحتفالات التي بلغت ١٠,٠٠٠ قرش، نتيجة ارتفاع تكاليف الاحتفالات في الأعياد والمناسبات الرسمية، مثل تولي السلاطين، أو الاحتفال بزيارة والي الولاية أو المتصرف للمدينة.

وفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، بلغ إيراد بلدية الناصرة نحو ٧٠٠ ليرة عثمانية. إذ كان لها طبيب وصيدلية وتدفع ما قيمته ٢٠٠ ليرة عثمانية رواتب للموظفين.[١١٩] بينما بلغ دخل بلدية طبرية في السنة نفسها نحو ١٥٠٠ ليرة عثمانية على الرغم من قلة سكانها. فورد في صحيفة «المقتبس»: «أسعف الحظ بلدية طبرية بدخل وافر بالنسبة لعدد سكانها، وأن بلدة لا يزيد عدد سكانها على خمسة آلاف إلا قليلاً ودخل بلديتها زهاء ١٥٠٠ ليرة عثمانية لهي بلدة غنية

(١١٩) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٢ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ١، ٢.

بمواردها.»[١٢٠]

ويعود ارتفاع واردات بلدية طبرية إلى ارتفاع دخلها من الحمامات. وذكر التميمي أن وارداتها كانت ما بين ٨٠,٠٠٠ و١٣٠,٠٠٠ قرش منذ سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. ويتألف القسم المهم من هذه الواردات من حاصلات الحمامات المعدنية وهي ٤٣,٠٠٠ قرش، ومن رسوم الدلالة وهي ١٤,٠٠٠ قرش. وتشكل رواتب الموظفين أعلى نفقاتها وتبلغ نحو ٢٣,٤٠١ قرش، بينما خصص مبلغ ٢٧,٧٧٤ قرشاً لشق الطرق وتبليطها.[١٢١]

د) إدارة النواحي

١ ـ مدير الناحية:

يشرف على إدارة كل ناحية مدير، ويساعده مجلس للإدارة. وكان من مهمات المدير تنظيم القوانين العثمانية في ناحيته، وتسلم تقارير المخاتير عن الوفيات والمواليد وصغار الورثة والغائبين، والإشراف على انتخابات المخاتير ومجالس الاختيارية في القرى، والتحقيق في الشكاوى التي يقدمها الأهالي ضد المخاتير ومجالس الاختيارية.[١٢٢]

وفي الجدول التالي أسماء بعض المديرين الذين شغلوا إدارة ناحيتي شفا عمرو وقيسارية والسنة التي كانوا فيها في مناصبهم:[١٢٣]

الجدول رقم ٢ ـ ١٢

ناحية شفا عمرو		ناحية قيسارية	
فريد لطفي	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	محمد علي أفندي	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م
خليل شكري	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م	موسى حربي أفندي	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م
محمد علي أفندي	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م	فهمي أفندي	١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م
موسى أفندي	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م	أحمد بيك بن حسن بن	
عبد الله أفندي	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م	أحمد كتخذازادة	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
خليل أفندي	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م	علي بيك	-

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(١٢٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(١٢٣) أنظر أعلاه، ص ٥٣، الحاشية رقم (٢١).

تابع الجدول رقم ٢ ـ ١٢

أحمد رفيق	١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م	أحمد عزمي بك	١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م
حسني بك أباظة	١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م		
حسين حسني	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م		

إن الذين شغلوا منصب مدير ناحية قيسارية كانوا، في معظمهم، من المهاجرين البوسنيين الذين أسكنتهم الدولة العثمانية في قيسارية والغابة. وقد أرادت الدولة من ذلك إشراك المهاجرين البوسنيين والشركس في الإدارة المحلية ودمجهم في المجتمع الجديد الذي استقروا به.[١٢٤]

٢ ـ مجلس إدارة الناحية:

يتكون مجلس إدارة الناحية من أربعة أعضاء، يجتمعون أربع مرات في السنة ولا تزيد الفترة التي يعقد فيها الاجتماع على أسبوع واحد.[١٢٥] ويُشترط في الأعضاء ألاّ يكون محكوماً عليهم بجناية أو محرومين من الحقوق المدنية، وأن يتقنوا القراءة والكتابة قدر الإمكان، وأن يكونوا تجاوزوا العشرين من العمر.[١٢٦]

كان من مهمات مجالس إدارة النواحي النظر في المشاريع النافعة، والطرق الخصوصية التي يرغب الأعضاء في إنشائها بواسطة الإعانات الفعلية والنقدية التي يقدمها أهالي القرى الموجودة في الناحية، والنظر في الأمور العائدة لإدارة الأشجار البرية والكسارات والمشاتي المشتركة في النواحي، والبحث في المسائل المعروضة من مجالس اختيارية القرى فيما يختص بالزراعة والصناعة والتجارة، والعمل على زيادة الآلات الزراعية والحيوانات المستخدمة في الزراعة والمحافظة عليها داخل النواحي، ومراقبة المنافع المشتركة بين القرى من التنظيفات والتنظيمات البلدية، والتدقيق في القرارات المعطاة من مجالس اختيارية القرى بتوزيع الأموال وتحقيق التكاليف المطلوب تعديلها. ثم تُبلّغ نتائج مناقشاتهم إلى القائمقام عن طريق مدير الناحية.[١٢٧]

(١٢٤) صحيفة «البشير»، العدد ١١٢٩، ١٨ ذو القعدة ١٣٠٩هـ/ ١٥ حزيران (يونيو) ١٨٩٢م، ص ٣؛ س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٤٣، من دون نمرة، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(١٢٥) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٥، ٤١٦.

(١٢٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٨.

(١٢٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٥ ـ ٤١٧.

وعلى الرغم من أن القانون نص على أن يتألف مجلس إدارة الناحية من أربعة أعضاء، فإن ذلك لم يطبق بصورة تامة. فقد تكوّن مجلس إدارة ناحية شفا عمرو في قضاء عكا، سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، من عضوين طبيعيين هما نائب مدير الناحية، وكاتب التحريرات، بالإضافة إلى ستة أعضاء منتخبين، ثلاثة من المسلمين وثلاثة من المسيحيين.[١٢٨] وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، أصبح الأعضاء المنتخبون في مجلس إدارة ناحية شفا عمرو أربعة أعضاء هم: إبراهيم الحاج وصالح أحنيفي عن المسلمين، وداود تلحمي وناصر الداود عن المسيحيين.[١٢٩]

بالإضافة إلى الدوائر الإدارية السابقة، ضمت النواحي إدارات أخرى كانت تقوم بالأعمال نفسها التي تقوم بها مثيلاتها في الأقضية واللواء مثل إدارة التحريرات، وشعبة المعارف، وإدارة الديون العمومية، وإدارة التلغراف والبوستة.[١٣٠]

هـ) إدارة القرى

١ ـ المختار:

يمثل المختار سلطة الدولة في القرى ويتم اختيار المخاتير بالانتخاب من كل قروي تجاوز الثامنة عشرة من العمر ودفع ما لا يقل عن خمسين قرشاً في السنة ضريبة للدولة. ويشرف القائمقام على انتخابات المخاتير ويقر قانونيتها. وتتم الانتخابات مرة في كل عام، ويحق للمخاتير ترشيح أنفسهم مراراً لإعادة انتخابهم. وقضى القانون بانتخاب مجلس اختيارية لكل قرية تجاوز عدد سكانها العشرين نسمة. ويُشترط في المخاتير وأعضاء مجالس الاختيارية أن يكونوا من أصحاب العلاقة (الأملاك) ومن تبعية الدولة العلية ولا تقل أعمارهم عن الثلاثين عاماً ويدفعون مئة قرش ويركو سنوياً إلى الدولة.[١٣١]

كانت مهمة المختار تبليغ القوانين والأنظمة والأوامر الحكومية إلى أهل القرى، وجمع الأموال المفروضة عليهم، وإخبار مدير الناحية بما يقع في القرى

(١٢٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٥، ١٤٦.

(١٢٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٦.

(١٣٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٦؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٠.

(١٣١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٢.

والمزارع من المواليد والوفيات بأوقاتها المحددة، وتسليم القتلة والخارجين إلى الحكومة، وإعطاء المعلومات لمدير الناحية عن الأراضي المحلولة والمكتومة، والمستملكات والإنشاءات المخالفة للنظام، والنظارة على الذين يُنتخبون من طرف مجالس الاختيارية ليكونوا في ضابطة القرية، كالنواطير وغيرهم.(١٣٢)

ويُنتخب المخاتير وأعضاء مجالس الاختيارية مدة عام، لكن من الجائز انتخابهم لفترة غير محددة. كما يعزل المخاتير إذا قاموا بأعمال مخالفة للقانون، أو إذا طلب ذلك أعضاء مجلس الاختيارية.(١٣٣)

كما اشترط القانون أن يكون لكل قرية مختار، وإذا كانت تضم أكثر من طائفة فلكل طائفة مختارها. أمّا إذا كان سكان القرية أقل من عشرين بيتاً فإنهم يختارون مختاراً واحداً.(١٣٤) وقد أشارت السجلات الشرعية إلى أسماء مخاتير بعض القرى، فأشارت إلى مختاري دالية الروحاء، الشيخ عبد الرحمن عراد والشيخ حسين أبي سمن،(١٣٥) وإلى الشيخ عبد الحفيظ محمد الشلبي من مخاتير قرية الطيرة.(١٣٦)

كما أشارت السجلات إلى وجود مختار واحد في بعض القرى كالشيخ إبراهيم بن يوسف العبد الله مختار قرية أم الزينات.(١٣٧) وفي حجة أُخرى أشارت السجلات إلى أول مختار في قرية الطنطورة أيوب بن عمر الأيوب.(١٣٨) كما كان لكل قبيلة مختارها الخاص، فنجد في السجلات إشارة إلى رجا بن مطلق العلي مختار عرب العوادين المخيمين بمرج التركمان.(١٣٩)

لم يقتصر وجود المخاتير على القرى، بل وجدوا في المدن أيضاً. وكان

---

(١٣٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٩.
(١٣٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٢.
(١٣٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٠، ٣٩١.
(١٣٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٤، ن ١٩، ٨ شوال ١٣٠٩هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٩٢م.
(١٣٦) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٦٨، ن ١٤٣، ٢٧ شوال ١٣٢٢هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥م.
(١٣٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٦، ن ٨٩٠، جمادى الثانية ١٣٣٣هـ/ نيسان (أبريل) ـ أيار (مايو) ١٩١٤م.
(١٣٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٦، ن ٣١، ٢٨ رجب ١٣١٩هـ/ ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.
(١٣٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٠٧١، ن ١٥٥، ٢٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

لكل محلة من محلات المدينة مختارها. فكان حسين بن حسن الشيخ مختاراً للمحلة الشرقية في حيفا، وعودة بن إبراهيم عودة مختاراً للمحلة الغربية في حيفا سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م.(١٤٠) وكان الشيخ عبد الله بن محمد حسن القبلاوي مختاراً للمحلة الشرقية في حيفا،(١٤١) وإبراهيم أفندي بن أحمد آغا الصغير مختاراً للمحلة الغربية سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.(١٤٢)

وكان لكل طائفة دينية مختارها الخاص بها. فأشارت السجلات إلى إبراهيم أبي توما مختار طائفة الروم الأورثوذكس في حيفا،(١٤٣) وإلى شكري جلاد مختار طائفة الموارنة،(١٤٤) وإلى إسحاق بن موسى حسان مختار الموسويين في حيفا.(١٤٥) وأشارت حجة أُخرى إلى شحادة بن موسى لاوي مختار الطائفة اليهودية في حيفا.(١٤٦)

كما أشارت السجلات إلى بعض الأعمال التي يقوم بها المخاتير، إذ كانوا يحضرون إلى المحكمة ويعرفون بالأشخاص من قراهم أمام القاضي. وتذكر إحدى الحجج أن خليل بن محمود بن أحمد الحلو من قرية ياجور حضر وزوجته عائشة بنت محمد أبو طومار إلى المحكمة الشرعية في حيفا، وجرى تعريفهما من أحمد أبو النصر وحسين بن أحمد آغا الصغير، مختاري إسلام قصبة حيفا، ومن عبد الله جمعة مختار ياجور.(١٤٧) كما كان المختار يشهد أمام القاضي على صحة التركات، فنجد في إحدى الحجج بيان تركة عمر آغا الحاج صالح بن مصطفى من مهاجري البوسنة المتوفى داخل بيته الكائن بقيسارية بشهادة الحاج شاكر بن

---

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٧٨، ن ١، ٥ رجب ١٣٠٧هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٨٩م.
(١٤١) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٧٥، ٧٦، ن ٩٣٩، ١٩ شعبان ١٣٣٣هـ/ ٢ تموز (يوليو) ١٩١٥م.
(١٤٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٩، ن ٩٠٥، رجب ١٣٣٣هـ/ أيار (مايو) ـ حزيران (يونيو) ١٩١٤م.
(١٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٨، ن ٥٦، ٢٢ شوال ١٣١٩هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.
(١٤٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٨٦، ن ٦٩، ٢٩ ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ ٦ تموز (يوليو) ١٩٠٢م.
(١٤٥) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١٥، ن ١٧٩، ٢١ ذو القعدة ١٣٢٨هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠م.
(١٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٧، ن ٢٧٠، ١ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١ أيار (مايو) ١٨٨٩م.
(١٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ٩٥، ٣ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ/ ١٠ تموز (يوليو) ١٩٠٢م.

الحاج إبراهيم إمام قيسارية، وعبد الله مصطفى مختارها.[١٤٨]

٢ ـ مجلس اختيارية القرية:

كان مجلس اختيارية القرية يختاره ذكور القرية الذين يتجاوزون الثامنة عشرة من العمر، ويدفعون خمسين قرشاً ويركو للدولة سنوياً. ويختار هؤلاء مختارَين، فضلاً عن ٣ ـ ١٢ عضواً بحسب نسبة عدد أهالي قريتهم، شرط أن يكون المخاتير والأعضاء من رعايا الدولة الذين يدفعون إلى الخزينة مئة قرش ويركو سنوياً ولا يقل عمر الواحد منهم عن ثلاثين عاماً، هذا إذا كان جميع الأهالي من طائفة واحدة. أمّا إذا كانت القرية مؤلفة من طوائف متعددة، فيجتمع ذكور كل طائفة على انفراد، وتجرى عملية الانتخاب على الوجه المشروح آنفاً. ثم تسجل أسماء الذين تم انتخابهم على نموذج خاص توزعه الولاية عليهم، وترسل نسخة عنه إلى مدير الناحية وإلى قائمقام القضاء كي يأمر بتعيين المنتخبين. ويحق للحكومة ولمجلس الاختيارية عزل المخاتير من الخدمة. ويجري بعد ذلك اجتماع آخر لانتخاب غيرهم على النحو السابق.[١٤٩]

إن من مهمات مجلس اختيارية القرية المحافظة على النظافة، واختيار الناطور، والعمل على تنشيط التجارة والزراعة، وتوزيع الضرائب والتكاليف التي تخص القرية، وقبول تبرعات أهل القرية المخصصة لأعمال البر والإحسان، والمحافظة على أموال الأيتام، وإعلام مدير الناحية بواسطة المخاتير عن الأراضي الخالية القابلة للزراعة، والنظر في تعمير هذه الأراضي، وتعيين الأشخاص من العملة المكلفين،[١٥٠] وإجراء التحقيقات الأولية في القرية عن المجرمين الذين يجب تسليمهم للحكومة.[١٥١]

٣ ـ النواطير:

وجدت وظيفة الناطور في القرى، ومن مهماته مراقبة المحاصيل في أثناء الحصاد، ومراقبة الحبوب على البيادر لمنع سرقتها. وذكر بيرغهايم (Bergheim)

(١٤٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٧٣، ن ١٨، ٢٣ شعبان ١٣١٠هـ/ ١٢ آذار (مارس) ١٨٩٣م.
(١٤٩) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩١، ٤١٦، ٤١٧.
(١٥٠) الضريبة التي تفرضها الدولة على كل شخص يتراوح عمره بين ٢٠ و٦٠ عاماً. وبموجبها يجب أن يعمل مدة ٤ أيام في السنة أو أن يدفع ٢٠ قرشاً في السنة في مقابل الإعفاء من العمل.
(١٥١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩١، ٤١٨، ٤١٩.

سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، أن مهمة الناطور مراقبة مجيء أي غريب أو زائر أو موظف حكومي أو جند يقتربون من القرية فيدعوهم إلى المضافة، ويقدم إليهم الطعام ويعتني بخيولهم. كما أنه يمنع حيوانات القرى القريبة من أن ترعى في أراضي قريته. ويعتبر الناطور من الموظفين العموميين الذين لا تدفع لهم رواتب، لكنه يتلقى كميات محددة من الحبوب في نهاية موسم الحصاد، فيدفع الشداد (الحرّاث) حصة الناطور قبل تخزين حبوبه أو نقلها عن أرض البيدر.[١٥٢]

إن الأمر المهم في تكوين مجالس الإدارة سواء في اللواء أو في الأقضية أو في النواحي هو مساهمة الطائفتين المسيحية واليهودية فيها إلى جانب المسلمين. ويدل هذا على تغير السياسة العثمانية بالنسبة إلى رعاياها من غير المسلمين عقب صدور التنظيمات التي حررتهم من القيود السابقة المفروضة عليهم، وسمحت لهم بالمشاركة في الوظائف الإدارية في الدولة. فكان المسيحيون ممثلين في مجالس الإدارة في اللواء والأقضية والنواحي بنسبة أعدادهم في كل منها، بل إن عدد المسيحيين زاد على عدد المسلمين في مجلس إدارة قضاء الناصرة سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، فكان يمثل المسيحيين عضوان بينما مثّل المسلمين عضو واحد فقط.[١٥٣] كما شارك اليهود في مجالس إدارة الأقضية التي وجدوا فيها، فكان يهودا طوليداي عضواً في مجلس إدارة قضاء طبرية،[١٥٤] وموسى لاوي ابن الحاخام إسحاق لاوي عضواً في مجلس إدارة قضاء حيفا.[١٥٥]

وقد كان معظم أعضاء مجالس الإدارة في اللواء والأقضية والنواحي من أبناء العائلات الغنية والمتنفذة. فكان درويش آغا وعبد الغني بيضون، من أثرياء عكا، عضوين في مجلس إدارة لواء عكا،[١٥٦] وكان ناصر الداود، من أثرياء شفا عمرو، عضواً في مجلس إدارة ناحية شفا عمرو،[١٥٧] وكان عبد الله أفندي

(١٥٢) Samuel Bergheim, «Land Tenure,» *PEF*, 1894, p. 196.
(١٥٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨١.
(١٥٤) المصدر نفسه، ص ١٨٣.
(١٥٥) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٨، ن ٧٢، ٢٨ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩١٥م.
(١٥٦) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤؛ س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٢٩٩، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ/ ١٩ أيار (مايو) ١٩١١م.
(١٥٧) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٦؛ س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٧٣١، ٢٥ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٩ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

الماضي ومصطفى الخليل عضوين في مجلس إدارة قضاء حيفا.[(١٥٨)]

كما جمعت الدولة في مجالس الإدارة بين موظفي الحكومة، مثل المتصرف، والقائمقام، والمحاسب، وكاتب التحريرات، والأعضاء المنتخبين الذين يمثلون السكان بطوائفهم المتعددة، إذ إنها أرادت إشراك ممثلي السكان في اتخاذ القرارات المتعلقة بألويتهم أو أقضيتهم أو نواحيهم مع تفوق عددي لمصلحة ممثلي الحكومة فيها بنسبة ٥ : ٤ في مجالس إدارة اللواء والأقضية، علماً بأن قرارات مجالس الإدارة تُتخذ بالأغلبية. وإذا تساوت الأصوات فإن الأكثرية تكون في الجهة التي يقف إلى جانبها رئيس المجلس.[(١٥٩)]

كما اتخذ نظام الإدارة العثمانية من الملكية ودفع الضرائب أساساً للترشيح للمجالس الإدارية، وأساساً للمشاركة في انتخابها. فاشترط القانون في أعضاء مجالس الإدارة أن يكونوا من أصحاب الأملاك والعقارات، كذلك اشترط على الذين يحق لهم انتخاب أعضاء مجالس الإدارة أن يكونوا ممن يدفع أكثر من ١٠٠ قرش ضريبة ويركو، وبهذه الشروط حُرمت فئات كثيرة من المجتمع حق ترشيح نفسها لعضوية المجالس الإدارية أو المشاركة في انتخاباتها.

و) الإدارة الدينية

١ ـ المفتي:

كان الإفتاء من الوظائف الدينية المهمة في العصر العثماني، ولم يعطَ المفتي راتباً رسمياً، وهو يتبع شيخ الإسلام في العاصمة. وكان المفتي عضواً طبيعياً في مجلس إدارة اللواء ومجلس إدارة القضاء،[(١٦٠)] ومهمته إبداء الرأي في المسائل الفقهية عند استشارته فيها.[(١٦١)]

وقد أظهرت السجلات أن المفتي يخاطَب بألقاب كثيرة، مثل عمدة

---

(١٥٨) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٦، ن ٢٦، ١١ شوال ١٣٢٥هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م؛
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٨٠.

(١٥٩) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٦.

(١٦٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤، ١٤١؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٥، ١٧٨، ١٨١.

(١٦١) دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

الكرام،[(١٦٢)] وفضيلتو،[(١٦٣)] وصاحب الفضيلة،[(١٦٤)] ومكرمتلو.[(١٦٥)]

إضافة إلى الإفتاء، قام المفتي بأعمال أُخرى، فنجد، مثلاً، أن مفتي حيفا محمد أفندي مراد أجرى عقد زواج الدكتور سليم صبري بن حسين أفندي بن درويش من أهالي دمشق الشام، والمقيم بحيفا، على سنية ابنة صادق باشا.[(١٦٦)]

كما كان المفتي يحضر إلى المحكمة الشرعية ويُعرّف بالأعيان من السكان. ونجد في إحدى الحجج أن مفتي حيفا محمد سعيد أفندي ابن الشيخ عبد الله حضر إلى المحكمة الشرعية وعرّف بكل من صاحب العطوفة صادق باشا متصرف لواء الكرك، وسليم بك بن الريس جريس من طائفة الروم الأورثوذكس المتوطن في الناصرة.[(١٦٧)]

كذلك عمل بعض المفتين وكلاء لبيع العقارات والأملاك. فنجد في إحدى الحجج أن رقية خانم كريمة الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الرحمن السهلي وكّلت مفتي حيفا الشيخ محمد أفندي مراد بن عبد الرحمن بيع حصتها التي ورثتها عن أبيها.[(١٦٨)]

وفي الجدول التالي أسماء بعض المفتين في اللواء والسنوات التي كانوا فيها في وظائفهم كما أشارت إليها المصادر:[(١٦٩)]

---

(١٦٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(١٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٤، ن ١١٢، ٢٧ شوال ١٣٠٨هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(١٦٤) س ح، ش ١، س ٣، ص ٩٢، ن ٩٥، ١ رجب ١٣٢٨هـ/ ٩ تموز (يوليو) ١٩١٠م.

(١٦٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٩٠، ن ٥٦، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ٢ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(١٦٦) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٩٢، ن ٦٥، ١ رجب ١٣٣٠هـ/ ١٦ حزيران (يونيو) ١٩١٢م.

(١٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١١هـ/ ٢٦ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(١٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦١، من دون نمرة، ١٣ محرم ١٣٣٢هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

(١٦٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٩٢، ن ٦٥، ١ رجب ١٣٣٠هـ/ ١٦ حزيران (يونيو) ١٩١٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م؛
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٣، ١٧٤.

الجدول رقم ٢ ـ ١٣

اسم المفتي	المدينة	السنة
علي أفندي	عكا	١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م
عبد الكريم أفندي	صفد	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
أسعد الشقيري	عكا	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
الحاج علي	عكا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
سعيد الخطيب	حيفا	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
يوسف الفاهوم	الناصرة	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
الشيخ سليم أفندي	صفد	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
عبد السلام أفندي	طبرية	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
عبد الله الجزار	عكا	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
عبد السلام أفندي	طبرية	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
محمد سعيد أفندي	صفد	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م
محمد سعيد بن عبد الله الخطيب	حيفا	١٣١٩هـ/ ١٩٠١م

٢ ـ القاضي (النائب الشرعي):

حدّت التنظيمات والقوانين والإصلاحات التي أصدرتها الدولة العثمانية من صلاحيات القاضي، وعُهد إلى موظفين مدنيين في القيام ببعضها. فمثلاً، مُنح مفتشو الضابطة بموجب تعليمات وظائف الضابطة الصادرة في ٢٣ ربيع الأول ١٢٨٤هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٦٧م حق مراقبة الأسعار والأوزان ومعاقبة المتلاعبين بالمواد الغذائية كالخبز واللحوم بقصد الغش أو بداعي الإهمال.[١٧٠]

كما أن تشكيل المحاكم النظامية الجديدة وتحديد اختصاص المحاكم الشرعية حدّا كثيراً من سلطة القاضي.[١٧١] ولذلك اقتصرت مهمة القاضي على النظر في الأحوال الشخصية، مثل الزواج والطلاق والنفقة والإرث وتعيين الأوصياء وتقسيم التركات.[١٧٢] كما أن تسجيل عمليات بيع العقارات والأراضي كان يتم في المحكمة الشرعية على الرغم من أن إعلان نظام الطابو نقل صلاحية تسجيل بيع

(١٧٠) عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥.

(١٧١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٣٥؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٦؛ نوفل، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ١٧٧ ـ ١٨١.

(١٧٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٢، ن ١٧٧، ٤ جمادى الثانية ١٣١١هـ/ ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٣م.

العقارات إلى دائرة الطابو، فكانت عملية البيع تجري في المحكمة وتحوّل عملية فراغ الأرض وتسجيلها إلى دائرة الطابو.[١٧٣] وكان القاضي يوافق على تعيين الوعاظ والمدرسين في المساجد.[١٧٤] وكان يخاطَب بـ «سيدنا، ومولانا قدوة العلماء وسلالة الأماجد الفخام صاحب الفضيلة»،[١٧٥] أو بـ «مولانا وسيدنا حاكم الشريعة الغرا وعمدة العلماء والمدرسين العظام، وقدوة السادات الكرام.»[١٧٦]

وكان القاضي يعقد مجلسه في المحكمة الشرعية، فتشير إحدى الحجج إلى المجلس الشرعي الذي عقد في محكمة قضاء حيفا الشرعية.[١٧٧] لكن القاضي كان يعقد مجلسه، أيضاً، في أماكن أُخرى خارج المحكمة الشرعية، وخصوصاً في بيوت الأثرياء وذوي النفوذ وكبار المسؤولين، فنجد إشارة إلى المجلس الشرعي الذي عقد في بيت صاحب الرفعة عبد الله أفندي الماضي،[١٧٨] وإلى المجلس الشرعي الذي عقد في دار عبد الله شبلاق في الجهة الغربية من حيفا،[١٧٩] وإلى المجلس الشرعي الذي عقد في الدار المعروفة بملك الخواجات سليم أفندي والياس أفندي الأبيض الكائنة في باطن حيفا في محلة حكيم،[١٨٠] وإلى المجلس الشرعي الذي عقد في دار صاحب المعزة جمال بن صادق باشا.[١٨١]

(١٧٣) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٥١ ـ ٦٤.

(١٧٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٦٥، ١٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(١٧٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠، ن ٢١، ١٥ شعبان ١٣٠٥هـ/ ٢٧ نيسان (أبريل) ١٨٨٨م.

(١٧٦) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٦٥، ١٦٦، ن ١٦٩، ١٠ ذو القعدة ١٣٢٣هـ/ ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦م.

(١٧٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٢٢، ن ٩٣، ٥ محرم ١٣٣٦هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧م.

(١٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٩٦، ن ٢٦، ١١ شوال ١٣٢٥هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(١٧٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٥٠٢، ٣ ذو القعدة ١٣٣٣هـ/ ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٥م.

(١٨٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٠، ن ٢٥١، ٨ شعبان ١٣٠٦هـ/ ٩ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م.

(١٨١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧١، ن ٧٨٦، ١٤ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٦ آب (أغسطس) ١٩١٤م.

كما أن اختلاف الأديان لم يمنع القاضي من أن يعقد مجلسه في بيوت المسيحيين والبهائيين واليهود. فأشارت السجلات إلى المجلس الشرعي الذي عقد في دير راهبات الناصرة،[182] وإلى المجلس الشرعي الذي عقد في دار صاحب السماحة عباس أفندي البهائي،[183] وإلى المجلس الشرعي الذي عقد في البنك الألماني في حيفا.[184]

وكان القاضي يعقد مجلسه في القرى أيضاً، فتشير إحدى الحجج إلى المجلس الشرعي الذي عقد في بيت عبد الرزاق بن محمود العصفور في قرية عين غزال في قضاء حيفا.[185]

كان القاضي يعيّن نواباً له في النواحي التابعة للأقضية. فأشارت السجلات إلى وكيل المجلس الشرعي في ناحية قيسارية الذي عقد مجلساً شرعياً في قرية عين حوض.[186] وتشير حجة أُخرى إلى المجلس الشرعي الذي عقد في ناحية قيسارية التابعة لقضاء حيفا بإشراف وكيل القاضي في قيسارية الشيخ عبد الفتاح سلوم.[187]

ويشير الجدول التالي إلى أسماء عدد من القضاة في حيفا، والسنة التي كانوا فيها في عملهم:[188]

(١٨٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٧٣١، ٢٥ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٩ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(١٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٦، ن ٦١٠، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٤، ن ٥٨٥، ٩ صفر ١٣٣٢هـ/ ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٨٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦٣، ن ٣٦٧، ٢٦ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/ ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م.

(١٨٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١١٥، من دون نمرة، ٨ ربيع الثاني ١٣١١هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٣م.

(١٨٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٨، ن ٧٠، ٢٠ صفر ١٣١٠هـ/ ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢م.

(١٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٢، ن ٣٣، ١٧ شوال ١٣١٠هـ/ ٤ أيار (مايو) ١٨٩٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٧، ن ٥٥، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

الجدول رقم ٢ ـ ١٤

محمد نور الدين أفندي الحسيني، (انتهى عمله)	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م
عبد الفتاح أفندي سلوم، (بدأ عمله)	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م
محيي الدين أفندي سلهب	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
صالح أفندي السهلي التميمي	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
سعد بن أبي وقاص	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
أحمد صائب أفندي	١٣١١هـ/ ١٨٩٣م
إسحاق روحي	١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م

وعمل إلى جانب القاضي عدد من الموظفين أهمهم كاتب المحكمة الشرعية الذي كان يلقب بالباشكاتب أو محضر المحكمة،[189] وممن شغل هذه الوظيفة محمد أفندي ابن عبد الفتاح ابن الحاج ياسين آغا الطه.[190] وفي الجدول التالي أسماء عدد من الذين عملوا في وظيفة كاتب في المحكمة الشرعية في حيفا:[191]

الجدول رقم ٢ ـ ١٥

صالح ابن الشيخ محمد شقير	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
عبد الرحمن أفندي السهلي	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م
محمد أفندي حسن	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
محمود أفندي شقير	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م
محمود ابن الحاج أحمد أبي العلا	١٣١٠ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٩٢ ـ ١٩٠٥م
محيي الدين ابن حسن الملاح	١٣٢٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩٠٥ ـ ١٩١٦م

٣ ـ الإمام:

من مهمات الإمام أن يؤم المسلمين في الصلاة، ويدفن الموتى، ويحفظ

(١٨٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٩، ن ٨٥، ٩ شوال ١٣٣٤هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(١٩٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١١٧، ن ١٠٠٤، ٩ ذو الحجة ١٣٣٦هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٨م.

(١٩١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦٩، ن ١١، ٩ رجب ١٣١٠هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٧، ن ٥٥، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

الحسابات العامة للقرية.[١٩٢]

ويظهر من السجلات الشرعية أن لكل محلة من محلات المدينة إماماً خاصاً. فأشارت إلى الشيخ عبد الرحمن السهلي إمام المحلة الشرقية في حيفا،[١٩٣] وإلى الشيخ محمد توفيق بن سليم العنبتاوي إمام المحلة الغربية في حيفا.[١٩٤]

وكانت الإمامة في محلتي حيفا الشرقية والغربية محصورة في عائلتي السهلي والخطيب، وتشير إحدى الحجج إلى الشيخ عبد الواحد أفندي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محمود الخطيب إمام المحلة الغربية، وإلى الشيخ عبد الرحمن أفندي السهلي إمام المحلة الشرقية.[١٩٥] وكان إمام المحلة ينوب عن القاضي في إجراء عقود النكاح. فتذكر إحدى الحجج أن القاضي أصدر أمراً إلى إمام المحلة الغربية في حيفا هذا نصه: «صاحب المكرمة الشيخ عبد الواحد الخطيب أجر نكاح مصطفى بن سليمان من أهالي حيفا على مخطوبته خديجة خانم بنت عبد الله الأسكوبي من حيفا.»[١٩٦]

وكان لكل قرية إمام خاص بها ينوب عن القاضي في بعض المهمات، فكان يجري عقود النكاح في القرية، إذ تذكر إحدى الحجج: «صدر الإذنامة إلى إمام قرية أم الشوف بأن يجري عقد نكاح البنت خضرة بنت خضر الناشف من طيبة بني صعب على خطيبها مصطفى محمود من قرية أم الشوف.»[١٩٧]

كما كان لبعض القبائل والعشائر إمام، فأشارت السجلات إلى إمام قرية الغوارنة الشرقية،[١٩٨] وإلى إمام عرب الضمايرة.[١٩٩]

---

(١٩٢) Bergheim, *op.cit.*, p. 196.

(١٩٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٦، ن ٨٦، من دون تاريخ.

(١٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٥٣، ن ٦٣، ٢٣ ذو الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م.

(١٩٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٨، ن ١٣، ٢٥ شوال ١٣٢٧هـ/ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م؛

س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٣، ن ١٤٠، ١٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٣م.

(١٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٢٥، ن ٩٤، ٩ ذو القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢م.

(١٩٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٧٣، ن ٧٦، من دون تاريخ.

(١٩٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٦٧، ن ٥٩، من دون تاريخ.

(١٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٢٥، ن ٩٤، ٩ ذو القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢م.

٤ ـ نقابة الأشراف:

تضم نقابة الأشراف العائلات التي يثبت نسب أفرادها إلى الرسول ﷺ، أو إلى أحد الصحابة. واقتصر الأشراف في اللواء على عائلة السهلي التميمي الداري، ومقر هذه العائلة الرئيسي في قرية بلد الشيخ بالقرب من حيفا، وعلى عائلة الخطيب ومقرها مدينة حيفا. فأشارت السجلات الشرعية إلى الشيخ عبد الله ابن الشيخ صالح ابن عبد الرحمن ابن صالح الحاج صالح التميمي الداري السهلي نقيب أشراف عكا المقيم بحيفا.[٢٠٠] وأشارت حجة أُخرى إلى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محمود الخطيب نقيب السادة الأشراف في حيفا.[٢٠١] كما انتقل بعض الأشراف من مدن أُخرى للإقامة بحيفا، فأشارت السجلات إلى أسعد بن زيد القادرين من أشراف نابلس ومقيم بحيفا.[٢٠٢]

وتولى هؤلاء الأشراف الأعمال والوظائف الدينية، مثل الإمامة، والخطابة، والوعظ، والتدريس في المساجد.[٢٠٣]

إضافة إلى الوظائف الدينية الرسمية السابقة كان هناك وظائف دينية غير رسمية يتولى أصحابها الإشراف على التُرب والمزارات ومقامات الأولياء، وأهمها التربدار. وكان القاضي يعين التربدار الذي يتقاضى راتباً من الأوقاف المخصصة لهذه المقامات والزوايا. فمثلاً، قرر قاضي حيفا تعيين الشيخ عبد الله الشلبي خادماً وتربداراً لمقام ولي الله الشيخ عيسى، ومن مهماته أن يقوم بتنظيف المقام وصيانته من القاذورات واستقبال الزائرين والمترددين لاغتنام بركات الولي والدعاء للدولة العلية.[٢٠٤] وكان أحمد ابن عبد الله المصري تربدار مقام ولي الله الشيخ براق الكائن في قرية الصرفند.[٢٠٥]

وعُيّن الشيخ أسعد ابن الشيخ موسى ابن محمد ابن الشيخ حسين متولياً

---

(٢٠٠) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٨٩، ن ٥٠، ٨ محرم ١٣٢٠هـ/ ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٠٢م.

(٢٠١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٧٢، ن ٢٤، ٩ صفر ١٣٢٩هـ/ ٩ شباط (فبراير) ١٩١١م.

(٢٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٦٥، ن ١٤٠، ١٣ شوال ١٣٣١هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٢٠٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٧٠، ن ١٣٧، ٢٢ رمضان ١٣٢٨هـ/ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٠م.

(٢٠٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٧٨، ن ١، ٥ رجب ١٣٠٧هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٩٠م.

(٢٠٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١١٥، ن ٨٩، ٢٦ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٩٠٢م.

ومشرفاً على المحلات الموجودة في زاوية مقام الخضر في حيفا.(٢٠٦)

ز) المحاكم

وجد في اللواء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ثلاثة أنواع من المحاكم:

١ ـ المحاكم الشرعية:

تتبع هذه المحاكم مشيخة الإسلام التي تعين قضاتها وموظفيها الآخرين ويرئسها القاضي، وكانت تنظر في الدعاوى والقضايا المتعددة. لكن إنشاء المحاكم النظامية والتجارية حد من صلاحية المحاكم الشرعية،(٢٠٧) وقصر مهمتها على النظر في القضايا المتعلقة بالوقف، والتركات، والزواج، والطلاق، والإرث، والنفقة.(٢٠٨)

٢ ـ المحاكم التجارية:

تتبع هذه المحاكم وزارة العدلية وقد صدر نظام المحاكم التجارية في العاشر من ربيع الثاني ١٢٨٧هـ/الحادي عشر من تموز (يوليو) ١٨٧٠م، ومهمتها معالجة القضايا والخلافات التجارية وإجراء المحاكمات بشأن هذه الخلافات.(٢٠٩)

ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا كانت المحكمة التجارية سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م تتألف من الرئيس سعد الدين أفندي، ومن خمسة من الأعضاء الدائمين هم: أمين صفدي، وجاكي الخوري، والباشكاتب رجب أفندي، والكاتب قاسم أفندي، والملازم سعيد أفندي، ومن أربعة أعضاء منتخبين: ثلاثة من المسيحيين هم سليم دلال ونقولا زكي والياس بحوث، وعضو مسلم هو أحمد عبدو.(٢١٠)

---

(٢٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٥٠، ن ٢٠٨، ١٧ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٥م.

(٢٠٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ١٧٣ ـ ١٧٦، ٥٣٥ ـ ٥٧١؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

(٢٠٨) أنظر أعلاه، ص ٧٨ ـ ٨٤.

(٢٠٩) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٥٣٥ ـ ٥٧١؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣؛ إحسان النمر، «تاريخ جبل نابلس»، ج ٣، ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٢١٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٥.

ويظهر أن المحكمة التجارية ألغيت في اللواء فيما بعد، فلم تشر سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م إلى وجود مثل هذه المحكمة.(٢١١)

٣ ـ محاكم البداية:

وهي على نوعين: محكمة بداية الحقوق، وكانت إدارة هذه المحكمة تتألف من النائب الشرعي (القاضي) رئيساً، ومن ثلاثة أعضاء من المسيحيين وعضو من المسلمين سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.(٢١٢) وأصبحت سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م تتألف من النائب الشرعي رئيساً ومن ثلاثة من الأعضاء المسلمين فقط.(٢١٣) أمّا محكمة بداية الجزاء، وهي النوع الثاني، فكانت تتألف، سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، من الرئيس محمد صفوت ومن ثلاثة أعضاء من المسلمين فقط،(٢١٤) بينما بقيت في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م تتألف من شاكر أفندي رئيساً ومن ثلاثة أعضاء: اثنين من المسلمين وعضو واحد من المسيحيين.(٢١٥)

بالإضافة إلى محكمة البداية في مركز اللواء كان هناك محكمة للبداية في مركز كل قضاء من أقضية اللواء الخمسة وتتكون هذه المحكمة من رئيس، ومن ثلاثة من الأعضاء الطبيعيين وثلاثة من الأعضاء المنتخبين.(٢١٦)

---

(٢١١) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٥ ـ ١٨٥.

(٢١٢) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٥؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.

(٢١٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٦.

(٢١٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٥.

(٢١٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٦.

(٢١٦) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٠، ١٤١؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥؛ س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١١٢، ن ٨٦، ١٢ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ/ ١٩ تموز (يوليو) ١٩٠٢م.

الفصل الثالث
السكان

أولاً: أعداد السكان

أ) سكان اللواء

اختلفت المصادر في تقدير أعداد السكان وطوائفهم في اللواء، فمثلاً ذكرت سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م أن عدد اليهود بلغ نحو ٤٦٦ نسمة،(١) بينما بالغ فيتال كونت (Vital Cuinet)، سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، في عددهم، في الوقت الذي قلل أعداد الطوائف الأُخرى وخصوصاً المسلمين، إذ ذكر أن عدد اليهود في قضاء عكا بلغ نحو ٢٠٦٦ نسمة، في الوقت الذي أجمع معظم الإحصاءات الأُخرى على أنهم أقل من ذلك كثيراً.(٢) وقد أراد فيتال كونت أن يظهر أن اليهود يشكلون نسبة عالية من السكان.

كما أن أعداد السكان التي يقدمها الرحالة الأجانب مبنية على التقدير والتخمين لا على أسس علمية، لذلك يصبح الوصول إلى حقيقة أعدادهم وزيادتهم السنوية أمراً صعباً. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الإحصاءات تفيد في معرفة التغيرات التي طرأت على السكان زيادة ونقصاناً.(٣)

ويبين الجدول التالي عدد السكان في اللواء في سنوات محددة، في الفترة ١٢٩٦ـ١٣٤١هـ/ ١٨٧٨ـ١٩٢٢م، موزعين بحسب طوائفهم الدينية:(٤)

---

(١) Justin McCarthy, *Population*, p. 50.

(٢) *Ibid.*, p. 59.

(٣) Karl Baedeker, *Palestine*, p. 253.

(٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٢٠٢؛
McCarthy, *op.cit.*, pp. 47-62;
Schumacher, «Population,» *PEF*, 1887, pp. 169-191;
B. Barron, *Census of 1922*, p. 36.

الجدول رقم ٣ ـ ١

المصدر	السنة	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع الطوائف المسيحية	الدروز	البهائيون الفرس	الشيعة	الأجانب	المجموع العام
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	٢٩٤٣٦			١٥١٧١	غيـر مسلـمـيـن				-	-	-	-	٤٤٦٠٧
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	٢١٩٥١	٢٩٩	٢٥٤٢	٢٤٢٠	٣٥٠	٢٩٨	٦٤٤	٦٢٥٤	٢٧٥٢	٤١١٢ بدو		-	٣٥٣٦٨
سالنامة ولاية سوريا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦م	٥٠١٩٢	٤٦٦	٥٨٥١	٣١٥١	٢٨٤	١٤٦٢	٥١٥	١٤٣٨١	٢٢٦٥	٣١١٨	أرمـن كـاثـولـيـك		٦٧٢٩٤ [٦٧٣٠٤]*
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	١٠٣٤٧٠	١٦٣٠٠	-	-	-	-	-	٢٥٨٢٥	٧٣٦٠	٢٠ فرس	-	٧٦٥ أجانب	١٥٣,٧٤٠
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	٥٨٨٤٠	١٦١٨	٦٤٩٧	٦٧٨٩	٤٣٣	١٧٠٥	-	١٥٤١٦	-	-	-	-	٧٥٨٨٢
فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	٢٥٣٦٢	٢٠٦٣٧	٥٥٩٦	٩٧٤٥	٢٤٥	٩٤٧	١٨٢٨	١٨٣٦١	١١٧٥	-	٢٨٠	١١٦٠	٦٦٩٧٥
سالنامة ولاية بيروت	١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م	٦٩٥٢٤	٦٨٤٢	٧٨٨٩	٧٤٠٢	٥٤٢	٢٠٢٦	١٤٧٢	١٩٣٣١	-	-	-	-	٩٥٦٩٧
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	٧١٣٠٢	٨٠٠٣	٤٩٠٣	٧٨٦١	٤٤٧	٤٤٩	١١٦٦	١٤٨٧٦					٩٤١٨١
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م	٦٣٤٣٣	٦٣٠٣	٣٠٩١	٦٧٦٧	٣٩٣	١٤٦٦	١١٨٥	١٢٩٣٢					٨٢٦٦٨ [٨٢٦٣٨]**
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	١٠٤١٧٦	١٩٦٧٢	-	-	-	-	-	٢٦٩١٣	٧٠٠٦	٢٦٤	١٥٣	-	١٥٨١٨٤

* المجموع النهائي لسكان لواء عكا وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦م هو ٦٧,٣٠٤ نسمات لا ٦٧,٢٩٤ نسمة.

** المجموع النهائي للسكان وفقاً لإحصاء النفوس العثماني لعام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م هو ٨٢,٦٣٨ نسمة لا ٨٢,٦٦٨ نسمة.

شكّل المسلمون وفقاً لهذا الجدول أغلبية السكان في اللواء، وجميعهم من السُنّة ما عدا أقلية شيعية مكونة من ٢٨٠ نسمة تقيم بقرية البصة في قضاء عكا.[٥] بينما شكّل المسيحيون نحو ثلث السكان بأغلبية من الكاثوليك والأورثوذكس، وأقليات من اللاتين والموارنة والبروتستانت، وشكل اليهود والدروز بقية السكان.

تظهر المقارنة بين سالنامتي سوريا لعام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م ولعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م أن السكان تناقصوا خلال عامين نحو ٩٢٣٩ نسمة عندما انخفض عددهم من ٤٤,٦٠٧ نسمات إلى ٣٥,٣٦٨ نسمة، ثم تضاعف عددهم إلى ٦٧,٢٩٤ نسمة وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦م. وتعود هذه الزيادة إلى هجرة الجزائريين والبوسنيين والشركس واليهود إلى اللواء. وتظهر المقارنة بين الإحصاءات العثمانية الأخرى زيادة في عدد السكان أحياناً وانخفاضاً في أحيان أُخرى. فبينما ذكرت سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ـ١٩٠٥م أنهم نحو ٩٤,١٨١ نسمة، ذكر إحصاء النفوس العثماني لعام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م أنهم نحو ٨٢,٦٦٨ نسمة بفارق نحو ١١,٥١٣ نسمة.[٦] ويعود هذا الانخفاض إلى وفاة عدد كبير من السكان بسبب الأمراض والأوبئة التي كانت تصيبهم فتؤدي إلى وفاة المئات منهم، بالإضافة إلى هجرة بعضهم إلى خارج اللواء.[٧]

كما تظهر المقارنة بين الإحصاءين العثماني الأول لعام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م وإحصاء النفوس لعام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م أن عدد السكان ارتفع في اللواء من ٧٥,٨٨٢ نسمة إلى ٨٢,٦٦٨ نسمة بزيادة تبلغ ٦٧٨٦ نسمة خلال عشرين عاماً، أي بزيادة ٠,٤٪ سنوياً.

أمّا المقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، والإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، فتبين أن اللواء شهد زيادة سكانية محدودة تقدر بنحو ٤٤٤٤ نسمة، أي بزيادة سنوية تبلغ ٠,٠٥٪.

لم تقتصر الزيادة السكانية على طائفة من دون أُخرى. فازداد عدد المسلمين من ٢٩,٤٣٦ نسمة سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م ووصل إلى ٦٣,٤٣٣ نسمة وفقاً لإحصاء النفوس العثماني سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م وإلى ١٠٤,١٧٦ نسمة وفقاً للإحصاء البريطاني. وقد شكّل المسلمون نحو ٦٧,٣٪ من السكان في إحصاء

(٥) Barron, *op.cit.*, p. 36.

(٦) McCarthy, *op.cit.*, p. 12.

(٧) أنظر أدناه، ص ١٢٨ ـ ١٤٤.

شوماخر، ونحو ٧٥,٧٪ من السكان وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م، ونحو ٦٥,٨٪ وفقاً للإحصاء البريطاني. كما اختلفت أعداد المسيحيين من مصدر إلى آخر وتناقصت أعدادهم في بعض الإحصاءات وزادت في إحصاءات أخرى. ويبين الجدول التالي أعداد المسيحيين في لواء عكا في سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وسنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م:

الجدول رقم ٣ ـ ٢

الطائفة / السنة	الأورثوذكس	الأرمن	الكاثوليك	البروتستانت	اللاتين	الموارنة	المجموع
١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م	٧١٦٣	-	٨٢٤٠	٤٨١	١٧٣٦	١٤٦٣	١٩٠٨٣
١٣٣١هـ/ ١٩١٢م	١١٤٥٩	٥	١٣٢١٢	٩٣١	٢٨١٥	١٩٩٤	٣٠٤١٦

وتضاعفت أعداد اليهود في اللواء مرات عدة، فكان عددهم وفقاً للإحصاء العثماني الأول سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م نحو ١٦١٨ نسمة. وازداد هذا العدد ووصل إلى ٦٣٠٣ نسمات في إحصاء النفوس العثماني سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م، إلاّ إن اللافت للانتباه هو عدد اليهود المتدني بصورة كبيرة في سالنامتي ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م، ولعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦م، إذ أشارت الأولى إلى أن عدد اليهود بلغ ٢٩٩ نسمة، وذكرت الثانية أن عددهم بلغ ٤٦٦ نسمة فقط، وذلك بأن اليهود، في تلك الفترة، كانوا يُخفون أعدادهم الحقيقية في فلسطين، بصورة عامة، خوفاً من إثارة انتباه السلطات العثمانية التي كانت تحاول منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.[٨]

ب) سكان الأقضية

تفاوتت أعداد السكان في اللواء من قضاء إلى آخر، ومن فترة إلى أُخرى، كما اختلفت أعدادهم من إحصاء إلى آخر بصورة واضحة. ويوضح الجدول رقم ٣ـ٣ تطور أعداد السكان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في أقضية اللواء الخمسة.[٩]

ويتضح من الجدول أن قضاء عكا ضم أكبر عدد من السكان، ثم تلته أقضية

(٨) سمير أيوب، «وثائق أساسية»، ص ٥٦.

(٩) Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191; McCarthy, *op.cit.*, pp. 47-62; رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ١٢٧.

حيفا وصفد والناصرة، بينما ضم قضاء طبرية أقل عدد من السكان قياساً ببقية الأقضية بسبب ارتفاع درجة الحرارة فيه صيفاً وقلة الأمطار، وانتشار البدو الذين كانوا دائمي الإغارة على الفلاحين وقراهم، إضافة إلى انتشار الأمراض والأوبئة كالحمى والملاريا.[١٠]

ويغلب التناقض وعدم الدقة على هذه الإحصاءات، ولذلك يصعب الوصول إلى نسب حقيقية للزيادة السنوية في أقضية اللواء، بل إن المقارنة بين إحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م والإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م تبين أن عدد السكان انخفض في قضاءي عكا وصفد، وارتفع في ثلاثة أقضية هي حيفا وطبرية والناصرة. إذ ارتفع عدد السكان في قضاء حيفا من ٢٦,٠٩٠ نسمة إلى ٥٦,٤٥٧ نسمة، وهذا يعني أن السكان ازدادوا نحو ٣٠,٣٦٧ نسمة خلال ٣٦ عاماً.[١١] كما ازداد عدد السكان في قضاء طبرية من ١٧,٣٤٠ نسمة إلى نحو ٢٠,٧٢١ نسمة، بينما انخفض عدد السكان في قضاء عكا من ٣٩,٥٦٠ نسمة إلى ٣٥,٥٣٥ نسمة، كما انخفض عدد السكان في قضاء صفد من ٥٢,٠٣٥ نسمة إلى أقل من النصف، إلى نحو ٢٢,٧٩٠ نسمة. وهذا يعني أن سكان قضاء صفد نقصوا نحو ٢٩,٢٤٥ نسمة خلال ٣٦ عاماً.

الجدول رقم ٣ ـ ٣

قضاء عكا

المصدر	السنة	المسلمون	الدروز	اليهود	المسيحيون	المجموع
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ـ١٨٧٩م	٩٥٣٦			٤٥٧٠ غير مسلمين	١٤١٠٦
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ـ١٨٨١م	٦٦٦٢	١٥٠٧ ١٤٧٠ بدو	٥٣ بدو	٢٨٩٣	١٢٥٨٥
سالنامة ولاية سوريا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥ـ١٨٨٦م	٢٨٢٥٦		١٣٠	٨٣٣٤	٣٦٧٢٠
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	٢٦٠٣٠	٤٠٧٠	١٤٠	٩٣٢٠	٣٩٥٦٠
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/ ١٨٩٣ـ١٨٩٤م	٢٠٠١٤		١٢٣	٦٤٧٣	٢٦٦١٠
سالنامة ولاية بيروت	١٣١١هـ/ ١٨٩٣ـ١٨٩٤م	٢٠٠٦٤		٤٧٣	٦٤٧١	٢٧٠٠٨

(١٠) أنظر أدناه، ص ١٦٨، ١٨٨ ـ ١٩١.

(١١) أحد أسباب هذه الزيادة الكبيرة في عدد سكان قضاء حيفا هو أن بريطانيا ضمت إليه ناحية شفا عمرو التي كانت تتبع قضاء عكا. أنظر: Barron, *op.cit.*, pp. 1-20.

تابع قضاء عكا

فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	٨٥٠٨	٢٥٣	٢٠٦٦	٣٨٢٤ ١١٠ أجانب	١٤٧٥٣ [١٤٧٦١]*
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/١٩٠٤ـ١٩٠٥م	٢٦٧٧٩		٩٤	٨١٨٠	٣٥٠٥٣
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/١٩١١ـ١٩١٢م	٣١٨٠٠		١٠٦	٨٩٤٦	٤٠٣٥٢ [٤٠٨٥٢]**
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/١٩١٥ـ١٩١٦م	٣٢٢٤١		١٠٥	٨٩٧٦	٤١٣٢٢
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	٢٤٩٢٥	٤٠١٤	١٤٤ ١٠٥ بهائيين	٦١٩٤ ١٥٣ متاولة (شيعة)	٣٥٥٣٥

* العدد الصحيح لمجموع السكان وفقاً لفيتال كونت هو ١٤,٧٦١ نسمة لا ١٤,٧٥٣ نسمة.

** العدد الصحيح لمجموع السكان وفقاً لإحصاء النفوس العثماني هو ٤٠,٨٥٢ نسمة لا ٤٠,٣٥٢ نسمة.

قضاء حيفا

المصدر	السنة	المسلمون	الدروز	اليهود	المسيحيون	المجموع
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	٣٥٠٠			١٢٧١ غير مسلمين	٤٧٧١
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	٤٧٣٦	٤٤٣ ٥٠٨ بدو	٩٧	٦١٢	٦٣٩٦
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	٢٠٢٦٠	١١٠٠	٦٨٥ ٧٦٥ أجنبياً	٣٢٨٠	٢٦٠٩٠
سالنامة ولاية بيروت	١٣١١هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	١٤٥٢٨	٤٠٧٠	١٠٥٢	١٩٥٦	١٧٥٣٦
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	١٣٩٣٥		٥٠٣	١٩٥٦	١٦٣٩٤
فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	٥٣٥٠	٤٢٢	٥٢٠٠	٤٣٠٦ ٤٥٠ أجنبياً	١٥٧٢٨
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	١٦٧٠٠		١٣٦٣	٢٤٠١	٢٠٤٦٤
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م	١٩٢٤٤		٩١٤	٣٣٠٢	٢٣٤٦٠
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/١٩١١ ـ ١٩١٢م	٢٣٤١٧		٢٤٣٩	٤٣٣٣	٣٠١٨٩
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/١٩١٥ ـ ١٩١٦م	٢٣٨٢٣	١٣٠٦ أغراب	١١١٧	٤٤٩١	٣٠٧٣٧
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	٣٤٥٢٨	١٩٢٥	٨٧٤٥ ١٥٢ بهائياً	١١١٠٧	٥٦٤٥٧

قضاء الناصرة

المصدر	السنة	المسلمون	آخرون	اليهود	المسيحيون	المجموع
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	٢٥٠٠		ـ	٢٢٢٢ غير مسلمين	٤٧٢٢
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	٣٨٩٩	١١٣ بدوياً	ـ	١٨٤٧	٥٨٥٩
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	١١٦٠٥		ـ	٧١١٠	١٨٧١٥
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	٦٨٤٨		ـ	٥٤٤٤	١٢٢٩٢
سالنامة ولاية بيروت	١٣١١هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	٦٦١٩		ـ	٥٣٨٥	١٢٠٠٤
فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	١٨٧٧	٥٠٠ أجنبي	١٤٠٠	٦٧٤٢	١٠٥١٩
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	٩٧٦٠		ـ	٧٠٩٦	١٦٨٥٦
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/١٩١١ ـ ١٩١٢م	١١٧٧٧		ـ	٨٤٧١	٢٠٢٤٨
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/١٩١٥ ـ ١٩١٦م	١٢٣١٣		ـ	٩١٤١	٢١٤٥٤
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	١٤٩٣٦	٢ بهائي	٧٠٠	٧٠٤٣	٢٢٦٨١
«المقتبس»	١٣٣١هـ/١٩١٢ ـ ١٩١٣م	١١٣٥٥		ـ	٨٣٥٣	١٩٧٠٨

قضاء صفد

المصدر	السنة	المسلمون	الدروز	اليهود	المسيحيون	المجموع
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	٨٠٠٠		ـ	٣٠٠٨ غير مسلمين	١١٠٠٨
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	٦٥٠٣	٨٠٢	٧٦	٨٢٥	٨٢٠٦
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	٣٠٦٤٠	٢٦٩٠	١٣٣٥٠	٥٣٥٥	٥٢٠٣٥
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	١٢٨٨٢		١٩٣	١٥٢٥	١٤٤٠٧ [١٤٦٠٠]*
فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	٧٣٧٦	٤٠٠ ١٠٠ أجنبي	٥٢٧١	٢٦٧٦	١٥٨٢٣
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	١٦١٧٩		٣٦٧١	٢٨٦٥	٢٢٧١٥
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م	١٨٨٩٢		٤١٤٦	٣٠٧٥	٢٦١١٣
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/١٩١١ ـ ١٩١٢م	٢٢٤٨١		٤٦٤٤	٣٤٧٧	٣٠٦٠٢
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	١٧٣٠٦	٣٨٧	٣٨٤٤	١٢٥٣	٢٢٧٩٠

* المجموع الكلي لسكان قضاء صفد هو ١٤,٦٠٠ نسمة لا ١٤,٤٠٧ نسمات كما ورد في الإحصاء العثماني الأول.

قضاء طبرية

المصدر	السنة	المسلمون	اليهود	المسيحيون	المجموع
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	٥٩٠٠	-	٤١٠٠ غير مسلمين	١٠٠٠٠
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	١٢٩٥+٩٠٧ بدو	٤٣	٧٧	٢٣٢٢
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	١٤٩٣٥+٢٠ بهائياً	٢١٢٥	٢٦٠	١٧٣٤٠
سالنامة ولاية بيروت	١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	٤٣٥١	٢٢٨٢	٢١٩	٦٨٥٢
الإحصاء العثماني الأول	١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	٥١٦١	٧٩٩	٢١٩	٦١٧٩
فيتال كونت	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	٢٢٥٩	٦٧٠٠	١٩٠٣	١٠٠٥٢ [١٠٨٦٢]*
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	٦٠٢٩	١٨٥٧	٣١٠	٨١٩٦
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧م	٦٣٨٧	٢٨١٩	٣١٨	٩٥٢٤
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م	٦٣٠٩	٣٩٨٤	٤٠٠	١٠٦٩٣
إحصاء النفوس العثماني	١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م	٨٤١٠	٣١٩٤	٤٢٣	١٢٠٢٧
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	١٢٤٨١+٦٨٠ درزياً	٦٢٣٩	١٣١٦+٥ بهائيين	٢٠٧٢١

* المجموع الكلي لسكان قضاء طبرية وفقاً لفيتال كونت هو ١٠,٨٦٢ نسمة لا ١٠,٠٥٢ نسمة.

وتظهر المقارنة بين الإحصاءات العثمانية زيادة سكانية مفاجئة وكبيرة في جميع أقضية اللواء في الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر، والسبب في ذلك هو الهجرة المستمرة إلى اللواء من خارجه، كما يبين الجدول التالي:

الجدول رقم ٣ ـ ٤

القضاء	سالنامة ولاية سوريا ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م	سالنامة ولاية سوريا ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م	الإحصاء العثماني الأول ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م	سالنامة ولاية بيروت ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	إحصاء النفوس العثماني ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م
عكا	١٤١٠٦	١٢٥٨٥	٢٦٦١٠	٣٥٠٥٣	٤٠٣٥٢
حيفا	٤٧٧١	٦٣٩٦	١٦٣٩٤	٢٠٤٦٤	٣٠١٨٩
الناصرة	٤٧٢٢	٥٨٥٩	١٢٢٩٢	١٦٨٥٦	٢٠٢٤٨
صفد	١١٠٠٨	٨٢٠٦	١٤٤٠٧	٢٢٧١٥	٣٠٦٠٢
طبرية	١٠٠٠٠	٢٣٢٢	٦١٧٩	٨١٩٦	١٢٠٢٧

وقد شكّل المسلمون أكثر من نصف السكان في جميع أقضية اللواء، وكانت أعلى نسبة في قضاء عكا. أمّا قضاء حيفا فشهد زيادة كبيرة في عدد السكان المسلمين وفقاً للإحصاء البريطاني، فازداد عددهم نحو ١٤,٢٦٨ نسمة في الفترة ١٣٠٤ ـ ١٣٤١هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٩٢٢م، ويعود ذلك إلى الانتعاش الاقتصادي في حيفا الذي شجع عدداً كبيراً من السكان على الهجرة إلى المدينة والإقامة بها، بالإضافة إلى أن بريطانيا ألحقت شفا عمرو وقراها بالقضاء. ويبين الجدول التالي عدد المسلمين ونسبتهم في أقضية اللواء وفقاً للإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م:(١٢)

الجدول رقم ٣ ـ ٥

القضاء	عدد السكان المسلمين	عدد سكان اللواء	نسبة المسلمين
عكا	٢٤٩٢٥	٣٥٥٣٥	٪٧٠,١٤
حيفا	٣٤٥٢٨	٥٦٤٥٧	٪٦١,١٦
طبرية	١٢٤٨١	٢٠٧٢١	٪٦٠,٢٤
الناصرة	١٤٩٣٦	٢٢٦٨١	٪٦٥,٨٦
صفد	١٧٣٠٦	٢٢٧٩٠	٪٧٥,٩١
المجموع	١٠٤,١٧٦	١٥٨,١٨٤	٪٦٥,٨

وضم قضاء عكا أكبر عدد من المسيحيين ثم تلاه قضاءا الناصرة وحيفا وبدرجة أقل قضاءا صفد وطبرية. وتظهر المقارنة بين إحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م والإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م انخفاض عدد المسيحيين في قضاءي عكا وصفد، إذ انخفض عددهم في قضاء صفد من ٥٣٥٥ نسمة إلى ١٢٥٣ نسمة، بتناقص قدره ٤١٠٢ نسمة، وتناقصوا في قضاء عكا من ٩٣٢٠ نسمة إلى ٦١٩٤ نسمة بتناقص قدره ٣١٢٦ نسمة. أمّا بقية الأقضية فشهدت زيادة محدودة في أعداد المسيحيين، إذ ازداد عددهم في قضاء حيفا من ٣٢٨٠ نسمة وفقاً لإحصاء شوماخر إلى ١١,١٠٧ نسمات وفقاً للإحصاء البريطاني، ويعود ذلك إلى انتقال المسيحيين إلى حيفا وإقامتهم بها.

وقد أجمعت الإحصاءات على عدم وجود اليهود في قضاء الناصرة، وعلى وجود عدد قليل منهم في قضاء عكا، ما عدا إحصاء فيتال كونت لسنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م الذي ذكر أن عدد اليهود بلغ نحو ١٤٠٠ نسمة في قضاء الناصرة و٢٠٦٦ نسمة في قضاء عكا. إلاّ إن أعداد اليهود ازدادت باستمرار في بقية الأقضية،

(١٢) Barron, *op.cit.*, pp. 1-9.

فارتفع عددهم في قضاء حيفا من ٦٨٥ نسمة وفقاً لإحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م إلى نحو ٨٧٤٥ نسمة وفقاً للإحصاء البريطاني. أمّا في قضاء طبرية فارتفع عددهم من ٢١٢٥ نسمة إلى ٦٢٣٩ نسمة بزيادة تبلغ ٤١١٤ نسمة.

ويعود الارتفاع المستمر في عدد اليهود إلى ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين من روسيا وبولندا والمغرب العربي، وإقبال اليهود على الإقامة بمدينتي صفد وطبرية اللتين يدّعون أنهما من المدن المقدسة عندهم. كما جذبت حيفا أعداداً متزايدة منهم بسبب الازدهار الاقتصادي الذي حققته في أواخر القرن التاسع عشر. وقد أنشأ اليهود عدداً من المستعمرات في الأقضية الثلاثة.

ج) سكان المدن

١ ـ حيفا:

بقيت حيفا حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر[١٣] قرية صغيرة قليلة السكان. ووصفها سيتزن (Seetzen)، سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م، بأنها قرية صغيرة وفقيرة. وقدر بكنغهام (Buckingham) عدد سكانها، سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م، بنحو ١٠٠٠ نسمة.[١٤]

بدأ عدد سكان حيفا يزداد، بالتدريج، منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخصوصاً في السبعينات والثمانينات منه، فذكر بطرس البستاني، سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، أن عدد سكان حيفا يبلغ ٤٠٠٠ نسمة، وأن موقعها التجاري وطيب هوائها شجعا الناس على القدوم إليها.[١٥]

كما ازداد سكان حيفا بصورة مستمرة بعد استيطان الألمان في المدينة، وانتعاش الحركة الاقتصادية فيها، ومد خط سكة الحديد بين حيفا ودمشق، وإقامة محطة سكة حديد الحجاز فيها،[١٦] فتضاعف عددهم ست مرات خلال أربعة وأربعين عاماً. وقد قدر نيهولت (Nijeholt) عدد سكانها، سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م،

---

(١٣) عدنان البخيت، «حيفا»، ص ١١٢ ـ ١٣٧؛ ألكس كرمل، «حيفا»، ص ٢٠ ـ ٧٠؛
Amnon Cohen, *Palestine*, pp. 137-144.

(١٤) Yehoushua Ben - Arieh, «Population,» *SPDOP*, p. 56; *E. J.*, Vol. 7, p. 1134.

(١٥) بطرس البستاني، «دائرة المعارف»، ج ٦، ص ٢٧٨.

(١٦) Laurence Oliphant, *Haifa*, p. 21; *Hand Book*, p. 512;
صحيفة «البشير»، العدد ١٠٥٢، ١ جمادى الثانية ١٣١٠هـ/٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢م، ص ١.

بنحو ٣٥٠٠ نسمة، وقدرهم شوماخر، سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، بنحو ٧١٦٥ نسمة، وكان تقدير بيدكر (Baedeker) سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م، نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة.[١٧] وتأتي هذه الزيادة الكبيرة في عدد السكان من الزيادة الطبيعية، ومن تدفق المهاجرين إلى المدينة من مناطق متعددة في الدولة العثمانية وأوروبا. كما انتقل إليها أناس من بيروت. فأشارت السجلات إلى محمد بن خليل الكعكي ابن الحاج محمد الكعكي البيروتي،[١٨] ومن طرابلس عزيز بن عبد الفتاح الميقاتي الطرابلسي،[١٩] ومن دمشق الدكتور سليم صبري بن حسين أفندي بن درويش الدمشقي.[٢٠] كما انتقل إلى حيفا أناس آخرون من صيدا وحماة وحمص وحاصبيا وزحلة وصور واللاذقية وصفد ونابلس وجنين[٢١] وغزة، ومن عكا التي شهدت ركوداً اقتصادياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الأمر الذي دفع عدداً من سكانها إلى الهجرة إلى حيفا. وذكرت صحيفة «البشير» خبراً عن انتشار الكوليرا في حيفا جاء فيه: «... وأقامت (البلدية) أناساً مخصوصين من أهالي غزة لنقل الأموات ودفنهم بعد تطهيرهم بالمطهرات القانونية.»[٢٢]

ولم تقتصر الهجرة إلى حيفا على سكان المدن فقط، بل انتقل إليها أيضاً سكان القرى المجاورة كقرية الطيرة التي كوّن المهاجرون منها حارة خاصة بهم تحمل اسم حارة أهل الطيرة. فأشارت السجلات إلى الدار الواقعة في حارة أهل الطيرة في حيفا.[٢٣]

---

(١٧) أنظر أدناه، ص ١٠٣، الجدول رقم ٣ ـ ٨؛ وانظر أيضاً: Baedeker, *op.cit.*, p. 230.

(١٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٣، ن ١٧٥، من دون تاريخ.

(١٩) س ح، ش ١، س ٣، ص ٩٠، ن ٥٦، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/٢ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(٢٠) س ح، ش ١، س ٣، ص ٩٢، ن ٦٥، ١ رجب ١٣٢٨هـ/٩ تموز (يوليو) ١٩١٠م؛
س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١٨، ن ١٦٨، ٢٤ جمادى الثانية ١٢٣٠هـ/١٠ حزيران (يونيو) ١٩١١م.

(٢١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٣، ن ٦٥، ٢٦ ذو القعدة ١٣٢١هـ/١٣ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(٢٢) صحيفة «البشير»، العدد ٢٠٨٧، ٢٣ ذو القعدة ١٣٢٩هـ/١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(٢٣) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٨٢، ن ٧٦، ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ/١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٥، ن ٢٢٠، ١٩ جمادى الثانية ١٣٠٦هـ/٢٠ شباط (فبراير) ١٨٨٩م.

كما شجع التطور الاقتصادي الذي شهدته حيفا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، سكان المدن الأخرى على الهجرة إليها والاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية. فهاجر إليها التجار من دمشق وبيروت ونابلس وجنين وطرابلس وعكا بحثاً عن فرص أفضل للاستثمار والتجارة. كذلك انتقل إليها السكان للعمل في الدوائر الحكومية الكثيرة التي تشكلت في المدينة. فأشارت السجلات، مثلاً، إلى أحمد بن الحاج خضر المحمصاني العثماني البيروتي معلم أول مكتب ابتدائي في حيفا.[٢٤]

ووفرت المشاريع الاقتصادية سواء الصناعية أو مشاريع المواصلات، وخصوصاً سكة حديد حيفا ـ دمشق، فرص العمل لعشرات من الموظفين والعمال الذين استقروا بحيفا. فأشارت إحدى الحجج الشرعية إلى نعيم أفندي بن سيف الله بن محمد خان من أهالي قطان المستخدم في دائرة التعميرات بالخط الحجازي، وإلى الحاج سليم بن أيوب أفندي بن عباس المستخدم بالخط الحجازي في حيفا.[٢٥]

ويبين الجدول التالي الذي تشكل من عينة من ١٥٦ نسمة من سكان حيفا، عدد المهاجرين إلى المدينة من المدن والقرى من اللواء وخارجه:[٢٦]

الجدول رقم ٣ ـ ٦

المدينة/ القرية	العدد	المدينة/ القرية	العدد	المدينة/ القرية	العدد
عكا	٣٣	حاصبيا	٣	اللاذقية	١
صيدا	١٨	إستنبول	٣	القنيطرة	١
بيروت	١٦	زحلة	٢	ولاية قطان	٢
الناصرة	١٠	بكاسين/ لبنان	٢	باطوم	٢
دمشق	٨	المزرعة/ عكا	٢	القدس	١
غزة	٦	يافا	٢	حماة	١

(٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ٧١، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٠م.

(٢٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٨، ن ٨١١، ٢٣ ذو القعدة ١٣٣٢هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٤م. أنظر أيضاً: كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩ ـ ٢٠٠.

(٢٦) أنظر مثلاً: س ح، ش ١، س ٢، ص ٢١، ن ٣٩، ٢١ رجب ١٣١٧هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٩م. وقد استثني من الجدول اليهود المهاجرون إلى حيفا لوجود دراسة بهم، أنظر أدناه، ص ١٧٧ ـ ١٨٨.

تابع الجدول رقم ٣ ـ ٦

صفد	٦	ولاية قسطمون	١	حمص	١
نابلس	٦	ولاية سيواس	١	طرابلس الشام	٥
ولاية بروسة	١	صور	٥	جزيرة أرواد	١
الطيرة	٥	جزيرة كريت	١	المجموع	١٥٦
مصر	٤	عرعرة/ حيفا	١		
شفاعمرو	٤	الكفرين/ لبنان	١		

يتضح من الجدول أن نسبة كبيرة من السكان المهاجرين إلى المدينة جاءت من المدن والقرى التابعة لولاية بيروت مثل عكا، وصيدا، وبيروت، والناصرة، ودمشق، ونابلس، وطرابلس، وانتقلت إليها أعداد أقل من مناطق بعيدة، مثل ولاية سيواس ومدينة باطوم، ومن إيران (البهائيون).[٢٧]

كما هاجرت جوال أوروبية إلى حيفا. فأشارت سجلات المحكمة الشرعية إلى مواطنين فرنسيين وإنكليز وأميركيين وإيطاليين.[٢٨] وكانوا تجاراً ورهباناً وعلماء آثار وأطباء. ويبين الجدول التالي عدد الأوروبيين[٢٩] وجنسياتهم وعدد الأميركيين في حيفا:[٣٠]

الجدول رقم ٣ ـ ٧

الجنسية	الإنكليز	الفرنسيون	الروس	النمساويون	الإيطاليون	اليونان	الأميركيون	السويسريون	المجموع
العدد	١٣	٨	٣	٣	٣	٢	١	١	٣٤

يبين الجدول أعلاه أن الإنكليز والفرنسيين كانوا يشكلون أغلبية الأجانب المقيمين بحيفا. أمّا الجدول رقم ٣ ـ ٨ أدناه، فيبين عدد السكان في حيفا

(٢٧) س ح، ش ١٤١، س ب، ص ٦، ن ٦٨، ٨ جمادى الأولى ١٣٢٥هـ/ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٠٧م.

(٢٨) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٩، ن ٢٦، ٢٣ صفر ١٣٢٥هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٢، ن ٢٣٢، ١٧ رجب ١٣٠٦هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٨٨٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٦، ن ٧١٢، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

(٢٩) استثني الألمان من هذا الجدول لوجود دراسة خاصة بهم. أنظر أدناه، ص ١٨٨ ـ ١٩٤.

(٣٠) الجدول مستخلص من سجلات المحكمة الشرعية في حيفا.

وطوائفهم الدينية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.[(٣١)]

ويُظهر الجدول أن عدد السكان في حيفا تضاعف عدة مرات بسبب الهجرة المستمرة إلى المدينة. فوفقاً لإحصاء نيهولت، سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، كان عدد سكان حيفا نحو ٣٥٠٠ نسمة، ووصل عددهم إلى ٧١٦٥ نسمة وفقاً لإحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. ويعني هذا أنهم تضاعفوا خلال ثمانية عشر عاماً بزيادة سنوية تبلغ ٤,٦٪. ثم أصبح عددهم ٢٤,٦٣٤ نسمة سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م وفقاً للإحصاء البريطاني، ويعني ذلك أنهم تضاعفوا ثلاث مرات خلال ٣٦ عاماً بزيادة سنوية تبلغ ٧,٩٪.

لم تكن الزيادة السكانية مقصورة على طائفة من دون الأُخرى، وإنما شملت الطوائف جميعها. فارتفع عدد المسلمين من ١٠٠٠ نسمة سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م إلى ٣٠٢٥ نسمة سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م وإلى ٩٣٧٧ نسمة سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م. إلاّ إن نسبتهم أخذت بالتناقص قياساً ببقية الطوائف، فشكّلوا ٤٧,٢٪ من مجموع السكان وفقاً لإحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ثم انخفضت نسبتهم إلى ٣٨٪ وفقاً للإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

وشكل المسيحيون في حيفا وأغلبيتهم من الكاثوليك والأورثوذكس نحو ٥٠٪ من عدد السكان وفقاً لإحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، وانخفضت نسبتهم إلى ٣٥,٧٪ وفقاً للإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ويعود ذلك إلى ازدياد عدد اليهود في المدينة، إذ كانت نسبة اليهود وفقاً لإحصاء شوماخر ٢,٧٪ وارتفعت إلى ٢٥,٢٪ وفقاً للإحصاء البريطاني.

(٣١) Claude Conder & H. H. Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 252;
Oliphant, *Haifa*, pp. 98-90;
Baedeker, *op.cit.*, pp. 230, 235, 246, 253;
Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 150;
Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191;
Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

الجدول رقم ٣ ـ ٨

المصدر	السنة	عدد السكان	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع المسيحيين	الدروز+البهائيون +الأجانب
بكنغهام	١٢٣٢هـ/١٨١٦م	١٠٠٠									
القنصل روجر	١٢٧٦هـ/١٨٥٩م	٣٠٠٠									
نيهولت	١٢٨٥هـ/١٨٦٨م	٣٥٠٠	١٠٠٠	١٢٥٠						١٢٥٠	
بيرليفن	١٢٨٦هـ/١٨٦٩م	٤١٩٤	١١٤٠	١٠٠٠						٢٠٥٤	
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/١٨٧١ـ١٨٧٢م	٢٣٠٠	١١٢٠	٤٠						١١٤٠	
كوندر	١٢٩٣هـ/١٨٧٦م	٤٠٠٠	١١٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٩٠٠ باقي المسيحيين				١٩٠٠	
أوليفانت	١٣٠٠هـ/١٨٨٢م	٦٠٠٠									
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	٧١٦٥	٣٠٢٥	١٧٥	٦٤٥	١٩٦٥	٣٠	٢١٠	٣٥٠	٣٢٠٠	٧٦٥ أجنبياً
فيتال كونت	١٣١٤هـ/١٨٩٦م	٩٩٠٨	٣٣٥٠	٢٢٠٠	٣٥	٣٢٠٠	٣٥	-	٢٢٣	٣٤٩٣	٤٥٠ بهائياً [٩٤٩٣]*
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/١٩٠٨م	٦٩٤٥	٣٦٣٥	١٢٥	٧٨٢	١٩٩٩	٤٥	٢٢١	١٣٨	٣١٧٧	
بيدكر	١٣٣١هـ/١٩١٢م	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	١٥٠٠	٢٢٠٠	-	٦٠٠		٤٣٠٠	٧٠٠ أجانب
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/١٩١٥ـ١٩١٦م	١٠٤٣٧	٤٥٠٠	١٣٠٦						٤٦٣١	
البحري	١٣٤٠هـ/١٩٢١م	٣٤٠٠٠	١٦٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠	٧٠٠	١٠٠٠	١٣٠٠٠	٨٠٠٠
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	٢٤٦٣٤	٩٣٧٧	٦٢٣٠						٨٨٦٣	١٢ درزياً +١٥٢ بهائياً

* المجموع النهائي لسكان حيفا وفقاً لفيتال كونت هو ٩٤٩٣ نسمة لا ٩٩٠٨ نسمات.

لقد أضفى التنوع الكبير لسكان حيفا على المدينة طابعاً خاصاً بها، فساد شوارعها جو شرقي وغربي أوروبي. وبالإضافة إلى السكان العرب المسلمين والمسيحيين واليهود، فقد سكنها بصورة دائمة يونان وأتراك وإيطاليون وألمان وأرمن وتجار أوروبيون وممثلون لشركات أجنبية. وكانت بهذا تتناقض بشدة مع الطابع الإسلامي الصرف لعكا المجاورة. فتقول نيوتن (Newton): «كان سكان حيفا عناصر وأقواماً متعددة، فالسواد الأعظم عربي وإلى جانب هذه الأكثرية أقليات أوروبية، ومستعمرة ألمانية استقرت بغرب المدينة. وفي الشارع الواحد تزاحمت القبعة مع الحطة والطربوش والعقال. وفي البيوت العربية كثر المثقفون بين تاجر وطبيب ومحام، لكن السمة الغالبة على المدينة كانت نوعاً من التباعد بين السكان.»[٣٢]

٢ ـ عكا:

حافظت عكا على عدد متقارب من السكان منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهايته لأنها وصلت إلى درجة كبيرة من الاكتظاظ السكاني في ظل حيز جغرافي محدود، إذ كانت مدينة مسورة مُنع السكان من البناء خارج أسوارها حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. لذا لم يُقبل السكان على الهجرة إليها والإقامة بها. وذكر أوليفانت أن تحصينات عكا تجعلها عاجزة عن التوسع، فثلاثة أرباع البنايات الموجودة في المدينة هي بنايات حكومية ولا يسمح للسكان بالبناء خارج الأسوار.[٣٣] ويقول التميمي: «البلدة محاطة بسور محكم وبسبب منع البناء قبلاً خارج السور فقد أصبحت الدور متلاصقة متراكمة فوق بعضها. والأزقة عبارة عن أنفاق ضيقة. فإصلاحها يحتاج لمصارف زائدة. وبعد إعلان الدستور سمح للأهلين بالبناء خارج السور فأنشأوا عدة بيوت...»[٣٤]

وتقول «جريدة ولاية سوريا»: «كانت هذه القصبة ضمن قلعة وهي على جانب عظيم من ضيق بيوتها وعدم اتساعها ونظامها ولا يوجد فيها ما يستحق النظر إلاّ الأبنية القديمة، ومع كل ذلك فإن الأهالي التي تأتي للتجارة من كل ناحية يكابدون أنواع المشقات.»[٣٥]

(٣٢) Frances Newton, *Fifty*, pp. 56, 57.

(٣٣) Laurence Oliphant, *The Land of Gilead*, p. 338; Laurence Oliphant, *Haifa*, pp. 98, 208.

(٣٤) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٣٠٢، ٢٥ محرم ١٣٠٢هـ/١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٤م، ص ١.

ولحل مشكلة الازدحام السكاني قدم أهالي عكا عرائض إلى الحكومة يطالبون فيها بالسماح لهم بالبناء خارج أسوار المدينة نتيجة الازدحام الشديد الذي تعانيه المدينة.[٣٦] وقد رفضت الحكومة العثمانية ذلك حتى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م عندما وافقت على السماح للسكان بالبناء خارج الأسوار. وفي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، احتفل الأهالي بهدم أجزاء من السور والسماح لهم بالبناء خارجه.[٣٧]

كما فقدت عكا أهميتها الاقتصادية لمصلحة حيفا، الأمر الذي دفع قسماً من سكانها إلى الانتقال إلى حيفا.[٣٨] ويوضح التميمي ذلك قائلاً: «وقد اضطر الحمّالون الذين كانوا يربحون يومياً ستة مجيدية أو سبعة لأن يتركوا عكا ويذهبوا إلى حيفا. وأغلقت الخانات الكبيرة ـ التي كانت تأوي مئات الألوف من الجمال والبغال وغيرها من حيوانات النقل ـ أبوابها واحداً بعد آخر. ولا يملك الإنسان نفسه من التأثر والحزن على مرفأ مشهور منذ القديم بتجارته البحرية وعلى أهاليه الذين أصيبوا بهذه الضربة التجارية.»[٣٩]

بالإضافة إلى ذلك، كانت عكا مدينة عسكرية ومركزاً لتجمع الجنود الذين يتم إرسالهم إلى جبهات القتال، الأمر الذي يُحدث إرباكاً وفوضى في المدينة، ويدفع أصحاب المحلات التجارية فيها إلى إخلاء محلاتهم والانتقال إلى مناطق أخرى حتى لا تتعرض للسرقة.[٤٠]

وشكّل المسلمون معظم سكان عكا بينما شكل المسيحيون نحو عُشر السكان فقط بأغلبية من الأورثوذكس والكاثوليك وأقلية من اللاتين والموارنة، إضافة إلى عدد محدود من اليهود الذين لم يتجاوز عددهم ١٥٠ نسمة في أي من الإحصاءات،[٤١] وكذلك إضافة إلى عدد محدود من الأوروبيين والبهائيين كما يتضح من الجدول رقم ٣ ـ ٩.

(٣٦) صحيفة «البشير»، العدد ٣٣٧، ٩ صفر ١٢٩٤هـ/٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ص ٣؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٣٠٢، ٢٥ محرم ١٣٠٢هـ/١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٤م، ص ١.

(٣٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦، ٢٧٧؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٩٠٤، ٢١ ذو القعدة ١٣٢٧هـ/٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩م، ص ٣.

(٣٨) س ح، ش ٢٦١، س ٦، ص ٨٧، ن ٢٠، ١ رجب ١٣٢٧هـ/١٩ تموز (يوليو) ١٩٠٩م؛ س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٥، ن ٢٢٠، ١٩ جمادى الثانية ١٣٠٦هـ/٢٠ شباط (فبراير) ١٨٨٩م.

(٣٩) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٧.

(٤٠) صحيفة «البشير»، العدد ٣٣٧، ٩ صفر ١٢٩٤هـ/٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ص ٣.

(٤١) أنظر أدناه، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

الجدول رقم ٣ ـ ٩

المصدر	السنة	عدد السكان	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع المسيحيين	الدروز+البهائيون+الأجانب
القنصل روجر	١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠م	٩٠٠٠	٧٥٠٠							١٥٠٠	
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢م	٣٨١٥	٢٧٣٥	٣٠						١٠٥٠	
سوكين	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م	٨٠٠٠									
غورين	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م	٩٠٠٠									
سالنامة ولاية سوريا	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦م	٢٩٣٥	٢١١٥							٨٢٠	
أوليفانت	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	٩٠٠٠									
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	٩٨٠٠	٦٨٥٠	١٤٠	٢٠١٠	٥٥٥		١٦٥	٨٠	٢٨١٠	
صحيفة «البشير»	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥م	٨٠٠٠									
فيتال كونت	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	١٠٤٠٠	٦٧٨٠	٧٦٦	٢٤٥٠	٥٥٥		١٣٩	٥٠	٣١٩٤	١١٠ أجانب [١٠٨٥٠]*
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م	٨١٤٦	٥٧٤٨	٧٩	١٥٦٣	٥٤٩		١١٥	٩٢	٢٣١٩	
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م	٩٢٧٩	٧٠٦١	١٠٧	١٣٠٩	٥٧٥	١٧	١٢٠	٩٠	٢١١١	
تريتشه	١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	١١٠٠٠	٨٥٠٠	١٠٠						٢٤٠٠	
أرثر روبين	١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م	١٢٠٠٠									
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/ ١٩١٥ ـ ١٩١٦م	٩٤٧١	٧١٢١	١٠٥	١٤١٨	٥٩٥		١٣٣	٦١	٢٢٠٧	[٩٤٣٣]**
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٦٤٢٠	٤٨٨٣	٧٨						١٣٤٤	١٠٢ بهائي ١٣ درزياً

* مجموع سكان عكا وفقاً لفيتال كونت هو ١٠,٨٥٠ نسمة لا ١٠,٤٠٠ نسمة كما ورد في المصدر بسبب خطأ في عملية جمع الأرقام.

** مجموع سكان عكا وفقاً للتميمي وبهجت هو ٩٤٣٣ نسمة لا ٩٤٧١ نسمة كما ورد في المصدر بسبب خطأ في عملية جمع الأرقام.

ويبين الجدول أن عكا حافظت على عدد متقارب من السكان حتى سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م، ثم انخفض العدد بصورة كبيرة بعد ذلك. وتظهر المقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م والإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م انخفاضاً، قدره ٣٣٨٠ نسمة، شمل السكان المسلمين والمسيحيين بمختلف طوائفهم.

وقد توزع سكان عكا المسلمون والمسيحيون في حارات عشر بحسب طوائفهم الدينية على النحو التالي وفقاً لإحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م:(٤٢)

الجدول رقم ٣ ـ ١٠

الحارة	المسلمون	الأورثوذكس	الكاثوليك	اللاتين	الموارنة	اليهود	المجموع
حارة المبلطة	١٦٨٥	-	-	-	-	-	١٦٨٥
حارة الشيخ عبد الله	٩٤٠	١٢٥٠	٢١٠	١٦٥	٨٠	١٤٠	٢٧٨٥
حارة القاسمية	٧٠٥	-	-	-	-	-	٧٠٥
حارة الشخوص	٤١٥	-	٢٣٥	-	-	-	٦٥٠
حارة الشراشحة	٥٥٥	-	-	-	-	-	٥٥٥
حارة المجادلة	١٠٩٠	٥٢٥	٣٤٥	-	-	-	١٩٦٠
حارة القلعة	٧٥٠	-	-	-	-	-	٧٥٠
حارة عين الست	٢١٥	-	-	-	-	-	٢١٥
حارة البساتين	٩٥	-	-	-	-	-	٩٥
حارة المنشية	٤٠٠	-	-	-	-	-	٤٠٠
المجموع	٦٨٥٠	١٧٧٥	٧٩٠	١٦٥	٨٠	١٤٠	٩٨٠٠

ويلاحظ من الجدول أن المسلمين يعيشون في حارات عكا العشر بأعداد متباينة من حارة إلى أُخرى، وأن سبع حارات يسكن فيها مسلمون فقط، ويشكلون ٦٩,٨٪ من مجموع السكان. بينما شكل المسيحيون نحو ٢٦,٦٪ من مجموع السكان بأغلبية من الأورثوذكس، ويتركزون في حارة الشيخ عبد الله وبدرجة أقل في حارتي المجادلة والشخوص. أمّا اليهود فعاشوا في حارة الشيخ عبد الله وشكلوا ١,٦٪ من مجموع السكان. وهذا يظهر أن الطوائف الدينية الثلاث لم تكن

(٤٢) Schumacher, *op.cit.*, p. 171.

معزولة بعضها عن بعض بل عاش المسلمون والمسيحيون واليهود معاً في حارة الشيخ عبد الله.

٣ ـ الناصرة:

كانت الناصرة في أوائل القرن التاسع عشر قرية صغيرة يعمل معظم سكانها في الزراعة. وقدر سيتزن عدد سكانها في أوائل القرن التاسع عشر بنحو ١٠٠٠ نسمة، وارتفع إلى ٢٠٠٠ نسمة وفقاً لبكنغهام سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م.[٤٣] وذكر بيركهارت (Burckhardt)، سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، أن ثلثي سكان الناصرة من المسلمين والثلث الباقي من المسيحيين، وفيها نحو تسعين عائلة لاتينية، إضافة إلى طائفة من الروم وأُخرى من الموارنة.[٤٤]

وجاء المسلمون الذين استقروا بالناصرة من مناطق متعددة كالحصن وقراها، كما جاءت حمولة البياطرة من جبل نابلس، ودار عون الله من شمال إفريقيا، ودار قبطان من مكة، والهوارة من عرب بني عون من جهات دمنهور في مصر.[٤٥]

وقد شجع الجزار المسلمين من مختلف الطوائف على الهجرة إلى الناصرة والإقامة بها.[٤٦]

كما أقبل المسيحيون من مختلف الطوائف على الهجرة إلى الناصرة والإقامة بها لأنها مدينة مقدسة عندهم إذ عاش فيها المسيح عليه السلام. وكتب حنا سمارة: «كانت الناصرة قرية صغيرة مكونة من ٢٠٠ نسمة، ولمّا سكنها الرهبان الفرنسيسكان كان عدد الروم فيها قليلاً جداً على أنه بعد ذلك صار يحضر إليها قليل من السكان من جبل لبنان الذين كانوا معتنقين الديانة المارونية، وكان الفرنسيسكان يستقبلونهم بالتكريم ويمدونهم بالمساعدة لكي يجذبوهم إليهم ويؤلفوا طائفة لاتينية حتى يكثر عدد المسيحيين في المدينة لأن طائفة الروم في الناصرة قليلة، وبعد فترة من الزمن استقر في الناصرة ٢٠٠ شخص من الروم الأورثوذكس قدموا من الشام.»[٤٧]

(٤٣) Ben-Arieh, *op.cit.*, p. 65.

(٤٤) John L. Burckhardt, *Travels*, p. 337.

(٤٥) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤؛ أنظر أيضاً: أسد رستم، «المحفوظات»، ج ١، ص ٧٨، ٧٩.

(٤٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٩.

(٤٧) حنا سمارة، «الناصرة»، ص ١٩ ـ ١٢.

إن استقرار الأورثوذكس بالناصرة شجع أبناء طائفتهم على القدوم إليها، والاستيطان فيها، ويوضح ذلك حنا سمارة قائلاً: «والكاهن سار أينما سمع عن بعض الأورثوذكس متشتتين في بعض القرايا أحضرهم إلى مدينة الناصرة ومدهم بالمساعدة وهكذا بمدة وجيزة صار عنده مع إخوته وأقاربه عدد كبير من الأورثوذكس.»[٤٨]

ويبين الجدول التالي المدن والقرى التي هاجر منها مسيحيو الناصرة وعدد العائلات التي جاءت من كل مدينة وقرية:[٤٩]

الجدول رقم ٣ ـ ١١

المدينة/ القرية	العدد	المدينة/ القرية	العدد	المدينة/ القرية	العدد
حوران	٩	أورفا	١	زحلة	١
لبنان	٧	مصر	٢	دير ميماس	١
عجلون	٥	عبلين	٢	حماة	١
عكا	٤	القدس	٢	سخنين	١
بيت لحم	٤	دير القمر	٢	بيروت	١
اللد	٤	عين إبل	٢	صور	١
السلط	٣	مرج عيون	٢	الدامون	١
شفا عمرو	٣	الدامور	١	**المجموع**	٦٩
برقين	٢	طرابلس	١	عائلات لم يحدد	
الحصن	١	الرينة	١	المصدر مكان	
دمشق	١	حلب	١	قدومها	٢٠
بيت جالا	١	صيدا	١	**مجموع العائلات**	٨٩

يتضح من الجدول أن العائلات المسيحية جاءت الناصرة من حوران ولبنان وعجلون وعكا وبيت جالا واللد والسلط وشفا عمرو. وقد ارتبطت الهجرة من لبنان بأحداث الفتنة الطائفية بين الدروز والموارنة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، والتي دفعت عدداً من مسيحييه إلى الانتقال إلى فلسطين وخصوصاً إلى

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٤، ١٥.

(٤٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥ ـ ٢٣٧.

الناصرة،[٥٠] حيث وجدوا نوعاً من الحماية خلال حكم عقيلة آغا.

ويذكر شولش أن تطور مدينة الناصرة منذ الخمسينات حددته ثلاثة عوامل، كان «العامل الأول نمو السكان بسبب نزوح الفلاحين من السهول، سعياً وراء استبدال الأمن النسبي في الناصرة... بمعيشتهم القلقة. صحيح أن الناصرة لم يكن لها أسوار إلاّ إن موقع المدينة الجبلي وفر لها شيئاً من الأمن. وفضلاً عن ذلك فإن الناصرة كانت تحت 'الحماية' المستترة لأوروبا المسيحية، وفي المقام الأول تحت جناح فرنسا الكاثوليكية.»[٥١]

لقد شجع انتعاش الحركة العمرانية في الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر المئات من العمال والحرفيين على القدوم إلى المدينة للعمل في المؤسسات المتعددة، مثل المستشفيات، والأديرة، والكنائس، والدور، والمدارس، والفنادق.[٥٢]

وبما أن الناصرة مدينة مقدسة لدى المسيحيين فقد كان يفدها سنوياً الآلاف من الحجاج المسيحيين من مختلف أنحاء العالم، الأمر الذي ساعد على انتعاش الحركة التجارية والعمرانية فيها، كما شجع السكان على الانتقال إليها والإقامة بها. وتذكر صحيفة «المقتبس»: «تُقصد الناصرة للزيارة من أقصى البلاد، وتقصدها طوائف المسيحيين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ويعدونها بلدة مقدسة لأن المسيح أقام فيها نحو ثماني عشرة سنة واليوم أصبحت بلدة عظمى وبها بنايات ضخمة لأن كل أمة من أمم أوروبا تحب افتتاح المدارس والمستشفيات والأديرة تفضل أن تجعله في الناصرة، ويبلغ عدد الذين يزورون الناصرة في السنة بين سائح وغيره نحو ٤٠٠٠ نسمة.»[٥٣]

ويوضح الجدول التالي تطور سكان الناصرة في القرن التاسع عشر، وفقاً لمصادر متعددة، موزعين بحسب طوائفهم الدينية:[٥٤]

---

(٥٠) Stewart Macalister & E.W.G. Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1905, pp. 221-225; *Ibid.*, 1906, pp. 287-291;

عيسى إسكندر المعلوف، «عقيلة آغا الحاسي»، ص ٧٥ ـ ٨٢؛ ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢.

(٥١) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

(٥٢) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧، ١٨٥؛ Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 138, 139؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٤) أنظر أعلاه، ص ١٠٢، الحاشية رقم (٣١).

الجدول رقم ٣ ـ ١٢

المصدر	السنة	عدد السكان	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع المسيحيين	الدروز+البهائيون +الأجانب
سيتزن	١٢١٦هـ/ ١٨٠١م	١٠٠٠									
بيركهارت	١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م	-	٣/٢							٣/١	
بكنغهام	١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م	٢٠٠٠									
يعقوب فرح	١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م	٥٣٩٥	١٥٠٠	-	٢٥٠٠	٥٥	٢٢٠	٧٥٠	٣٧٠	٣٨٩٥	
القنصل روجر	١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م	٤٠٠٠									
نيهولت	١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م	٥٩٣٥	٢٠٠٠		٢٠٠٠	٧٥٠	٣٩	٩٠٠	٢٥٠	٣٩٣٥	
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ـ١٨٧٢م	٦٧٤٠	١٣٧٥							٥٣٦٥	
سوكين	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م	٥٦٦٠	٢٠٠٠	-	٢٥٠٠	٢٠٠	٨٠٠	٨٠	٨٠	٣٦٦٠	
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	٦٥٧٥	١٦٢٠	-	٢٤٨٥	٨٤٥	٢٩٠	١١١٥	٢٢٠	٤٩٥٥	
فيتال كونت	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	٨٠٠٠	١٠٠٠	٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠٠	٨٠٠	٥٠٠	٦٥٠٠	٥٠٠
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ـ١٩٠٥م	٦٤٥٠	١٦٧٠	-	٢٢٩٦	٧٨١	٢٩٢	١١٢٠	٢٩١	٤٧٨٠	
سالنامة ولاية بيروت	١٣٣١هـ/ ١٩١٢ـ١٩١٣م	٧٩٨٨	٢٠٣٧	-	٢٩١٣	١٠٦٧	٢٧٤	١٢٩٤	٤٠٣	٥٩٥١	
بيدكر	١٣٣١هـ/ ١٩١٢م	١٥٠٠٠	٥٠٠٠	٠	٥٠٠٠	١٠٠٠	٢٥٠	٢٠٠٠	٢٠٠	٨٤٥٠	[١٥٥٠]*
الإحصاء العثماني	١٣٣٠هـ/ ١٩١١ـ١٩١٢م	٧٩٨٨	٢٠٣٧	-	٢٩١٣	١٠٦٧	٢٧٤	١٢٩٤	٤٠٣	٥٩٥١	
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/ ١٩١٥ـ١٩١٦م	٨٥٧٤	٢٤٤٠	-	٢٨٢٦	١٢٦٧	٢٧٤	١٣٦٤	٤٠٣	٦١٣٤	
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٧٤٢٤	٢٤٨٦	٥٣						٤٨٨٢	[٧٤٢١]**

* من مجموع عدد سكان الناصرة كما ورد عند بيدكر يتضح أنه أهمل ١٥٥٠ نسمة، ولم يشر إلى هويتهم في الإحصاء الذي ذكره سنة ١٩١٢م.

** مجموع سكان الناصرة وفقاً للإحصاء البريطاني هو ٧٤٢١ نسمة لا ٧٤٢٤ نسمة كما ورد في الإحصاء المذكور.

ويتضح من الجدول أن سكان الناصرة تضاعفوا عدة مرات خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذ قدرهم سيتزن بنحو ١٠٠٠ نسمة سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وارتفع عددهم إلى ٢٠٠٠ نسمة وفقاً لإحصاء بكنغهام سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، ثم تضاعف هذا العدد إلى ٥٩٣٥ نسمة وفقاً لإحصاء نيهولت سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. إلاّ إن الناصرة لم تشهد زيادة كبيرة ومفاجئة في عدد سكانها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فوفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢م، كانت الناصرة تضم ٦٧٤٠ نسمة، ثم ارتفع العدد إلى ٧٩٨٨ نسمة سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣م وفقاً لسالنامة ولاية بيروت. وهذا يعني زيادة تبلغ ١٢٤٨ نسمة خلال ٤١ عاماً، وزيادة سنوية بلغت ٠,٤٥٪. إلاّ إن التقديرات الأجنبية تجعل الزيادة السكانية في المدينة أكبر من ذلك كثيراً، إذ قدرهم سوكين سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، بنحو ٥٦٦٠ نسمة، وارتفع عددهم وفقاً لبيدكر سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م إلى نحو ١٥,٠٠٠ نسمة. وهذا يعني أن السكان ازدادوا خلال ٣٨ عاماً نحو ٩٣٤٠ نسمة بزيادة سنوية بلغت ٤,٣٪.

شكل المسلمون أغلبية سكان الناصرة حتى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر.(٥٥) إلاّ إن عدد المسيحيين فاق عدد المسلمين بعد ذلك نتيجة هجرتهم المستمرة إلى المدينة. وشكل الأورثوذكس أكثرية المسيحيين فيها، ثم تلاهم الكاثوليك واللاتين وبدرجة أقل الموارنة والبروتستانت. ويوضح الجدول التالي نسبة المسلمين إلى المسيحيين في المدينة وفقاً لتقديرات إحصائية متعددة:

الجدول رقم ٣ ـ ١٣

المصدر	السنة	عدد المسلمين	النسبة	عدد المسيحيين	النسبة
بيركهارت	١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م	٣/٢	-	٣/١	-
نيهولت	١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م	٢٠٠٠	٣٣,٦٪	٣٩٣٥	٦٦,٤٪
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ـ١٨٧٢م	١٣٧٥	٢٠,٤٪	٥٣٦٥	٧٩,٦٪
فيتال كونت	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	١٠٠٠	١٢٪	٦٨٠٠	٨١,٩٪
الإحصاء العثماني	١٣٣٠هـ/ ١٩١١ـ١٩١٢م	٢٠٣٧	٢٥,٥٪	٥٦٧٧	٧١٪
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٢٤٨٦	٣٣,٤٪	٤٨٨٢	٦٥,٤٪

(٥٥) Burckhardt, *op.cit.*, p. 337.

يبين الجدول أن المسلمين شكلوا أقل من ثلث عدد السكان في المدينة، بينما زاد عدد المسيحيين على ثلثي السكان. وبقيت الناصرة خالية من اليهود حتى نهاية العصر العثماني لأن سكانها لم يسمحوا لهم بالإقامة بمدينتهم.(٥٦) إلاّ إن اليهود بدأوا يقيمون بها، بصورة محدودة، مع بداية الانتداب البريطاني. فأشار الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م إلى وجود ٥٣ يهودياً فيها.(٥٧)

٤ ـ صفد:

تواجه دراسة السكان في صفد في أوائل القرن التاسع عشر صعوبات عدة، إذ أعطى بعض الرحالة أعداد البنايات ودور السكن (البيوت) وأعطى بعضهم أعداد العائلات. فذكر بيركهارت، مثلاً، أن صفد تضم نحو ٦٠٠ بيت منها ١٥٠ بيتاً لليهود و٨٠ ـ ١٠٠ بيت للمسيحيين.(٥٨)

وازداد عدد سكان صفد بصورة واضحة في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، إلاّ إن المدينة فقدت عدداً كبيراً من سكانها في زلزال سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. فأشارت المصادر إلى مقتل ٢١٥٨ شخصاً وتدمير معظم بيوتها.(٥٩) كما فقدت المدينة عدداً من سكانها خلال الثورات التي قامت ضد الحكم المصري في المدينة والمناطق المجاورة.(٦٠)

وعلى الرغم من ذلك، فإن عدد السكان ازداد بالتدريج في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما توطنها المسلمون الذين قدموا من الجزائر. وكانت حارة الأكراد تضم معظم العائلات الجزائرية التي جاءت مع الأمير عبد القادر إلى منفاه.(٦١) بل إن كوندر ذكر أن نصف مسلمي صفد من الجزائريين.(٦٢)

كما أقبل اليهود المهاجرون من بولندا وروسيا على الإقامة بالمدينة لأنهم يعتبرونها من المدن المقدسة.

وكانت صفد مقسمة إلى عدة أرباع يفصل بعضها عن بعض الأودية والحدائق

(٥٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤؛ *First Encyclopaedia of Islam*, Vol. VI, p. 871.

(٥٧) Barron, *op.cit.*, pp. 32-40.

(٥٨) Burckhardt, *op.cit.*, p. 317.

(٥٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠، ٨١؛ «دائرة المعارف الإسلامية»، «صفد»، ج ١٤، ص ٢١٥ ـ ٢١٨.

(٦٠) رستم، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤١١، ٤٣٠.

(٦١) E.W.G. Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, pp. 170-173.

(٦٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 199-200.

المزروعة بأشجار العنب والزيتون. فأقام اليهود بالربع الشمالي من المدينة، حيث عاش اليهود الأشكنازيم في أعلى الحارة، والسفاراديم في أسفلها، وإلى الجنوب والشرق أقام المسلمون. وتكوّن الربع الإسلامي من عدة حارات، مثل حارة الجورة وحارة الأكراد وحارة الصواوين.[(٦٣)]

يوضح الجدول رقم ٣ ـ ١٤ تطور السكان في صفد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.[(٦٤)]

إن اللافت للانتباه في الإحصاءات المتعلقة بسكان صفد هو إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، إذ وفقاً لهذا الإحصاء بلغ عدد السكان نحو ٢٤,٦١٥ نسمة وهذا عدد مرتفع قياساً بالمدن الأُخرى، وهو ما دفع عدداً من الباحثين إلى رفض هذا الرقم.[(٦٥)]

وهناك تفسير واحد لقبول هذا الرقم وهو أن المدينة شهدت موجات من الهجرة اليهودية من روسيا وبولندا في إثر اتهام اليهود بأنهم المسؤولون عن مقتل إسكندر الثاني قيصر روسيا سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، إضافة إلى أن المدينة شهدت في هذه الفترة قدوم مجموعات من المهاجرين الجزائريين الذين استقروا بها.

(٦٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 199-200; Masterman, *op.cit.*, pp. 170-173;
إبراهيم حرفوش، «سياحة أسقفية»، «المشرق»، المجلد ١٠، ص ٩٨٩ ـ ٩٩٥.

(٦٤) أنظر اعلاه، ص ٨٩، الحاشية رقم (٤).

(٦٥) عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٩١٢ ـ ٩١٥؛ Ben-Arieh, *op.cit.*, p. 67.

الجدول رقم ٣ ـ ١٤

المصدر	السنة	عدد السكان	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع المسيحيين	الدروز+البهائيون +الأجانب
بيركهارت	١٢٢٧هـ/١٨١٢م	٦٠٠ بيت	٣٥٠ بيتاً	١٥٠ بيتاً						١٠٠ بيت	
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/١٨٧١ـ١٨٧٢م	١٢٤٧٥	٦٤٧٥	٥٩٨٥						١٥	
كوندر	١٢٩٣هـ/١٨٧٦م	٤٥٠٠	٣٠٠٠	١٥٠٠						-	
غويرن	١٢٩٢هـ/١٨٧٥م	٤٥٥٠	٣٠٠٠	١٥٠٠						٥٠	
شوماخر	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	٢٤٦١٥	١٠٦٤٥	١٣٢٥٠		٧٢٠				٧٢٠	
ترينشه	١٣٢٤هـ/١٩٠٦م	١٨٠٠٠	لم يشر إلى المسلمين	١١٠٠						لم يشر إلى المسيحيين	
بيدكر	١٣٣١هـ/١٩١٢م	٢٠٠٠٠	٧٠٠٠	١٠٠٠٠	٤٠٠					[٢٦٠٠]	
التميمي وبهجت	١٣٣٤هـ/١٩١٥ـ١٩١٦م	١٢٧٥٥	٧٠٧٧	٥٢٥٦	١٥	٣٨٢	٢٢	٣	-	٤٢٢	
ماسترمان	١٣٣٦هـ/١٩١٧م	٢٥٠٠٠	١٣٦٠٠	١١٠٠٠						٤٠٠	
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/١٩٢٢م	٨٧٦١	٥٤٣١	٢٩٨٦						٣٤٣	١ (درزي)

على الرغم من الهجرة اليهودية المستمرة إلى صفد، ومن محاولة بعض التقديرات الأجنبية زيادة عدد اليهود بالنسبة إلى المسلمين، فإن المسلمين استمروا يشكلون أكثر من نصف السكان فيها، كما يتضح من الجدول التالي:(٦٦)

الجدول رقم ٣ ـ ١٥

المصدر	السنة	عدد المسلمين	النسبة	عدد اليهود	النسبة
غويرن	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م	٣٠٠٠	٪٦٥,٩	١٥٠٠	٪٣٢,٩
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م	٦٤٧٥	٪٥١,٩	٥٩٨٥	٪٤٧,٩
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	١٠,٦٤٥	٪٤٣,٢	١٣,٢٥٠	٪٥٣,٨
بيدكر	١٣٣١هـ/ ١٩١٢م	٧٠٠٠	٪٣٥	١٠,٠٠٠	٪٥٠
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٥٤٣١	٪٦١	٢٩٨٦	٪٣٣,٩

لقد ازداد عدد السكان في صفد بصورة كبيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فكان عددهم نحو ١٢,٤٧٥ نسمة وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ـ ١٨٧٢م، وأصبحوا ٢٤,٦١٥ نسمة وفقاً لإحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م بزيادة بلغت ١٢,١٤٠ نسمة خلال خمسة عشر عاماً وبزيادة سنوية بلغت ٦,٤٪. وتعود هذه الزيادة السكانية الكبيرة إلى ارتفاع عدد المسلمين واليهود المهاجرين إلى صفد، إذ ارتفع عدد اليهود من ٥٩٨٥ نسمة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢م إلى ١٣,٢٥٠ نسمة سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ويعني هذا زيادة تبلغ ٧٢٦٥ نسمة خلال هذه الفترة وزيادة سنوية تبلغ ٨٪. بينما ازداد عدد المسلمين في الفترة نفسها من ٦٤٧٥ نسمة إلى ١٠,٦٤٥ نسمة، بزيادة بلغت ٤١٧٠ نسمة أي ٤,٢٪ زيادة سنوية.

تبين المقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وبين الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م انخفاض عدد سكان صفد سواء المسلمين أو اليهود. ويعود هذا الانخفاض إلى انتقال عدد من السكان إلى الاستقرار بالمدن الأخرى كحيفا،(٦٧) وانتقال اليهود للإقامة بالمستعمرات اليهودية التي أنشئت في

(٦٦) Schumacher, *op.cit.*, pp. 188-191; Baedeker, *op.cit.*, p. 259; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 199, 200; Masterman, *op.cit.*, pp. 170-175; Barron, *op.cit.*, pp. 188-191.

(٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٢، ن ١٠٢، ٣ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ/ ٢ أيار (مايو) ١٩١١م عن اليهود في صفد؛ Tudor Parfitt, *The Jews*, pp. 50-76; *E.J.*, Vol. 14, pp. 628-630.

مناطق متعددة من اللواء.(٦٨) كما عانت صفد جرّاء هجرة سكانها إلى الخارج وخصوصاً إلى أميركا الجنوبية، مثل الأرجنتين والبرازيل والبيرو وفنزويلا، التي شهدت ازدهاراً اقتصادياً في هذه الفترة وشجعت على قدوم المهاجرين من دون قيود.(٦٩) فذكر ماسترمان سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م أن صفد مثل غيرها من المدن الفلسطينية والسورية تعاني جرّاء هجرة سكانها المسلمين واليهود إلى أميركا الجنوبية.(٧٠) وأشار التميمي وبهجت إلى أن نصف سكان صفد المسيحيين هاجر إلى أميركا الجنوبية واستوطن تلك البلاد فأصبح عدد المسيحيين في صفد قليلاً،(٧١) لذلك لم يتجاوز عددهم ١٤٠٠ نسمة في أي من الإحصاءات.

٥ ـ طبرية:

اختلفت الإحصاءات في تقدير عدد السكان في طبرية، الأمر الذي يجعل من الصعب الوصول إلى حقيقة النمو السكاني فيها. فقدر بيركهارت عدد سكانها سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م بنحو ٤٠٠٠ نسمة.(٧٢) ثم انخفض العدد بعد ذلك، واستمر في الانخفاض حتى سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م. ويعود السبب إلى الزلزال الذي تعرضت له المنطقة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وأدى إلى مقتل وجرح ٧٠٠ نسمة من سكان المدينة.(٧٣) كما أنه لم يكن هناك رغبة في السكن فيها بسبب أوضاعها المناخية الحارة صيفاً، ووجودها في منطقة انتشار القبائل البدوية الكبيرة مثل الصبيح والصقور والدلايكة،(٧٤) إضافة إلى انتشار الأمراض والأوبئة مثل الحمى والملاريا والطاعون التي أدت إلى وفاة العشرات من سكانها.(٧٥)

(٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٦، من دون صفحة، ن ٩٣، ٤ رجب ١٣٢٢هـ/ ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م؛ *E.J.*, Vol. 14, p. 629.

(٦٩) جورج صيدح، «أدبنا»، ص ٢٩ ـ ٣٣.

(٧٠) Masterman, *op.cit.*, p. 170.

(٧١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٧٢) Burckhardt, *op.cit.*, p. 321.

(٧٣) Amiran Kallner, «A Revised Earthquake-Catalogue of Palestine,» *I.E.J.*, Vol. 10, 1960, p. 231; رستم، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢.

(٧٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٥٧، ن ١٣، ٢٨ ذو الحجة ١٣٢٧هـ/ ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٠م؛ صحيفة «البشير»، العدد ١١٩٥، ٢٠ ربيع الأول ١٣١٣هـ/ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٥م، ص ٣.

(٧٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٦٨، ١٦ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢م، ص ٢؛ إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ١٨٧، ١٩٦.

ويوضح الجدول رقم ٣ ـ ١٦ تطور أعداد سكان طبرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر موزعين بحسب طوائفهم الدينية.[(٧٦)] فتعطي التقديرات السكانية الأجنبية أرقاماً مرتفعة لسكان طبرية وخصوصاً اليهود، إذ كان عدد سكانها وفقاً لإحصاء فيتال كونت سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧م نحو ٧٤٣٣ نسمة، منهم ٥٧٠٠ نسمة من اليهود يشكلون ٧٦,٦٪ من مجموع السكان. وبلغ عددهم وفقاً لإحصاء تريتشه سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، نحو ٨٦٠٠ نسمة منهم ٧٠٠٠ نسمة من اليهود يشكلون ٨١,٣٪ من السكان. إن المقارنة بين الإحصاءين تظهر زيادة سكانية تبلغ ١١٦٧ نسمة خلال عشرة أعوام، أي ٢,٠٤٪ زيادة سنوية.

وتظهر المقارنة بين سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢م التي ذكرت أن عدد سكان طبرية بلغ ٣١٢٥ نسمة، وبين سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م التي أشارت إلى أن عددهم بلغ ٥٣٤٩ نسمة، أن طبرية شهدت زيادة سكانية بلغت ٢٢٢٤ نسمة خلال ٣٧ عاماً، أي ١,٩٪ سنوياً. أمّا المقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وبين الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، فتظهر أن عددهم تضاعف خلال ٣٦ عاماً، إذ ارتفع خلال هذه الفترة من ٣٦٤٠ نسمة إلى ٦٩٥٠ نسمة، بزيادة تبلغ ٣٣١٠ نسمات، ونسبة سنوية تبلغ ٢,٥٪.

(٧٦) أنظر أعلاه، ص ٨٩، الحاشية رقم (٤).

الجدول رقم ٣ ـ ١٦

المصدر	السنة	عدد السكان	المسلمون	اليهود	روم أورثوذكس	كاثوليك	بروتستانت	لاتين	موارنة	مجموع المسيحيين	الدروز+البهائيون +الأجانب
بيركهارت	١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م	٤٠٠٠	٣٠٠٠	١٠٠٠						قلة	
نيهولت	١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م	٣٥٦٠	٨٠٠	٢٥٠٠						٢٦٠	
سالنامة ولاية سوريا	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ـ١٨٧٢م	٣١٢٥	٧٩٥	٢٠٠٠						٣٣٠	
سوكين	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠٠						[٥٠٠]	
كوندر	١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م	٢٠٠٠	١٠٠٠	٩٠٠						١٠٠	
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	٣٦٤٠	١٣٥٥	٢٠٢٥	١٥	٢١٥	ـ	٣٠		٢٦٠	
فيتال كونت	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	٧٤٣٣	١٤٠٠	٥٧٠٠	ـ	٢٧٠	١٠	٨	١٠	٢٩٨	[٧٣٩٨]*
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ـ١٩٠٥م	٣٧٧١	١٧٥١	١٧٦٦	٥٢	١٩٣		٩		٢٥٤	
تريتشه	١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	٨٦٠٠	١٤٠٠	٧٠٠٠						٢٠٠	
سالنامة ولاية بيروت	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ـ ١٩٠٩م	٥٣٤٩	١٦٣٨	٣٣٨٩	٦٨	٢٠٠	٢٤	٣٠	ـ	٣٢٢	
بيدكر	١٣٣١هـ/ ١٩١٢م	٨٦٠٠	١٤٠٠	٧٠٠٠**						٢٠٠	
أرثر روبين	١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م	٨٠٠٠	ـ	ـ							
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٦٩٥٠	٢٠٩٦	٤٤٢٧						٤٢٢	١ درزي+٤ بهائيين

* العدد الصحيح لمجموع سكان طبرية وفقاً لفيتال كونت هو ٧٣٩٨ نسمة لا ٧٤٣٣ نسمة.

** نقل بيدكر في كتابه الإحصاء الذي أورده تريتشه سنة ١٩٠٦م.

لم تطرأ تغيرات كبيرة على عدد المسلمين في طبرية. فوفقاً لإحصاء شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م كان عدد المسلمين ١٣٥٥ نسمة، وارتفع إلى ٢٠٩٦ نسمة في الإحصاء البريطاني سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، وهذا يعني زيادة مقدارها ٧٤١ نسمة خلال ٣٨ عاماً، أي زيادة سنوية تبلغ نسبتها ١,٤٪. كما ازداد عدد اليهود باستمرار في الإحصاءات المختلفة، فكان عددهم وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/١٨٧١ ـ ١٨٧٢م نحو ٢٠٠٠ نسمة ثم ارتفع إلى ٣٣٨٩ نسمة وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م، بزيادة تبلغ ١٣٨٩ نسمة خلال ٣٧ عاماً، أي زيادة سنوية نسبتها ١,٨٪.

ووفقاً لإحصاء شوماخر، بلغ عدد اليهود نحو ٢٠٢٥ نسمة، وارتفع إلى ٤٢٢٧ نسمة في الإحصاء البريطاني أي زيادة مقدارها ٢٢٠٢ نسمة خلال ٣٨ عاماً، وزيادة سنوية تبلغ نسبتها ٣,١٪، الأمر الذي يبين ازدياد الهجرة اليهودية إلى المدينة خلال هذه الفترة.

وشكل المسيحيون نسبة ضئيلة من سكان المدينة وكان معظمهم من الأورثوذكس ولم تتجاوز نسبتهم ٦٪ من مجموع عدد السكان في أحسن التقديرات.

د) سكان القرى

اختلف عدد سكان القرى في اللواء من قرية إلى أُخرى، فلم يتجاوز عددهم ١٠٠ نسمة في بعضها، بينما ارتفع في البعض الآخر ووصل إلى ٢٠٠ نسمة. بل إن شوماخر ذكر، سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، أن عدد سكان قرية ترشيحا في قضاء صفد يبلغ نحو ٤٨٥٥ نسمة.(٧٧)

ويشير الجدول التالي إلى عدد سكان القرى قياساً بسكان المدن وفقاً لإحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م والإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م:(٧٨)

(٧٧) Schumacher, *op.cit.*, p. 190.

(٧٨) *Ibid.*, pp. 169-191; Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

الجدول رقم ٣ ـ ١٧

القضاء	إحصاء شوماخر ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م			الإحصاء البريطاني ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م		
	سكان القرى	سكان القضاء	نسبة سكان الريف إلى سكان المدن	سكان القرى	سكان القضاء	نسبة سكان الريف إلى سكان المدن
عكا	٢٩٧٦٠	٣٩٥٦٠	٪٧٥,٢	٢٧٥٩٢	٣٥٥٣٥	٪٧٧,٦
حيفا	١٨٩٢٥	٢٦٠٩٠	٪٦٢,١	٢٥٦٧١	٥٦٤٥٧	٪٤٥,٤
الناصرة	١٢١٤٠	١٨٧١٥	٪٦٤,١	١٤١٢٧	٢٢٦٨١	٪٦٢,٢
صفد	٢٧٤٢٠	٥٢٠٣٥	٪٥٢,٦	١٤٠٢٩	٢٢٧٩٠	٪٦١,٦
طبرية	١٣٧٠٠	١٧٣٤٠	٪٦٨,٩	١٢٣٦٠	٢٠٧٢١	٪٥٩,٦
المجموع	١٠١,٩٤٥	١٥٣,٧٤٠	٪٦٦,٣	٩٣٧٧٩	١٥٨,١٨٤	٪٥٩,٢

يبيّن الجدول أن عدد سكان القرى شكل أكثر من نصف السكان. ويتضح أنهم يشكلون ٦٦,٣٪ من مجموع السكان في إحصاء شوماخر، و٥٩,٢٪ وفقاً للإحصاء البريطاني، على الرغم من الهجرة المستمرة من الريف إلى المدن.

كما تباينت نسبة سكان الريف من قضاء إلى آخر. إذ شكلوا أعلى نسبة في قضاء عكا ثم في قضاءي الناصرة وطبرية. وتبين المقارنة بين الإحصاءين انخفاضاً في عدد سكان الريف بالنسبة إلى عدد سكان المدن في أقضية حيفا والناصرة وطبرية، وزيادة في قضاءي عكا وصفد.

ولم تحدث تغييرات كبيرة في عدد السكان في القرى خلال الفترة الواقعة بين الإحصاءين، فاقتصرت الزيادة في عدد سكان القرى على نحو ٤٤٤٤ نسمة خلال ٣٦ عاماً، على الرغم من أن عدد القرى ارتفع من ١٧٩ قرية في إحصاء شوماخر إلى ٢٣٩ قرية في الإحصاء البريطاني، إضافة إلى أن اللواء شهد هجرة واسعة من المسلمين واليهود والمسيحيين في تلك الفترة. وتعود الزيادة المحدودة في عدد سكان الريف إلى ارتفاع نسبة الوفيات بينهم،(٧٩) وإلى انتقال أعداد منهم إلى الإقامة بالمدن.(٨٠)

(٧٩) أنظر مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٥، ٧ رجب ١٣٠٦هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٨٨٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١١١، ن ١٦، ١٦ رمضان ١٣٠٦هـ/١٦ أيار (مايو) ١٨٨٩م.

(٨٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٧٨، ٢٦ ذو الحجة ١٣٠٨هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٨٩١م، ص ٢.

ويبين الجدول رقم ٣ ـ ١٨ معدل السكان في قرى اللواء.[٨١] كما يبيِّن أن عدد سكان معظم القرى في اللواء يتراوح بين ١٠٠ نسمة و١٠٠٠ نسمة، بينما يقل عدد القرى التي يزيد عدد سكانها على ذلك. وترتفع نسبة القرى التي يزيد عدد سكانها على ١٠٠٠ نسمة في إحصاء شوماخر لتصل إلى ٢٣ قرية، بينما تبلغ ١٥ قرية في الإحصاء البريطاني. ويبلغ معدل عدد سكان القرية وفقاً لإحصاء شوماخر ٤٥٢ نسمة، و٣٩٢ نسمة في الإحصاء البريطاني.

(٨١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 196-250; Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191; Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

الجدول رقم ٣ ـ ١٨

الإحصاء	السنة	أقل من ١٠٠ نسمة	١٠٠ـ ٢٠٠ نسمة	٢٠٠ـ ٣٠٠ نسمة	٣٠٠ـ ٤٠٠ نسمة	٤٠٠ـ ٥٠٠ نسمة	٥٠٠ـ ٦٠٠ نسمة	٦٠٠ـ ٧٠٠ نسمة	٧٠٠ـ ٨٠٠ نسمة	٨٠٠ـ ٩٠٠ نسمة	٩٠٠ـ ١٠٠٠ نسمة	١٠٠٠ـ ١٥٠٠ نسمة	١٥٠٠ـ ٢٥٠٠ نسمة	٢٥٠٠ـ ٤٠٠٠ نسمة	أكثر من ٤٠٠٠ نسمة	مجموع القرى
كوندر	١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م	١٩	٧١	١٦	١٩	٤	٤	١	٦	١	٩	-	-	-	-	١٥٠
شوماخر	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	٢٢	٥٣	٢٢	١٤	٨	٥	١٤	٢	٨	١٤	٤	٢	٢	١	١٧١
الإحصاء البريطاني	١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م	٥٨	٧٤	٢٣	١٩	١٣	١٢	١١	٩	٥	٩	٢	٤	-	-	٢٣٩

انقسمت القرى في اللواء بحسب مذاهب سكانها إلى عدة أنواع: قرى المسلمين؛ قرى الدروز؛ قرى المسيحيين؛ القرى المشتركة بين المسيحيين والدروز؛ القرى المشتركة بين المسيحيين والدروز والمسلمين. وقد خلا اللواء من القرى المشتركة بين المسلمين والدروز لأن الخلافات الشديدة بين الطرفين جعلت من الصعب اجتماعهما في قرية واحدة. ويبين الجدول التالي القرى في اللواء بحسب الطوائف الدينية:(٨٢)

(٨٢) Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191; Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

الجدول رقم ٣ ـ ١٩

القرى	إحصاء شوماخر ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م						الإحصاء البريطاني ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م					
	قضاء عكا	قضاء حيفا	قضاء الناصرة	قضاء طبرية	قضاء صفد	المجموع	قضاء عكا	قضاء حيفا	قضاء الناصرة	قضاء طبرية	قضاء صفد	المجموع
قرى المسلمين السنة	٣٢	٤٤	٢٠	٢٣	٢٣	١٤٢	٢٢	٥٧	٢١	١٨	٣٣	١٥١
قرى الدروز	٢	١	-	-	١	٤	٥	-	-	-	-	٥
قرى المسيحيين	١	-	-	-	٢	٣	٨	-	-	١	١	١٠
قرى دروز ومسيحيين	٢	١	-	-	٢	٥	٢	-	-	-	١	٣
قرى مسلمين ومسيحيين	١٣	-	٥	-	٤	٢٢	١٦	١	١	١	-	١٩
قرى مسلمين ومسيحيين ودروز	٤	-	-	-	١	٥	٦	٣	-	١	-	١٠
مستعمرات يهودية وقرى إسلامية ومنها يهود	-	١	-	-	١	٢	٣	٣	١٢	-	٥	٢٣
المجموع	٥٤	٤٧	٢٥	٢٣	٣٤	١٨٣	٦٢	٦٤	٣٤	٢١	٤٠	٢٢١

يبين الجدول أن أغلبية القرى في اللواء هي قرى إسلامية سنية، وأن قضاء عكا أكثر الأقضية التي تضم قرى مختلطة تجمع بين الطوائف الدينية الثلاث، بينما ضم قضاء حيفا أكبر عدد من القرى التي كان معظم سكانها من المسلمين السنة. وقد شكّل المسلمون معظم سكان القرى كما يبين الجدول التالي:[٨٣]

(٨٣) Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191;
Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

الجدول رقم ٣ ـ ٢٠

فئات السكان	إحصاء شوماخر ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م						الإحصاء البريطاني ١٣٤١هـ/١٩٢٢م					
	قضاء عكا	قضاء حيفا	قضاء الناصرة	قضاء طبرية	قضاء صفد	المجموع	قضاء عكا	قضاء حيفا	قضاء الناصرة	قضاء طبرية	قضاء صفد	المجموع
المسلمون السنة	١٩١٨٠	١٧٢٣٥	٩٩٨٥	١٣٥٨٠	١٩٩٩٥	٧٩٩٧٥	٢٠٠٤٢	٢٥١٥١	١٢٤٥٠	١٠٣٨٥	١١٨٧٤	٧٩٩٠٢
المسيحيون	٦٥١٠	٨٠	٢١٥٥	-	٤٦٣٥	١٣٣٨٠	٤٨٧٧	٢٣٠٤	٥١٥٨	٨٩٤	٩١٠	١٤١٤٣
الدروز	٤٠٧٠	١١٠٠	-		٢٦٩٠	٧٨٦٠	٤٠٠١	١٩١٣	-	٦٧٩	٣٨٧	٦٩٨٠
آخرون				٢٠ فارسياً		٢٠ فارسياً						
اليهود	-	٥١٠	-	١٠٠	١٠٠	٧١٠	٦٦	٢٥١٥	٦٤٧	١٨٦٢	٨٥٨	٥٩٤٨
المجموع	٢٩٧٦٠	١٨٩٢٥	١٢١٤٠	١٣٧٠٠	٢٧٤٢٠	١٠١٩٤٥	٢٨٩٨٦	٣١٨٨٣	١٨٢٥٥	١٣٨٢٠	١٤٠٢٩	١٠٦٩٧٣

وشكل المسلمون ٧٢,٢٪ من مجموع سكان القرى وفقاً للإحصاء البريطاني. أمّا المسيحيون فشكلوا ١٠,٥٪، والدروز ٦,٨٪، واليهود ٥,٣٪. وتبين المقارنة بين الإحصاءين أن عدد سكان القرى المسلمين ارتفع خلال الفترة بين الإحصاءين نحو ٥٠٢٨ نسمة، بينما انخفض عدد المسيحيين لانتقالهم إلى المدن أو لهجرتهم إلى خارج اللواء. وفي الوقت نفسه، ازداد عدد اليهود في قرى اللواء لاستمرار الهجرة اليهودية وإقامة عدد من المستعمرات في اللواء.

هـ) العوامل المؤثرة في أعداد السكان

١ ـ الزيادة الطبيعية:

ارتفع معدل أفراد الأسرة في اللواء نتيجة ارتفاع معدل المواليد فيها، وهو ما أدى إلى زيادة عدد السكان. وقد اختلف الرحالة الأوروبيون والمؤرخون في تقدير عدد أفراد الأسرة في فلسطين عامة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. فاعتمد شوماخر العدد خمسة في إحصائه للسكان في لواء عكا كمتوسط عدد أفراد الأسرة.[٨٤] واعتمد عبد الكريم رافق العدد خمسة أيضاً باعتباره يمثل متوسط أفراد الأسرة مبرراً ذلك بالقول: «وقبل استعراض تقديرات المصادر الأولية لأعداد السكان تجدر الإشارة إلى أننا سنعتمد الرقم خمسة باعتباره يمثل متوسط الخانة أو البيت الواحد واعتمدت هذا الرقم سالنامة ولاية سوريا، وكذلك القساطلي الذي ساح في فلسطين في العامين ١٢٩١ ـ ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥م ووصفها بدقة. كما اعتمد دريك (Drake) أحد أعضاء بعثة صندوق استكشاف فلسطين الرقم خمسة للدلالة على وسطي أفراد الخانة أو البيت.»[٨٥]

وقد رفض شولش الرقم خمسة كمتوسط واعتمد الرقم ٦ بدلاً منه.[٨٦] إلاّ إن دراسة عينة شملت ١٣٤ أسرة في قضاء حيفا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين تظهر أن المتوسط بلغ ثمانية أفراد وهذا ما يبينه الجدول التالي:[٨٧]

(٨٤) Schumacher, *op.cit.*, pp. 161, 162.

(٨٥) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠٦.

(٨٦) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٨٧) أنظر مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٢، ن ٢٣٣، ١٧ صفر ١٣١٢هـ/ ٢٠ آب (أغسطس) ١٨٩٤م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٣، ن ٢٣٦، ٣ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٤ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

الجدول رقم ٣ ـ ٢١

وضع الأسرة	عدد أفرادها
عدد الأسر	١٣٤
عدد الأولاد	٧٩٥
عدد أفراد الأسر	١١٠٤
معدل أولاد الأسرة	٦
معدل أفراد الأسرة	٨
رب أسرة متزوج من زوجتين	٣٢
رب أسرة متزوج من ثلاث زوجات	٦
رب أسرة متزوج من أربع زوجات	٢

يبين الجدول ارتفاع عدد الأولاد في الأسرة في حالة تعدد الزوجات والرغبة في الإنجاب. كما ساعد ازدياد نسبة المواليد وانخفاض معدل الوفيات في ارتفاع المعدل، وهذا ما يؤكده الجدول التالي الذي يبين عدد المواليد والوفيات في عكا سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وسنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م:[٨٨]

الجدول رقم ٣ ـ ٢٢

	١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م	١٣٣١هـ/ ١٩١٢م
المواليد	٤٥١	٦٦٢
الوفيات	٤٥٧	٢١٧

ويعود الارتفاع في نسبة المواليد وانخفاض الوفيات إلى تحسن الخدمات الصحية في اللواء بعد إقامة المستشفيات والصيدليات، واكتشاف الأمصال المضادة لبعض الأمراض كالطاعون، سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م.[٨٩]

٢ ـ الأمراض والأوبئة:

كانت الأمراض والأوبئة المتعددة من العوامل المهمة المؤثرة في عدد السكان، فكانت تؤدي إلى وفاة الكثيرين منهم في أيام قليلة. ففي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، انتشر الطاعون في عكا مسبباً وفاة ١٢٠ شخصاً في عدة أيام، وقد ازداد عدد الموتى لدرجة أن المغسلين والمكفنين لم يستطيعوا غسل كل الموتى

(٨٨) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٤.

(٨٩) *W.B.E.*, Vol. 15, p. 514.

وتكفينهم،[٩٠] وذلك على الرغم من محاولات السكان تجنب الإصابة بالمرض، فيذكر العورة: «سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م في هذه السنة عند أواخرها حدث الطاعون المريع الكبير في عكا، وذلك أنه في أوائل شهر كانون الأول [ديسمبر] تسامع خبر وجود الطاعون في الآستانة العلية... وخافت النصارى في عكا وصاروا يستحضروا على الاختباء في الكورنتينات. ثم امتد بين اليهود ومنهم اتصل للإسلام بكل سرعة وبأقرب وقت امتد وسرى في كل عكا.»[٩١]

كان تأثير الطاعون أشد في المسلمين منه في النصارى لأن المسلمين كانوا يرفضون الانعزال في بيوتهم أو الخروج إلى المناطق المجاورة تجنباً للإصابة بالمرض. فيذكر العورة: «والإسلام لا بيت ولا عيلة إلاّ ناقصة نصفها أو ثلاثة أرباعها بل زيادة، والنصارى تامين بل زايدين عما دخلوا لأن غالب النساء التي كانت حبالى ولدت وخرجوا بأولادهم وكنت ترى أولئك بحالة الغم والحزن على فقدهم من فقدوا من أقاربهم الذين ماتوا بالطاعون والتزموا طبعاً أن يخفوا سقامة رأيهم ويظهروا علامات التجبر والتجلد، وأولئك طبعاً التزموا بتقديم الشكر لله المحسن والمنعم عليهم بسلامتهم وسلامة عيالهم.»[٩٢]

وانتشر الطاعون بصورة كبيرة في عكا سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م،[٩٣] وفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م.[٩٤]

كما كانت الحمى من الأمراض الشائعة الانتشار والتي أدت إلى وفاة الكثيرين. فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م: «أن الحمى انتشرت في صفد وهي شديدة الوطأة على الناس ولا تحمل المصاب أكثر من ٢٤ ساعة.»[٩٥] وكتبت صحيفة «البشير» في عدد آخر أن الحمى الصفراوية[٩٦] انتشرت إلى

(٩٠) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦.

(٩١) المصدر نفسه، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٩٣) لويس معلوف، «تاريخ حوادث الشام»، «المشرق»، المجلد ١٥، ص ٢٨٨.

(٩٤) أحمد حيدر الشهابي، «الغرر الحسان»، ج ٣، ص ٨١٣؛ حنانيا المنير، «الدر المرصوف»، ص ٨٢.

(٩٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٢٩٠، ١٠ صفر ١٣١٥هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٨٩٧م، ص ٢.

(٩٦) الحمى الصفراوية (Yellow Fever): مرض يسببه فيروس يتلف عدداً من أنسجة الجسم وخصوصاً الكبد، فلا يعمل الكبد بصورة طبيعية وتنتشر على الجلد مادة تجعله أصفر، ويرافق ذلك إصابة المريض بالصداع والحمى والدوار والوجع العضلي، الأمر الذي يؤدي إلى وفاته. أنظر: «الموسوعة الطبية»، ج ٦، ص ٨٠٠ ـ ٨٠٢؛ *W.B.E.*, Vol. 21, «Yellow Fever,» p. 558.

درجة كبيرة في قرية البصة التي تشتمل على ثلاثمئة بيت ولا يخلو بيت من مصاب أو اثنين بها.[٩٧] كما انتشرت بصورة واسعة في الناصرة وقضائها سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.[٩٨]

كذلك انتشر الجدري بين الناس وأدى إلى وفاة الكثيرين منهم. فذكر مراسل صحيفة «البشير» في عكا، سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، أن الجدري انتشر في عكا وحيفا بصورة أكبر من السنوات الماضية،[٩٩] كما تفشى في أنحاء مختلفة من لواء عكا سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م وفتك فيها فتكاً ذريعاً.[١٠٠]

أمّا الهواء الأصفر (الكوليرا) فهو من الأوبئة كثيرة الانتشار في اللواء. ففي سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، تفشى المرض بين أهالي عكا والجنود المصريين فيها،[١٠١] واستمر انتشاره بين فترة وأخرى، فمثلاً تفشى في اللواء سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، وكان عدد الوفيات في طبرية، خلال خمسة أيام، ٦٤ شخصاً كما يبين الجدول التالي:[١٠٢]

الجدول رقم ٣ ـ ٢٣

اليوم	الوفيات
٦ رجب ١٣٢٠هـ/ ٩ تشرين الأول ١٩٠٢م	١٧
٧ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٠ تشرين الأول ١٩٠٢م	١٢
٩ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٢ تشرين الأول ١٩٠٢م	٩
١٠ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٣ تشرين الأول ١٩٠٢م	١٣
١١ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٤ تشرين الأول ١٩٠٢م	١٣
المجموع	٦٤

وكان وباء الكوليرا ينتشر بين السكان صيفاً ويؤدي إلى وفاة الكثيرين منهم. ففي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، انتشر في معظم مناطق اللواء. وفي ٢٦ رجب

(٩٧) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٧٩، ٨ صفر ١٣١٠هـ/ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٩١م، ص ١.

(٩٨) المصدر نفسه، العدد ١٠٨٢، ١٧ صفر ١٣٠٩هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٩١م، ص ٢.

(٩٩) المصدر نفسه، العدد ٣٧٨، ١ ذو الحجة ١٢٩٤هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٧م، ص ٢.

(١٠٠) صحيفة «القبس»، العدد ٦٥، ٢٢ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م، ص ٢.

(١٠١) رستم، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٧٧، ٧٨، ٨٣.

(١٠٢) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٦٨، ١٦ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢م، ص ٢.

١٣٢٠هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٢م توفي في طبرية ٣٥ مريضاً بسبب الكوليرا.[١٠٣] وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، انتشر مرض الكوليرا في حيفا فكتب مراسل صحيفة «البشير» فيها: «أصاب مدينتنا في هذه السنة ما أصاب بعض المدن السورية من حلول الكوليرا الضيف الثقيل والسبب في انتشاره كثرة المواصلات بينها وبين دمشق والأقطار الحجازية وقدوم بعض الركاب الملوثين (المصابين) بالوباء وبيع أمتعة من مات منهم على الطريق مما سهل بقاء مكروباته زمناً ليس بقصير بالإضافة إلى وجود المستنقعات والأقذار في بعض الأنحاء وإهمال أمر التنظيفات، فكانت الإصابات والوفيات تتراوح بين الخمس والست يومياً.»[١٠٤]

ويبين الجدول التالي عدد الوفيات بالكوليرا في عدد من أقضية اللواء قياساً بعدد السكان سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م:[١٠٥]

الجدول رقم ٣ ـ ٢٤

القضاء	عدد السكان	الوفيات
حيفا	١٤,٦٥٠	٨٩٦
عكا	٣٦,٤٧٥	٦٨٧
طبرية	١١,٦٧٥	٤٣
الناصرة	١٣,٩٧٥	٣٣٧
المجموع	٧٦,٧٧٥	١٩٦٣

لم تقتصر الإصابة على هذه الأمراض فقط، بل انتشرت أيضاً أمراض أُخرى كالملاريا وخصوصاً في المناطق التي تكثر فيها المستنقعات مثل الحولة وطبرية وقيسارية وغيرها. فمثلاً كان سكان قرية البعنة مصابين بالملاريا بصورة شبه دائمة بسبب المستنقعات التي تغطي السهل القريب من القرية.[١٠٦]

وفي سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، انتشر مرض الزحار (الدوسنطاريا)[١٠٧]

(١٠٣) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 22, No. 172, 3 November 1902.

(١٠٤) صحيفة «البشير»، العدد ٢٠٨٧، ٢٣ ذو الحجة ١٣٣٠هـ/ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(١٠٥) شارل عيساوي، «التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ ـ ١٩١٤»، ص ١٠٧.

(١٠٦) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 178-180.

(١٠٧) الزحار (الدوسنطاريا): مرض يصيب الأمعاء وترافقه إصابة المريض بالإسهال. أنظر: «الموسوعة الطبية الحديثة»، ج ٤، ص ٧٤٢.

والحمى المتقطعة في قضاء عكا، فأصيب بالمرضين في عكا وحدها ألفا شخص وثلاثة آلاف في القضاء، إلاّ إن صحيفة «البشير» لم تحدد عدد الوفيات بين المرضى.[١٠٨]

وكانت المدينة تتعرض للإصابة بأكثر من وباء في وقت واحد. ففي سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، انتشر داء الحصبة في عكا وأصاب الأطفال فيها، ومنها امتد إلى القرى المجاورة وإلى حيفا التي انتشر فيها داء الخانوق أيضاً.[١٠٩]

كما أشارت صحيفة «البشير» إلى الوباء المعروف بـ «أبو الركب»،[١١٠] فقال مراسل الصحيفة في شفا عمرو، إن داء «أبو الركب» برح المدينة غير مأسوف عليه بعد أن أنحل الأجسام وأضعفها.[١١١]

٣ ـ الهزات الأرضية (الزلازل):

أثرت الزلازل بصورة كبيرة في السكان، فأدت إلى وفاة المئات منهم. واهتم الرحالة الأوروبيون بالإشارة إلى الهزة الأرضية التي ضربت اللواء سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وأدت إلى مقتل الآلاف. ففي صفد دُمر معظم بيوت المدينة وقُتل وجرح ٦٠٠٠ شخص.[١١٢]

وتحدث أسعد منصور عن أثر زلزال سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م في لواء عكا فقال: «في اليوم الأول من سنة ١٨٣٧ حدثت زلزلة لم تر هذه الجهات أشد

(١٠٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٧٨، ١٩ محرم ١٣٠٩هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٩١م، ص ٢.

(١٠٩) الخانوق (الدفتيريا): مرض يصيب الإنسان وأعراضه الإصابة بالحمى والصداع والغثيان ويصيب الأطفال بصورة خاصة. وفي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م اكتشف الطبيب الأميركي شيك (Schik) المصل المضاد للمرض. أنظر: «الموسوعة الطبية»، ج ٣، ص ٥٩٦؛ «مجلة الكلية»، ج ٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٠٦م، المجلد ١٦، ص ٣٧٤ ـ ٣٨٢. وانظر أيضاً: صحيفة «البشير»، العدد ٩٢٠، ٢٤ شوال ١٣٠٥هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٨٨٨م، ص ٢.

(١١٠) أبو الركب (حمى الدنج): مرض يصيب الإنسان، من أعراضه حمى تستمر من ثلاثة إلى ثمانية أيام وتظهر على الجلد حبوب تختلف في حجمها من مريض إلى آخر. وينتقل المرض بالعدوى، كما أنه ينتشر بصورة واسعة في مناطق المستنقعات. وقد انتشر المرض في سورية سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، وسنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م. أنظر: مجلة «المقتطف»، «حمى الدنج (أبو الركب)»، ج ٢٨، سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ص ٤٩٥ ـ ٥٠٣؛ «الموسوعة الطبية»، ج ١، ص ٧٨٨ ـ ٨١٠.

(١١١) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٩٣، ١٤ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٤.

(١١٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 199; Claude Conder, *Palestine*, pp. 311, 312; Stewart Macalister, «Diary,» *PEF*, 1907, p. 191.

منها، وكان ضررها على أشده في صفد وما جاورها. ولم يبق في المشهد على أمد أربعة أميال شمالي الناصرة بيت قائم. وكان بعض أهالي الرينة على المزبلة فانشقت وابتلعتهم. أمّا في الناصرة فكان الضرر أقل وإنما هدم قسم كبير من الدير ثم أعيد بناؤه بعد مدة وجيزة أفضل مما كان... إن الجش لم يبق فيها بيت قائم وقد قتل أربعة أخماس سكان صفد... وقتل في طبرية نحو ستمائة نفس تحت الردم.»[113]

ويشير الجدول التالي إلى عدد البيوت المدمرة وعدد الجرحى والقتلى في زلزال سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م:[114]

الجدول رقم ٣ ـ ٢٥

المدينة	القتلى		البيوت المدمرة	البيوت الخربة	الجرحى
صفد	٢١٥٨	مسلمون ويهود	جميع البيوت	-	-
	٧٣	يتمتعون بالحماية الفرنسية			
	١٤	يتمتعون بالحماية البريطانية			
	٦٤	يتمتعون بحماية توسكانا الإيطالية			
	٥٠٠	يتمتعون بحماية روسيا والنمسا			
الناصرة	١٢٦		٣٧٣	٤٢٥	١٣
عكا	١٤١		٢٤٥	٥٦٣	
شفا عمرو	٧		٨٦	١٣٩	
حيفا وعتليت	-		١٧	٣	٤
المجموع	٣٠٨٣	-	٧٢١+جميع بيوت صفد	١١٣٠	١٧

كما يبين التقرير التالي النتائج التي نجمت عن زلزال سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م في قرى اللواء ومدنه:[115]

الجش: دمرت، وأُصيب ٢٣٥ شخصاً.

عين الزيتون: دمرت.

صفد: ٥٠٠ ضحية. البيوت على المنحدرات سقط بعضها فوق بعض.

(١١٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠، ٨١، وانظر أيضاً:
Thomson, *The Land and the Book*, pp. 278, 279.

(١١٤) Ben Harian, «An Official Report on the Earthquake of 1837,» *I.E.J.*, Vol. 2, 1952, pp. 63, 64.

(١١٥) Kallner, *op.cit.*, p. 231؛ رستم، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢.

طبرية: دمرت، و٧٠٠ ضحية، أي ما يعادل ٢٢٪ من سكانها. وسقطت أسوار المدينة وتدفقت المياه المعدنية الحارة لعدة أيام فقتلت عدة أشخاص.

لوبيا: ١٤٣ ضحية.

الشجرة: دمرت.

كفر كنا: تدمير محدود.

الرينة: دمرت.

الناصرة: قتل ٥ أشخاص وتدمير متوسط للبنايات.

صفورية: تدمير غير مؤثر وبسيط.

عكا: عدة أشخاص قتلوا وجرح آخرون.

٤ ـ التجنيد العسكري:

كان التجنيد الإجباري شديد التأثير في السكان في لواء عكا، وخصوصاً في الفلاحين الذين قابلوا الخدمة العسكرية بفتور. فسيطر على الأهالي شعور بأن الذاهبين إلى جبهات القتال نادراً ما يعودون إلى قراهم بسبب ارتفاع عدد الوفيات بين الجنود على الجبهات، إلى درجة أن الأهالي اشترطوا عند الزواج تحديد نفقة للزوجة من أحد أقارب الزوج إذا أصابته القرعة العسكرية. فأشار أحد السجلات إلى «عقد نكاح خولة بنت أحمد شلعوط من عتليت على خاطبها أحمد عبد الرحيم بن عبد العزيز من إجزم الذي أجراه قبلاً الشيخ محمد الحسن الحمد في غرة رمضان، فيلزم الشيخ محمد الحسن أن يأخذ من الزوج ووالده وأخيه وأحد أقاربه سند كفالة على ورق صحيح إذا أصابته القرعة العسكرية يكون ملزوماً بنفقة مخطوبته مدة إقامته بسلك العسكرية لحيثما يرجع إذا لم يكن للزوجة موانع شرعية.»[116]

وزاد في نفور السكان من الخدمة العسكرية إرسال المكلفين إلى بلاد بعيدة كاليمن والبلقان، فأشارت السجلات إلى الأسمر بن علي الباجوري من عرب السمنية الغائب في سلك العسكرية في بلاد اليمن،[117] وإلى وفاة محمد بن محمود بن سعد من أهالي عين غزال في اليمن وهو يؤدي الخدمة العسكرية.[118]

(١١٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٢٤، ن ١١٢، ٣ محرم ١٢٩٠هـ/ ٣ آذار (مارس) ١٨٧٣م.
(١١٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٣، ن ٨٥، ٦ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١٧ آذار (مارس) ١٨٩١م.
(١١٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٣٥، ن ١٨٧، ٢١ محرم ١٣٢١هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م.

كما تناقص سكان الطيرة بسبب التجنيد الإجباري الذي فرضته الدولة عليهم سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م.[119]

لقد تمت أول محاولة تجنيد نظامية كبيرة في فلسطين بعد حرب القرم سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، واستدعي فيها للخدمة العسكرية الأفراد الذين بلغت أعمارهم بين ٢٠ و٢٥ عاماً، إلاّ إنه أُعفي من الخدمة الابن الوحيد والمعيل الوحيد للأسرة. وكان في إمكان المرء أن يشتري الإعفاء بـ ١٠,٠٠٠ قرش تقريباً. وبلغ عدد الذين جندوا في لواء عكا في هذه الحملة نحو ٣٢٤ رجلاً. وبحسب التحريات التي قام بها القنصل البريطاني ساندويذ (Sandwith)، في حيفا، فقد جُند ٢٦٢ رجلاً بينما اشترى الآخرون إعفاءهم من الخدمة في مقابل ١٠,٠٠٠ قرش لكل واحد منهم. ويعطي الجدول التالي صورة عن التجنيد في اللواء في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م:[120]

الجدول رقم ٣ ـ ٢٦

المنطقة	عدد المجندين	عدد الذين دفعوا بدل التجنيد	المجموع
عكا	١٥	١	١٦
ساحل عكا	٢١	٧	٢٨
الجبل	٢٢	٧	٢٩
الشاغور	٢٩	١١	٤٠
صفد	٢١	١٣	٣٤
طبرية	٣٨	٢	٤٠
الناصرة	٤١	٣٢	٧٣
شفا عمرو	١٢	١٥	٢٧
حيفا	٦٣	١٥	٧٨
المجموع	٢٦٢	١٠٣	٣٦٥

كما يبين الجدول أن عدد الذين أدوا الخدمة العسكرية بلغ نحو ٢٦٢ شخصاً بين المطلوبين البالغ عددهم ٣٦٥ شخصاً، لكن لا تتوفر المعلومات عن عدد الذين توفوا في أثناء الخدمة لمعرفة حجم تأثير الخدمة العسكرية في عدد السكان. وذكرت صحيفة «البشير»، سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٦م، أن القرعة العسكرية أصابت

(١١٩) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 581.

(١٢٠) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٦.

في ساحل عكا ٣٧ رجلاً وفي قضاء صفد ٥٥ رجلاً.[121] وفي السنة نفسها أصابت القرعة ٢٠ رجلاً في طبرية و٤٦ رجلاً في منطقة الشاغور.[122]

كان تأثير الخدمة العسكرية محدوداً في غير المسلمين لأنه لم يسمح لهم بالخدمة إلاّ بعد صدور التنظيمات. بل إن التطبيق العملي لتجنيد المسيحيين واليهود لم يبدأ، فعلاً، إلاّ بعد صدور الفرمان السلطاني بتجنيد غير المسلمين في الجيش العثماني سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. فذكرت صحيفة «الاتحاد العثماني»: «احتفل ضحى اليوم في دار الحكومة بتلاوة المنشور السلطاني الصادر بتجنيد غير المسلمين بحضور الوالي وقومندان الموقع وأركان الولاية والرؤساء الروحيين ومجلس أخذ العسكر وغيرهم وفريق كبير من الأهالي.»[123]

وقد أتي إلى ذكر تجنيد المسيحيين في السجلات الشرعية؛ فأشارت إحدى الحجج إلى عبد الله بن بطرس صهيون المسيحي العثماني من أهالي حيفا الذي فرض عليه نفقة شرعية إلى ألبير وصبحي ابني ولده بطرس الغائب في الخدمة العسكرية.[124]

لكن اليهود والمسيحيين كانوا أكثر قدرة على التهرب من الخدمة العسكرية من المسلمين لأنهم أكثر قدرة على دفع البدل النقدي. كما تمتع اليهود بحماية الدول الأوروبية التي منحت عدداً كبيراً منهم تبعيتها (جنسيتها) فتهربوا بذلك من الخدمة العسكرية.[125] ولذلك وقع عبء الحرب على المسلمين وخصوصاً قبل التنظيمات.

ويبين الجدول التالي الذي تشكل على أساس عينة من ٣٢ شخصاً عدد الذين أدوا الخدمة العسكرية، والقرى والمدن التي ينتمون إليها:[126]

(١٢١) صحيفة «البشير»، العدد ٨٣٣، ٢٣ ذو القعدة ١٣٠٢هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م، ص ٤.

(١٢٢) المصدر نفسه، العدد ٨٣٤، ٢٤ ذو القعدة ١٣٠٢هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م، ص ٢، ٣.

(١٢٣) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٤٨، ٢٧ شوال ١٣٢٧هـ/ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(١٢٤) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ١٠٥١، ١٠ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(١٢٥) صحيفة «فلسطين»، العدد ١٧١، ٣ شوال ١٣٣٠هـ/ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢م، ص ١، ٢.

(١٢٦) أنظر مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٧، ن ٩٢١، ٢١ شعبان ١٣٣٣هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩١٤م؛

س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٢، ن ٧٦، ١٠ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/ ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٢م.

الجدول رقم ٣ ـ ٢٧

حيفا	الطيرة	الصرفند	إجزم	بلد الشيخ	دالية الروحاء	صبارين	عرب السمنية	مسيحيون	الوفيات	غير معروفة قراهم	المجموع
١٣	٤	٢	١	١	١	١	١	١	٤	٣	٣٢

كانت حملات التجنيد تشتد في أوقات الحروب. لذلك كانت واسعة في الفترة ١٣٠٨ ـ ١٣١٠هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٨٩٢م،(١٢٧) وفي سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، وارتبطت الحملة الأولى بالحروب في البلقان واليمن، وارتبطت الحملة الثانية بقيام الحرب العالمية الأولى.(١٢٨)

وظهر أثر التجنيد واضحاً في السكان في انخفاض عدد الذكور بالنسبة إلى عدد الإناث عند المسلمين. وهذا ما تبيّن من دراسة عينة من السكان في اللواء شملت ٦١ أسرة.(١٢٩) فمن هذه الأسر هناك ٢٦ أسرة زاد فيها عدد الذكور على الإناث، و٢٥ أسرة زاد فيها عدد الإناث على الذكور، أمّا الأسر الباقية فتساوى فيها العددان. وبلغ عدد الذكور في هذه العينة ١٤٦ شخصاً بينما بلغ عدد الإناث ١٦٦ شخصاً. ويعود الارتفاع إلى وفاة عدد كبير من الذكور في الحروب الكثيرة التي خاضتها الدولة العثمانية. وكان انخفاض عدد الذكور واضحاً عند المسلمين أكثر من غيرهم من الطوائف الدينية لأن الخدمة العسكرية اقتصرت عليهم حتى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.(١٣٠)

وأظهر معظم الإحصاءات العثمانية زيادة في عدد الإناث بالنسبة إلى عدد الذكور، ففي الإحصاء الذي ذكرته سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م كان عدد السكان على النحو التالي:(١٣١)

---

(١٢٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٣، ن ٨٥، ٦ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١٧ آذار (مارس) ١٨٩١م.

(١٢٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ١٠٥١، ١٠ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(١٢٩) أنظر مثلاً: س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٥٤، ٢٢ شعبان ١٣٢٩هـ/ ١٨ آب (أغسطس) ١٩١١م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٩، ن ٧١، ٣ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢م.

(١٣٠) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٤٨، ٢٧ شوال ١٣٢٧هـ/ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(١٣١) MaCarthy, *op.cit.*, p. 50.

الجدول رقم ٣ ـ ٢٨

الطائفة	عدد السكان	
	الذكور	الإناث
المسلمون	٢٤٧٤١	٢٥٤٥١
الأورثوذكس	٣٠٦٦	٢٧٨٥
الموارنة	٢٦٦	٢٤٩
الكاثوليك	٢٤٧٦	٢١٣٧
اللاتين	١٦٥٥	١٤٦٣
البروتستانت	١٥٠	١٣٤
الدروز	١١٨١	١٠٨٤
اليهود	٢٧٥	١٩١
المجموع	٣٣٨١٠	٣٣٤٩٤

ويظهر من الإحصاء أن نسبة الذكور أعلى من الإناث في اللواء بصورة عامة، إلاّ إن نسبة الإناث أعلى من الذكور عند المسلمين، وعلى العكس من ذلك في بقية الطوائف التي تزيد فيها نسبة الذكور على الإناث.

وفي الإحصاء السكاني الذي أوردته سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م، فإن عدد الإناث زاد على عدد الذكور بالنسبة إلى جميع الطوائف، ما عدا المسلمين واللاتين والبروتستانت، وتساوى مع عدد الذكور في طائفة الكاثوليك، كما يبين الجدول التالي:

الجدول رقم ٣ ـ ٢٩

الطائفة	الذكور	الإناث
المسلمون	٣٤٦١٨	٣٤٩٠٦
الأورثوذكس	٣٨٨٦	٤٠٠٣
اللاتين	٣٨٨٨	٣٥١٤
الموارنة	٧٣٠	٧٤٢
البروتستانت	٢٨٣	٢٥٩
الكاثوليك	١٠١٣	١٠١٣
اليهود	٣٢٠٨	٣٦٣٤
المجموع	٤٧٦٢٦	٤٨٠٧١

أمّا الجدول التالي فيوضح عدد المسلمين ذكوراً وإناثاً وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦م:[١٣٢]

الجدول رقم ٣ ـ ٣٠

القضاء	عدد المسلمين	
	الذكور	الإناث
قضاء عكا	١٣٧٤١	١٣٠٣٨
قضاء حيفا	٩٦٧٨	٩٥٦٦
قضاء طبرية	٣٠٢٩	٣٣٥٨
قضاء صفد	٩٢٤٧	٩٦٤٥

ويبين الجدول أن عدد الذكور أكثر من عدد الإناث في قضاءي حيفا وعكا، بينما كان عدد الإناث أكثر من عدد الذكور في قضاءي طبرية وصفد.

ووفقاً للإحصاء الذي ذكرته صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣م كان عدد الإناث أكثر من عدد الذكور عند المسلمين والكاثوليك، وكان العكس عند بقية الطوائف:[١٣٣]

الجدول رقم ٣ ـ ٣١

الطائفة	عدد السكان		
	الذكور	الإناث	المجموع
المسلمون	٥٦٥٩	٥٦٩٦	١١٣٥٥
الأورثوذكس	٣١٥٨	٢٠٢٣	٥١٨١
الكاثوليك	٧٨٤	٧٩٠	١٥٧٤
اللاتين	٩١٣	٨٩٥	١٨٠٨
الموارنة	٢١٦	١٨٧	٤٠٣
البروتستانت	١٨٣	١٧٤	٣٥٧

(١٣٢) *Ibid.*, pp. 51, 52.

(١٣٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ١.

٥ ـ الهجرة:

تعتبر الهجرة أحد العوامل الأساسية المؤثرة في عدد السكان زيادة ونقصاناً. إذ عانى اللواء جرّاء هجرة سكانه إلى خارجه. وكان لسياسة الجزار أثر في دفع عدد من سكان اللواء إلى الهجرة إلى المناطق المجاورة. فذكر إبراهيم العورة: «فالديرة بما أنها بوقت موت الجزار كانت على حال التلف الكلي من الظلم والجور الذي أحاق بها مدة ولايته بنهبه أموالها وأرزاقها وضبطه أملاكها وقتل وجوهها وغالب أهاليها حتى صارت بحال يرثى لها فالذين من أهاليها ووجوهها قتلوا انضبط مالهم ورزقهم والذين بقوا أحياء فغالبهم من الجور منهوبة أموالهم ومضبوطة أرزاقهم والذين أمكنهم الهرب هربوا لديرة الشام وتوطنوا في جبل نابلس والقدس وعجلون والقنيطرة والكرك وغيرها من تلك النواحي.»[١٣٤]

كما أن الخلافات والنزاعات المحلية بين السكان دفعت عدداً منهم إلى الهجرة، فذكر أسعد منصور أنه وقعت خلافات مذهبية بين المسيحيين أنفسهم،[١٣٥] دفعت بعضهم إلى الهجرة من الناصرة فيقول موضحاً: «ويظهر مما كتبه يعقوب فرح سنة ١٨٧٥م أن كثيراً من سكان الناصرة كانوا قد هاجروا، ولعل ذلك كان بسبب الحوادث المشار إليها، وبسبب ثقل الضرائب على الفلاح فضلاً عن أن البدو كانت تأكل مزروعاتهم في المرج، وكان في نابلس بضعة عيال (عائلات) منهم عودة عزام وكيل قنصلاتو إنكلترا وسمعان قعوار (وكان ابنه سعيد وكيل قنصلاتو بروسيا وناصر فرح وكان صالح ابنه كاتباً عند محمد أمين القاسم وكيل قنصل فرنسا) وميخائيل قعوار مبشراً ويعقوب الموسى معلماً ومعه أخواه الياس وإبراهيم ويوسف نجمة.»[١٣٦]

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ازدادت هجرة المسيحيين إلى الأميركتين، فقد عانت صفد جرّاء هجرة سكانها إلى أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية،[١٣٧] كما هاجر المسيحيون من حيفا. فذكرت صحيفة «البشير»، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، أن عزيز أفندي الخياط من كبار التجار في مدينة نيويورك عاد إلى حيفا مع عائلته من الولايات المتحدة.[١٣٨]

(١٣٤) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(١٣٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣ ـ ٨٥؛ فيليب وفريد الخازن، «مجموعات المحررات السياسية»، ص ٢١٩.

(١٣٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨.

(١٣٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٠، ٣٥١؛ Mastermen, *op.cit.*, p. 170.

(١٣٨) صحيفة «البشير»، العدد ٢٠٣٣، ١١ جادى الأولى ١٣٢٩هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩١١م، ص ٣.

كما هاجر السكان المسيحيون إلى مصر وأقاموا بها. فأشارت المصادر إلى باصيلا بحوث من أهالي حيفا المقيم بالإسكندرية،[١٣٩] وإلى قيصر وجورج وماريا وجوليا أولاد بشارة بن أنطوان قرداحي من أهالي عكا المقيمين بمصر،[١٤٠] وإلى جرجي بن حنا بن دانيس من أهالي طبرية المقيم بالإسكندرية.[١٤١] ولم تقتصر الهجرة على سكان المدن فقط، بل شملت سكان القرى أيضاً، إذ فقدت قرية البعنة عدداً من سكانها بسبب هجرتهم إلى خارج اللواء.[١٤٢]

ونجم عن شراء اليهود الأراضي الزراعية في المناطق المتعددة من اللواء وإقامة المستعمرات إجبار المزارعين على ترك أراضيهم وقراهم. فانتقل سكان قرية المطلة الدروز إلى حوران بعد شراء اليهود لأراضيهم.[١٤٣] كما تفرقت قبيلة الدلايكة في اللواء وخارجه بعد أن باع سرسق لليهود أراضي قرية الملاحة التي تقيم بها القبيلة.[١٤٤]

لكن الهجرة إلى اللواء كانت أعظم تأثيراً في السكان، إذ أدت إلى زيادتهم بصورة واضحة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد هاجر إلى اللواء بصورة جماعية وفردية عدد كبير من مسلمي البوسنة والهرسك،[١٤٥] والقوقاز،[١٤٦] والجزائر ومصر،[١٤٧] ولبنان.[١٤٨] كما هاجر يهود من روسيا وبولندا ورومانيا

(١٣٩) المصدر نفسه، العدد ٢٠٦٧، ٢٢ رمضان ١٣٢٩هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٤٦، ن ٩٨، ٢٧ رجب ١٣٢٨هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(١٤١) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٧، ١٢٨، ن ١١، ٢٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(١٤٢) فرديناند توتل اليسوعي، «رحلة رسولية»، «المشرق»، المجلد ٢١، ص ٨٧٦.

(١٤٣) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ٢.

(١٤٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

(١٤٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٥، ٧ رجب ١٣٠٦هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(١٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٦، ١٩٧، ن ٢٤١، ٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

(١٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٧٤، ن ١٠٠، ١٤ رجب ١٣٢٣هـ/ ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٥م.

(١٤٨) حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣٤.

والمغرب والجزائر والآستانة.[١٤٩]

ويظهر هذا التأثير في أن عدداً من عائلات بعض القرى جاءها من مناطق خارج اللواء. ويعطي الجدول مثلاً عن المناطق التي هاجرت منها عائلات قرية الطيرة القريبة من حيفا:[١٥٠]

الجدول رقم ٣ ـ ٣٢

العائلة	المنطقة التي جاءت منها
الأبطح	مكة
الباش	نعلين/ رام الله
باكير	ديار بكر
البحيري	مصر
تميم	تميم بن مرة/ الجزيرة العربية
حجير	قباطية/ جنين
درباس	الجزيرة العربية
راشد	غزة
الريان	كابول/ الناصرة
زيدان	العريش
السعدي	القنيطرة
علوة	ديار بكر
عمور	الجزائر
غيدا	وادي الحوارث
منصور	مصر
الناجي	ديار بكر
المصاروة	مصر

كما قدم بعض عائلات قرية كفر برعم من لبنان وبيت لحم (فلسطين)، وهذا ما يبينه الجدول التالي:[١٥١]

(١٤٩) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 293-295; Archdeacon Dowling, «Haifa,» *PEF*, 1917, p. 191.

(١٥٠) عبد الصمد الحاج يوسف أبو راشد، «طيرة الكرمل»، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨.

(١٥١) حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣٤.

الجدول رقم ٣ ـ ٣٣

العائلة	المنطقة
بيت سوسان	كسروان
مخول أبي صافي	قليعة مرجعيون
مارون تركية	سرعل
فرح	القوزح
دياب	بيت لحم

كما جاء بعض عائلات قرية يافا بالقرب من الناصرة من مناطق مختلفة، فعائلة الزعاتري من بني نمر من شرق الأردن، والخطباء من الكفير بالقرب من نابلس، والخليلة من الخليل.[١٥٢]

ثانياً: عناصر السكان*

أ) الدروز

استقر الدروز بثلاثة أقضية من أقضية اللواء الخمسة، بينما خلا قضاءا طبرية والناصرة منهم. وقد استقروا بقرى جبلية، إذ تقع قرية عسفيا الدرزية في أعلى منطقة في جبل الكرمل،[١٥٣] إلاّ إنهم لم يستقروا بأي من مدن اللواء.

توزعت القرى الدرزية جغرافياً على أربع مناطق:** ١) المنطقة الساحلية، وتشمل قرى جولس، ويركا، وأبو سنان، وكفر ياسيف؛ ٢) المنطقة الجبلية، وتشمل قرى يانوح، وكفر سميع، وكسرا، وحرفيش، وبقعين، وبيت جن، وعين الأسد؛ ٣) منطقة الشاغور، وتشمل قرى الرامة، والمغار، وسجور، وجت؛ ٤) جبل الكرمل، ويشمل قريتي عسفيا، ودالية الكرمل.[١٥٤]

---

(١٥٢) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨٩.

* لم أتحدث عن المسيحيين والمسلمين كأحد عناصر السكان بسبب الإشارة إليهم عند الحديث عن سكان اللواء والأقضية والمدن والقرى.

(١٥٣) *E. B.*, «Druze,» Vol. 4, p. 234; *E. J.*, «Religous Life, Druze,» Vol. 9, p. 927; J. Ben-Zvi, «The Druze Community in Israel,» *I.E.J.*, Vol. 4, 1954, p. 67; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 168, 268.

** الإشارة هنا إلى توزيع القرى الدرزية جغرافياً، والتي ما زالت موجودة إلى الآن وكانت تبعيتها الإدارية تتغير من فترة إلى أُخرى.

(١٥٤) Salman Falah, «Druze,» *SPDOS*, p. 40; Ben-Zvi, *op.cit.*, Vol. 4, p. 70.

وأشارت المصادر المتعددة إلى وجود عدد أكبر من القرى الدرزية، إلاّ إن عدداً منها تعرض للتدمير، فهاجر سكانها إلى حوران. إذ تسببت الخلافات بين المسلمين والدروز بدفع الدروز إلى ترك قراهم. فقد دُمرت قرية سلمة الدرزية بالتعاون بين الشيخ ظاهر العمر وسكان قرية عرّابة، كما دمر المسلمون في القرى المجاورة قرى الشلالة والدامون والمنصورة.[١٥٥] وما يؤكد خراب القرى الدرزية وانتقال سكانها إلى حوران بسبب الخلافات مع المسلمين في الجوار ما نقله شريف كناعنة وبسام الكعبي عن أحد سكان قرية عين حوض القريبة من حيفا إذ قال: «إنه في فترة السيطرة العثمانية على البلاد تعرضت بعض القرى الدرزية للخراب بسبب الاعتداء بالقتل على إحدى نساء القرية على أيدي مجموعة من شباب الدروز وعندما علم أهل عين حوض بذلك التقوا مع الدروز وصارت طوشة صار قتلى من الطرفين وبعدين حمل الدروز حالهم وطلعوا من بستان وهيك خربت وصارت تسمى بستان ومش بس بستان اللي خربت، لكن الشلالة ورقطية والدامون وجلمة وسماكة وأم الزينات خربت شيلة ورحل سكانها إلى جبل الدروز في سورية.»[١٥٦]

وخلال الحكم المصري لبلاد الشام في الفترة ١٢٤٧ ـ ١٢٥٦هـ/ ١٨٣١ ـ ١٨٤٠م، ساءت العلاقة بين الدروز والمصريين بقيادة إبراهيم باشا، وثار الدروز في حوران واللواء محتجين على التجنيد الإجباري، وعلى الضرائب المختلفة كضريبة الفردة على الأفراد. فهاجم الجيش المصري بعض القرى الدرزية، وهرب عدد من سكانها إلى لبنان وحوران.[١٥٧]

وذكر أوليفانت أن وجود الدروز في جبل الكرمل يعود إلى ٢٥٠ سنة مضت عندما أنشأوا ثماني قرى على الجبل. وعندما احتل إبراهيم باشا فلسطين كان حكمه مكروهاً من معظم الدروز، فهاجر سكان من القرى الدرزية إلى جبل الدروز في

---

(١٥٥) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧٦، ٨٧٧؛ ناجي حبيب مخول، «عكا وقراها»، ص ٧٧؛ Ben-Zvi, *op.cit.*, Vol. 4, p. 72; Falah, *op.cit.*, pp. 44, 45.

(١٥٦) شريف كناعنة وبسام الكعبي، «عين حوض»، ص ٢٠، ٢١. وانظر أيضاً: Ben-Zvi, *op.cit.*, Vol. 4, p. 74.

(١٥٧) رستم، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧٢، ٣٧٣؛ أسد رستم، «بشير»، ص ١٣٦ ـ ١٤٥؛ أسد رستم، «الثورة الدرزية ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨م»، «المشرق»، المجلد ٣٥، ص ٤٧٥ ـ ٤٩٠؛ ميخائيل مشاقة وملحم عبده وأندراوس شخاشيري، «مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان»، ص ١٧٠ ـ ١٧٤؛ حسن هشي (تحقيق)، «تاريخ الأمراء الشهابيين»، ص ٦٧، ٦٨، ٨١ ـ ١٠٦؛ قسطنطين بازيلي، «سوريا وفلسطين»، ص ٣١٥ ـ ٣٢٩.

حوران.(١٥٨)

وأشار مؤلفو كتاب *Hand Book of Syria* إلى أن قرى الدروز على جبل الكرمل هي الدالية وعسفيا مع توابعهما، أي حليمة المنصور التابعة للدالية، وجلمة عسفيا، وأن للدروز أربع قرى أُخرى في المنطقة هي الخربة والشلالة والبستان والرقطية، دمرت في أثناء الاحتلال المصري أو بعده. وفضل الدروز الهجرة إلى حوران لأنهم يشكلون فيها أكثرية السكان كما أنهم بعيدون عن سيطرة الحكومة. وأشار أوليفانت إلى أن الدروز يقلون بسرعة بسبب الهجرة البطيئة، لكن الثابتة، إلى منطقة جبل الدروز شرقي حوران حيث يتمتعون بالاستقلال عن سيطرة الحكومة العثمانية.(١٥٩)

كما ترك الدروز قراهم هرباً من الضرائب والتجنيد الإجباري الذي فرضته الدولة العثمانية على السكان. فذكر كوندر أن قرية بيت جن تضم ٢٠٠ نسمة جميعهم من الدروز، ومنذ أعوام كانت بيت جن قرية كبيرة، كما ظهر من البيوت المتهدمة التي تحولت إلى آثار. وقد قل عدد السكان الدروز فيها لأنهم انتقلوا إلى حوران هرباً من التجنيد الإجباري والسخرة.(١٦٠)

وعندما اشترى اليهود أراضي قرية المطلة وأقاموا عليها مستعمرة يهودية سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، غادر الدروز قريتهم إلى حوران، أو إلى القرى الدرزية الأُخرى، فانتقلت عائلة الوهاب، مثلاً، إلى قرية عسفيا.(١٦١)

وبالتالي فضل الدروز في اللواء الإقامة بالقرى التي يشكلون فيها أغلبية، وعاشوا في حارات خاصة بهم تسمى حارات الدروز، كما هو الحال في شفا عمرو.(١٦٢) ولقد عاشوا، في الغالب، في قرى درزية خاصة بهم فقط، أو في قرى مشتركة مع المسيحيين أو في قرى مشتركة مع كل من المسلمين والمسيحيين، إلاّ إن الدروز لم يسكنوا قرى مشتركة مع المسلمين، وهذا ما يؤكد حدة الخلافات بين الطرفين إذ أصبح من المتعذر إقامة الطرفين بقرية واحدة.

(١٥٨) Oliphant, *Haifa*, p. 121; صحيفة «البشير»، العدد ٤٤٥، ٢٧ ربيع الأول ١٢٩٦هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٨٧٩م، ص ٤٣؛ *Hand Book*, p. 511; Ben-Zvi, *op.cit.*, pp. 74, 75.

(١٥٩) *Hand Book*, p. 511; Ben-Zvi, *op.cit.*, pp. 74, 75.

(١٦٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 196.

(١٦١) Ben-Zvi, *op.cit.*, Vol. 4, p. 64; Falah, *op.cit.*, p. 45; صحيفة «البشير»، العدد ٤٤٥، ٢٧ ربيع الأول ١٢٩٦هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٨٧٩م، ص ٣.

(١٦٢) Baedeker, *op.cit.*, p. 243.

اعتبر العثمانيون الدروز من المسلمين ولذلك لم تهتم الإحصاءات العثمانية بالإشارة إلى عددهم في اللواء بصورة منفصلة مثل بقية الطوائف الدينية، إلاّ إن سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ - ١٨٨١م أشارت إلى عددهم على النحو التالي:(١٦٣)

الجدول رقم ٣ - ٣٤

القضاء	عكا	حيفا	الناصرة	طبرية	صفد	المجموع
عدد الدروز	١٥٠٧	٤٤٣	-	-	٨٠٢	٢٧٥٢

شكل الدروز وفقاً لهذا الإحصاء نحو ٧,٧٪ من السكان في اللواء، ويبين الجدول التالي قرى الدروز وعدد سكانها وفقاً للإحصاء الذي قام به شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م:(١٦٤)

الجدول رقم ٣ - ٣٥

اسم القرية	الدروز	المسيحيون	المسلمون	المجموع
قرى ساحل عكا				
يركا	١٢٨٠	-	-	١٢٨٠
أبو سنان	٣٣٠	٢٣٥	-	٥٦٥
جت	١٠٥	-	-	١٠٥
يانوح	٢٤٥	-	-	٢٤٥
جولس	٣٦٠	-	-	٣٦٠
قرى ناحية الشاغور				
سجور	١٩٠	-	-	١٩٠
الرامة	٤٢٥	١٢٥	-	٥٥٠
المغار	٦٢٥	٤٢٠	-	١٠٤٥
كسره [كسيرا]	٧٠	-	-	٧٠
قرى ناحية شفا عمرو				
شفا عمرو	٤٤٠	١٥١٠	٧٩٥	٢٧٤٥

(١٦٣) McCarthy, *op.cit.*, p. 48.

(١٦٤) Schumacher, *op.cit.*, pp. 161-191.

تابع الجدول رقم ٣ ـ ٣٥

قرى قضاء حيفا				
عسفيا	٤٨٠	٧٥	-	٥٥٥
دالية الكرمل	٦٢٠	-	-	٦٢٠
قرى قضاء صفد				
الجاعونة	٣٧٥	-	-	٣٧٥
البقيعة [بقعين]	٣٥٠	٥٠٠	-	٨٥٠
كفر سميع [كفر سموعي]	٢٥٠	٣٠	-	٢٨٠
بيت جن	١٢١٥	-	-	١٢١٥
المجموع	٧٣٦٠	٢٨٩٥	٧٩٥	١١,٠٥٠

يبين الجدول أن الدروز يعيشون في ست عشرة قرية، منها تسع قرى درزية خالصة، وست قرى يعيش فيها الدروز والمسيحيون، وقرية واحدة هي شفا عمرو يعيش فيها المسيحيون والدروز والمسلمون. وشكل الدروز ٤,٧٪ من مجموع السكان في اللواء وفقاً لهذا الإحصاء، وشكلوا ما نسبته ٦٦,٦٪ من مجموع سكان القرى التي يعيشون فيها، كما أنهم يمثلون أغلبية السكان في جميع القرى التي عاشوا فيها مع المسيحيين ما عدا شفا عمرو.

واهتم فيتال كونت بين الرحالة الأجانب بالإشارة إلى عدد الدروز في اللواء، فكان عددهم وفقاً للإحصاء الذي وضعه سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م على النحو التالي:(١٦٥)

الجدول رقم ٣ ـ ٣٦

القضاء	عدد السكان
عكا	٢٥٣
حيفا	٤٢٢
الناصرة	-
صفد	٤٠٠
طبرية	-
المجموع	١١٧٥ [١٠٧٥]*

* المجموع النهائي للدروز وفقاً لهذا الإحصاء هو ١٠٧٥ نسمة لا ١١٧٥ نسمة كما ذُكر في المصدر.

(١٦٥) McCarthy, *op.cit.*, p. 61.

وبالمقارنة بين الإحصاء الذي ذكرته سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م وبين إحصاء فيتال كونت يظهر أن الدروز تناقصوا إلى أقل من النصف خلال الفترة ١٢٩٨ ـ ١٣١٦هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٨٩٨م بسبب الهجرة المستمرة إلى حوران. أمّا الجدول التالي فيظهر عدد الدروز والقرى التي عاشوا فيها، وفقاً للإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م:(١٦٦)

الجدول رقم ٣ ـ ٣٧

القرى	الدروز	المسيحيون	المسلمون	المجموع
قضاء حيفا				
نفس حيفا	١٢	-	-	١٢
شفا عمرو	٤٠٢	١٢٦٣	٦٢٣	٢٢٨٨
دالية الكرمل	٩٢١	٢١	٥١	٩٩٣
عسفيا	٥٩٠	١٢٦	١٧	٧٣٣
المجموع	١٩٢٥	١٤١٠	٦٩١	٤٠٢٦
قضاء عكا				
نفس عكا	١٣	-	-	١٣
جولس	٤٤٢	١	٣	٤٤٦
كفر ياسيف	٣٣	٦٦٥	١٧٢	٨٧٠
أبو سنان	٢٢٨	٢٤٧	٤٣	٥١٨
يركا	٩٣٧	١٥	٢٦	٩٧٨
جت	١٣٧	-	-	١٣٧
كفر سموعي	١٤٣	٢٤	٤	١٧١
كسيرا	٢٥٠	-	-	٢٥٠
يانوح	٢١٤	-	١	٢١٥
البقيعة [بقعين]	٣٠٤	٢١٥	٧٠	٥٨٩
بيت جن	٨٩٥	١	٦	٩٠٢
عين الأسد	٤٧	١	-	٤٨
سجور	١٧٦	٣	١٧	١٩٦
الرامة	١٩٥	٦٢٤	٢٨	٨٤٧
المجموع	٤٠١٤	١٧٩٦	٣٧٠	٦١٨٠

(١٦٦) Barron, *op.cit.*, pp. 32-41; Ben-Zvi, *op.cit.*, p. 71.

تابع الجدول رقم ٣ ـ ٣٧

قضاء طبرية				
طبرية	١	-	-	١
المغار والمنصورة	٦٧٩	٢٦٥	٤٣٦	١٣٨٠
المجموع	٦٨٠	٢٦٥	٤٣٦	١٣٨١
قضاء صفد				
صفد	١	-	-	١
حرفيش	٣٨٦	٢٦	-	٤١٢
المجموع	٣٨٧	٢٦	-	٤١٣
المجموع النهائي	٧٠٠٦	٣٤٩٧	١٤٩٧	١٢,٠٠٠

وبالمقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وبين الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، يظهر أن عدد الدروز انخفض نحو ٣٥٤ نسمة في الفترة ما بين الإحصاءين بسبب هجرة الدروز المستمرة من اللواء إلى حوران.

كما تناقص الدروز في معظم القرى التي يعيشون فيها، فانخفض عددهم في يركا من ١٢٨٠ نسمة إلى ٩٣٧ نسمة، وانخفض عددهم في قرية بيت جن من ١٢١٥ نسمة إلى ٨٩٥ نسمة.

كذلك فإن ثمة قرى كان يسكنها الدروز في إحصاء شوماخر لم يشر إليها الإحصاء البريطاني، مثل قرية الجاعونة. ومن المعروف أن اليهود اشتروا أراضي هذه القرية وأقاموا عليها مستعمرة روش بينا الأمر الذي دفع سكانها الدروز إلى الهجرة إلى حوران. وأورد صبري جريس في كتابه كلمة يتسحاق أبشتاين أمام المؤتمر الصهيوني السابع: «... وعندما نشتري قطعة أرض كهذه، نبعد عنها مزارعيها السابقين تماماً... فنحرم بهذا أشخاصاً بائسين من ممتلكاتهم الضئيلة، ونسلب لقمة عيشهم... ولا يزال حتى اليوم يرن في أذني نحيب النساء العربيات، عندما تركت عائلاتهن قرية الجاعونة، وهي روش بينا، وانتقلت للسكن في حوران... فقد ركب الرجال على الحمير ومشت النساء وراءهم باكيات، يملأ السهل نحيبُهن.»[١٦٧]

(١٦٧) صبري جريس، «تاريخ الصهيونية»، ص ١٤٠.

ب) البدو

انتشرت القبائل البدوية في الأغوار، وفي السهول الساحلية، وسهل مرج ابن عامر وفي جبال الجليل والكرمل. واستقطبت منطقة الأغوار خاصة أكبر عدد من العشائر البدوية لسهولة أراضيها وقلة القرى الزراعية في المنطقة، ولتوفر المياه واعتدال المناخ وخصوصاً في فصل الشتاء.

وخيّمت عشائر الهيب والشمالنة والسياد والمواسي والقديرية والزنغرية والدلايكة والسمكية والحسانية بالقسم الجنوبي من سهل الحولة، وبالمنحدرات الشرقية لجبال الجليل.[١٦٨] وأقام الغوارنة إلى الشمال من بحيرة الحولة. فذكر التميمي أن عشيرة الغوارنة هاجرت إلى المنطقة قبل ١٥٠ عاماً مع رئيسها عيسى إبراهيم من قرية أم الفحم وسكنت أنحاء الحولة.[١٦٩] وأقامت عشيرة الحمدون إلى الشمال الغربي من وادي البارد غربي بحيرة طبرية.[١٧٠] وخيّمت عشيرة الزبيد بالسهول الواقعة إلى الغرب من بحيرة طبرية على أطراف واديي الحنداج ووقاص.[١٧١]

كانت عشيرة الهوارة من العشائر الكبيرة في قضاء طبرية، واشتهرت أيام رئيسها عقيلة آغا، واستقر عدد من أفرادها بقرية الدلهمية. كما استقدم الجزار أفراداً من الهوارة واستخدمهم في صد الهجمات البدوية على شمال فلسطين. واستمر مجيء هؤلاء البدو في ولاية سليمان باشا، كما قدم مع إبراهيم باشا ومن بعده أعداد كبيرة منهم.[١٧٢]

وأقامت عشيرة الصبيح بالأراضي التي تحيط بجبل طابور،[١٧٣] ووصفت

(١٦٨) Macalister, *op.cit.*, p. 109; *Hand Book*, p. 555; Max Freiherr Von Oppenheim, *Die Beduinen*, pp. 24-30.

(١٦٩) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٢.

(١٧٠) *Hand Book*, p. 555.

(١٧١) مصطفى الدباغ، «بلادنا فلسطين»، ج ٦، القسم ٢، ص ٣٨، ٥٣، ١٦٣ ـ ١٦٦، ٢٢١.

(١٧٢) Macalister & Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1905, pp. 221-225; 1906, pp. 287-291; الشهابي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٣؛ عيسى إسكندر المعلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥ ـ ٨٣.

(١٧٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٥٧، ن ١٣، ٢٨ ذو الحجة ١٣٢٧هـ/ ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٠م؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٥٩٠، ٢٣ محرم ١٣٢١هـ/ ٢٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م، ص ٤؛ إبراهيم الصباغ، «تاريخ ظاهر»، ص ٢٧؛ Oppenheim, *op.cit.*, p. 28.

بأنها من عناصر الفوضى والاضطراب في المنطقة، فكانت دائمة الإغارة على قرية لوبيا.[١٧٤] وفي سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م هاجم عدد من أفرادها قافلة تنقل الحبوب من حوران إلى عكا.[١٧٥] وفي حادثة أُخرى كادت الحرب تقع بينها وبين عرب الصقور بسبب شجار بين ابني شيخي العشيرتين، إلاّ إن تدخل الحكومة العثمانية حال دون ذلك.[١٧٦]

ومن القبائل الأُخرى في الأغوار، قبائل البشاتوه والغزوية والصقور. وقدر عددها بـ ٦٥٠٠ نسمة تقريباً، وتتنقل بين الغور وسهل مرج ابن عامر والمرتفعات المحيطة بهما.[١٧٧] كما كانت قبيلة الصقر من القبائل القوية في منطقة الأغوار، وكانت تقيم بوادي الأردن جنوبي طبرية، وتتنقل أحياناً إلى سهل مرج ابن عامر، واستطاعت في أواسط القرن التاسع عشر أن تفرض نوعاً من الحماية على المناطق الشرقية من السهل. وفي السبعينات من القرن التاسع عشر، دُفعت هذه القبيلة شرقاً في اتجاه وادي الأردن بعد شراء سرسق مساحات كبيرة من السهل.[١٧٨]

وكانت عشائر التلاوية والسدور وسرجونة والمدارج والمشارقة والخرامبة والقديش والمويلحيات والسميرية والفحيلي تتنقل بين شواطىء طبرية شتاء ومرتفعات الجليل الأدنى صيفاً.[١٧٩] وأقامت عشائر الخوالد والفحيلي والجبور من بني صخر بالعدسية ووادي الفجاس بالقرب من طبرية. وكانت هذه العشائر تعترض المارة، وتفرض على القرى أموالاً تسميها الخوة.[١٨٠]

وقد امتد وجود العشائر البدوية إلى المناطق الجبلية والساحلية كسهل حيفا، فأقام عرب النفيعات وعرب الحلو بالقرب من قرية الخضيرة ناحية قيسارية،[١٨١]

(١٧٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٩٠، ٢٣ محرم ١٣٢١هـ/ ٢٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م، ص ٤.

(١٧٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ١.

(١٧٦) صحيفة «البشير»، العدد ١١٩٥، ٢٠ ربيع الأول ١٣١٣هـ/ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٥م، ص ٣.

(١٧٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢٩٨، ٢١ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م، ص ١.

(١٧٨) إبراهيم الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٧، ٣٠، ٣١؛
Oppenheim, *op.cit.*, pp. 35-40; Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 228-330.

(١٧٩) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢٩٨، ٢١ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م، ص ١.

(١٨٠) المصدر نفسه، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

(١٨١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٠١، ن ٨٣٤، ١٧ ذو الحجة ١٣٣٣هـ/ ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٥م.

وأقام عرب الضمايرة بأراضي قيسارية،[١٨٢] والغوارنة بالمنطقة السهلية الواقعة بين عتليت وقيسارية وخيامهم مضروبة حول قيسارية، وبمستنقعات نهر الزرقاء.[١٨٣]

وشكّل غوارنة قيسارية أقساماً، بحسب مناطق سكنهم. فأشارت السجلات إلى قرية الغوارنة الشرقية[١٨٤] والغوارنة القبالا[١٨٥] وغوارنة الزرقاء،[١٨٦] وسماهم كوندر عرب الغوارنة.[١٨٧]

وخيّم عرب الشقيرات وعرب النغنغية بأراضي قيسارية،[١٨٨] وعرب النجاجرة بأراضي قرية الغابة ناحية قيسارية.[١٨٩] وأقام أفراد من الزبيدات والحمدون بأراضي قرية السنديانة،[١٩٠] بينما خيّم عرب السعايدة بالمناطق المحيطة بقرية قيرة وقامون.[١٩١]

وذكر كوندر أن عرب السعايدة يخيّمون بمرج ابن عامر وأن عددهم ١٧٠ نسمة.[١٩٢] وأقام عرب الخريفات بسهل مرج ابن عامر وعددهم ٢٠٠ نسمة،[١٩٣] أمّا عرب المزاريب فأقاموا بأراضي قرية عرعرة،[١٩٤] وعرب

(١٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٣٣، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(١٨٣) *Hand Book*, p. 478.

(١٨٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٦٧، ن ٥٩، من دون تاريخ.

(١٨٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٤٢، ن ٢٩٢، ١٤ رجب ١٢٨٧هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٠م.

(١٨٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٤١، ن ١٥١، ٣ شعبان ١٣١١هـ/ ٩ شباط (فبراير) ١٨٩٣م.

(١٨٧) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 45.

(١٨٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ٦٩٤، ٣ جمادى الأولى ١٣٣٣هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٩١٥م.

(١٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٩، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٦هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٨م.

(١٩٠) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٦هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٨م؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 74.

(١٩١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٧، ن ١١٧، ١٧ ذو القعدة ١٣٠٨هـ/ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(١٩٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 74.

(١٩٣) *Ibid.*

(١٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٠١، ن ٣٦، ٢٥ شوال ١٣٢٥هـ/ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٧م.

السواعد بأراضي قرية المراح،[١٩٥] وعرب وادي الحوارث بأراضي قرية ميماس،[١٩٦] وعرب السمنية بأراضي عفارة التابعة لعسفيا،[١٩٧] وعشيرة الصويطات بأراضي خربة الدامون التابعة لعسفيا،[١٩٨] وعرب الكعيبية بأراضي دالية الكرمل.[١٩٩] بينما أشار كوندر إلى أن عرب الكعيبية يخيمون بسهل مرج ابن عامر وعددهم ٢٠٠ نسمة.[٢٠٠] وخيّم عرب الكزانة بأراضي خربة المنصورة،[٢٠١] وعرب الرمل بالقرب من جسر المقطع،[٢٠٢] وعرب الكرمل بأراضي مزرعة الخريبة،[٢٠٣] وعرب السواعير بأراضي قرية المراح،[٢٠٤] وعرب العرامشة بالمنطقة الساحلية في سهل تربيخا وبقرية البصة.[٢٠٥] وتجول عرب الغزالين في سهل مرج ابن عامر، وفي منطقة الكرمل عند الشلالة ووادي الملك وهم فرع من قبيلة الكعيبية.[٢٠٦] وأشارت السجلات إلى عرب الطرابين في قضاء حيفا إلاّ إنها لم تحدد المكان الذي يقيمون به.[٢٠٧]

(١٩٥) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ١٢٧، من دون نمرة، ٢٦ محرم ١٣١١هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٨٩٣م.

(١٩٦) س ح، ش ٢٤١، س ٧، ص ١٩٠، ن ١٥٠، ١٨ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م.

(١٩٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٣، ن ٨٥، ٧ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٨٩٠م.

(١٩٨) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٩، من دون نمرة، ١٦ ذو الحجة ١٣٠٦هـ/ ١٣ آب (أغسطس) ١٨٨٩م.

(١٩٩) س ح، ش ٢٦١، س ٣، من دون صفحة، ن ١، من دون تاريخ.

(٢٠٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 74.

(٢٠١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٠، ن ٧٩، ٢٠ رجب ١٣٠٨هـ/ ٢٩ شباط (فبراير) ١٨٩١م.

(٢٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٤، ن ٢١، ١٠ رمضان ١٣٣٧هـ/ ٩ حزيران (يونيو) ١٩١٩م.

(٢٠٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٠٣، ن ٥٠، ٧ ربيع الأول ١٣٠٨هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٠م.

(٢٠٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٨٧، ن ١٢٧، ٢٦ محرم ١٣١١هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٨٩٣م.

(٢٠٥) صحيفة «البشير»، العدد ١١٧٦، ١٣ ذو القعدة ١٣١٢هـ/ ٨ أيار (مايو) ١٨٩٥م، ص ٣؛ Oppenheim, *op.cit.*, pp. 18, 19.

(٢٠٦) *Hand Book*, p. 498.

(٢٠٧) س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ٥٠، ن ١٣١، ٢٢ ذو الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م.

وأقامت عشيرة السواعير بأراضي قرية جدرو في قضاء عكا،[٢٠٨] وغوارنة القرابصة بالقرب من شفا عمرو،[٢٠٩] وعرب الحجيرات بالقرب من شفا عمرو نفسها،[٢١٠] وعشيرة الطوال بأراضي عبلين بالقرب من شفا عمرو،[٢١١] وإلى الشرق منها أقامت عشيرة الخريفات والمريسات، وإلى الجنوب والجنوب الغربي من المدينة أقامت عشيرة الحلف.[٢١٢]

كانت هذه العشائر البدوية تقيم بسهل مرج ابن عامر، فانتقلت إلى هذه الأماكن الجديدة تبعاً لحركتها صيفاً وشتاءً بين السهول والجبال، أو أنها أُخرجت من السهل بسبب هجمات القبائل الأقوى كالصقور. وبعد شراء سرسق وغيره من الملاك مساحات كبيرة من أراضي السهل، أجبر الملاك الجدد هذه القبائل على الرحيل.[٢١٣] فأشار كوندر إلى وجود هذه القبائل في السهل بعد أن اشتراه سرسق بوقت قليل، بينما أشارت السجلات إلى وجود هذه العشائر في أماكنها الجديدة بعد ذلك.[٢١٤]

وتعد القبائل التركمانية من أكبر القبائل التي أقامت في لواء عكا وبالمنطقة الشمالية الغربية من مرج ابن عامر،[٢١٥] التي عرفت بمرج التركمان في ناحية شفا عمرو قضاء عكا.[٢١٦] وعشائر التركمان هي حمولة بنيها،[٢١٧] وحمولة

(٢٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٩٤، ن ٣٢، ١٦ ذو الحجة ١٣٠٧هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٩٠م.

(٢٠٩) المصدر نفسه.

(٢١٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٧١٠، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٠٥م، ص ٤.

(٢١١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 354.

(٢١٢) *Ibid.*

(٢١٣) Oliphant, *The Land of Gilead*, p. 330.

(٢١٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 354.

(٢١٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٧، ن ١١٧، ١٧ ذو القعدة ١٣٠٨هـ/ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(٢١٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٩، ن ١٠٦٠، ١٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(٢١٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ١٠٥٢، ٤ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

العوادين،[٢١٨] وحمولة الشقيرات،[٢١٩] وحمولة الطواطحة.[٢٢٠]

وذكر كوندر أن عشائر التركمان في مرج ابن عامر هي الطواطحة، وبنيها، وبني غراوة، والعوادين، والشقيرات، وبني سعيدان، والعراقمة، والنغنغية.[٢٢١] وأقام التركمان بقريتي أبي شوشة[٢٢٢] وأبي زريق[٢٢٣] في السهل. وعلى العكس من بقية القبائل المقيمة بسهل مرج ابن عامر، فإن قبائل التركمان حصلت على حق تملك الأراضي التي تقيم عليها منذ فترة طويلة.

وذكرت صحيفة «البشير» أن بيوت الشعر العائدة للتركمان في مرج التركمان بلغت أربعمئة بيت، وعندهم من الماشية الشيء الكثير، ولا همّ لهم سوى إرسال مواشيهم ترعى في الحقول، وقطع الأشجار في الغابة التي تخص أهالي شفا عمرو على الرغم من أنها ليست مهملة.[٢٢٤]

وأقام بعض العشائر التركمانية بمنطقة قيسارية جنوبي قضاء حيفا،[٢٢٥] وبسهل حيفا غربي قنير.[٢٢٦] وعُرف هؤلاء التركمان في دفاتر الطابو العثمانية باسم تركمانات سواحلي.[٢٢٧] كما توزع بعض العشائر البدوية في أكثر من

(٢١٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٥، ن ١٠٧١، ٢٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(٢١٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٦٤، ن ١٠٨٥، ١٨ ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(٢٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٧، ن ٣٩، ٦ ذو الحجة ١٣٠٦هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٨٩م.

(٢٢١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 73.

(٢٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٧، ن ٢٠٣، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٢٢٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦، ٧، ن ١٢، ٥ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م؛ دفتر أراضي عشيرة التركمان، سجل رقم ٢٦، ص ١ ـ ٤٠.

(٢٢٤) صحيفة «البشير»، العدد ٧١٠، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٠٤هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٨٨٦م، ص ٣.

(٢٢٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٧، ن ٥٧٣، ١٨ محرم ١٣٣١هـ/ ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٢م.

(٢٢٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 74.

(٢٢٧) عدنان البخيت ونوفان الحمود، «دفتر مفصل لواء اللجون»، ص ٩، ١٢، ١٥، ١٦، ٤٨، ٥٣، ٥٨؛ عدنان البخيت، «الأسرة الحارثية في مرج بني عامر»، «مجلة الأبحاث»، المجلد ٢٨، ١٩٨٠ ـ ١٩٨١م، ص ٦٠.

مكان، فخيّم عرب الحمدون بجبال صفد الشرقية،[٢٢٨] وأشارت السجلات الشرعية إلى عرب الحمدون في أراضي قرية السنديانة.[٢٢٩] وأقام عرب السواعير بقرية الهربج في قضاء حيفا وأقام بعضهم بقرية جدرو في قضاء عكا.[٢٣٠]

وخلا لواء عكا من القبائل البدوية الكبيرة باستثناء الصبيح والصقور والدلايكة والتركمان. أمّا العشائر الأُخرى فكانت صغيرة ومحدودة العدد، وأقامت بمناطق متعددة من اللواء بعد أن انفصلت عن قبائلها الكبيرة. إذ انفصلت قبيلة الصبيح عن قبيلة الروالة التي كانت تتنقل في بادية الشام،[٢٣١] وانفصلت عشيرة الحمدون عن عشيرة الهيب وخيّم كل منهما بمنطقة منفصلة عن الأُخرى.[٢٣٢] ولم تقم هذه العشائر بصورة دائمة بمواقع محددة، لأن العشائر الكبيرة كانت تهاجم الأصغر منها وتدفعها إلى ترك أماكنها إلى مناطق أُخرى، أو ربما يعود ذلك إلى حركتها الموسمية صيفاً وشتاءً. فكانت هذه العشائر تخيّم صيفاً بمكان، وشتاءً بمكان آخر. وكانت الأغوار وسهل مرج ابن عامر والسهل الساحلي من المناطق المفضلة لإقامة العشائر البدوية شتاءً بحثاً عن الدفء، وهرباً من البرد في المناطق الجبلية المجاورة. ثم تنتقل هذه العشائر إلى المناطق المرتفعة في أواخر الشتاء وخلال الصيف لاعتدال الحرارة، ولتوفر المراعي أكثر من توفرها في المناطق السهلية. فكانت عشيرة الهيب تخيّم صيفاً شمالي صفد وشرقيها وبمحيط بحيرة الحولة وجسر بنات يعقوب شتاءً.[٢٣٣] وكان عرب الحمدون يخيمون غربي الحولة شتاءً وينتقلون إلى شمالي صفد وجبل عامل صيفاً،[٢٣٤] وهذا الانتقال المستمر صيفاً وشتاءً يفسر الإشارات المختلفة إلى وجود هذه العشائر في أكثر من مكان واحد.

وكانت العشائر البدوية في ازدياد مستمر في اللواء لأن مجموعات منها كانت تنتقل إليه من مصر وشرق الأردن وبادية الشام. فقبيلة الصخور كانت تقيم بشرق الأردن، إلاّ إنها تتحرك شتاء نحو الغور فتخيّم بمحيط طبرية وتمتد سيطرتها

(٢٢٨) Oppenheim, *op.cit.*, p. 17.

(٢٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٥هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

(٢٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٩٤، ن ٣٢، ١٦ ذو الحجة ١٣٠٧هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٩٠م.

(٢٣١) وصفي زكريا، «عشائر الشام»، ص ٣٧٤.

(٢٣٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٤.

(٢٣٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٨، ٣٩٩.

(٢٣٤) المصدر نفسه، ص ٤٧٤.

فتصل إلى سهل مرج ابن عامر.[٢٣٥] وانتقلت عشائر التلاوية من بيسان واستقرت بسهل البطيحة على الشاطىء الشرقي من طبرية،[٢٣٦] وانتقلت الهوارة إلى اللواء من مصر خلال فترات متعددة في القرن التاسع عشر،[٢٣٧] كما هرب بعض الفلاحين من قراه وأقام بين هذه العشائر، إمّا لجرائم ارتكبها، وإمّا هرباً من دفع الضرائب، أو من التجنيد الإجباري. وأشارت السجلات إلى محمد حسين بن محسن من قرية جت قضاء طولكرم المقيم عند عرب النجاجرة المخيمين بأرض البرج في قضاء قيسارية.[٢٣٨]

كذلك استغلت العشائر البدوية القرى الخربة في اللواء وأقامت بالأراضي التابعة لها، فأقام عرب الصويطات بأراضي خربة الدامون التابعة لعسفيا، وأقام عرب السمنية بخربة عفارة التابعة لعسفيا.[٢٣٩]

كما أقامت العشائر البدوية بأراضي القرى المسكونة، فأقام عرب الكعيبية بأراضي دالية الكرمل،[٢٤٠] وعرب الزبيدات والحمدون بأراضي قرية السنديانة.[٢٤١] وكانت هذه الأراضي إمّا أراضي متروكة، وإمّا أن البدو أقاموا بهذه القرى في الصيف بعد انتهاء الحصاد بموافقة الأهالي الذين يدعون البدو والرعاة إلى التخييم بأراضيهم لزيادة خصوبتها.[٢٤٢]

واتخذ بعض العشائر البدوية من السلب والنهب والاعتداء على الفلاحين والمارة والقوافل التجارية وسيلة للاكتساب والاسترزاق. فذكرت «جريدة ولاية سوريا» أن أفراداً من عرب الصبيح هاجموا قافلة كانت تنقل الحنطة من حوران إلى عكا فقتلوا شخصين وأخذوا ثلاثة حمير وأشياء أُخرى، وهاجموا رعيان قرية

(٢٣٥) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 273.

(٢٣٦) زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٩.

(٢٣٧) Macalister & Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1905, p. 22; 1906, pp. 286, 287; الشهابي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٥٢؛ رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢٣٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٩، ن ٨٦، ٦ ربيع الأول ١٣١١هـ/ ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٣م.

(٢٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، من دون صفحة، ن ١، من دون تاريخ.

(٢٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٦هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٨م.

(٢٤١) المصدر نفسه.

(٢٤٢) Philip Baldensperger, «The Immovable East,» *PEF*, 1907, p. 12.

صفورية قضاء الناصرة فأخذوا منهم ١٥٠ رأس بقر.[٢٤٣] وهاجم عدد من عرب النفيعات خيمة محمود جودت المخيّم بوادي الحوارث فسلبوا أمواله ومواشيه.[٢٤٤] وهاجم اللصوص من عرب العرامشة سيرة (حظيرة) دير قطمون فنقبوا جدارها وأخرجوا منها ٢٠ رأساً من الماعز تخص يوسف بولص.[٢٤٥]

وذكرت صحيفة «البشير» عن مراسلها في صفد أنه قبض على علي الحضيان من عرب السمنية المتهم بكثير من الجرائم كالقتل والسلب.[٢٤٦] وتحدث وصفي زكريا عن عشائر الهيب، فقال: «ولهؤلاء الهيب براعة وشهرة في السلب والنهب وأكثر ما يسطون على قرى الجولان يتسللون بين الأودية والأوعار وينشلون الأبقار من زرائبها.»[٢٤٧]

وأغار البدو على القرى المجاورة لأماكن إقامتهم، فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، أن الخلاف اشتد بين عشيرة الصبيح وأهالي قرية لوبيا في قضاء طبرية الأمر الذي دفع قائمقام طبرية، حسن بك، إلى الخروج إلى المنطقة والقبض على أربعة شيوخ من عشيرة الصبيح وعلى أحد عشر شخصاً من اللوابنة.[٢٤٨]

وكانت تربية الماشية من أغنام وماعز وخيول وإبل المهنة الرئيسية التي مارسها معظم القبائل البدوية. فتذكر إحدى الحجج الشرعية أن الحاج صالح الضميري ابن الشيخ عيسى الضميري المخيم بأراضي الضمايرة كان يربي الأبقار والجاموس والغنم والماعز والجمال،[٢٤٩] بينما اهتمت عشيرتا الصبيح والتلاوية بتربية الأبقار، فكان عند عشيرة التلاوية ٤٠٠٠ رأس جاموس و٥٠٠ بقرة.[٢٥٠]

كما انتشرت تربية الأبقار بين القبائل البدوية المقيمة بمحيط شفا

(٢٤٣) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ٢.

(٢٤٤) صحيفة «البشير»، العدد ١١٦٢، ٣ شعبان ١٣١٢هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٥م، ص ٣.

(٢٤٥) المصدر نفسه، العدد ١١٧٦، ٢٥ ذو القعدة ١٣١٣هـ/ ٨ أيار (مايو) ١٨٩٥م، ص ٣.

(٢٤٦) المصدر نفسه، العدد ١٠٦٣، ١ رمضان ١٣١١هـ/ ٨ آذار (مارس) ١٨٩٤م، ص ٣.

(٢٤٧) زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢٤٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٩٠، ٢٣ محرم ١٣٢١هـ/ ٢٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م، ص ٤.

(٢٤٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٣٣، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٢٥٠) زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٩؛ Burckhardt, *op.cit.*, p. 333.

عمرو.[٢٥١] وعمل بعض العشائر البدوية في الزراعة فضلاً عن تربية الحيوانات. فكان التركمان الذين يقيمون بسهل مرج ابن عامر يزرعون أراضيهم ويدفعون العشر عنها،[٢٥٢] كما تحوّل بعض البدو بالتدريج إلى العمل في الزراعة. فأشارت السجلات إلى يوسف بن قاسم اللويسي العثماني المزارع المقيم ببيت خيش بأراضي قيسارية.[٢٥٣] وكان نعيم الشحادة المقيم ببيت الشعر في أراضي قيرة يعمل في الزراعة وتربية الحيوانات، فكان عنده أربعة عجول، وأربعة جمال، وثلاثون رأس غنم، و٣٠ كيل ذرة، و١٨ كيل شعير، و١٨ كيل حنطة، و٦ أكيال سمسم.[٢٥٤]

بل إن بعض البدو، كالغوارنة المقيمين بمحيط بحيرة الحولة، عمل في صيد السمك لحساب أصحاب امتيازات صيد السمك في البحيرة.[٢٥٥] كما عمل البدو في محيط الحولة في قطع القصب من المستنقعات في جوار البحيرة،[٢٥٦] وبرعوا في صناعة الحصر من هذا القصب.[٢٥٧] كذلك عمل بعض البدو في نقل الحبوب من حوران ومرج ابن عامر إلى ميناءي عكا وحيفا، وساعدهم في ذلك وجود الإبل عندهم.[٢٥٨]

تباينت أعداد البدو من قضاء إلى آخر ومن فترة إلى أُخرى، ويبين الجدول التالي عدد البدو في لواء عكا وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٧٨ - ١٨٧٩م موزعين على أقضية اللواء على النحو التالي:[٢٥٩]

(٢٥١) صحيفة «البشير»، العدد ١٧١٠، ١٥ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٠٥م، ص ٤؛ المصدر نفسه، العدد ١٦٩٥، ٢٧ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢ نيسان (أبريل) ١٩٠٥م، ص ٣.

(٢٥٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 74.

(٢٥٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٤، ن ٢٦٤، ٢٢ شعبان ١٣٠٦هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م.

(٢٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٦هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٨م.

(٢٥٥) E.W.G. Masterman, «The Fisheries,» *PEF,* 1908, p. 40; *Hand Book,* p. 549.

(٢٥٦) Masterman, «The Fisheries,» *op.cit.,* p. 43.

(٢٥٧) محمد سعيد القاسمي، «الصناعات الشامية»، ج ١، ص ٩٩؛
Masterman, «The Fisheries» *op.cit.,* p. 40; Grace M. Crowfoot, «The Mat Looms of Huleh,» *PEF,* 1934, pp. 195-199; Theodore Larson, «Mat Makers of Huleh,» *PEF,* 1936, pp. 225-230.

(٢٥٨) صحيفة «البيان»، العدد ١٤٥، ١٢ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، ص ٤.

(٢٥٩) McCarthy, *op.cit.,* p. 48.

الجدول رقم ٣ ـ ٣٨

القضاء	عدد البدو
قضاء عكا	١٤٧٠
قضاء حيفا	٥٠٨
قضاء الناصرة	١١٣
قضاء طبرية	٩٠٧
قضاء صفد	١١١٤
المجموع	٤١١٢

وشكّل البدو وفقاً لهذا الجدول ١١,٦٪ من مجموع السكان في اللواء، ويتركزون في أقضية عكا وصفد وطبرية وبدرجة أقل في قضاءي حيفا والناصرة اللذين انخفض عدد البدو فيهما بصورة واضحة.

ويبين الجدول التالي القبائل وأعدادها وفقاً للإحصاء الذي قام به شوماخر سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م على النحو التالي:[٢٦٠]

الجدول رقم ٣ ـ ٣٩

القبيلة	عدد
قضاء عكا	
غوارنة القرابصة	١٦٥
غوارنة الكوامل	٢١٠
قضاء حيفا	
عرب قيسارية	٦٧٠
غوارنة الزرقاء	٢٣٥
قضاء طبرية	
قرية الدلهمية وعرب الهنادي	٦٥٠
عرب صخور الغور	٦٠٠
عرب الدلايكة	٢٩٥
عرب دلايكة العيسى	٤٠٠
عرب الصبيح	٤٥٠
المجموع	٣٦٧٥

(٢٦٠) Schumacher, *op.cit.,* pp. 161-191.

يشكل البدو وفقاً لهذا الجدول نسبة ٢٪ من السكان، ويتركزون في قضاءي طبرية وحيفا وبدرجة أقل في قضاء عكا، بينما يخلو قضاءا الناصرة وصفد من البدو.

ويبين الجدول التالي القبائل البدوية وأعدادها وفقاً للإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.(٢٦١)

الجدول رقم ٣ ـ ٤٠

القبيلة	عدد أفرادها
قضاء حيفا	
عرب الشقيرات	٤٠٣
عرب الطواطحة	٣٠١
عرب النغنغية	٢٧٢
عرب بني سعيدان	٤٥
عرب الضبية وبني غرة	٢٨٧
العراقمة	١٢٥
العوادين	٤٠٢
حديدون	٤٨
الصفصاف	٣١
التركمان	١٠٣٧
الضمايرة	٢٢٧
الغوارنة	١٠٦
الجنادي	٥
المريسات	١٣
الحجيرات	١٨
الرمل	٢٧٤
الصويطات	١١٩
الزبيدات	٣٦٣
الحلف	٦٧
البلاونة	٢٦
الكزانة	١٣
الشيخ حلو (عرب الفقرا)	١١٣
النفيعات	٣٣٦
قيسارية	١٩٣
الوشاحية	٣٧
الكعيبية	٣٢٠
جسر الزرقاء	٣٤٨
الزغانية	٧٤
الحمدون	٢٢
الغابة	٥٢٢
المجموع لقضاء حيفا	٦١٤٧
قضاء طبرية	
عرب الخرامبة	١٤٤
عرب المواسي	١٤٥
عرب المنارة	١٢١
عرب السمكية	١٩٣
عرب السميرية	٢٠٤
عرب السرجونة	٩١
عرب التلاوية	٣٣٢
عرب الوهاب	٦١
عرب عين الكديش	٦١
عرب السدور	٤٦
المجموع	١٣٩٨
قضاء الناصرة	
عرب الجواميس	١١٧
عرب المزاريب	١٢٥
عرب السبارجة	٩١
عرب الصبيح	٦٥٣
عرب الغزالين	٥٩
عرب الحجيرات	١٠٣
المجموع	١١٤٨
قضاء صفد	
عرب البويزية	٢٧٦
عرب بيسمون	٤١
عرب الملاحة	٤٤٠
عرب العلمانية	١٢٢
عرب الحسينية	١٢٧
عرب الوزية	٣٠
عرب الوقاص	١١٢
عرب زبيد	٢٥٥
عرب كراد الخيط	٤٣٧
عرب الجسر	٥٩
عرب طوبا	١٧٥
عرب الزنغرية	٣٧٤
عرب السياد	٥٩
عرب الصويطات	٨٣
عرب النميرات	٦٤
عرب الشمالنة	٢٧٨
عرب القديرية	١٩٤
عرب المواسي	٦٦
المجموع	٣١٩٢
قضاء عكا	
عرب الهيب	٧٤
عرب الرمل	١٢١
عرب الغوارنة	٢٤٣
عرب الحويطات	٨
عرب الصويطات	١٢٣
عرب القليطات	١١
التقوية	٩٣
عرب الحميرات	١٢
عرب السمنية	١٣٩
عرب السواعد	٣٤٩
عرب المواسي	١٧
عرب التلاوية	٥
عرب الحمدون	٤
عرب الحجيرات	٢٠٠
عرب الجنادي	١٤
عرب الصبيح	٨
عرب المريسات	٧٤
عرب النعيم	١٧
عرب الهنابزة	١١
المجموع	١٥٢٣

(٢٦١) Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

والجدول التالي يوضح عدد البدو بحسب الأقضية:

قضاء حيفا	٦١٤٧
قضاء طبرية	١٣٩٨
قضاء صفد	٣١٩٢
قضاء الناصرة	١١٤٨
قضاء عكا	١٥٢٣
المجموع	١٣,٤٠٨

يبين الجدول ارتفاع عدد البدو في اللواء قياساً بالإحصاء السابق إذ أصبحوا يشكلون ٨,٤٪ من مجموع السكان. وقد ضم قضاء حيفا أكبر عدد من القبائل البدوية وأعلى عدد من السكان البدو، ثم تلته أقضية عكا وطبرية وصفد والناصرة التي ضمت أقل عدد من البدو، ويلاحظ انحسار البدو عن قضاء طبرية وفقاً لهذا الإحصاء قياساً بالإحصاءات السابقة.

إن الارتفاع في عدد البدو كقبائل وأفراد يعود إلى ازدياد الهجرة إلى اللواء من المناطق المجاورة. وتتميز القبائل وفقاً لهذا الإحصاء بانخفاض أعدادها، إذ إن عدد أفراد ٣٣ عشيرة تقريباً من مجموع ٨٠ عشيرة في اللواء لم يتجاوز ١٠٠ نسمة، وعشيرة التركمان هي الوحيدة التي تجاوز عدد أفرادها ١٠٠٠ نسمة، أمّا بقية العشائر فيتراوح عدد أفرادها بين ١٠٠ نسمة و٥٠٠ نسمة.

وتظهر المقارنة بين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م وبين الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م أن الأخير لم يشر إلى بعض العشائر البدوية السابقة في اللواء، كعرب الدلايكة وعرب الصقور الذين انتقلوا إلى قضاء بيسان وشرق الأردن. ومن المعروف أن اليهود اشتروا أراضي قبيلة الدلايكة العربية وأقاموا عليها مستعمرتي دغانيا وكنيرت.(٢٦٢)

(٢٦٢) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ ـ ٣٢؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

ج) العناصر السكانية المهاجرة إلى اللواء

١ ـ المصريون:

هاجر المصريون إلى فلسطين نظراً إلى العلاقة الاقتصادية والسياسية التي تربط بين البلدين، وإلى سهولة انتقال السكان براً وبحراً بينهما. واستقر المصريون بالمدن الساحلية كحيفا وعكا وبعدد من القرى. كما هاجروا إلى اللواء على شكل قبائل بدوية مثل الهوارة والهنادي والفوائد وأولاد علي، التي استقرت بالأراضي السهلية في طبرية وقيسارية جنوبي حيفا.[٢٦٣]

ولم تنقطع الهجرة المصرية إلى فلسطين خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وقد ارتبطت هذه الهجرة بالأوضاع السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام، إذ استدعى الجزار أعداداً من قبيلة الهوارة في مصر وضمهم إلى العساكر التابعة له فقاتلوا إلى جانبه ضد ظاهر العمر وضد نابليون في أثناء حصاره عكا.[٢٦٤]

وخلال الحملة الفرنسية على مصر انتقل سكان قرية العزبة بالقرب من دمياط إلى اللواء واستقروا به هرباً من انتقام الفرنسيين بعد أن قتل سكان القرية عدداً من جنودهم.[٢٦٥]

وأدى الاحتلال المصري لبلاد الشام في الفترة ١٢٤٧ـ١٢٥٦هـ/ ١٨٣١ـ١٨٤٠م إلى هجرة أعداد كبيرة من المصريين إلى بلاد الشام وخصوصاً إلى فلسطين، فأُشير إلى انتقال أعداد من قبيلتي الهوارة والهنادي إلى فلسطين واستقرارها بسهول طبرية، وكان لهاتين القبيلتين دور مهم خلال الحملة.[٢٦٦] وقد استخدم إبراهيم باشا الهوارة والهنادي خيالة في الجيش المصري وللمساعدة في القضاء على الثورات التي قامت ضد المصريين في مختلف أنحاء بلاد

---

(٢٦٣) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٥٦؛ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١٢.

(٢٦٤) الشهابي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٣؛ طنوس الشدياق، «أخبار الأعيان»، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩، ٤٢٠، ٤٥٧؛
Macalister & Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1905, pp. 221, 222.

(٢٦٥) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، القسم ٢، ص ١٤٧.

(٢٦٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤؛ مشاقة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠؛ لويس معلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠؛ عيسى إسكندر المعلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٥، ١٧٥؛ هشي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤، ٨٢.

الشام،[٢٦٧] بل إن بعض أفراد قبيلة الهوارة تم إسكانه مدن اللواء وقراه. فأسكن هواري باشا كلاً من حسين آغا ومعه ١٣٠ خيالاً الناصرة وطبرية، وهواري علي آغا عون الله ومعه ٩٤ خيالاً قرية الشيخ بريك، ومحمد آغا العيناوي ومعه ٩٥ خيالاً جسر المجامع. وكان الهدف من إسكانهم هذه المناطق المحافظة على الأمن ومنع تعديات البدو على السكان.[٢٦٨]

كما أن سياسة محمد علي في فرض التجنيد الإجباري على الفلاحين دفعت عدداً منهم إلى الهرب إلى بلاد الشام، وأقام عدد منهم بلواء عكا، فأصدر محمد علي أوامره إلى القادة العسكريين بضرورة التفتيش عن هؤلاء الفلاحين وإعادتهم إلى مصر.[٢٦٩]

وقد استمرت هجرة القبائل البدوية المصرية إلى بلاد الشام بعد انتهاء الحكم المصري فيها. فعندما اضطهد الخديوي سعيد باشا (١٢٧١ ـ ١٢٨٠هـ/ ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣م) بعض القبائل في منطقة الفيوم، اضطرت إلى الهجرة إلى بلاد الشام، فاستُقبلت بالترحاب من عقيلة آغا الحاسي وانضمت إلى القوات البدوية التابعة له.[٢٧٠]

وأدى الاحتلال البريطاني لمصر في سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م إلى هجرة عدد من المصريين وخصوصاً من الإسكندرية، فرحبت الحكومة العثمانية بهؤلاء المهاجرين إذ ذكرت «جريدة ولاية سوريا»: «لا يخفى أن المهاجرين الوافدين على بيروت وسائر أنحاء الولاية من جهة مصر فراراً من العربدة[٢٧١] التي وقعت في ثغر الإسكندرية، استكملت أسباب راحتهم وصدر الأمر بذلك إلى فخامة الوالي وإلى سائر المتصرفين الكرام، وقد حصل المطلوب بظل الحضرة السلطانية وبحسن إدارة الحكومة المحلية، أمّا مقدار من هاجر لطرفنا من أهالي مصر فإنهم ثمانية آلاف أو تسعة آلاف نسمة.»[٢٧٢]

كما هاجر المصريون إلى اللواء بحثاً عن أوضاع عمل ومعيشة أفضل. وأشار

---

(٢٦٧) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٥٥، ٢٩٩.

(٢٦٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٨، ٧٩.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠.

(٢٧٠) Macalister & Masterman, «Akili Agha,» *PEF*, 1906, pp. 286, 287.

(٢٧١) وتقصد الصحيفة الهجوم البريطاني البحري على الإسكندرية سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، والفتنة التي وقعت بين أهالي الإسكندرية والأجانب فيها والتي سبقت هذا الهجوم، وأدى كلا الحادثين إلى هجرة أعداد كثيرة من سكان الإسكندرية إلى مصر وبلاد الشام.

(٢٧٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٨٧١، ٢٥ شعبان ١٢٩٩هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٨٨٢م، ص ٢.

ميخائيل مشاقة إلى وجود المصريين في عكا والذين كانوا يبيعون بعض المواد والسلع الغذائية لسكان المدينة فقال: «وعندما هاجمت المماليك الجزار في عكا[٢٧٣] لم يبق عنده عسكر لضربهم سوى الطوبجية على الأسوار وبعض أنفار الضابطة فجمعهم وأضاف لهم ما وجده من الفعلة والسوقة وأغراب المصريين باعة الأسماك المجففة والفول المدمس والمش[٢٧٤] القديم وأمرهم بمحاربة مماليكه.»[٢٧٥]

وهاجر المصريون، أيضاً، إلى اللواء بصورة فردية للعمل في المشاريع الاقتصادية. وأشارت صحيفة «البشير» سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إلى مقتل عدة أشخاص في مشاجرة بين العمال في زمارين بينهم عدد من المصريين.[٢٧٦] كما أُحضر عدد منهم للعمل في مشروع خط سكة حديد حيفا ـ دمشق،[٢٧٧] وجاؤوا اللواء من مناطق متعددة في مصر مثل الإسكندرية والأقصر وأسيوط وسوهاج.[٢٧٨] فأشارت السجلات إلى حمزة بن حسني بن علي البليجي من أهالي الزينية القبلية التابعة لمركز الأقصر من أعمال مصر الموجود في حيفا، وإلى إبراهيم بن عبد الرحمن جمعة المصري المتوطن في حيفا، وإلى حسني بن يوسف الألفي من الإسكندرية من سكان حيفا.[٢٧٩] وأشارت السجلات إلى بنيها بنت مصطفى الدمياطي وأخيها الحاج حسين بن مصطفى الدمياطي.[٢٨٠] ولم يعش المصريون معزولين عن بقية السكان، بل اختلطوا بهم وتزاوجوا فيما بينهم، فتزوجت فاطمة

(٢٧٣) يقصد بذلك الثورة التي قام بها عدد من المماليك في عكا سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م على الجزار، ومنهم سليم باشا وعلي باشا وسليمان باشا. وقد تمكن الجزار من القضاء على الثورة. فتفرق هؤلاء المماليك في أنحاء متعددة من الدولة العثمانية، لكنهم عادوا فطلبوا العفو من الجزار فاستجاب لطلبهم وعفا عنهم. أنظر: العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ ـ ١٦.

(٢٧٤) نوع من الجبن يصنع، بصورة خاصة، في مصر.

(٢٧٥) ميخائيل مشاقة، «منتخبات من الجواب»، ص ٢٦.

(٢٧٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٢٩٠، ١١ صفر ١٣١٥هـ/١٢ تموز (يوليو) ١٨٩٧م، ص ٢.

(٢٧٧) صحيفة «طرابلس»، العدد ٧، ٨ شوال ١٣١٠هـ/٢٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٣م، ص ٤.

(٢٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٠١، ن ٢٤٧، ٢٢ ربيع الأول ١٣١٢هـ/٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

(٢٧٩) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٤٣، ٢٠ رجب ١٣٣٠هـ/٥ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

(٢٨٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٠٥، ن ٩٨٦، ٨ رجب ١٣٣٣هـ/١٢ أيار (مايو) ١٩١٥م.

بنت محمد من حيفا من عبد العال بن محمد الجارحي من أسيوط،[٢٨١] وتزوجت عزيزة خانم بنت عمر من أهالي وسكان المحلة الشرقية في حيفا من محمد بن فواز بن علي المصري.[٢٨٢]

٢ ـ المغاربة (الجزائريون):

هاجر المغاربة (الجزائريون) إلى بلاد الشام بأعداد كبيرة منذ القرن الثامن عشر، واستُخدموا في القوات العسكرية لدى ولاة الدولة العثمانية في المنطقة مثل ظاهر العمر وأحمد باشا الجزار.[٢٨٣] وذكر بيركهارت، سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م، أن منطقة المتسلم الذي يحكم صفد تشمل نحو ١٢ قرية، وتتألف الحامية العسكرية التابعة له من مغاربة تزوج القسم الأعظم منهم هنا، وهم يزرعون جزءاً من الأراضي في جوار صفد. كما وجد ستة من المغاربة يقيمون بمنطقة تعرف بخان جب يوسف على الطريق بين عكا وصفد ومارسوا الزراعة فيها.[٢٨٤]

ازدادت الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر وارتبطت بالاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، واستمرت مع كل الثورات التي قامت ضد الفرنسيين، فنجم عن كل ثورة فيها هجرة أعداد جديدة من الجزائريين إلى بلاد الشام. وبعد أن قضى الفرنسيون على ثورة الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م أجبروا الأمير على ترك الجزائر مع عدد من أتباعه، فاختار الإقامة بدمشق، بينما اختار عدد آخر منهم الإقامة بلواء عكا.[٢٨٥] وقد اهتمت صحيفة «البشير» بنقل أخبار الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، فذكرت سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، أن مئة عائلة عربية قادمة من الجزائر دخلت عكا وانخرطت في سلك التبعية العثمانية،[٢٨٦] إلاّ إن الصحيفة لم تحدد المكان الذي استقرت به العائلات.

(٢٨١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٧٤، ن ١٠٠، ١٤ رجب ١٣٢٣هـ/١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٥م.

(٢٨٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٩٠١، ن ٩٨١، ١٣ شوال ١٣٣٣هـ/٢٤ آب (أغسطس) ١٩١٥م.

(٢٨٣) الشدياق، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩؛ الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤٧؛ إبراهيم الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣، ٤٤؛ بازيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦ ـ ٧٠؛ رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٢٨٤) Burckhardt, *op.cit.*, pp. 320, 321.

(٢٨٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 199; Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 173.

(٢٨٦) صحيفة «البشير»، العدد ٩٦٥، ١٢ شعبان ١٣٠٧هـ/١٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م، ص ٣.

وذكرت صحيفة «البشير» في عدد آخر أن ثماني عائلات مهاجرة من الجزائر قدمت بيروت، والتمست من الوالي إسكانها أراضي شفا عمرو مع المهاجرين الجزائريين الذين سبقوها، إلاّ إن متصرفية عكا قررت إسكان هذه العائلات قرية الغابة في قضاء حيفا.[٢٨٧] ويظهر أن الجزائريين إمّا رفضوا الإقامة بهذه القرية، وإمّا أنهم أُسكنوا مكاناً آخر، إذ لم ترد إشارات إلى استقرارهم بقرية الغابة، التي سكنها المهاجرون الشركس والبوسنيون.[٢٨٨]

وكتبت صحيفة «البشير» أيضاً: «إن ٢٥٠ عائلة من الجزائر خرجت على متن سفن شراعية إلى عكا، فرحبت الحكومة المحلية بهم، فدخل الجزائريون في التابعية العثمانية، فأعفتهم الدولة من الخدمة العسكرية مدة عشرين سنة.»[٢٨٩]

أقام المهاجرون الجزائريون بالمدن والقرى على السواء، فاستقر بعضهم بصفد، وشجعهم على ذلك استقرار الجزائريين بها قبل ذلك. فذكر كوندر أن للمغاربة حياً في صفد وأن جالية مغربية أتتها من الجزائر قبل نحو اثني عشر عاماً عقب ثورة الأمير عبد القادر الجزائري، وشكّل المغاربة نحو نصف عدد السكان المسلمين في صفد.[٢٩٠]

وأسكنت الدولة العثمانية المهاجرين الجزائريين القرى الخربة (غير المسكونة) التي اعتُبرت أراضيها أراضي محلولة لا يزرعها أحد. ففي سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، تم إسكان ٣٧ أسرة جزائرية تتكون من ١٦٩ نسمة قرية الحسينية في قضاء صفد، وفي سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، أسكنت ٢٤ أسرة تتكون من ١٥٠ نسمة بعض قرى قضاء طبرية، وفي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، وصل نحو ٢٥٠ مهاجراً جزائرياً إلى عكا وتم توطينهم بقرى اللواء.[٢٩١]

وقد أدى تزايد الهجرة الجزائرية إلى اللواء إلى ظهور قرى جديدة جميع سكانها من الجزائريين، مثل علما، وراس الأحمر، وديشوم، وكفر سبت، فضمت قرية رأس الأحمر، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٨٧٥م، ١٥٠ نسمة،[٢٩٢] وبلغ عدد

(٢٨٧) المصدر نفسه، العدد ١٠٢٧، ٧ رمضان ١٣٠٧هـ/ ٢٧ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م، ص ٣.

(٢٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١١٥، ن ١١٥، ٩ شوال ١٣٠٩هـ/ ٧ أيار (مايو) ١٨٩٢م.

(٢٨٩) صحيفة «البشير»، العدد ٩٣٥، ٦ محرم ١٣٠٦هـ/ ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٨م، ص ٢.

(٢٩٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 199؛ وانظر أيضاً:
Masterman, «Safed,» *PEF,* 1917, p. 173;
صحيفة «الكرمل»، العدد ٨٥٦، ٨ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢م، ص ٣.

(٢٩١) أمل دوغراشي، «الهجرة الجزائرية»، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢٩٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 196; Baedeker, *op.cit.,* p. 24.

الجزائريين في قرية كفر سبت قضاء طبرية سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، نحو ٣٠٠ نسمة تم اعفاؤهم من الخدمة العسكرية لمدة ثمانية أعوام،[٢٩٣] وضمت قرية علما، سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، ٢٠٠ نسمة كلهم من الجزائريين.[٢٩٤]

كانت قرية سمخ الواقعة على شاطىء بحيرة طبرية من القرى المهجورة التي أُسكن الجزائريون فيها، فذكرت صحيفة «الكرمل» أن سمخ من القرى المغربية في قضاء طبرية، وهاجر أهلها المغاربة إلى لواء عكا مع الأمير عبد القادر الجزائري فمنحتهم الحكومة سمخ كي يعمروها ويعيشوا فيها ويستثمروا أراضيها.[٢٩٥] بينما كانت قرية هوشة بالقرب من شفا عمرو من أكبر القرى التي استوطنها الجزائريون، سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م. وذكرت صحيفة «البشير» أن مهاجري المغاربة جاؤوا نواحي شفا عمرو منذ ١٤ عاماً فأسكنتهم الحكومة الماضية خربة هوشة الواقعة على مسافة ٢٠ دقيقة من شفا عمرو، وسلمتهم الأراضي السليخ (الأراضي المعدة للزراعة الحقلية) وأبقت الأراضي المغروسة بالأشجار في تصرف المسيحيين.[٢٩٦]

وقد أحدث استقرار الجزائريين بهوشة خلافات مع المسيحيين من سكان شفا عمرو، لأن الجزائريين لم يكتفوا بما سلمتهم الحكومة من أراض؛ فاستولوا على الأملاك المحيطة بالقرية ومنها حقل للزيتون من أفضل حقول البلدة عائد للمسيحيين فيها.[٢٩٧] وتطور الخلاف إلى نزاعات مسلحة قتل وجرح فيها عدد من الطرفين، منهم الخوري غريغوريوس سروجي من شفا عمرو.[٢٩٨] وذكرت صحيفة «الاتحاد العثماني» أن محكمة عكا الشرعية حكمت بالقتل على الرجل سعيد أبو الضياف المغربي من قرية هوشة لقتله الحاج نايف القبلاوي أحد رجال الجندرمة مع كوكبة من الأنفار عند محاولتهم القبض على سعيد المذكور لأنه كان متهماً بقتل عدد من سكان شفا عمرو المسيحيين.[٢٩٩]

(٢٩٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 300; Baedeker, *op.cit.,* p. 250.

(٢٩٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 196.

(٢٩٥) صحيفة «الكرمل»، العدد ٨٥٦، ٨ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢م، ص ٣.

(٢٩٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٧٨، ٢ شوال ١٣٢٢هـ/ ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٢٩٧) المصدر نفسه، العدد ١٩٣١، ١٨ رمضان ١٣٢٧هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م، ص ٣؛ إبراهيم الدر، «شفا عمرو»، ص ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٢٩٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٩٣١، ١٨ رمضان ١٣٢٧هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م، ص ٣؛ الدر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥.

(٢٩٩) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٤٨٦، ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ/ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩١٠م، ص ٣.

ويخفي هذا النزاع معارضة من المسيحيين في شفا عمرو لتوطين الجزائريين في اللواء والمناطق القريبة من سكناهم، لأنه يؤدي إلى زيادة العنصر الإسلامي. وهذا ما تلمح إليه بطريقة غير مباشرة صحيفة «البشير» الكاثوليكية، الصادرة في بيروت، والتي تابعت الموضوع باهتمام واضح.(٣٠٠)

كما أن الرواية عن الخلاف بين مسيحيي شفا عمرو والمهاجرين الجزائريين هي رواية مسيحية يجب قبولها بحذر شديد وخصوصاً أن الحكومة العثمانية أسكنت المهاجرين الجزائريين وغيرهم الأراضي المحلولة لا الأراضي المزروعة. ويبدو أن مسيحيي شفا عمرو اعتبروا أن هذه الأراضي من حقهم ولا يجوز إسكان الجزائريين فيها، وخصوصاً أن المسلمين والدروز في شفا عمرو لم يبدوا معارضة في إسكان الجزائريين هوشة.

لم تتوفر معلومات إحصائية دقيقة عن عدد الجزائريين الذين هاجروا إلى اللواء، إلاّ إنه وردت إشارات محدودة عن هذه الأعداد، إذ بعث القنصل الفرنسي في دمشق بتقرير إلى وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م ذكر فيه أن عدد الجزائريين الذين وصلوا إلى بلاد الشام بلغ ٢٨,٥٠٠ نسمة، وأعطى التقرير الأعداد التالية للجزائريين في لواء عكا:(٣٠١)

الجدول رقم ٣ ـ ٤١

القرية	عدد سكانها
كفر سبت	٣٠٠٠
هوشة	١٠٠٠
ديشوم	٢٠٠
سمخ	٢٠٠٠
طبرية	١٠٠
الحسينية	٥٠٠
المجموع	٦٨٠٠

بينما يبين الجدول التالي القرى التي سكنها الجزائريون وأعدادهم وفقاً لإحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، مقارنة بالإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/

(٣٠٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٨٤، ٣ ذو القعدة ١٣٢٢هـ/ ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥م، ص ٢؛ المصدر نفسه، العدد ١٦٧٨، ٣٠ رمضان ١٣٢٢هـ/ ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٣٠١) دوغراشي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠، ٢٩١.

١٩٢٢م:(٣٠٢)

الجدول رقم ٣ ـ ٤٢

اسم القرية	إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م
	عدد السكان	عدد السكان
كفر سبت	-	٢٤٧
علما	١١٠٥	٦٣٤
هوشة	-	٦٣٢
سمخ	٤٥٠	٩٢٢
الحسينية	-	١٢٧
الشعرة	٢٠٠	١٥٩
عولم	٥٧٥	٤٧٧
معذر	٩٧٥	٣٤٧
دلاتا	٣٥٥	٢٠٤
تليل	-	١٩٦
رأس الأحمر	٦٩٠	٤٠٥
ديشوم	-	٤٧٩
المجموع	٤٣٥٠	٤٨٢٩

وقد بلغ عدد قرى الجزائريين سبع قرى وفقاً لإحصاء شوماخر، واثنتي عشرة قرية وفقاً للإحصاء البريطاني. وهذا يعني أن خمس قرى جديدة سكنها الجزائريون في الفترة الواقعة بين الإحصاءين نتيجة الهجرة المستمرة من الجزائر. إلاّ إن زيادة عدد القرى لم يرافقها زيادة كبيرة في عدد السكان إلاّ بمقدار ٤٧٩ نسمة، بل إن معظم القرى شهد انخفاضاً كبيراً في عدد السكان، إذ انخفض عدد سكان علما من ١١٠٥ نسمات إلى ٦٣٤ نسمة، كما انخفض عدد السكان في عولم ومعذر ورأس الأحمر، ويعود ذلك إلى أن الجزائريين الذين سكنوا هذه القرى تركوها وفضلوا الإقامة بالمدن الكبرى في اللواء وخارجه كدمشق وصفد، فضمت المدينتان جوالي جزائرية كبيرة.

(٣٠٢) Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-191; Barron, *op.cit.*, pp. 32-41.

٣ ـ البوسنيون والشركس:

ارتبطت هجرة البوسنيين والشركس إلى اللواء بالحروب التي شنتها روسيا والنمسا وغيرهما من الدول الأوروبية على الدولة العثمانية. ففي سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، أجبرت الدول الأوروبية الدولة العثمانية على وضع ولاية البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية، لكن النمسا أعلنت سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ضمها إليها الأمر الذي أدى إلى هجرة عدد من المسلمين إلى الأراضي العثمانية، وأقام عدد منهم بلواء عكا.[٣٠٣]

أشار نورمان لويس (Norman Lewis) إلى وصول ١٥٠٠ لاجىء من البوسنة والهرسك إلى ميناء عكا سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م.[٣٠٤] وذكرت صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، أن ٦٠ شخصاً من الألبان وصلوا إلى عكا على الباخرة النمساوية بعد استيلاء الصرب على مدينة دراج وقيامهم بالمظالم المختلفة فيها.[٣٠٥] كما كان عدد من المهاجرين البوسنيين من مدينة مستار البوسنية.[٣٠٦]

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، هاجر إلى بلاد الشام عامة، وإلى فلسطين خاصة، جماعات من الشركس والشيشان من روسيا عقب الحرب الروسية ـ العثمانية سنة ١٢٩٤ـ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧ـ١٨٧٨م وطرد روسيا لهم. فقدر عدد هؤلاء المهاجرين بنحو ثلاثين ألف نسمة أسكنتهم الدولة العثمانية مناطق متعددة من بلاد الشام، منها مناطق في لواء عكا، كقيسارية جنوبي حيفا.[٣٠٧] وأشارت السجلات الشرعية إلى محمد وعبد الله وأحمد حميدة أولاد حسن بن علي بك العثمانيين، وإلى عبد الله بن مصطفى وحسين بن مصطفى من مهاجري الهرسك المتوطنين بقيسارية.[٣٠٨] وأشارت حجة أُخرى إلى مصطفى وصالح،

(٣٠٣) Oliphant, *Haifa*, pp. 182-184; Norman Lewis, *Nomads*, p. 97; إحسان النمر، «تاريخ جبل نابلس»، ج ٢، ص ٣٩.

(٣٠٤) Lewis, *op.cit.*, p. 97.

(٣٠٥) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٠٨٣، ١٨ محرم ١٣٣٠هـ/٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م، ص ٢، ٣.

(٣٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٥، ٧ رجب ١٣٠٦هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٣٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧، ن ١٤، ١٦ رمضان ١٣٠٩هـ/ ١٤ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م؛ محمد أمين الصوفي الطرابلسي، «سمير الليالي»، ج ١، ص ١٢؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 237؛ النمر، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٩.

(٣٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٥، ن ٤٢، ٢٩ شوال ١٣١٠هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٨٩٣م.

ولدي درويش ابن الحاج إبراهيم، وإبراهيم بن أحمد جنوبك العثمانيين من مهاجري الهرسك المتوطنين بقيسارية.[٣٠٩]

وقد باع عدد من المهاجرين البوسنيين أملاكهم التي تركوها في مدنهم وقراهم التي هاجروا منها، فكانوا يحضرون إلى المحكمة الشرعية ويوكّلون من يبيع لهم أملاكهم. فمثلاً، وكّلت ظريفة بنت آغا ريبك من مهاجري البوسنة المتوطنة بقيسارية، صالح بن بكر بن جركس المسلم العثماني من مهاجري البوسنة والمتوطن بناحية كول حصار من أعمال ولاية البوسنة بيع أملاكها في ناحية كول حصار.[٣١٠]

لقد اهتم أوليفانت بالحديث عن البوسنيين في قيسارية وأسباب هجرتهم إليها،[٣١١] فذكر أن مدينة قيسارية لم تكن مسكونة منذ أيام الحروب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، والآن ومنذ ستة أشهر أقامت مجموعة من لاجئي البوسنة والهرسك بها، وخصصت الحكومة قيسارية والأراضي المحيطة بها مستوطنة جديدة لهم. وكان المهاجرون الجدد إلى قيسارية من السلاف، لغتهم هي اللغة السلافية، ويتحدث بعضهم اللغة التركية بصورة محدودة. أمّا اللغة العربية فغير معروفة لهم، وهم يحاولون تعلمها.[٣١٢]

كما استقر الشركس والشيشان والبوسنيون بقرى أُخرى في لواء عكا، مثل كفر كما وسارونا والريحانية والغابة.[٣١٣] فأشارت السجلات إلى إبراهيم بن حسن من مهاجري الشركس المقيم بقرية الغابة من ملحقات قيسارية،[٣١٤] وإلى صالح حافظ بن حافظ أبي حوجي بن خورنق الشركسي المسلم من سكان خربة

(٣٠٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٥، ٧ رجب ١٣٠٦هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٣١٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١١١، ن ١٦، ١٦ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٨٨٩م.

(٣١١) ويفسر أوليفانت ذلك قائلاً: عندما نُقلت هذه الأقاليم إلى حكم النمسا وجدت الطبقة السلافية المسلمة المالكة نفسها مضطهدة من الفلاحين السابقين والقوى المسيحية الذين كانت تضطهدهم سابقاً. فوجد المسلمون أنفسهم مضطرين إلى الهجرة إلى الأراضي العثمانية في آسيا كي يكونوا تحت الحكم الإسلامي. أنظر: Oliphant, *Haifa*, pp. 182-184.

(٣١٢) *Ibid.*

(٣١٣) Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-170; Baedeker, *op.cit.*, p. 249.

(٣١٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٦، ن ٢٤١، ٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

الغابة في ناحية قيسارية قضاء حيفا.[٣١٥]

وعُرفت قرية الغابة بخربة الشركس وبغابة الشركس نسبة إليهم. فأشارت السجلات إلى عيسى بن عثمان بن عبد الله الشركسي من المهاجرين الشركس المقيم بالخربة المعروفة بخربة الشركس في ناحية قيسارية.[٣١٦]

كما أشارت إلى الحاج مصطفى بن طرطوخ، وإلى الياس إسحاق وكلاهما من قرية غابة الجركس.[٣١٧] وقد ترك عدد من الشركس قرية الغابة وانتقلوا إلى الإقامة بحيفا، فتشير إحدى الحجج إلى أن موسى فهمي ابن الحاج أحمد بن عبد الرحيم الجركسي من حيفا وكّل مصطفى أفندي ابن الحاج حسين ابن الحاج علي زادة من أهالي قيسارية بيع وفراغ ما هو جار في تصرفه، أي كامل قطعتي الأرض الواقعتين في غابة الجركس.[٣١٨]

كما انتقل بعض الشركس من اللواء إلى قرية وادي السير في شرق الأردن لأن الظروف المناخية والطبيعية أكثر ملاءمة لهم وشبيهة بطبيعة بلادهم، وخصوصاً بعد إصابة عدد كبير منهم بالملاريا، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الشركس في وادي السير.[٣١٩]

ويبين الجدول التالي القرى التي سكنها الشركس وعدد خاناتهم وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١-١٨٨٢م:[٣٢٠]

(٣١٥) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١١٤، ن ٥٢، ٢١ ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٠٢م.

(٣١٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٩٣، ن ٤٣، ٥ ربيع الأول ١٣١٠هـ/ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢م.

(٣١٧) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٧٧، ن ١٣١، ٢٣ رمضان ١٣٢٦هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٨م.

(٣١٨) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٢٥، ٢٦ شعبان ١٣٢٩هـ/ ٢٢ آب (أغسطس) ١٩١١م.

(٣١٩) سجلات المحكمة الشرعية في السلط، رقم ١٠؛ سجل الأذونات الشرعية العقارية ١٣٢١هـ/ ١٣٣٠م، حجة رقم ١٢٢، ص ٣؛ وانظر أيضاً: النمر، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٦؛ محمود العابدي، «من تاريخنا»، ص ١٢١؛ جورج طريف، «السلط وجوارها»، ص ٢١٢ - ٢١٦.

(٣٢٠) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢٠، ٩٢١.

الجدول رقم ٣ - ٤٣

القضاء	القرية	عدد الخانات	عدد السكان
طبرية	كفر كما	١٨٤	٤١٩
صفد	الريحانية	٧١	١٨٠
حيفا	الغابة	١٩٩	٤٢٦
المجموع		٤٥٤	١٠٢٥

ويقدم نورمان لويس جدولاً آخر يبين فيه القرى التي استوطنها الشركس والشيشان وأعدادهم:[٣٢١]

الجدول رقم ٣ - ٤٤

القرية	سنة التأسيس	عدد السكان	جنس السكان
كفر كما	١٢٩٣ - ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٦م - ١٨٧٨م	١٥٠ أو ٣٥٠	شابسوغ
الريحانية	١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م	١١٠	شركس
قيسارية	١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م	٣٣١	بوسنيون
المجموع		٥٩١ أو ٧٩١	

بينما يبين الجدول التالي عدد الشركس والبوسنيين والقرى التي استقروا بها وفقاً لإحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م:[٣٢٢]

الجدول رقم ٣ - ٤٥

القضاء	القرية	عدد الخانات	عدد السكان
صفد	الريحانية	٨٩	٤٤٥
طبرية	كفر كما	٢٣٠	١١٥٠
حيفا	الغابة	٢٦	١٣٠
المجموع		٣٤٥	١٧٢٥

Lewis, *op.cit.*, p. 117. (٣٢١)

Schumacher, *op.cit.*, pp. 169-179. (٣٢٢)

وفقاً للإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، كان عدد الشركس كما يلي:[٣٢٣]

الجدول رقم ٣ ـ ٤٦

القضاء	القرية	عدد السكان
طبرية	كفر كما	٦٧٧
صفد	الريحانية	٢١١
حيفا	الغابة التحتا	
	الغابة الفوقا	١٢١
المجموع		١٠٠٩

وتبيِّن المقارنة بين إحصاء شوماخر والإحصاء البريطاني أن هناك تناقصاً حاداً في عدد الشركس والبوسنيين في القرى التي أقاموا بها في اللواء. ويعود هذا التناقص إلى أنهم غادروا هذه القرى إلى مدن وقرى في اللواء وخارجه. فتشير إحدى الحجج إلى الحاج حسن ابن الحاج موسى آغا الشركسي، ميقاتي جامع الجزار في عكا،[٣٢٤] وإلى حسين الجركسي بن علي لامبلارز الجركسي من أهالي الغابة التابعة لحيفا والمتوطن بقرية كفر كما التابعة لطبرية.[٣٢٥]

كما انتقلت أعداد أُخرى من الشركس إلى وادي السير، فأشارت الحجج الشرعية إلى أن أحمد بن بكماز بن دادوخ من سكان قرية وادي السير وكّل عيسى بن عثمان الجركسي من سكان قرية الغابة في قضاء حيفا ببيع قطعتي الأرض اللتين بملكه في الغابة.[٣٢٦] وأشارت حجة أُخرى من المحكمة الشرعية في حيفا في السنة نفسها إلى أحمد بن بكماز بن دادوخ أنه من سكان غابة الجركس في ناحية قيسارية وأنه يملك قطعتي الأرض بقرية الغابة.[٣٢٧] وبالإضافة إلى

(٣٢٣) Barron, *op.cit.*, pp. 32-35.

(٣٢٤) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٢٥، ٢٦ شعبان ١٣٢٩هـ/ ٢٢ آب (أغسطس) ١٩١١م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٤٤، ن ١٥٧، ٩ شعبان ١٣١١هـ/ ١٥ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

(٣٢٥) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ١٠٥، ن ٦٣٨، ٢٦ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩١٤م.

(٣٢٦) سجل حجج شرعية، سجلات محكمة السلط، رقم ١٥، ص ١٩، ن ٤٧، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

(٣٢٧) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٢، ن ١١٥، ٢٤ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

البوسنيين والشركس هاجر، بصورة فردية، عدد من المسلمين من الهند وباطوم وجزيرة كريت. فأشارت السجلات إلى زيدة بنت حسن الأرناؤط من أهالي كريت المتوطنة بحيفا،[٣٢٨] وإلى فاطمة بنت سليمان الكرجي الباطومي الأصل المقيمة بعكا،[٣٢٩] وإلى عرفان أفندي بن حسن آغا سركردة بن يعقوب فزغانجي أوغلي العثماني من مهاجري باطوم وسكان حيفا وزوجته فاطمة بنت السيد حسين تقي الدين أحد مهاجري الهند.[٣٣٠]

٤ ـ اليهود:

اقتصرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، على هجرة اليهود المتدينين الذين استقروا بالقدس وطبرية وصفد. وشكل اليهود نحو ثلث عدد سكان طبرية ونصف عدد سكان صفد، أكثرهم فقراء مسنين يعيشون على الإعانات والمساعدات التي تأتيهم من الخارج. وكان معظمهم من أصل إسباني (السفاراديم)، ثم تزايدت نسبة اليهود من أصل روسي وبولندي (الأشكنازيم) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.[٣٣١]

عاش اليهود في المدن في أحياء خاصة بهم، وعمل بعضهم في التجارة أو الزراعة، ولم يشتروا الأراضي لأغراض استيطانية واستعمارية، وإنما اعتمدوا على المساعدات المالية التي كانت تأتيهم من اليهود في أوروبا وأميركا. وأكد ذلك الرحالة الأوروبيون الذين زاروا فلسطين واهتموا باليهود وأعدادهم وأوضاعهم في المدن التي عاشوا فيها. فذكر بيركهارت سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م: «يسكن اليهود في طبرية[٣٣٢] حياً على شاطىء البحيرة في وسط البلدة، والذي وسع مؤخراً، إلى

(٣٢٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٣٥، ن ١٨٧، ٢١ محرم ١٣٢٧هـ/ ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٩م.

(٣٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢١، من دون نمرة، ١٣ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(٣٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٦٩، من دون نمرة، ١٥ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٣٣١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 293-295;
التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٣؛ Dowling, *op.cit.*, p. 191.

(٣٣٢) لمزيد من المعلومات عن اليهود في طبرية أنظر:
Parfitt, *op.cit.*, pp. 77-88.

حد كبير، بعد شراء عدة شوارع، ويفصله عن بقية البلدة سور عالٍ، وله بوابة واحدة للدخول تغلق بانتظام عند غروب الشمس، وبعد إغلاقها لا يسمح لأي شخص بالمرور. وفي الحي ١٦٠ عائلة منها ٤٠ أو ٥٠ عائلة من أصل بولندي والبقية من يهود إسبانيا وشمال إفريقيا وأنحاء متعددة من سورية. إن القسم الأكبر من اليهود الذين يقيمون بهذه المدينة لا يتعاطى الأعمال التجارية، لكنه يشكل مجتمعاً من الأفراد المتدينين المنهمكين فقط في واجباتهم المقدسة، بينهم تاجران فقط وبعض أصحاب الأملاك. ويرسل اليهود في طبرية البعثات إلى الخارج لتجمع الأموال من أجل دعم هذه الجمعيات، عن طريق إقناع أغنياء اليهود بإرسال المؤن والنقود. وفي كل عام يرسل إلى الخارج ثلاث أو أربع إرساليات، واحدة إلى السواحل الإفريقية، وأُخرى إلى سواحل أوروبا، وثالثة إلى القسطنطينية والأناضول، ورابعة تعمل ضمن حدود سورية. كما كانت المعونة تُلتمس من المؤسسة الخيرية ليهود لندن، إلاّ إن يهود جبل طارق اشتهروا بأنهم أكثر تسامحاً من الآخرين وكانوا يرسلون سنوياً ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ دولار إسباني. كما أرسل اليهود البولنديون الذين استوطنوا بطبرية الجباة إلى بوهيميا وبولندا.»[٣٣٣]

تحدث أوليفانت عن اليهود في صفد فبيّن أن المجموع النهائي لليهود الأشكنازيم يبلغ ٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ نسمة. بالإضافة إلى هؤلاء يوجد ١٢٠٠ نسمة من اليهود السفارديم أو اليهود الإسبان الذين يلبسون الملابس الشرقية. إن أغلبية يهود صفد تدعمها مؤسسة خيرية تدعى حالوكا (Haluka)، يتبرع لها اليهود الأتقياء من جميع أنحاء العالم كواجب ديني من أجل تقديم المساعدة إلى إخوانهم في الدين الذين جاؤوا إلى صفد وإلى القدس كي يمضوا بقية حياتهم في تعبد وصلاة وكي يموتوا فوق الأراضي المقدسة.[٣٣٤]

وكتبت جريدة «الاتحاد العثماني» عن اليهود في صفد فقالت: «يتألف اليهود في صفد من طائفتين الأولى طائفة أبناء العرب والثانية طائفة السكناج... ومما اعتادت عليه طائفة أبناء العرب هو أنهم ينتخبون بعض أشخاص منهم ويعطونهم شهادات من حاخاميتهم ويرسلونهم لجمع الإحسانات من أغنياء الموسويين في البلاد العثمانية والأجنبية على قواعد معلومة لديهم. أمّا طائفة السكناج... إن أكثر اعتمادهم على المرتبات السنوية التي ترد إليهم من أغنياء اليهود في أوروبا على

(٣٣٣) Burckhardt, *op.cit.*, p. 327.

(٣٣٤) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 293-295; Oliphant, *Haifa*, pp. 69, 70.

أيدي وكلائهم وهؤلاء يصرفونها في مصالح الطائفة وعلى الحاخامية والفقراء والمحتاجين ولولا ذلك لمات أكثر اليهود في صفد جوعاً وعرياً.»[٣٣٥]

تزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واتخذت طابعاً سياسياً واستعمارياً لأن عدداً من اليهود لم يقم بالمدن العربية، وإنما أنشأ مستعمرات يهودية خاصة به أقام بها منعزلاً عن بقية السكان تمهيداً لتكوين الدولة اليهودية في فلسطين.[٣٣٦]

وارتبطت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالأوضاع الداخلية في الدول الأوروبية وخصوصاً في روسيا وبولندا التي تعرض اليهود فيهما للمضايقات بصفتهم أقلية دينية بين أكثرية من المسيحيين، إضافة إلى سيطرتهم على رؤوس الأموال والتجارة في هذه الدول في ظل ظروف اقتصادية سيئة. فازدادت رغبة اليهود في الهجرة من هذه الدول واتجهت أغلبيتهم إلى أميركا وأوروبا الغربية، بينما اتجه عدد قليل منهم إلى فلسطين. وتزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد اغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م الذي اتُهم اليهود باغتياله. وقد لقيت الهجرة اليهودية إلى فلسطين التشجيع من الحركات اليهودية المعارضة للاندماج في الشعوب الأوروبية والتي رأت أن حل المشكلة اليهودية لا يتم إلاّ بإنشاء دولة يهودية في فلسطين.[٣٣٧]

عاش اليهود في المدن العربية في حارات (محلات) خاصة بهم عرفت بحارات اليهود أو بمحلات اليهود، مثل محلة اليهود في صفد،[٣٣٨] ومحلة اليهود في طبرية،[٣٣٩] ومحلة اليهود في حيفا.[٣٤٠] أمّا عكا فشكل اليهود عدداً محدوداً من سكانها، لأنهم لم يرغبوا في الإقامة بها لطابعها الإسلامي وارتفاع عدد سكانها قياساً بمساحتها الصغيرة، وخصوصاً أن الدولة العثمانية لم

(٣٣٥) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٢٤٩، ٢٧ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٩٠٩م؛ وانظر أيضاً: Parfitt, *op.cit.*, pp. 51-76؛ حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩٥.

(٣٣٦) Beadeker, *op.cit.*, pp. 236, 237; Oliphant, *Haifa*, p. 71.

(٣٣٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠؛ Parfitt, *op.cit.*, pp. 77-88.

(٣٣٨) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٥١، ٦ جمادى الثانية ١٣٠٣هـ/ ١٢ آذار (مارس) ١٨٨٦م، ص ١.

(٣٣٩) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Burckhardt, *op.cit.*, p. 327.

(٣٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٦١، ن ٤١، ٢٢ شوال ١٣١٩هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

تسمح لسكانها بالبناء خارج الأسوار إلاّ سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.[٣٤١] ولم يسكن اليهود في الناصرة لطابعها المسيحي ولأن سكانها منعوهم من الإقامة بها.

انقسم اليهود في المدن التي أقاموا بها قسمين: السفاراديم (اليهود من إسبانيا وشمال إفريقيا) الذين أقاموا بحارات خاصة بهم تشكل جزءاً من محلة اليهود؛ الأشكنازيم (اليهود من شرق أوروبا) الذين أقاموا أيضاً بحارات خاصة بهم.[٣٤٢] فسكن اليهود الأشكنازيم في أعلى حارة اليهود في صفد، وسكن السفاراديم في أسفلها.[٣٤٣]

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، اختار عدد من اليهود المهاجرين إلى اللواء الإقامة بحيفا، فارتفع عددهم فيها من خمس عشرة عائلة سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م إلى مئة عائلة تقريباً سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.[٣٤٤]

وجاء معظم اليهود إلى حيفا في هذه الفترة من الآستانة (القسطنطينية) وسورية والمغرب والجزائر، فأصبح العنصر اليهودي المغربي أكثر العناصر اليهودية هناك. وازداد عدد اليهود بصورة كبيرة حتى وصل عددهم إلى ٧٦٠ نسمة في سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م.[٣٤٥] وقد أقاموا بالحارة الشرقية من المدينة (حيفا الشرقية)، وهي الحي نفسه الذي يقيم به المسلمون.[٣٤٦] ونتيجة موجة الهجرة الأولى والثانية القادمة من روسيا وبولندا ازداد عدد اليهود في المدينة بصورة كبيرة.[٣٤٧]

وتعطي سجلات المحكمة الشرعية في حيفا صورة عن المناطق التي قدم

---

(٣٤١) صحيفة «البشير»، العدد ١٩٠٤، ١٨ ذو القعدة ١٣٢٧هـ/ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ٣.

(٣٤٢) المصدر نفسه، العدد ٩٥٠، ٢٨ ربيع الثاني ١٣٠٦هـ/ ١ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م، ص ٣؛ Masterman, «Safed,» *PEF,* 1917, p. 173; Dowling, *op.cit.*, p. 191.

(٣٤٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 278-280; التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٧ ـ ٣٥١؛ Masterman, «Safed,» *PEF,* 1917, p. 173.

(٣٤٤) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

(٣٤٥) *E.J.*, Vol. 7, p. 1137; Parfitt, *op.cit.*, pp. 105-110.

(٣٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢، ن ٥٥٠، ١٦ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م.

(٣٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٤، ن ٨، ١٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

منها اليهود، فأشارت إلى يهود قدموا من صفد،[٣٤٨] وصور،[٣٤٩] والقاهرة،[٣٥٠] والآستانة. وشكل يهود الآستانة جالية كبيرة، إذ أشارت إحدى الحجج إلى موسى بن رفائيل بن نسيم الموسوي الأستانلي المقيم بحيفا.[٣٥١] كما أشارت السجلات إلى يهود جاؤوا من المغرب،[٣٥٢] ومن الجزائر، وبرز بينهم الحاخام إبراهيم كوهين اليهودي الجزائري.[٣٥٣]

لقد تنافست الدول الأوروبية في منح تبعيتها (جنسيتها) لليهود لاستغلالهم في نشر نفوذها السياسي والاقتصادي في فلسطين. فيقول ألكس كرمل (Alex Carmel): «... نمت الطائفة اليهودية كثيراً... وتعززت مكانتها. وقد ساعد يهود حيفا، تعاطف حكومة بريطانيا وممثليها معهم، الذين رأوا آنذاك، بعين الرضى، استيطان اليهود في البلاد وأملوا أن يحصلوا بواسطتهم على نفوذ ما، كالذي حظيت به فرنسا بفضل رعايتها للكاثوليك على اختلاف طوائفهم، وذلك ما حدث أيضاً في [سنة ١٢٧٠هـ/] ١٨٥٣م، عندما أبطلت القنصلية الفرنسية في حيفا رعايتها لإحدى وعشرين عائلة يهودية قادمة من الجزائر الفرنسية... حظيت هذه العائلات بالجنسية البريطانية.»[٣٥٤]

ومُنح بعض اليهود الجنسية الإنكليزية،[٣٥٥] كيوسف بن ميمون من التبعية الإنكليزية،[٣٥٦] والجنسية الفرنسية، كمريم بنت إبراهيم الإسرائيلية الفرنسية،[٣٥٧] والجنسية الإسبانية، كمابير بن يحيى الإسرائيلي من تبعية دولة

---

(٣٤٨) س ح، ش ١٤١، س ٦، من دون صفحة، ن ٩٣، ٤ رجب ١٣٣٢هـ/ ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٤م.

(٣٤٩) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٢١٩، من دون تاريخ.

(٣٥٠) س ح، ش ٢٦١، س ٦، ص ١٨، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(٣٥١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٨، ن ٣٩، ١٣ شوال ١٣٠٥هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٨م.

(٣٥٢) *E.J.*, «Population,» Vol. 9, p. 499.

(٣٥٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٨، ن ٣٩، ١٣ شوال ١٣٠٥هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٨م.

(٣٥٤) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٣٥٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٩، من دون نمرة، ٦ شوال ١٣٠٠هـ/ ١٠ آب (أغسطس) ١٨٨٣م.

(٣٥٦) دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٣٥، ٣٦.

(٣٥٧) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٢٢٧، ن ٩٤، ٥ رمضان ١٣٠٨هـ/ ١٤ نيسان (أبريل) ١٨٩١م؛ دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٣٥.

إسبانيا.[٣٥٨] ومنح آخرون الجنسية الإيطالية[٣٥٩] والروسية[٣٦٠] واليونانية[٣٦١] والنمساوية. وقد منحت النمسا عدداً كبيراً من يهود صفد وطبرية تبعيتها.[٣٦٢] كما مُنح عدد من اليهود في المدن وفي المستعمرات اليهودية التبعية العثمانية.[٣٦٣] وحمل بعض اليهود تبعية أكثر من دولة في وقت واحد، فالحاخام إبراهيم كوهين الحزان الجزائري مُنح التبعية العثمانية،[٣٦٤] والفرنسية،[٣٦٥] والإنكليزية،[٣٦٦] ومنح ابنه درويش التبعية الإسبانية.[٣٦٧]

وذكر ماسترمان أن صفد تضم ٢٥ ألف نسمة، منهم ١١ ألف يهودي والعدد الكبير من هؤلاء رعايا أجانب. ووفقاً لموظف قنصلي بريطاني، فإن ٢٥٠٠ منهم يحملون الجنسية النمساوية و١٠٠٠ الجنسية الفرنسية و٦٠٠ الجنسية الفارسية و١٥٠ الجنسية الإنكليزية و١١٠ الجنسية الأميركية.[٣٦٨]

يبين الجدول التالي المكون من عينة من سكان حيفا اليهود (١٥٠ شخصاً) الدول التي يحمل اليهود جنسيتها وعدد الذين يحملون جنسية كل دولة:[٣٦٩]

(٣٥٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٨، ن ٣٩، ١٣ شوال ١٣٠٥هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٨م.

(٣٥٩) المصدر نفسه.

(٣٦٠) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٤، ن ٨، ١٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

(٣٦١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٨، ن ١٦٤، ٢ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(٣٦٢) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٥٨، ٩ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣؛
Beadeker, *op.cit.*, p. 259.

(٣٦٣) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٠٧، ١٩ رجب ١٣٢٩هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٩١١م.

(٣٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٢٧، ن ٩٤، ٥ رمضان ١٣٠٨هـ/ ١٤ نيسان (أبريل) ١٨٩١م.

(٣٦٥) س ح، ش ٢٦١، س ١، من دون صفحة، من دون نمرة، ٢٦ جمادى الثانية ١٣٠٥هـ/ ١١ آذار (مارس) ١٨٨٨م.

(٣٦٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٩، ن ١٧٠، جمادى الثانية ١٢٩٠هـ/ تموز (يوليو) ١٨٧٣م.

(٣٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٧، ن ٢٠٧، ١ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١ أيار (مايو) ١٨٨٩م.

(٣٦٨) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٧؛
Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 170.

(٣٦٩) أنظر مثلاً: س ح، ش ٢٦١، س ١، من دون صفحة، من دون نمرة، ٢٠ جمادى الثانية ١٣٠٥هـ/ ٥ آذار (مارس) ١٨٨٨م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٢، ن ٧٧٤، ٢٤ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

الجدول رقم ٣ ـ ٤٧

فرنسا	الدولة العثمانية	إنكلترا	إسبانيا	إيطاليا	النمسا	اليونان	المجموع	جنسياتهم غير معروفة*	المجموع
١٧	١٣	٧	٦	٢	١	١	٤٧	١٠٤	١٥١

* لم تشر السجلات الشرعية إلى جنسيات باقي الدول التي تنتمي إليها بقية العينة وهي ١٠٤ أشخاص.

واستغل اليهود الامتيازات التي تمنحهم إياها تبعيتهم للدول الأوروبية. ففي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، تهرب يهود طبرية من الخدمة العسكرية، وقدموا أربعة أشخاص فقط على الرغم من أن المطلوبين كانوا ٥٠ شخصاً مدعين أن الباقين يحملون التابعية الأجنبية.[٣٧٠]

وكتبت صحيفة «الاتحاد العثماني» سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م: «إن قنصل النمسا في بيروت وصل إلى صفد وتواطأ مع قنصل النمسا في صفد وكتبا مئتي شخص عثماني الأصل نمساويين وسلموهم باسبورات نمساوية.»[٣٧١]

ثم كتبت الصحيفة في عدد آخر أن في صفد اثنتي عشرة عائلة يهودية تدعي التابعية الأجنبية، والحكومة لا تعترف لها بذلك، بل تعتبر أفرادها وطنيين عثمانيين. وكانوا في السنة الماضية امتنعوا من أداء رسم التمتع محتجين بأنهم أجانب.[٣٧٢] وفي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، رفض ماير ماشون اليهودي من صفد دفع ما عليه من ضرائب وأموال إلى الدولة تقدر بمبلغ ١٥٠٠ قرش بحجة أنه نمساوي الجنسية على الرغم من عدم إقرار القنصلية النمساوية بذلك.[٣٧٣]

وأشار أوليفانت إلى قيام فرنسا وروسيا بحماية اليهود، فمنحت روسيا الحماية لأحد اليهود الذي أطلق النار على أحد المسلمين وحالت دون التحقيق معه من قبل السلطات العثمانية.[٣٧٤]

كما اشترى اليهود مساحات واسعة من الأراضي على أساس تبعيتهم للدول الأوروبية لا على أساس أنهم يهود، لأن القوانين العثمانية منعت اليهود من تملك

(٣٧٠) صحيفة «فلسطين»، العدد ١٧١، ١٣ ذو القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢م، ص ١، ٢.

(٣٧١) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٧٤، ٢٨ ذو القعدة ١٣٢٧هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(٣٧٢) المصدر نفسه، العدد ٣٨١، ٦ ذو الحجة ١٣٢٧هـ/ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(٣٧٣) المصدر نفسه، العدد ١٥٨، ٩ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣، ٤.

(٣٧٤) Oliphant, *Haifa*, p. 70.

الأراضي في فلسطين.(٣٧٥)

وازداد عدد اليهود في اللواء باستمرار نتيجة الهجرة اليهودية المستمرة من شرق أوروبا وغيرها من المناطق التابعة للعثمانيين. ويبين الجدول التالي عدد اليهود في مدن اللواء سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م:(٣٧٦)

الجدول رقم ٣ ـ ٤٨

المدينة	عكا	حيفا	طبرية	صفد	الطنطورة	شفا عمرو	البقيعة	المجموع
عدد السكان	١٣٠	١٣٧٥	٣٢٠٠	٧١٤٠	٨	٤٥	٩٦	١١,٩٩٤

أمّا الجدول التالي فيبين عدد اليهود في مدن اللواء سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م وسنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م:(٣٧٧)

الجدول رقم ٣ ـ ٤٩

المدينة	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	١٣٣١هـ/ ١٩١٢م	مقدار الزيادة
عكا	١٣٠	١٢٦	نقص ٤
حيفا	٩٤٤	٢٨٩٧	٩٥٣
طبرية	٢٥٣٨	٣٧٩٤	١٢٥٦
صفد	٣٧٣٣	٥٥١٦	١٧٨٣
المجموع	٧٣٤٥	١٢٣٣٣	٣٩٩٢

يتضح من الجدول ازدياد عدد اليهود في جميع المدن ما عدا عكا، ويعود هذا الارتفاع إلى استمرار الهجرة.

وفي سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، أعطى أرثر روبين الأرقام التالية لعدد اليهود في مدن اللواء:(٣٧٨)

(٣٧٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٦، ن ٤٣، ١٢ صفر ١٣٠٢هـ/١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٤م.

(٣٧٦) McCarthy, *op.cit.*, p. 60.

(٣٧٧) *Ibid*, p. 14.

(٣٧٨) *Ibid.*, p. 62.

الجدول رقم ٣ ـ ٥٠

المدينة	عدد اليهود
صفد	٨٠٠٠
طبرية	٤٠٠٠
حيفا	٣٠٠٠
المجموع	١٥٠٠٠

ولا شك في أنها أرقام مرتفعة ومبالغ فيها قياساً بالأرقام السابقة.

كما أقام اليهود عدداً من المستعمرات في اللواء عاشوا فيها منعزلين عن بقية السكان. وكان سكان هذه المستعمرات، في معظمهم، من اليهود الروس والبولنديين، تحركهم فكرة إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. ومن هذه المستعمرات:

- روش بينا: أقيمت على أراضي قرية الجاعونة العربية في قضاء صفد سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م عندما اشترى بعض الأغنياء اليهود من صفد ٤٠٠٠ دونم من أراضي الجاعونة،(٣٧٩) وأعطوا ٢٧٠٠ دونم منها إلى جمعية إليعيزر روكاح اليهودية الاستعمارية، فأنشأت عليها المستعمرة. أقام بالمستعمرة ٢٣ عائلة رومانية و٤ عائلات روسية بلغ عدد أفرادها جميعاً ١٤٠ نسمة وامتلكوا ١٦ بيتاً. ثم ارتفع عدد السكان فيها فوصل إلى ٨٠٠ نسمة سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.
- زخرون يعقوب: تأسست سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م على أراضي قرية زمارين(٣٨٠) في قضاء حيفا من يهود مهاجرين من رومانيا ومن مجموعة أُخرى من اليهود الرومانيين الذين تركوا مستعمرة روش بينا. بلغ عدد سكان المستعمرة نحو ٦٥٠ نسمة سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.
- يسود همعلا: أنشئت سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م على الضفة الغربية لبحيرة الحولة إلاّ إنها هجرت وأعيد استيطانها من جديد سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م من يهود بولنديين. وبلغ عدد

(٣٧٩) أشارت سجلات الأراضي العثمانية إلى أن سيمون جوردا، الفرنسي التبعية، يملك مساحات واسعة من الأراضي في الجاعونة والقرى القريبة منها كالمغار وبرعم وبيريا. أنظر: دفتر أراضي قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٣ ـ ٧٦.

(٣٨٠) أشارت دفاتر الأراضي إلى أيزك ليبل الفرنسي الذي يملك مساحات واسعة من الأراضي في منطقة زمارين اشتراها من جول جرمين الفرنسي. أنظر: سجل أراضي دائمي، المجلد ١٠، ص ٥٥.

سكانها ١٠٠ نسمة عند تأسيسها وارتفع عددهم إلى ٣٠٠ نسمة سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.[٣٨١]

ويبين الجدول التالي المستعمرات اليهودية في لواء عكا وعدد سكانها وسنة تأسيسها والموقع الذي قامت عليه:[٣٨٢]

الجدول رقم ٣ ـ ٥١

اسم المستعمرة بالعربية	اسم المستعمرة بالإنكليزية	سنة التأسيس	الموقع الذي قامت عليه	القضاء	عدد السكان سنة ١٩٢٢	عدد السكان سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م
روش بينا	Rosh Pina	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	الجاعونة	صفد	٤٦٠	٧٠٠
عين الزيتون	Ain-Seitun	١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م	عين الزيتون	صفد		٣٠
زخرون يعقوف	Zicron Jacob	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	زمارين	حيفا	١٠١٣	١٠٠٠
بات شلومو	Bat Sholomo	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	أم الجمال	حيفا	٥٣	٨٠
مئير شافيه	Shafiye	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	شفيا	حيفا	٤٣	
مشمار هيردين	Mishmar Hayarden	١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م	جسر بنات يعقوب	طبرية	٩٠	١٠٠
محنايم	Mahnayim	١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م	-		٣٠	
غان شموئيل	Gan Shmuel	١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م	الخضيرة	حيفا	٤٨	
يسود همعلا	Yessod Hama'ala	١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	المنية	صفد	١٤٢	١٦٠
يفنيئيل	Yavneel	١٣١٩هـ/ ١٩٠١م	كفر كما	طبرية	٣٦٥	
الخضيرة/ حديرا	Chadera	١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م	الخضيرة	حيفا	٤٥٠	٣٠٠
كفار تافور	Mesha	١٣١٩هـ/ ١٩٠١م	كفر تابور	طبرية	٢٧٤	
مناحيميا (ملحمية)	Melhamieh	١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م	الدلهمية	طبرية	١١٧	١٠٠
إيلانيا (الشجرة)	Sejara (Ilaniya)	١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م	الشجرة	طبرية	٢٢٢	٢٠٠
غفعات عدا	Giv'ath-Ada	١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م	-	-	-	-
عتليت	Athlit	١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م	عتليت	حيفا	٧٨	٨٠
بيت غان	Beit Ghan	١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م	عين الأسد	طبرية	١٣٢	-
متسبيه	Mitzpe	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	بيت جن	طبرية	٦٥	-
كنيرت	Kinnereth	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	الصنبرة	طبرية	١٤٩	١٠٠
داليكا	Dalaleika	١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	-	طبرية	-	-
دغانيا	Degania	١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م	-	طبرية	١٥١	٥٠
مغدل	Migdal	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م	المجدل	طبرية	٤٢	٥٠
مرحافيا	Merhavia	١٣٢٩هـ/ ١٩١١م	الفولة	الناصرة	١٣٥	١٠٠
بارديس حانه	Bardes Hanna	١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م	كركور	حيفا	٣٥	٥٠

(٣٨١) حسين روحي الخالدي، «المختصر»، ص ٤٨؛ Alex Bein, *The Return*, pp. 6-26؛ Oliphant, *Haifa*, p. 71; Beadeker, *op.cit.*, pp. 236, 237; هنري لامنس، «اليهود ومستعمراتهم في فلسطين»، «المشرق»، السنة الثانية، المجلد ١، ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، ص ١٠٨٨ ـ ١٠٩٤.

(٣٨٢) Arthur Ruppin, *Syrien*, pp. 263-265; Barron, *op.cit.*, pp. 32-43; التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ ـ ٣٢؛ Beadeker, *op.cit.*, pp. 236, 237؛ الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧؛ جريس، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠ ـ ١٤٥؛ Bein, *op.cit.*, pp. 554-574; Albert Hyamson, *Palestine, The Rebirth*, pp. 140-150.

أمّا الجدول التالي فيبين عدد اليهود موزعين على أقضية اللواء الخمسة سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م:[٣٨٣]

الجدول رقم ٣ ـ ٥٢

القضاء	عدد السكان اليهود	المدينة	عدد السكان اليهود	النسبة إلى بقية السكان
حيفا	٨٧٤٥	حيفا	٦٢٣٠	٪١٥,٤٩
عكا	١٤٤	عكا	٧٨	٪٠,٤٠
الناصرة	٧٠٠	الناصرة	٥٣	٪٣,٠٩
طبرية	٦٢٣٩	طبرية	٤٤٢٧	٣٠,١٠
صفد	٣٨٤٤	صفد	٢٩٨٦	١٦,٨٧
المجموع	١٩,٦٧٢	المجموع	١٣,٧٧٤	٪١٢,٤٣

ووفقاً لهذا الإحصاء بلغ عدد اليهود سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م نحو ١٩,٦٧٢ نسمة، يقيم ١٣,٧٧٤ نسمة بالمدن وتقيم البقية بالمستعمرات التي أنشئت في مناطق متعددة من اللواء.

ويتركز اليهود في أقضية حيفا وطبرية وصفد، ويقلون في قضاءي عكا والناصرة. وتظهر المقارنة بين الإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م وبين إحصاء شوماخر لسنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م أن حيفا أصبحت تضم أكبر التجمعات اليهودية فتفوقت بذلك على صفد وطبرية اللتين تدنى فيهما عدد اليهود قياساً بالسابق.

لقد اتخذ المستوطنون اليهود الزراعة الحرفة الرئيسية لهم إلاّ إنهم واجهوا مشكلات كثيرة لجهلهم التام بأساليبها. كما أنهم تعرضوا للإصابة بالأمراض المختلفة، وخصوصاً الملاريا والحمى.[٣٨٤]

(٣٨٣) Barron, *op.cit.*, pp. 32-43.

(٣٨٤) *Hand Book*, p. 497; Macalister, *op.cit.*, p. 106.

ونتيجة فشل اليهود في العمل في الزراعة طلبوا المساعدة من الجمعيات التي أرسلتهم من بلادهم إلاّ إنها عجزت عن تقديم المساعدة المطلوبة. فأخذت المستعمرات تعمل على الاتصال بالمؤسسات والشخصيات اليهودية في دول أوروبا الغربية طلباً للمساعدة، فاتصلت بالبارون روتشيلد (Rothschild) في باريس سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م الذي أبدى استعداداً لتقديم المساعدة المطلوبة، لكنه اشترط أن تكون المستعمرات تحت وصايته.[٣٨٥]

ونتيجة هذه الأسباب انتهى أمر بعض المستعمرات إلى الفشل، وانتقل سكانها إلى الإقامة بالمدن. ففي سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، استوطنت جالية يهودية من مراكش بشفا عمرو، ومارس المستوطنون زراعة الحبوب والزيتون إلاّ إنهم بعد بضعة أعوام تركوا القرية وانتقلوا إلى حيفا وعملوا في التجارة.[٣٨٦] كما فشلت التجربة الاستيطانية في أربع مستعمرات هي بثير طوفيا ومشمار هيردين وغان شموئيل ومحنايم، فهُجرت وأعيد استيطانها بعد الانتداب البريطاني.[٣٨٧]

٥ ـ الألمان:

ينتمي معظم الألمان المهاجرين إلى فلسطين بصورة عامة إلى أتباع طائفة المعبد (الهيكل) الدينية. وترجع هذه الطائفة إلى الحركة الدينية التي ظهرت في ألمانيا في القرن السابع عشر داخل الكنيسة الإنجيلية التي نشطت في دويلة فورتمبرغ (Wurttemberg) الألمانية في القرن التاسع عشر. ويعتقد أتباعها أن الأخلاق في العالم تزداد انحلالاً، وأنهم اختيروا لبناء نظام جديد للعالم عن طريق إقامة مستعمرات في فلسطين يرسلون منها المبشرين إلى أنحاء العالم لإيجاد أمة جديدة تجلب الخلاص للعالم.[٣٨٨]

وفي سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، أرسلت جماعة الهيكل اثنين من أتباعها هما غوتليب هوفمان (G. Hoffmann) وجورج دافيد هارديغ (George David Hardegg)، إلى فلسطين لتحديد الأماكن الأكثر ملاءمة للاستيطان، فتوجها إلى

(٣٨٥) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛ *Hand Book*, pp. 497, 498; A. Granott, *Land System in Palestine*, pp. 254-260.

(٣٨٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 280.

(٣٨٧) جريس، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥؛ Ruppin, *op.cit.*, p. 259.

(٣٨٨) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343; Alex Carmel, «The German Settlers in Palestine,» *SPDOP;* كرمل، «حيفا»، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨ ـ ٢٠٧.

القسطنطينية للحصول على فرمان يمكنهما من شراء الأرض، وقدما مذكرة إلى الباب العالي يطلبان السماح لهما بشراء قطعة أرض على جبل الكرمل، إلاّ إنهما غادرا إلى حيفا قبل حصولهما على الرد. ثم وصلهما الرد بأنهما لا يستطيعان تملك الأرض ما داما من غير رعايا الدولة العثمانية. فقاما بشراء قطعة من الأرض باسم مواطن عربي، لكن السلطات المحلية أخبرتهما أن عملية الشراء غير صحيحة لأنها علمت أن الأرض ليست للمواطن المحلي وإنما للهيكليين. فاشترى الاثنان قطعة أرض ثانية على جبل الكرمل سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.

وفي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، حصل الهيكليون على مساعدة ودعم من الإمبراطور الألماني ومن السفير البروسي في إستنبول الذي حصل لهم على موافقة السلطات العثمانية على منحهم نحو ٢٠٠٠ فدان (٨٠٠٠ دونم).[٣٨٩]

حاول الهيكليون الألمان إقامة مستعمرتهم الأولى بالقرب من قرية خنيفس في قضاء الناصرة سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، إلاّ إنهم تركوها بسبب إصابتهم بالحمى. ثم حاولوا إقامة مستعمرة جديدة لهم بالقرب من قرية السمنية غربي مدينة الناصرة لقرب المنطقة من سهل مرج ابن عامر ولوجود ينابيع الماء فيها، غير أن محاولتهم فشلت ومات بعضهم بالحمى والملاريا فألغي الاستيطان في القرية.[٣٩٠]

لكن فشل الهيكليين في إقامة هذه المستعمرة دفعهم إلى إقامة مستعمرتهم الجديدة غربي حيفا على بعد نحو كيلومتر واحد شمالي غربي المدينة،[٣٩١] والتي ضمت عدداً محدوداً من السكان. فذكر كوندر أن عدد السكان في الكولونية الألمانية في حيفا بلغ ٢٥٤ نسمة سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م وارتفع عددهم إلى ٣١١ نسمة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م. ويبين الجدول التالي عدد السكان وفئاتهم في هاتين السنتين:[٣٩٢]

(٣٨٩) *Hand Book*, 512; Victor Guerin, *Palestine*, Vol. 2, p. 404; علي محافظة، «العلاقات»، ص ٩٥ ـ ١٣٣.

(٣٩٠) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 346; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 280; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 302; Baedeker, *op.cit.*, p. 242.

(٣٩١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 283.

(٣٩٢) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 346; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 283.

الجدول رقم ٣ ـ ٥٣

فئة السكان	١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م
رجال متزوجون	٤٧	٥٩
رجال غير متزوجين	٤٠	٦٢
نساء متزوجات	٥١	٦٥
نساء غير متزوجات	٣٢	٥٧
الأطفال	٨٤	٦٨
المجموع	٢٥٤	٣١١

وتعود الزيادة البطيئة في عدد السكان إلى إصرار مؤسسي الكولونية على أن يكون المهاجرون إليها من أتباع جماعة الهيكل فقط، إلاّ إن قلة المهاجرين من هؤلاء الأتباع دفع المسؤولين فيها إلى اتخاذ قرار في سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م يسمح لجميع الألمان باستيطانها.[٣٩٣]

وبالتالي، ارتفع عدد سكان الكولونية إلى ٣٥٠ نسمة سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وفقاً للإحصاء الذي قام به شوماخر،[٣٩٤] بينهم ١٧ فلاحاً و١٢ بستانياً يزرعون العنب، و٢١ شخصاً يعملون في الزراعة و٢٠ من أصحاب المهن الأُخرى.[٣٩٥]

إن ازدياد عدد سكان الكولونية الألمانية دفع الهيكليين الألمان إلى إنشاء حيين جديدين فيها: الأول باسم كارملهايم (Carmelheim) سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، والثاني باسم نويهاردوف (Neuhardthof) سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م.[٣٩٦]

كما أنشأ الهيكليون مستعمرتين جديدتين غربي الناصرة: الأولى في قرية أم العمد وأطلق عليها اسم فالدهايم (Waldheim)، والثانية في قرية بيت لحم (Beitlahm).[٣٩٧]

وذكر التميمي أن المستعمرين الألمان في حيفا اشتروا سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م قريتي بيت لحم وأم العمد في جوار الناصرة من سرسق والتويني ويسكن في كل

(٣٩٣) Hand Book, p. 192.

(٣٩٤) Schumacher, *op.cit.*, pp. 184, 185.

(٣٩٥) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤، ١٨٥؛ U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 346.

(٣٩٦) Baedeker, *op.cit.*, p. 235; *Hand Book*, p. 512.

(٣٩٧) Baedeker, *op.cit.*, p. 242; Ruppin, *op.cit.*, p. 258.

منهما ١٢ عائلة.[٣٩٨] وفي سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، كان في مستعمرة بيت لحم نحو ١٠ أفراد يملكون ٧١٨ هكتاراً (٧١٨٠ دونماً)، وأصبحوا ٤١ شخصاً، سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، يملكون المساحة نفسها.[٣٩٩]

لم يقتصر النشاط الاستيطاني الألماني في فلسطين على الهيكليين البروتستانت بل شمل الكاثوليك أيضاً. فأقامت الجمعية الألمانية الكاثوليكية لفلسطين (Der Palaestinaverin der Katholiken Deutschlands) مستعمرة صغيرة لها في قضاء طبرية إلى الجنوب من نبع الطابغة وعين التينة، شمالي غربي بحيرة طبرية.[٤٠٠] وكان الهدف من إنشائها أن تكون قاعدة لنشر المذهب الكاثوليكي، ولمقاومة النفوذ الأورثوذكسي والبروتستانتي في منطقة الجليل. فاشترت الجمعية ٢٤ هكتاراً (٢٤٠ دونماً) من الأراضي في المنطقة ثم وسعت المستعمرة بشراء أراض في خان المنية وخربة منية بالقرب من عين التينة، بعدما قدمت القنصلية الألمانية في القدس دعمها لشراء الأرض وتسجيلها باسم الجمعية. كما بنت كنيسة ومنزلاً للمشرف على المستعمرة ومنزلاً للرهبان سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. وقد مارس سكان المستعمرة زراعة الحبوب والأشجار المثمرة، إلاّ إن استصلاح الأراضي تطلب أموالاً كثيرة أدت إلى انتقادات عنيفة بشأن المستعمرة داخل الجمعية الألمانية الكاثوليكية لفلسطين، التي ردت على المنتقدين بأن وجود قاعدة تبشيرية كاثوليكية في منطقة الجليل الأورثوذكسية أهم كثيراً من الربح والخسارة.[٤٠١] كما مدت الجمعية نشاطها إلى قرى الجليل كقرية الرامة التي أُنشئت فيها إرسالية كاثوليكية.[٤٠٢]

اتسمت العلاقات بين العرب والألمان بالريبة والحذر، إذ حمل الهيكليون الألمان أفكاراً مسبقة معادية للعرب ونظروا إليهم نظرة استعلاء وشعور بالتفوق، الأمر الذي زاد في توتر العلاقات بين الطرفين. وكان قادة الجمعية يخشون الاختلاط بالسكان العرب، والذوبان في المجتمع المحلي؛ فهم شعب الله المكلف بناء مملكة الرب في القدس. ولذلك تحاملوا على العرب، فالشرقي في

(٣٩٨) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٨.

(٣٩٩) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢؛ *Hand Book*, p. 192.

(٤٠٠) Baedeker, *op.cit.*, p. 252; L. Valentine, *Palestine*, p. 157; Macalister, *op.cit.*, p. 108.

(٤٠١) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ ـ ٨٦، عبد الرؤوف سنو، «المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين»، ص ٢٠٥.

(٤٠٢) حرفوش، مصدر سبق ذكره، المجلد ١٠، ص ٨٧٨.

نظرهم يمارس السرقة والاستجداء ولا يحني هامته إلاّ للقوة والمال. وشعر المستعمرون الألمان بالضيق عندما نافسهم العرب في الميدان الاقتصادي، وحلوا محلهم في النقل بالعربات على طريق حيفا ـ عكا. كما واجهت الحرفيين الألمان منافسة مماثلة. وما زاد في كراهية العرب للمستعمرين الألمان واليهود كان حماية الدول الكبرى لهم، ولم يشعر العرب بأن وجود الألمان يفيدهم. كما أدركوا أن الهيكليين الألمان ليسوا كبقية الأجانب في فلسطين، فقد جاؤوا فلسطين، تاركين أوطانهم، بهدف واحد هو الاستيلاء على أراضيهم.[(٤٠٣)]

وساعد اختلاف العادات والتقاليد في ازدياد العداء بين الطرفين. ففي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، حدث شغب في الكولونية الألمانية عندما تجمع بعض الشباب من حيفا في الوقت الذي كانت فيه مجموعة من النساء الألمانيات تمارس السباحة في البحر، فأرسل حاكم المدينة الشرطة والجنود لإبعادهم إلاّ إنهم رفضوا الانصياع للأوامر وتحركوا نحو الفندق الألماني وحطموا نوافذه، فاعتقلتهم الحكومة وسجنتهم.[(٤٠٤)] وعلى الرغم من حالة الشك والكراهية التي سادت العلاقات بين الهيكليين والعرب في اللواء، فإنه لم يحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة ذهب ضحيتها أحد فلاحي قرية الطيرة القريبة من حيفا وأحد سكان الكولونية الألمانية في حيفا. إذ ذكرت صحيفة «المقتبس» أن رجلاً يدعى محمد بن عمر من سكان الطيرة وجد مقتولاً سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م في كرم أحد الألمان، وأن صاحب الكرم الألماني قتله عندما حاول السرقة من الكرم. فذهب المحققون برفقة القنصل الألماني في حيفا إلى مكان الحادث، وبرفقة ألماني يدعى فريديس أونكر، من الكولونية الألمانية في حيفا، قُتل برصاصة أطلقها أحد سكان الطيرة. وكان سبب قتله أنه دفع القتيل محمد بن عمر برجله قائلاً: هذا جزاء من يسرق الكروم. فغضب أخو القتيل وأطلق النار على فريديس أونكر فقتله. إلاّ إن صاحب صحيفة «المقتبس» يقول إن الشائع على الألسن أن أهل القرية كانوا غاضبين من فريديس أونكر لعلاقته بشراء الأراضي والأملاك في الطيرة.[(٤٠٥)]

وتؤكد سجلات المحكمة الشرعية في حيفا الاستنتاج أن فريديس أونكر قُتل لعلاقته بعمليات شراء الأراضي في الطيرة. إذ أشارت السجلات إلى عمليات شراء

(٤٠٣) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨، ١٣٠؛ .Carmel, *op.cit.*, pp. 445-456

(٤٠٤) Dowling, *op.cit.*, p. 191.

(٤٠٥) صحيفة «المقتبس»، العدد ٤٢٩، ١٦ رجب ١٣٢٨هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٠م، ص ٢.

كثيرة قام بها في الطيرة، إضافة إلى عمليات أُخرى قام بها غيره من الألمان.[(٤٠٦)] فوجد أهل الطيرة أنهم فقدوا مساحات واسعة من أراضيهم للألمان واليهود وغيرهم من الملاك في حيفا.[(٤٠٧)] وعلى الرغم من ذلك فإن العلاقات بين العرب والألمان لم تصل إلى درجة القطيعة الكاملة بدليل أن الحرفيين الألمان استخدموا عدداً من العرب للعمل معهم.[(٤٠٨)]

واجهت الكولونية الألمانية في حيفا صعوبات كثيرة تتعلق بالخلافات بين المستوطنين الألمان أنفسهم، وصعوبات مالية، وصعوبة المناخ في فلسطين.[(٤٠٩)] كما أن الحكومة الألمانية لم تجعل النشاط الاستيطاني الألماني في فلسطين محوراً أساسياً من محاور اهتمامها، فكانت تبدي تحفظاً نسبياً تجاه المستعمرين الألمان خوفاً من أن يؤثر ذلك في علاقتها بالدولة العثمانية. وكان الهيكليون الألمان، بسبب منازعاتهم الدائمة مع السلطات العثمانية والتي وصلت إلى حد رفض دفع الضرائب، عنصراً مزعجاً في العلاقات الألمانية ـ العثمانية وخصوصاً أن الدولة العثمانية كانت تعارض وجودهم في فلسطين.[(٤١٠)]

وتحدث كوندر بإسهاب عن المشكلات التي تواجه الكولونية الألمانية في حيفا فقال: إن سكان الكولونية ينتمون إلى الطبقة الفلاحية والحرفية، وأن قادتهم غير مثقفين، وهم متعلمون نسبياً، إلاّ إنهم عمال نشيطون وغير مسرفين في الإنفاق، لكن لا يوجد شخص خبير ذو موهبة كبيرة يستطيع تطوير الكولونية

(٤٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤١، ن ١٩١، ١٧ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٦م؛
س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٩، ن ١١٩، ١١ شوال ١٣٢٣هـ/ ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٥م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٤٣، من دون نمرة، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(٤٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٦، ن ٥٠٠، ٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٨، ن ٢٤٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٣ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(٤٠٨) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343.

(٤٠٩) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣؛
Hand Book, p. 192.

(٤١٠) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠، ٩١.

ومشاريعها. هذا بالإضافة إلى الخلافات بين قادة الكولونية، وكراهية العرب المحليين المسلمين والمسيحيين وحتى بعض الأوروبيين لسكان الكولونية، والعداء بين المستوطنين الألمان وبين رهبان دير الكرمل بعد توسع أملاك الألمان. كما تجاهل المستعمرون الألمان السكان المحليين الذين تعتدي حيواناتهم على حقول الألمان فتقع الخلافات بين الطرفين، وتكون النتيجة الوصول إلى المحكمة، إلاّ إن المستوطنين لا يحصلون على التعويضات الملائمة.[٤١١]

كما تحول سكان الكولونية الألمانية، بالتدريج، عن الأهداف الدينية الأساسية التي جاؤوا من أجلها إلى أهداف تجارية، فكان منهم التجار والمزارعون والحرفيون والمهنيون. وتشير إحدى الحجج إلى أوتولوتس الألماني من تجار حيفا الذي اشترى من عزيز بن حنا العبراني المسيحي، كامل الدكان الواقعة في السوق الغربي في حيفا، والدكان والدار الواقعتين في سوق الكنيسة في حيفا بمبلغ ٢٢ ألف قرش.[٤١٢] وكان إبراهيم بن ديك بن ديمتري الألماني من كبار التجار والملاك في حيفا يمارس شراء الأراضي والدور وبيعها.[٤١٣] وأشار أسعد منصور إلى اللوكندة الألمانية في الناصرة لصاحبها فريدريك هيزل شفرتس الألماني الذي جاء الناصرة من الكولونية الألمانية في حيفا سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م.[٤١٤]

وعمل الألمان عمال بناء وحرفيين ومهنيين فساهموا في بناء الأبنية المتعددة مثل المياتم والكنائس والأديرة التي أنشأتها الإرساليات البروتستانتية في اللواء، وبنوا الميتم الإنكليزي في الناصرة سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م.[٤١٥]

---

(٤١١) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 310-312.

(٤١٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤٠، ن ٥٢٥، ٢١ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٤١٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٠٠، ن ٢٤٥، ٢٢ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م؛

س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٦، من دون نمرة، ١٧ ذو القعدة ١٣٢٧هـ/ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(٤١٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٤١٥) المصدر نفسه، ص ١٨٢، ١٨٣؛

Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 147, 307.

٦ ـ الفرس (البهائيون):

أشارت سجلات المحكمة الشرعية في حيفا إلى وجود البهائيين[٤١٦] في كل من حيفا وعكا. وعملوا في التجارة وامتلكوا الأراضي والدور في كلا المدينتين.[٤١٧] فأشير، مثلاً، إلى حسين ابن الحاج عبد الرحيم الإيراني التاجر الملاك المقيم بحيفا الذي اشترى الدار الواقعة في حيفا.[٤١٨] وأشارت حجة أُخرى إلى كل من نور الله أفندي بن محمد صادق الأصفهاني الإيراني، ومحمد علي بن مرزي مهدي الأصفهاني الإيراني، وحسين ابن الحاج عبد الرحيم عبد الهادي الإيراني من تجار حيفا وملاكها.[٤١٩]

ولم يقتصر نشاط البهائيين على حيفا وعكا فقط، بل امتد أيضاً إلى بعض القرى بالقرب من حيفا. وتذكر إحدى الحجج أن ضيف الله أفندي وبديع أفندي الإيرانيين العثمانيين في عكا اشتريا الدار الواقعة في كفر قرع بمبلغ ٣٥٠٠ قرش.[٤٢٠]

كما مد البهائيون نشاطهم إلى طبرية، فأنشأوا مستعمرة على تلة الحصن على

---

(٤١٦) ظهرت البهائية في إيران سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، عندما بدأ بهاء الله الميرزا حسين الدعوة إلى البهائية، وقد تعرض البهائيون للاضطهاد وخصوصاً بعد اتهامهم باغتيال الشاه. وفي إثر هذه الحادثة نُفي البهائيون إلى بغداد فأقاموا بها فترة قصيرة، ثم نفتهم الحكومة العثمانية إلى عكا سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، وكان في مقدمهم بهاء الله الميرزا حسين ومعه ٨٤ من أتباعه.

وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، توفي بهاء الله الميرزا حسين، فتولى ابنه عباس زعامة الطائفة البهائية، ونقل مقر إقامته إلى حيفا بناء على وصية والده. كما نقل معه رفات زعيم البهائية الميرزا حسين إلى حيفا ودفنه في سفح الكرمل الأمر الذي أدى إلى تزايد هجرة البهائيين إلى حيفا، كما أصبحت حيفا واحداً من المراكز البهائية الرئيسية في العالم. أنظر:

Oliphant, *Haifa*, pp. 105-107; Baedeker, *op.cit.*, p. 235; *Hand Book*, p. 512;

جميل البحري، «تاريخ حيفا»، ص ٢٠، ٢١؛ مخول، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠، ٨٩؛ جون أسلمنت، «منتخبات من كتاب بهاء الله»، ص ١٦ ـ ٦٠؛ عائشة عبد الرحمن، «قراءة في وثائق البهائية»، ص ١٠٧، ١٠٨؛ *E.J.*, Vol. 9, p. 923.

(٤١٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٧، ن ٧٨١، ٨ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٣١ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(٤١٨) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٧٥، ن ٤٦، ٩ شعبان ١٣١٩هـ/ ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٤١٩) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٨، ن ١٢، ٢٢ شوال ١٣٢٧هـ/ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(٤٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٢، ن ٣٣، ١٧ شوال ١٣١٠هـ/ ٤ أيار (مايو) ١٨٩٣م.

شاطىء البحيرة. فذكر دننغ (Dunning): «وفي مقدمة هذه التلة قريباً من الشاطىء يوجد بيت حجري ضيق، إنها المستعمرة الفارسية التي ينتمي أتباعها إلى الطائفة البهائية، ويحاول المستوطنون استصلاح الأراضي وزراعتها بالحبوب والأشجار المثمرة كالموز.»[٤٢١]

وكانت علاقة البهائيين حسنة بالإدارة العثمانية في حيفا إلى درجة أن القاضي الشرعي عقد مجلساً شرعياً في بيت عباس بن الميرزا حسين زعيم البهائيين ولقبه بسماحة عباس أفندي.[٤٢٢] كما حاول البهائيون إقامة علاقات حسنة بالسلطات العثمانية، فعندما جرى الاحتفال بعيد جلوس السلطان عبد الحميد سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، احتفل البهائيون بطريقة مميزة إذ أضاؤوا خمسة آلاف قنديل في خان سنان باشا في عكا، مكان إقامة البهائيين، بتشجيع من عباس أفندي البهائي.[٤٢٣]

لكن ازدياد الهجرة البهائية إلى حيفا دفع الدولة العثمانية إلى محاولة الحد منها، فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، أن الإرادة السنية صدرت بمنع الأعاجم المبعدين من أوطانهم من المجيء إلى عكا.[٤٢٤]

ووفقاً للإحصاء البريطاني لسنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، بلغ عدد البهائيين في اللواء نحو ٢٦٦ نسمة موزعين على النحو التالي:[٤٢٥]

الجدول رقم ٣ ـ ٥٤

القضاء	العدد
عكا	١٠٥
حيفا	١٥٢
الناصرة	٤
طبرية	٥
المجموع	٢٦٦

(٤٢١) أسلمنت، مصدر سبق ذكره، ص ٧١؛ H. W. Dunning, *To - day in Palestine*, p. 139.

(٤٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٩٢، ن ٦١٧، ٥ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٩١٤م.

(٤٢٣) صحيفة «طرابلس»، العدد ٢٦، ١ ربيع الأول ١٣١١هـ/ ٣٠ آب (أغسطس) ١٨٩٣م، ص ٣.

(٤٢٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٠٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٠١م، ص ١.

(٤٢٥) Barron, *op.cit.*, pp. 33-37.

الفصل الرابع
الحركة العمرانية

أولاً: الدور ومكوناتها

اختلف التكوين الداخلي للدور من دار إلى أخرى بحسب ثراء صاحب الدار، وموقعها في المدينة أو القرية. فكانت دور الأغنياء تتكون من طبقتين أو ثلاث طبقات،[١] ومن عدد كبير من المحلات (الأقسام)، كالأُوض والبيوت والعقود. وإذا درسنا الدار التي باعها محمود أبو خليل ابن الحاج خليل الكمكي نجد أنها تشتمل على ثلاثة محلات سفلية، وصهريج، وبئر، وفسحة سماوية، وسبع أوض علوية، ومطبخ، وبيت خلاء، وفسحة بين الأوض، ولها بابان يفتح الأول غرباً والثاني شرقاً ويحيط بها سور حجري من الجهات كافة.[٢]

وفي الوقت نفسه، نجد أن الياس الصيقلي، من أثرياء حيفا، يمتلك الدار في الحارة الغربية الشهيرة بالدار المبلطة، والتي تتكون من بايكة سفلية، واثنتي عشرة غرفة علوية، وفسحتين سماويتين.[٣] كما أن بعض الأغنياء امتلك أكثر من دار. فمثلاً، كان الحاج أمين آغا بن عبد الله زويد يمتلك دارين في حيفا: تشتمل الأولى منهما على عقدين وأوضتين وليوان في الطبقة السفلية، وعلى ثلاث أوض وليوان ومنافع في الطبقة العلوية، بينما تتكون الدار الثانية من خمسة عقود، وسبع أوض، وثلاثة مطابخ، وثلاثة بيوت.[٤]

في المقابل، نجد أن الفئات الفقيرة تمتلك دوراً تتكون من طبقة واحدة، وعدد أقل من الغرف. فمثلاً، كان محمد بن حسين بن حماد من حيفا يسكن داره

(١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٣٩، ن ١، ٢٧ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧م.

(٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٣، ن ١٧٥، من دون تاريخ.

(٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٦، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/ ٦ آذار (مارس) ١٨٨٨م.

(٤) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٩٥، ن ٩٢٣، من دون تاريخ؛ وانظر أيضاً: Canaan, «Arab House,» *JPOS*, Vol. 13-14, 1933, p. 40.

التي تشتمل على عقدين وأوضتين وفسحة ومرافق شرعية.(٥) وكذلك كان عبد الوهاب بن الريس عمر يمتلك داراً تشتمل على أوضة ومطبخ وفسحة ومرافق شرعية،(٦) ويمتلك علي ابن الحاج حسن داراً تشتمل على أربع أوض، وإيوان، ومطبخ، وبيت للراحة.(٧)

كما أن الدور تختلف في القرى عنها في المدن، وتتكون الأولى، في الغالب، من طبقة واحدة وعدد أقل من الأوض. فمثلاً، كان قاسم الحماد، من عين غزال، يمتلك داراً تشتمل على بيت وأوضة وفسحة، وكذلك كان عبد القادر ابن الحاج سليمان اليونس من عرعرة يسكن داره التي تحتوي على بيتين بثلاث قناطر مع ساحة سماوية.(٨)

بينما كان المخاتير والتجار في القرى يمتلكون بيوتاً من طبقتين. فذكر كوندر: «أن في القرية، في الغالب، يوجد بيت واحد مرتفع يتكون من طبقتين، يعيش فيه الشيخ أو رئيس القرية.»(٩)

وامتلك، أيضاً، بعض أثرياء المدن بيوتاً من طبقتين في القرى. فعلى سبيل المثال، كان مصطفى بن محمد العابدي من حيفا يمتلك داراً في الطنطورة تتكوّن من خمس أوض سفلية، وأوضتين علويتين.(١٠)

كذلك شيد المتنفذون وأصحاب السلطة دوراً من عدة طبقات في القرى. فمثلاً، شيّد سعد بن ظاهر العمر داراً في دير حنا مساحتها ٧٠م^2 من شمالها إلى جنوبها، و٤٠م^2 من شرقها إلى غربها، وتتكون من ثلاث طبقات وعدة قاعات.(١١) كما أن عائلة الماضي من إجزم كانت تقيم ببيوت شبيهة بالحصون الكبيرة.(١٢)

(٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٩٦، ن ٩٧٣، ١٢ شوال ١٣٣٣هـ/ ٢٣ آب (أغسطس) ١٩١٥م.

(٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٩٠٨، رجب ١٣٣٣هـ/ أيار (مايو) ١٩١٤م.

(٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٠٧، ن ٢٠٤، من دون تاريخ؛ وانظر أيضاً:
Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, pp. 35, 36.

(٨) س ح، ش ١، س١، ص ١٦٧، ن ٣٥، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٣٥هـ/ ١٦ نيسان (أبريل) ١٩١٧م.

(٩) Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 237, 238.

(١٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦٦، ن ٣٧٣، ٧ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/ ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م.

(١١) فرديناند توتل اليسوعي، «رحلة رسولية»، «المشرق»، المجلد ٢١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص ٨٨١، ٨٨٢.

(١٢) *Hand Book*, pp. 512, 513.

وفي الغالب، كانت الدور التي تتكون من طبقتين تشتمل على سلم حجري خارجي يصل بينهما. فمثلاً، كانت عفيفة بنت موسى تمتلك كامل الخانة في حيفا التي تحتوي على بيت كبير وأوضة في الطبقة السفلية، وعلى ثلاث أوض في الطبقة العلوية يصعد إليها بسلم من حجر.(١٣)

كان بعض الدور وخصوصاً في المدن مسوّراً. فمثلاً، اشترى عبد الله الأبيض داراً تشتمل على بيت وفسحة وحائط حول الدار.(١٤) وأشارت حجة أخرى إلى دار محمد الكعكي المصونة بتصوينة تحيط بالدار من الجهات كافة.(١٥)

تمتاز ملكية الدور في المدن أو القرى أن الدار الواحدة ربما تكون موزعة بين عدد من الملاك، فقد يمتلك شخص الطبقة العلوية من الدار وآخر الطبقة السفلية منها، أو أن يتصرف المالك بحصة معينة: ثلث الدار أو ربعها أو نصفها، أو أوضة أو أوضتين منها. فمثلاً، امتلك راجي بن ناصر بن إبراهيم من عكا نصف الدار الواقعة في سوق الخواجات في عكا،(١٦) بينما امتلك الحاخام بنيامين بن موسى اليهودي كامل الثلاث أوض العلوية الواقعة في حيفا وكامل العقد التابع لهذه الأوض.(١٧)

وكان الإرث عاملاً أساسياً في توزيع الدار الواحدة بين عدد من الملاك الذين تختلف حصة كل واحد بحسب نصيبه من الإرث. فمثلاً، توزعت دار الياس الصيقلي، المشهورة بالدار المبلطة، بين عدد من الورثة.(١٨) وفي حجة أُخرى، باع مصطفى ابن الحاج عمر الأيوب، من الطنطورة، كامل حصته وقدرها أربعة قراريط في كل الدار الكائنة في باطن قرية الطنطورة.(١٩)

(١٣) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٢٢٩، ن ٧، ٥ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ٢٥ أيار (مايو) ١٩٠٩م؛
Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, pp. 42, 43.

(١٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٩، ن ٢٥٨، ٣٠ جمادى الثانية ١٢٨٧هـ/ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٠م.

(١٥) س ح، ش ٢٦١، س ٢، ص ٢٣٢، ن ١٤١، ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٦هـ/ ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٨م.

(١٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٣، ن ٧٤٨، ٢٠ رجب ١٣٣٢هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٣م.

(١٧) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٥٦، ن ٢٠٨، ٨ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٩م.

(١٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٩٣، ن ٢٣٦، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/ ٦ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(١٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦٦، ن ٣٧٣، ٧ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/ ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م.

كما أن بعض الملاك قام ببيع أقسام من دوره أو حصص منها. فمثلاً، باع توفيق بن أحمد شعلان خمسة قراريط وربع قيراط في كل الدار الواقعة في حيفا والتي تشتمل على محلين سفليين، وبيت خرب، وبئر للماء، وأوضتين.[٢٠] وفي حجة أُخرى، اشترى محمد وعبد اللطيف الخطيب ثلاثة قراريط مشاع تشتمل على ثلاثة محلات وإيوان ومطبخ، في كامل الدار الكائنة في باطن حيفا الراكبة على بايكة.[٢١]

شيّد معظم السكان دورهم من أجل السكن فيها، لكن عدداً من الأثرياء في المدن كان يبني الدور لتأجير الذين لا يملكون بيوتاً خاصة بهم. فنجد، مثلاً، أن سلمون بن إسحاق حاييم فارحي، أمين صندوق مال قضاء حيفا، سكن البيت العائد لكل من سليم الخوري والياس أفندي،[٢٢] وسكن كل من حنا وجريس منصور في الدار العائدة للخواجة الياس بن حنا الأبيض.[٢٣]

كما قام بعض الملاك الآخرين بوقف دوره على المساجد والكنائس. فقد أوقفت سمحا بنت مخلوف اليهودية العثمانية نصف الدكانين والدار العائدة لها على كنيسة الخضر لليهود في حيفا.[٢٤] كما أوقفت فاطمة بنت أحمد زوجة علي جركس الدار العائدة لها في قيسارية على مسجد قيسارية والمسجد النبوي في المدينة المنورة.[٢٥]

وقد أشارت السجلات إلى المنازل وبيوت السكن بتسميات متعددة. فكانت أحياناً تشير إلى الخانة، وأحياناً أُخرى تشير إلى الدار، إلاّ إنها لم توضح الفارق بينهما. فأشارت إلى دار دانيال بن جرجس الزحلان في الناصرة في محلة اللاتين،[٢٦] وإلى دار حسن بن محمد في حيفا والتي تتكون من طبقتين وأربع

(٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ١، ١٢ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م.
(٢١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، من دون نمرة، ٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٧٠م.
(٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٠، من دون نمرة، من دون تاريخ.
(٢٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٢، ن ٨٤٣، من دون تاريخ.
(٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٥، ن ١٩٤، ٢٥ شوال ١٣٠٨هـ/ ٣ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.
(٢٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠، ن ٧، ٨ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.
(٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٤٠، ن ١٢٢، ١٩ ذو الحجة ١٣٠٨هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٩١م.

أوض.[٢٧] كما أشارت إلى الخانة العائدة لسابا بن خليل الداموني التي تشتمل على ثلاث أوض ومنافع شرعية،[٢٨] وإلى الخانة العائدة لنخلة بن مراحل المسيحي الواقعة في محلة الفاخورة في عكا.[٢٩]

وأشارت السجلات مرة واحدة إلى السلملك.[٣٠] فذكرت إحدى الحجج أن عبد اللطيف الصلاح من حيفا ادعى على درويش ومحمد بك الصلاح بأنهما باعا قيراطين من حصته في الميراث في كامل الدار مع السلملك الكائنين في باطن حيفا، ويشتمل السلملك على ثلاثة محلات علوية يصعد إليها بسلم من حجر.[٣١]

وكانت الدور تتكون، بصورة عامة، من الأوض والبيوت والعقود، وتختلف هذه الأقسام بعضها عن بعض في حجم كل منها، وطريقة بنائها، والغرض من استخدامها.

أ) الأوَض

كانت الدور تحتوي على عدد متباين من الأوض، إذ يمكن أن تحتوي الدار على طبقة واحدة وعدد محدود من الأوض، أو على طبقتين وعدد أكبر من الغرف. فنجد مثلاً أن عبيد بن منصور من حيفا اشترى الدار التي تشتمل على أربع أوض سفلية بينها إيوان، وخمس أوض علوية يصعد إليها بسلم.[٣٢] وفي حجة أُخرى، نجد أن سليم الخوري، من حيفا، اشترى الدار التي تشتمل على أربع أوض سفلية وعليها دار علوية تحتوي على ثماني أوض يصعد إليها بسلمين.[٣٣] وقد تحتوي الدار على الأوض فقط، إذ أشارت السجلات إلى دار

(٢٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٢٣، ن ٩٦، ٢ محرم ١٣٢١هـ/ ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٣م.
(٢٨) س ح، ش ١٤١، س ١، من دون صفحة، ن ٦، ٢١ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ١٥ آذار (مارس) ١٩١٧م.
(٢٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٩، ن ٧٧٠، ٢ شعبان ١٣٣١هـ/ ٧ تموز (يوليو) ١٩١٣م.
(٣٠) السلملك: القسم من الدار المخصص لاستقبال الضيوف من الرجال.
(٣١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٣٣، ن ٣١٤، ٦ ذو الحجة ١٣٠٦هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٨٩م.
(٣٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٨، ن ١٦٦، ربيع الأول ١٢٩٠هـ/ أيار (مايو) ١٨٧٣م.
(٣٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٢١، من دون نمرة، ١٢ شوال ١٢٨٩هـ/ ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٢م.

أحمد بن حسن الطلوزي التي تشتمل على أوضتين في حيفا الشرقية.[٣٤]

ب) العقود

يتضح من السجلات أن بناء العقود اقتصر على الطبقات السفلية من الدور فقط، وقد يكون العقد متصلاً بالدار أو منفصلاً عنها. فمثلاً، تشير السجلات إلى دار علي الطه الكائنة ببطن حيفا والعقد الكائن أمامها.[٣٥]

ويمكن أن تضم الدار الواحدة عقداً واحداً أو أكثر. فتشير السجلات إلى دار سليم بن عطا الله منصور في حيفا التي تشتمل على عقدين سفليين وأربع أوض علوية،[٣٦] وإلى دار عبد الله بن حسن عامر التي تحتوي على خمسة عقود وليوانين في الطبقة السفلية، بينما تشتمل الطبقة العلوية على ثلاث أوض وليوان ومطبخ.[٣٧] وهناك دور تتكون من العقود فقط، كالدار التي تشتمل على ثلاثة عقود وليوان ومطبخ وفسحة سماوية،[٣٨] والدار العائدة لشمعون بن خليل في قرية السوامير في قضاء حيفا والتي تتكون من عقدين.[٣٩]

ج) البيت

شكّل البيت جزءاً أساسياً من الدار في المدن والقرى، فذكر أسعد منصور: «كان مسكن العائلة غالباً بيتاً واحداً لها ولحاجاتها ودجاجاتها وبهائمها وخصوصاً بيوت الفلاحين، وإذا كانت العائلة كبيرة وغنية تقيمه على قناطر أو أعمدة في

(٣٤) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٨٠، ن ٢١٠، ٣ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٣٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١١، من دون نمرة، ٨ صفر ١٢٨٧هـ/ ١٠ أيار (مايو) ١٨٧٠م؛ Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, pp. 22-25.

(٣٦) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٥٧، من دون نمرة، ٨ شوال ١٣٢٢هـ/ ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م.

(٣٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٤، ٣٥، ن ٧٥٠، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٩١٣م.

(٣٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٢، ن ٨٩٤، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٣٣هـ/ ٧ أيار (مايو) ١٩١٥م.

(٣٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٠، ن ١٥، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ١٤ آذار (مارس) ١٩١٧م.

الوسط تلقى عليها القناطر وتسقف بجوائز تقطع من الأحراش.»[٤٠]

وقد يُبنى البيت على قنطرة أو أكثر، فتشير السجلات إلى دار محمود بن حسن أبو سالم من الطيرة التي تشتمل على بيت بقنطرة وأوضة صغيرة،[٤١] وإلى دار الشيخ داود ابن الحاج سليمان من عين حوض التي تشتمل على بيت بقنطرتين،[٤٢] وإلى دار حسين الخليل من كفر قرع التي تحتوي على بيتين: الأول قائم على قنطرتين والثاني قائم على ثلاث قناطر.[٤٣] وقد يحتوي البيت في أحد جوانبه على سدة تستعمل مخزناً. فأشارت السجلات إلى الدار العائدة لفطوم بنت إبراهيم عدلونة والتي تحتوي على بيت بقنطرة وفي داخله سدتان.[٤٤]

د) الليوان

هو عبارة عن ممر يُبنى أمام الطبقات السفلية أو العلوية بحيث تفتح عليه أبواب الأوض أو العقود أو البيوت، وقد يستخدم الليوان مكاناً لاستقرار العائلة أو للتنزه أو للتهوية أو للطبخ أو للعناية بالأزهار.[٤٥]

وقد تضم الدار الواحدة ليوانين، واحداً في الطبقة السفلية وآخر في العلوية، مثل دار إبراهيم بن يوسف رنو التي تشتمل على ست أوض وليوان وساحة سماوية،[٤٦] ودار عفيفة بنت موسى من حيفا التي تحتوي على بيت وأوضة سفليّين وثلاث أوض علوية وإيوانين، أحدهما سفلي والآخر علوي.[٤٧]

(٤٠) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ١٥.

(٤١) س ح، ش ١، س ١، ص ٣١، ن ٧٨، ١١ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٦م.

(٤٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ن ٦٧، ٣٠ ذو القعدة ١٣٢١هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٨٢، ن ٣٣، ١٧ شوال ١٣١٠هـ/ ٤ أيار (مايو) ١٨٩٣م.

(٤٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٩، ن ٣٥، ١٥ شعبان ١٢٩٠هـ/ ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٣م.

(٤٥) Philip Baldensperger, «The Immovable East,» *PEF*, 1912, pp. 58-60; A. Goodrich-Freer, *Things Seen in Palestine*, p. 144.

(٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٢٢٩، ن ٧٩، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ/ ١٤ تموز (يوليو) ١٩٠٩م.

(٤٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٤، ٣٥، ن ٧٥٠، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٩١٣م.

هـ) المطبخ والمطبخة

ضم بعض الدور غرفة صغيرة تستخدم لإعداد الطعام وتجهيزه. ويذكر بالدنسبرغر (Baldensperger) أن المطبخ هو إحدى الغرف في الدار. وعندما لا توجد غرفة ملائمة كمطبخ، يفرز السكان غرفة صغيرة في أحد زوايا المنزل تدعى مطبخة،[٤٨] تقام في الطبقة السفلية أو العلوية. فأشارت إحدى الحجج الشرعية إلى دار قسطندي بن جاد في حيفا التي تحتوي على ثلاث أوض ومطبخة،[٤٩] وإلى دار ميخائيل بن نقولا جبور من حيفا التي تشتمل على أربع أوض ومطبخ.[٥٠] وقد تضم الدار الواحدة مطبختين، مطبخة في الطبقة السفلية وأخرى في الطبقة العلوية.[٥١]

و) بيت الخلا (الحمام)

أشارت السجلات إلى هذا الجزء من الدار بأسماء متعددة كبيت الخلا،[٥٢] وبيت الراحة،[٥٣] وبيت الأدب،[٥٤] واعتبرته، أحياناً، ضمن المنافع الشرعية (المرافق الشرعية).[٥٥]

فقد أشار أحد السجلات إلى الدار في حيفا التي تحتوي على ثلاثة محلات وإيوان ومطبخ وبيت خلا.[٥٦] وأشارت حجة أُخرى إلى دار رحيل ابنة سوسان في حيفا التي تحتوي على عقدين سفليين ومطبخ وبيت راحة.[٥٧] وكذلك

(٤٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٢١، ن ٧٢، ٥ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ١٥ أيار (مايو) ١٩١٠م.
(٤٩) س ح، ش ٢٦١، س ٣، من دون صفحة، من دون نمرة، ١٦ شوال ١٣١٢هـ/ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٩٥م.
(٥٠) س ح، ش ١، س ١، ص ٥٨، ن ١٠٦، ٢٣ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م.
(٥١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٤، ٣٥، ن ٧٥٠، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٩١٣م.
(٥٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، من دون نمرة، ٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٧٠م.
(٥٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٢، ن ١٠٥، ١٢ شوال ١٣٠٨هـ/ ٢١ أيار (مايو) ١٨٩١م.
(٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٣٤، ن ٧٦، ٢ شعبان ١٣١٠هـ/ ١٩ شباط (فبراير) ١٨٩٣م.
(٥٥) س ح، ش ١، س ١، ص ٢١٣، ن ٨١، ١٧ ذو القعدة ١٣٣٥هـ/ ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧م.
(٥٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، من دون نمرة، ٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٧٠م.
(٥٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٤٢، ٣٤٣، ن ١١٢، ٣ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ١٥ آب (أغسطس) ١٩٠٤م.

كانت زينب ابنة إبراهيم الزايد تمتلك الدار الواقعة في حيفا والتي تشتمل على عقد وأوضتين ومطبخ ومنافع شرعية.[٥٨]

ز) الخشة

هي غرفة صغيرة تُبنى من الطين والقش، موجودة بكثرة في الحواكير وفي الدور القديمة. وتشكل الخشة جزءاً من الدار أو تكون منفصلة عنها. فمثلاً، كان محمد بن صالح أبو سالم من حيفا يمتلك قطعة الأرض السليخ والخشة الصغيرة فيها.[٥٩] ونجد في حجة أُخرى أن عبد الرحمن القبرصي اشترى البيت والخشة الصغيرة التي أمامه.[٦٠]

كما انتشرت الخشش بصورة كبيرة في الحواكير. فمثلاً، اشترى محمد الجبالي الحاكورة التي تشتمل على أشجار منوعة، وعلى خشة مسقوفة بالدف والمسمار.[٦١]

ح) المخازن والدكاكين

يتضح من السجلات الشرعية أن الدور التي أقيمت في الأسواق كانت تشيّد من طبقتين. وتتكون الطبقة السفلية من المخازن والدكاكين وتقام فوقها الدور. فأشارت السجلات إلى دار جبران البيروتي التي تتكون من الدكانين في سوق حيفا العمومي والدار الواقعة عليهما.[٦٢] وأشارت حجة أُخرى إلى الدار الواقعة في باطن حيفا والتي تشتمل على خمسة مخازن، وأربعة دكاكين سفلية، وعلى دارين علويتين واقعتين فوق المخازن والدكاكين.[٦٣]

(٥٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢١٣، ن ٨١، ١٧ ذو القعدة ١٣٣٥هـ/ ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧م.
(٥٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥٨، ن ٣٥٧، ١١ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/ ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م.
(٦٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٥، من دون نمرة، ٢٠ صفر ١٢٨٩هـ/ ٢٩ نيسان (أبريل) ١٨٧٢م.
(٦١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٠، ن ٧٠، ٥ ذو القعدة ١٢٩٠هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.
(٦٢) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٣٢، ٣٣، ن ١٨٥، ٢٣ محرم ١٣٢٧هـ/ ١٤ شباط (فبراير) ١٩٠٩م.
(٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥٢، ن ٣٤٧، ١٥ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩م.

ط) البايكة والرواق

تستخدم البايكة مكاناً لمبيت الدواب، وفي الغالب، تشكل قسماً من الطبقة السفلية. فنجد مثلاً، أن الياس أبو رحمة من حيفا يمتلك البايكة والدار التي فوقها.(٦٤) وقد تكون البايكة من الاتساع بحيث تقام عليها عدة أوض. فأشارت السجلات إلى دار الياس الصيقلي التي تشتمل على بايكة سفلية واثنتي عشرة غرفة علوية على البايكة.(٦٥) وقد تكون البايكة منفصلة عن الدار كالبايكة الواقعة أمام ساحة الجرينة المعروفة ببايكة عبد الله الحاج.(٦٦)

وأتت السجلات مرة واحدة إلى ذكر الرواق كمكان لمبيت الأبقار. فأشارت إحدى الحجج إلى دار محمد بن مرعي القط التي تشتمل على سبعة محلات ورواق معد لمبيت البقر.(٦٧)

أمّا في القرى فكانت الدواب تبيت في البيت نفسه الذي يقيم به السكان. وكان البيت يقسم قسمين: القسم العلوي، ويسمى المصطبة وتقيم به العائلة، والقسم السفلي المنخفض ويخصص لمبيت الحيوانات، كما يشمل المذود الذي يوضع فيه العلف للحيوانات من تبن وشعير وغيرهما.(٦٨)

ي) محلات التخزين

كانت الدور تضم محلات لخزن المواد المختلفة، مثل القش والتبن والقمح والحطب. وأُطلق عليها أسماء مختلفة، كالمتبن الذي يستخدم لخزن التبن. وأشارت السجلات إلى الدار في عين غزال التي تشتمل على بيت كبير وأوضة ومتبن.(٦٩) وقد تضم الدار الواحدة أكثر من متبن، وخصوصاً دور أولئك الذين يزرعون مساحات واسعة من الأراضي ويخزنون كميات كبيرة من التبن كدار

(٦٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٩، ن ٦٧، ٢ رمضان ١٢٩٠هـ/ ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٣م.

(٦٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٦، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/ ٦ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٦٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥١، من دون نمرة، ٢٢ شعبان ١٣٢٢هـ/ ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٤م.

(٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٥٢، ن ١٤٦، ١٢ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ/ ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩١م.

(٦٨) Frances Newton, *Fifty*, p. 33; Baldensperger, *op.cit.*, p. 258.

(٦٩) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤٧، ن ٢٠٤، من دون تاريخ.

مصطفى ابن الحاج عمر الأيوب في الطنطورة التي تشتمل على بيت ومتبنين.(٧٠)

كما يضم بعض البيوت والعقود أماكن ومحلات لتخزين الحبوب وخوابي لتخزين زيت الزيتون.(٧١) فأشارت السجلات إلى الخابية المدهونة وفيها زيت الموجودة في بيت الشيخ قاسم ابن الحاج حسين القط.(٧٢)

كذلك استخدمت الآبار لخزن الحبوب والزيت. فمثلاً، كان عند حسين الخليل بئراً معدة لوضع الغلال.(٧٣) أمّا آبار الزيت فتقام بالقرب من المعاصر، وقد أشارت السجلات إلى المعصرة في حيفا التي تحتوي على بئر للزيت،(٧٤) أو كانت تقام بالقرب من المخازن أو في الأماكن العامة، كبئر الزيت العائدة للحاج عبده ابن الحاج محمد الملاصقة لمخزنه في ساحة الجرينة،(٧٥) وكبئر الزيت العائدة لالياس بن يوسف الأبيض الواقعة على طريق أسكلة حيفا.(٧٦)

ثانياً: مواد البناء

أ) الحجارة

كانت الحجارة هي مادة البناء الأساسية في معظم القرى والمدن، فبنيت الدور في القرى الجبلية من الحجارة التي قُطعت من المقالع القريبة منها، كالبيوت في قريتي أبو سنان والبصة.(٧٧) أمّا البيوت في القرى الواقعة في المناطق السهلية فشيّدت من الطين لعدم توفر حجارة البناء فيها ولصعوبة نقل هذه الحجارة

(٧٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، ن ١٩٨، ٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٧٠م.

(٧١) الخوابي: أوعية مبنية في الجدر ترتفع متراً أو أكثر، وهي مربعة في تخطيطها ولها فتحة في أسفلها وتستعمل لخزن القمح والعدس والفول والحمص. أمّا الحبوب المكسرة والمجروشة كالبرغل والعدس المجروش فلا تخزن في هذه الكواري (الخوابي)، وإنما تحفظ في الغرف الصغيرة الملاصقة للغرف الكبيرة. أنظر: نقولا زيادة، «أيامي»، ج ١، ص ٥٣؛ Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, p. 366; Newton, *op.cit.*, pp. 33, 34.

(٧٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٨٥، ١٨٦، ن ١٥، ١١ رمضان ١٣٠٧هـ/ ١ أيار (مايو) ١٨٩٠م.

(٧٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٢، ن ٣٣، ٧ شوال ١٣١٠هـ/ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٨٩٣م.

(٧٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٤، ن ٨٤، ٦ محرم ١٢٩١هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٤م.

(٧٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٨، ٣٩، ن ٥٩، ١٤ ربيع الأول ١٣١٠هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢م.

(٧٦) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٧٥ ـ ٧٩، ن ٢٢٨، ٧ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ٢٧ أيار (مايو) ١٩٠٩م.

(٧٧) Claude Conder & H. H. Kitchener, *Survey*: Vol. I, *Galilee*, pp. 144-146; Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, pp. 230-232, 282, 290.

من المناطق الجبلية، كالبيوت في قرى الحارثية وجيدا والمجدل.[٧٨]

كما اختلفت مواد البناء المستعملة في القرية الواحدة. فمثلاً، كان معظم البيوت في الطيرة مشيداً من الحجارة، إلاّ إن بيوت الفئات الفقيرة كانت مبنية من الطين،[٧٩] كما كانت البيوت في قريتي الجبخنجي والعبيدية مبنية من الحجارة والطين.[٨٠]

شيد السكان في بعض قرى الأغوار بيوتهم من الحجارة البازلتية البركانية. فمثلاً، بنيت البيوت في قرى أبو شوشة والمجدل ويما وكفر برعم والسمكية من هذه الحجارة،[٨١] كما بنيت البيوت في طبرية من الحجارة البازلتية السود، الأمر الذي أعطى المدينة مظهرها الداكن.[٨٢]

كما استخدم البوسنيون في قيسارية حجارة الأبنية الأثرية في بناء بيوتهم. فذكر أوليفانت أن البوسنيين أقاموا أكثر من عشرين بيتاً حجرياً بعضها بثلاث طبقات وبعضها بسراديب لخزن البضائع والحبوب مستخدمين حجارة الأبنية القديمة.[٨٣]

وكانت الحجارة المستخدمة في البناء نوعين: الأول، الحجارة الرملية التي استعملت بصورة واسعة في البناء لسهولة قطعها وتشكيلها، وقد بني معظم البيوت في حيفا منها.[٨٤] إلاّ إن استعمال الآلات الحديدية في قطع الحجارة أدى إلى ازدياد استخدام الحجارة الصوانية الصلبة (الحجر اليابس) في البناء وهي النوع الثاني. فنجد في أحد السجلات أن أسعد بن خليل جدعون اتفق مع إسكندر بن أيوب بن داود الطويل على هدم دكاكين الأول وإعادة بنائها على أن تكون دوائر أبوابها من الحجر الرملي، بينما يكون السقف والحيطان من الحجر اليابس.[٨٥]

ب) الكلس والطين

استخدم الكلس والطين (المونة) في تثبيت حجارة البناء بعضها إلى بعض.

---

(٧٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 270; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 238; Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, p. 30.

(٧٩) *Hand Book*, pp. 512, 513.

(٨٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 360-362.

(٨١) *Ibid.*

(٨٢) إبراهيم حرفوش، «سياحة أسقفية»، «المشرق»، المجلد ١٠، ص ١٠٣٤؛ Karl Baedeker, *Palestine*, p. 254.

(٨٣) Laurence Oliphant, *Haifa*, p. 181.

(٨٤) *Ibid.*, p. 23.

(٨٥) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٢٦، ٢٩ شعبان ١٣٢٩هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٩١١م.

كما استُعمل الكلس في طلاء جدر المنازل والدكاكين. فذكر العورة: «سنة ١٢٣٣هـ هذا السوق بعد أن صارت فيه هذه الكاينة بمقدار ستة سبعة أشهر عزم سليمان باشا على هدمه جميعه وتغيير بنيانه وحالاً أمر بذلك فانهدم وانفتح له أساسات عقوده وتعمرت دكاكين معقودة جميعها بالحجر والطين وانعمل له زقاق عريض ما بين الدكاكين ارتفعت حيطانه أعلى من حيطان الدكاكين وانعقد جمالون وانقصر بالكلس الأبيض وتزوقت الدكاكين مع حيطانها وتسمى هذا السوق السوق الأبيض وهو باق لهذا اليوم.»[٨٦] كما نقل المصريون كميات كبيرة من الكلس إلى عكا واستخدموها في إعادة بناء وترميم ما تهدم في أثناء حصارهم المدينة سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م.[٨٧]

كما أشارت السجلات الشرعية إلى استخدام الكلس في بناء الأوض والأسوار، فأشارت إلى دار خليل بن حنا سويدان المصونة (المسورة) بالكلس والحجارة،[٨٨] وإلى الأوضة العائدة لسليم بن حسين طافش المعمرة بالحجارة والكلس،[٨٩] وإلى الأوضتين العائدتين لمصطفى الخليل المثبتتين بالحجر والكلس.[٩٠] كذلك استعملت مواد أُخرى لتثبيت الحجارة بعضها إلى بعض، فأشارت السجلات إلى مادة المؤن[٩١] التي استخدمت في بناء صهاريج الماء والعقود والمخازن. وأشار أحد السجلات إلى أن سليمان بن إبراهيم عطا الله يمتلك نصف الدار في حيفا التي تشتمل على أربعة صهاريج معقودة بالحجر والمؤن.[٩٢] وأشارت حجة أُخرى إلى دار منصور عبيد في حيفا التي تشتمل على أربع أوض سفلية، وعلى خمس أوض علوية مبنية بالحجر والمؤن.[٩٣]

---

(٨٦) إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧.

(٨٧) أسد رستم، «الأصول»، ج ٢، ص ٧٣، ٧٤.

(٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٧٧، ن ٢٦، ٢٠ شعبان ١٣١٠هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٨٩٣م.

(٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦٥، ن ٦، ٩ رجب ١٣١٠هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣م.

(٩٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٠، ن ٢١٠، ٣ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٩١) يشير النمر إلى أن الأحواض والصهاريج كان يجبل لها الطين مع الشيد والقصرمل (رماد القمامة والفخار المدقوق وتغطى سطوحها لمنع تسرب الماء. أنظر: إحسان النمر، «تاريخ جبل نابلس»، ج ٢، ص ١١٠.

(٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢٢، ١٢٣، ن ٢٩٦، ٧ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ٥ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(٩٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٨، ن ١٦٦، ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م.

واستعملت الحجارة والمؤن في عقد (سقف) المخازن، والبايكات. فنجد، مثلاً، أن خليل الحكيم اشترى المخزن في سوق حيفا المعقود بالمؤن والأحجار،[٩٤] كما اشترى الياس أبو رحمة البايكة المعقودة بالمؤن والأحجار.[٩٥]

ج) الخشب الوعري والقرميد

تنوعت المواد المستعملة في تغطية سطوح المنازل والدور، إلا إن أهمها كان الخشب الوعري. وقد استخدم السكان، سواء في المدن أو القرى، هذا النوع لسقف بيوتهم، وكان يقطع من الغابات المجاورة للمدن. وقد استُعمل بشكله الطبيعي فسمّي الخشب الوعري. وذكر أسعد منصور: «كان مسكن العائلة غالباً بيتاً واحداً. . . وخصوصاً بيوت الفلاحين وإذا كانت العائلة كبيرة وغنية تقيمه على قناطر أو أعمدة في الوسط تلقى عليها القناطر وتسقف بجوائز تقطع من الأحراش ثم تسقف الجوائز بالسقائف (الركس)[٩٦] ويوضع فوقها التراب، ويطيّن السطح بطين من التراب والصلصال ممزوجاً بالتبن ويعاد الطين كل سنة في آخر الخريف، أمّا الآن فقد أُلغي استعمال هذا الخشب لقلة الأحراش فقد كانت تؤخذ قبل نحو ١٠٠ سنة من الزاروب فوق كنيسة الموارنة ولا تزال بيوت كثيرة من هذا النوع مسقوفة بهذا الخشب.»[٩٧] كما أشارت السجلات إلى استخدام الخشب الوعري في تغطية سطوح الدور، فنجد في أحدها أن رفعت الصلاح من حيفا اشترى خمسة محلات مسقوفة بالخشب الوعري في قرية الجعارة.[٩٨] كذلك أشارت السجلات إلى البيت العائد لميخائيل بن نقولا جبور، في حيفا، والمسقوف بالخشب الوعري.[٩٩]

---

(٩٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٥، ن ٥٢، رمضان ١٢٩٠هـ/ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٣م.

(٩٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٩، ن ٦٧، رمضان ١٢٩٠هـ/ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٣م.

(٩٦) الركس: مصطلح محلي أُطلق على إحدى مواد البناء التي تتكون من الطين والمواد الأخرى، ولم تشر إليه المصادر الأُخرى غير السجلات الشرعية.

(٩٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥؛ Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, p. 12.

(٩٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٧، ن ٢٠٣، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٩٩) س ح، ش ١، س ١، ص ٥٨، ن ١٠٦، ٢٣ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م.

استُخدم الخشب الوعري بصورة كبيرة في القرى، فأشارت السجلات إلى دار محمود بن حسن أبو سالم من الطيرة التي تشتمل على بيت قديم مسقوف بالخشب الوعري،[١٠٠] وإلى دار الحاج داود بن سليمان من عين حوض التي تشتمل على بيت مسقوف بالخشب الوعري،[١٠١] وإلى دار محمد بن يونس من كفر لام التي تشتمل على بيتين مسقوفين بالخشب الوعري.[١٠٢]

كما أشارت السجلات إلى مواد أُخرى، مثل المسمار والدف والمخروق واللوح.[١٠٣] وكانت هذه المواد تُستعمل إمّا معاً، وإمّا كل منها على حدة. فتشير إحدى الحجج إلى دار محمود بن حسن أبو سالم من الطيرة التي تشتمل على بيت، وأوضة مسقوفة بالمسمار.[١٠٤] وتشير حجة أُخرى إلى دار زكي بن عبد الغني بيضون الواقعة في عكا وتحتوي على أوضتين مسقوفتين بالدف والمسمار.[١٠٥] بينما أشارت حجة ثالثة إلى دار صالح بن صوان شحادة التي

---

(١٠٠) س ح، ش ١٤١، ص ٣١، ن ٧٨، ١١ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٦م.

(١٠١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ن ٦٧، ٣٠ ذو القعدة ١٣٢١هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(١٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٨٥، ن ٢٤٢، ٣٠ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٠٩م.

(١٠٣) ويذكر كنعان أن سكان المدن والقرى يغطون سطوح بيوتهم بطبقة من المونة؛ وهي خليط من الشيد والقش. ويطلى السطح بهذه المادة عدة مرات وتعاد العملية عدة مرات كل عام. لكن الأغنياء يغطون بيوتهم بطبقة من الحجارة الصغيرة ثم تغطى بالمزيج السابق مدة ستة أيام. أمّا في الناصرة فإن هذه الخلطة تعرف بالميدة، وهي عبارة عن كميات من النحاتة والشيد والقصرمل (رماد القمامة) التي تؤخذ من الطوابين أو الحمامات وتخلط بعضها ببعض وتصبح قوية وتمنع من تسرب الماء، وأحياناً يخلط بها الفخار. وهناك مادة أُخرى تسمى قصرة عربية وتصنع من خليط من الجير والكتان الذي يقطع إلى قطع صغيرة ويغطى السطح والجدر به عدة مرات ولعدة أيام. أنظر: Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, pp. 24-27.

وتختلف المواد المستخدمة في قصر (دهان) البيوت والصهاريج والآبار والحمامات. فمثلاً، يجبل طين الحمامات والأحواض مع الشيد المطفأ والمخلوط بالقصرمل والملح والفخار المدقوق. كما تبنى خزانات الماء والمطابخ والأفران من الحجر الناري وتطيّن بالكلس والملح والقصرمل، بينما تلحم مفاصل الأنابيب الفخارية مع القصرمل والكلس والفخار والشحم المسيّح والقطن. أمّا عقود الحمامات فإنها تصنع من كيزان الفخار وتغطى بالزجاج. أنظر: النمر، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١١٠؛ Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, pp. 245-247.

(١٠٤) س ح، ش ١، س ١، ص ٣١، ن ٧٨، ١١ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٦م.

(١٠٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨، ن ٢٧، ٤ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

تشتمل على الأوضة السفلية المسقوفة بالدف والمسمار واللوح والمخروق.(١٠٦)

أدى ازدياد ثراء بعض الأسر إلى استخدام مواد جديدة ومرتفعة الثمن لتغطية سطوح المنازل، كالقرميد. فأشار أسعد منصور إلى بيوت في الناصرة مسقوفة بالقرميد،(١٠٧) كما أشارت السجلات إلى الدار في حيفا التي تشتمل على ثلاث أوض وساحة سماوية وعلى رواق مسقوف بالقرميد.(١٠٨)

وقد وصف التميمي أبنية صفد فقال: «وإن من أحسن المحلات عمراناً في صفد هي (حارة القلعة) ففيها ما يقرب من مئة دار مبنية على الطراز الجديد، وإذا ما استثنينا ما يقرب من ثلاثمئة أو أربعمئة دار آجرية السقوف وقد أصلح شأنها وبدل طرازها القديم إلى طراز جديد فإن بقية الدور في صفد مبنية على الطراز القديم بالحجارة البيضاء طليت أسطحها بالكلس وقد تلاصق القسم الأعظم من هذه الدور وحرمت من الهواء والنور على الرغم من مساعدة موقع صفد.»(١٠٩)

د) الرخام (البلاط)

وفي الوقت نفسه، استخدمت الأسر الثرية الرخام (البلاط) لتغطية أرضية الدور. فأشارت إحدى الحجج الشرعية إلى الدار الواقعة في الحارة الغربية من حيفا، الشهيرة بالدار المبلطة بالرخام،(١١٠) كما أشارت إلى دار محمد أفندي العابدي المعروفة بالدار المبلطة.(١١١)

هـ) القصب والوبر

حاول سكان كل منطقة الاستفادة من المواد المتوفرة في منطقتهم لبناء بيوتهم. وهكذا يتضح أن الغوارنة المقيمين بمحيط بحيرة الحولة وبناحية قيسارية

(١٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٢٢٨، ن ٩٨، ١٢ محرم ١٣٢١هـ/١٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م.

(١٠٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥؛ وانظر أيضاً: القاياتي، «رحلة البشام»، ص ١٠٥.

(١٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٥، ١٦، ن ٢٢، ١٨ شوال ١٣٢٥هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(١٠٩) رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(١١٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٦، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/٦ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(١١١) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١١، ١٦ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/١٠ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

أقاموا بيوتهم من القصب الذي يتوفر بكثرة في المنطقتين،(١١٢) بينما أقام البدو في مناطق أخرى بالخيام المصنوعة من وبر الأغنام والماعز والإبل.(١١٣)

ثالثاً: تنظيم المدن وحاراتها

كانت المدينة في اللواء تتكون من عدد من الحارات (الأحياء) التي اختلف عددها من مدينة إلى أخرى تبعاً لاتساع المدينة ولتعدد طوائف سكانها. كما تفرع من كل حارة عدد من الخطوط والأزقة أُطلق عليها أسماء العائلات التي تسكنها، أو أسماء الأسواق والمساجد والكنائس والأديرة فيها. وقد عاشت كل طائفة من الطوائف الدينية في حارة خاصة بها، فعاش المسلمون تقريباً في حارات خاصة بهم، كما عاش اليهود والمسيحيون في حارات أُخرى. وقد تفرع من حارات الطوائف غير الإسلامية حارات أصغر سكن كلاً منها طائفة دينية. فمثلاً، عاش اليهود الأشكنازيم في جزء من حارة اليهود، وعاش اليهود السفاراديم في جزء آخر، وسكن الروم الأورثوذكس في جزء من حارة المسيحيين، وسكن الكاثوليك في جزء آخر منها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه التقسيمات لم تكن مطلقة. فلم تقتصر الحارة الواحدة على طائفة معينة بصورة تامة، إذ عاش المسلمون والمسيحيون معاً في المحلة الغربية من حيفا، التي كان معظم سكانها من المسيحيين. كما سكن المسلمون والمسيحيون في المحلة الشرقية من حيفا، التي كان معظم سكانها من المسلمين. فنجد، مثلاً، أن الياس المجدلاني بن أندراوس يمتلك الدارين الواقعتين في الجهة الشرقية من حيفا.(١١٤) بينما عاش المسلمون والمسيحيون معاً في ثلاث حارات من حارات عكا العشر،(١١٥) كما عاش المسلمون والمسيحيون في الناصرة في بعض الحارات وإن كان ذلك بصورة محدودة. فمثلاً، كان محمد بن سعيد بن زيدان من سكان الناصرة يعيش في الدار الواقعة في محلة

(١١٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 45; *Hand Book*, p. 478; Grace M. Crowfoot, «The Mat Looms of Huleh,» *PEF*, 1934, pp. 195-198; Theodore Larson, «Mat Makers of Huleh,» *PEF*, 1936, pp. 225-229.

(١١٣) Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, pp. 54-57.

(١١٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٥، ن ٨٩، ٢١ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١ نيسان (أبريل) ١٨٩١م.

(١١٥) Schumacher, «Population,» *PEF*, 1887, p. 171.

الروم الأورثوذكس في باطن قصبة الناصرة بموقع خط الشوفاني.[١١٦]

أ) حارات الناصرة

تقسم الناصرة إلى ثلاث حارات رئيسية وتتفرع منها حارات (خطوط) أصغر.

حارة الروم الأورثوذكس: تقع شمالي شرقي الناصرة، وتقسم إلى حارات (خطوط) أصغر هي: حارة الخانوق، وحارة العين، وحارة دار قعوار، وحارة العرق، وحارة دار الحسن (دار علي جاويش)، وحارة دار العديني (حارة دار نويصر)، وحارة دار فرح.

حارة اللاتين: عاش فيها المسيحيون من اللاتين والكاثوليك والموارنة، وتشمل: حارة الزاروب، وحارة اليامينية، وحارة السروجية، وحارة الشوافنة، وحارة الحوش، وحارة المزازوة، وحارة الميدان، وحارة دير البنات.[١١٧]

وكانت هذه هي أسماء الحارات المتعارف عليها بين الناس. لكن الحكومة العثمانية تذكر في سجلاتها **أسماء حارات أُخرى** تبتعد فيها عن التقسيم القائم على أساس الطوائف، فتذكر أن حارات الناصرة هي: محلة الجامع، ومحلة عبيد، والمحلة الشرقية، ومحلة الجرينة، ومحلة فرح، ومحلة دار قعوار، ومحلة دار أبو حمد، ومحلة دار علي جاويش، ومحلة العديني، ومحلة يمانية، ومحلة اللاتين، ومحلة العين، والمحلة الغربية، ومحلة الحوش، ومحلة العرقية، ومحلة الشوافنة، ومحلة البيادر.[١١٨]

ب) حارات صفد

كانت صفد تقسم إلى حارتين كبيرتين وحارة صغيرة تبعاً لمذاهب سكانها. حارة المسلمين (الحي الإسلامي) التي تضم عدة حارات هي: حارة الجورة، وحارة السواعين، وحارة الأكراد، وحارة الجامع الأحمر، وحارة الوتار، وحارة الصواوين؛ حارة اليهود التي تقسم إلى حارتين: حارة اليهود الأشكنازيم الذين يسكنون في أعلى الحارة، وحارة اليهود السفاراديم الذين يعيشون في أسفلها؛ أمّا الأقلية المسيحية في

---

(١١٦) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٦، ن ٥٤، ١٨ شوال ١٣١٩هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(١١٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٢؛ Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV,* Vol. XIII, 1890, p. 247; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* pp. 275-278; Baedeker, *op.cit.,* pp. 246, 247.

(١١٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

صفد فتقيم بحارة صغيرة تقع بين حارة الجامع الأحمر وحارة السوق.[١١٩]

وذكر التميمي أن الذي يدخل صفد من جهة الجاعونة يرى دور حارة الأكراد أولاً، وقد سميت بهذا الاسم لأن الأكراد كانوا أول من سكنها. ويوجد في هذه المحلة ٢٠٠ دار فقط. وفي وسطها تقوم حارة الدبابية ويسمى القسم الأخير منها حارة الجورة، ويقع قسم من دور حارة الجورة في الوادي، وفي جنوب أراضي القلعة. وفي مقابل حارة الجورة تقع حارة البرج، ويطلق على هذه المحلة المؤلفة من مئة دار وثلاثة محلات اسم حارة الصواوين. ويأتي بعد ذلك في الجهة الجنوبية حارة الجامع الأحمر، وفي الجهة الغربية حارة الوطاء وحارة السوق، ويسمى القسم الغربي من صفد القريب من القلعة حارة القلعة. ويوجد في صفد حارة اليهود وهي مقسمة قسمين: محلة الأشكنازيم في الجهة الغربية الشمالية، ومحلة السفاراديم إلى الجنوب منها.[١٢٠]

ج) حارات عكا

كانت عكا مقسمة إلى عدد من المحلات والحارات، كمحلة الشيخ عبد الله،[١٢١] ومحلة الشيخ غانم،[١٢٢] ومحلة الفاخورة،[١٢٣] وحارة المبلطة،[١٢٤] وحارة الشخوص،[١٢٥] وحارة الشراشحة.[١٢٦] وكانت كل

---

(١١٩) دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٣ ـ ٦؛ س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٧٠، ن ١٢٢، ٨ شعبان ١٣٢٦هـ/ ٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨م؛
E.W.G. Masterman, «Safed,» *PEF,* 1917, p. 173; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* pp. 278-280; Victor Guerin, *Palestine,* Vol. 2, p. 420;
حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩٣.

(١٢٠) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(١٢١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٥، ٧٦، ن ٩٣٩، ١٩ شعبان ١٣٣٣هـ/ ٢ تموز (يوليو) ١٩١٥م.

(١٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧، ن ١١، ٢٨ رجب ١٣٠٥هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٨٨٨م.

(١٢٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٩، ن ٧٧٠، ١١ شعبان ١٣٣٢هـ/ ٥ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(١٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٧، ن ١٨٣، ٢٨ ذو القعدة ١٣٢٨هـ/ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م.

(١٢٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٣، ن ٧٤٨، ٢٠ رجب ١٣٢٢هـ/ ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(١٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢١، من دون نمرة، ١٣ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

حارة أو محلة مقسمة إلى أزقة، كزقاق التينة في حارة الشيخ غانم.(١٢٧)

قسّم شوماخر عكا إلى عشر حارات، في سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، هي: حارة المبلطة، وحارة الشيخ عبد الله، وحارة القاسمية، وحارة الشخوص، وحارة الشراشحة، وحارة المجادلة، وحارة القلعة، وحارة الست، وحارة البساتين، وحارة المنشية.(١٢٨)

وقد عاش المسلمون في سبع حارات من حارات عكا العشر، بينما عاش المسلمون والمسيحيون في الحارات الثلاث الباقية. وشكل المسيحيون أغلبية السكان في حارة الشيخ عبد الله، بينما شكل المسلمون الأغلبية في حارتي الشخوص والمجادلة.

د) حارات حيفا

كانت حيفا تتكون من محلتين: المحلة الشرقية والمحلة الغربية، إضافة إلى الكولونية الألمانية التي أقيمت بالقرب من المدينة.(١٢٩) وقد فصل وادي القصر بين المحلتين، كما فصل وادي النسناس المحلة الغربية عن الكولونية الألمانية.(١٣٠) وامتد البناء ليشمل هذين الواديين، فأشارت السجلات إلى داري أندراوس بن ميخائيل الحداد في وادي النسناس.(١٣١)

وتفرع من المحلتين الشرقية والغربية عدد من المحلات والحارات الأصغر منهما، مثل: محلة البرج،(١٣٢) ومحلة عبود،(١٣٣) ومحلة الست سكينة،(١٣٤)

---

(١٢٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٢، من دون نمرة، ٨ رجب ١٢٨٨هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٧١م.

(١٢٨) Schumacher, «Population,» *PEF,* 1887, p. 171;
وانظر أيضاً عن حارات عكا: سجلات أوقاف عكا، ش ٢، رقم ٩٣/ ٤٤ ـ ٤١٩ ٤٢/٢٢٨ ـ ١٠١٦ بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٤٣م، ورقم ١٧٦/ ٤٣ ـ ٥٥٣ بتاريخ ٢١/ ٧/ ١٩٤٣م.

(١٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢١، من دون نمرة، ١٣ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(١٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٦، ن ١٥٩، ١٨ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م؛ Baedeker, *op.cit.,* pp. 228, 229.

(١٣١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٠، ن ٥٩٦، ١٧ صفر ١٣٣٢هـ/ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٣٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٨٥، ن ٨٠٨، ٢٨ شوال ١٣٣٢هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤م.

(١٣٣) س ح، ش ١، س ١، ص ٤٢، ن ٨٨، ٢١ شوال ١٣٣٤هـ/ ٢١ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(١٣٤) المصدر نفسه.

ومحلة الإسرائيليين(١٣٥) (حارة اليهود).(١٣٦) إلاّ إن تسميتها حارة اليهود لا يعني أنها خاصة باليهود فقط، بل سكنها المسلمون أيضاً. إذ أشارت السجلات إلى دار محمد بيك الصلاح، سكنٍ أنيسة بنت أنيس النابلسي في حارة اليهود.(١٣٧) ومن حارات حيفا الأُخرى، حارة ديب تركي، وحارة الروم، ومحلة كنيسة الكاثوليك، ومحلة الدير، وحارة القلعة.(١٣٨)

وأشارت السجلات إلى عدد أكبر من الأزقة في حيفا إلاّ إنها لم تحدد مواقعها، مثل زقاق الحاج علي طه، وزقاق الصيقلي، وزقاق العسلي، وزقاق الرهوان،(١٣٩) وزقاق اليهود،(١٤٠) وزقاق دار عامر، وزقاق الدرويشة، وزقاق البئر الدرويشة، وزقاق برغوت، وزقاق الحاج عبد الله، وزقاق المراح،(١٤١) وزقاق البشير، وزقاق السوق، وزقاق أبي طه، وزقاق الحكيم، وزقاق عبود،(١٤٢) وزقاق الحاج ياسين،

---

(١٣٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٢، ن ٥٥٠، ١٦ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م.

(١٣٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٦١، ن ٤١، ٢٢ شوال ١٣١٩هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

(١٣٧) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٥، ن ٥٦٨، ٢٣ محرم ١٣٣٢هـ/ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

(١٣٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٦، من دون نمرة، ١٥ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٦، ن ١٥٩، ١٨ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(١٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨، ن ٢٧، ٢٤ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ٢٩ أيار (مايو) ١٩٠٥م؛
س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٢٣٤، ن ١١٠، ١٢ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م.

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ٦٧، ١٢ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م؛
س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٦، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(١٤١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٦، ن ٦٨، ١ ذو الحجة ١٣٢١هـ/ ١٨ شباط (فبراير) ١٩٠٤م؛
س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦١، ن ٥٦٢، ١٣ محرم ١٣٣٢هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٨، ن ١، ١٣ ربيع الثاني ١٣٢١هـ/ ٩ تموز (يوليو) ١٩٠٣م.

(١٤٢) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٥، ٢٥٦، ن ١١٥، ٢٦ شعبان ١٣٢٦هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨١، ن ٣١، ١٥ شوال ١٣١٠هـ/ ٢ أيار (مايو) ١٨٩٣م.

وزقاق الحمام، وزقاق القدسي، وزقاق البيك (حارة البيك).[١٤٣]

هـ) حارات طبرية

كانت طبرية مقسمة إلى حارتين كبيرتين أطلق عليهما اسم الطائفتين اللتين تقيمان بهما: حارة المسلمين، وحارة اليهود الواقعة قبالة بحيرة طبرية ويحيط بها سور يفصلها عن حارة المسلمين.

كما أشارت السجلات الشرعية إلى حارة النصارى في طبرية، إلاّ إنها حارة صغيرة قياساً بالحارتين السابقتين لقلة عدد المسيحيين في المدينة.

كما كان بعض القرى الكبيرة مقسماً بدوره إلى حارات ومحلات، وخصوصاً إذا كانت القرية تضم طوائف دينية متعددة، فتقيم كل طائفة بحارة خاصة بها. فمثلاً، كانت شفا عمرو مقسمة إلى ثلاث حارات يقيم بكل منها طائفة من سكان المدينة المسلمين والمسيحيين والدروز.[١٤٤] كما كانت قرية إجزم مقسمة إلى محلتين: المحلة الفوقا والمحلة التحتا.[١٤٥] ويقسم الطيراويون قريتهم إلى حارتين: الحارة الشمالية، والحارة القبلية التي تشمل حارات أصغر هي: الزلاقة، والقف، والزاوية. وتقسم أحياناً إلى أربع حارات: حارة الزقوق في الشرق، والجامع في الغرب، والمنزول في الوسط، والباشية بين المنزول والزقوق.[١٤٦]

(١٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٤٨، ن ٣١، ٢٠ ذو القعدة ١٣٢٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٩١، ن ٢٨، ٢٠ ذو القعدة ١٣٠٧هـ/ ٨ تموز (يوليو) ١٨٩٠م؛
Rabbi Joseph, «The Praises of the Land of Israel,» *PEF*, 1917, p. 81; Oliphant, *op.cit.*, p. 69;
س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٥٢٩، ٣٠ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(١٤٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 272.

(١٤٥) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٨٤، من دون نمرة، ٩ شعبان ١٣١١هـ/ ١٥ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

(١٤٦) عبد الصمد الحاج يوسف أبو راشد، «طيرة الكرمل»، ص ١٧٢.

رابعاً: الأسوار

يحيط ببعض المدن في اللواء أسوار للدفاع عنها وحمايتها من الهجمات المعادية. وقد شجع على بنائها صغر مساحة المدن وأهمية الأسوار في حمايتها. فكانت طبرية محاطة بسور ارتفاعه ٢٠ متراً يحيط بها من ثلاث جهات ما عدا الجهة المطلة على البحيرة لصعوبة مهاجمة المدينة منها. كما بني على السور ٢٠ برجاً مستديراً على مسافات غير متساوية. وبني السور والأبراج من الحجارة السود المتوسطة الحجم وهو ما أعطى المدينة منظرها الداكن.[١٤٧] وكان للسور بوابتان واحدة في الحي الإسلامي من جهة البر، والأُخرى على البحر، والبوابتان من الصغر بحيث لا يستطيع الشخص المرور منهما من دون انحناء.[١٤٨]

بني السور حول المدينة خلال حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، ورمّم ظاهر العمر أسوار المدينة وقلعتها سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م واتخذها مقراً له.[١٤٩] وفي سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، أعاد إبراهيم باشا ترميم السور وتقويته إلاّ إن معظم أجزائه دمر بعد الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م،[١٥٠] وبقي من دون إصلاح أو ترميم.

وفي أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، هدم ظاهر العمر حيفا وأعاد بناءها إلى الجنوب الشرقي من المدينة القديمة، فأحاط المدينة الجديدة بسور جعل له بوابتين.[١٥١]

وقد بلغ طول هذا السور الشبيه بالمستطيل ٦٣٠ متراً، منها ٢٣٠ متراً

(١٤٧) John L. Burckhardt, *Travels*, pp. 54, 55; Baedeker, *op.cit.*, p. 257.

(١٤٨) Claude Conder, *Palestine*, p. 441; Baedeker, *op.cit.*, p. 252.

(١٤٩) محمد أمين الصوفي الطرابلسي، «سمير الليالي»، ج ١، ص ١١٢؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 361;
عبود الصباغ، «الروض الزاهر»، ص ٨، ٩؛ أحمد البديري الحلاق، «حوادث دمشق»، ص ٤١، ٤٢؛ جورج يني، «ظاهر العمر»، «المقتطف»، المجلد ٢٨، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، ص ٣١٩.

(١٥٠) أسد رستم، «المحفوظات»، ج ٢، ص ١٦٥؛ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢.

(١٥١) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٩، ١٠؛ الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢١ ـ ٢٩؛
Carl Ritter, *Geography*, Vol. 4, p. 361; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, pp. 45, 283; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 181; Archdeacon Dowling, «Haifa,» *PEF*, 1917, p. 181; Amnon Cohen, *Palestine*, pp. 137-140;
عدنان البخيت، «حيفا»، ص ١١٥.

بمحاذاة البحر، ويقابله سور على البر يبلغ طوله ١٦٠ متراً، ويبلغ طول كلا جانبيه الآخرين ١٢٠ متراً، ويبلغ سمكه ٧٥ سنتيمتراً، وارتفاعه ٤,٥ أمتار. كما أُقيمت الأبراج على امتداد هذا السور.[١٥٢] وفي سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، هُدِمت البوابة الجنوبية من السور لتكون مدخلاً واسعاً للمدينة[١٥٣] التي توسعت خارج السور، إذ يُذكر أنه بُني أول بيت خارج أسوار المدينة في سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م.[١٥٤]

وكانت عكا محاطة بسور بني خلال حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، وهدمه السلطان المملوكي الناصر خليل بن قلاوون بعد استعادته المدينة من الفرنجة. وبقي السور مهدماً حتى أعاد ظاهر العمر بناءه سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م وحصنه بالأبراج كبرج الخزينة.[١٥٥] كما أعاد الجزار ترميم السور وتقويته سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م بعد أن ظهرت أهميته في رد الحملة الفرنسية على المدينة. وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، تعرض السور للانهيار في عدد من المواقع، فأعاد سليمان باشا ترميم المواقع والأبراج المهدومة.[١٥٦]

ثم تعرض السور للتدمير والانهيار خلال الحصار المصري للمدينة سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، لكن إبراهيم باشا أعاد بناءه بعد احتلال المدينة، وأحضر العمال والبنائين والمهندسين اللازمين لذلك من مصر. إلاّ إن السور دمر مرة أخرى في أثناء حصار الأساطيل الأوروبية والأسطول العثماني للمدينة سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.[١٥٧] وكان للسور بوابتان: الأولى في جنوبه الشرقي، والثانية فتحت في

---

(١٥٢) ألكس كرمل، «حيفا»، ص ٨٥.

(١٥٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 283.

(١٥٤) *E. J.*, Vol. 7, p. 113.

(١٥٥) عبد الغني النابلسي، «الحقيقة والمجاز»، ص ٥٩٤؛
Evliya Tshelebi, *Travels*, pp. 40-50;
ميخائيل مشاقة، «منتخبات من الجواب»، ص ٧؛ يني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٠؛ أسد رستم، «بشير بين السلطان والعزيز»، ص ٦٢، ٦٣؛
A. Rustum, «Akka (Acre) and its Defences,» *PEF*, 1926, pp. 143-157.

(١٥٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 145; Guerin, *op.cit.*, Vol. 2, pp. 501-509; Charles Wilson, *The Land of Galilee*, pp. 123-128; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 188, 189;
العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥، ٨٨، ١٩٢؛ رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٣، ١٣٨، ١٤٦؛ حسن هشي (تحقيق)، «تاريخ الأمراء الشهابيين»، ص ١٢٩.

(١٥٧) رستم، «بشير...»، مصدر سبق ذكره، ص ٤، ٦٥.

غربه سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.[١٥٨]

وعلى الرغم من أهمية الأسوار الدفاعية، فإن المصادر لم تشر إلى بناء الأسوار حول مدينتي صفد[١٥٩] والناصرة في العصر العثماني، لأن وقوع المدينتين في مناطق جبلية داخلية جعل من الصعب تعرضهما لهجوم خارجي.[١٦٠]

وكان لهذه الأسوار بوابات يشرف عليها بوابون يفتحونها صباحاً ويغلقونها مساءً ويراقبون الداخلين والخارجين. فمثلاً، كان مصطفى عفارة بواباً لمدينة عكا في أيام سليمان باشا ويعمل معه أربعة من البوابين المساعدين.[١٦١]

لكن اتساع المدن وازدياد عدد سكانها أفقد الأسوار أهميتها الدفاعية، إذ أصبح من الصعب إحاطة المدن بالأسوار. وكان أبرز مثال لذلك مدينة عكا التي أصبح سورها عائقاً أمام تطورها واتساعها، الأمر الذي دفع سكانها إلى مطالبة الدولة بأن تسمح لهم بالبناء خارج الأسوار، إلاّ إن الدولة رفضت ذلك مراراً وتكراراً، لكنها عادت فأصدرت قراراً في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م سمحت بموجبه للسكان بالبناء خارج السور.[١٦٢]

ونتيجة فقدان الأسوار لأهميتها الدفاعية فقد قل الاهتمام بها وبترميمها، ولذلك ازداد الحديث، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين، عن تهدم هذه الأسوار والقلاع، فأشير إلى انهيار أسوار طبرية وحاجتها إلى الترميم.[١٦٣]

لم تقتصر إقامة الأسوار على المدن فقط، بل أُقيمت، أحياناً، حول القرى

---

(١٥٨) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

(١٥٩) عندما استعاد السلطان المملوكي، الظاهر بيبرس، مدينة صفد سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م أعاد بناءها وأحاطها بالأسوار، فيقول ابن تغري بردي: «ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صفد وتحصينها ونقل الذخائر والأسلحة إليها.» إلاّ إن المدينة توسعت بعد ذلك وازداد عدد سكانها، فأقام السكان بيوتهم خارج أسوار المدينة القديمة التي أصبحت تعرف بحي القلعة، وظهرت أحياء جديدة خارج القلعة. أنظر: ابن شداد، «تاريخ الملك الظاهر»، ص ٣٥٣؛ ابن عبد الظاهر، «الروض الزاهر»، ص ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٣٠.

(١٦٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 276-277.

(١٦١) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٦.

(١٦٢) الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١١، ١١٢؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٩٠٤، ١٨ ذو القعدة ١٣٢٧هـ/ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ٣.

(١٦٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Conder, *Palestine*, p. 319; John Fulton, *Palestine*, p. 319.

أيضاً. فمثلاً، أحاط سعد بن ظاهر العمر قرية دير حنا بالأسوار والأبراج لتكون مقراً حصيناً له يصعب احتلاله.(١٦٤) كما بنى عثمان بن ظاهر العمر حصناً وقلعة جنوبي شفا عمرو، لكن الحصن تعرض للتدمير بفعل الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م.(١٦٥)

خامساً: المياه

كان عدم توفر المياه عاملاً مهماً في إعاقة تطور المدن وازدهارها. فافتقار حيفا إلى إمدادات المياه الدائمة كان سبباً في عدم نقل مركز اللواء إليها من مدينة عكا. ويذكر أوليفانت أن العائق الوحيد أمام جعل حيفا مقراً لحاكم اللواء هو إمداداتها المحدودة من المياه لأن المدينة كانت تعتمد على مياه الينابيع والآبار. وعلى الرغم من أنه يمكن إيجاد المياه على عمق قليل فإنها كانت قليلة، وهو ما جعلها غير مستساغة.(١٦٦)

وقد اتبع السكان أساليب متعددة لتأمين حاجاتهم من المياه، فحفروا الآبار والبرك والصهاريج في بيوتهم أو بالقرب منها، وكانوا يملأونها بمياه الأمطار. كما أن افتقار حيفا إلى الينابيع اضطر سكانها إلى حفر الآبار في الصخور على عمق ٢٠ ـ ٦٠ متراً، بعرض ذراعين أو ثلاثة أذرع.(١٦٧)

وعلى الرغم من وجود الينابيع في الناصرة وجوارها فإنها لم تكن تفي بحاجة السكان، فحفروا الآبار في بيوتهم أو بالقرب منها. ولذلك يندر أن يوجد بيت ليس فيه بئر أو صهريج لجمع ماء المطر.(١٦٨)

(١٦٤) الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 357.

(١٦٥) محمد سليم أفندي، «شفا عمرو»، «المشرق»، المجلد ٨، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٨؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 277.

(١٦٦) Oliphant, *op.cit.*, pp. 209, 210.

(١٦٧) صحيفة «البشير» العدد ٢٠٧٤، ٦ شوال ١٣٢٩هـ/ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٣؛
زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٨٤.

(١٦٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 278;
زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٨٤.

أ) الآبار والصهاريج والبرك

حُفرت الآبار والصهاريج داخل البيوت، أي في وسط الحوش (الساحة الداخلية للدار)، وكانت فتحة البئر تغطى بحافة مرتفعة عن مستوى الأرض لمنع الأطفال والأوساخ من الوقوع فيه. ويصل الماء إلى البئر من المياه المتجمعة في ساحة الحوش أو المتجمعة على سطح الدار بواسطة المزاريب، ويستخرج الماء من البئر بالدلو المعلق باستمرار فوقه.(١٦٩)

وحفر أهالي حيفا الآبار والبرك والصهاريج في بيوتهم وأراضيهم لتوفير حاجاتهم من المياه للشرب ولري الأشجار. فمثلاً، اشترى محمد الجبالي من حيفا الحاكورة التي تحتوي على أشجار كثيرة وبئر ماء نابع وبركة لجمع الماء.(١٧٠) واشترى الخواجة جرجس بن سليمان بن إبراهيم عطا الله نصف الدار الواقعة في حيفا التي تشتمل على أربعة صهاريج ماء معقودة بالحجر والمؤن، وعلى جنينة وبئر نابع بمبلغ ألف قرش.(١٧١)

وكانت الآبار نوعين: آبار الماء النابع، وآبار الجمع. كانت آبار الماء النابع تُحفر في الأرض ويُستخرج منها الماء. فأشارت السجلات إلى دار ميخائيل يعقوب عطا الله التي تشتمل على ١٥ أوضة وبئر ماء نابع.(١٧٢)

كما حُفرت آبار الماء النابع في البساتين لري الأشجار. وأشارت السجلات إلى البستان، الذي يشتمل على أشجار متنوعة وأوضة وبئر ماء نابع وبركة معدة لسقي الأشجار، العائد لميخائيل بن يعقوب عطا الله.(١٧٣)

أمّا آبار الجمع (ماء الشتاء) فتحفر في الأرض وتعبأ بمياه الأمطار التي تتجمع على سطوح المنازل وفي الساحات الأرضية المجاورة. فمثلاً، باع سليم أفندي بن عطا الله منصور الخانة في حيفا التي تشتمل على بئر لماء الشتاء.(١٧٤)

(١٦٩) Baldensperger, *op.cit.*, pp. 57, 58; Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, pp. 241-246.

(١٧٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٠، ن ٧٠، ١٧ ذو القعدة ١٢٩٠هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤م.

(١٧١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢٠، ١٢١، من دون نمرة، ١٣ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(١٧٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٦١، ن ١٩٤، ٢٢ شوال ١٣١١هـ/ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(١٧٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٩، ن ١٨٩، ٤ شوال ١٣١١هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(١٧٤) س ح، حجج ودعاوى، س ٧، ص ٥٧، من دون نمرة، ٨ شوال ١٣٢٢هـ/ ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م.

أشارت السجلات إلى الآبار والصهاريج والبرك إلاّ إنها لم تحدد الفارق بينها. وأُشير إلى أن الحاج أمين آغا بن عبد الله بن إسماعيل زويد يمتلك دارين في المحلة الشرقية، تشتمل الأولى على بئر ماء نابع، بينما تشتمل الثانية على صهريج لجمع ماء الشتاء.(١٧٥) وقد تضم الدار الواحدة أكثر من صهريج، إذ اشترى جرجس بن سليمان نصف الدار الكائنة في حيفا والتي تشتمل على أربعة صهاريج ماء.(١٧٦)

كما كانت الحواكير والدور تضم بركاً لجمع الماء، إضافة إلى الآبار. فاشترى دانيال بن كوهين الحاكورة خارج حيفا لجهة الشرق والتي تحتوي على بئر ماء نابع وبركة لجمع الماء.(١٧٧)

كذلك حُفرت البرك والصهاريج في القرى التي لا توجد فيها الينابيع، فكانت إمدادات المياه في قريتي كفر ياسيف والمكر من البرك والصهاريج.(١٧٨)

وأشارت السجلات الشرعية إلى أشكال أُخرى لتجميع المياه في البيوت كسيح الماء. فأشير إلى البيت الذي يشتمل على سيح الماء، والواقع في محلة الروم الأورثوذكس في الناصرة،(١٧٩) وإلى الدار التي تشتمل على أوضتين وليوان وسيح لجمع ماء المطر.(١٨٠)

وضمت دور أُخرى حنانة للماء. فنجد، مثلاً، أن نصر الله بن أنطون العثماني يملك نصف الحاكورة الواقعة في الجهة الشرقية من حيفا في موقع أبي حوام والتي تشتمل على بيت وحنانة ماء وأرض وأشجار.(١٨١) والحنانة هي قناة لتوصيل الماء من مكان تجمعه إلى مكان استخدامه، سواء للاستخدام المنزلي أو للري. فمثلاً، أشارت السجلات إلى أن لمحمد بك الماضي ستة قراريط في كامل

---

(١٧٥) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٦٥، ن ٩٢٣، من دون تاريخ.

(١٧٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٢٠، ١٢١، من دون نمرة، ١٣ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(١٧٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٩، ن ٦٦، شوال ١٢٩٠هـ/كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(١٧٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 146, 147.

(١٧٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٦، ن ٥٤، ١٨ شوال ١٣١٩هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(١٨٠) س ح، ش ١، س ١، ص ٣١، ن ٧٥، ٣ رمضان ١٣٣٤هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩١٦م.

(١٨١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٢، ن ٥٤، ١٨ شوال ١٣١٩هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

الدار الكائنة في حيفا شرقي الحمام والتي تحتوي على أوضتين وحنانة لسحب الماء للحمام، الشهيرة بدار الحنانة.(١٨٢)

وقد تضم الدار الواحدة الآبار والبرك وحنانة الماء معاً. فنجد، مثلاً، أن حنا ابن الياس دلال يمتلك البستان الذي يشتمل على أشجار منوعة وأوضة وبئر ماء نابع وحنانة وبركة ماء معدة لسقي الأشجار.(١٨٣)

ب) العيون والينابيع

استغل الإنسان منذ القدم العيون والينابيع لتوفير حاجته من المياه، واعتمدت درجة استفادته منها على مقدار قربها أو بعدها عن المدن والقرى، والتحسينات التي تجريها الدولة عليها لزيادة الاستفادة منها.

وقد انتشرت الينابيع والعيون في معظم المدن والقرى في اللواء، فكان في صفد وضواحيها عدة ينابيع تمد أحياء المدينة المتعددة بالمياه.(١٨٤) وكان في الناصرة ١٧ من العيون والينابيع.(١٨٥)

كانت النساء يقمن بنقل الماء في جرار فخارية على رؤوسهن من العيون والينابيع إلى البيوت، فكان يشاهد في الناصرة طابور طويل من النساء والبنات يمشين بلطف وجرار الماء فوق رؤوسهن ويتحركن في طابور منفرد إلى كل ربع من أرباع المدينة.(١٨٦)

وذكر كوندر أن أول منظر يُشاهد في الناصرة هو لنساء يحملن الجرار البنية التي تعبأ بالماء من العيون والينابيع المجاورة للمدينة.(١٨٧) كما تشاهد النساء صباحاً ومساءً، في شفا عمرو، وهن يحملن جرار الماء على رؤوسهن ـ كمثيلاتهن من نساء المدن ـ إلى بيوتهن من عين الماء التي يستقي منها سكان القرية.(١٨٨)

---

(١٨٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٥، ن ٢١، ١ رجب ١٢٩٠هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٧٣م.

(١٨٣) س ح ، ش ١٤١، س ٣، ص ١٨٩، من دون نمرة، ٤ شوال ١٣١١هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(١٨٤) Masterman, *op.cit.*, pp. 170-171.

(١٨٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦ ـ ٢٢؛
Goodrich-Freer, *op.cit.*, pp. 109-111.

(١٨٦) H. W. Dunning, *To-day in Palestine*, p. 223.

(١٨٧) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 239.

(١٨٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١٤، ٢١ رجب ١٣٢١هـ/ ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣م، ص ٣.

واجه الأهالي مشكلات وصعوبات في نقل المياه بالجرار من الينابيع والعيون إلى البيوت لبعدها عن المدن والقرى، ولنضوب المياه من هذه العيون والينابيع في بعض الأعوام. فذكر الأب أنطون رباط اليسوعي سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، أنه يوجد في شفا عمرو عين واحدة، فإذا قلّت الأيام الماطرة في الشتاء وطال فصل الصيف نضبت أو كادت كما حدث في السنة السابقة عندما اضطر السكان إلى السير خمس ساعات لجلب الماء، وليس لديهم إلاّ آبار قليلة العمق تتجمع فيها مياه الأمطار، لكنها لا تصلح للشرب لقلة نقائها وهي لا تكفي حاجات المنازل والدواب.(١٨٩)

لذلك اهتمت الدولة بتمديد القساطل والأنابيب لنقل المياه وتجميعها في مناطق محددة في المدن كي يأخذ الناس حاجتهم. فكانت عكا من أول المدن التي تم توصيل المياه إليها، عندما أنشأ أحمد باشا الجزار قناة الكابري لنقل المياه من عين الكابري إلى عكا.(١٩٠) وفي سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م، أعاد سليمان باشا العادل ترميم هذه القناة بعد أن تعرضت للخراب والتلف في بعض المواقع فصارت المياه تصل إلى عكا أكثر نقاءً.(١٩١)

وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، عانى أهالي الناصرة جرّاء شح المياه، وتسبب ذلك بمشكلات كثيرة. فكُشف عن نبع الماء المعروف بنبع الزاروب وكان مسدوداً بأحجار وتراب، وتم إيصال الماء بالقساطل من النبع إلى حوض في وسط المدينة، ومنه يأخذ الناس حاجتهم من المياه.(١٩٢)

كانت القساطل الفخارية التي تنقل المياه إلى المدن تتعرض للخراب والتلف، الأمر الذي دفع الدولة إلى استبدالها بقساطل حديدية. فاستبدل أمين عبد الهادي، قائمقام الناصرة، القساطل الفخارية في المدينة بقساطل حديدية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، فتضاعفت كمية المياه التي يستفيد منها السكان.(١٩٣) وقد أوضحت

(١٨٩) الأب أنطون رباط اليسوعي، «شفا عمرو»، «المشرق»، المجلد ٨، العدد ٢٢، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٣٤.

(١٩٠) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٨، ٢٥٩؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 146;
الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١١، ١١٢.

(١٩١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣؛ العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٩، ٢٦٠؛
John Makhoul, *Guide to Acre*, pp. 94, 95.

(١٩٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٠، ١٠ شعبان ١٣٠٣هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ١.

(١٩٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

جريدة «فلسطين» ذلك فقالت: «إن أهل الناصرة شرعوا بعمل اكتتاب لإيصال الماء إلى بلدتهم ضمن قساطل حديدية فماء عين الناصرة المعروف بعين العذراء جار منذ القدم في مجرى خربته يد الزمان ويتخلل جريانه ما لا يصلح شربه وقد يضيع الماء في الطريق قبل أن يصل الميزاب مما اضطر قائمقام القضاء للاتفاق مع المحل الألماني في حيفا لوضع القساطل الحديدية بطول ١٦٠ متراً أي من رأس النبع حتى الميزاب بعد جلب الأدوات اللازمة من ألمانيا.»(١٩٤)

كما عانى أهالي صفد جرّاء قلة الماء الصالح للشرب لأن عيون الماء تقع بعيداً عن المدينة، فينقله السكان على ظهورهم أو على ظهور الدواب بصعوبة بالغة، وهو ما دفع متصرف عكا إلى العمل على تنفيذ مشروع لتوصيل المياه إلى المدينة. فجمع من أهالي صفد ٤٢ ألف قرش، وأخذ من البلدية ثمانية آلاف قرش أُخرى، وأمر بإنفاق المبلغ على توصيل الماء من النبع الذي يبعد عن المدينة مسافة نصف ساعة إلى البركة التي أنشئت في وسط البلدة.(١٩٥) وذكر ماسترمان سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، أن بين الينابيع القريبة من صفد توجد عين العفة، وعين العسل، وعين الزرقا، وعين الرمانة، وتجمع المياه منها وتنقل في أنابيب معدنية إلى صهاريج ماء صغيرة تقع جنوبي تلة القلعة ومنها توزع في اثني عشر مشرباً إلى الأحياء المتعددة من المدينة. كما ذكر أن إمدادات المياه الحديثة أسست قبل أربعة أعوام فقط.(١٩٦)

أمّا أهالي طبرية فيأخذون حاجتهم من المياه من البحيرة. فكانت النساء ينقلن الماء بالجرار من البحيرة على الرغم من أن مجاري المدينة كانت تصب فيها. كما كان الأهالي يأخذون حاجتهم من العيون المجاورة للمدينة.(١٩٧)

سادساً: المواصلات والاتصالات

اهتمت الدولة العثمانية منذ أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي بإنشاء شبكة من المواصلات في مختلف مناطق اللواء لتسهيل اتصال السكان بعضهم ببعض، ولتسهيل اتصالهم بالمناطق الأُخرى، ولمواكبة التطور في وسائل

(١٩٤) صحيفة «فلسطين»، العدد ٦٦، ١٣ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(١٩٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٠٧، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٠٠هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٣م.

(١٩٦) Masterman, *op.cit.*, pp. 170-171.

(١٩٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٠.

المواصلات الحديثة. ولذلك أنشأت الدولة دائرة للنافعة (الأشغال) في مركز اللواء للإشراف على المواصلات من طرق وجسور وسكك حديد.(١٩٨)

أ) الدواب

استخدم السكان الإبل والخيل والحمير وسيلة للتنقل الفردي والجماعي.(١٩٩) وقد أنشئت مكاتب لتأجير الخيول للسياح في المدن، منها مكتب شحتوت دوتري وخليل سيمان في الناصرة،(٢٠٠) ومحلات كوك وولده في حيفا.(٢٠١)

كما استُخدمت الإبل لنقل الحبوب من أماكن الإنتاج إلى موانىء التصدير في حيفا وعكا. فذكر كوندر سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، أنه شاهد قافلة مكونة من ٢٠ جملاً محملة بالحبوب تقطع النهر أسفل بحيرة طبرية متجهة في طريقها نحو الغرب.(٢٠٢) وذكر أوليفانت أن من الطبيعي مشاهدة مئات الإبل تجثم وسط أحمالها من أكياس القمح في حيفا وعكا.(٢٠٣)

ولم تحدد المصادر كيفية توفير الإبل لنقل الحبوب من حوران إلى عكا وحيفا، إلاّ إنه يظهر أنها كانت تُستأجر من البدو والفلاحين الذين عمل بعضهم مرافقين لهذه القوافل. كما أن المصادر لم تحدد أجور النقل بين مناطق الإنتاج والتصدير، لكن شارل عيساوي أشار إلى أن هذه الأجور كانت على النحو التالي سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م:(٢٠٤)

من وسط حوران إلى عكا: ١٧٥ ـ ٢٠٠ قرش؛
من غرب حوران إلى عكا: ١٢٥ ـ ١٥٠ قرشاً؛
من الناصرة إلى عكا: ٥٠ قرشاً.
من بيسان إلى عكا: ٩٠ قرشاً.

---

(١٩٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٨.
(١٩٩) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨؛
Newton, *op.cit.*, pp. 39-45.
(٢٠٠) Baedeker, *op.cit.*, p. 246.
(٢٠١) خليل سركيس، «رحلة الإمبراطور غليوم»، ص ٥٠.
(٢٠٢) Conder, *Palestine*, pp. 23, 66.
(٢٠٣) Oliphant, *op.cit.*, pp. 23, 66.
(٢٠٤) شارل عيساوي، «التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب»، ص ٣٣١.

كما استُخدمت البغال لنقل الأسماك من بحيرتي الحولة وطبرية إلى دمشق وصفد.(٢٠٥) كذلك نقل الفلاحون ما ينتجونه من الفواكه والخضروات والحبوب على الدواب إلى المدن.(٢٠٦)

وقد أثر إنشاء سكك الحديد في وسيلة النقل بواسطة الدواب وجعل من القطارات وسيلة النقل الرئيسية في اللواء، فأصبحت السلع المتعددة تنقل من بيروت وحيفا بالقطارات، إلاّ إن ذلك لم يلغ استخدام الدواب، وخصوصاً أن سكة الحديد لم تصل إلى القرى كافة، كما أنه لم يكن في قدرة الفلاحين دفع أجور النقل بالقطارات.(٢٠٧)

ب) العربات

أنشأت الدولة العثمانية شبكة من طرق العربات بين مختلف مدن اللواء، ومنها:

طريق حيفا ـ الناصرة الذي أشارت المصادر الأوروبية، في معظمها، إلى أن الألمان في الكولونية الألمانية في حيفا هم الذين أنشأوه. فذكر كوندر أن المستوطنين الألمان مهدوا الطريق من حيفا إلى الناصرة، وأصبحت العربات تسير بين المدينتين.(٢٠٨) وذكر أوليفانت أن المستوطنين الألمان في حيفا عملوا طريقاً للعربات بين الناصرة وحيفا.(٢٠٩)

إلاّ إن هذا الطريق تعرض للتلف والانهيارات، فأصبح من الصعب السير عليه، الأمر الذي دفع الدولة إلى إصلاحه باستمرار. فذكرت «جريدة ولاية سوريا» سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م أن المرور أصبح صعباً على الطريق بين حيفا والناصرة، ولذلك بوشر تسوية وتنظيم الطريق بمعرفة العمال المكلفين العمل فيه من أهالي قضاء حيفا.(٢١٠) ويؤكد ذلك ما ذكرته صحيفة «البشير» سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م من أن العمل بوشر في طريق حيفا ـ الناصرة بعد وصول الأدوات اللازمة لذلك

---

(٢٠٥) E.W.G. Masterman, «The Fisheries,» *PEF*, 1908, p. 4.
(٢٠٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٠٤، ١ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٠٣م، ص ٤.
(٢٠٧) Dunning, *op.cit.*, p. 136.
(٢٠٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 291.
(٢٠٩) Oliphant, *op.cit.*, p. 23.
(٢١٠) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٥٦، ١٢ رجب ١٣٠٣هـ/ ١٦ نيسان (أبريل) ١٨٨٦م، ص ٣.

من أوروبا.[٢١١] وقد انتهى العمل في هذا الطريق سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.[٢١٢]

لكن الطريق كان عرضة للتلف باستمرار، الأمر الذي كان يدفع الدولة إلى إعادة إصلاحه. فذكر التميمي سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، أنه بوشر إصلاح طريق حيفا ـ الناصرة وخصص للقسمين الأول والثاني من الطريق مبلغ ٥٧٩,٢١٢ قرشاً.[٢١٣]

وقد وصفت نيوتن نوعاً من العربات المستخدمة على الطريق فقالت: «وبالمركبة ذات الصفوف الثلاثة من المقاعد التي يربطها بالسقف ستة أعمدة وقد تدلت الستائر من السقف، وصلت إلى الناصرة في ست ساعات.»[٢١٤]

وشهدت سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م نشاطاً واسعاً في إنشاء طرق العربات، فأنشئ الطريق بين جنين والناصرة، وقام الأهالي بجزء كبير من العمل في هذا الطريق،[٢١٥] والطريق بين حيفا وطبرية،[٢١٦] والطريق بين الناصرة وعكا، ثم الطريق بين الناصرة وطبرية في سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.[٢١٧] وفي سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، سوي الطريق بين حيفا ويافا قبل زيارة الإمبراطور الألماني لحيفا.[٢١٨] وفي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٤م، أنشأت دائرة الأشغال طريقاً يمتد من محطة العفولة إلى جنين، وطريقاً من العفولة إلى الناصرة.[٢١٩] وكان الطريق بين عكا وحيفا بمحاذاة شاطىء البحر وهو طريق ملائم للعربات لأنه في موازاة الشاطىء، وإذا

(٢١١) صحيفة «البشير»، العدد ٨١٥، ١٧ رجب ١٣٠٤هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٦م، ص ٣؛ ميشال سمعان إسطفان، «فلسطين»، ص ٥٣.

(٢١٢) صحيفة «البشير»، العدد ١٠١٥، ٥ شوال ١٣٠٦هـ/ ٤ حزيران (يونيو) ١٨٨٩م، ص ٣.

(٢١٣) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

(٢١٤) Newton, *op.cit.*, p. 28.

(٢١٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٠، ١٠ شعبان ١٣٠٣هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ٢؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١.

(٢١٦) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣١؛ Dunning, *op.cit.*, p. 155.

(٢١٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 249; زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣١؛ إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

(٢١٨) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣١؛ Dowling, *op.cit.*, pp. 190, 191.

(٢١٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥١، ١٤ محرم ١٣٢٢هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٩٠٤م، ص ٤؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

حدث شق أو حفرة به أصلحتهما الأمواج.[٢٢٠]

وعلى الرغم من إنشاء هذه الطرق فإن بعض المدن بقي معزولاً ولم يصل إليه طرق العربات. فاشتكت صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م من عدم وجود طريق يصل صفد بغيرها من المدن على الرغم من أنه تقرر إنشاء هذا الطريق ورُصد له مبلغ خمسة آلاف ليرة عثمانية.[٢٢١] إلاّ إن بيدكر ذكر أنه يمكن استخدام العربات بين عكا وصفد صيفاً، وأن الطريق بين المدينتين يستغرق يومين سيراً على الأقدام أو على الدواب.[٢٢٢]

ولتسهيل حركة المرور والانتقال على هذه الطرق أقامت الإدارة العثمانية الجسور على الأنهار. ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، أذنت نظارة النافعة (دائرة الأشغال) في إنشاء جسرين على نهري المقطع والنعامين بين حيفا وعكا،[٢٢٣] إلاّ إنهما لم ينفذا أو أنهما تعرضا للخراب. فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م، أن نهري المقطع والنعامين متروكان من غير قناطر تسهل على المارة عبورهما في الشتاء وهم آمنون. ولذلك تقرر إنشاء جسر من الخشب على نهر المقطع يبلغ طوله ٨٠ متراً، وجسر خشبي آخر على نهر النعامين يبلغ طوله ٣٠ متراً.[٢٢٤] كما أُنشىء جسر، سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، بين الطنطورة وقيسارية على نهر الزرقاء، مؤلف من أربع قناطر ويبلغ طوله ٨٠ متراً، بإشراف مهندس لواء عكا حسين أفندي، لتسهيل انتقال الإمبراطور غليوم، إمبراطور ألمانيا، في أثناء زيارته لفلسطين.[٢٢٥] وفي سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، أنشىء جسر على وادي العمود يبلغ ارتفاعه ١٥ متراً، وعرضه ٣ أمتار على نفقة أهالي قضاءي صفد وطبرية،[٢٢٦] كما اهتمت الدولة بجسر بنات يعقوب شمالي بحيرة طبرية وبجسر

(٢٢٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٩٩، ١٦ ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٠٢م؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 233؛ إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩، ٨٠.

(٢٢١) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٢٢٢) Baedeker, *op.cit.*, p. 235; وانظر أيضاً: التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

(٢٢٣) صحيفة «البشير»، العدد ٨٢٤، ٢٢ رمضان ١٣٠٣هـ/ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ٣.

(٢٢٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٧٤، ٤ ذو الحجة ١٣٠٧هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٩٠م، ص ٢.

(٢٢٥) إبراهيم الأسود، «الرحلة الإمبراطورية»، ص ١٠٧.

(٢٢٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٤٢، ٥ ربيع الثاني ١٣٠٨هـ/ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م، ص ٢.

المجامع[٢٢٧] في جنوبيها. ويبين الجدول التالي أجور التنقل بالعربات بين حيفا وغيرها من المدن المجاورة،[٢٢٨] في سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م:

الجدول رقم ٤ ـ ١

حيفا ـ عكا ذهاباً وإياباً	٥٠ ـ ٧٥ قرشاً
حيفا ـ صفد ذهاباً وإياباً	٤٥٠ ـ ٥٥٠ قرشاً
حيفا ـ الناصرة ذهاباً وإياباً	١٥٠ ـ ٢٠٠ قرش
حيفا ـ جنين ذهاباً وإياباً	١٥٠ ـ ٢٠٠ قرش
حيفا ـ طبرية ذهاباً وإياباً	٤٥٠ ـ ٥٠٠ قرش
حيفا ـ يافا ذهاباً وإياباً	٥٠٠ ـ ٧٠٠ قرش
حيفا ـ زمارين ذهاباً وإياباً	١٥٠ ـ ٢٠٠ قرش

نجم عن إنشاء هذه الطرق فوائد مهمة للسكان. إذ أصبح التنقل أكثر أمناً وقل تعرض المسافرين للسرقة والقتل،[٢٢٩] وازدادت حركة التنقل بين المدن والقرى،[٢٣٠] واختُصر الجهد والزمن في السفر والتنقل، إذ كان الطريق بين حيفا ويافا يستغرق يومين أو ثلاثة أيام على ظهور الخيل، فأصبح يستغرق ٢٠ ساعة بواسطة العربات.[٢٣١]

ولم تقتصر فائدة العربات على المدن فقط، بل شملت القرى أيضاً، وخصوصاً أن طرق العربات كانت تمر ببعض قرى اللواء أو بالقرب منها. فالطريق من حيفا إلى الناصرة يمر بالقرب من بلد الشيخ وياجور وعسفيا وجلمة والحارثية

(٢٢٧) بني جسر بنات يعقوب على أربع قناطر. أمّا جسر المجامع فبني من الحجارة السود على خمس قناطر بطول ٣٠ متراً وارتفاع ١٢ متراً عن الماء، وقد شُيّد الجسران قبل العصر العثماني. واهتم بهما العثمانيون، فكان عدد من جنود والي سوريا يقيمون على الجسر. كما كان هناك خان على الجانب الشرقي منه، وأصلح إبراهيم باشا الجسرين خلال الحكم المصري لبلاد الشام. أنظر: رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩؛ Burckhardt, *op.cit.*, p. 315; صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥٤، ٦ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٠٤م، ص ٢.

(٢٢٨) Baedeker, *op.cit.*, p. 230.

(٢٢٩) Dunning, *op.cit.*, p. 155.

(٢٣٠) Laurence Oliphant, *The Land of Gilead*, p. 332.

(٢٣١) Baedeker, *op.cit.*, p. 235.

ومعلول والمجيدل وجنجار ويافا ثم يصل إلى الناصرة.[٢٣٢] وعلى الرغم من إنشاء هذه الطرق، فإن التنقل بالعربات بقي محصوراً في الفئة الثرية في المدن والقرى لأن أجور التنقل بها مرتفعة كما يتضح من الجدول السابق.

ج) سكك الحديد

أنشأت الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين شبكة من خطوط سكك الحديد في اللواء من أهمها، خط حيفا ـ دمشق الذي يعتبر من أولها. وقد مرت عملية الإنشاء في مراحل كثيرة، إذ حصل سرسق وأبناؤه على امتياز إنشاء الخط بالتعاون مع مموِّلين إنكليز، إلاّ إن المشروع لم ينفذ لتأخر التمويل. وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، حصل المهندس اللبناني يوسف الياس على امتياز المشروع مع الممول الإنكليزي بيلنغ،[٢٣٣] وأسسا معاً شركة الخطوط الحديدية العثمانية، إلاّ إن الشركة عجزت عن تنفيذ المشروع وتوقف العمل فيه أواخر سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.[٢٣٤] لذا قررت الحكومة العثمانية تنفيذ المشروع وعهدت إلى شركة سكة حديد الحجاز في تنفيذه.[٢٣٥] فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م أن الحكومة العثمانية ابتاعت سكة الحديد بين حيفا ودمشق بمبلغ ١٥٥ ألف ليرة عثمانية وقررت جعلها فرعاً لسكة حديد الحجاز، وأصدرت الأمر إلى الفيلق الخامس الهمايوني بإرسال طابورين يتألف كل منهما من ألف جندي لمباشرة العمل في الخط المذكور.[٢٣٦]

وقد افتتح خط حيفا ـ دمشق في ١٥ شعبان ١٣٢٤هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٦م.[٢٣٧] فذكر بيدكر أن خط سكة الحديد من حيفا إلى درعا الذي أنشأته الحكومة العثمانية ليتصل بخط سكة حديد الحجاز، افتتح سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٥م، وأصبحت القطارات تسير عليه يومياً في الاتجاهين، وتستغرق المسافة من حيفا إلى

(٢٣٢) *Ibid.*, p. 242.

(٢٣٣) لم تحدد المصادر المتعددة الاسم الكامل لهذا الممول.

(٢٣٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٥٢، ١ جمادى الثانية ١٣١٠هـ/ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢م، ص ١؛ محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٥، ص ١٨٦ ـ ١٩٠.

(٢٣٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٨٠، ٢٩ ذو الحجة ١٣١٠هـ/ ١٤ تموز (يوليو) ١٨٩٣م، ص ٢.

(٢٣٦) المصدر نفسه، العدد ١٥٣٧، ١٢ محرم ١٣٢٠هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، ص ١؛ حنا صلاح، «فلسطين»، ص ٩٢.

(٢٣٧) عبد الباسط الأنسي، «دليل بيروت»، ص ٧٩؛ Dowling, *op.cit.*, p. 189.

دمشق ١٠ ساعات، وتبلغ تكلفة السفر بين المدينتين ١٤٢ قرشاً.(٢٣٨)

شجع إنشاء خط حيفا ـ دمشق الحكومة العثمانية على إنشاء خطوط أُخرى. وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م، افتتح الخط بين حيفا وعكا،(٢٣٩) وفي السنة نفسها افتتح فرع لسكة الحديد من حيفا إلى القدس عبر العفولة، كما بدىء تركيب خط سكة الحديد بين حيفا ويافا.(٢٤٠)

عانت حركة القطارات في اللواء جراء عدم انتظام مواعيد السفر وارتفاع أجور النقل. فذكرت صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م أن عادل بك، مدير سكة حديد الحجاز، أمر بتغيير مواعيد السفر بالقطارات بين حيفا وعكا، فأصبحت القطارات تسير ثلاث مرات يومياً بين البلدتين.(٢٤١) وفي شهر ذي الحجة ١٣٣١هـ/تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، قرر عادل بك خفض أجرة السفر بين حيفا وعكا، فبعد أن كانت الأجرة في الدرجة الثانية خمسة قروش وثلاثين بارة في الذهاب أصبحت أربعة قروش عن الذهاب وستة قروش عن الذهاب والإياب في اليوم نفسه.(٢٤٢)

كما أدى إنشاء سكة الحديد إلى خفض تكاليف السفر بالعربات وحدّ من التنقل بها لأن الفارق في أجور السفر بينهما كان كبيراً، فأجرة السفر بالعربات بين حيفا وعكا كانت بين ٥٠ و٧٥ قرشاً.(٢٤٣) كما ساهمت خطوط سكة الحديد في تطور المناطق التي تمر بها وإعمارها، فأقامت الإدارة مطعماً ومستودعاً لتصليح القطارات، ومساكن لمهندسي سكة الحديد في قرية سمخ على شاطىء بحيرة طبرية.(٢٤٤)

---

(٢٣٨) Baedeker, *op.cit.*, p. 239؛ إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣، ١٠٣.

(٢٣٩) صحيفة «القبس»، العدد ١٦، ١٦ ذو القعدة ١٣٣١هـ/١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م، ص ١؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣، ٢٨٤؛
Dowling, *op.cit.*, pp. 189, 190.

(٢٤٠) Baedeker, *op.cit.*, p. 235.

(٢٤١) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٣٩٤، ١٢ صفر ١٣٣١هـ/٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م، ص ٢.

(٢٤٢) صحيفة «القبس»، العدد ٤٥، ٢٧ ذو الحجة ١٣٣١هـ/٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، ص ٢، ٣.

(٢٤٣) المصدر نفسه؛
Baedeker, *op.cit.*, p. 230.

(٢٤٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ١٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

كما أصبحت قرية العفولة ملتقى خطوط سكة الحديد بين كل من حيفا ودمشق، وبين حيفا وكل من جنين والقدس ونابلس.(٢٤٥) فاستقر بها عدد من الموظفين، منهم أحمد أنيس بن محمد توفيق المستخدم في الخط الحجازي ومعاون مأمور التلغراف في محطة العفولة،(٢٤٦) وموسى بن سليم المستخدم في سكة حديد العفولة.(٢٤٧)

كان لخط سكة حديد حيفا ـ دمشق نتائج مهمة بالنسبة إلى حيفا نفسها التي اتصلت بكل من دمشق وحوران، وأصبحت ميناء التصدير والاستيراد لكل ما تحتاج إليه هذه المناطق من أوروبا، بدلاً من بيروت، فاتسعت المدينة في تجارتها وازدادت وارداتها المالية. كما أقامت سكة حديد الحجاز معامل تابعة لها في حيفا واستوردت ما تحتاج إليه من أدوات وعربات وفحم عن طريق مينائها مباشرة.(٢٤٨)

وشجع إنشاء سكة حديد حيفا ـ دمشق على الهجرة إلى حيفا والإقامة بها، ذلك بأن إنشاءها وفر فرص العمل لعشرات من الموظفين والعمال والمهندسين الذين استقروا بالمدينة، فازداد عدد سكانها.(٢٤٩) وأشارت السجلات الشرعية إلى توفيق بن شعبان من أهالي ولاية سيواس المستخدم في الخط الحجازي العالي في حيفا، وإلى محمود عزمي الكاتب في الخط الحجازي العالي في حيفا وهو من أهالي الآستانة، وإلى حمزة بن معشوق الجركسي من أهالي القنيطرة المستخدم في سكة الحديد.(٢٥٠)

كما ساهمت سكة حديد حيفا ـ دمشق في زيادة النشاط الاقتصادي من خلال تعاقدها مع عدد من المتعهدين لإمداد السكة بالمواد الكثيرة التي تحتاج إليها،

---

(٢٤٥) زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ ـ ٢٥.

(٢٤٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٣٧، ن ١٠٤١، ٢٨ محرم ١٣٣٣هـ/١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٤م.

(٢٤٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٦، ن ٨٩٩، من دون تاريخ؛
E. J., Vol. 2, p. 339.

(٢٤٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٠٩، ٢١ رجب ١٣١٠هـ/٨ شباط (فبراير) ١٨٩٣م، ص ٢؛ سليم سلام، «مذكرات سليم علي سلام»، ص ١٩١؛
Hand Book, p. 494.

(٢٤٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٨، ن ٨١١، ٢٣ ذو القعدة ١٣٣٢هـ/١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٤م.

(٢٥٠) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٦٥، ٦٦، ن ٢١٧، ٧ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ/٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م.

فتعاقدت، مثلاً، مع نصر الله بن سليم الخوري لإمدادها بالحطب (الفحم النباتي) الذي تحتاج إليه لتسيِّر قطاراتها البخارية.(٢٥١)

د) المواصلات البحرية

استُخدمت السفن في التنقل بين موانىء اللواء، مثل عكا وحيفا والطنطورة وعتليت، وبين غيرها من الموانىء كبيروت والإسكندرية ودمياط وإستنبول ويافا، فكان الانتقال من عكا إلى حيفا بحراً يستغرق من ساعة إلى ساعة ونصف ساعة وفقاً لحركة الرياح واتجاهها.(٢٥٢)

كما ارتبط لواء عكا بعدد من الخطوط الملاحية التي تصله بموانىء الدول الأوروبية، فكانت شركة البواخر النمساوية لويد (Loyd) تصل إلى حيفا مرة كل أسبوعين،(٢٥٣) وتصل السفن البخارية المصرية والسفن النمساوية إلى حيفا مرة كل أسبوع، والسفن الفرنسية مرة كل أسبوعين، وكذلك السفن الإيطالية القادمة من يافا.(٢٥٤) وكانت حيفا تستقبل سفينة من بور سعيد كل يومين، ومركباً من كل من يافا وبيروت كل ست ساعات.(٢٥٥) كما سُيِّرت البواخر الروسية إلى حيفا مرة كل خمسة عشر يوماً.(٢٥٦)

وارتبطت عكا بخطوط ملاحية مع بيروت ودمياط، فأشارت صحيفة «البشير» إلى السفينة شقلوا التي غرقت بينما كانت متوجهة من بيروت إلى عكا،(٢٥٧) وإلى سفينة سليم الحجازي الشراعية التي غادرت عكا قاصدة دمياط.(٢٥٨)

كما سُيِّرت القوارب في بحيرة طبرية لنقل ركاب القطارات القادمة إلى سمخ. فذكرت صحيفة «فلسطين» سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م أن قوارب بحرية تستقبل المسافرين

(٢٥١) س ح، ش ١، س ١، ص ١٢٣، ن ١٨٨، ٤ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦م.

(٢٥٢) Baedeker, *op.cit.*, p. 233.

(٢٥٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 283.

(٢٥٤) Baedeker, *op.cit.*, p. 229؛ الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

(٢٥٥) *Hand Book*, p. 294; Arthur Ruppin, *Syrien*, pp. 467-470; الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

(٢٥٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٩٥، ١٨ محرم ١٣٢٥هـ/٣ آذار (مارس) ١٩٠٧م، ص ٢.

(٢٥٧) المصدر نفسه، العدد ٩٩١، ١٧ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م، ص ٢.

(٢٥٨) المصدر نفسه، العدد ١٧٢٧، ١٥ رمضان ١٣٢٣هـ/١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥م، ص ٣.

من حيفا إلى سمخ يومي الثلاثاء والخميس، وتنقلهم إلى طبرية وإلى الطابغة في أقصى شمال البحيرة ومنها يتوجه المسافرون إلى صفد.(٢٥٩)

وقد دفع تطور حركة الملاحة البحرية وازدياد حركة السفن في موانىء اللواء الدولة العثمانية إلى محاولة تطوير ميناءي حيفا وعكا. وفي سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م، قامت الحكومة الروسية ببناء مرسى في ميناء حيفا بلغ طوله ٣٠ متراً وبلغت تكلفته ٣ آلاف جنيه استرليني (٣٤٠٠ قرش).(٢٦٠) وفي سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، أنشأت الحكومة العثمانية، بإشراف المهندس الألماني شوماخر، مرسى في حيفا قبالة الكولونية الألمانية لتسهيل نزول الإمبراطور الألماني إلى المدينة. وبلغ طول المرسى خمسة وسبعين متراً وعرضه ستة أمتار وارتفاعه عن الماء متراً ونصف متر، وهو مثبت على أعمدة حديدية ويضاء ليلاً بعشرة مصابيح.(٢٦١)

وعلى الرغم من إنشاء هذين المرسيين، فإنهما بقيا عاجزين عن استيعاب ازدياد حركة السفن في الميناء، الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى التفاوض مع شركات فرنسية في محاولة لإصلاح ميناءي عكا وحيفا.(٢٦٢)

هـ) البريد والبرق

وضعت الدولة العثمانية نظام البرق (التلغراف) والبريد في ١٧ رمضان ١٢٧٥هـ/٢٠ نيسان (أبريل) ١٨٥٨م.(٢٦٣) وبموجب هذا النظام أنشأت مراكز للبريد والبرق في عدد من مدن اللواء وفي بعض القرى الكبرى. ففي سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، مُدّ خط تلغرافي بين صفد وطبرية، وفتحت مكاتب في المدينتين.(٢٦٤) وفي سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، فتح مكتب للتلغراف في الناصرة،(٢٦٥) كما فتحت

(٢٥٩) صحيفة «فلسطين»، العدد ٢٨٨، ١٣ ذو الحجة ١٣٣١هـ/١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، ص ٢.

(٢٦٠) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠.

(٢٦١) الأسود، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ص ١١١، ١١٢.

(٢٦٢) صحيفة «فلسطين»، العدد ٢٨٨، ١٣ ذو الحجة ١٣٣١هـ/١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، ص ٢.

(٢٦٣) نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ٢، ص ٢٧٠ ـ ٢٨٣، ٣٠٤ ـ ٣٢٦.

(٢٦٤) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩١٢، ٩ رجب ١٣٠٠هـ/١٦ أيار (مايو) ١٨٨٣م، ص ٢.

(٢٦٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١؛ إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

مكاتب في عكا وحيفا وسمخ والعفولة وشفا عمرو.(٢٦٦)

وافتتحت الدولة مراكز للبريد أيضاً، ففُتح مكتب البريد العثماني في عكا سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، وفي طبرية سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وفي حيفا سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وفي الناصرة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، وفي صفد سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م.(٢٦٧)

كما سمحت الدولة لمؤسسات البريد والتلغراف الأجنبية بفتح مكاتب لها في مدن اللواء، فكان هناك مكتب للتلغراف الدولي في كل من صفد وطبرية وحيفا، ومكتب للبريد النمساوي وللبريد الفرنسي وللبريد المصري في حيفا.(٢٦٨)

سابعاً: الأماكن الدينية

أ) المساجد

اهتم ولاة الدولة العثمانية وموظفوها بإقامة المساجد في اللواء، كما أقام السكان الأثرياء المساجد في المدن والقرى على نفقتهم الخاصة. فقد بقيت الناصرة خالية من المساجد حتى سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، وكان المسلمون يصلّون في بيت من بيوت ظاهر العمر في المدينة. وعندما زارها علي باشا، كتخدا سليمان باشا، سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، وجد أن المسلمين لا مسجد لهم، فأمر ببناء الجامع المعروف بالجامع الأبيض، وأوقف عليه كرماً للزيتون، وبنى الخان المعروف بخان الباشا وأوقفه على المسجد المذكور.(٢٦٩) وبقيت الناصرة تضم مسجداً واحداً حتى أواخر العصر العثماني.

كما لم يكن في حيفا مساجد حتى سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، عندما أمر حسن باشا الجزايرلي، الذي كلفته الدولة العثمانية القضاء على ظاهر العمر، ببناء جامع النصر في المحلة الغربية في حيفا، وأوقف عليه الأوقاف من دور

(٢٦٦) كرد علي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢٦٧) إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ٢١، ٢٢، ٧٩، ٨٠.

(٢٦٨) صحيفة «البشير»، العدد ١١٢٨، ٢ ذو الحجة ١٣١١هـ/ ٦ حزيران (يونيو) ١٨٩٤م، ص ٣؛
Baedeker, *op.cit.*, p. 229;
إسطفان، مصدر سبق ذكره، ص ١١١.

(٢٦٩) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩ ـ ١٩٥، ٢٥٣ ـ ٢٥٨؛ مشاقة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦، ٣٧؛ توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤٢؛ سجلات أوقاف عكا، ش ٣، س ١، ص ١ ـ ١٠؛ المصدر نفسه، ش ٣، س ٥، ص ١ ـ ١٥.

وأراض.(٢٧٠) وقد عرف بالجامع الغربي لوقوعه في المحلة الغربية.(٢٧١)

ثم شُيِّد مسجد ثان(٢٧٢) في حيفا، إذ أشار بيدكر، سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، إلى وجود مسجدين في حيفا.(٢٧٣) وذكر البحري، سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، أن للمسلمين في حيفا جامعين: الأول يعرف بالجامع الكبير ويقع في وسط المدينة، والثاني يعرف بالجامع الصغير ويقع شرقي الجامع الأول.(٢٧٤)

ضمت صفد أكبر عدد من المساجد التي يعود بعضها إلى العصر المملوكي. ففي سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، شيد الظاهر بيبرس الجامع الأحمر(٢٧٥) في المدينة بعد استعادتها من الفرنجة.(٢٧٦) وفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، شُيّد جامع سيدنا يعقوب (جامع الغار)، وبُني الجامع الجوكنداري في حارة الأكراد في أواخر العصر المملوكي.(٢٧٧)

كما بنيت المساجد في صفد في العصر العثماني، كجامع الشيخ نعمة الذي بناه ياقوت بن عبد الله سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م. وبني أيضاً الجامع اليونسي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. ومن المساجد الأُخرى في صفد جامعا خفاجة والسويقة (جامع

(٢٧٠) حنانيا المنير، «الدر المرصوف»، ص ٢٠؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٠٠، ن ٤٥، ٤ صفر ١٣٠٨هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٠م؛
س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٦٥، ١٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(٢٧١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٧، ن ٢٤٢، ٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

(٢٧٢) لم تشر المصادر المتوفرة إلى السنة التي شُيِّد فيها هذا المسجد.

(٢٧٣) Baedeker, *op.cit.*, p. 230.

(٢٧٤) جميل البحري، «تاريخ حيفا»، ص ١٩، ٢٠.

(٢٧٥) محمود العابدي، «صفد»، ص ٨٦، ٨٧؛
Tshelebi, *op.cit.*, pp. 21-23.

(٢٧٦) ابن عبد الظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٠؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢٧٧) Tshelebi, *op.cit.*, pp. 24-28; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 200;
التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨، ٣٤٩؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦، ٨٧؛
E. J., Vol. 14, pp. 630, 631;
طه الطراونة، «صفد»، ص ٢٥٨ ـ ٢٦١.

الصواوين).[٢٧٨]

أمّا عكا فكان فيها ستة مساجد، منها جامع الجزار الذي بناه أحمد باشا الجزار سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، وهو عبارة عن بناء مربع مع قبة ومئذنة جميلة وساحة محاطة بأشجار النخيل، وفيها قاعة للطلاب. وكانت الساحة مغطاة بصفوف من القبب الدائرية الصغيرة وفيها نافورة من الرخام. كما كانت أرضية المسجد والمنطقة المحيطة به مكسوتين بالرخام الأبيض.[٢٧٩]

ومن جوامع عكا الأُخرى جامع الرمل الذي بناه ظاهر العمر سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وجامع المجادلة الذي بناه علي آغا، كتخذا سليمان باشا. كما بنى سليمان باشا جامع البحر سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م. وأشارت المصادر إلى جامع الزيتون وإلى الزاوية الشاذلية.[٢٨٠]

كان في طبرية جامعان قديمان، يقع الأول في الحارة الشمالية ويسمى الجامع الفوقاني (الجامع الكبير) وكان ظاهر العمر بناه سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، ويقع الجامع الثاني في الحارة الجنوبية على ضفة البحيرة ويسمى جامع الجسر، وجُدد بناؤه سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م.[٢٨١]

---

(٢٧٨) العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦، ٨٧؛
E. J., Vol. 14, pp. 630, 631;
التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨، ٣٤٩؛ سجلات أوقاف عكا، س ١، ص ١ ـ ٤؛ س ٢، ص ١ ـ ٧؛ س ٣، ص ١ ـ ١٢؛ س ١٥، ص ١٥.

(٢٧٩) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 145; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 189, 190; Oliphant, *Haifa*, p. 99;
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٤٤، ن ١٥٧، ٩ شعبان ١٣١١هـ/ ١٥ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

(٢٨٠) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢، ٢٨٨؛ خليل طوطح وحبيب خوري، «فلسطين»، ص ١٦٤؛ متى البوري ويوسف شبل، «عكا»، ص ٣٢؛ محمد الأرناؤوط، «معطيات»، ص ٦٦؛
Tshelebi, *op.cit.*, p. 41.

(٢٨١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢؛
Baedeker, *op.cit.*, pp. 254, 255; M. Milwright Berine & E.J. Simpson, «Muslim Building in Tiberias,» *Levant*, Vol. XXIV, 1992, pp. 95, 120;
الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٢.
أطلقت سجلات أوقاف عكا على هذين الجامعين اسم الجامع الزيداني والجامع الظاهري، وهذا يؤكد بناء ظاهر لهما أو قيامه بترميمهما حتى أنهما نسبا إليه وإلى عائلته. أنظر: سجلات أوقاف عكا، ش ٤، س ٣، ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٣٥م.

لم يقتصر وجود المساجد على المدن فقط، بل أنشئت في القرى أيضاً، فكان للمسلمين مسجد صغير في قرية تمرة،[٢٨٢] وآخر في قرية عسفيا.[٢٨٣] ويشتمل الأخير على حرم، ومصلى شتوي، وصحن، وفسحة سماوية، ومصلى صيفي، وأربع غرف معدة لمن يقيم بها من فقراء المسلمين.[٢٨٤]

وضم بعض القرى الكبيرة مسجدين أو أكثر في وقت واحد، فكان في ترشيحا مسجدان، مسجد كبير وآخر صغير سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م.[٢٨٥] ثم أصبح هناك ثلاثة مساجد في مطلع القرن العشرين، وبنى عبد الله باشا أكبر هذه المساجد.[٢٨٦] بالإضافة إلى ذلك كان هناك مسجدان في قرية الدامون،[٢٨٧] ومسجدان في قرية شعب،[٢٨٨] ومسجدان في قرية الطيرة، يعرف أحدهما بمسجد الأربعين (الجامع الشمالي) ويعرف الآخر باسم الجامع القبلي.[٢٨٩]

كما اهتم ولاة الدولة العثمانية والأثرياء من سكان اللواء ببناء المساجد في القرى، فبنى سعد بن ظاهر العمر مسجداً في دير حنا،[٢٩٠] وبنى الحاج يوسف أحد أفراد عائلة الزيادنة مسجداً في قرية عبلين،[٢٩١] وشيد علي باشا مسجداً سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، في قرية كفرتا القريبة من شفا عمرو بعد أن وجد أن جامع القرية القديم قد انهار،[٢٩٢] بينما شيد سليمان باشا مسجداً في شفا عمرو،[٢٩٣] وشيد الحاج أمين آغا من حيفا جامع الزرغانية في قرية البرج.[٢٩٤]

أمّا في القرى التي لا مساجد فيها فقد استخدم السكان المنازل وبيوت

---

(٢٨٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 272, 273.

(٢٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٥ ـ ٩٦، ن ٢٤، ٧ شوال ١٣٢٥هـ/ ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٢٨٤) المصدر نفسه.

(٢٨٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 145.

(٢٨٦) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤٢.

(٢٨٧) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 270.

(٢٨٨) *Ibid.*, p. 145.

(٢٨٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٤٠، ن ٢٣٨، ٧ رجب ١٢٨٧هـ/ ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٠م؛ أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.

(٢٩٠) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨١.

(٢٩١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 269.

(٢٩٢) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٢٩٣) ناجي حبيب مخول، «عكا وقراها»، ص ١٠.

(٢٩٤) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٩٤، من دون نمرة، من دون تاريخ.

الضيافة مساجد يصلّون فيها.[(٢٩٥)]

ويبين الجدول التالي عدد المساجد في لواء عكا سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م:[(٢٩٦)]

الجدول رقم ٤ ـ ٢

المدينة/ القرية	عدد المساجد
صفد	٣
عكا	٢
حيفا	١
طبرية	٢
الناصرة	١
ترشيحا	١
الزيب	١
المجموع	١١

ووفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ارتفع عدد المساجد في اللواء إلى ٦٤ مسجداً موزعة على النحو التالي:[(٢٩٧)]

الجدول رقم ٤ ـ ٣

القضاء	عدد المساجد
عكا	١٣
حيفا	١٥
الناصرة	١٠
طبرية	١
صفد	٢٥
المجموع	٦٤

(٢٩٥) Hand Book, pp. 512, 513.

(٢٩٦) Smith Robinson & Others, *Latter Biblical*, p. 630.

(٢٩٧) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٣١، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٥.

وتظهر المقارنة بين الجدولين ازدياد عدد المساجد في اللواء بصورة كبيرة، ويعود ذلك إلى اهتمام الدولة العثمانية وولاتها، وإلى اهتمام السكان أيضاً، بإنشاء المساجد الجديدة، وبتعمير المساجد القديمة لمواجهة النشاط التبشيري المتمثل في إنشاء الأديرة والكنائس في مختلف مناطق اللواء.

كما ضم اللواء الزوايا والمقامات والمزارات في المدن والقرى، والتي كان يُعتقد أنها تحوي قبوراً لبعض الأولياء والصالحين. ومن المقامات في الناصرة مقام شهاب الدين، ومقام عبد الصمد، ومقام الشيخ عامر، ومقام النبي سعين،[(٢٩٨)] ومزار الصديق سمعان.[(٢٩٩)] ويوجد في حيفا مقام الخضر،[(٣٠٠)] ومقام السيدة سكينة في المحلة الغربية،[(٣٠١)] وضريح ولي الله الشيخ عيسى.[(٣٠٢)]

أمّا في عكا فيوجد مقام النبي صالح، ومقام أبو عنبة، ومقام الشيخ يونس،[(٣٠٣)] بالإضافة إلى الزاوية الشاذلية وفيها قبر مؤسس الطريقة الشيخ نور الدين اليشرطي المتوفى سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.[(٣٠٤)]

وقد عرف من المقامات والزوايا في صفد زاوية الشيخ العثماني التي تضم قبر منشىء الزاوية الشيخ العثماني قاضي صفد الشافعي المتوفى سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، وزاوية الشيخ شمس، وهو شيخ الربوة الدمشقي محمد بن أبي طالب الأنصاري (٦٥٥ ـ ٧٢٧هـ/ ١٢٥٦ ـ ١٣٢٦م)، وزاوية الشيخ عمار، وزاوية الشيخ أبي الريش، وزاوية بنات حامد وفيها ضريح موسى بن أقطاي المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م وضريح زوجته وهي إحدى بنات حامد الدرويش من أهالي

(٢٩٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧ ـ ١٩٠؛
Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 241.

(٢٩٩) سجلات أوقاف عكا، ش ٤، س ٣، ص ١٠٣ ـ ١٥٠؛ حنا سمارة، «الناصرة»، ص ٣١.

(٣٠٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤٧، ن ٢٠٤، ٨ محرم ١٣٢٤هـ/ ٤ آذار (مارس) ١٩٠٦م.

(٣٠١) كامل العسلي، «تراث فلسطين»، ص ٨٢؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١١، ١١٢؛ القاياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩، ١١٠.

(٣٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٧٨، ن ١، ٥ رجب ١٣٠٧هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٩٠م.

(٣٠٣) الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١١، ١١٢؛
Tshelebi, *op.cit.*, pp. 42, 43;
النابلسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣٠٤) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥؛
Bernard Lewis, «Safed,» *BSOAS*, Vol. XV, Part 1, 1935, p. 481.

صفد.[٣٠٥]

كما وجدت المقامات في القرى ومنها: مقام سيدنا شعيب في قرية حطين،[٣٠٦] ومقام الشيخ براق ومقام الشيخ خليل في قرية الطيرة،[٣٠٧] وزاوية الشيخ سعيد الكوكباني وزاوية العائلة الهيجاوية في عين حوض.[٣٠٨] وضم بعض القرى أكثر من مقام.[٣٠٩] كما أن المقام الواحد كان يشار إلى وجوده في أكثر من مكان، فأشارت المصادر إلى مقام السيدة سكينة في طبرية وفي حيفا أيضاً.[٣١٠] وكان المقام الواحد مشتركاً بين عدد من الطوائف الدينية، إذ إن مقام الخضر في حيفا كان مشتركاً بين المسلمين واليهود والمسيحيين،[٣١١] ومقام النبي شعيب في حطين كان مشتركاً بين المسلمين والدروز.[٣١٢]

وكان الناس يقصدون هذه المقامات والزوايا للزيارة والتبريك وطلب الشفاعة، ولذلك كانت تضم أماكن مخصصة لمبيت الزوار ولإقامتهم بها. فكان يوجد في زاوية مقام الخضر، عليه السلام، محلات أقامها أرباب الخير معدة لمبيت ولإقامة الزائرين من الرجال والنساء وأبناء السبيل.[٣١٣]

خصص بناة المساجد الأراضي والدور والخانات والمخازن والدكاكين للإنفاق عليها وعلى الأئمة والمؤذنين فيها، فذكر العورة: «في عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣م عمّر الوزير سليمان باشا في عكا جامع البحر ورتب له خدمة وإمامية ومؤذنين ومدرسين

(٣٠٥) سجلات أوقاف عكا، ش ٤، س ٣، ص ٦ ـ ١١؛ «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الأول، ج ٢، ص ٣٨٣، ٣٨٤؛ طه ثلجي، «صفد»، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣٠٦) الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٣؛ Lewis, *op.cit.*, p. 483.

(٣٠٧) أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.

(٣٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٨١، ٢٩ ربيع الأول ١٣٢١هـ/٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٠٣م.

(٣٠٩) سجلات أوقاف عكا، ش ٤، س ٣، ص ١٠٢ ـ ١٠٥.

(٣١٠) القاياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩، ١١٠؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١١، ١١٢؛ العسلي، مصدر سبق ذكره، ص ١١١، ١١٢.

(٣١١) يعتقد المسلمون أنه مقام الملاك جبرائيل، بينما يعتقد اليهود أنه مدرسة الأنبياء، ويعتقد المسيحيون أنه مدرسة النبي إيليا. أنظر: البحري، مصدر سبق ذكره، ص ١٩، ٢٠.

(٣١٢) Lewis, *op.cit.*, p. 483; J. Ben-Zvi, «Druze Community in Israel,» *IEJ*, Vol. 4, 1954, p. 69.

(٣١٣) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٥٠، ن ٢٠٨، ١٧ محرم ١٣٢٣هـ/٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٥م.

ورتب لهم معاشات كفاية والمصروف الذي يلزم له ينصرف من خزينته.»[٣١٤] وقد خصصت الأوقاف لمسجد عسفيا وكانت تشمل ٣٦٠ عرق زيتون، وكرمين للعنب، وحصة قدرها سبعة قراريط ونصف قيراط في المعصرة المعدة لعصر الزيتون في عسفيا. وعُيّن سليمان بن أبي تيمية من عسفيا وكيلاً على هذه الأوقاف.[٣١٥]

كما خصصت الأوقاف لمسجد الناصرة (الجامع الأبيض)، وتشمل داراً وستة دكاكين. وكان دخل الجامع سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م نحو ٧٠٠٠ قرش.[٣١٦]

وأوقف الحاج أمين آغا ثلاث قطع أراض على مسجد الزرغانية في قرية البرج، وعيّن الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ قاسم بن الشيخ محمد الدرويش متولياً وناظراً على أوقاف المسجد.[٣١٧] كما أوقفت المخازن والدكاكين في طبرية على جامعيها العمري والزيداني.[٣١٨]

تباينت شروط هذه الأوقاف من حالة إلى أُخرى، فذكر الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الحي بن محمود الخطيب، «أن أهل الخير والصلاح المعروفين كانوا قبلاً وقفوا وحبسوا أملاكاً وعقارات بحيفا على الجامع الكبير بها وعلى الشيخ محمود الخطيب وهذه الأملاك معروفة المواقع والحدود معرفة تغني عن التحديد والوصف وشرطوا لهذا الوقف شروطاً منها أن يبدأ أولاً بتعمير أماكن الوقف وترميمها بما فيه بقاؤها وتعمير الجامع الكبير وترميمه وما فيه بقاء عينه من ريع الأوقاف المذكورة، وما بقي يصرف على الموظفين في الجامع المذكور من أئمة وخدم ومؤذنين وتنويرات ومفروشات وما بقي بعد ذلك من ريعها يوزع على الشيخ محمود المذكور ومن بعده على أولاده وأولاد أولاده وهلم جرا. ومن الشروط أن تكون التولية للشيخ محمود المذكور على هذه الأوقاف والجامع ومن بعده على أولاده وأولاد أولاده.»[٣١٩]

(٣١٤) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨.

(٣١٥) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٥، ٩٦، ن ٢٤، ٧ شوال ١٣٢٥هـ/١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٣١٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦، ١٨٧. أنظر فيما يتعلق بأوقاف هذا المسجد: سجلات أوقاف عكا، ش ٣، س ١ ـ ٦.

(٣١٧) س ح، ش ١٦٢، س ٤، ص ٩٤، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(٣١٨) سجلات أوقاف عكا، ش ٣، س ١ ـ ٥ (هذه السجلات خاصة بأوقاف الجامع العمري)؛ المصدر نفسه، ش ٣، س ٦ ـ ١٣ (خاصة بأوقاف الجامع الزيداني).

(٣١٩) س ح، ش ١٦٢، س ٧، ص ١١٣، من دون نمرة، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/٢٦ شباط (فبراير) ١٩١٩م.

وأوقفت فاطمة بنت أحمد زوجة علي بن جركس بن سليمان من سكان قرية الغابة ناحية قيسارية، الدارين، والبستان، والكرم، والأربعة حواصل في قيسارية على جامع قيسارية. واشتُرط أن ينفق ريع هذه الأوقاف على الأماكن الموقوفة، وعلى صاحبة الوقف طوال حياتها، وبعد وفاتها يوزع حصصاً تنفق على إطعام الفقراء والمحتاجين وعلى الجامع الشريف في قيسارية. «وقد اشترطت الموقفة المومى إليها أن يبدأ من ريعه وغلته بعمارته وما يحتاج إليه من إصلاح وترميم وتحسين وخلاف ذلك من لوازماته وبقاء عيشه على حالته ثم ما يفضل عن ذلك من ريعه فيصرف على الموقفة المومى إليها مدة حياتها لا يشاركها فيه مشاركة ومن بعد وفاتها يقسم هذا الريع الفاضل على العمار واللوازم المذكورة على أربع وعشرين حصة منها خمس حصص تصرف على أعمال الخيرات والميرات وهي قراءة ختمين شريفين قرآن عظيم ومولدين نبويين شريفين وتقديم الطعام للفقراء والمساكين والذي يفضل عن ذلك من الخمس حصص المذكورات فيصرف على مصالح الجامع الشريف الكائن في قيسارية.»[٣٢٠]

وعلى الرغم من ذلك أصبحت المساجد في المدن والقرى عرضة للإهمال والخراب نتيجة عدم الاعتناء بها باستمرار، لأن القائمين عليها كانوا يستولون على ما تنتجه لأنفسهم، ولأن الأوقاف المخصصة للإنفاق عليها كانت عرضة للإهمال. وقد شكا الشيخ عبد الواحد أفندي ابن الشيخ محمود الخطيب، إمام وخطيب جامع النصر في حيفا، ناصر وجريس ابني يعقوب قطران «أن من جملة أوقاف المسجد كامل الأربع قطع أراض المشهورة والمعروفة الواقعة في حيفا الواضع يده عليها ناصر وجريس ابنا يعقوب قطران من حيفا وقد رتب عليهما لجانب المسجد المذكور مبلغ ٢٥٠ قرشاً سنوياً ولكنهما تأخرا عن الدفع وتراكم عليهما لحساب المسجد ستة آلاف قرش ولذلك فإنه يطالبهما بدفع المبلغ المترتب عليهما.»[٣٢١] وهذا يعني أنهما تأخرا عن دفع المبلغ المتفق عليه مدة ٢٤ عاماً.

وذكر محمد سليم أفندي، مدير ناحية شفا عمرو: «لمّا طفت في قرى الناحية فدخلت في إحدى قراها المسماة عبلين وفيها من بعض الآثار جامع من أهم المواقع جمالاً محكم الوضع بديع الصناعة مع نفاسة البناء وحسن المنظر لكنه

(٣٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠، ن ٧، ٨ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/٢ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

(٣٢١) س ح، ش ١٦٢، س ٣، ص ٥٩، من دون نمرة، من دون تاريخ.

في يومنا هذا كالثوب الخرب البالي وما فيه سوى منارة باقية.»[٣٢٢]

ب) الكنائس والأديرة

انتشرت الكنائس والأديرة في اللواء انتشاراً كبيراً قياساً بالمساجد، على الرغم من أن المسلمين يشكلون أغلبية السكان. ويعود ذلك إلى تعدد الطوائف المسيحية المحلية، وإلى اهتمامها بإنشاء الكنائس الخاصة بها، بالإضافة إلى اهتمام الإرساليات التبشيرية الغربية بإنشاء الكنائس والأديرة. فذكر البحري في كتابه عن حيفا: «... أمّا المسيحيون فلكل طائفة كنيستها الرعوية بإدارة كهنتها وقسسها وهي مركز مطرانية لطائفة الروم الكاثوليك... وكذلك لكل دير من أديرة الرهبانيات المتعددة كنيسة تقام فيها فروض الديانة.»[٣٢٣]

١ ـ كنائس البروتستانت:

أقام البروتستانت عدداً من الكنائس في اللواء بعد أن اعترفت الدولة العثمانية بالمذهب البروتستانتي سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م كأحد المذاهب المسيحية الرسمية في الدولة العثمانية.[٣٢٤] وفي سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، بدىء بناء كنيسة المخلص في الناصرة، بعد أن أصدر السلطان عبد العزيز فرماناً سمح للبروتستانت فيه ببناء الكنيسة، وجاء فيه: «دستور مكرم... والي إيالة سوريا وزيري محمد رشدي باشا... وفخر الأحرار الكرام... عبد العزيز باشا مير ميران الكرام قائمقام سنجق عكا دام اقباله وقدوة العلماء المحققين قاضي ومفتي قضاء الناصرة وأعضاء المجالس زيد قدرهم بوصول توقيعي الرفيع الملوكاني ليصير معلومكم بأن مطران ملة البروتستانت بالقدس الشريف استدعى مساعدتي السنية لإصدار رخصة ملوكانية في بناء وإنشاء كنيسة مجددة لملة البروتستانت الذين من تبعة ملوكانيتي المتوطنين بقضاء الناصرة والقرى المجاورة لعدم وجود معبد لهم...»[٣٢٥]

شُرع في بناء الكنيسة سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، فكانت أول كنيسة بروتستانتية

(٣٢٢) سليم أفندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٨.

(٣٢٣) البحري، مصدر سبق ذكره، ص ١٩، ٢٠.

(٣٢٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥؛
Newton, *op.cit.*, pp. 30, 31; *J.A.O.S*, Vol. 3, pp. 218, 219; *Ibid.*, Vol. 4, pp. 444, 445.

(٣٢٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩.

في اللواء.(٣٢٦) كما شيد البروتستانت كنيسة في صفد،(٣٢٧) وأُخرى في طبرية بنيت سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م،(٣٢٨) وكنيسة في حيفا بنيت سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م،(٣٢٩) وكان لهم كنيسة في شفا عمرو.(٣٣٠)

٢ ـ كنائس اللاتين:

كان للاتين خمس كنائس في الناصرة هي: كنيسة مار يوسف التي هدمت في زلزال سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وأعيد بناؤها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، ثم أعيد بناؤها من جديد سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م؛(٣٣١) كنيسة المطران التي بنيت سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م؛(٣٣٢) كنيسة البلاطة التي شيدت سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م وجدد بناؤها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م على نفقة أخوية القبر المقدس؛(٣٣٣) كنيسة سيدة الرجفة التي أقيمت سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م بتمويل من بعض المحسنين الإيطاليين؛(٣٣٤) كنيسة يسوع الشاب التي كانت معبداً صغيراً بدىء بتحويله إلى كنيسة سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م،(٣٣٥) وأشرف على بنائها داود رعني من الناصرة،

---

(٣٢٦) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٣٢٧) كرد علي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ٢٠؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 199;
صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٥، ١٤ ربيع الأول ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٣.

(٣٢٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Baedeker, *op.cit.*, pp. 254, 255.

(٣٢٩) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 282; Dowling, *op.cit.*, p. 191.

(٣٣٠) بطرس البستاني، «دائرة المعارف»، مادة «شفا عمرو»، ج ٥، ص ٤٩٨.

(٣٣١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 277, 278; Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 240;
منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦ ـ ١٣٩.

(٣٣٢) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦ ـ ١٣٩.

(٣٣٣) تأسست هذه الإرسالية في مدينة كولون الألمانية سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، بهدف دعم المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية في فلسطين. أنظر: علي محافظة، «العلاقات»، ص ٧٤، ٧٥؛ نجيب ساعاتي، «الجمعيات الفلسطينية»، «مجلة النعمة»، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، نشرها محمود العابدي في كتابه، «أوابد من التاريخ» (عمان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)، ص ١١٤؛
Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 240; Baedeker, *op.cit.*, p. 248;
منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣، ١٤١.

(٣٣٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.

(٣٣٥) المصدر نفسه، ص ١٤٨؛
Arther Stanly, *Sinai and Palestine*, pp. 440-450.

وشُيدت على نفقة المتبرعَين الفرنسيين(٣٣٦) فوش دو سرفيّي (Foache de Cervilly) وماكس كارون (Max Caron). كما كان للاتين كنيسة مار يوحنا في عكا.(٣٣٧)

٣ ـ كنائس الروم الأورثوذكس:

كان للروم الأورثوذكس ثلاث كنائس في الناصرة منها: كنيسة البشارة التي بنيت سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م، وانهارت نتيجة الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، ثم أعيد بناؤها سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م؛(٣٣٨) كنيسة المطرانخانة التي أقيمت سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م؛(٣٣٩) كنيسة القفزة التي شيدت على نفقة سيدة روسية خصصت لها نفقة سنوية تبلغ ٣٠٠٠ قرش.(٣٤٠)

كما كان للروم الأورثوذكس كنيسة سان جون في عكا التي أقيمت سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وأُحضرت المواد الرخامية اللازمة لبنائها من إيطاليا.(٣٤١) هذا بالإضافة إلى كنيسة في طبرية شيدت سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.(٣٤٢) ولم تشر المصادر إلى وجود كنيسة للأورثوذكس في حيفا، على الرغم من أن مطران الأورثوذكس فيها قدم التماساً إلى إبراهيم باشا طلب منه السماح ببناء كنيسة لهم في حيفا. وقد أصدر إبراهيم باشا أمراً للأورثوذكس بشراء قطعة الأرض اللازمة لبناء الكنيسة.(٣٤٣)

---

(٣٣٦) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦١ ـ ٩٦٤.

(٣٣٧) سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١؛ صحيفة «البشير»، العدد ٣٩٧، ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٥هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٨٧٨م، ص ٢؛ المصدر نفسه، العدد ١٠٥٥، ١١ شعبان ١٣٠٩هـ/ ١١ آذار (مارس) ١٨٩٢م، ص ١.

(٣٣٨) Ritter, *op.cit.*, Vol. 4, p. 371; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 275, 276; Baedeker, *op.cit.*, pp. 247-249; Gera Gerson, *Church of the Holy Land*, p. 73;
منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨ ـ ١٦٣.

(٣٣٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤؛
Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 240; Dunning, *op.cit.*, p. 149.

(٣٤٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥؛
Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 240.

(٣٤١) البوري وشبل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛
Gerson, *op.cit.*, pp. 55, 56.

(٣٤٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Baedeker, *op.cit.*, p. 252.

(٣٤٣) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٤، ١٣.

٤ ـ كنائس الروم الكاثوليك:

كان للكاثوليك كنيستان في الناصرة هما: كنيسة العذراء التي بناها الأسقف يوسف دوماني سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، وكنيسة المجمع التي شُيدت سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م.[٣٤٤] كما كان لهم كنيسة في عكا في محلة الفاخورة بنيت سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، وأعيد ترميمها سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. فذكر العورة: «في سنة ١٢٢٦هـ قدم طائفة الكاثوليك بعكا أعراض إلى سليمان باشا التمسوا الإذن بترميم وقصارة كنيستهم التي في عكا... بكل جهد وسخاء رمموها وبيضوها. وبعد تتميمها استدعوا القاضي وراجعوا الكشف وأصدر إعلاماً شرعياً بأنها بقيت على هيئتها الأصلية بدون زيادة أو نقصان.»[٣٤٥]

وكان للروم الكاثوليك أيضاً كنيسة[٣٤٦] في صفد،[٣٤٧] وكنيسة سانت بيتر في طبرية يعود بناؤها الأصلي إلى أيام الصليبيين وتم تجديدها سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.[٣٤٨] كما شيد الروم الكاثوليك كنيسة لهم في حيفا سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م.[٣٤٩]

٥ ـ كنائس الموارنة:

كان للموارنة في الناصرة كنيسة مار أنطونيوس التي بنيت سنة ١١٨٨هـ/

---

(٣٤٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨ ـ ١٧٤؛

Stanly, *op.cit.*, pp. 440-450;

سليم قبعين، «الناصرة وطن يسوع»، «مجلة الجامعة»، ج ٥، السنة الثالثة، الإسكندرية، رمضان ١٣١٩هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠١م، ص ٢.

(٣٤٥) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩؛ وانظر أيضاً: توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥٦؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٠٢٧، ٢٨ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٢٦ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م، ص ٣؛

Gerson, *op.cit.*, pp. 53-55.

(٣٤٦) قدم أعيان الروم الكاثوليك في صفد عريضة إلى إبراهيم باشا يسترحمونه أن يأذن لهم في إنشاء كنيسة في صفد. أنظر: رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٠.

(٣٤٧) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 199;

صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٥، ٤ ربيع الأول ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٣.

(٣٤٨) Ritter, *op.cit.*, Vol. 4, pp. 258, 259; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Baedeker, *op.cit.*, p. 252.

(٣٤٩) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤.

١٧٧٤م،[٣٥٠] وكنيسة في عكا أقيمت سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م،[٣٥١] بالإضافة إلى كنيسة في حيفا[٣٥٢] شيدت سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م على نفقة الأخوين سليم وإبراهيم الخوري، فذكرت صحيفة «البشير»: «أقام سليم الخوري وأخوه إبراهيم الخوري كنيسة على اسم لويس العظيم ملك فرنسا من مالهما الخاص وأوقفا لها الأوقاف عندما شاهدا افتقار طائفتهما المارونية إلى كنيسة تقام فيها فروض العبادة.»[٣٥٣]

لم تقتصر إقامة الكنائس على المدن فقط، بل أقيمت أيضاً في القرى التي عاش فيها المسيحيون، فكان للكاثوليك كنيسة في شفا عمرو شيدت سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م،[٣٥٤] وأعيد تجديدها سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م بعد موافقة السلطات العثمانية على عملية التجديد.[٣٥٥] كما كان للاتين كنيسة الرسولين في شفا عمرو،[٣٥٦] وكنيسة أُخرى في كفر كنا.[٣٥٧] وكذلك كان للمسيحيين كنائس في معظم القرى التي يوجدون فيها مثل عبلين وعيلبون ودير حنا والرّامة.[٣٥٨]

---

(٣٥٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦؛

Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 240; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 277.

(٣٥١) البوري وشبل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛

Makhoul, *op.cit.*, pp. 84, 85;

توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥٦.

(٣٥٢) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٤٣، ن ٥٧، ١٧ ربيع الثاني ١٣٢٦هـ/ ١٩ أيار (مايو) ١٩٠٨م؛

Ritter, *op.cit.*, Vol. 4, p. 372.

(٣٥٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١١، ١١ جمادى الثانية ١٣٢١هـ/ ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م، ص ٢.

(٣٥٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 272.

(٣٥٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٤١، ٥ ربيع الثاني ١٣٢٥هـ/ ١٧ أيار (مايو) ١٩٠٧م، ص ٣.

(٣٥٦) المصدر نفسه، العدد ١٦٧٨، ١ شوال ١٣٢٢هـ/ ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٣٥٧) Dunning, *op.cit.*, p. 148.

(٣٥٨) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٤٦٦، ٤٦٧؛ توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧٨ ـ ٨٨١، ٩٦٣، ٩٦٤؛ حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩٠؛

E.B., «Carmelite,» Vol. 2, p. 876; *W.B.E.*, «Carmelite,» Vol. 3, p. 240.

٦ ـ دير الكرمل:

جاء الرهبان الكرمليون إلى جبل الكرمل في أثناء الحروب الصليبية سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م، وخرجوا منه مع انتهاء هذه الحروب إلاّ إنهم عادوا إلى المنطقة سنة ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م وبنوا محلاً وديراً للضيافة على الجبل.[٣٥٩]

وذكر كوندر أن تاريخ دير الكرمل يعود إلى سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م، عندما تلقى الراهب بروسبيرو (Prospero) من دير بيسكاغليكا (Biscaglica) بالقرب من مدينة جنوى الإيطالية أمراً بالانتقال إلى فلسطين لإقامة دير الكرمل، فاشترى أرضاً في محيط كهف اللجية وبنى عليها كنيسة وديراً سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م.[٣٦٠] لكن الدير تعرض للتدمير عدة مرات، فنهب في أثناء قيام ظاهر العمر بنقل مدينة حيفا إلى موقعها الجديد الذي حدده، وفي أثناء حملة محمد بك أبو الذهب على بلاد الشام الجنوبية سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م.[٣٦١]

وعلى الرغم من ذلك فإن الرهبان عادوا إلى الدير، وأعادوا بناءه من جديد. وفي سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، اتخذ نابليون الدير مقراً ومستشفى له ولجنوده. وفي سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، أغلق عبد الله باشا والي عكا الدير، فعاد الرهبان إلى أوروبا إلاّ إنهم عادوا إليه ثانية سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، بعد أن حصلوا على فرمان من الدولة العثمانية يسمح لهم بإعادة بنائه وإحاطته بالأسوار، وتم لهم ذلك بمساعدة السفير الفرنسي في إستنبول ودعمه.[٣٦٢]

مارس الرهبان في الدير الزراعة وتربية المواشي فضلاً عن العبادة؛ فزرعوا العنب والتبغ وربوا الأغنام والأبقار.[٣٦٣] كما كان الدير يمتلك الأراضي الوقف في كل من حيفا وعسفيا.

---

(٣٥٩) «لبنان مباحث علمية واجتماعية»، ج ١، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

(٣٦٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 283, 284; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 173-178;

وانظر أيضاً: Ritter, *op.cit.*, Vol. 4, p. 352; Baedeker, *op.cit.*, pp. 230-235.

(٣٦١) الدمشقي، «تاريخ حوادث الشام»، تاريخ الشام»، ص ٤٨؛ المنير، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥؛ كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧ ـ ١١١.

(٣٦٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 283, 284; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 173-178; Baedeker, *op.cit.*, pp. 230-235; Ritter, *op.cit.*, Vol. 4, pp. 352, 353;

كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥ ـ ١٥٥.

(٣٦٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 283, 284.

ويتكون الدير من ثلاث كنائس صغيرة تحيط به، ويقيم به ١٧ راهباً، وفيه مكتبة ونزل للضيوف.[٣٦٤]

٧ ـ أديرة راهبات الناصرة:

تأسست راهبات الناصرة (Sisters of Nazareth) في فرنسا سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م، في مدينة ليون. وفي سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، انتقلت بعثة منهن إلى الناصرة، فأقمن عدداً من الأديرة: في حيفا سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، وفي الناصرة سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وفي عكا سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، وفي شفا عمرو سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.[٣٦٥]

وعمل في هذه الأديرة بعض الراهبات المحليات. فأشارت السجلات الشرعية إلى الراهبتين عفيفة وأختها منيل ابنتي أندراوس بن يوسف كركبي من شفا عمرو وسكان حيفا، وهما في دير راهبات الناصرة في حيفا.[٣٦٦]

٨ ـ أديرة الفرنسيسكان:

تأسست رهبنة الفرنسيسكان (Franciscans) في أوروبا سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، واهتمت ببناء الأديرة في اللواء. وكان للفرنسيسكان أديرة في طبرية وجبل الطور وقانا والناصرة.[٣٦٧] كما شيدوا ديراً لهم في الناصرة سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م، بعد حصولهم على موافقة الأمير فخر الدين المعنى الثاني.[٣٦٨] وفي سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م، بنوا ديراً في عكا بعد أن سمح فخر الدين المعني الثاني لهم ببناء كنيسة

---

(٣٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٩٩، ن ١٢٨، ٧ رمضان ١٣٢٣هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥م؛

Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 283, 284; Oliphant, *Haifa*, pp. 281-284.

(٣٦٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 362; Baedeker, *op.cit.*, p. 243;

منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ ـ ١٥٢؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥؛ حنا كلداني، «المسيحية المعاصرة»، ص ٢٢٥؛ «لبنان مباحث...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٣٦٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٧٣١، ٢٥ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٩ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(٣٦٧) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 62;

التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥؛ صحيفة «البشير»، العدد ٨٥٧، ٢٢ جمادى الأولى ١٣٠٤هـ/ ١٦ شباط (فبراير) ١٨٨٧م، ص ١.

(٣٦٨) Ritter, *op.cit.*, p. 374; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 275; *E.J.*, Vol. 12, p. 902.

وذير فيها، وقد جُددت الكنيسة سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م.(٣٦٩)

ويعرف دير الفرنسيسكان في الناصرة بالكازانوفا،(٣٧٠) ويشمل كنيسة البشارة للكاثوليك التي شيدت سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م،(٣٧١) ويتلقى مساعدات سنوية من إسبانيا. كما يمتلك بيوتاً، وأراضي تزرع بالحبوب.(٣٧٢) بالإضافة إلى ذلك أنشأ الفرنسيسكان أديرة في حيفا ونين وصفورية ويافا في قضاء الناصرة.(٣٧٣)

٩ ـ أديرة الفرير (إخوة المدارس اليسوعية):

تأسست رهبنة الفرير (Frères) في فرنسا سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، وجاءت راهبات الفرير إلى سورية سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وكان لهن أديرة في الناصرة وحيفا.(٣٧٤)

كذلك اهتمت الرهبانيات الأُخرى بإنشاء الأديرة وخصوصاً في الناصرة، مثل دير تراسنطة الذي تأسس سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ودير راهبات المحبة الذي شيد سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ودير راهبات الكلاريس، ودير راهبات مار يوسف الذي شيد سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، ودير الراهبات الكرمليات الذي أقيم سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.(٣٧٥)

١٠ ـ دير المسكوبية:

شيدت الجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية هذا الدير في الناصرة سنة

(٣٦٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٢٧، ٢٨ رمضان ١٣٠٩هـ/٢٧ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م، ص ٣؛
Baedeker, *op.cit.*, p. 234.

(٣٧٠) Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 241.

(٣٧١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 275; Ritter, *op.cit.*, p. 371;
سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

(٣٧٢) Burckhardt, *op.cit.*, p. 337.

(٣٧٣) صحيفة «البشير»، العدد ٨٥٧، ٢٢ جمادى الأولى ١٣٠٤هـ/١٦ شباط (فبراير) ١٨٨٧م، ص ١؛
Baedeker, *op.cit.*, pp. 230-235;
توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨٦.

(٣٧٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 263; Schumacher «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 241;
«لبنان مباحث...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٤١؛
E.B., «Friar,» Vol. 5, p. 7; *W.B.E.*, «Friar,» Vol. 7, p. 531.

(٣٧٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ ـ ١٥٥؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦؛ محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨؛
Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, p. 24.

١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، وبلغت تكلفته نحو ٥٠,٠٠٠ قرش، وهو عبارة عن بناية محاطة بسور، وتشمل كاتدرائية ومقراً للأسقف وللرهبان ونزلاً ومدرسة أيضاً.(٣٧٦)

ويوضح الجدول التالي عدد الكنائس والأديرة في لواء عكا سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م موزعة بحسب الطوائف الدينية:(٣٧٧)

الجدول رقم ٤ ـ ٤

الطائفة	عدد الكنائس
الأورثوذكس	١٨
الكاثوليك	٢١
الموارنة	٢
اللاتين	٣
البروتستانت	٣
المجموع	٤٧

ويتضح من الجدول أن عدد كنائس الكاثوليك والأورثوذكس هي الأكثر في اللواء، ذلك بأن عدد أفراد الطائفتين مرتفع قياساً بالطوائف المسيحية الأخرى.

أمّا الجدول التالي فيبين عدد الكنائس في اللواء سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م.(٣٧٨) موزعة بحسب أقضية اللواء:

الجدول رقم ٤ ـ ٥

القضاء	عدد الكنائس
عكا	٤٨
حيفا	١٥
الناصرة	٢٠
طبرية	٣
صفد	١٠
المجموع	٩٦

(٣٧٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧؛
L. A. Tibawi, *British Interests in Palestine, 1800-1901*, p. 174.

(٣٧٧) Robinson, *op.cit.*, p. 630.

(٣٧٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ٤٣١، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٥.

وهذا يعني أن عدد الكنائس تضاعف في اللواء خلال أربعين عاماً، ويعود هذا الارتفاع إلى نشاط الطوائف المسيحية المحلية والإرساليات التبشيرية الغربية في إنشاء الكنائس والأديرة.

ويلاحظ من الجدول ارتفاع عدد الكنائس في قضاء عكا، ذلك بأن هناك عدداً كبيراً من قرى القضاء يسكنه مسيحيون، بينما انخفض عدد الكنائس في قضاء الناصرة، على الرغم من اهتمام الطوائف المسيحية بإنشائها هناك، ويعود ذلك إلى انخفاض عدد المسيحيين في قرى القضاء، ووجودهم بصورة مكثفة في مدينة الناصرة نفسها.

كما يلاحظ أن عدداً كبيراً من الكنائس بني في أثناء سيطرة ظاهر العمر على اللواء، ومن المعروف أنه اتبع سياسة متسامحة مع المسيحيين. لكن معظم الأديرة في اللواء أقيم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد شُيِّد بعض هذه الكنائس بتبرعات من أغنياء الطوائف المسيحية المحلية أو بتبرعات قدمها الأثرياء في أوروبا وأميركا. ففي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، شيد سليم الخوري وأخوه إبراهيم كنيسة في حيفا من مالهما الخاص وأوقفا عليها الأوقاف كما ذكر سابقاً.[٣٧٩]

وفي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، تبرع أمير ويلز (الملك إدوارد السابع ملك بريطانيا) في أثناء وجوده في الناصرة بمبلغ ١٠ ليرات إنكليزية (١٣٥٠ قرشاً) للمساعدة في بناء كنيسة المخلص للطائفة البروتستانتية في الناصرة بناء على طلب البروتستانت هناك.[٣٨٠]

كما وقف المسيحيون الأراضي للإنفاق على الكنائس، فأشار أحد السجلات إلى أن حنا بن الياس دلال من الطائفة الكاثوليكية وقف كامل البستان المحتوي على أشجار منوعة وبئر ماء على كنيسة الكاثوليك في حيفا.[٣٨١] كما أوقفت الأراضي على كنيستي الأورثوذكس والكاثوليك في قرية المكر في قضاء عكا.[٣٨٢]

وذكر أسعد منصور أن شتيوي الخليف من طائفة البروتستانت في الناصرة

(٣٧٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١١، ١١ جمادى الثانية ١٣٢١هـ/ ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م، ص ٢.

(٣٨٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧ ـ ١٧٩؛ صحيفة «البشير»، العدد ٢١٣٢، ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٠هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٢.

(٣٨١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٩، ن ١٨٩، ٤ شوال ١٣١١هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م.

(٣٨٢) سجل أراضي قضاء عكا، س ٥٦، ص ٢٣١.

وقف ثلاث دور وأملاكاً أخرى على كنيسة البروتستانت في المدينة.[٣٨٣]

ولم تكن هذه الكنائس والأديرة أماكن للعبادة والرهبنة فقط، بل كانت تضم أيضاً المدارس والملاجىء والمياتم والنزل والمستشفيات لخدمة السكان المحليين.[٣٨٤] فتذكر صحيفة «البشير»، مثلاً، أنه كان في دير راهبات الناصرة في حيفا، وفي سائر أديرتهن في الناصرة وعكا وشفا عمرو، مستوصفات يأتيها المرضى ويتعالجون فيها مجاناً ويأخذون ما يلزمهم من الأدوية.[٣٨٥] وتذكر صحيفة «البشير» في عدد آخر سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، أن الدون بلوني أحد رهبان جمعية دون بوسكر الساليزيان (Salesians) اشترى أرضاً في الناصرة، وشيّد عليها ميتماً وكنيسة، ومدرسة ملحقة بهما.[٣٨٦]

ثامناً: الخانات

شُيّدت الخانات في مدن اللواء، فكان في عكا خمسة خانات هي: خان سنان باشا؛ خان الفرنج الذي بناه فخر الدين المعني الثاني لإقامة التجار الأجانب، ويتكون من طبقتين، تستعمل الطبقة السفلية لخزن البضائع، والطبقة العلوية لإقامة التجار؛ خان العمدان الذي بناه أحمد باشا الجزار سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م؛ بالإضافة إلى خان الشواردة، وخان شاه ورد.[٣٨٧]

وعرف في الناصرة خان الباشا الذي بناه علي باشا سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م وأوقفه على الجامع الأبيض في الناصرة.[٣٨٨] وكذلك خان دار اللحام، وخان الكاثوليك، وخان أبو العسل، وخان البلدية.[٣٨٩]

(٣٨٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.

(٣٨٤) المصدر نفسه، ص ١٥٥، ١٥٦؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 246.

(٣٨٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١١، ٢٩ جمادى الثانية ١٣٢١هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م، ص ٢.

(٣٨٦) المصدر نفسه، العدد ١٦٦١، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ/ ٨ آب (أغسطس) ١٩٠٤م، ص ٤.

(٣٨٧) أحمد حيدر الشهابي، «تاريخ أحمد باشا الجزار»، ص ٩٥، ٩٦؛ س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٣، ن ٧٤٨، ٢٠ رجب ١٣٣٢هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٤م؛ سجلات أوقاف عكا، ش ٢، س ٤، ص ١٠، ١١؛ النابلسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٤؛ الأرناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

(٣٨٨) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩ ـ ١٩٥؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

(٣٨٩) سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

لم يقتصر إنشاء الخانات على المدن فقط، بل أنشئت أيضاً على الممرات والطرق التجارية لتوفير المأوى وأماكن الإقامة للمسافرين والتجار ودوابهم، مثل: خان جب يوسف إلى الشمال الغربي من بحيرة طبرية على الطريق التجاري بين دمشق وكل من عكا غرباً والقدس جنوباً، وخان التجار(٣٩٠) على مقربة من جبل الطور بالقرب من قرية لوبيا على الطريق التجاري بين عكا ودمشق، فكان التجار يجدون فيه مكاناً آمناً ومأوى لهم ولدوابهم،(٣٩١) وخان منية شمالي بحيرة طبرية وشمالي خان التجار، وهو يستقبل القوافل من دمشق عبر جسر بنات يعقوب.(٣٩٢)

كما أنشئت الخانات الخاصة بالدواب في المدن. ففي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، بنى علي آغا خاناً في عكا سماه خان الحمير، وكانت تربط فيه البهائم التي تُجلب إلى المدينة، وفرض على كل رأس بارتين يومياً.(٣٩٣)

وأشارت السجلات الشرعية إلى عدد من خانات الدواب في حيفا، كالخان الواقع في باطن قصبة حيفا المعد لربط الدواب والذي يملكه عبد الحي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ خليل،(٣٩٤) وخان الفيوة الواقع خارج بوابة حيفا الشرقية الذي يملكه يوسف ابن الحاج محمود جرار وإخوته.(٣٩٥) كما أشارت السجلات إلى خان الشيخ حسين الخطيب في حيفا.(٣٩٦)

ثم تدنت أهمية الخانات، بالتدريج، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد تطور وسائل المواصلات واستخدام العربات والقطارات في النقل، إذ قل استخدام الدواب ولم يعد المسافرون بحاجة إلى الإقامة بهذه الخانات، فتدنت أهميتها ودورها في خدمتهم. كما قل الاهتمام بها وبصيانتها، وخصوصاً خانات

(٣٩٠) Burckhardt, *op.cit.*, pp. 320, 330; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 394-396; U. Heyd, *Ottoman Documents*, pp. 110-112; Tshelebi, *op.cit.*, pp. 32, 36.

(٣٩١) Ritter, *op.cit.*, pp. 271, 272; Schumacher, «Tiberias,» *ZDPV*, Vol. XIII, 1890, pp. 69-71; عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٣٩٢) Dunning, *op.cit.*, p. 144.

(٣٩٣) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٣٩٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٦، ن ١٦٥، ٢٤ صفر ١٣٣٥هـ/ ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦م.

(٣٩٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٣، ن ٦٥، ٢٦ ذو القعدة ١٣٢١هـ/ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(٣٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩، ن ٢٣١، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/ ٦ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

الدواب التي تعرضت للخراب والانهيار. فنجد، مثلاً، أن محمود بن برغوت اشترى القهوة والخان المتهدم الملاصق لها.(٣٩٧)

وأقام ولاة الدولة وعمالها الخانات في اللواء، كخان العمدان الذي أقامه الجزار، وخان الباشا الذي شيده علي باشا، وقد أُوقف الخانان: الأول على جامع الجزار في عكا، والثاني على الجامع الأبيض في الناصرة.(٣٩٨)

تركزت الخانات في مدينتي عكا والناصرة، لأن عكا كانت مركزاً لولاية صيدا ومركزاً للواء عكا، إضافة إلى أنها ميناء تجاري مهم. ولذلك كان التجار والسياح يأتونها بصورة مستمرة. أمّا الناصرة فكانت مدينة مقدسة عند المسيحيين يأتيها السياح والزوار لزيارة الأماكن المقدسة، لذلك كان من الضروري إنشاء هذه الخانات لتوفير المأوى لهؤلاء الزوار ودوابهم.

وفي أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت الخانات تختفي، بالتدريج، من المدن وبدأت الفنادق تحل مكانها. ولم تضم الفنادق أماكن لمبيت الحيوانات كما جرى في الخانات. فكان في طبرية لوكندة (فندق) طيباريوس،(٣٩٩) وفندق صغير يديره رجل ألماني.(٤٠٠) وكان في الناصرة اللوكندة الألمانية (هوتيل جرمانيا)، للألماني فريدريك هيزل شفرتس، ولوكندة فكتوريا للخواجة نعمة الله الصفوري، ولوكندة الناصرة الجديدة (لوكندة زيتون) وهما بيتان مستأجران.(٤٠١)

وكان في حيفا الفندق الألماني، وفندق هزليا، وفندق كليف، وفندق الكرمل.(٤٠٢) واهتمت المؤسسات التبشيرية بإقامة الفنادق والنزل الخاصة بها لتوفير المأوى للحجاج المسيحيين بأجور متدنية. لذا أنشأ الرهبان الفرنسيسكان لوكندة الكازانوفا في الناصرة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.(٤٠٣) وأنشأت الجمعية

(٣٩٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٣١، ن ٦٩، ٢٠ ذو القعدة ١٣٢١هـ/ ٧ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(٣٩٨) س ح، ش ١٤١، س ٣٣، من دون صفحة، ن ٧٤٨، ٢٠ رجب ١٣٣٢هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٤م؛ العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٩١؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

(٣٩٩) صحيفة «القبس»، العدد ١١١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ٢.

(٤٠٠) Charles Leach, *The Romance of the Holy Land*, p. 267.

(٤٠١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣، ١٩٤؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 246.

(٤٠٢) Baedeker, *op.cit.*, p. 229.

(٤٠٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣، ١٩٤؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 246; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 272.

الألمانية الكاثوليكية لفلسطين نزلاً خاصاً بها في عين الطابغة بالقرب من خان منية.(٤٠٤) كما كان لها نزل في حيفا.(٤٠٥)

وأنشأت الجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية، الروسية، المسكوبية في الناصرة سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م كنزل خاص بالحجاج الروس، وهي تتسع لأكثر من ١٥٠٠ حاج في وقت واحد، وتختلف أسعار المبيت فيها بحسب درجة الإقامة. ففي الطبقة العلوية يدفع الحاج ٢٥ قرشاً، بينما يدفع المقيم بالطبقة السفلية خمسة متاليك، وكانت الإقامة مجاناً للفقراء.(٤٠٦)

كما أنشأت الشركات الأجنبية الفنادق في اللواء، فأقامت شركة الخطوط البحرية الألمانية هامبورغ ـ أميركا فندقاً في الناصرة وآخر في طبرية لاستقبال المسافرين.(٤٠٧)

أمّا في القرى فقد استخدمت المضافة لمبيت الزوار والضيوف، فلا تخلو قرية من القرى من وجود مضافة أو أكثر. وأشار كوندر إلى بناية حجرية منعزلة في الطنطورة تستخدم مضافة.(٤٠٨)

تاسعاً: الحمامات

كانت الحمامات التي أنشئت في اللواء نوعين: الحمامات المعدنية، ومن أشهرها حمامات طبرية، وأهمها حمام إبراهيم باشا الذي شيّد سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م. وكان إبراهيم باشا أحضر المهندسين والبنائين اللازمين لبناء الحمام من مصر، ومنهم طودو راكي والشيخ عبد القادر.(٤٠٩) ويتكون الحمام من عدة غرف يحتوي كل منها على مغطس يختلف عن الآخر، وأهمها المغطس الكبير ذو الماء الحار جداً.(٤١٠)

كانت حمامات طبرية تُمنح على شكل امتيازات لسنوات محددة في مقابل

(٤٠٤) Dunning, *op.cit.*, p. 144.

(٤٠٥) Newton, *op.cit.*, p. 73.

(٤٠٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧؛ زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٤.

(٤٠٧) صحيفة «القبس»، العدد ١٣٩٤، ٢٥ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م، ص ٢.

(٤٠٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 3; E. N. Haddad, «The Guest-House in Palestine,» *JPOS*, Vol. 1-2, 1920, 1921, pp. 279-283.

(٤٠٩) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٦، ٣٣٦.

(٤١٠) الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٣.

مبالغ يدفعها الملتزمون سنوياً، فنجد، مثلاً، أن سبايكي أفندي من تجار طبرية حصل على امتياز لبناء حمامات المياه المعدنية في طبرية، ولإقامة منازل لقاصديها.(٤١١)

وتعرضت حمامات طبرية، ومنها حمام إبراهيم باشا، للإهمال والخراب الأمر الذي دفع الحكومة العثمانية إلى تسليم هذه الحمامات إلى إدارة سكة حديد الحجاز، فذكرت جريدة «الاتحاد العثماني»: «إن أحرى الحمامات بالإصلاح هي حمامات طبرية، وقد قررت السكة الحديدية الحجازية تجديد عمارة هذه الحمامات وتشييد لوكندات ودكاكين بالقرب منها لما ينجم عنها من فوائد كثيرة على المنطقة منها إيجاد مدينة صغيرة في تلك البقاع الموحشة وفتح باب جديد للتجارة الداخلية وزيادة واردات السكة الحجازية.»(٤١٢)

وكان السكان المحليون، من مختلف أنحاء بلاد الشام، وكذلك الأجانب يقصدون هذه الحمامات للاستشفاء والعلاج من بعض الأمراض الجلدية والروماتيزم، وخصوصاً أن مياهها كانت تحتوي نسبة من الأملاح المعدنية المفيدة في علاج هذه الأمراض.(٤١٣)

أمّا الحمامات العادية، وهي النوع الثاني، فكانت تقام في المدن لأغراض الاستحمام الفردي. فكان في عكا حمام الباشا الذي بناه أحمد باشا الجزار ويتكون من قاعة الدخول المخصصة للملابس، وغرفة البخار المخصصة للاستخدام المشترك، وغرفة أُخرى أصغر حجماً للاستخدام الخاص، وفي كل منها حوض حجري للماء.(٤١٤) ومن حمامات عكا الأُخرى حمام البحر،(٤١٥) وحمام

(٤١١) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٠٧، ١٠ جمادى الثانية ١٣١٩هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٠١م، ص ٢؛ مجلة «المقتطف»، المجلد ١٥، ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٨٩١م، ص ٦٤١.

(٤١٢) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٨٨، ٨ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م، ص ٣؛
Dunning, *op.cit.*, p. 143.

(٤١٣) مجلة «المقتطف»، المجلد ١٥، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، ص ٦٩٤؛
Adolf Feri, «Genczareth,» *ZDPV*, Vol. IX, 1886, p. 125;
الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٣؛
Wilson, *op.cit.*, p. 53.

(٤١٤) Makhoul, *op.cit.*, p. 80;
«موسوعة المدن الفلسطينية»، ص ٥١٥.

(٤١٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٥٥، ١١ شعبان ١٣٠٩هـ/ ١١ آذار (مارس) ١٨٩٢م، ص ١.

الورد، وحمام الشفا، وهي من أوقاف أحمد باشا الجزار.(٤١٦)

وكان في صفد ستة حمامات أربعة للمسلمين وحمامان لليهود،(٤١٧) ومن أشهرها حمام العنبرية الذي بناه الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م، الشبيه بالجامع في قبته وبنائه وشكل جدره الملونة بالعنبر من الجهات الأربع، وتتدفق المياه فيه دافئة بغزارة منعشة وخصوصاً في أيام الشتاء، والحمام الجديد الذي يخلو من الزينة قياساً بالحمام العنبري.(٤١٨)

وقد أشارت السجلات إلى وجود حمام واحد في حيفا يتقاسمه عدد من الملاك بينهم محمد الماضي. فذكرت إحدى الحجج أن إبراهيم أوديز بن مسعود اليهودي من حيفا اشترى ستة قراريط في كامل الحمام في حيفا مع الدار الواقعة شماليه.(٤١٩)

عاشراً: المستشفيات

أ) المستشفيات الحكومية العسكرية

أنشأ المصريون خلال حكمهم بلاد الشام، في الفترة ١٢٤٧ ـ ١٢٥٦هـ/ ١٨٣١ ـ ١٨٤٠م، عدداً من المستشفيات العسكرية في اللواء لمعالجة الجنود الجرحى والمرضى. فأشارت الوثائق المصرية إلى المستشفى الذي أقامه المصريون في عكا وعُيّن إسماعيل أفندي ناظراً له.(٤٢٠) كما أشارت إلى مستشفى في شفا عمرو(٤٢١) وإلى آخر في ترشيحا(٤٢٢) وإلى ثالث في حيفا على جبل الكرمل.(٤٢٣)

لكن العمل في هذه المستشفيات توقف مع انتهاء الوجود المصري في بلاد

(٤١٦) سجلات أوقاف عكا، ش ٢، س ١٠٤، ص ٩؛ الحلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(٤١٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٢ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ٢.

(٤١٨) العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

(٤١٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٤، ن ١٤٢؛ ١ رمضان ١٢٨٨هـ/ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١م.

(٤٢٠) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٠، ٢٤٠، ٢٤١.

(٤٢١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤٢٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٥.

(٤٢٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٥.

الشام، إذ أشارت المصادر المتعددة إلى وجود مستشفيين فقط في اللواء بعد ذلك هما: المستشفى العسكري في عكا،(٤٢٤) والمستشفى العسكري في حيفا الخاص بالجنود العاملين في سكة حديد الحجاز.(٤٢٥)

ب) المستشفيات الخاصة

اهتمت الإرساليات التبشيرية الغربية بإنشاء المستشفيات في اللواء، وكان هدفها استغلال الخدمات الطبية وسيلة لتحقيق أهدافها الدينية. فأنشأت البعثة الطبية الإسكتلندية (Scottish Medical Mission) مستشفى في الناصرة أقامه الدكتور فارتن (Farten).(٤٢٦) وكانت جمعية يهود لندن (London Jews Society) تمتلك مستشفى يعمل فيه طبيبان إنكليزيان.(٤٢٧) كما أقامت لجنة المبعوثين اليهودية التابعة لكنيسة إسكتلندا الحرة (Mission Station of the United Free Church of Scotland)، مستوصفاً في صفد.(٤٢٨) وأنشأت البعثة الطبية الإسكتلندية (Edinburgh Medical Mission)، المعروفة بجمعية إدنبرة الطبية، المستشفى الإنكليزي في طبرية.(٤٢٩) وقد صدرت الموافقة الحكومية على إنشاء هذا المستشفى سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢،(٤٣٠) كما أقامت هذه البعثة المستشفى الإنكليزي(٤٣١) في حيفا، وكان يعمل فيه ثلاثة من الأطباء الإنكليز.

كذلك اهتمت الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية بإقامة المستشفيات. فأقام رهبان القديس مار يوحنا الإلهي مستشفى العائلة المقدسة في الناصرة، عولج فيه

(٤٢٤) Oliphant, *Haifa*, pp. 123, 124; Baedeker, *op.cit.*, p. 235.

(٤٢٥) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦؛ «صحيفة البشير»، العدد ١٧٣٦، ٢٩ شوال ١٣٢٤هـ/ ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٦م، ص ٣.

(٤٢٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 278; Wilson, *op.cit.*, p. 47; سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢، ١٠٣؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣، ٣٤؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 247.

(٤٢٧) Baedeker, *op.cit.*, p. 259; Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 174.

(٤٢٨) Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 174.

(٤٢٩) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٨، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 274.

(٤٣٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٠١٨، ١ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٢م، ص ٢.

(٤٣١) Baedeker, *op.cit.*, p. 247.

سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م نحو ١٤٧ مريضاً بينهم ٥٢ مريضاً من اللاتين، و٦ مرضى من الموارنة، و١٣ مريضاً من الروم الكاثوليك، و١٦ مريضاً من الأورثوذكس.[٤٣٢] وفي السنة التالية، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، ارتفع عدد المرضى المعالجين إلى ٢٣٦ مريضاً، منهم ١٠٠ من المسلمين وواحد من اليهود، أمّا الباقون فهم من الطوائف المسيحية المتعددة.[٤٣٣]

كما أنشأت الجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية، الروسية، مستشفى في الناصرة، وآخر في حيفا.[٤٣٤] وفي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، حصلت الجمعية على رخصة بإنشاء مستشفى ثان في الناصرة.[٤٣٥]

وفضلت الإرساليات التبشيرية، في معظمها، إقامة مستشفياتها في الناصرة. وبالإضافة إلى المستشفيات السابقة، أقامت راهبات أخوات المحبة المستشفى النمساوي - الألماني سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، الذي عرف أيضاً بمستشفى راهبات المحبة، كما أقامت راهبات مار يوسف (Sisters of St. Joseph) مستشفى لهن في الناصرة، وأقامت كل من راهبات St. Vincent de Paul، وأخوات بروميوس (Sisters of the Order of St. Charles Borromaeus) مستشفى لهن في الناصرة.[٤٣٦]

كما أقامت الإرساليات التبشيرية المستوصفات لتقديم الأدوية ومعالجة المرضى. فمثلاً، كان لراهبات الناصرة مستوصفات في حيفا والناصرة وعكا وشفا عمرو.[٤٣٧]

كذلك أنشأ اليهود والجمعيات التابعة لهم مستشفيات خاصة بهم، فأقام البارون إدموند دو روتشيلد مستشفى لليهود في صفد.

وأقيم بعض هذه المستشفيات في أبنية خاصة، وكانت الحكومة تحدد مساحة هذه المستشفيات. فعندما سمحت الدولة العثمانية ببناء المستشفى الإنكليزي في

(٤٣٢) صحيفة «البشير»، العدد ١٢٩٦، ٢٩ جمادى الثانية ١٣١٥هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٧م، ص ٣.

(٤٣٣) المصدر نفسه، العدد ١٣٩٦، ١٣ رمضان ١٣١٧هـ/ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠م، ص ٣.

(٤٣٤) سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤؛

Baedeker, *op.cit.*, p. 249.

(٤٣٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١١، ٦ جمادى الثانية ١٣٢٦هـ/ ٦ تموز (يوليو) ١٩٠٨م، ص ٣.

(٤٣٦) المصدر نفسه، العدد ١٤٩٦، ٧ رجب ١٣٢١هـ/ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م، ص ٢.

(٤٣٧) Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 174.

الناصرة، اشترطت أن يكون طول البناء ٤٧ ذراعاً، وعرضه ٢٣ ذراعاً، وارتفاعه ١٦ ذراعاً.[٤٣٨]

وكان معظم المستشفيات الخاصة ملحقاً بالأديرة والكنائس، كما ضم بعض هذه المستشفيات صيدليات لصرف الأدوية وبيعها للمرضى، فكان في الناصرة ثلاث صيدليات: واحدة للروس وأُخرى لليسوعيين وثالثة للإنجيليين.[٤٣٩]

(٤٣٨) صحيفة «البشير»، العدد ١٠١٨، ١ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٢م، ص ٢.

(٤٣٩) سمارة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

الفَصْل الخَامِسْ
التعْليم وَالثقافة

أولاً: التعليم والتدريس الديني

أُنشئت المدارس الدينية المتخصصة بتعليم العلوم الإسلامية، كالفقه والتفسير والحديث. ومثال ذلك المدرسة الأحمدية التي أنشأها أحمد باشا الجزار في عكا، سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، بالقرب من الجامع الذي أقامه في المدينة، والتي كانت تضم خمس عشرة غرفة تتسع لأكثر من ثلاثين طالباً، ومكتبة (المكتبة الأحمدية) زُوّدت بالكتب الدينية والفقهية.(١)

وقد تحدّث محمد كرد علي عن هذه المدرسة في أثناء زيارته للجليل سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، فقال: «قصدنا حيفا فسألنا أحدهم عن طلبة العلوم الدينية فيها ينظرون في أحكام الحلال والحرام فلم نر أحداً حتى إذا جئنا عكا كان أول أسئلتنا عن عدد طلبة العلوم الدينية فأخبرنا أن عددهم اليوم في تناقص وهم يبلغون نحو الثلاثين وإن لم يساعدنا الوقت على الاختلاط ببعض هؤلاء الطلبة، ولكننا لما شاهدنا من فضل أستاذهم الشيخ عبد الله الجزار وتقواه الذي أقام مدرسته وجمع لطلبته مكتبة حافلة بالأسفار الدينية المختلفة، ولو سعى كل فقيه من فقهاء الإسلام بتعليم قومه على نحو ما فعل الشيخ الجزار لما اضمحلت العلوم الإسلامية.»(٢)

ويمكن اعتبار التدريس (الوعظ الديني) الذي كان يقوم به بعض الفقهاء ورجال الدين شكلاً من أشكال التعليم الديني. فقد كان القاضي يعيّن الشيخ المؤهل للتدريس في المسجد، بعد أن يقدم طلباً إلى قاضي المدينة للموافقة على

(١) إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ٦٠؛ محمد أمين الصوفي الطرابلسي، «سمير الليالي»، ج ١، ص ١١٢، ١١٣؛ رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ١٢٩؛ متى البوري ويوسف شبل، «عكا»، ص ٣١.

(٢) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

تعيينه مدرساً (واعظاً) في مسجدها. فتذكر السجلات، مثلاً، أن الشيخ صالح السهلي التميمي الداري، قاضي حيفا، وافق على تعيين عبد الله السهلي التميمي الداري مدرساً في جامع النصر في حيفا قائلاً: «قررت تعيين السيد عبد الله أفندي المومى إليه بالوظيفة المذكورة وأذنت له القيام بها كما هو اللائق والملحوظ منه أسوة بأمثاله من المدرسين سالكاً سبيل التقوى مراقباً عالم السر والنجوى تقريراً وإذناً صحيين شرعيين مقبولين.»[3]

وعندما رغب الشيخ محيي الدين حسن إبراهيم الملاح في التدريس (الوعظ) في جامع النصر في حيفا، قرر أمام القاضي الشرعي أن الجامع الكبير المعروف بجامع النصر، والواقع في الجهة الغربية من المدينة، ليس فيه من يقوم بشؤون التدريس وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، وأنه قائم بهذه الوظيفة منذ أعوام كثيرة، وطلب من القاضي تثبيته فيها.[4]

ولم يكن يُسمح للشيوخ بالتدريس في المساجد قبل أن يحصلوا على إجازة تثبت أهليتهم لذلك. فنجد، مثلاً، أن الشيخ صالح السهلي، قاضي حيفا، قرر إعطاء الشيخ عبد الله السهلي الحق في التدريس في جامع النصر في حيفا قائلاً: «وأملاً بالتفضل والإحسان عليه ببراءة شريفية عالية الشأن ناطقة بتفويضها إليه.»[5]

وقد عمل المدرسون في المساجد مجاناً، فالتمس عبد الله أفندي السهلي، نقيب الأشراف في عكا، التدريس في جامع النصر في حيفا لوجه الله تعالى ورجاءً لحصول الثواب في يوم المؤاب.[6] وقد أقرّت بذلك إحدى الحجج الشرعية إذ ورد فيها: «لما كانت وظيفة التدريس في الجامع المعروف بجامع النصر الغربي المعمور بذكر الله تعالى الكائن باطن قصبة حيفا داخل لواء عكا من أعمال ولاية بيروت الجليلة ليس لها معاش مرتب من الأوقاف الهمايونية.»[7]

بني التعليم في المساجد على الجهود الفردية، ولم تقم الدولة بأية جهود لتطويره. إلاّ إن هذا لم يمنعها من التدخل فيه بحيث توجّه المدرسين إلى القضايا

(٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٧٢، ن ٧٩، ١٧ ذو القعدة ١٣١٩هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

(٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٦٥، ١٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٧٢، ن ٧٩، ١٧ ذو القعدة ١٣١٩هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

التي ينبغي لهم الإشارة إليها في مواعظهم. فقد اشترط قاضي حيفا على الشيخ محيي الدين الملاح ابن حسن الملاح أن يشرح للناس تعاليم دينهم، مبيناً لهم فائدة الشورى وناشراً بينهم روح الدستور.[8] كما طُلب من المدرسين الإكثار من الأدعية صباحاً ومساءً للذات البديعة الحضرة العلية الهمايونية.[9]

ثانياً: التعليم الحكومي

يرتبط التعليم بحاجة المجتمع إليه. وكانت حاجة المجتمع العثماني إلى التعليم محدودة قبل التنظيمات لعدم أهميته في حياة الناس العملية واليومية. فاقتصرت الحاجة إلى التعليم على توفير أعداد محدودة من المتعلمين ليشغل أصحابها الوظائف الدينية مثل الأئمة والفقهاء والقضاة والمدرسين، وكي يشغلوا بعض الوظائف الإدارية والمالية في الدولة. إلاّ إن المجتمع العثماني شهد تطوراً فكرياً وثقافياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فازدادت حاجة الدولة إلى المتعلمين لتوفير الموظفين للدولة الحديثة التي أراد العثمانيون إقامتها، ولذلك اشتُرط على أعضاء مجالس الإدارة في الأقضية والنواحي إتقان القراءة والكتابة.[10] لذا أصبح من الضروري أن تضع الدولة سياسة تعليمية ذات أهداف واضحة، وخصوصاً بعد أن رأت تطور أنظمة التعليم في أوروبا، فأصدرت القوانين لتنظيم التعليم وتطويره. وفي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، أصدرت نظام المعارف العمومية الذي قسّم المدارس إلى نوعين: المدارس العمومية أو الرسمية، والمدارس الخاصة. وقد تولت الدولة إدارة المدارس الرسمية وتركت أمر تأسيس المدارس الخاصة وإدارتها للأفراد والجمعيات الطائفية، لكن اشترطت لتأسيسها أن تَصْدُر بها رخصة رسمية. وتقسم الدراسة في المدارس الحكومية إلى خمس مراحل[11] هي:

(٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٦٥، ١٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٧٢، ن ٧٩، ١٧ ذو القعدة ١٣١٩هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

(١٠) نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ١، ص ٤٠٨.

(١١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٤؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٠٩، ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، ص ٢.

١ ـ **المرحلة الأولية**: نص نظام المعارف على وجود مكتب رشدي واحد في كل قرية، على أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدارس وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها. وكان التعليم فيها إلزامياً ومدته أربعة أعوام.

٢ ـ **المدارس الرشدية**: نص نظام المعارف على وجود مكتب رشدي واحد في كل بلد تجاوز عدد بيوته ٥٠٠ بيت، شرط أن يكون الأهالي مسلمين أو مسيحيين. أمّا إذا كان أهل البلد من طوائف متعددة فيجب أن يقدر عدد البيوت بألف بيت. ويتحمل صندوق إدارة المعارف إنشاء المدارس الرشدية.

٣ ـ **المدارس الإعدادية**: تُؤسس هذه المدارس في مراكز الأقضية أو الألوية التي يتجاوز عدد بيوتها ١٠٠٠ بيت، ويدفع صندوق إدارة المعارف في الولاية جميع نفقات إنشائها. وكانت مدة الدراسة فيها ثلاثة أعوام.

٤ ـ **المدارس السلطانية**: يُقبل فيها الطلاب الناجحون في امتحان الإعدادية، ولا توجد هذه المدارس إلاّ في مراكز الولايات.

٥ ـ **المدارس العالية**: تشمل دور المعلمين والمعلمات، ودار الفنون في إستنبول، ومكاتب الفنون والصنائع المتعددة.

وقد اهتم عمال الدولة العثمانية وموظفوها بإنشاء المدارس في اللواء. ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، أنشأ أسعد أفندي، قائمقام الناصرة، مكتباً ابتدائياً للذكور على قطعة من الأرض في جوار المسجد تبرع بها أهالي الناصرة الذين تبرعوا أيضاً بمبلغ ألف ريال مجيدي لإنشاء المدرسة. وفي السنة نفسها، أنشأ أسعد أفندي مكاتب ابتدائية أُخرى للذكور في قرى صفورية والمجدل وكفر كنا.[١٢] وفي سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، فتح مكتباً ابتدائياً للإناث في الناصرة.[١٣]

كما أنشأ شكري العسلي، قائمقام الناصرة، عدداً من المكاتب في قرى القضاء. ففي سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، أنشأ ثلاث مدارس ابتدائية للذكور في قرى المجدل وصفورية ودبورية بعد أن تعهد الأهالي بالإنفاق عليها.[١٤]

ويظهر أن بعض هذه المدارس، التي كان يتم افتتاحها، كان يغلق إمّا لعدم إقبال الطلاب على الدراسة، وإمّا لمشكلات مالية تواجهها المدرسة. وهذا ما يتضح من الإشارة إلى افتتاح مدرسة في قرية صفورية مرتين: فتحها أسعد أفندي أول مرة، ثم فتحها شكري العسلي مرة أُخرى.

(١٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٠، ١٠ شعبان ١٣٠٣هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ١.
(١٣) صحيفة «البشير»، العدد ٨٧٣، ٢٢ رمضان ١٣٠٤هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٨٧م، ص ٣.
(١٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٤٤٢، ٣ شعبان ١٣٢٨هـ/ ١٠ آب (أغسطس) ١٩١٠م، ص ٣.

كما كان في الناصرة مدرسة رشدية تقع في بناء خاص عند مدخل المدينة قبالة خان الباشا، وكان معظم الذين تعلموا فيها من المسلمين مع أنها ليست خاصة بهم، وإنما لأن المسيحيين فضلوا الدراسة في المدارس التبشيرية.[١٥] وفي سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، ضمت المدرسة الرشدية خمسة وعشرين طالباً ومعلّمَيْن فقط.[١٦] وقد ارتفع عدد الطلبة ليصل إلى ستة وتسعين طالباً وأربعة معلمين سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.[١٧]

وفي سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، أنشئت مدرسة رشدية في صفد ضمت ٢٥ طالباً سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، يعلمهم معلمان هما وهبي أفندي وأحمد حمدي.[١٨] وفي سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، افتتحت مدارس ابتدائية للذكور في قرى جت وسحماتا والريحانية. وفي سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م، افتتحت مدرسة للإناث في مدينة صفد.[١٩] وقد ذكرت صحيفة «البشير»، سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، أنه تم افتتاح أربعة عشر مكتباً ابتدائياً في قرى قضاء صفد.[٢٠]

ويظهر أن عدداً من المدارس، التي كانت تُفتتح في القرى، كان يُغلق بعد فترة. إذ ذكر التميمي سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، أن قضاء صفد يضم عشر مدارس رسمية، ثلاثاً منها للذكور، ومدرسة للحضانة فيها ٦٠ طفلاً في صفد. كانت مدرسة الذكور الأولى تضم ١٥٠ طالباً، في حين ضمت المدرسة الثانية ٧٠ طالباً. أمّا مدرسة الإناث، في صفد، فكانت تضم ١٥٠ طالبة. بالإضافة إلى هذه المدارس افتتحت مدرسة في كل من سعسع (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، وترشيحا والحسينية (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، وبرعم والجش وديشوم والجاعونة (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، وعين الزيتون (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، وصفصاف (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م).[٢١]

أمّا مدينة عكا فكانت تضم، في أوائل سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، أربعة مكاتب ابتدائية: اثنين للذكور واثنين للإناث. وكان في مكتب الذكور الأول ١٨٤ طالباً،

(١٥) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ١٩٣.
(١٦) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٢٤١، ٢٤٤.
(١٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.
(١٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٢٤١، ٢٤٢.
(١٩) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ١٠٦، ٢٠ شوال ١٣١٢هـ/ ١٦ نيسان (أبريل) ١٨٩٥م، ص ٣.
(٢٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٣٠٣، ١٢ جادى الأولى ١٣١٥هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٧م، ص ٢.
(٢١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٥؛ عبد الله عبد السلام القطشان، «التعليم العربي الحكومي»، ص ٢٩.

وفي المكتب الثاني ٦٨ طالباً، بينما ضمت مدرسة الإناث الأولى ٦٨ طالبة، والمدرسة الثانية ١٥٢ طالبة، إضافة إلى المكتب الرشدي الذي تأسس في المدينة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م.[٢٢]

ويبين الجدول التالي المدارس في قرى قضاء عكا والسنة التي تأسست فيها كل مدرسة:[٢٣]

الجدول رقم ٥ ـ ١

القرية	السنة
مدرسة مجد الكروم	١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م
مدرسة المكر	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة البروة	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة البصة	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة الزيب	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة يركا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة العباسية	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة الدامون	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة كويكات	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة سحماتا	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة شعب	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
مدرسة عمقا	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
مدرسة دير حنا	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
مدرسة البقيعة	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة تمرة	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة سخنين	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة عرّابة	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة نحف	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م

(٢٢) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠؛ شاهين مكاريوس، «المعارف في سوريا»، «المقتطف»، المجلد ٧، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ٥٣٣.

(٢٣) ساطع الحصري، «حولية الثقافة العربية الثانية»، ص ٣٣١ ـ ٤٤٦.

وكانت عكا المدينة الوحيدة في اللواء التي أنشىء فيها مكتب إعدادي، وقد صدر القرار بإنشائه سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، وضم ٧٠ طالباً سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.[٢٤]

ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، لم يكن في حيفا مدارس حكومية.[٢٥] وفي سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، افتتحت الدولة مكتباً ابتدائياً للإناث في المدينة ضم ٢٥ طالبة.[٢٦] وفي سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، أنشأت الدولة العثمانية مدرسة رشدية في حيفا بلغ عدد طلابها، سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ٢٠ طالباً يعلمهم معلمان.[٢٧]

وكان عبد الله مخلص ممن دَرَس في هذه المدرسة، وقد وصفها ووصف طريقة التدريس فيها قائلاً:

«أذكر أنني بدأت الدراسة في المكتب الرشدي في مدينة حيفا... وكانت هذه المدرسة جزءاً من الجامع الصغير في حيفا ثم أعيدت بعد ذلك إلى المسجد وبنيت عليها بعض المخازن.

«كنت آتي المدرسة قبل رفاقي من الطلبة وكثيراً ما أجدها مغلقة الأبواب لم تفتح بعد. وكنت أقرأ القرآن من الصباح إلى الظهر على بوّاب المدرسة، وكان يدعى 'شهر زمان' وأظنه كان أفغانياً. ثم أتلقى الدروس بعد الظهر على معلم المدرسة وكان من المتعممين. ومع هذا فقد انتهيت من هذه المدرسة بعد انقضاء ثلاثة أعوام على دخولي إليها وحصلت على شهادتها بتاريخ ٣ ذي الحجة سنة ١٣٠٧هـ الموافق ٢١ تموز [يوليو] ١٨٩٠...»[٢٨]

ويبين الجدول التالي المدارس في قرى قضاء حيفا والسنة التي تأسست فيها كل مدرسة حتى سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م:[٢٩]

(٢٤) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ١٢٨، ١٠ جادى الأولى ١٣١٣هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٥م، ص ٣؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.

(٢٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٩٠ ـ ١٩٤.

(٢٦) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٥٨، ٢٦ رجب ١٣٠٣هـ/ ٣٠ نيسان (أبريل) ١٨٨٦م، ص ٢؛ صحيفة «البشير»، العدد ٨١٩، ١١ شعبان ١٣٠٤هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٨٨٧م، ص ٣.

(٢٧) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٢٤١، ٢٤٢؛ س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٢، ن ٧٥٩، ٤ شعبان ١٣٣٢هـ/ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٤م؛ الصوفي الطرابلسي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٣.

(٢٨) كامل العسلي، «تراث فلسطين»، ص ١٣.

(٢٩) الحصري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤١ ـ ٦٦١.

الجدول رقم ٥ ـ ٢

القرية	السنة
مدرسة كفر لام	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة عرعرة	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
مدرسة قيسارية	١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م
مدرسة عين غزال	١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م
مدرسة جبع	١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م
مدرسة بلد الشيخ	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
مدرسة الريحانية	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م
مدرسة عرب الغبيات	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة إجزم	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة عين حوض	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م
مدرسة الفريديس	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
مدرسة الطنطورة	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
مدرسة دالية الكرمل	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
مدرسة الكفرين	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
مدرسة عسفيا	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م
مدرسة أم الزينات	-
مدرسة الغابة	-

أمّا في طبرية فكان فيها سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م مكتب ابتدائي للذكور افتتح سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٦م وضم ١٠٠ طالب، ومكتب ابتدائي للإناث ضم ٣٢ طالبة تدرسهن معلمتان، إضافة إلى مكتب رشدي افتتح سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.[٣٠] وكان يوجد عشرة مكاتب في قرى قضاء طبرية سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.[٣١]

ويبين الجدول التالي عدد المكاتب (الكتاتيب) القديمة، والمدارس الحكومية الجديدة في لواء عكا سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م:[٣٢]

(٣٠) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ١، ٢.
(٣١) مصطفى الدباغ، «بلادنا فلسطين»، ج ٢، القسم ٢، ص ٣٣٠.
(٣٢) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩؛ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٨٨ ـ ١٩٥.

الجدول رقم ٥ ـ ٣

المدينة	المكاتب القديمة (الكتاتيب)				المكاتب الجديدة (المدارس الحكومية)			
	الذكور		الإناث		الذكور		الإناث	
	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد المدارس	عدد الطالبات	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد المدارس	عدد الطالبات
عكا	٤٣	١١٧٢	-	-	١	٥٠	١	٣٥
حيفا	٥	١١٧	-	-	-	-	-	-
الناصرة	٢	٤٠	-	-	١	-	-	-
شفا عمرو	-	-	-	-	١	٢٥	-	-
صفد	٩	٢١٢	-	-	١	٥٠	-	-
طبرية	٤	١٢٠	-	-	-	-	-	-
المجموع	٦٣	١٦٦١	-	-	٤	١٢٥	١	٣٥

يتضح من الجدول أن اللواء ضم ٦٣ كُتّاباً، ضمت جميعها ١٦٦١ طالباً، وأن أكثر من نصف هذه الكتاتيب موجود في عكا التي ضمت ٤٣ كُتّاباً، بينما ضمت بقية مدن اللواء ٢٠ كُتّاباً فقط. وترافق ارتفاع عدد الكتاتيب مع ارتفاع عدد الطلاب فيها إذ ضمت عكا نحو ١١٧٢ طالباً، أي أكثر من ثلثي عدد الطلاب في اللواء. ويعود ذلك إلى أهمية عكا السياسية والاقتصادية في تلك الفترة قياساً بالمدن الأُخرى، إضافة إلى ارتفاع عدد سكانها. بينما اقتصر عدد المدارس الحكومية في اللواء حتى سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م على أربع مدارس للذكور ضمت ١٢٥ طالباً. كما كانت عكا المدينة الوحيدة التي ضمت مدرسة للإناث.

أمّا الجدول التالي فيشير إلى المدن والقرى التي توجد فيها مدارس، وعدد الطلاب في كل مدرسة سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م:[٣٣]

(٣٣) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٠١هـ/ ١٨٩٣م، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

الجدول رقم ٥ ـ ٤

مكان المدرسة	عدد الطلاب	مكان المدرسة	عدد الطلاب	مكان المدرسة	عدد الطلاب
قضاء عكا	١ ٧٠ ذكور	الطيرة	٤٠ ذكور	عسفيا	١٥ ذكور
	١ ٦٣ إناث	قنير	٢٠ ذكور	**المجموع**	٥٨٠
مجد الكروم	١ ٤٠ ذكور	السنديانة	١٥ ذكور	**قضاء صفد**	-
الزيب	٢٥ ذكور	الصرفند	١٠ ذكور	صفد	١ ٥٤ ذكور
البصة	٢٠ ذكور	كفر قرع	٢٥ ذكور	صفد	١ ٧٠ ذكور
العباسية	٣٥ ذكور	صبارين	٤٠ ذكور	صفد	١ ٢٠ إناث
يركا	٤٠ ذكور	إجزم	٣٠ ذكور	ترشيحا	٣٠ ذكور
كويكات	٢٨ ذكور	كفرلام	١٢ ذكور	علما	٢٠ ذكور
عمقا	٣٥ ذكور	عين غزال	١٥ ذكور	جت	١٧ ذكور
جديدة	١٦ ذكور	جبع	١٥ ذكور	بيت جن	٢١ ذكور
بروة	٤٦ ذكور	الفريديس	١١ ذكور	الجاعونة	١٢ ذكور
الدامون	٣٨ ذكور	قيسارية	١٥ ذكور	سحماتا	٢٠ ذكور
شعب	٣٠ ذكور	عرعرة	٢٠ ذكور	عين الزيتون	١٨ ذكور
طمرة	٢٤ ذكور	أم الزينات	٢٥ ذكور	البقيعة	٥ ذكور
شفاعمرو	٢٠ ذكور	الكفرين	٢٠ ذكور	دير القاصي	١٨ ذكور
عبلين	١٢ ذكور	الريحانية	١٥ ذكور	سعسع	٣٠ ذكور
ميعار	٢٢ ذكور	بلد الشيخ	٢٠ ذكور	صفصاف	١٤ ذكور
سخنين	٥٠ ذكور	كفرحتا	٥ ذكور	**المجموع**	٣٤٩
عرّابة	٦٠ ذكور	أم الشوف	١٥ ذكور	**قضاء طبرية**	-
نحف	١٨ ذكور	خبيزة	٥ ذكور	طبرية	١ ٥٠ ذكور
فراضية	١٥ ذكور	الغابة	١٥ ذكور	حطين	١٥ ذكور
دير حنا	٢٢ ذكور	الطنطورة	٢٠ ذكور	كفركما	٥٠ ذكور
المجموع	٧٢٩	عين حوض	٧ ذكور	بوريه	٦٥ ذكور
قضاء حيفا	-	عتليت	٥ ذكور	جنين	٢ ذكور
قصبة حيفا	٨٠ ذكور	بريكة	٥ ذكور	**المجموع**	١٨٢ ذكور
المحلة الشرقية	٣٠ ذكور	باقة الشرقية	٥ ذكور	**مجموع الطلاب في اللواء**	١٨٤٠
المحلة الغربية	٢٠ ذكور	دالية الكرم	٥ ذكور	**مجموع المدارس**	٧٢

لم تُشِر سالنامة ولاية بيروت، التي أُخذ منها الجدول، إلى المدارس في قضاء الناصرة، كما أنها لم تذكر القرى مرتبة بحسب الأقضية، لكنها خلطت قرى الأقضية بعضها ببعض وأضافت مدارس من خارج اللواء، كمدرسة جنين التي كانت تتبع لواء نابلس.

يتضح من مقارنة الجدولين، رقم ٥ ـ ٣ ورقم ٥ ـ ٤، أن عدد المدارس ازداد في اللواء بصورة واضحة. فارتفع عددها من ٤ مدارس سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م إلى ٧٢ مدرسة سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ويعني ذلك زيادة عدد المدارس ٦٨ مدرسة خلال عشرة أعوام. كما ازداد عدد الطلاب من ١٦٠ طالباً وطالبة سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م إلى ١٨٤٠ طالباً وطالبة سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م. وهذا عدد منخفض نسبة إلى عدد السكان البالغ نحو ٧٥,٨٨٢ نسمة بحسب الإحصاء العثماني لسنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، وهو ما يعني أن الطلاب كانوا يشكلون نسبة نحو ٢,٥٪ من مجموع عدد السكان.

كما يظهر أن عدد الطلاب في مدارس المدن زاد على عددهم في القرى، بل إن عدد الطلاب في مدارس القرى تفاوت من مدرسة إلى أُخرى، واعتمد ذلك على عدد السكان في القرى ومدى إقبال سكانها على تعليم أطفالهم. فكانت مدرستا قريتي بوريه وكفر كما تضمان أكبر عدد من الطلاب، إذ ضمت الأولى ٦٥ طالباً والثانية ٥٠ طالباً. ومن المعروف أن كفر كما سكنها الشركس ويظهر أنهم أدركوا أهمية التعليم أكثر من غيرهم من السكان، في الوقت الذي انخفض فيه عدد الطلاب في قرى أُخرى، مثل بريكة وعتليت وباقة الشرقية، إلى خمسة طلاب فقط.

وحاول بعض السكان المسلمين إقامة مدارس خاصة منفصلة عن المدارس الحكومية. فمثلاً، أنشأ أسعد قدورة[٣٤] مدرسة في الجامع الأحمر عُني فيها بتعليم اللغة العربية.[٣٥] كما عيّن الموظفون والولاة الكبار المدرسين الخصوصيين لتعليم أبنائهم، فمثلاً عيّن علي آغا كتخذا سليمان باشا الشيخ إسماعيل الزيتاوي معلماً لولده.[٣٦]

(٣٤) عجاج نويهض، «رجال من فلسطين»، ص ٣١، ١٣٨ ـ ١٥٧، ١٦٠ ـ ١٦٦؛ «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الأول، ج ١، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٣٥) «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الأول، ج ١، ص ٢٤٢.

(٣٦) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

ثالثاً: التعليم الخاص
(التعليم الطائفي والتبشيري)

تعددت المدارس الخاصة بتنوع الإرساليات التبشيرية في اللواء، من أورثوذكسية وبروتستانتية ولاتينية وكاثوليكية، إضافة إلى مدارس الطوائف المسيحية المحلية والمدارس اليهودية.

تنافست المؤسسات التبشيرية الأوروبية في إنشاء المدارس في اللواء، وخصوصاً في الناصرة، فذكرت صحيفة «المقتبس»: «أصبحت الناصرة اليوم بلدة عظمى وبها بنايات ضخمة لأن كل أمة من أمم أوروبا تحب أن تعمل خيراً بافتتاح المدارس والمستشفيات والأديار، تفضل أن تجعله في بلدة الناصرة، وما أظن أن تنافسها في إنشاء المدارس والأعمال الخيرية فيها إلاّ خوفاً من أن يقال إن طائفة كذا مقصرة عن غيرها من الطوائف، فنرى مثلاً أن روسيا إذا أنشأت مدرسة يعود اللاتين أو البروتستانت فيعملون مثلها لئلا تمتاز روسيا وترى كل ولد يتربى ويتعلم فيكون مناصراً للأمة التي تعلم لغتها يمجدها ويفخر بها على سائر اللغات ويقدس أمتها، ظهر لنا هذا من التجارب، فقد علمت أوروبا أن ما من واسطة يمكنها أن تقرب الأمة إليها إلاّ بواسطة فتح المدارس وغيرها.»[٣٧] ويذكر البحري أن هدف كل رهبانية تأتي اللواء هو فتح المدارس لأبنائها، صبياناً وبنات، وتعليمهم مبادىء العربية والفرنسية وأمور دينهم؛ وهكذا تعددت المدارس بتعدد الرهبانيات.[٣٨]

أ) المدارس البروتستانتية

اهتمت الإرساليات البروتستانتية الإنكليزية والبروسية (مطرانية القدس البروسية ـ الإنكليزية المشتركة) بإنشاء المدارس، وخصوصاً في الناصرة وقراها لارتفاع عدد المسيحيين في المدينة وتحوّل بعضهم إلى المذهب البروتستانتي.[٣٩] ففي سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، فتح المبشرون البروتستانت مدرسة للذكور في بيت مستأجر في الناصرة. وفي السنة التالية، انتقلت المدرسة إلى بيت ميخائيل كرم

(٣٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ١.
(٣٨) جميل البحري، «تاريخ حيفا»، ص ٢٥ ـ ٢٨.
(٣٩) علي محافظة، «العلاقات»، ص ٤٣ ـ ٥٠؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣ ـ ٨٥؛
A. L. Tibawi, *British Interests in Palestine*, p. 18.

في ساحة الجرينة بعد أن تبرع به للمدرسة. وقد اختار المبشرون البروتستانت معلمي المدرسة من سكان الناصرة الذين يجيدون القراءة والكتابة ومبادىء العلوم، ومنهم حنا الشلبي وصالح فرح. وفي سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، بلغ عدد طلاب هذه المدرسة نحو ١٥٠ طالباً يعلمهم أربعة معلمين، بالإضافة إلى المساعدين من المبشرين البروتستانت.[٤٠]

كما اهتم المبشرون البروتستانت بإنشاء مدارس الإناث في اللواء. ففي سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، افتتحت هوبز (Hops) مدرسة يومية للإناث في الناصرة، قامت بالتدريس فيها بمساعدة بعض التلميذات.[٤١] كما أنشأوا مدرستين في شفا عمرو، واحدة للذكور وأُخرى للإناث.[٤٢]

إن توقف نشاط مطرانية القدس البروسية ـ الإنكليزية أدى إلى نقل مدارسها في اللواء إلى جمعية تهذيب الفتاة الإنكليزية (The English Female Education Society) التي توسعت في إنشاء المدارس في اللواء. فأنشأت مدرسة في صفد سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م،[٤٣] وافتتحت مدرسة للذكور في طبرية سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وأُخرى للإناث في السنة نفسها،[٤٤] كما افتتحت مدرسة في حيفا.[٤٥]

وقد تولت هذه الجمعية إدارة المدارس البروتستانتية حتى سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م عندما نُقل الإشراف عليها إلى جمعية الكنيسة التبشيرية الإنكليزية (The Church Missionary Society).[٤٦] وتوسعت هذه الجمعية في إنشاء المدارس لتشمل قرى اللواء، فكان لها مدارس في قرى يافا وقرى كفر ياسيف والمجدل وكفر كما.[٤٧]

كان الميتم الإنكليزي من أهم مدارس البروتستانت في اللواء، وقد بدىء

(٤٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢، ١٨٣.
(٤١) المصدر نفسه؛ Tibawi, *op.cit.*, p. 163؛ أسمى طوبى، «عبير ومجد»، ص ٣٢، ٣٣.
(٤٢) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩؛
Laurence Oliphant, *Haifa*, p. 120.
(٤٣) «الموسوعة الفلسطينية»، ج ٥، ص ٤٠٩.
(٤٤) الدباغ، مصدر سبق ذكره، قسم ٢، ج ٦، ص ٣٣١.
(٤٥) صحيفة «البشير»، العدد ٨١٧، ٢ شعبان ١٣٠٣هـ/ ٦ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ٣، ٤.
(٤٦) أسس هذه الجمعية في لندن سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م رجال الدين البروتستانت في الكنيسة الإنكليزية للتبشير بالمسيحية في إفريقيا والشرق، تحت اسم:
«The Church Missionary Society for Africa and the East,» *W.B.E.*, Vol. 4, p. 210.
(٤٧) Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 158; Karl Baedeker, *Palestine*, p. 247; Tibawi, *op.cit.*, p. 163.

تشييده سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م واكتمل سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وصممه المهندس الألماني شوماخر ليستوعب ٢٠٠ فتاة. وقد بلغ عدد طالبات الميتم، سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، ٧٠ طالبة تعلمهن أربع معلمات إنكليزيات وست معلمات محليات، إضافة إلى مديرة الميتم الإنكليزية. ومن أقدم معلماته إملي نيوتن الإنكليزية، ونصرة بريدة، وفرحة مطر من الناصرة.[٤٨] كما أنشأ المستوطنون الألمان في حيفا مدرستين في الكولونية التابعة لهم، كان يدرس فيهما أربعة معلمين: ثلاثة من الألمان وواحد من العرب. وتضم المدرسة العليا ٢٥ طالباً و٢٦ طالبة، بينما كانت المدرسة الدنيا تضم ٢٥ طالباً وطالبتين. وبعد أن ينهي الطالب دراسته في هاتين المدرستين ينتقل إلى القدس ليكمل تعليمه في المدرسة الألمانية الثانوية فيها.[٤٩]

لكن الدراسة في هاتين المدرستين كانت مقصورة على أبناء الكولونية الألمانية والأوروبيين المقيمين بها، ولم يسمح للسكان المحليين من المسيحيين أو غيرهم بتدريس أولادهم فيها.

ب) المدارس الأورثوذكسية

اهتمت الحكومة الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بإنشاء المدارس لتعليم أبناء الطائفة الأورثوذكسية في بلاد الشام في إطار خططها لتقوية المذهب الأورثوذكسي بين أتباعه من المسيحيين المحليين، ونشر الثقافة الروسية بينهم، والتصدي للإرساليات التبشيرية الغربية التي تسعى لتحويل الأورثوذكس إلى المذاهب المسيحية الغربية.

وقد تولت الجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية الفلسطينية (The Imperial Orthodox Palestine Society)، الروسية،[٥٠] الإشراف على إنشاء المدارس في

---

(٤٨) Conder, *op.cit.*, Vol. 2, p. 307; Frances Newton, *Fifty*, pp. 59-65;
منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٤٩) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 340-349.

(٥٠) Derek Hopwood, *Russian Presence*, pp. 96-137; Tibawi, *op.cit.*, pp. 172-175; Stephen Graham, *The Rusian Pilgrims*, pp. 20-28;
«مجلة الجامعة»، المجلد ٢٢ ـ ٢٤، السنة الثانية، ١٣١٨ ـ ١٣١٩هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م، ص ٦٦٧ ـ ٦٦٩؛
س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٨٣، ٨٤، ن ٢٣٢، ١٨ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ٧ حزيران (يونيو) ١٩٠٩م.

فلسطين. وافتتحت الجمعية أول مدرسة لها في قرية المجدل سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، وتم اختيار هذه القرية لمقاومة النشاط البروتستانتي القوي في المنطقة. وقد بلغ عدد طلابها عند افتتاحها ٤ طلاب يدرسهم خوري القرية.[٥١] وتوالى افتتاح المدارس في قرى اللواء في السنوات التالية، فافتتحت الجمعية مدرسة للإناث في الشجرة سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، وفي الرينة سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، وفي قانا سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م. وفي الغالب، كانت هذه المدارس تعمل بمعلمة واحدة فقط، فعملت مريم رزق الحاج في مدرسة الرينة مدة عشرين عاماً.[٥٢]

اهتمت الجمعية أيضاً بإنشاء المدارس في الناصرة، فافتتحت مدرسة داخلية للذكور، ومدرستين خارجيتين، واحدة للذكور وأُخرى للإناث، ووضعت للمدرسة الداخلية قوانين محددة كان على الطلاب التزامها، وحددت مدة الدراسة فيها بأربعة أعوام، عامين في الصف الأول وعامين في الصف الثاني، وبعد انتهاء الطلاب من الدراسة النظرية يمارسون التدريس عملياً مدة عامين في المدرسة الخارجية.[٥٣]

عانت المدارس الروسية جرّاء النقص في المعلمين، ولذلك أنشأت الجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية، الروسية، مدرسة لإعداد المعلمين في الناصرة سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م. وقد بدأت التدريس في بيت مستأجر، وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، نُقلت المدرسة إلى المسكوبية. وتكونت هيئة التدريس، في بداية إنشاء المدرسة، من إسكندر كزما مدير المدرسة، والمعلم نيقولا أبو الطبيخ، وستة طلاب في القسم الداخلي، وستة آخرين في القسم الخارجي، وكانت مدة الدراسة فيها أربعة أعوام ثم أصبحت ستة أعوام، وكان معلموها من العرب والروس. وكان التحق بالمدرسة حتى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م نحو ١٧٠ طالباً من فلسطين وسورية ولبنان. وكان الطلاب المتفوقون يرسلون إلى مدينة أودسا الروسية لإكمال تعليمهم في المدارس الروسية الأعلى، بينما يُعين الباقون معلمين في المدارس

---

(٥١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١؛
Baedeker, *op.cit.*, p. 243; Hopwood, *op.cit.*, p. 141; Tibawi, *op.cit.*, p. 176.

(٥٢) طوبى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤، ٣٥؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١؛
Hopwood, *op.cit.*, p. 142.

(٥٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ٤١٠، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١ تموز (يوليو) ١٩١٠م، ص ٤؛
Baedeker, *op.cit.*, p. 246;
«مجلة الجامعة»، المجلد ٢٥، السنة الثالثة، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، ص ٤٦٨.

الأورثوذكسية الروسية في بلاد الشام.[٥٤] وقد وصف ميخائيل نعيمة التعليم في هذه المدرسة فقال: «ففي خلال أسبوع بتّ أعرف عن المدرسة أشياء كثيرة كنت أجهلها. عرفت أن منهاجها يمتد لست سنوات مقسمة على ثلاثة صفوف ـ لكل صف سنتان. وعرفت أن عدد الطلاب فيها لا يكاد يتجاوز الأربعين ـ نصفهم في الصف الأول الذي هو صفي. وعرفت أنهم خليط من مدن فلسطين وسورية ولبنان وقراها ـ من القدس وبيت جالا والناصرة والرامة وكفر ياسيف وعكا وصور ودمشق وحمص وطرابلس والكورة وراشيا والكفير وغيرها وغيرها.»[٥٥]

كما كان ميخائيل نعيمة أحد الطلاب الذين تم إيفادهم إلى روسيا لإكمال تعليمهم فيها، فتحدث عن هذه المرحلة قائلاً: «لقد بدأ الحلم بالسفر إلى روسيا يساورني منذ سنتي الأولى في الناصرة. إلاّ إنني ما كنت أجرؤ أن أتمادى فيه. فقد كان لي رفيق يزاحمني أشد المزاحمة على المرتبة الأولى في الصف... أخيراً انتهت الامتحانات، وفرغ المعلمون من تصحيحها ومن وضع المعدلات السنوية، وبات الكل يترقب إعلان 'الحدث العظيم'. ولم يطُل أن دعانا الرئيس إلى الاجتماع في الردهة الكبرى حيث اصطف الطلاب في جانب والأساتذة في جانب. وإذا به يدعوني إلى الوقوف أمامه، ثم يضع يده على كتفي، وبكلمات هادئة، أبوية، اخترقت مني العظام، يعلن أن المدرسة، مكافأة لي على اجتهادي وحسن سلوكي، قد اختارتني لمتابعة الدروس في روسيا...»[٥٦]

امتازت المدارس الروسية من غيرها من المدارس التبشيرية بأنها تتلقى الدعم المادي والمعنوي من القيصر والحكومة الروسية. كما أنها تمتاز بمجانية التعليم الذي تطبقه على طلابها، وبعلاقتها الدينية بالطائفة الأورثوذكسية، فأكثرت الجمعية في مدارسها من التعليم الديني وممارسة الصلوات وحفظ العبادات بما يتوافق مع رغبات معظم الأورثوذكس.[٥٧]

---

(٥٤) ميخائيل نعيمة، «سبعون»، ج ١، ص ١١٥ ـ ١٥٠؛
Hopwood, *op.cit.*, pp. 143-146;
«مجلة الجامعة»، المجلد ٢٢ ـ ٢٤، السنة الثانية، ١٣١٨ ـ ١٣١٩هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م، ص ٦٦٨، ٦٦٩؛ نقولا زيادة، «أيامي»، ص ١٧٢؛ حنا كلداني، «المسيحية المعاصرة»، ص ٩٣ ـ ٩٨.

(٥٥) نعيمة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٢١.

(٥٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤١، ١٥٥.

(٥٧) أسعد داغر، «المدارس الروسية في سوريا»، «المقتطف»، المجلد ٢٦، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، ص ٩٠١ ـ ٩٠٤.

كما خضعت المدارس الأورثوذكسية الروسية لإشراف الحكومة، على العكس من مدارس الإرساليات التبشيرية الأخرى التي كانت أنشأتها مؤسسات دينية مستقلة عن الدولة.

وقد تركت المدارس الروسية تأثيراً واضحاً في الحياة الأدبية والثقافية في فلسطين أكثر من غيرها من المدارس التبشيرية الأخرى، لأنها اهتمت بتدريس الأدب واللغة والثقافة الروسية، في حين اهتمت المدارس البروتستانتية والكاثوليكية بالنواحي الدينية، إضافة إلى تدريس اللغات والعلوم المالية والتجارية لتخريج الطلاب الذين يتقنون اللغات الأوروبية من أجل تلبية حاجات الشركات والمؤسسات التجارية الأوروبية التي تمارس نشاطها الاقتصادي في بلاد الشام.[٥٨]

كذلك أقام الأورثوذكس المحليون المدارس الخاصة المستقلة عن المدارس الروسية، فأنشأوا في الناصرة مدارس الدير للذكور، التي كانت تضم ١٠٠ طالب و٦ معلمين سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م. وأسسوا أيضاً مدارس الدير للإناث، التي كانت تضم، في السنة نفسها، ١٥٠ طالبة و٥ معلمات.[٥٩] وفي سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، افتتح الأورثوذكس مدرسة في طبرية،[٦٠] وأُخرى في عكا سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م.[٦١]

ج) المدارس الكاثوليكية

ساهمت الإرساليات الكاثوليكية التي قدمت من الدول الأوروبية، مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، في النشاط التعليمي في اللواء من خلال إنشاء عدد من المدارس في المدن والقرى. فأنشأ رهبان الفرير (أخوة المدارس اليسوعية)، مدرسة الفرير في حيفا. وفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ذكرت صحيفة «البشير»: «إذا التفتنا قليلاً إلى الوراء وجدنا أن معاهد العلوم وبيوت الأدب لم تكن بالماضي بالشيء الذي يذكر فكانت أشبه بالكتاتيب الحقيرة التي تقام في بعض القرى ودامت المدينة على هذه الحال حتى مجيء الوفد الأول من الأخوة المعروفين بالفرير وذلك من ٢٥

---

(٥٨) فيليب دي طرازي، «تاريخ الصحافة العربية»، ج ١، ص ١٣٨؛ ناصر الدين الأسد، «محاضرات عن خليل بيدس»، ص ٣٤ ـ ٣٩؛ حسين عمر حمادة، «تاريخ الناصرة»، ص ٥٨.

(٥٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

(٦٠) عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٩٤١، ٩٤٢.

(٦١) الدباغ، مصدر سبق ذكره، القسم ٢، ج ٢، ص ٣٣٠.

سنة، فأنشأت هذه البعثة مدرسة لها في حيفا، وأدخلت فيها تعليم المسيحية والتقوى فهرع إليها عدد كبير من التلامذة من عموم المذاهب والطبقات، وكانت هذه المدرسة ثلاث طبقات وقسمين داخلي وخارجي وأضافت إلى مناهجها تعليم اللغتين التركية والإنكليزية.»[٦٢]

بلغ عدد طلاب هذه المدرسة ٢٠٠ طالب سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٤م.[٦٣] كما افتتح رهبان الفرير مدرسة خارجية للذكور في الناصرة، وصفها أسعد منصور بأنها من أرقى مدارس اللاتين. وبلغ عدد طلابها، سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٤م، ١٨٠ طالباً يعلمهم معلمون معظمهم من الرهبان.[٦٤]

كذلك افتتحت راهبات الناصرة مدرسة في الناصرة كان عدد طالباتها، سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، نحو ١٢٠ طالبة وأكثر معلماتها من الراهبات.[٦٥] كما افتتحن مدرسة في حيفا سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وأخرى في شفا عمرو سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م.[٦٦] وفي سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، افتتحت راهبات الناصرة ميتماً للإناث في الناصرة بلغ عدد اليتامى فيه ٣٥ يتيمة سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.[٦٧]

وأنشأ الرهبان السليزيان[٦٨] ميتم يسوع الشاب في الناصرة سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، وألحقوا به مدرسة في سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م. وبلغ عدد الطلاب في كلا الميتم والمدرسة، سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، ٥٠ يتيماً و١١٧ طالباً يدرسهم تسعة معلمين من الرهبان.[٦٩]

كانت المدرسة الملحقة بالميتم مدرسة داخلية تضم طلاباً من الناصرة وبيت

---

(٦٢) صحيفة «البشير»، العدد ٢٨٢٢، ١٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٣م، ص ٣.

(٦٣) المصدر نفسه، العدد ٨١٩، ١٦ شعبان ١٣٠٣هـ/ ٢٠ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ٣، ٤.

(٦٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ١٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩١٣م، ص ٣.

(٦٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥، ١٥٦؛ طوبى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٦٦) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥؛ البحري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥، ٢٦.

(٦٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦؛ طوبى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٦٨) نجيب ساعاتي، «الجمعيات الفلسطينية»، ص ١١٨، ١١٩؛ *E.B.*, «Salesian,» Vol. 10, p. 352.

(٦٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦؛ صحيفة «البشير»، العدد ٢٤٢٩، ١ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٤م، ص ٢.

لحم وعكا وحيفا ولبنان. ويدفع الطالب ١٢٥ قرشاً رسماً سنوياً لقاء تعلمه في المدرسة.[٧٠]

أمّا الفرنسيسكان فقد افتتحوا مدرستين داخليتين في الناصرة، واحدة لإعداد الراهبات والأُخرى لإعداد الرهبان، ومدرستين خارجيتين واحدة للذكور والثانية للإناث.[٧١] وتقع مدرسة الذكور الخارجية في بناء قرب دير الفرنسيسكان. أمّا مدرسة الرهبان فتأسست سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، وهي تعدّ طلابها ليصبحوا رهباناً، لكنها لا تفتح أبوابها بصورة دائمة، وإنما عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.[٧٢] كما كان للفرنسيسكان مدرسة قلبي يسوع ومريم الأقدسين في صفد.[٧٣]

أمّا راهبات مار يوسف فافتتحن، سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، مدرسة في الناصرة تراوح عدد طالباتها بين ٣٠ و٥٠ طالبة وكل معلماتها من الراهبات. كما أنشأن مدرسة للإناث في شفا عمرو.[٧٤]

وأنشأ السكان الكاثوليك المدارس المحلية المستقلة عن المدارس التبشيرية، فافتتحوا سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م مدرسة في حيفا، وأُخرى في الناصرة سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م في دار مستأجرة. وكان عدد طلابها يتراوح بين ٩٠ و١٤٠ طالباً يدرسهم أربعة معلمين.[٧٥] ثم أنشأوا مدرسة في شفا عمرو سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، وأُخرى في عكا يشرف عليها المطران غريغوريوس حجار ومديرها خليل المكرزل، وثالثة في طبرية سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.[٧٦]

ويبين الجدول التالي المدارس الخاصة وعدد الطلاب فيها سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م:[٧٧]

---

(٧٠) صحيفة «البشير»، العدد ٢٤٢٩، ١ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٤م، ص ٢.

(٧١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٧٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٦٥، ١٤ جمادى الثانية ١٣٢٤هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٩٠٦م، ص ٣.

(٧٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥، ١٥٦؛ Baedeker, *op.cit.*, p. 246؛ طوبى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

(٧٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٥؛ البحري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ ـ ٢٨.

(٧٦) يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في الأردن وفلسطين»، ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٧٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٨٨ ـ ١٩٥؛ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ٢٤١.

الجدول رقم ٥ ـ ٥

القضاء	المكاتب العادية				المكاتب العالية			
	الذكور		الإناث		الذكور		الإناث	
	مدارس	طلاب	مدارس	طالبات	مدارس	طلاب	مدارس	طالبات
قضاء عكا	١٠	٢٠٥	-	-	-	-	-	-
قضاء حيفا	٥	٨٩	١	١٠١	١	١٨٠	٣	٢٤٢
قضاء الناصرة	١٥	٥٨١	١	٣٠	-	-	-	-
ناحية شفا عمرو	-	-	-	-	-	-	-	-
قضاء صفد	-	-	-	-	-	-	-	-
قضاء طبرية	-	-	-	-	-	-	-	-
المجموع	٣٠	٨٧٥	٢	١٣١	١	١٨٠	٣	٢٤٢

يبين الجدول أن المدارس الأجنبية تركزت بصورة واضحة في الناصرة، وبدرجة أقل في عكا وحيفا. إذ نشطت المؤسسات التبشيرية في إنشاء المدارس في الناصرة، في حين خلت مدينتا صفد وطبرية من وجود المدارس الأجنبية، سواء أكانت العادية أم العالية، لقلة عدد المسيحيين في المدينتين، بينما اقتصر وجود مدارس الإناث على مدرسة عادية (ابتدائية) في حيفا وعلى ٣ مدارس عالية في الناصرة.

بلغ مجموع الطلاب والطالبات في هذه المدارس نحو ١٢٤٨ طالباً وطالبة، شكلوا ١١٪ من مجموع سكان اللواء المسيحيين البالغ عددهم ١٤,٣٨١ نسمة وفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م. وهذه نسبة مرتفعة قياساً بالطلاب المسلمين الذين كانوا يدرسون في الفترة نفسها في المدارس الحكومية الجديدة والذين بلغ عددهم ١٥٥ طالباً شكّلوا نحو ٠,٠٣١٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٥٠,١٩٢ نسمة.

ويوضح الجدول التالي المدارس (المكاتب) الأجنبية والطائفية في اللواء ومرحلة كل منها وسنة تأسيسها:[٧٨]

(٧٨) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤١، ٩٤٢.

الجدول رقم ٥ ـ ٦

المدينة	الدولة صاحبة المدرسة	عدد الطلبة	تاريخ الافتتاح
صفد	إنكلترا	إعدادي ٣٠	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧م
الناصرة	روسيا	رشدي ٣٠	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧م
الناصرة	روسيا	إعدادي ٤٥	قديم
الناصرة	ألمانيا	رشدي ٣٠ + ٢٥ أنثى	١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م
حيفا	ألمانيا	رشدي غير معروف	بلا رخصة
حيفا	ألمانيا	إعدادي ٢٥	قديم
حيفا	ألمانيا	إعدادي غير معروف	قديم
حيفا	فرنسا	إعدادي ١٥	١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م
حيفا	فرنسا	إعدادي ٧٠	١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م
عكا	روم أورثوذكس	رشدي ٧٢	١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م
صفد	مارونية	رشدي ٢٢	قديم
صفد	موسوية/ يهودية	رشدي ٦٠	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م
حيفا	موسوية/ يهودية	إعدادي ١٥	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م

شجع التوسع في إنشاء المدارس الطائفية وما رافقه من تعميق الخلافات المذهبية بين الطوائف بعض المهتمين بالتعليم على إنشاء مدارس غير طائفية. ففي سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، أنشأ نخلة زريق مدرسة في عكا للطلاب الذين لا يرغبون في الدراسة في المدارس الطائفية والتبشيرية، على أن يدفعوا له أجرة التعليم. فاجتمع في المدرسة عشرون طالباً يدرسون العربية والفرنسية ومسك الدفاتر.[٧٩] وفي سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، أسست المعلمة مرثا عواد، من الناصرة، مدرسة مكونة من خمسة صفوف يعمل فيها أربعة من المعلمين والمعلمات، وكانت اللغة الفرنسية هي لغة التدريس.[٨٠]

ويبين الجدول التالي عدد المدارس وعدد المعلمين والمعلمات وعدد الطلاب قياساً بعدد السكان في اللواء سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م:[٨١]

(٧٩) مجلة «المقتطف»، المجلد ٣، ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، ص ٦٩٢.

(٨٠) طوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

(٨١) مكاريوس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣٧.

الجدول رقم ٥ ـ ٧

المدينة	مدارس الذكور	مدارس الإناث	المعلمون	المعلمات	عدد الطلاب	عدد الطالبات	عدد السكان	النسبة (٪)
عكا	٢١	٢	٣٠	٧	٥٠٠	١٥٠	١٠,٠٠٠	٦,٥
طبرية	٢١	١	٨	-	٢٠٠	-	٣٠٠٠	٦,٥
صفد	١٠	-	١٥	-	٣٠٠	-	٥٠٠٠	٦
حيفا	٢٠	-	٢٠	-	٤٠٠	-	٦٠٠٠	٦,٥

وعلى الرغم من أن المدارس الطائفية قامت بدور أساسي ومهم في عملية التعليم فإنها استخدمت المدارس وسيلة لمساعدتها في نشر المذاهب المسيحية الغربية بين السكان المسيحيين. ويتضح هذا من كون معظم هذه المدارس خضع لإشراف الرهبان والراهبات، كما أن المدرسين كانوا في معظمهم من الرهبان والراهبات، وقد احتل التعليم الديني حيزاً كبيراً من برامجها التعليمية. فمثلاً، أكثرت المدارس الأورثوذكسية الروسية من التعليم الديني وممارسة الصلوات وحفظ فروض العبادة، وفرضت على جميع طلابها الذهاب إلى الكنيسة صباح ومساء كل يوم أحد، إذ كان من أهداف الجمعية الإمبراطورية، الروسية، نشر التعليم الديني الأورثوذكسي بين السكان.[٨٢]

كذلك حرصت المدارس الطائفية على الاحتفال بالأعياد الدينية المسيحية؛ فاحتفلت راهبات مار يوسف في شفا عمرو، سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م، بتوزيع الجوائز في يوم عيد شفيعهن القديس يوسف الذي أقمن له تمثالاً في الناصرة.[٨٣] كما احتفلت مدرسة اللاتين في شفا عمرو بعيد القديس يوحنا سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.[٨٤]

ونتيجة التركيز على الجانب الديني في هذه المدارس فقد أدى التعليم إلى انقسام الأمة إلى شيع وأحزاب مختلفة ومتناقضة، تخدم كل فئة من السكان الدولة الأجنبية التي أنشأت مدارسها.[٨٥] بل إن الانقسام والاختلاف زاد بين

(٨٢) نعيمة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٩؛ داغر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠١ ـ ٩٠٤.

(٨٣) صحيفة «البشير»، العدد ٩١٥، ٧ جمادى الثانية ١٣٠٥هـ/٨ آذار (مارس) ١٨٨٨م، ص ٢.

(٨٤) المصدر نفسه، العدد ١٦٦١، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٢هـ/٨ آب (أغسطس) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٨٥) محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٢، ص ٨٠؛ جرجس المقدسي، «التعليم قديماً وحديثاً في سوريا»، «المقتطف»، المجلد ٣١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ٧٤٩.

المسيحيين أنفسهم من أورثوذكس وكاثوليك ولاتين وموارنة.[٨٦]

وقد دفعت هذه المساوىء، التي نجمت عن تعدد المدارس الطائفية والتبشيرية وتنوع مناهجها، إلى ظهور الدعوات التي تطالب بتوحيد مناهج التعليم وتعميم التعليم الابتدائي في البلاد العربية. فأوردت صحيفة «المقتبس» أن المهتمين بالتعليم من سكان الناصرة رحبوا بمشروع المنتدى الأدبي الذي أعلنه رئيس المنتدى، عبد الكريم القاسم الخليل، وعقدوا اجتماعاً في بيت توفيق الفاهوم حيث شرح لهم الرئيس خطته وغايته من توحيد التعليم وتعميمه وضرورة نهوض الأمة لمجاراة الأمم في ميادين الترقي والتقدم. وتباحث الحاضرون في تأليف لجنة لمساعدة المنتدى الأدبي، وانتخبوا توفيق بك الفاهوم للرئاسة وقاضي الناصرة والمفتي للعضوية، بالإضافة إلى عدد آخر من الأعضاء.[٨٧]

د) التعليم اليهودي

أقام اليهود في اللواء المدارس الخاصة بهم، وكانت قسمين: المدارس الدينية التي تعلّم التلمود والتوراة وتسمى تلمود توراه، وكانت اللغة العبرية لغة التدريس فيها إضافة إلى لغات الدول التي هاجر منها اليهود. وبعد أن ينهي الطالب دراسته في مدارس تلمود توراه ينتقل إلى مدرسة أعلى تسمى اليشيفاه حيث يدرس التلمود والتاريخ والجغرافيا وآداب الحاخامين. وتعدّ هذه المدرسة طلابها ليصبحوا حاخامين. فكان في صفد مدرستان من هذه الفئة تأسست الأولى سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، وتأسست الثانية سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، بالإضافة إلى مدرستين في طبرية، تأسست الأولى سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، وفتحت الثانية أبوابها سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.[٨٨]

إضافة إلى المدارس الدينية، أنشأت الجمعيات اليهودية الأوروبية المدارس

(٨٦) محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣ ـ ٨٥؛ فيليب وفريد الخازن، «مجموعات المحررات السياسية»، ص ٢١٩.

(٨٧) الأعضاء الآخرون هم: محمد علي الفاهوم، وراجي فرح، وحسين حمادة، وحبيب الخوري، ويوسف العبيد، والدكتور مصباح ناصر، وخالد محمد، وكامل قعوار. أنظر: صحيفة «المقتبس»، العدد ٧٨٤، ٢٣ شعبان ١٣٢٩هـ/١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٢.

(٨٨) Hennittazold, *Recent Jewish*, p. 134; Mark Wischnitzer, *Traditional Institution in Palestine*, pp. 1-57;

عبد الوهاب المسيري، «موسوعة المفاهيم الصهيونية»، ص ٣٦٠.

الحديثة، فافتتح الاتحاد الإسرائيلي العالمي (الأليانس) (Alliance Israélite Universelle)[٨٩] المدارس في المدن التي يقيم بها اليهود.

ويبين الجدول التالي مدارس الأليانس في لواء عكا حتى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وسنة تأسيس كل منها:[٩٠]

الجدول رقم ٥ ـ ٨

المدينة	المرحلة	الجنس	السنة
حيفا	ابتدائية	ذكور	١٢٩٩هـ/ ١٨٨١ ـ ١٨٨٢م
حيفا	ابتدائية	إناث	١٣١٣هـ/ ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦م
صفد	ابتدائية	ذكور	١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨م
صفد	ابتدائية	إناث	١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨م
طبرية	ابتدائية	ذكور	١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨م
طبرية	ابتدائية	إناث	١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م

كما تولت جمعية عزرا (Dutch Hilfverein)[٩١] إنشاء المدارس في المدن والمستعمرات اليهودية في اللواء. فذكر ماسترمان سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م أن جمعية عزرا تدير مدرسة للإناث وأُخرى للذكور في صفد،[٩٢] كما أنها تدير مدارس للأطفال، فكان لها مدرسة للأطفال (حضانة) في حيفا.[٩٣]

---

(٨٩) المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٣، ٢٤٢؛ *E.J.*, Vol. 2, pp. 45-48; Albert Hyamson, *Palestine The Rebirth*, pp. 237-248; E.W.G. Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917, p. 174.

(٩٠) Eliezer Manneberg, *The Evolution of Jewish Education*, pp. 250, 251; مركز الدراسات الفلسطينية، «شبكة التحالف الإسرائيلي»؛ *E.J.*, «Education,» Vol. 9, pp. 928-930.

(٩١) حركة يهودية ظهرت في ألمانيا سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م بمبادرة من تاجر القطن اليهودي جيمس سيـمـون (James Simon) والدكتور بول ناتان (Paul Nathan) بهدف مساعدة اليهود في أوروبا الشرقية والدولة العثمانية وتحسين أوضاعهم، وقامت الجمعية بنشاط واسع لنشر التعليم بين اليهود في الدولة العثمانية وخصوصاً في فلسطين. أنظر: Hyamson, *op.cit.*, pp. 237-248; *E.J.*, Vol. 8, pp. 478-480; محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧ ـ ١٦٠.

(٩٢) Masterman, *op.cit.*, p. 174.

(٩٣) ألكس كرمل، «حيفا»، ص ٢١٣؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٢.

وساهمت جمعية عزرا في إنشاء معهد العلوم التطبيقية (التخنيون) في حيفا الذي وُضع حجر الأساس له في ١ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ/١٨ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، وساعد الألمان الجمعية في الحصول على الإذن في البناء من السلطات العثمانية. وبعد اكتمال البناء سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، ومع بداية العمل في المعهد وقع الخلاف بين مجلس إدارة المعهد الذي رأى أن يتم التدريس باللغة الألمانية، وبين المدرّسين اليهود الذين أصروا على أن يكون التدريس باللغة العبرية، ونجحوا في فرض موقفهم على مجلس إدارة المعهد.[٩٤]

وذكرت جريدة «فلسطين»، سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، أن الفضل في وجود هذا المعهد (الكلية اليهودية الفنية) في فلسطين يعود إلى الدكتور بول ناثان الذي فكر في إنشاء الكلية، في أثناء سياحة له في فلسطين سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م. وبعد شراء الأرض للمعهد قدم جاكوب شيف، أحد أثرياء اليهود، ١٠٠ ألف دولار لمباشرة العمل تحت اسم الكلية اليهودية الفنية في فلسطين.[٩٥]

وأنشأ اليهود مدرسة زراعية في مستعمرة كنيرت (الصنبرة) جنوبي غربي طبرية لتدريب اليهود القادمين إلى فلسطين على الأعمال الزراعية. كما أقام اليهود الأميركيون محطة اختبار زراعية في عتليت جنوبي حيفا.[٩٦]

رابعاً: الإنفاق على المدارس

تنوعت طرق الإنفاق على المدارس بتعدد الجهات التي أنشأتها. كما اختلف الإنفاق على المدارس الحكومية بحسب مراحلها، فكان الإنفاق على المدارس الابتدائية مشتركاً بين السكان والدولة، إذ نص نظام المعارف الحكومية الذي صدر سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، على وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية وعلى أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدارس وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها.[٩٧] ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، افتتح مكتب ابتدائي في الناصرة بعد أن تبرع الأهالي بمبلغ ألف

---

(٩٤) *Hebrew Technical Institute*, pp. 5-7; *Hand Book*, p. 203; محافظة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ١٤٥٧، ٢١ جمادى الأولى ١٣٣٣هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٩١٥م، ص ٢.

(٩٥) صحيفة «فلسطين»، العدد ٢٣٨، ١٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/ ٢٢ أيار (مايو) ١٩١٣م، ص ٢.

(٩٦) *Hand Book*, p. 256.

(٩٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٤؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٠٩، ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، ص ١.

ريال مجيدي.(٩٨) وفي سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وافقت الدوائر المسؤولة في ولاية بيروت على إنشاء ثلاث مدارس في قرى كفركنا والمجدل وصفورية بعد أن تعهد الأهالي بتوفير ٨٥٠٠ قرش للإنفاق عليها.(٩٩)

كان اشتراك الأهالي في الإنفاق على المدارس الحكومية محصوراً في المدارس الابتدائية فقط، لأن نظام المعارف نص على أن تكون نفقات إنشاء المكاتب الإعدادية والرشدية ومخصصات معلميها وخدمتها وجميع مصاريفها من صندوق إدارة معارف الولاية.(١٠٠) وتتكون إيرادات المعارف من المخصصات الأميرية والإعانات السنوية التي يقدمها الأهالي والمخصصات الوقفية والإعانات المتفرقة التي يقدمها السكان والأجرة التي تؤخذ من طلبة المكاتب السلطانية والعالية.(١٠١)

شكلت النفقات المخصصة للمعارف جزءاً بسيطاً من ميزانية اللواء، فبلغت، مثلاً، سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ٢٠,٧٨٤ قرشاً، من مجموع نفقات اللواء التي كانت تبلغ ١,٥٥٢,١٨١ قرشاً، أي ما نسبته ١,٣٣٪ من مجموع النفقات.(١٠٢) وقد حاولت الدولة زيادة نفقات التعليم في اللواء فبلغت نحو ١٧٤,٠٢٢ قرشاً سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م،(١٠٣) بينما بلغت الأموال المخصصة لنفقات التعليم في قضاء طبرية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م نحو ٤٩,٠٠٠ قرش موزعة على النحو التالي:(١٠٤)

الجدول رقم ٥ ـ ٩

البند	المبلغ
راتب أمين الصندوق السنوي	١٨٠٠ قرش
راتب الكاتب	٣٦٠٠ قرش
نفقات القرطاسية	١٢٠ قرشاً
نفقات المكتب الابتدائي للذكور وعدد تلامذته ١٠٠ تلميذ:	
راتب المعلم الأول سنوياً	٥٤٠٠ قرش
راتب المعلم الثاني عدا ما يأخذه من الحكومة	١٠٨٠ قرشاً

(٩٨) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٠، ١٠ شعبان ١٣٠٣هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٨٥م، ص ١.
(٩٩) صحيفة «المقتبس»، العدد ٧٧٠، ١٩ رمضان ١٣٣٠هـ/ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢م، ص ١.
(١٠٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦١.
(١٠١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٦.
(١٠٢) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٢٠٠.
(١٠٣) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.
(١٠٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٢ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ١.

تابع الجدول رقم ٥ ـ ٩

البند	المبلغ
راتب المعلم الثالث	٣٠٠٠ قرش
راتب المعلم الرابع	١٢٠٠ قرش
راتب معلم القرآن	١٢٠٠ قرش
متفرقات	٢٤٠ قرشاً
نفقات المكتب الابتدائي للإناث وعدد تلميذاته ٣٢ تلميذة:	
راتب المعلمة الأولى	٥٤٠٠ قرش
راتب معلمة التطريز	٢٤٠٠ قرش
راتب المعلمة الثانية	١٨٠٠ قرش
راتب الخادمة	١٢٠٠ قرش
متفرقات	٢٤٠ قرشاً
أجرة محل	١٢٠٠ قرش
المجموع	٢٩,٨٨٠ قرشاً

شكلت رواتب المعلمين نسبة عالية من نفقات التعليم، ولعل الدولة أرادت من ذلك تشجيع المدرسين على العمل في المدارس الحكومية.(١٠٥) إلاّ إنه كان هناك تفاوت فيما بين رواتب المعلمين أنفسهم، وكذلك فيما بين رواتب المعلمات أنفسهن.

ويظهر من هذه الميزانية أن المبلغ المخصص للإنفاق على التعليم والبالغ ٤٩,٠٠٠ قرش لم ينفق منه سوى ٢٩,٨٨٠ قرشاً، بينما بقي ١٩,١٢٠ قرشاً في صندوق شعبة المعارف. ويعني ذلك وجود فائض مالي لدى الشعبة في القضاء يمكن استخدامه في إنشاء مدارس أُخرى وتزويدها ما يلزم من أدوات ومرافق.

كما أُنفق على بعض المدارس الحكومية من الأموال السلطانية، فأشارت صحيفة «البشير» سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م إلى صدور الإرادة السنية بتأسيس مدرسة رشدية في الناصرة تحمل الاسم الشاهاني (السلطان) وتؤخذ نفقاتها من إيرادات الأملاك السلطانية.(١٠٦)

(١٠٥) نص الدستور العثماني على أن رواتب المعلمين والمستخدمين في المكاتب الرشدية هي على النحو التالي: المعلم الأول ٨٠٠٠ قرش؛ المعلم الثاني ٥٠٠ قرش؛ المبصر ٢٥٠ قرشاً؛ البوّاب ١٥٠ قرشاً شهرياً. أنظر: نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٥٩.
(١٠٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٤٥، ١٨ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م، ص ٣.

وفي الوقت نفسه تنوعت طرق الإنفاق على المدارس التبشيرية، فخصصت الدول الأوروبية، مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا، الأموال للإنفاق على هذه المدارس. ويبين الجدول التالي المساعدات الفرنسية لبعض المدارس التبشيرية في اللواء سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م:[١٠٧]

الجدول رقم ٥ ـ ١٠

موقع المدرسة	المدرسة	المبلغ المخصص
حيفا	مدرسة الفرير راهبات الناصرة	١٥,٨٠٠ قرش ٦٠٠٠ قرش
الناصرة	مدرسة الفرير راهبات الناصرة راهبات القديس يوسف	١٠,٠٠٠ قرش ٣٠٠٠ قرش ٩٤٠٠ قرش
عكا	راهبات الناصرة مدارس المطران صباغ للروم الكاثوليك	٣٠٠٠ قرش ٧٥٠٠ قرش
شفا عمرو	راهبات الناصرة	٢٥٠٠ قرش

وقد خصصت فرنسا في ميزانيتها لسنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م مبلغ ٣,١٠٥,٠٠٠ قرش للإنفاق على مدارسها في بلاد الشام، وقد تزايد المبلغ باستمرار فوصل إلى ٥,٤٠٠,٠٠٠ قرش سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.[١٠٨]

وزادت الحكومة الروسية باستمرار في الأموال التي تخصصها للجمعية الإمبراطورية الأورثوذكسية، الروسية، فكانت قيمة ما تنفقه على مدارسها في سورية وفلسطين ١٢٦ ألف روبل في سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وزاد المبلغ إلى ١٤٨ ألف روبل سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م.[١٠٩]

كما تلقت المدارس التبشيرية التبرعات المالية من الأغنياء والمحسنين في أوروبا، فذكرت نيوتن الإنكليزية أنها كانت تشرف على عشر مدارس أُسست بتبرعات جُمعت من إنكلترا.[١١٠] كما أن المشرفين على هذه المدارس كانوا يتنقلون بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية لجمع الأموال اللازمة

(١٠٧) مروان بحيري، «القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني»، ج ١، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(١٠٨) *Hand Book*, p. 204.

(١٠٩) صحيفة «فلسطين»، العدد ٢٠٥، ١٠ صفر ١٣٣١هـ/ ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م، ص ٢.

(١١٠) Newton, *op.cit.*, pp. 60-63.

لبناء هذه المدارس. ففي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، احتُفل بالانتهاء من بناء مدرسة ميتم يسوع الشاب للآباء الساليزيان في الناصرة، التي أشرف على إقامتها الأب الساليزي إثناس بروس الذي تنقل في الأقطار الأوروبية لجمع الأموال اللازمة لبنائها.[١١١]

وقد خصصت المؤسسات الطائفية المحلية الأموال للإنفاق على المدارس التابعة لها. ففي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، قرر المجلس الأورثوذكسي المختلط ميزانية المدارس التابعة له، فحدد ٣١٥٠ ليرة عثمانية للإنفاق على مدارس يافا وعكا وبيت لحم والناصرة والسلط، على أن يخصص ٦١٠ ليرات لكل مدينة منها، بينما خصص ١٥٠٠ ليرة لمدارس حيفا ومأدبا والحصن واللد والرملة وغزة، أي لكل منها ٢٥ ليرة عثمانية.[١١٢] كما خصص أغنياء الطوائف المسيحية المحلية الأموال للإنفاق على مدارس الطوائف، فكان فؤاد السعد ينفق سنوياً من ماله على تعليم أبناء طائفته وإقامة المعابد والمدارس لها.[١١٣]

كل ذلك جعل التعليم في بعض المدارس الخاصة مجاناً باستثناء المدارس البروتستانتية، فذكرت صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م: «والمدارس كلها مجانية التعليم والمستشفيات للفقراء مجانية ولكن مدارس الإنكليز تتقاضى من تلامذة المدارس الخارجية شيئاً قليلاً ليقال إنه لم يتعلم دون مقابل.»[١١٤] فكان رسم المدرسة الإنكليزية في حيفا ثلاث ليرات إنكليزية (٤٠٥ قروش) عن كل تلميذ خارجي، واثنتي عشرة ليرة إنكليزية (١٦٢٠ قرشاً) عن كل تلميذ داخلي.[١١٥]

وذكر أسعد داغر: «أن الجمعيات الإنجيلية والكاثوليكية كانت تتسابق في السنين الغابرة إلى جمع أولاد سوريا من الأزقة والشوارع وأخذهم إلى مدارسها وتعليمهم بدون أن تسوم أهلهم نفقة إلاّ إنها غيّرت خطتها القديمة وأخذت تتنافس في ضرب الأجور الفاحشة والنفقات الباهظة على الذين يطلبون تحصيل العلوم في مدارسها. أمّا الجمعية الروسية فقد عممت التعليم المجاني في كل مدارسها بلا استثناء ونهت الرؤساء والمدراء نهياً قطعياً عن تكليف أحد الأولاد غنياً أو فقيراً أن

(١١١) صحيفة «البشير»، العدد ٢٤٢٩، ١ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٤م، ص ٢.

(١١٢) صحيفة «فلسطين»، العدد ١٤٤، ٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٠هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٢م، ص ٣.

(١١٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٣.

(١١٤) المصدر نفسه، العدد ١١٢٧، ١٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩١٣م، ص ٢.

(١١٥) المصدر نفسه، العدد ٤١٠، ٢١ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ٣١ أيار (مايو) ١٩١٠م، ص ٤.

يدفع قرشاً واحداً مدة وجوده فيها بل يتلقى العلوم ويتناول الكتب والدفاتر والأقلام والحبر والورق وكل ما يحتاج إليه مجاناً بلا ثمن على الإطلاق.»[١١٦]

خامساً: المواد الدراسية

اختلفت المواد والعلوم الدراسية من مدرسة إلى أُخرى، كما اختلفت بين المدارس الخاصة والحكومية، وتنوعت المواد التي تدرس في المدارس الحكومية بحسب مراحلها. ففي المدارس الابتدائية كان يتم تدريس القراءة والحساب والجغرافيا والتاريخ العثماني.[١١٧] وفي المدارس الإعدادية، ومدتها ثلاثة أعوام، كان يتم تدريس الكتابة والإنشاء بالتركية، وأصول الحساب، ومسك الدفاتر، والجغرافيا، واللغة الفرنسية، والهندسة، وعلم المساحة، والقوانين العثمانية، والتاريخ العام، والفلسفة الطبيعية، والمنطق، والكيمياء، والجبر، والرسم.[١١٨] أمّا في المدارس الرشدية للذكور ومدتها أربعة أعوام فكان يتم تدريس مبادىء العلوم الدينية، وقواعد اللسان العثماني، والإملاء، والإنشاء، والقواعد العربية والفارسية، وعلم الحساب، وأصول مسك الدفاتر، ورسم الخطوط، ومبادىء الهندسة، والتاريخ العمومي، والتاريخ العثماني، والجغرافيا.[١١٩]

ويُدَرَّس في مدارس الإناث الرشدية، ومدتها أربعة أعوام، العلوم الدينية، ومختصر التاريخ والجغرافيا، وقواعد اللسان العثماني، وأصول الحساب، ومسك الدفاتر، ومبادىء القواعد العربية والفارسية، والرسم، والإملاء، والإنشاء، وفنون الخياطة، ومنتخبات أدبية، والتدبير المنزلي، والموسيقى، إلاّ إن الإناث لا يجبرن على دراستها. وكانت المواد المختصة بالأمور المذهبية، والفنون، وقواعد اللغة العربية والفارسية، تدرس بمعرفة الرؤساء الروحيين للطوائف الدينية.[١٢٠]

وقد وضعت المدارس الخاصة المواد والمناهج التي تخدم الأغراض التي أُنشئت من أجلها، فاهتمت المدارس البروتستانتية بتدريس اللغة الإنكليزية، بينما اهتمت المؤسسات الكاثوليكية بتدريس اللغتين الفرنسية والإيطالية، والمدارس الأورثوذكسية بتعليم اللغة الروسية. بالإضافة إلى ذلك، اهتم بعض المدارس

(١١٦) داغر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠١ ـ ٩٠٤.
(١١٧) حنا صلاح، «فلسطين»، ص ١٠١.
(١١٨) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٦٢.
(١١٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٩.
(١٢٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦١.

بتدريس اللغتين العربية والتركية. كما اهتمت المدارس الخاصة، بصورة عامة، بتدريس العلوم الدينية على مذاهب الطوائف والمؤسسات التي أنشأتها. فتحدث هوبود (Hopwood) عن المناهج التي تدرس في المدارس الروسية قائلاً: «احتوت المناهج الأولى على دراسات دينية وعلى اللغة العربية واللغة الروسية والحساب والجغرافيا، إلاّ إن تلك المواد كانت مصبوغة بالصبغة الدينية، فالتاريخ في الغالب كان عن حياة القديسين، والجغرافيا كانت عن الأماكن المقدسة. وتدرس اللغة العربية بطريقة السؤال والجواب، وتتناول الأمور الدينية. كما دُرّست مادتا الغناء والموسيقى وأُنشدت أناشيد مثل فليرع الله القيصر، وعزفت على الكمان موسيقى (المجد لقيصرنا). ثم أدخلت مواد علمية، بصورة متدرجة، ضمت الصناعات اليدوية وتجليد الكتب والنجارة وفن الزراعة، كزراعة الأشجار المثمرة والعناية بالحدائق.»[١٢١]

وتحدث ميخائيل نعيمة عن التدريس في المدارس الروسية فقال: «كانت الدروس تلقن باللغة الروسية ما خلا العربية وآدابها والتاريخ العام والتعليم المسيحي، ولعل دار المعلمين الروسية في الناصرة كانت المدرسة الأولى في العالم العربي التي اهتمت بتدريس الأدب العربي وفن التربية والتعليم، ولأنه لم يكن قد قام بعد من العرب من يكتب تاريخ الأدب العربي بطريقة جامعة تصلح للتدريس في المدارس فقد كنا نستعين بترجمة خطية لكتاب وضعه في الموضوع أحد المستشرقين الروس، وكان على كل منا أن ينسخ الترجمة بنفسه لنفسه.»[١٢٢]

لكن التعليم باللغة الروسية حال دون أن يرسل بعض الأهالي أبناءهم إلى المدارس الروسية لأنهم أرادوا تعليمهم اللغتين الإنكليزية والفرنسية، لما يأملونه من دراسة هاتين اللغتين من العمل في التجارة مع الشركات الفرنسية والإنكليزية، بينما كانت دراسة اللغة الروسية لا تفيدهم في هذا المجال.[١٢٣] وقد أجبر هذا الأمر الروس على تغيير برامجهم الدراسية وإدخال تعليم اللغتين الفرنسية والإنكليزية في مدارسهم.[١٢٤]

أمّا مدرسة الآباء الفرنسيسكان في الناصرة، فكانت تدرّس اللغات العربية

(١٢١) Hopwood, *op.cit.*, p. 111.
(١٢٢) نعيمة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤١ ـ ١٤٣.
(١٢٣) «مجلة الجامعة»، المجلد ٢٢ ـ ٢٤، السنة الثانية، ١٣١٨ ـ ١٣١٩هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠١م، ص ٦٦٨، ٦٦٩؛ صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.
(١٢٤) Hopwood, *op.cit.*, p. 103.

والفرنسية والإنكليزية.[١٢٥]

إضافة إلى اللغات، اهتمت المدارس الكاثوليكية بتدريس الديانة المسيحية، أي الصلوات والطقوس والفروض الدينية. فقد اهتمت مدارس الفرير بتدريس اللغتين الفرنسية والعربية، ثم أضافت تعليم اللغتين التركية والإنكليزية فضلاً عن اهتمامها بتعليم الدين.[١٢٦] واهتم بعض المدارس بتدريس اللغات والعلوم والآداب والعلوم الدينية إضافة إلى التعليم المهني. ففي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، أنشأ الآباء الساليزيان ميتم يسوع الشاب في الناصرة، وغايته تعليم الأيتام الحقائق الدينية مع تعليمهم فن الزراعة والخياطة والنجارة واللغتين العربية والفرنسية. وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، أُلحقت مدرسة بهذا الميتم يعلَّم فيها الطلاب اللغات الفرنسية والإنكليزية والعربية والإيطالية، والجغرافيا، والرياضيات، والتصوير، والترتيل، والموسيقى، والتربية البدنية.[١٢٧]

كانت المدرسة الإنكليزية في حيفا تدرّس اللغات الإنكليزية والعربية والتركية والفرنسية، والحساب والجبر، والطبيعيات، والجغرافيا، والتاريخ، والفيزيولوجيا (علم الأحياء)، والتصوير، والموسيقى، والأدب، والكتاب المقدس. كما أنها كانت تعنى بتربية الطلاب على الآداب الصحيحة وتقوية عقولهم وأبدانهم بالألعاب الرياضية. وكانت المواد الدراسية في هذه المدارس شبيهة بالعلوم المتبعة في الكلية الأميركية في بيروت.[١٢٨]

ويدرس الطلاب الألمان في المدرسة العليا في حيفا (الكولونية الألمانية) اللغات العربية والفرنسية والألمانية والإنكليزية، والحساب، والرسم، والجغرافيا، والرياضيات، والموسيقى، ويتعلمون في المدرسة الدنيا اللغتين الألمانية والعربية، والكتابة، والحساب، والغناء. وفي المدرستين تعطى التعاليم الدينية. أمّا الإناث فيتعلمن الخياطة والحياكة والتطريز.[١٢٩]

وقد مارست المدارس الخاصة نشاطات أدبية ومسرحية إلى جانب التعليم. فمثلاً، احتفلت مدرسة الآباء الفرنسيسكان، سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، بتمثيل رواية

(١٢٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٣٩، ٣٠ محرم ١٣١٠هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٩٢م، ص ٢.
(١٢٦) المصدر نفسه، العدد ٢٢٨٢، ١٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٣م، ص ٣؛ صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.
(١٢٧) صحيفة «البشير»، العدد ٢٤٢٩، ٢ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٤م، ص ٢.
(١٢٨) المصدر نفسه، العدد ٢٢٨٢، ١٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٣م، ص ٣.
(١٢٩) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 346-349; Conder, *op.cit.*, Vol. 2, p. 308.

كليوباترا باللغة العربية.[١٣٠] واحتفلت مدرسة الفرير في حيفا سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م بتمثيل روايتين، واحدة عربية وأُخرى فرنسية.[١٣١] وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٣م، احتفلت مدرسة الآباء اليسوعيين في البصة بتمثيل مأساة عربية (لم يشر المصدر إلى اسمها).[١٣٢]

تفاوتت أعداد المعلمين من مدرسة إلى أُخرى، إذ نص نظام المعارف على أن يكون في كل مكتب إعدادي ستة معلمين، إضافة إلى بواب ومبصر،[١٣٣] وعلى أن يكون في كل مكتب رشدي للذكور معلم أو معلمان أول وثانٍ بحسب عدد الطلاب، إضافة إلى مبصر وبوّاب. وتضم مدارس الإناث الرشدية بين معلمتين وأربع معلمات، فضلاً عن معلمة للخياطة، وأُخرى للموسيقى ومبصرة وبوابة.[١٣٤]

كان معظم المعلمين في المدارس التبشيرية والطائفية من الرهبان والراهبات، فكان للاّتين في الناصرة مدرسة فيها ثمانية معلمين، نصفهم من الرهبان. وكان كل معلمات مدرسة راهبات مار يوسف للإناث راهبات، وكان كل المعلمين في ميتم الساليزيان رهباناً،[١٣٥] بينما كان المدرسون في المدارس الأورثوذكسية الروسية من الروس والعرب.[١٣٦]

وتولى رجال الدين اليهود (الحاخامون) التدريس في المدارس اليهودية، فأشار أحد السجلات الشرعية إلى الحاخام داود خلفون الموسوي، معلم مدرسة الإسرائيليين في حيفا.[١٣٧]

وعلى الرغم من إنشاء المدارس في اللواء في فترة مبكرة فإن عدد الخريجين

(١٣٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٣٩، ٣٠ محرم ١٣١٠هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٩٢م، ص ٢.
(١٣١) المصدر نفسه، العدد ١٦٠٧، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ١٧ آب (أغسطس) ١٩٠٣م، ص ٣.
(١٣٢) المصدر نفسه، العدد ١٦٥١، ١٦ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٩٠٤م، ص ٣.
(١٣٣) إن مهمة المبصر هي مراقبة المدرسة والمعلمين والطلاب ومعرفة كيفية أدائهم لعملهم. أنظر: نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٢٠.
(١٣٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٢؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ص ٢٤١، ٢٤٢.
(١٣٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥، ١٥٦.
(١٣٦) نعيمة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٢١؛ Hopwood, *op.cit.*, p. 111.
(١٣٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٤٧، ٢٤٨، ن ١٢، ١٨ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ١٢ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

من هذه المدارس لم يكن كافياً لتوفير حاجتها من المعلمين، وخصوصاً أن عدداً من خريجيها اتجه للعمل في الوظائف التجارية والمالية، ولذلك جاء بعض معلمي المدارس من خارج اللواء. فأشارت السجلات، مثلاً، إلى إسكندر بن جبرائيل كزما الدمشقي، مدير المدرسة الداخلية الروسية في الناصرة،[١٣٨] وأحمد ابن الحاج خضر المحمصاني العثماني البيروتي، معلم أول مكتب ابتدائي في حيفا،[١٣٩] ومحمد بن محسن ابن الشيخ عبد الحليم بدران النابلسي، معلم مكتب ابتدائي في حيفا.[١٤٠]

وكان المعلمون في المدارس الحكومية الرشدية فئتين هما: معلم أول، ومعلم ثانٍ. فمثلاً، ضم المكتب الرشدي في حيفا معلّمَين: المعلم الأول إسماعيل حقي، والمعلم الثاني حافظ صدقي (معلم رقعة). بينما ضم المكتب الرشدي في حيفا معلماً أول فقط هو عبد الرحمن أفندي. وضم المكتب الرشدي في صفد معلّمَين: المعلم الأول وهبي أفندي، والمعلم الثاني أحمد أفندي.[١٤١]

وقد كُلف بعض المعلمين القيام بأعمال أُخرى إضافة إلى التدريس، فكان بعضهم يجري عقود النكاح. فقد كتب قاضي حيفا إلى الشيخ حافظ صدقي، المعلم الثاني في المكتب الرشدي في حيفا: «أذنا لك بإجراء عقد نكاح فوزي بن صادق باشا على مخطوبته الحرمة سعدية بنت حسين أفندي وكلاهما من حيفا.»[١٤٢]

سادساً: الحركة الثقافية

تميزت الحركة الثقافية في اللواء بالتنوع، وساعد على ذلك وجود التعليم الديني، إضافة إلى المدارس الحديثة بفرعيها ـ الحكومية، والخاصة الأجنبية والمحلية ـ فضلاً عن ازدياد التأثير الثقافي الغربي في البلاد العربية الذي ترافق مع

(١٣٨) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٨٣، ن ٢٣١، ١٨ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ٧ حزيران (يونيو) ١٩٠٩م.

(١٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ٧١، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٠م.

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٨١، ن ٧٥، ٢٨ شعبان ١٣٢٠هـ/ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢م.

(١٤١) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(١٤٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٣، ن ١٢٧، ٧ جمادى الثانية ١٣٢٩هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٩١١م.

انتشار المدارس الأجنبية وزيادة الاتصال الثقافي والاقتصادي بين البلاد العربية والدول الغربية.

لقد انتشرت في اللواء الحركات الصوفية مثل الحركة الشاذلية التي تُنسب إلى الشيخ علي بن حسن المغربي اليشرطي، الذي ولد سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م في مدينة بنزرت في تونس وهاجر منها إلى عكا فنشر طريقته بين سكانها. ولقد انضم إليه عدد كبير من الناس، فنفاه ولاة دمشق إلى جزيرة رودس، إلاّ إنه عاد إلى عكا بعد أن توسّط له الأمير عبد القادر الجزائري فبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م. ثم خلفه ابنه الشيخ إبراهيم في رئاسة الحركة الشاذلية إلى أن توفي سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

وانتشرت في حيفا الطريقة الصوفية الرفاعية، فأشارت السجلات إلى الشيخ إبراهيم ابن الشيخ قاسم شقرا، شيخ الطريقة الرفاعية في حيفا.[١٤٣] كما أشار التميمي وبهجت إلى انتشار الطريقتين الشاذلية والرفاعية في عكا، بحيث كانت تسمع في ليلتي الجمعة والاثنين أصوات الأذكار من أماكن متعددة.[١٤٤]

وظهر في اللواء عدد من الفقهاء الذين درسوا في الكتاتيب المنتشرة في مدنه وقراه، ثم تابعوا دراستهم خارج اللواء ولا سيما في الأزهر. وتولى هؤلاء، بعد الانتهاء من دراستهم، الوظائف الدينية في اللواء وخارجه. وقد ساعد اتخاذ عكا مركزاً للواء منذ أيام ظاهر العمر في ازدهار حركة الثقافة الدينية فيه منذ أواخر القرن الثامن عشر، فظهر في عكا أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمود البطحيشي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) ومن مؤلفاته «حاشية على تنوير الأبصار»، و«شرح على ملتقى الأبحر».[١٤٥]

واشتهر محمد أفندي أبو الهدى في الإفتاء والقضاء خلال ولاية سليمان باشا العادل وفي عهد خليفته عبد الله باشا والي عكا، اللذين كانا يستشيرانه في الأمور الدينية. وقد قتل سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٣٢م بأمر من إبراهيم باشا لأنه كان يشجع عبد الله باشا على مواصلة القتال وعدم تسليم المدينة إلى المصريين. وقد ورث عبد الله بن محمد أفندي أبو الهدى مكانة أبيه في عكا، فكان قاضياً فيها في

(١٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٢٨، ن ٣٧، ١١ ربيع الأول ١٣٢٥هـ/ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

(١٤٤) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١، ١٣٢؛ وانظر أيضاً: ناجي حبيب مخول، «عكا وقراها»، ص ٩٢، ٩٣.

(١٤٥) كامل العسلي، «الحياة الفكرية في فلسطين»، قسم ٢، ص ٤٧٣.

الخمسينات من القرن التاسع عشر، واشتهر بموقفه الحازم من الصراعات الطائفية التي عمت بلاد الشام في سنة ١٨٦٠م.[١٤٦]

كما برز في عكا الشيخ عبد الله الجزار (١٢٧٢ - ١٣٥٨هـ/ ١٨٥٥ - ١٩٣٩م) الذي درس في الأزهر. وبعد عودته إلى عكا أسس المدرسة الأحمدية، وانضم إلى الطريقة الشاذلية مع الشيخ نور الدين اليشرطي ثم عُيِّن إماماً وخطيباً في جامع الجزار، وقاضياً شرعياً ومفتياً في عكا في أواخر العصر العثماني. وقد اهتم برواية الحديث، وحقق سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م «رسالة الربيع بن الليث».[١٤٧]

كذلك ظهر الشيخ يوسف النبهاني (١٢٦٦ - ١٣٥١هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٣٢م) الذي ولد في قرية إجزم بالقرب من حيفا، ودرس في الأزهر، وبعد عودته إلى عكا عمل مدرساً في جامع الجزار، ثم عُيِّن قاضياً في جنين، ثم انتقل إلى الآستانة وعمل محرراً في جريدة «الجوائب»، وألف عدة كتب دينية وبرع في الشعر، وله ديوان شعر في مدح الرسل سماه «العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية». وكان من المعارضين لسياسة الإصلاح التي دعا إليها كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، حتى أن محمود شكري الألوسي ألف كتاباً في الرد عليه سماه «غاية الأماني في الرد على النبهاني». ومن مؤلفاته الكثيرة: «الشرف المؤبد لآل محمد»؛ «جامع كرامات الأولياء»؛ «الفتح الكبير»؛ «الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة»؛ «جواهر البحار في فضائل النبي المختار»؛ «خلاصة البيان في بعض مآثر مولانا السلطان عبد الحميد وأجداده آل عثمان».

وبرز في صفد الشيخ أسعد قدورة الذي بدأ دراسته الأولى فيها ثم انتقل إلى الأزهر حيث تابع دراسته الدينية. وعاد بعدها إلى صفد وأنشأ مدرسة في الجامع الأحمر لتعليم الطلاب اللغة العربية والعلوم الدينية. كما تولى عدداً من الوظائف الدينية في قضاء صفد، وقد كان مفتياً لصفد في أواخر العصر العثماني.[١٤٨]

لم تقتصر الحركة الثقافية في اللواء على الجانب الديني بل ظهر فيه عدد من المؤرخين الذين اهتموا بتدوين الأحداث التي وقعت فيه، ولا سيما في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي أصبح فيها

(١٤٦) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥، ٣٢٧؛ عادل مناع، «أعلام فلسطين»، ص ٥١.

(١٤٧) عبد الرزاق البيطار، «حلية البشر»، ج ٤، ص ٢١٠؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

(١٤٨) «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الأول، ج ١، ص ٢٤٢؛ محمد حمادة، «أعلام فلسطين»، ج ١، ص ٣٢.

اللواء محور السياسة العامة في بلاد الشام، ومن هؤلاء: إبراهيم الصباغ الذي ولد في عكا ثم انتقل إلى باريس واتصل فيها بالمستشرق سلفستر دي ساسي. وقد عمل إبراهيم الصباغ في باريس على تحقيق بعض المخطوطات العربية ومنها مخطوطة «ألف ليلة وليلة». وترك بعد وفاته في سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م عدة مؤلفات منها: «تاريخ بيت الصباغ وحال الطائفة الكاثوليكية»؛ «متفرقات في تاريخ البادية والشام ومصر»؛ «تاريخ الشيخ عمر الزيداني».[١٤٩] كما ألف عبود الصباغ العكاوي كتاباً بعنوان «تاريخ ظاهر العمر الزيداني».[١٥٠]

وظهر من المؤرخين إبراهيم العورة الذي ولد في عكا في أواخر القرن الثامن عشر، وعمل كاتباً في ديوان سليمان باشا العادل، وألف كتاباً عنه بعنوان «تاريخ سليمان باشا العادل». وقد انتهى من تأليفه سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. ويعد الكتاب وثيقة تاريخية مهمة عن فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولا سيما مع قلة ما كُتب عن تاريخ هذه الفترة، إضافة إلى أن المؤلف كان شاهداً على الأحداث التي دوّنها.[١٥١]

كذلك ظهر القس أسعد منصور الذي ولد في شفا عمرو ودرس في مدرسة الشبان الإنكليزية في القدس، ثم أصبح راهباً للطائفة الإنجيلية في يافا والقدس والناصرة ورام الله، وزار بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وقد كان اهتمام أسعد منصور منصباً على التاريخ الديني لبعض المناطق في فلسطين، وألف عدة كتب منها: «تاريخ الناصرة»؛ «تاريخ جبل طابور أو طور التجلي»؛ «مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب»؛ «رحلة إلى بلاد الإنكليز».[١٥٢]

أدى انتشار المدارس الحكومية والمدارس الخاصة، الأجنبية والطائفية، إلى ظهور الأدباء والصحافيين الذين ساهموا في إثراء الحركة الثقافية وتنوعها، ولا سيما أولئك الذين درسوا في المدارس الروسية واهتموا بعد إنهاء دراستهم بالترجمة عن اللغة الروسية. وبرز من هؤلاء خليل بيدس (١٢٩١ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٧٤ - ١٩٤٩م) الذي تخرج من مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة، وأصدر سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م مجلة «النفائس» الأسبوعية على أنها مجلة أدبية، ثم صدرت تحت اسم «النفائس العصرية» وكانت شهرية. وقد نقل خليل بيدس مجلته إلى

(١٤٩) مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(١٥٠) كحالة، «معجم المؤلفين»، ج ٦، ص ٢٣٤.

(١٥١) مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(١٥٢) العودات، مصدر سبق ذكره؛ محمد حمادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٢٧.

القدس سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م.[١٥٣]

اهتم خليل بيدس بالأدب، وترجم عدداً من القصص والكتب الأدبية والتاريخية عن اللغة الروسية التي أتقنها في أثناء دراسته في مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة. وكان من أول الأعمال التي ترجمها: قصة «القبطان» و«القوزاقي الولهان» و«الطبيب الحاذق» لبوشكين، و«شقاء الملوك» لماري كورلي، و«أهوال الاستبداد» لتولستوي. كما ألف كتباً تاريخية، منها «تاريخ روسيا القديم»، وكتاباً في التربية بعنوان «العقد الثمين في تعليم البنين».[١٥٤]

كذلك برز من هؤلاء الأدباء والصحافيين سليم قبعين، الذي ولد في الناصرة ودرس في المدرسة الابتدائية الروسية وتخرج من مدرسة المعلمين الروسية. وقد ساهم في إثراء الحركة الأدبية في اللواء وخارجه، وفي تعريف العرب في تلك الفترة بالأدب الروسي.

هاجر سليم قبعين إلى القاهرة سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، وبدأ كتابة المقالات لحساب الصحف المصرية مثل «المقطم» و«المؤيد» و«الأخبار». وساهم في تحرير جريدة «المحروسة» لصاحبها الياس زخور. وترجم القصص الأدبية لعدد من الكتاب الروس، كتورغنيف وبوشكين ومكسيم غوركي، وأصدر في القاهرة مجموعة من الصحف:

- «الأسبوع»، سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.
- مجلة «عروس النيل»، سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.
- «النيل»، أنشأها وأصدرها مع محمد غانم سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.
- «سلسلة الروايات»، وصدر العدد الأول منها سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.
- «الإخاء»، وصدرت سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.

أمّا الكتب التي ترجمها سليم قبعين عن الروسية فهي:

- «محكمة جهنم» لتولستوي؛
- «أنشودة الحب» لتورغنيف؛
- «ربيب بطرس الأكبر» لبوشكين؛
- «حكم النبي محمد» لتولستوي؛
- «أنواع الغرام في باريس»؛

(١٥٣) طرازي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٧١ - ٧٢؛ يوسف خوري، «الصحافة العربية»، ص ٩؛ جان دايه، «النفائس العصرية»، «شؤون فلسطينية»، العدد ٨٦، ص ١٦٨ - ١٨٠.

(١٥٤) محمد جمعة الوحش، «مجلة النفائس»، ص ٣٥ - ٣٩.

- «قصص روسية»؛

وألف أيضاً مجموعة أُخرى من الكتب، منها:

- «مصرع القيصر نقولا الثاني»؛
- «السلطان حسين»؛
- «عبد البهاء والبهائية».[١٥٥]

كما تميزت الحركة الثقافية في اللواء بظهور الصحف في فترة مبكرة قياساً بباقي مناطق فلسطين، واقتصر صدورها على مدينة حيفا التي سبقت غيرها من مدن اللواء في التعليم ووجود المطابع. أمّا الذين أصدروا هذه الصحف فكانوا جميعاً من اللبنانيين الذين هاجروا إلى حيفا وأقاموا بها. ففي سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، أصدر نجيب نصار صحيفة «الكرمل» التي تميزت بكتابتها التي تدعو إلى محاربة الصهيونية في فلسطين والتنبيه إلى الأخطار الناجمة عن الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي.[١٥٦]

وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، أصدر جميل رمضان صحيفة «الصاعقة»، وهي صحيفة سياسية أدبية مستقلة.[١٥٧] كما صدرت في حيفا، في السنة نفسها، صحيفة «المحبة» الدينية الأسبوعية. وقد أصدرها فضل الله فارس أبي حلقة.

وفي السنة التالية (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، انتقلت صحيفة «النفير» من القدس إلى حيفا، وكان يصدرها إيليا زكا، ثم ابناه سهيل وزكي. وهي صحيفة أدبية علمية سياسية، وكانت من الصحف الموالية للحركة الصهيونية.[١٥٨]

كما صدرت الصحف الهزلية، ومن أشهرها صحيفة «جراب الكردي» التي كان يصدرها متري حلاج أسبوعياً سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. وأصدر كل من نجيب جانا وخليل زقوت صحيفة «الحمارة القاهرة» سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م. وفي سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، أصدر نجيب جانا «العصا لمن عصى»، وهي جريدة هزلية أدبية كانت تصدر أسبوعياً.[١٥٩]

(١٥٥) العودات، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٢ - ٥١٤؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(١٥٦) خوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٤؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٢.

(١٥٧) خوري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤؛ طرازي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٧١ - ٧٢.

(١٥٨) خوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٥؛ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(١٥٩) خوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢، ٢١، ٢٢؛ طرازي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٧١ - ٧٢.

الفصل السادس
ملكيّة الأرض والزراعة

أولاً: أشكال ملكية الأرض

تنوعت أشكال ملكية الأرض في لواء عكا في العصر العثماني على النحو التالي:

أ) أراضي الميري

تعود ملكية الأراضي الميري إلى الدولة، المالك الحقيقي للأرض. لكن الدولة منحت الفلاحين حق زراعتها على أن يدفعوا إليها ضريبة العشر السنوية في مقابل ذلك.[١]

وكان الانتفاع بهذه الأراضي مقروناً بشروط ينبغي للمزارعين التقيد بها. فلا يجوز تحويل الأرض إلى ملك خاص، أو زراعتها بالأشجار المثمرة، وإنما تزرع بالحبوب فقط، كالقمح والشعير والعدس والذرة والسمسم، ولذلك كانت تسمى أراضي مفتلح.[٢] كما لا يجوز للمزارع المنتفع بهذه الأرض بيعها أو نقل حق الانتفاع بها إلى شخص آخر؛ فهو يملك حق زراعتها فقط طوال حياته، وبعد وفاته ينتقل هذا الحق إلى أولاده، وإن لم يكن له أولاد ينتقل إلى إخوته أو أعمامه. وتعود الأرض إلى الدولة في حالة عدم وجود أحد من الورثة وتعتبر أراضي محلولة.[٣]

ووفقاً لنظام الأراضي الميري، لا يزرع الفلاحون الأرض نفسها باستمرار،

---

(١) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 60-66; *Hand Book*, p. 248;
نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ١، ص ١٥؛
Kenneth Stein, *The Land Question*, pp. 10-12.

(٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٦ ـ ٣٥؛
Samuel Bergheim, «Land Tenure,» *PEF*, 1894, p. 191.

(٣) F.A. Klein, «Life, Habits and Customs of the Fallahin of Palestine,» *PEF*, 1883, p. 41.

وإنما تتغير الأراضي التي يزرعونها كل عام أو كل عدة أعوام، فكان الفلاح ينتقل من قطعة أرض إلى أخرى ليزرع معظم أراضي القرية.[٤]

وقد وصف برغهايم، سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، طريقة توزيع الأراضي الميري على الفلاحين قائلاً: «توزع الأرض المشاع في القرية، كل عام، على أبنائها الراغبين في زراعتها والقادرين على ذلك. ولكل فرد الحق في زراعة الأرض المشاع بموجب حق المزارعة. فتقسم الأرض إلى أجزاء متساوية بحسب عدد الأفدنة في القرية. ويسمى من يقوم بزراعة الأرض المشاع الشدّاد، أي أنه يشدّ العدة ويتهيأ للفلاحة. ويعطى الشدّاد قطعة أرض ملائمة لعدد الأفدنة التي ينوي استخدامها. فقد يُعطى شخص ما أرضاً يكفي فدان واحد لفلاحتها، ويعطى آخر قطعة أرض يفلحها فدانان، وتقسم الأرض أحياناً إلى نصف فدان وتعطى للشخص الذي يملك ثوراً واحداً. ينتفع الشدّاد بقطعة الأرض المخصصة له مدة عام فقط، وتقتصر حقوقه على محاصيلها، فإذا جمعها انتهت حقوقه بالنسبة إلى التصرف في الأرض، ثم تقسم الأرض من جديد وتوزع على شدّادي القرية بالقرعة.»

أمّا عن كيفية توزيع الحصص على الفلاحين فيقول برغهايم: «إذا كانت مساحة الأرض عشرين فداناً، قُسمت أربعة أقسام: القسم الجنوبي والقسم الشمالي والقسم الغربي والقسم الشرقي. ثم يقسم كل قسم بدوره عشرين قسماً. ولكل حقل من أراضي القرية اسم خاص أُطلق عليه إمّا مصادفة، وإمّا لسبب ما، مثل حقل الصخرة، وحقل التلة. وتسمى الحصة أو القسم، الذي قسم إليه الحقل أو الأرض بالنسبة إلى عدد الأفدنة، المارس أو المارث. ويتم توزيع الحصص كما يلي: تكتب أسماء الحقول في كل قسم من الأقسام الأربعة على حصى صغيرة توضع في كيس. وهناك، عادة، أربعة أكياس: واحد لكل قسم. ويضم الكيس الواحد عشرين حصاة تحمل كل منها اسم قسم من الحقل. ثم يقف الشدّادون على شكل نصف حلقة يتوسطهم إمام القرية أو خطيبها وهو جالس. ويُدعى صبيّان دون الخامسة من العمر، كضمان لعدم تمييزهما، فيخرج أحدهما حصاة تحمل اسم أحد أقسام الحقل، ويسأل الإمام الصبي: لمن ستعطي هذه الحصة من الأرض؟ فيذكر الصبي اسم أحد القرويين الحاضرين أو يشير إليه بإصبعه، وتعطى له هذه الحصة تبعاً لذلك. ولا يُقبل أي اعتراض على هذا التدبير، وعلى الشدّاد أن يقبل هذه الحصة والحصص الثلاث الأُخرى التي تمنح له، لأن العملية تتكرر في الأكياس الأربعة. وتجرى عملية توزيع الحصص مرة كل عام، لذلك لا تبقى

(٤) *Hand Book*, p. 248; Bergheim, *op.cit.*, pp. 191-195.

الحصة بيد الشدّاد أكثر من عام، وقد تكون من نصيبه في العام التالي أو الذي بعده. وبناء على هذا، فإن من يملك زوجاً من الثيران يأخذ أربع حصص من الأرض في أماكن متفرقة من الأرض المشاع الميري.»[٥]

لم يكن توزيع الأرض الميري على المزارعين كل عام قاعدة ثابتة في القرى كافة، وإنما كانت الأراضي توزع في بعض القرى كل عدة أعوام تبعاً لرغبة السكان في ذلك. فمثلاً، اتفق المسيحيون والدروز في شفا عمرو على تقسيم الأراضي الميري بينهما مناصفة، يتولى كل فريق زراعة النصف بما فيه من سهول وجبال مدة سبعة أعوام، وبعدها ينتقل إلى النصف الذي كان الفريق الآخر زرعه.[٦]

انتشرت الأراضي الميري في قرى اللواء ومدنه. فمثلاً، ضمت قريتا أبو سنان والجديدة أراضي مشاع (ميري) معدة للزراعة الحقلية.[٧]

وميزت سجلات المحكمة الشرعية الأراضي الميري من غيرها من الأراضي الأُخرى، فأشارت إلى أولاد حسين بن محمد العيساوي الذين يمتلكون ثلاث حصص من مجموع خمس حصص في مجمل قطعة الأرض الميري الواقعة في الحليصة في حيفا.[٨] وقد أشارت حجة أُخرى إلى محمد عبد الرحمن من إجزم الذي يمتلك الثلث الشائع شراكة أخوية بالثلثين الباقيين في كامل الاثنتي عشرة قطعة أرض مفتلح الواقعة في أراضي قرية عين غزال.[٩] كما أشير إلى قاسم ابن الحاج حسين القط الذي له عدة قطع أراضي ميري في حيفا.[١٠] كذلك نجد في حجة أُخرى أن حنينة بنت حنا زوجة سليم الريس قد باعت ما يخصها من أملاك زوجها في جميع الأراضي الميري السليخ (غير المزروعة) الواقعة في قرى سطة وقوص وسولم في قضاء جنين.[١١]

وكانت مساحة الأراضي الميري تختلف من قرية إلى أُخرى بحسب موقعها الجغرافي وقربها من الأراضي السهلية. فمثلاً، كان أهالي صفورية يزرعون نحو

(٥) Bergheim, *op.cit.*, pp. 191-195; Klein, *op.cit.*, pp. 43-45.

(٦) إبراهيم الدر، «شفا عمرو»، ص ١٩٢.

(٧) Claude Conder & H.H. Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 145-148.

(٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٧٨، ن ٦٢، ٣ صفر ١٣٢٠هـ/ ١٢ أيار (مايو) ١٩٠٢م.

(٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٩، ن ٢، ٨ ربيع الثاني ١٣٢١هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩٠٣م.

(١٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ٧٢، ٢٣ جمادى الثانية ١٣٠٨هـ/ ٣ شباط (فبراير) ١٨٩١م.

(١١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٥٤، ن ١٠٢، ١٥ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م.

١٨,٧٥٠ دونماً، بينما كان أهالي قرية دالية يزرعون نحو ١٢٥٠ دونماً، ولذلك تختلف مساحة الأراضي التي تفلحها العائلة الواحدة من قرية إلى أُخرى باختلاف عدد السكان الذين يقومون بزراعتها.[١٢]

وقد اعتبرت الدولة العثمانية جميع الأراضي التي ترك المزارعون فلاحتها أراضي ميري محلولة،[١٣] يحق لها التصرف فيها. فمثلاً، اعتبرت ٤٠٠٠ دونم من أراضي خربة هوشة القريبة من شفا عمرو أراضي محلولة فملّكتها للمهاجرين الجزائريين.[١٤]

كما كانت كل أراضي القرى التي سكنها الجزائريون والبوسنيون والشركس أراضي محلولة ملّكتها الدولة العثمانية لهؤلاء المهاجرين، فذكرت صحيفة «الكرمل»: يوجد في قضاء طبرية أربع قرى غير سمخ سلمتها الحكومة إلى المهاجرين المغاربة الذين جاؤوا مع الأمير عبد القادر الجزائري.[١٥]

وقد عُرفت الأراضي الميري المحلولة أيضاً بالأراضي المعطلة، إذ سُجلت أراضي الحاج علي في قرية الغابة أراضي معطلة، وكُتب تحت جهة إعطاء السند «بإرادة سنية مجاناً».[١٦] كما أشارت السجلات الشرعية إلى الأراضي السليخ المعطلة غير المعدة للزراعة العائدة لعائشة بنت أحمد بيك الصلاح من حيفا.[١٧]

واعتبرت الدولة العثمانية بعد صدور قانون الأراضي أن أي شخص يحاول التهرب من تسجيل أرضه سيؤدي إلى تحويلها إلى أراضٍ محلولة. وعندما كان يتم الانتهاء من تسجيل أراضي القرى بأسماء المزارعين فيها، كان مختار القرية وعدد من رجالها يوقعون تعهداً كتب فيه، مثلاً: «بتاريخه حضر حافظ أفندي كاتب

---

(١٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 100-200.

(١٣) حدد القانون العثماني الحالات التي تحوَّل فيها الأراضي الميري إلى أرض محلولة منها، مثلاً: وفاة المزارع من دون ورثة يحق لهم زراعة الأرض؛ إذا عطلت الأرض أكثر من عامين أو كتمت؛ إذا ترك سكان إحدى القرى أراضيهم أكثر من ثلاثة أعوام. أنظر أحكام الأراضي المحلولة، في: نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦ ـ ٣٤.

(١٤) الدر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣؛
Stein, *op.cit.*, pp. 12, 13.

(١٥) صحيفة «الكرمل»، العدد ٨٥٦، السنة التاسعة، ٨ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/ ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢م، ص ٢.

(١٦) سجل أراضي رقم ١١، حيفا قضاسك، حاصلات دفتر يدر، ص ١٨، ١٩.

(١٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٤، ن ٩، ٢٢ رجب ١٣٠٥هـ/ ٤ نيسان (أبريل) ١٨٨٨م.

الطابو بلواء عكا إلى بلدتنا قرية الزيب التابعة لساحل عكا، وقد أجرى تحرير كامل أراضيها وتعيين كامل قطعها كما بيانه في هذا الدفتر، وتعهدنا نحن الواضعين أسماءنا وأختامنا فيه أنه إذا ظهر فيما بعد زيادة أراض عما هو موضح نكون تحت المسؤولية وتكون تلك الأراضي الزائدة محلولة بحسب النظام لجانب الميري.»[١٨]

ولذلك سجلت مساحات من الأراضي في القرى باسم الدولة، فبلغت المساحة في قرية المكر ٤٠٠ دونم، وفي قرية كويكات ٥١ دونماً.[١٩] كما سجلت أراضٍ في قريتي ياقوق والسميرية باسم خزينة الدولة، فكتب تحت جهة التصرف في الأرض (خزنة جليلة تام عليله).

ب) أراضي الجفتلك

يمكن اعتبار أراضي الجفتلك من الأراضي المحلولة التي ترك المزارعون فلاحتها ثم امتلكها السلطان عبد الحميد الثاني.[٢٠] وقد تركزت هذه الأراضي في منطقتي طبرية والحولة، فأشارت المصادر إلى قريتي سمخ والدلهمية على أنهما من أراضي الجفتلك السلطاني،[٢١] وأشارت إلى أراضي الجفتلك في مناطق أُخرى في اللواء مثل قرية المنصورة في قضاء صفد.[٢٢] كما أشارت «جريدة ولاية سوريا» إلى أراضي الحولة وإلى مزرعتين في لواء عكا على أنهما من الجفتلك السلطاني، إلاّ إنها لم تحدد موقع هاتين المزرعتين.[٢٣]

وعُرف من أراضي الجفتلك السلطاني أراضي زور الزرقاء في ناحية قيسارية، فأشارت إحدى الحجج الشرعية إلى الحاج أمينٍ آغا من يافا، مأمور الجفتلك السلطاني في زور الزرقاء.[٢٤] وأشارت حجة أُخرى إلى إبراهيم أفندي مأمور

---

(١٨) سجل أراضي رقم ١٧، ص ٩٩.

(١٩) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء، حاصلات دفتر يدر، ص ٢٤٥ ـ ٢٦٨.

(٢٠) *Hand Book*, pp. 249, 250; Stein, *op.cit.*, pp. 14, 15.

(٢١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٢، ن ٣٣١، ١٠ محرم ١٣٠٧هـ/ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٩م؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٣٢، ٢١ رمضان ١٣٠٠هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٨٣م، ص ١.

(٢٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦١، ١٧ شعبان ١٣٠٣هـ/ ٢١ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ٢.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٩٣٢، ٢١ رمضان ١٣٠٠هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٨٣م، ص ١.

(٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٣٥، ن ١٠٢، ٢ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ/ ١٥ تموز (يوليو) ١٩٠٤م.

الجفتلك الهمايوني في أراضي زور الزرقاء،[٢٥] كما أشارت إلى جفتلك القبية في أراضي مرج التركمان التابع لناحية شفا عمرو، إلاّ إن بعض المواطنين امتلك الأراضي التابعة لهذا الجفتلك. فذكرت إحدى الحجج أن لطريف بن عيسى بن خليل الصيقلي المقيم بحيفا الربع مشاعاً في جميع بيوت ومحلات جفتلك القبية الواقع بأراضي المرج التابع لناحية شفا عمرو.[٢٦] وربما يكون السلطان عبد الحميد باع أراضي الجفتلك أو تنازل عنها لهؤلاء الملاك.

وقد تركزت أراضي الجفتلك في المناطق التي يعيش فيها البدو وتتوفر فيها المياه الجارية كالحولة وزور الزرقاء. ويبدو أن هؤلاء البدو لم يقوموا بتسجيل الأراضي بأسمائهم بعد صدور قانون تمليك الأراضي الميري، أو أنهم لم يستطيعوا إثبات ملكيتهم لها، لأن الدولة اشترطت على من يريد تسجيل الأراضي أن يثبت أنه كان يدفع عنها الضرائب الميري كالعشر والويركو خلال الأعوام العشرة السابقة. ومن المعروف أن هؤلاء البدو لم يمارسوا الزراعة، فلم يستطيعوا إثبات ملكيتهم لهذه الأراضي. لذا اعتبرتها الدولة أراضي محلولة من حقها التصرف فيها، واشتراها السلطان عبد الحميد لنفسه.

بالإضافة إلى هذا العامل، يشير نجيب نصار إلى أن وكلاء السلطان كانوا يقرضون هؤلاء البدو الأموال ويعفونهم من الخدمة العسكرية في مقابل التنازل للسلطان عن أراضيهم، فيقول: «إن أصحاب حق التصرف بالأراضي الفقراء يسكتون عن المطالبة بحقوقهم رهبة لا سيما بعد أن رأوا وكلاء السلطان يقرضونهم المال بدون فائدة ويعفونهم من الخدمة العسكرية ويحمون مزروعاتهم من التعدي، وأيقنوا أنهم إذا أبدوا أقل مقاومة فالسلطان يطردهم من الأراضي ويشقيهم ولعل أكثرهم لم يعلموا أن أراضيهم تطوبت إلى السلطان إلاّ بعد مضي سنتين أو ثلاث سنوات، نحن نعجب كيف نفى أمين أفندي[٢٧] حقوق العرب والفلاحين في الأراضي المدورة (أراضي الجفتلك السلطاني) في حين أن عشائر القرى التي كانت

(٢٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٣٩ ـ ١٤١، ن ١٠٦، ٦ جمادى الأولى ١٣٢٠هـ/ ١١ آب (أغسطس) ١٩٠٢م.

(٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٠٢، من دون نمرة، ١٢ صفر ١٣٠٨هـ/ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٠م.

(٢٧) عمل مهندساً في متصرفية جبل لبنان، ثم انتقل إلى حيفا وأقام بها، وكان من أنصار بيع الأراضي المدورة، الأمر الذي دفع نجيب نصار إلى مهاجمته في المقالات التي يكتبها في جريدة «الكرمل»؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢٩٨، ٢١ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م، ص ٢ (نقلاً عن صحيفة «الكرمل»).

علاقتها الحكومية والمدنية والتجارية في طبرية طوبت أراضيها عليها أسوة بأهالي قضاء طبرية كالبشاتوه وصخور الغور والهنادي والمغاربة وغيرهم، أمّا الغزاوية والصقر وغيرهم من الذين كانت علاقتهم مع حوران فإنهم اقتدوا بالحرارية ولم يطوبوا أراضيهم مع كونهم كانوا يتصرفون فيها، فالسلطان السابق وضع بادي ذي بدء الأراضي المحلولة بالمزاد العلني ثم بدأ عماله يمدون أيديهم إلى الأراضي التي يتصرف بها أصحابها شيئاً فشيئاً حتى وصلوا الأراضي المطوبة فاستولوا على أراضي صخور الغور وأخذوا أختام الشيوخ الذين لايقرأون ولا يكتبون وصادقوا على الفراغ.»[٢٨]

استولت الحكومة العثمانية على أراضي الجفتلك السلطاني بعد الانقلاب الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م باعتبارها من أملاك السلطان، وعُرفت بعد ذلك بالأراضي المدورة لأنها انتقلت من ملكية السلطان عبد الحميد إلى ملكية الدولة. وقد كانت مشكلة الأراضي المدورة إحدى المشكلات التي دار بشأنها الجدال والنقاش السياسي والاقتصادي في أواخر العصر العثماني، لأن حكومة الاتحاد والترقي كانت تريد بيع هذه الأراضي بسبب حاجتها إلى المال، لكنها لقيت معارضة شديدة في ذلك.[٢٩]

ج) أراضي المُلك الخاص

هي الأراضي التي يعطى صاحبها حق تملكها الكامل، وفي إمكانه استعمالها في أي وجه يريد لأنه يملك حق التصرف فيها. وكان حق التملك مقصوراً على الأراضي والحواكير والحدائق والبساتين والكروم في المدن والقرى والمناطق المحيطة بهما. ويعطى حق التملك الخاص بإذن من السلطان العثماني. ويمكن بيع أراضي المُلك الخاص وتحويلها إلى أراضي وقف، وتعود هذه الأراضي إلى الدولة في حالة وفاة مالكها من دون وصية أو وارث شرعي.[٣٠]

وقد ميزت سجلات المحاكم الشرعية أراضي الملك الخاص الصرف من

(٢٨) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٠٣، ٢١ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م، ص ١ (نقلاً عن صحيفة «الكرمل»).

(٢٩) المصدر نفسه، العدد ٥٠٢، ١٥ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م، ص ٤؛ المصدر نفسه، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٢.

(٣٠) Klein, *op.cit.*, p. 41; Bergheim, *op.cit.*, p. 99.

الأراضي الملك الميري، فأشارت إحدى الحجج إلى قطعة الأرض من نوع الملك الصرف العائدة لملحم بن محمود بن محمد من قرية جبع.[٣١] وأشارت حجة أُخرى إلى قطعة الأرض الملك الصرف المشجرة بالزيتون لمالكها الشيخ مصطفى ابن الشيخ أبو بكر السهلي من بلد الشيخ.[٣٢]

وكانت الحواكير[٣٣] إحدى أشكال الملكية الخاصة. فأشارت السجلات إلى الحاكورة المزروعة بأشجار التين والرمان والتوت والنخل والسفرجل.[٣٤]

انتشرت الحواكير في المدن والقرى وفي جوارهما. فمثلاً، كان مصطفى بن محمد يمتلك الحاكورتين المزروعتين بأشجار منوعة في شرقي حيفا.[٣٥] وقد تكون الحواكير خارج المدن. فنجد، مثلاً، أن محمد الجبالي من حيفا يشتري الحاكورة الواقعة خارج حيفا.[٣٦]

كما وُجدت الحواكير في القرى، فأشارت السجلات إلى الحاكورتين الواقعتين في قرية عين غزال المزروعتين بالتين والمشمش والرمان.[٣٧]

وتستغل الحواكير لأغراض الزراعة المعتمدة، أساساً، على مياه الري من الآبار المحفورة فيها، فتشير إحدى الحجج إلى حاكورة حمده ابنة أحمد من حيفا المحتوية على أشجار منوعة، وعلى بئر للماء، وعلى بركة لجمع

---

(٣١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٥، ١٦، ن ٢٤، ٢٩ صفر ١٣٢٣هـ/ ٥ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(٣٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١، من دون نمرة، ١٥ رجب ١٣٢٢هـ/ ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(٣٣) جمع حاكورة، وهي قطعة أرض تحكر لزراعة الأشجار وغيرها من المحاصيل بالقرب من الدور والمنازل. أنظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، «تاج العروس»، المجلد ١١، مادة «حكر»، ص ١٧.

كان بعض أصحاب هذه الحواكير يسكن فيها، ووُصف هؤلاء السكان بالحواكرية، فتذكر إحدى الحجج أن زهرا بنت حسين حمودة ادعت على زوجها سليم بن عبد الله زويد العثماني الحواكيري أنه أسكنها الحواكير، ولذلك فهي تطلب منه فتح بيت شرعي لها في حيفا. فرد عليها زوجها أنه رجل فقير الحال ودار سكنه في الحواكير، وأنها حواكرية بنت حواكري وتزوجها في الحواكير. أنظر:

س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦١، ن ٣٦٢، ٢٢ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩م.

(٣٤) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٦١، ن ٢٢٠، ٢٩ محرم ١٣٢٤هـ/ ٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٦م.

(٣٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٩٧، ن ٩١، ٢٩ جمادى الثانية ١٣٢٣هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٩٠٥م.

(٣٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٧، ن ٥٩، شوال ١٢٩٠هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٣٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٩، ن ٦٣، ٤ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦م.

الماء.[٣٨] كما تستغل لأغراض السكن. وقد أُطلق على سكان الحواكير اسم الحواكرية. فوصفت السجلات نصر الله بن أنطون العثماني الذي يمتلك نصف حاكورة في شرق حيفا مشتملة على بيت وحنانة ماء بأنه من حواكرية حيفا.[٣٩]

وقد تباينت مساحة الحواكير وأسعارها. إذ يمكن أن تكون المساحة أقل من دونم، أو أن تصل إلى عدة دونمات. فمثلاً، اشترى محمد زكي ابن أحمد آغا من يوسف الجدع ابن فرنسيس كامل الحاكورة الواقعة في حيفا البالغ مساحتها ثلاثة دونمات.[٤٠]

وأدى النشاط العمراني في مدن اللواء إلى زيادة الطلب على الأراضي، الأمر الذي ساهم في ارتفاع أسعارها ومنها الحواكير. فمثلاً، اشترى بشارة بن عازر الحاكورة الواقعة في حيفا من جدعون بن خليل بمبلغ خمس وثلاثين ليرة فرنسية (٣٦٧٥ قرشاً).[٤١]

تعتبر البقجة والعرصة والجنينة أشكالاً أُخرى من الملكية الخاصة، وتستخدم البقجة لأغراض البناء والزراعة. فأشارت إحدى الحجج إلى أن درس بن ناصر بن سمعان جدعون من حيفا قد أفرز قطعة من البقجة الواقعة في سدرة العبد في حيفا بمساحة ثلاثة عشر ذراعاً مربعاً وأنه وهب القطعة المفرزة لأسعد بن جبران من مسيحيي حيفا بمبلغ ١٥٠٠ قرش.[٤٢] وأشارت حجة أُخرى إلى البقجة المشجرة بالتين في حيفا العائدة لتريزة بنت يوسف بن إسحاق الكلداوي.[٤٣]

وقد تكون البقجة جزءاً من حاكورة أو بستان، فنجد في إحدى الحجج إشارة إلى البقجة الواقعة في بساتين الرمل الجارية بتصرف عزيز بن حنا العبراني من حيفا.[٤٤] وفي حجة أُخرى نجد إشارة إلى البقجة الواقعة في حاكورة عصفور في المحلة الغربية من حيفا العائدة لسليم بن جابر قشقوش.[٤٥] ويمكن

---

(٣٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٩، ن ٦٦، شوال ١٢٩٠هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٢، ن ٣٥، ٢٠ شوال ١٣٠١هـ/ ١٣ آب (أغسطس) ١٨٨٤م.

(٤٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٤، ن ١٥٥، ٢٨ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م.

(٤١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٤، ن ١٨، ١ رجب ١٢٩٠هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٧٣م.

(٤٢) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٢٢٧، ٢٤ شعبان ١٣٢٧هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م.

(٤٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٦٨، ن ١٠٩١، ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(٤٤) س ح، ش ١، من دون سجل، ص ٤٣، ن ٩٠، ٢٢ شوال ١٣٣٤هـ/ ٢٢ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(٤٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٢٢، ن ٩٩٨، ٢١ ذو القعدة ١٣٣٣هـ/ ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩١٥م.

أن تكون البقجة، على الرغم من صغر مساحتها، موزعة بين عدد من الملاك، فذكرت إحدى الحجج أن خليل بن ميخائيل دلال من حيفا يتصرف في نصف البقجة الواقعة في حيفا العتيقة.(٤٦)

والعرصة قطعة صغيرة من الأرض تستخدم لغرض إقامة الأبنية. فأشارت السجلات إلى العرصة الواقعة في باطن قصبة الناصرة المنشأ عليها عقد وإيوان.(٤٧) ويمكن أن تزرع العرصة أشجاراً، فنجد في إحدى الحجج إشارة إلى عرصة الأرض المشجرة الواقعة في المحلة الشرقية من حيفا المشتملة على أوضة.(٤٨) كما يمكن أن تكون خالية من البناء والأشجار، فقد أشارت إحدى الحجج إلى العرصة السليخ العائدة لرحمة بنت إبراهيم صدوقة من حيفا.(٤٩)

أمّا الجنينة فهي قطعة صغيرة من الأرض تكون ملحقة بالدار، وفي الغالب تكون أمامها ويمكن أن تزرع أشجاراً مثمرة. فمثلاً، كانت سابيرا بنت إسرائيل بن حاييم من حيفا تمتلك سبعة قراريط في الدار والجنينة أمامها.(٥٠) كما يمكن أن تحوي الجنينة، إضافة إلى الدار والأشجار، آباراً للمياه. فأشارت إحدى الحجج إلى الجنينة الواقعة أمام الدار العائدة لبشارة بن نصر العثماني والتي تشمل أشجاراً منوعة وبئراً نابعة وتصوينة تحيط بها.(٥١) والجنينة أكبر من العرصة، فكانت روز جوند بنت روبرت دبل الإنكليزية من حيفا تتصرف في كامل الجنينة الملك الكائنة في مدينة حيفا وكامل العرصة التابعة للجنينة.(٥٢)

---

(٤٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٢، من دون نمرة، رجب ١٣٣٣هـ/ حزيران (يونيو) ١٩١٥م.

(٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١١٧، ن ١١٧، ٨ شوال ١٣٢٣هـ/ ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٥م.

(٤٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦٥، ن ٦، ٩ رجب ١٣١٠هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣م.

العرصة: الأراضي الموجودة داخل القرى والقصبات وما يوجد في دائرتها من الأرض التي تتمتها نصف دونم. أنظر: نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤.

(٤٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦٥، ن ٦، ٩ رجب ١٣١٠هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣م.

(٥٠) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٥، ن ٧، ١٦ صفر ١٣٢٥هـ/ ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٧م.

(٥١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٩، ن ١٢٠، ٢٤ ذو القعدة ١٣٠٨هـ/ ١ تموز (يوليو) ١٨٩١م.

(٥٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٣، ن ٢٩، ٢٥ صفر ١٣٢٥هـ/ ٩ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

ومن أشكال الملكية الخاصة الأُخرى البساتين والكروم. وتكون البساتين محاطة بالجدر وتزرع أشجاراً وتسقى رياً.(٥٣) ووجدت البساتين حول المدن والقرى. فنجد، مثلاً، أن إيلزا بنت يوسف بن فيليب كتافاكو تمتلك البستان الكائن خارج عكا في جوار تل الفخار والمشتمل على أشجار منوعة.(٥٤) وتكثر البساتين في مناطق جريان الأنهار والينابيع، فأشارت السجلات إلى بساتين الانشراح والتراغاسي والخنخنجي في قرية نهر المفشوخ العائدة لألفريد بن جريس ابن يوسف التويني من بيروت.(٥٥)

أمّا في المناطق التي لا توجد فيها أنهار أو ينابيع فإن السكان حفروا الآبار في بساتينهم لري الأشجار. فأشارت إحدى الحجج إلى البستان المحتوي على أشجار منوعة وأوضة وحنانة ماء وبئر معدة لسقي الأشجار، والعائد لحنا بن الياس دلال بن حنا دلال من كاثوليك حيفا.(٥٦)

وأشارت حجة أُخرى إلى البستان الواقع في حيفا القديمة المحتوي على حنانة وبركة ماء وبئر وأشجار منوعة، والعائد لمصطفى حمدان من حيفا.(٥٧) وقد يكون البستان موزعاً بين عدد من الملاك. فمثلاً، كان لحنا بن نمر القبطي من الطنطورة ثمانية قراريط في كامل البستان الملك المشجر في قرية الطنطورة.(٥٨)

أمّا الكروم فهي الأراضي التي تحاط بالجدر وتزرع فيها الأشجار بعلاً.(٥٩) وفي الغالب، تزرع الكروم بأشجار الزيتون التي تعتمد على مياه الأمطار. فمثلاً، كان لجبور بن نقولا المسيحي العثماني من حيفا تسعة قراريط في كامل كرم

---

(٥٣) المنجد، ص ٣١؛ نقولا زيادة، «أيامي»، ج ١، ص ٣١.

(٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٤٦، ن ٩٨، ٢٧ رجب ١٣٢٨هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(٥٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٨٩، ١٩٠، ن ٨٣، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩١٠م.

(٥٦) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ١٠٥، من دون نمرة، ١٩ شوال ١٣١١هـ/ ٢٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(٥٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٣، ن ١٢٦، من دون تاريخ.

(٥٨) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٤٦، ٣ شعبان ١٣٣٠هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

وأشارت المصادر إلى بستان الست فاطمة الذي جر إليه سليمان باشا الماء من نهر الكابري، وبستان الريس بالقرب من عكا من غرس أحمد آغا ابن أخت عبد الله باشا، وبستان عكاشة من إنشاء مصطفى بك نسيب سليمان باشا. أنظر: إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩؛ أسد رستم، «المحفوظات»، ج ٢، ص ١٠، ٢٥٥.

(٥٩) المنجد، ص ١٨٢.

الزيتون أرضاً وشجراً في موقع الميروان في حيفا.[٦٠]

كما تزرع الكروم بأشجار أُخرى غير الزيتون، كالعنب والخروب. فأشارت السجلات إلى كرم العنب في حيفا العائد لجبور قرداحي من حيفا،[٦١] وإلى الكرم المزروع بالخروب الذي يملكه صالح صوان في حيفا.[٦٢]

كذلك تزرع الكروم بعدة أنواع من الأشجار. فمثلاً أشارت السجلات إلى الكرم العائد لالياس بن ميخائيل عبود الواقع في حيفا المزروع بأشجار الخروب والعنب والزيتون.[٦٣] وأشارت أيضاً إلى الكرم المزروع بأشجار الزيتون والتين والرمان واللوز، والعائد لأسعد بن عبد الله اليوسف من دالية الكرمل.[٦٤] وكانت الدور تبنى في الكروم، فأشارت إحدى الحجج إلى دار نمر بن سمعان المبنية في الكرم الواقع في حيفا.[٦٥]

وأشارت السجلات إلى الموارس[٦٦] كأحد أشكال الملكية الخاصة. وفي الغالب، توجد الموارس في القرى ولا تزرع بأشجار. فمثلاً، كان عند يوسف بن محمود الصالح كامل السبعة موارس في كفر قرع.[٦٧] وأشارت حجة أُخرى إلى أربعة موارس عائدة لعبد الرحمن بن محمود العبد من كفر لام.[٦٨] كما يمكن

(٦٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٢٥٠، ٢٥١، ن ١٠٤، ٢٩ رجب ١٣٢٨هـ/ ٦ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(٦١) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٥، ن ٥، ٤ رجب ١٣٢٧هـ/ ٢١ تموز (يوليو) ١٩٠٩م.

(٦٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٧، ن ١٥٢، ٣٠ شوال ١٢٨٨هـ/ ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٢م.

(٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٦٠، ن ١٢٣، ٢٢ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٢٩ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١١٥، ن ١٤٦، ٧ شوال ١٣٢٣هـ/ ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٥م.

(٦٥) س ح، ش ١، س ١، ص ٧٤، ن ١٢٥، ٢١ ذو الحجة ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م.

(٦٦) الأراضي الواقعة في المناطق السهلية المفصولة بعضها عن بعض بواسطة الأخاديد أو بواسطة الحجارة. أنظر:

Philip Baldensperger, «The Immovable East,» *PEF*, 1907, p. 10.

(٦٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٨، ن ١٥٥، ٢٩ محرم ١٣٣٥هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٦٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١١٠، ١١١، ن ١٧٠، ٦ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦م.

أن يوزع المارس بين عدد من الملاك، فنجد في إحدى الحجج أن لأمينة بنت محمد ابن مصطفى من كفر لام النصف في ثلاثة موارس،[٦٩] ولعلي بن محمود الكلبي من كفر قرع الثلث في خمسة عشر مارساً.[٧٠]

د) أراضي الأوقاف

توقف هذه الأراضي من أجل الإنفاق على الأماكن الدينية، كالمساجد والزوايا والكنائس والأديرة، أو للإنفاق على عائلة معينة. ويخضع الوقف لسيطرة الحكومة التي تعتبر أمينة عليه.[٧١] وتقسم الأوقاف في اللواء إلى فئات: الأوقاف الخيرية التي تخصص للإنفاق على المساجد والزوايا والكنائس والأديرة والمعابد اليهودية؛ الأوقاف العائلية (الذرية) وتخصص للإنفاق على عائلة معينة أو على أفراد معينين فيها يحددهم صاحب الوقف؛ الأوقاف المشتركة التي تجمع بين الأوقاف الخيرية والأوقاف العائلية.

ويظهر أن الدافع وراء هذه الأوقاف، وخصوصاً الأوقاف الذرية، هو الخوف من بيع الأرض أو استيلاء أحد المتنفذين أو الدولة عليها. ويتضح هذا من شروط أصحاب الوقف. فمثلاً، نجد في وقفية فاطمة بنت أحمد زوجة علي بن جركس من قيسارية أنها اشترطت ألاّ يباع الوقف ولا شيء منه ولا يوهب ولا يرهن ولا يملك ولا يستملك ولا يستبدل ولا يغير ولا يتلف بوجه من الوجوه ولا ينقل إلى ملك أحد من سائر خلق الله. بل كلما مر عليه زمان أكده فهو محرم من محرمات الله مدفوع عنه بقوة الله ابتغاء مرضاة الله فلا يحل لأحد نقض هذا الوقف ولا تبديله ولا تغييره.[٧٢]

ومن أشهر **الأوقاف العائلية** في اللواء أوقاف الشيخ عبد الرحمن السهلي التميمي الداري في قريتي دشمية والمغار (بلد الشيخ) قضاء حيفا، والتي تشتمل

(٦٩) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٢١٦، ٢٠ ذو القعدة ١٣٣٣هـ/ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٥م.

(٧٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٧، ن ١٥٤، ٢٨ محرم ١٣٣٥هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٧١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٥، ١٦؛

Klein, *op.cit.*, p. 41.

(٧٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠، ن ٧، ٨ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

على دكاكين ومخازن وحواصل وبيوت ودور في حيفا، وكروم وبساتين وأشجار منوعة، وأراضٍ بعضها معد للفلاحة والزراعة، وبعضها معد للمنافع العامة من مراع وأحراج للاحتطاب في بلد الشيخ.(٧٣)

وقد اشترط الواقف أن يُنفق من ريع الوقف على إصلاحه وترميمه، وما بقي صرف على الواقف طوال حياته لا يشاركه فيه أحد، ومن بعده لجميع أولاده الذكور من صلبه ثم أولاد أولاده الذكور ثم أولاد أولادهم الذكور وأنسالهم وأعقابهم. وإذا انقطعت ذريتهم ونسلهم ينتقل ريع الوقف إلى أولاد أخيه الشيخ عبد الرحيم وأخيه الشيخ عبد القادر ثم أولاد عمه الشيخ محمد والشيخ علي السهلي الذكور. وإذا خلت الأرض منهم ينقل الريع إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة، وإذا تعذر وصوله ينفق على الفقراء والمساكين أينما وجدوا وحيثما كانوا من أمة محمد.(٧٤)

حُرمت النساء وأنسالهن الاستفادة من هذا الوقف، لأن الواقف اشترط استفادة أولاده وأولاد أولاده وأنسالهم الذكور فقط من دون الإناث، وجعل حق النساء فيه مقصوراً على الاستفادة من السكن في البيوت والدور التابعة للوقف طوال حياتهن فقط، ولا يتمتع أنسالهن بذلك.

لقد تسبب هذا الوقف بخلافات داخل عائلة السهلي، لأن الناظرين عليه كانوا يستولون على الإنتاج لأنفسهم، أو يُتهمون بالاستيلاء عليه، وحرمان بقية أفراد العائلة. وظهر ذلك واضحاً في الشكاوى التي قدمها بعض أفراد العائلة إلى المحكمة وطالب فيها بحقوقه ومحاسبة القائمين على الأوقاف عن الأموال التي استولوا عليها. فتذكر إحدى الحجج أن الشيخ سعيد بن صالح السهلي طلب محاسبة شقيقه الشيخ عبد الله السهلي، الناظر على أوقاف جده الشيخ عبد الرحمن السهلي، مطالباً بإعطائه مستحقاته من أوقاف جده.(٧٥) وفي حجة أُخرى نجد أن الشيخ شعيب ابن الشيخ شعيب بن صالح السهلي من بلد الشيخ طلب محاسبة شقيقه الشيخ عبد الله، الناظر على أوقاف جده، عن واردات الوقف خلال الأعوام

(٧٣) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٢٠٩، ٢١٠، ن ٥٨، ٢ ربيع الثاني ١٣٠٨هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٠م.
(٧٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ضبط الدعاوى، ص ١٠٨ ـ ١١٤، ن ٤٦، ٢٣ رجب ١٢٥٩هـ/ ١٩ آب (أغسطس) ١٨٤٣م.
(٧٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦٢، ن ٣٦٥، ٤ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٣، ن ٢٦، ٢٨ شعبان ١٣٠٥هـ/ ١٠ أيار (مايو) ١٨٨٨م.

الأربعة عشر الماضية.(٧٦)

وبما أن هذا الوقف قديم ويعود إلى أوائل العصر العثماني فقد كان من الصعب تحديد الأراضي التابعة له. فاستولى السكان على بعض الأراضي، الأمر الذي أثار الخلافات مع القائمين على الوقف. وظهر ذلك واضحاً في الشكاوى التي قدمها المسؤولون عن الوقف ضد أناس وضعوا أيديهم بالغصب والقوة على أراضٍ تابعة له. فمثلاً، اشتكى عبد الله أفندي السهلي الداري محمد البحيري من حيفا أنه واضع يده بالغصب على قطعة الأرض المشتملة على أراضٍ وأشجار متنوعة في قرية بلد الشيخ عائدة لأوقاف جده عبد الرحمن السهلي.(٧٧)

ومن الأوقاف الذرية الأُخرى أوقاف الشيخ سعيد الكوكباني التي تشمل أراضي في مناطق متعددة من اللواء، منها: أراضٍ في قرية عين حوض قضاء حيفا، وفي قرية الحدثة قضاء طبرية؛ أربعة قراريط في قرية كوكب قضاء الناصرة؛ المزرعة المعروفة بقرية إدريس ومزرعة دور العمر التابعتان لناحية شفا عمرو، وكان الشيخ سعيد الكوكباني أوقفهما وقفاً ذرياً على زاوية الشيخ سعيد الكوكباني والعائلة الهيجاوية في عين حوض ويعود تاريخ هذا الوقف إلى سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م.(٧٨)

تشمل الأوقاف الخيرية الأوقاف المخصصة للأماكن الدينية، فكانت الأوقاف المخصصة للمساجد فئتين: الأوقاف المخصصة مباشرة للإنفاق على المساجد والعناية بها وترميمها، ودفع رواتب الأئمة والمؤذنين فيها. فمثلاً، أوقف حسن باشا الجزايرلي أراضي في حيفا للإنفاق على جامع النصر فيها.(٧٩) وخصص خمسة وسبعين قرشاً لإمام المسجد ومثلها للخطيب، وأربعين قرشاً لكل من مؤذنيه.(٨٠) وفي حجة أُخرى نجد أن أمين آغا من يافا المقيم بحيفا شيد جامعاً في قرية البرج وأوقف له ثلاث قطع من الأرض في جواره في القرية نفسها على أن يخصص ريع هذه الأراضي للإنفاق على هذا المسجد وعلى المعاش المخصص لإمامه والمؤذن فيه.(٨١) أمّا الفئة الثانية فهي الأوقاف غير المباشرة

(٧٦) س ح، ش ٢٦١، س ٢، ص ١٩، ن ٢٢، ٢٨ شعبان ١٣٠٥هـ/ ١٠ أيار (مايو) ١٨٨٨م.
(٧٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٦، ن ٤٨٢، ١٧ ربيع الثاني ١٣٣١هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٩١٣م.
(٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٨١، ٢٩ ربيع الأول ١٣٢٦هـ/ ١ أيار (مايو) ١٩٠٨م؛
محمد أبشرلي ومحمد داود التميمي، «أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين»، ص ٧٠.
(٧٩) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٥٩، من دون نمرة، من دون تاريخ.
(٨٠) س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص١٣، ن١٦، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ٢١ شباط (فبراير) ١٩١٩م.
(٨١) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٩٤، من دون نمرة، من دون تاريخ.

التي كانت تخصص للمساجد في الأوقاف الذرية حيث كان الواقف يحدد أفراد العائلة أو غيرهم الذين يحق لهم الاستفادة من ريع الوقف، وفي حالة انقراضهم وخلو الأرض منهم يحوّل ريع الأرض إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة. وقد تضمن وقف السهلي هذا الشرط كما ذكرنا.(٨٢)

وقد اهتم المسيحيون أيضاً بوقف الأراضي على كنائسهم وأديرتهم. فمثلاً، أوقف حنا بن الياس من طائفة الكاثوليك كامل البستان المحتوي على أشجار منوعة وبئر للماء على كنيسة الكاثوليك في حيفا.(٨٣) كما كان لكنيسة الروم الأورثوذكس ولكنيسة الروم الكاثوليك أوقاف في قرية المكر قضاء عكا.(٨٤)

اهتم رؤساء دير الكرمل، بصورة خاصة، بشراء الأراضي في حيفا والقرى المجاورة ووقفها على الدير. فمثلاً، اشترى رئيس الدير الخوري كيروس ستة قراريط في كامل البستان الواقع في شفا عمرو من حنا ميخائيل الجبران،(٨٥) واشترى اثني عشر عرق زيتون في قرية عسفيا من أيوب التلحمي،(٨٦) وقطعة الأرض الميري الواقعة في حيفا من يعقوب هلاسو وموسى سابا إبراهيم.(٨٧) وأشارت دفاتر الأراضي العثمانية إلى أن دير الكرمل يمتلك ثلاثين قطعة أرض مزروعة زيتوناً في عسفيا.(٨٨)

وأوقف الدروز الأراضي على خلواتهم. فأشارت السجلات إلى أوقاف خلوة الدروز في عسفيا.(٨٩)

كذلك فعل اليهود الذين أوقفوا الأراضي على معابدهم الدينية. فأشارت السجلات إلى الأراضي الموقوفة على معبد اليهود في حيفا الواقع غربي المقبرة اليهودية.(٩٠) كما أوقف اليهود الأراضي على مقام الخضر في حيفا.(٩١)

---

(٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ضبط الدعاوى، ص ١٠٨ ـ ١١٤، ن ٤٦، ٢٣ رجب ١٢٥٩هـ/ ١٩ آب (أغسطس) ١٨٤٣م.

(٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٩، ن ١٨٩، ٤ شوال ١٣١١هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(٨٤) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر أراضي قضاء عكا، ص ٢٣١.

(٨٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٦، ن ٢٤١، ٥ رجب ١٣٠٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٨٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٠، ن ٦٩، ذو القعدة ١٢٩٠هـ/ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤م.

(٨٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٩٩، ن ١٢٨، ٧ رمضان ١٣٢٣هـ/ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥م.

(٨٨) سجل أراضي رقم ١١، حيفا، قضاسك، حاصلات دفتر يدر، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨.

(٨٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٦٦٠، ن ٦٩، ذو القعدة ١٢٩٠هـ/ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤م.

(٩٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣، من دون نمرة، ١١ ربيع الثاني ١٢٨٧هـ/ ١١ تموز (يوليو) ١٨٧٠م.

(٩١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٧، من دون نمرة، ٢٣ ذو الحجة ١٢٨٨هـ/ ٥ آذار (مارس) ١٨٧٢م.

ولم يقتصر وقف الأراضي على الأملاك الدينية في اللواء، بل شمل أيضاً الأماكن الدينية خارجه. فمثلاً، أوقف رودلف بن يوسف لندلي المسيحي من حيفا، جميع الأرض المشجرة في قرية المجدل في قضاء طبرية على رهبان اللاتين الفرنسيسكان بدير تراسنطة في القدس.(٩٢)

أمّا **الأوقاف المشتركة** الذرية والخيرية، فيخصص الواقف ريع الأرض لنفسه ولعائلته أو لبعض أفرادها، أو لأفراد يختارهم ويحددهم في الوقف، وللأماكن الدينية التي يحددها أيضاً. فمثلاً، أوقفت فاطمة بنت أحمد زوجة علي بن سليمان جركس من قيسارية ما بملكها، الدار في حيفا، والأربعة حواصل في قيسارية، والبستان والكرم والدار في حديدون بالقرب من قيسارية، واشترطت أن ينفق على هذه الأوقاف من ريعها وغلتها وما بقي بعد ذلك ينفق على الواقفة نفسها مدة حياتها. وبعد وفاتها يقسم الريع بعد عمار الوقف إلى أربع وعشرين حصة تنفق على أعمال الخير، كإطعام المساكين والفقراء، وعلى مصالح الجامع الشريف في قيسارية، وعلى أفراد حددتهم الواقفة.(٩٣) وبعد انقراض هؤلاء وأنسالهم يصرف ريع الوقف على مصالح المسجد النبوي في المدينة المنورة، فإذا تعذر وصوله ينفق على الفقراء والمساكين من أمة محمد.(٩٤)

وقد جمعت الواقفة بين الذكور والإناث في الاستفادة من ريعه، بعكس ما ورد في وقف عبد الرحمن السهلي الذي حصر الاستفادة في أولاده وأولاد أولاده الذكور فقط من دون النساء.

وكانت أراضي الأوقاف تزداد باستمرار، ويعود بعضها إلى أوائل العصر

---

(٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٧، ٢٨، ن ١٨١، ٢١ محرم ١٣٢٧هـ/ ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٩م.

(٩٣) وهم: أحمد بن حسن كتخذا زاده من مهاجري البوسنة ثم لأولاده الذكور والإناث، ثم لأولادهم وأولاد أولادهم وهكذا؛
كول بياض بنت شباط خادمة الواقفة مدة حياتها ثم لأولادها وأولاد أولادها؛
حسين أفندي ابن باي الجركسي الملازم العسكري مدة حياته ثم لأولاده وأولاد أولاده؛
نور فلك زوجة المرحوم محمد علي العابدي؛
نور شب زوجة سعيد الخميس معتوقة الواقفة مدة حياتها ثم لأولادها وأولاد أولادها؛
بهية خانم آغات زوجة أحمد بك بن حسن كتخذا زاده.

(٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠، ن ٧، ٨ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

العثماني كأوقاف السهلي في بلد الشيخ، وأوقاف سعيد الكوكباني. وقد حافظت هذه الأوقاف على استمرارها وبقائها، بينما اندثرت أوقاف أُخرى إمّا لعدم الاعتناء بها، وإمّا لأن المناطق والقرى الموجودة فيها هجرها سكانها. كما أن بعض هذه الأوقاف حديث، كأوقاف جامع النصر في حيفا، وأوقاف دير الكرمل.[٩٥]

إن القائمين على هذه الأوقاف لم يقوموا بزراعتها بأنفسهم وإنما كانوا يعطونها مزارعة للفلاحين في مقابل حصص معينة تدفع إلى الجهة المخصصة لها هذه الأوقاف. فمثلاً، تولى ناصر وجريس ابنا يعقوب قطران زراعة الأرض الموقوفة على جامع النصر في حيفا في مقابل ٢٥٠ قرشاً يدفعانها سنوياً إلى جامع النصر.[٩٦]

هـ) أراضي الموات

هي الأراضي التي ليست في تصرف أحد من الأشخاص، وليست متروكة ولا مخصصة للأهالي، وبعيدة عن المحلات والقرى والقصبات إلى درجة لا تسمع بها من أقاصي العمران صيحة الشخص الجهير، وتكون بعيدة عن أقاصي العمران مسافة ميل ونصف ميل أو مقدار نصف ساعة سيراً، ويمكن استصلاح هذه الأراضي وزراعتها وتملكها بعد الحصول على ترخيص بذلك من السلطات العثمانية المسؤولة.[٩٧]

وأشارت السجلات إلى استصلاح الأراضي في المناطق البعيدة من القرى وتملكها بحق الاستصلاح. فمثلاً، أشارت إحدى الحجج إلى أن رضوان بن محمد الجربوع من الطيرة يمتلك قطعة الأرض في جبل الكرمل المتصلة إليه بالفتح والتنقيب «استصلاح الأرض وزراعتها».[٩٨]

وورد في حجة أُخرى أن قاسم بن قاسم أبو حسان من الطيرة يمتلك تسعة قراريط في قطعة الأرض الواقعة في جبل الكرمل في الطيرة العائدة له بالفتح

(٩٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٦، ن ٢٤١، ٥ رجب ١٣٠٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٨٨٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٩٩، ن ١٢٨، ٧ رمضان ١٣٢٣هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥م.

(٩٦) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٥٩، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(٩٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٦، ١٧، ٣٧؛ Stein, *op.cit.*, p. 12.

(٩٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٧، من دون نمرة، ٨ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

والتنقيب.[٩٩] بينما ذكرت حجة أُخرى أن عبد الرحمن بن محمد أبو سالم من حيفا أشار في المحكمة الشرعية إلى أن له بالفتح وغرس يده كامل الكرم المشجر الواقع شرقي حيفا.[١٠٠]

ثانياً: قانون الأراضي العثماني وظهور فئة كبار الملاك

أ) قانون الأراضي

في سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، أصدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي الذي نص على تمليك الأراضي الميري وتسجيلها بأسماء القائمين بزراعتها.[١٠١] وكان شرط تمليك هذه الأراضي أن يثبت المزارعون أنهم يزرعون الأرض منذ مدة لا تقل عن عشرة أعوام، وأنهم دفعوا الضرائب المقررة للدولة خلال هذه الفترة، إضافة إلى دفع رسوم تسجيل الأرض.[١٠٢] فنجد، مثلاً، أن نيقولا وجبرائيل وميخائيل أولاد يوسف بن نيقولا من حيفا يقرون أمام المحكمة الشرعية أن من الجاري بتملكهم كامل قطعة الأرض المشتملة على أشجار منوعة وأنهم يدفعون مرتباتها الميرية والعشرية ويتناولون حاصلاتها الناتجة منها.[١٠٣] وفي حجة أُخرى قرر كل من محمد ومنى ابني عبد الله بن محمد أنهما ورثا عن والدهما كامل قطعة الأرض الواقعة في الجهة الغربية من حيفا وأن والدهما يدفع عنهما الويركو[١٠٤] من تاريخ تحرير الأراضي.[١٠٥]

بينما ذكر صالح بن خضر الحسن من عرب العوادين التركمان أن في تصرفه الحصة، وقدرها فدان ونصف فدان، الواقعة في مرج التركمان والمتصلة إليه

(٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٤، ن ٥٨٩، ٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٠٠) س ح، ش ١، س ١، ص ١٤، ن ٩، ٢٧ رجب ١٣٣٤هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٩١٦م.

(١٠١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤ ـ ٨٠.

(١٠٢) الدر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣؛ نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣١.

(١٠٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٧، ١٢٨، ن ١١، ٢٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(١٠٤) أنظر عن هذه الضريبة بصورة مفصلة، أدناه ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(١٠٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٢، ن ٩٣٥، شعبان ١٣٣٣هـ/ حزيران (يونيو) ١٩١٤م.

بالإرث الشرعي عن ابن عمه قاسم الحسين بموجب وضع يده عليها بمشاهدة ورضا جميع حمولته، وحرثه وزرعه لها ودفعه أعلى المراتب عليها لجانب الحكومة السنية.[١٠٦]

لذلك حرمت الدولة أولئك الذين لم يستطيعوا إثبات أنهم يدفعون الضرائب المقررة على الأرض التي يزرعونها حق التملك. فمثلاً، سجلت ١٢,٠٠٠ دونم من أراضي شفا عمرو باسم المسيحيين فيها بعد أن أثبتوا أنهم يدفعون الضرائب المقررة على الأرض، إلاّ إنها رفضت تسجيل ٤٠٠٠ دونم أُخرى لأن المسيحيين الذين كانوا يزرعونها تركوها منذ فترة طويلة ولم يدفعوا عنها الضرائب المقررة. كما رفضت الدولة تسجيل أراضي الدروز في شفا عمرو لأنهم لم يستطيعوا إثبات أنهم كانوا يدفعون الضرائب إلى الدولة التي لم تتسلم هذه الضرائب، إذ إن المسؤول عن قبضها لم يقم بتسليمها إلى الدولة وإنما كان يستولي عليها لنفسه.[١٠٧]

وقد اختلفت حصة المزارعين من الأراضي الميري من قرية إلى أُخرى بحسب مساحة الأرض المزروعة وعدد سكانها ومساحة الأراضي التي يستطيع المزارع فلاحتها قبل صدور قانون تمليك الأراضي الميري. فمثلاً، كانت حصة الملاك كبيرة في مرج التركمان[١٠٨] لاتساع مساحة الأراضي التابعة لبدو التركمان وقلة عدد السكان، بينما كان نصيب المزارعين قليلاً في قرى أُخرى مثل فارة،[١٠٩] والزيب،[١١٠] وكفر برعم.[١١١] كما أن الأراضي التي سجلت بأسماء المزارعين لم تكن قطعة واحدة وإنما كانت تعطى لهم عدة قطع مختلفة من القرية، ولعل الهدف من هذا التوزيع هو تقسيم الأراضي السهلية والوعرة بالتساوي والعدل بين المزارعين.

أدى قانون الأراضي الميري إلى تحول الأرض إلى سلعة تجارية خاضعة لقانون العرض والطلب، الأمر الذي شجع عدداً كبيراً من المزارعين على بيع أراضيهم للتجار والأغنياء من المدن، وخصوصاً أن المزارعين كانوا يعانون أوضاعاً مالية سيئة، فأُجبروا على الاقتراض من التجار إلاّ إنهم، في الغالب، لم يستطيعوا

(١٠٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٤، ن ١٠٦٩، ٢٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(١٠٧) الدر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠، ١٦٣.

(١٠٨) دفتر أراضي عشيرة التركمان، سجل ٢٦، ص ١ ـ ٤٠.

(١٠٩) سجل قرية فارة، ص ١ ـ ٢٠٠.

(١١٠) سجل قرية الزيب، المجلد رقم ١٧، ص ٣٢ ـ ١٢٢.

(١١١) سجل قرية كفر برعم، دفتر رقم ١٣، ص ١ ـ ٢٠٠.

سداد ديونهم، فكانوا يتنازلون عن أراضيهم للدائنين في مقابل إلغائها. وكتبت صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٣م موضحة ذلك: «وإذا استدان (الفلاح) عندنا فإنه يقع تحت عبء الفوائد الثقيلة التي لا تقل عن العشرين بالمئة وتحت رهن أراضيه وأمواله وإذا نضج الزرع فغلته لا تكفي لسداد فوائد الأموال المستدانة فيجبر بحكم الضرورة أن يستلف غيرها وهلم جرا حتى يأتي ذلك اليوم الذي تباع فيه أملاكه ويصبح بعد أن كان مالكاً عبداً رقيقاً.»[١١٢]

تحدث عبد الجواد القاياتي عن الشيخ يوسف الفاهوم من الناصرة فقال: «والشيخ يوسف الفاهوم له شركات في الزرع وأراض واسعة وهذا سبب زيادة ثروته العظيمة التي لا تضاهى في تلك النواحي وله معاملات وديون على كثير من مشايخ العشائر وأعيان البلاد هناك.»[١١٣]

واحتوت سجلات المحكمة الشرعية والصحف العثمانية على أمثلة كثيرة تبيّن أثر الديون في خسارة الفلاحين لأراضيهم. فمثلاً، حجز أسعد جرجورة من تجار الناصرة على كروم عبداه عقل وزوجته خزمة وولديّ أخيه حسين وصالح من سكان صفورية لعجزهم عن سداد دينهم البالغ سبعاً وعشرين ليرة عثمانية.[١١٤] بينما حجز قسيطة بن سعيد جرجورة من الناصرة على ثلاثة عشر كرم زيتون عائدة لحسين بن علي المزارع من قرية المجيدل بعد أن عجز عن سداد دينه البالغ ٢٣٩٠ قرشاً.[١١٥]

وباع كل من طه شقير ويوسف خشان وناصر إبراهيم الأحمد وذيب الظاهر وعلي الموسى وعبد الله قاسم ويوسف الأحمد ١٨٩ قطعة أرض في قرية كفر عان قضاء عكا بيعاً وفائياً[١١٦] لمصطفى ضيا باشا متصرف حماة بمبلغ ٢٩٥ ليرة فرنسية (٣٠,٩٧٥ قرشاً) إلاّ إنهم عجزوا عن سداد الدين فبيعت أراضيهم في المزاد العلني.[١١٧]

(١١٢) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٤٦، ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/٣ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ١.

(١١٣) محمد القاياتي، «نفحة البشام»، ص ١٠٥، ١٠٦.

(١١٤) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٧١، ٥ ذو القعدة ١٣٠٣هـ/ ٥ آب (أغسطس) ١٨٨٦م، ص ٢.

(١١٥) المصدر نفسه، العدد ١٠٨٠، ١٦ محرم ١٣٠٤هـ/ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٦م، ص ٢.

(١١٦) البيع الوفائي النظامي: أحد أشكال رهن الأرض، إذ ترهن عند أحد الأغنياء لفترة محددة حتى يتم سداد الدين (الرهن) عند انتهاء المدة. وإذا لم يتم ذلك تباع الأرض بالمزاد العلني ويسترد الراهن ماله أو يأخذ الأرض بدلاً من المال.

(١١٧) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٣٤، ٢٥ صفر ١٣٠٥هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٧م، ص ٢.

كان اليهود الأكثر نشاطاً في مجال تقديم القروض للمزارعين والاستيلاء على أراضيهم. فمثلاً، أقرض إبراهيم كوهين اليهودي الجزائري، الفرنسي التبعية، أحمد الأسعد من الطيرة ١٢,٠٠٠ قرش، وفي مقابل ذلك وافق أحمد الأسعد على بيعه ما يملكه: ١٨ قيراطاً بكرم الزيتون المحتوي ١٢٦ شجرة زيتون في الطيرة.(١١٨)

كما استطاع جول روزنك اليهودي الفرنسي امتلاك مساحات واسعة من الأراضي في اللواء عن طريق الديون. فتذكر إحدى الحجج أن عزيز بن عبد الفتاح الميقاتي من حيفا وكّل جول روزنك بيع كامل حصته في جميع التسع قطع أراضٍ الواقعة في قرية سارونا في قضاء طبرية وبيعها بيعاً باتاً(١١٩) لمن يشاء، بعد أن استدان منه مبلغ ١٠٠٠ عثمانية.(١٢٠)

كما كان بيترو بن سليمان أبيلا، القنصل الإنكليزي في حيفا، من كبار الدائنين، إذ أبدى استعداداً مستمراً لتقديم القروض للمزارعين بضمان أراضيهم. وقد احتوت السجلات الشرعية على أمثلة كثيرة لعمليات الإقراض التي قام بها. فنجد في إحدى الحجج أنه أقرض محمود بن داود بن سليمان حجير من الطيرة مبلغ ٧٣٠ ليرة فرنسية (٧٦,٦٥٠ قرشاً)، وفي مقابل ذلك وكّل شكري بن جبور القرداحي بيع ما يملكه، أربع قطع أراضٍ في الطيرة مساحتها ٣٦٥ دونماً، لمن يشاء وسداد الدين لبيترو أبيلا.(١٢١)

لم يكن الاقتراض ورهن الأراضي مقصوراً على الفقراء وصغار المزارعين، بل شمل أيضاً كبار الملاك والأغنياء الذين خسروا أراضيهم لعجزهم عن سداد ديونهم. فاستدانت لمعة بنت صادق باشا كريمة عزيز أفندي الميقاتي مبلغ ٣٠٠ ليرة فرنسية (٣١,٥٠٠ قرش) من جول روزنك، وفي مقابل ذلك وكّلته بيع ما تملكه من أراضٍ في قيسارية والنطالة والزرغانية في ناحية قيسارية.(١٢٢)

(١١٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٦، ٤٧، ن ٢٠، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٨٣م.

(١١٩) البيع النهائي الذي لا رجوع عنه.

(١٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٢، ن ٦٠١، ٢١ صفر ١٣٣٢هـ/ ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٢١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٨٩، ن ٧٤، ٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م.

(١٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٣، ن ٤١٤، ٥ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

وفي حجة أُخرى أن هنري ولطف الله ابني جرجي لطف الله سرسق من بيروت ونقولا الخوري من الناصرة رهنوا أراضيهم في سهل الناصرة (مرج ابن عامر)، إلى إفرايم بن لبيب كروس الإسرائيلي العثماني من حيفا بمبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة عثمانية.(١٢٣)

وفي حجة ثالثة أن ألفريد بن جريس التويني باع كامل التسعة قراريط أرض من مجموع ٢٤ قيراطاً في جميع الأربعة بساتين العائدة له في قرية نهر المفشوخ بيعاً وفراغاً وفائيين إلى جورج وإيليا ولديّ حبيب حوا من أهالي عكا بمبلغ ٢٧٣٥ ليرة فرنسية (٢٨٧,١٧٥ قرشاً).(١٢٤)

كما نشرت «جريدة ولاية سوريا» الإعلان التالي الذي يبيّن أن كبار الأثرياء وقعوا أيضاً في مشكلة الديون، الأمر الذي دفعهم إلى بيع أراضيهم: «بعد خمسة عشر يوماً سيطرح للمزايدة القانونية الأراضي الواقعة في مقر عشيرة التركمان الملحقة بقضاء عكا وقدرها ستون قطعة أرض والمفروغة وفاء من طرف الخواجة عيسى الصيقلي إلى عبد الغني بيضون من تجار عكا ومن تبعة الدولة العلية بمبلغ قدره ثلاثة آلاف وثلاثة وستون ريالاً مجيدياً (٦١٢٦٠ قرشاً) مقسطة على ثلاثة قسوط إلى أحد وثلاثين شهراً وحيث انقضت المدة المذكورة ولم يف المديون المرقوم دينه تقرر بناء على استدعاء المديون المرقوم واستدعاء الداين المومأ إليه بيع الأراضي المذكورة فمن كان له رغبة بشرائها فعليه أن يراجع دلال دائرة بلدية عكا.»(١٢٥)

وقد استطاع الملاك والتجار المحليون امتلاك مساحات واسعة من الأراضي عن طريق إقراض الأموال للمزارعين. فمثلاً، كان حنا بن عيسى بن نمر القبطي من الطنطورة مديوناً لنخلة وأنطون ابني قسطنطين عطا الله بمبلغ ٣٥٠ ليرة عثمانية، وعندما عجز عن سداد الدين باع ما يخصه من أراض في الطنطورة للدائنين.(١٢٦)

(١٢٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٥، ن ٧٧٧، ٤ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(١٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٨٩، ن ٤٣، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩١٠م.

(١٢٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٣، ٢٨ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ٢.

(١٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٤٦، ٣ شعبان ١٣٣٠هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

ونجد في حجة أُخرى أن لمحمد أفندي العابدي من حيفا ديوناً بقيمة ٥٠٦,٢٩٢ قرشاً على مزارعين من قرى صبّارين والطنطورة وعين غزال.[١٢٧]

ويوضح الجدول التالي أسماء بعض المقرضين وعدد عمليات الإقراض التي قاموا بها والمبالغ المقترضة في كل قرية ومدينة:[١٢٨]

الجدول رقم ٦ ـ ١

الدائن	القرية/ المدينة	المبلغ بالقروش	عدد عمليات الإقراض
بيترو بن سليمان أبيلا	الطيرة	٣٦,٨٦٦	١٢
الحاخام إبراهيم كوهين	الطيرة	١٢,٨٧٥	٣
	حيفا	١٠,٧٢٨	٢
جول روزنك	قيسارية	٤١٥,٠٠٠	٢
مصطفى الخليل	مرج التركمان	٨٠٠٠	١
عبد الغني بيضون	مرج التركمان	٦١,٢٦٠	١
ميخائيل وجبرائيل عيد	المغار	٣٦٠٠	١
مصطفى ضيا باشا	كفر عان	٣٠,٩٧٥	١
جورج وأيليا ولدا حبيب حوا	نهر المفشوخ	٢٨٧,١٧٥	١
محمود استيتيه	حيفا	٢٠,٠٠٠	١
أسعد جرجورة	صفورية	٢٧٠٠	١
قسيطة بن سعيد جرجورة	المجيدل	٢٣٩٠	١
رفعت عبد اللطيف الصلاح	إجزم	٢٠٠٠	١

يبين الجدول أن اليهود والعاملين لمصلحتهم سبقوا غيرهم في تقديم القروض، وأنهم قدموا قروضاً بمبالغ كبيرة قياساً بغيرهم من الدائنين. كما أن

(١٢٧) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١١٤، ن ٦٥٢، ٧ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٤ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(١٢٨) الجدول مستخلص من سجلات المحكمة الشرعية، والصحف المحلية، أنظر مثلاً:
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢١٣، ن ٦٦، ٧ جمادى الأولى ١٣٠٢هـ/ ٢٢ شباط (فبراير) ١٨٨٥م؛ س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١١٤، ن ٦٥٢، ٧ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٤ آذار (مارس) ١٩١٤م؛ س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٥، ن ٤٩٩، ٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٢، ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ٢؛ المصدر نفسه، العدد ١١٤٣، ٢٨ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ٢؛ المصدر نفسه، العدد ١٠٧١، ٥ ذو القعدة ١٣٠٣هـ/ ٦ آب (أغسطس) ١٨٨٦م، ص ٢.

سكان الطيرة أكثر القرى اقتراضاً، وخصوصاً من اليهود، ولذلك خسرت القرية مساحات كبيرة من أراضيها لمصلحة الملاك اليهود والألمان وغيرهم. وكذلك الحال بالنسبة إلى بدو مرج التركمان الذين اقترضوا من الدائنين المحليين، مثل عبد الغني بيضون ومصطفى الخليل.

ويستخلص من دفتر رهونات الأراضي الذي يحمل رقم ١، أن عدداً من كبار الملاك في اللواء كانوا من المقرضين وسيطروا، من خلال عمليات الإقراض، على مساحات واسعة من الأراضي في القرى التي اقترض سكانها منهم. ويتضح هذا من الجدول التالي الذي يبين المقرضين والقرى التي اقترض سكانها والمبالغ المقترضة ومساحة الأراضي التي تم رهنها في مقابل هذه الديون:[١٢٩]

الجدول رقم ٦ ـ ٢

المقرض	القرية	عدد عمليات الاقتراض في كل قرية	المبالغ المقترضة بالقرش	مساحة الأرض التي ضمنت القروض(بالدونم)
مصطفى الخليل	كفر قرع	٢	٧٥٠٠	٢٩٩
	خبيزة	٥	١٠,٤٦٠	٢٢٠
	إجزم	١	٧٤٧٥	٢٥٦
	بيدوس/ كركور	٧	١٤٥,٦٤٥	١٠,٤٠٥
ميخائيل حبايب	كفر قرع	٤	١٣,٣٠٠	٢٧٨
	دالية الكرمل	٣	٣٠,٥٠٠	ـ
ميخائيل حبايب ويوسف بن حسن	دالية الكرمل	١	١٤,٤٠٠	٤٢
مصطفى الخليل وميخائيل حبايب	كفر قرع	٧	٢٨,١٠٠	٥٧
عبد اللطيف الصلاح وابنه رفعت	الصرفند	٤	٤٠,٨٢٠	٩٠
سليمان بن عبد اللطيف الصلاح	مزرعة البطيمات	١	٤١٨٠	٣٨٢٣
عبد الهادي زاده ابن عبد الهادي القاسم وعفيف أفندي ابن الحاج عبد الهادي	وادي عارة	٣	٥٢,٥٠٠	٥٢٦٠
عبد الهادي زاده ابن عبد الهادي القاسم	بيدوس/ كركور	٣	٢٩,٣٢٧	٥٥٢٤
عبد الله ابن الحاج محمد اليونس	عرعرة	٣	٨٧٤٦	١٧٥
الشيخ إبراهيم ابن الشيخ رشاد بن علي نور الدين	مزرعة البطيمات	٤	١١٠٠	١٥,٣٥١
المجموع		٤٨	٣٩٤,٠٥٣	٤١,٧٨٠

(١٢٩) دفتر خاقاني أراضي من سنة ١٣٠٧ ـ ١٣٢٩هـ، أراضي رهونات، ص ١ ـ ١٨٤.

يلاحظ من الجدول ارتفاع حجم عمليات الإقراض في قرى بيدوس ووادي عارة ومزرعة البطيمات، وهي قرى تحولت بكاملها إلى المقرضين.

في سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، أنشأت الدولة العثمانية البنك الزراعي لحل مشكلة الديون عن طريق تقديم القروض للمزارعين والحدّ من اقتراضهم من التجار والملاك. إلاّ إن البنك لم يحقق الأهداف التي أنشىء من أجلها، لأنه كان يقدم القروض إلى المزارعين بضمان أراضيهم وعندما لا يستطيعون سداد ديونهم، كان البنك يبيع أراضيهم بالمزاد العلني لتحصيل الأموال المقترضة، وفي الغالب، كان كبار الملاك والتجار يشترون الأرض. فنجد في إحدى الحجج أن أحمد ابن الحاج سلامة اليونس من عرعرة اشترى أرضاً من البنك الزراعي في حيفا.[١٣٠] وفي حجة أُخرى أن محمود بن عبد الرحيم ابن الشيخ الخطيب من عرعرة وكّل عبد الله ابن محمد الماضي بيع جميع أملاكه للحاج محمود بن أحمد من أهالي حيفا وهي ست عشرة قطعة من عرعرة وسداد الدين للبنك الزراعي في حيفا وقدره ٧٢٠٠ قرش.[١٣١]

كما نشرت الصحف المحلية الكثير من إعلانات بيع أراضٍ لم يستطع أصحابها سداد ديونهم للبنك الزراعي. فنشرت جريدة «طرابلس» (الشام) الإعلان التالي: «بعد خمسة عشر يوماً سيطرح في المزايدة العلنية أربع عشرة قطعة أرض الواقعات في أراضي قرية الدامون قضاء عكا ملك المديون مصطفى القاسم من أهالي القرية المذكورة لوفاء دين يطلب من صندوق شعبة بنك زراعة عكا بمبلغ ألفي قرش فمن يرغب فعليه أن يراجع المحكمة المذكورة.»[١٣٢] وورد في إعلان آخر نشرته جريدة «طرابلس» (الشام): «سيطرح بعد خمسة عشر يوماً للمزايدة قطعتا أرض مشجرتان بالزيتون واقعتان في قرية الرامة ملك المديونين سليم وإسكندر ابني يعقوب الجبران من أهالي القرية المذكورة وفاء لمبلغ يطلب منهما ألفي قرش لشعبة صندوق بانك زراعة عكا.»[١٣٣] وفي إعلان ثالث: «بعد خمسة عشر يوماً سيطرح للمزايدة العلنية اثنتان وسبعون قطعة أرض واقعات في

(١٣٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، من دون صفحة، ن ٧٦٢، ٩ شعبان ١٣٣٢هـ/٣ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(١٣١) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١١٢، ن ١٤٢، ١٩ رجب ١٣٣٠هـ/٤ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

(١٣٢) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ٩٥، ٢٥ رجب ١٣١٢هـ/٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٥م، ص ٤.

(١٣٣) المصدر نفسه، العدد ١٠٢، ١٤ رمضان ١٣١٢هـ/١٠ آذار (مارس) ١٨٩٥م، ص ٤.

أراضي قرية البعنة قضاء عكا ملك المديونين محمد ومحمود ولدي علي الحسين من أهالي القرية المذكورة وفاء لما يطلب منهما مبلغ ألفي قرش لصندوق شعبة بانك زراعة عكا.»[١٣٤]

ويوضح الجدول التالي عدد عمليات الإقراض في عدد من قرى قضاء حيفا والمبالغ التي تم اقتراضها من البنك الزراعي في حيفا خلال الفترة المالية ١٣١٠ ـ ١٣٣١:

الجدول رقم ٦ ـ ٣

القرية/ المدينة	عدد عمليات الاقتراض بها	المبلغ المقترض للقرية جميعها بالقرش
إجزم	٩٥	٢٦١,٨٠٢
كفر قرع	٦٣	١٥٥,٠٩٥
حيفا	٦١	٣٠٩,٢٢٧
عرعرة	٦٥	٢٧٣,٨٧٢
الطيرة	٥٥	٨٨,٦٥٤
صبارين	٦٢	١٢٢,٠٨٧
جبع	٤٤	٩٨,١٢٦
الطنطورة	٤٣	١٢٣,٥٣٠
أم الشوف	٢٨	١,٠٢٠,٧٧٥
دالية الكرمل	٢٣	٥٥,٨٧٥
أم الزينات	٢١	٢٦,٤٩٠
الكفرين	١٥	٤٣,١٥٠
عين حوض	٦	١٠,٣٨٧
الصرفند	٦	٢٩,٣٣٧
الريحانية	٤	٢٠,٠٠٠
قيرة وقامون	٣	١٥,٠٠٠
عرب النفيعات	١	٥٠٠٠
قيسارية	٢	٧١٥٠
عسفيا	٨	٣٠,٠٢٥

(١٣٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٤، ٢٨ رمضان ١٣١٢هـ/٢٤ آذار (مارس) ١٨٩٥م، ص ٤.

يبين الجدول ضخامة المبالغ المقترضة، وخصوصاً في قرى مثل عرعرة وإجزم وأم الشوف وصبارين والطنطورة وكفر قرع وحيفا نفسها، إضافة إلى الأوضاع المالية السيئة التي عاناها الفلاحون، وأن عملهم في الزراعة لم يكن يكفي لتوفير نفقات معيشتهم، الأمر الذي دفعهم إلى الاستدانة بضمان أراضيهم.

ويلاحظ أن بعض المقترضين من المزارعين لم يستغل القروض التي حصل عليها بالأسلوب الصحيح الذي يجنبه الوقوع في مشكلة الديون من جديد. فمثلاً، استدان محمود بن حسن بن حسني الجبالي من قرية بريكة مبلغ ٧٥٢٢ قرشاً من صندوق الأيتام في حيفا من مال إخوته القاصرين، واشترى بقيمة القرض قطعة حرير بمبلغ ٢٧١٣ قرشاً.(١٣٥) وفي حجة أُخرى أن نجمة بنت أحمد حجير من الطيرة وسكان حيفا استدانت مبلغ أربعين ليرة فرنسية من صندوق الأيتام البالغة ٣٥٦٠ قرشاً صاغ الخزينة من مال ابنها القاصر العبد بن صالح بن عثمان واشترت بالقرض قطعة جوخ بمبلغ ٩٠٠ قرش.(١٣٦)

ساهمت الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من كساد اقتصادي أصاب جميع السكان، وخصوصاً المزارعين، في دفع عدد من الفلاحين ومن صغار الملاك إلى بيع أراضيهم ورهنها لتجار المدن الذين كانوا أقل تأثراً بظروف الحرب لما يملكونه من أموال. وقد تم عدد كبير من عمليات بيع الأراضي في مناطق متعددة من اللواء بعد بداية الحرب. فمثلاً، باع صالح الحواجين ابن صالح من عرب التركمان ما يعود له في قطعة الأرض الواقعة في مزرعة الغبيات ناحية شفا عمرو لمصطفى الخليل بمبلغ ٢١ ليرة فرنسية، وذلك سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.(١٣٧) وفي حجة أُخرى أن مطلق الشقيري من عرب التركمان باع ما يخصه في جميع قطعة أرض الشقيرات لإبراهيم وتوفيق ابني مصطفى الخليل بمبلغ ١٨٠ ليرة فرنسية، وذلك سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.(١٣٨)

---

(١٣٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٨٩، ١٩٠، ن ٤٣، ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٢٤ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(١٣٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٠٧، ن ٦٤٢، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(١٣٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ١٠٥٢، ٤ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(١٣٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٦٤، ن ١٠٨٥، ٨ ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

ب) الملاك التجار

بدأ اهتمام تجار المدن بشراء الأراضي، بالتدريج، منذ أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر. وكان الشراء أولاً محصوراً في أراضي الملك الخاص وأشجار الزيتون. فمثلاً، اهتم خليل الحكيم بشراء أراضي الملك الخاص وأشجار الزيتون في الطيرة، إذ تذكر إحدى الحجج أنه اشترى أربعة قراريط في كامل اثنين وعشرين عرق زيتون في الطيرة.(١٣٩) وفي حجة أُخرى أنه اشترى تسعة قراريط في الكرم المحتوي على ستة عشر عرق زيتون.(١٤٠)

وقد بلغ مجموع عمليات الشراء التي قام بها خليل الحكيم في الطيرة نحو اثنتين وتسعين عملية شراء تمت جميعها في الفترة ١٢٨٧ـ ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٠ـ١٨٧٢م.(١٤١)

واستخدم خليل الحكيم وكيلاً خاصاً لينوب عنه في شراء الأراضي في الطيرة. فأشارت إحدى الحجج إلى أن الشيخ عيسى الزبن، الوكيل المطلق عن الخواجة خليل الحكيم، اشترى بمال موكله من بائعه داود عمورة كرم الزيتون الواقع في قرية الطيرة.(١٤٢)

كما اشترى إبراهيم منصور من تجار حيفا أراضي الملك الخاص وأشجار الزيتون في الطيرة. فمثلاً، تذكر إحدى الحجج أنه اشترى ستة قراريط في كرم الزيتون المشتمل على خمس وستين شجرة وأربعة قراريط أُخرى في كرم آخر يحتوي على اثنين وعشرين عرق زيتون من عبد الفتاح أحمد اليعقوب من الطيرة.(١٤٣)

---

(١٣٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٤، من دون نمرة، ١٤ صفر ١٢٨٩هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٨٧٢م.

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٥١، ن ٣٣٢، من دون تاريخ.

(١٤١) مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٨، ن ٢٤٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٧٠م؛

س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٧٢، من دون نمرة، ٢٠ جمادى الثانية ١٢٨٨هـ/ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٧١م.

(١٤٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٨، ن ٢٤٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(١٤٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٢، ن ٢٦٥، ١١ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

ويلاحظ من السجلات أن عمليات الشراء التي قام بها إبراهيم منصور في الطيرة تمت كلها في يوم واحد هو الحادي والعشرين من جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ التاسع عشر من آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

ووفقاً لإحدى الحجج كان إبراهيم منصور يمتلك حصصاً في اثني عشر كرم زيتون في الطيرة، ويمتلك كرماً آخر بصورة كاملة.[١٤٤] أمّا سجلات الأراضي فأشارت إلى أن إبراهيم منصور يمتلك ثلاث عشرة قطعة أرض في الطنطورة،[١٤٥] وأراضي أُخرى في حيفا نفسها.[١٤٦]

لم يقتصر شراء الأراضي في الطيرة على هؤلاء التجار فقط، بل أشارت السجلات أيضاً إلى تجار آخرين اشتروا في الطيرة ومنهم: شحادة العسل[١٤٧] وجرجس جدعون[١٤٨] وبشارة عازر[١٤٩] ونقولا سلمونة.[١٥٠] وقد تمت عمليات الشراء كلها في الفترة ١٢٨٧ ـ ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٠ ـ ١٨٧١م. وربما تكون الأزمة الاقتصادية والمجاعة التي انتشرت سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م وعمت اللواء والمناطق المجاورة هي التي دفعت سكان الطيرة إلى بيع أراضيهم وأشجارهم لتجار حيفا.[١٥١]

أتاح صدور قانون تمليك الأراضي الميري لسنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م[١٥٢]

---

(١٤٤) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٢، ٨ صفر ١٣٣٠هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م.

(١٤٥) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ١٠٨، ١٠٩.

(١٤٦) سجل أراضي رقم ١، سجل أراضي دائمي، ص ٥٠.

(١٤٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، من دون نمرة، ١ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٣٠ تموز (يوليو) ١٨٧٠م.

(١٤٨) أنظر، مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨١، ن ١٢٧، ١٨ شعبان ١٢٨٨هـ/ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١م.

(١٤٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٧، ن ٢٦٠، ٥ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(١٥٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٤١، ن ٢٩١، ١١ رجب ١٢٨٧هـ/ ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٠م.

(١٥١) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ٩٧.

(١٥٢) وعلى الرغم من صدور القانون في هذه السنة، فإن إجراءات تسجيل الأراضي وإفرازها والسماح للمزارعين ببيعها لم تبدأ إلاّ في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن التاسع عشر. أنظر: سجل أراضي قرية الزيب، المجلد ١٧، ص ٩٩؛ سجل قرية عمقا، المجلد ١٧، ص ١٢٣.

المجال الواسع أمام التجار لشراء الأراضي وامتلاكها في مختلف مناطق اللواء، وخصوصاً أنهم استطاعوا تكوين الثروات المالية الكبيرة من عملهم في التجارة. فاتجهوا إلى الاستثمار في الأراضي لأغراض الزراعة والتجارة، وشجعهم على ذلك ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية نتيجة ازدياد الطلب الأوروبي عليها، وازدياد عدد السكان في اللواء وتحسن مستوى معيشتهم وانخفاض أسعار الأراضي، وخصوصاً أن الاستثمار في الزراعة كان يحقق لهم عوائد سنوية مضمونة. فمثلاً، قدر الدخل السنوي من الأراضي التي اشتراها سرسق والتويني وفرح في مرج ابن عامر بـ ١,٦٢٠,٠٠٠ قرش تقريباً.[١٥٣] وكان نصيب عبد اللطيف الصلاح من إنتاج قرية الجعارة نحو ٢٧,٦٥٢ قرشاً سنوياً.[١٥٤]

كان معظم هؤلاء المستثمرين من تجار المدن الساحلية كبيروت وحيفا وعكا وصيدا وصور، وبعض المدن الداخلية كالناصرة ودمشق، إذ إن ازدهار حركة التجارة بين هذه المدن وأوروبا ساعد هؤلاء التجار في تكوين ثروات مالية كبيرة.

وقد سبق تجار بيروت غيرهم إلى إدراك أهمية الاستثمار في شراء الأراضي وزراعتها في اللواء. ففي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، اشترت مجموعة من تجار بيروت مكونة من حبيب بسترس ونقولا سرسق وجريس التويني وفرح النصف الشمالي من سهل مرج ابن عامر، وبلغت مساحة الأراضي ١٧٩ كلم² أي ما يعادل ٣٦٠,٠٠٠ دونم، وشملت هذه المنطقة أراضي عشرين قرية.[١٥٥] وقدرت قيمتها بنحو ٢,٧٠٠,٠٠٠ قرش، وقدرت الضرائب المفروضة عليها بنحو ٥٤٠,٠٠٠ قرش سنوياً، بينما قدر متوسط الدخل السنوي منها بما لا يقل عن ١,٦٢٠,٠٠٠ قرش.[١٥٦]

---

(١٥٣) Laurence Oliphant, *Haifa*, p. 60; Laurence Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 330-332.

(١٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٨، ن ٣٤٠، ١٧ صفر ١٣٠٧هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م.

(١٥٥) من القرى: جنجار والفولة والعفولة وخنيفس وتل الشمام وتل النور وأم العمد وسمنية وكفرتا وجيدا وبيت لحم وطبعون وقصقص والشيخ بريك وملكا وتل عدس. أنظر: صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٣٩، ١٧ صفر ١٣٢٧هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٢؛ Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 355-356; A. Granott, *Land System in Palestine*, pp. 80, 81.

(١٥٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 354-356; Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 168; Oliphant, *Haifa*, p. 60; Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 330-332; Granott, *op.cit.*, p. 82.

ويظهر أن الدولة العثمانية اعتبرت هذه الأراضي أراضي ميري محلولة ترك المزارعون فلاحتها منذ فترة طويلة ومن حقها التصرف فيها وفقاً لأحكام الأراضي المحلولة.(١٥٧) ويؤكد ذلك أن القرى التي تم شراء أراضيها كانت في معظمها قليلة السكان. فمثلاً، كان سكان قرية أم العمد إحدى عشرة عائلة مجموعها خمس وخمسون نسمة، وسكان جيدا ثماني وعشرين عائلة يشكلون مئة وأربعين نسمة، وسكان جدرو اثنتي عشرة عائلة مجموعها ستون نسمة.(١٥٨) كما أن هؤلاء السكان كانوا غير قادرين على زراعة الأراضي الواسعة التابعة لهذه القرى، وكذلك القبائل البدوية التي كانت تسيطر على السهل في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذا يعني أن هذه الأراضي لم تزرع منذ عشرات الأعوام، ولذلك لم يستطع السكان إثبات ملكيتهم لها عن طريق دفع الضرائب.

وقد احتج سكان الناصرة على بيع أراضي مرج ابن عامر معتبرين أن من حقهم تملك الأرض بحكم أنهم زرعوها من مئات الأعوام، فاضطرت الحكومة، سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، إلى إعادة قسم من هذه الأراضي إلى سكان الناصرة. وذكر أسعد منصور أن مجلس إدارة لواء عكا أصدر، سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، قراراً بإرجاع ٢٠٠٠ ليرة عثمانية إلى سرسق من مجموع الثمن، في مقابل إعادته أرض الوعر إلى سكان الناصرة.(١٥٩)

وسّعت هذه العائلات التجارية نشاطها في شراء الأراضي ليشمل قرى أُخرى في اللواء. فمثلاً، كانت عائلة سرسق تمتلك معظم أراضي قرية ياجور في قضاء حيفا موزعاً على أفراد العائلة على النحو التالي:

جرجي لطف الله سرسق	٥٣٣١ دونماً
نخلة بن موسى سرسق	٢٦٦٦ دونماً
ألفرد بن موسى سرسق	٢٦٦٦ دونماً

فيكون مجموع ما يملكه السراسقة في ياجور ١٠,٦٦٣ دونماً.(١٦٠)

كما كانت عائلة سرسق تمتلك ١٥,٦٤٧ دونماً في قرية الهربج، بينما يمتلك نخلة بن موسى سرسق وأيلة بنت خليل سرسق أراضي في قرية جدر في قضاء

(١٥٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦ ـ ٣٤.

(١٥٨) Shumacher, «Population,» *PEF*, 1887, pp. 169-191.

(١٥٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨، ٩٩؛
Granott, *op.cit.*, p. 80;

(١٦٠) سجل أراضي رقم ١١، حيفا قضاسك، حاصلات دفتر يدر، ص ٨٠، ٨١.

عكا.(١٦١)

وذكرت صحيفة «المقتبس» أن سرسق اشترى قرية الملاحة في قضاء طبرية ثم باعها لبعض أغنياء عكا الذين باعوها بدورهم لليهود.(١٦٢)

كما وسّعت عائلة التويني استثماراتها في اللواء بشراء الأراضي في قرى مرج ابن عامر وخارجه. فمثلاً، كان لنخلة وحنا ابني جريس التويني نحو ٤٧٥٦ دونماً في أراضي قرية جيدا.(١٦٣) بينما ذكرت إحدى الحجج الشرعية أن لألفرد بن جريس الثلث في جميع أراضي قرية جيدا البالغة مساحتها ٨٣٣٢ دونماً بالإضافة إلى أربعين داراً ومفازة في القرية نفسها.(١٦٤) وفي حجة أُخرى أن لجبران بن جريس التويني الربع، أي ستة قراريط من مجموع أربعة وعشرين قيراطاً في قرى أم العمد وتل الشمام وجيدا. كما أن له ١٣,٥ سهماً من مجموع ٥٧٠ سهماً في أراضي قرية قيرة وقامون في قضاء حيفا.(١٦٥) وكان لألفرد بن جريس التويني الربع في كامل الأربعة بساتين الواقعة في قرية نهر المفشوخ،(١٦٦) بينما كان نصيب حنا بن جريس التويني نحو ١٣٠٨ دونمات في قرية نهر المفشوخ وبستان الانشراح التابع لها.(١٦٧)

كانت عائلتا بسترس وطراد تحوزان مساحات واسعة من قرية جدر. فمثلاً، كان لفلاديمير بن سليم بسترس نحو ٢٨,٦٨٤ دونماً، أمّا نقولا بن جرجس طراد فله ١٤,٢١٣ دونماً في القرية نفسها.(١٦٨)

إن مساحة كبيرة من هذه الأراضي والأملاك بيعت لليهود في أواخر العصر العثماني وفي بداية الانتداب البريطاني. فتذكر إحدى الحجج أن هنري ولطف الله،

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٦٠، ٦١.

(١٦٢) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

(١٦٣) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، ص ١٠٩.

(١٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٨٣، ١٨٤، ن ٢٨، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٢٥ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(١٦٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٩، ٥٠، ن ٥، ٧ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ/ ١١ حزيران (يونيو) ١٩٠٥م.

(١٦٦) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٥٨، ن ٢١٠، ١٧ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م.

(١٦٧) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، ص ٧ ـ ٢٠.

(١٦٨) سجل أراضي رقم ٢٤، دفتر قضاء عكا، ص ٤٣ ـ ٥٠.

ابني جرجي لطف الله سرسق من بيروت، ونقولا الخوري من الناصرة رهنوا قطعة الأرض التي في حيازتهم، والواقعة في سهل مرج ابن عامر، إلى إفرايم بن لبيب كروس الإسرائيلي المقيم بحيفا في مقابل ١٠,٠٠٠ ليرة عثمانية.(١٦٩)

من الواضح أن مشاريع هؤلاء التجار الاستثمارية، سواء أكانت في اللواء أم في بيروت، بدأت تنحسر وخصوصاً نتيجة توزع أراضيهم بين عدد كبير من الورثة، الأمر الذي جعلهم يفكرون في بيع هذه الأراضي، هذا في الوقت الذي ظهر فيه اليهود واستعدوا لتقديم أسعار عالية ثمناً للأرض. فتذكر صحيفة «الكرمل» سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، أن المهندسين مسحوا قرى نجيب سرسق فبلغت مساحتها ٦٦ ألف دونم،(١٧٠) وأن نجيب سرسق صاحب قرية نورس باع أو ساوم في بيع قرية نورس وتأجير سائر قراه ـ وهي إحدى عشرة قرية ـ في مرج ابن عامر لليهود.(١٧١)

كما يبدو أن الاستثمار في الزراعة وشراء الأراضي جذب إليه عدداً من التجار المحليين الذين استطاعوا تكوين ملكيات واسعة في اللواء. فاستطاع فؤاد السعد امتلاك أراضٍ واسعة في قرية ياجور، فكتب محمد كرد علي في صحيفة «المقتبس»: «مررت بأرض ياجور فرأيتها عامرة أكثر من غيرها من القرى المجاورة فسألت عن صاحبها فقيل لي إنه غني من أهل عكا اسمه فؤاد السعد يمتلك بضع قرى في لواء عكا وهو أغنى من فيه وتربو ثروته على مئة وخمسين ألف ليرة عثمانية جمع بعضها والبعض الآخر ورثه عن أبيه.»(١٧٢) ووفقاً لدفاتر الأراضي كان لفؤاد السعد نحو ٣٢٧٨ دونماً في ياجور.(١٧٣)

وامتلك فؤاد السعد أيضاً خمساً وأربعين قطعة أرض في قرية المراح، منها ثلاث عشرة قطعة أرض مزروعة أشجاراً والباقي أراض سليخ معدة للزراعة الحقلية.(١٧٤) وأشار شتاين إلى أن فؤاد السعد يمتلك ٣٠,٠٠٠ دونم في

(١٦٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٥، ن ٧٧٧، ٤ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٤م.
(١٧٠) صحيفة «الكرمل»، العدد ٧٠٧، ٨ شعبان ١٣٣٩هـ/ ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٢١م، ص ٢.
(١٧١) المصدر نفسه، العدد ٦٧٣، ٥ ربيع الأول ١٣٣٩هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠م، ص ٢.
(١٧٢) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.
(١٧٣) سجل أراضي رقم ٢٦، دفتر قضاء عكا، ص ٤١ ـ ٤٤.
(١٧٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٢٩، ن ٩٦، ١٧ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ١ حزيران (يونيو) ١٩٠٤م.

الناقورة و٢٠,٠٠٠ دونم في شفا عمرو،(١٧٥) وأراضي في قرية دبورية وأم الغنم في قضاء الناصرة.(١٧٦)

وأشارت سجلات الأراضي إلى أن لفؤاد السعد أراضي في قرية المغار،(١٧٧) وأراضي مزروعة زيتوناً في قرية الرامة.(١٧٨) كما امتد نشاطه إلى لبنان، فكان له أراض ومزارع في جونية شمالي بيروت.(١٧٩)

وإضافة إلى فؤاد السعد، ظهر عدد من التجار المحليين الذين اهتموا بالشراء في مناطق متعددة من اللواء، وتركزت ملكياتهم في منطقة مرج التركمان الذي يشكل جزءاً من مرج ابن عامر. فمثلاً، استطاع عبد الغني بيضون من تجار عكا مع أولاده زكي وشفيق ونصوح ورفيق امتلاك مساحات واسعة من الأراضي في مرج التركمان، إمّا بالشراء من التركمان أنفسهم وإمّا بالشراء من كبار الملاك الآخرين في المنطقة. ووفقاً لسجلات الأراضي العثمانية بلغت مساحة الأراضي العائدة لعبد الغني بيضون في مرج التركمان نحو ١٥,٦٣٧ دونماً.(١٨٠)

كانت مساحة هذه الأراضي تزداد جراء استمرار عمليات الشراء في السهل، وجراء إقراض ملاك الأراضي التركمان وشراء أراضيهم. فتذكر إحدى الحجج، مثلاً، أن خضر بن موسى بن حسين البداح، من عرب بنيها المقيم بأبي زريق التابعة لمرج التركمان، وكّل عبد الغني بيضون بيع حصته في أراضي أبي زريق ناحية شفا عمرو.(١٨١) وأشارت دفاتر الأراضي إلى أن عبد الغني بيضون كان وكيلاً دورياً على تسع قطع أراض تبلغ مساحتها ٥٨٥٠ دونماً في مزرعة وعر الغبية.(١٨٢)

كما كان لعبد الغني بيضون وأولاده أراض في قرى المزرعة(١٨٣)

(١٧٥) Stein, *op.cit.*, pp. 223, 224.
(١٧٦) *Ibid.*
(١٧٧) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، ص ١٤٧، ١٤٨.
(١٧٨) المصدر نفسه، ص ١٦٧، ١٧٩.
(١٧٩) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٠١، ن ٣٠، ١٩ شوال ١٣٢٥هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.
(١٨٠) دفتر أراضي عشيرة التركمان، سجل ٢٦، ص ١ ـ ٤٤.
(١٨١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣، ن ٧٣، ٣ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢م.
(١٨٢) دفتر أراضي عشيرة التركمان، سجل ٢٦، ص ١ ـ ٤٤.
(١٨٣) سجل أراضي رقم ٤٢، قضاسي دايمي دفتري لسنة ١٣٠٧هـ، ص ١.

والرامة[١٨٤] وجولس[١٨٥] في قضاء عكا، وفي قرية لوبيا في قضاء طبرية.[١٨٦]

كما كان الحاج أمين آغا من حيفا يمتلك مساحات واسعة من الأراضي في مرج التركمان، تقدر بـ ٣٩,١٠٦ دونمات تقريباً.[١٨٧]

لكن هذه الأراضي باعها ورثة الحاج أمين آغا لعدد من تجار وملاك حيفا وعكا. فمثلاً، اشترى مصطفى الخليل ١١,٢٩٤ دونماً، واشترى الشيخ إبراهيم بن عيسى العكي ٢٠,٧١٨ دونماً من وسيلة بنت مقداد زوجة أمين آغا ومن خديجة خانم ابنته.[١٨٨]

ولم يبق من هذه الأملاك سوى ٧٠٩٤ دونماً مشتركة مع عبد الغني بيضون.[١٨٩] ويظهر أن هذه الأراضي أُفرزت ثم بيعت فيما بعد. فتذكر إحدى الحجج الشرعية من محكمة يافا الشرعية أن «وسيلة خانم كريمة مقداد أفندي بن عثمان من أهالي ولاية سيواس وزوجة أمين آغا قد وكّلت شقيقها محمد فوزي بن مقداد في الفراغ القطعي فيما يخصها عن زوجها المتوفى الحاج أمين آغا وقدره سهم من أصل ثمانية أسهم في كامل قطعة الأرض الكائنة في قرية قبية التابعة لناحية شفا عمرو من أعمال لواء عكا شراكة عبد الغني بيضون العكي.»[١٩٠]

كما اشترى عدد من تجار شفا عمرو في جوار مرج التركمان أراضي في المرج من بدو التركمان، واستطاعوا تكوين ملكيات واسعة لهم فيه. وينتمي هؤلاء التجار إلى عائلات كركبي والداود والحداد. فمثلاً، أشارت سجلات الأراضي العثمانية إلى أن جريس بن يوسف كركبي كان يمتلك ٥٢٨١ دونماً في مرج التركمان،[١٩١] بالإضافة إلى حصته في الأرض المشاع في مزرعة خنجرة وسهل الغبية ووعر الغبية.[١٩٢] وبناء على ما ورد في دفتر أراضي عشيرة التركمان،

(١٨٤) المصدر نفسه، ص ٥ ـ ٨.
(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٧ ـ ٢٤.
(١٨٦) صحيفة «الكرمل»، السنة التاسعة، العدد ٨٥٧، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢م، ص ٣.
(١٨٧) دفتر أراضي عشيرة التركمان، سجل ٢٦، ص ١ ـ ٤٤.
(١٨٨) المصدر نفسه.
(١٨٩) المصدر نفسه.
(١٩٠) سجلات المحكمة الشرعية في يافا، ش ٤٣٦، س ٨، ١٧ ربيع الأول ١٣١٩هـ/٤ تموز (يوليو) ١٩٠١م.
(١٩١) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، ص ١٠١ ـ ١١١.
(١٩٢) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣٠٦، ٩ رجب ١٣٢٩هـ/٦ تموز (يوليو) ١٩١١م.

فإن مساحة هذه الحصص الثلاث تبلغ ٣٠٠٠ دونم.[١٩٣]

وكان لجريس بن يوسف كركبي ٣٩١٥ دونماً في مرج التركمان،[١٩٤] ولألفرد بن جريس كركبي ١٢٨١ دونماً،[١٩٥] ولأندراوس بن يوسف كركبي ثلاث قطع أراضٍ بمساحة ٣٤٩٨ دونماً.[١٩٦]

ويتضح أنّ هذه الأراضي كانت ملكاً ليوسف كركبي ثم توزعت بالإرث بين أولاده وأحفاده من بعده.

امتلك توفيق ووديع ونجيب أولاد ناصر الداود[١٩٧] قطعتي أرض في مرج التركمان تبلغ مساحتهما ٣٩١١ دونماً.[١٩٨] أمّا خليل ويوسف ابنا ناصر الحداد فقد امتلكا قطعتي أرض في مزرعة المناطير في مرج التركمان تبلغ مساحتهما ٣٩١١ دونماً، وقطعتي أرض في مزرعة البصيلة تبلغ مساحتهما ٢٩٤٠ دونماً،[١٩٩] كما امتلك الياس بن خليل إبراهيم الحداد ٢٩٤٠ دونماً في مزرعة البصيلة.[٢٠٠]

استطاع مصطفى الخليل من أثرياء حيفا وتجارها شراء مساحات واسعة من أراضي مرج التركمان.[٢٠١] ويتضح من دفتر أراضي عشيرة التركمان أن لمصطفى الخليل ٢٤,٥٦٢ دونماً من أراضي مرج التركمان، ويوضح الجدول التالي مساحة الأراضي التي يمتلكها مصطفى الخليل في مرج التركمان، والأشخاص الذين اشترى منهم أراضيه، ومساحة الأراضي التي اشتراها من كل منهم:[٢٠٢]

(١٩٣) سجل أراضي رقم ٢٦، سجل أراضي عشيرة التركمان، ص ٣٤، ٣٨.
(١٩٤) المصدر نفسه، ص ١٠، ١١، ٣٥، ٤٣.
(١٩٥) المصدر نفسه، ص ١٢٥، ١٣٥.
(١٩٦) المصدر نفسه، ص ٥، ٦، ١٠، ١١.
(١٩٧) إن موطن هذه الأسرة قرية عبلين التابعة لناحية شفا عمرو، وكان ناصر الداود عضواً في مجلس إدارة ناحية شفا عمرو سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م. أنظر: س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٠، ن ٧٣١، ٢٥ شعبان ١٣٣٢هـ/١٩ تموز (يوليو) ١٩١٤م؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٨٦.
(١٩٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٦١، ن ٩١٩، من دون تاريخ.
(١٩٩) سجل أراضي رقم ٢٦، سجل أراضي عشيرة التركمان، ص ١٧، ٢٠.
(٢٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٠.
(٢٠١) المصدر نفسه، ص ١ ـ ٤٠؛ محمود يزبك، «النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا»، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩.
(٢٠٢) سجل أراضي رقم ٢٦، سجل أراضي عشيرة التركمان، ص ١ ـ ٤٠.

الجدول رقم ٦ ـ ٤

من التركمان	من وسيلة خانم بنت مقداد زوجة أمين آغا	من خديجة بنت أمين آغا	الأراضي المسجلة باسم مصطفى الخليل ولم يحدد السجل مصدرها	المجموع	مجموع أراضي مرج التركمان	نسبة ما يملكه مصطفى الخليل
١٢,٠٤٦	٥٦٤٧	٥٤٠٦	١٤٦٣	٢٤,٥٦٢	٤٦٢,٧٤١	٪٥,٣

كانت مساحة هذه الأراضي تزداد، بالتدريج، مع استمرار عمليات الشراء في المرج. فمثلاً، أشارت إحدى الحجج إلى أن مصطفى الخليل اشترى قطعتي أرض من محمد أمين ابن الحاج أمين آغا الواقعتين في مزرعة الزقاق بمبلغ ٢٠,٥٠٠ قرش سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.[٢٠٣]

وقد ازداد بيع بدو التركمان لأراضيهم خلال الحرب العالمية الأولى. فتذكر إحدى الحجج أن مصطفى الخليل اشترى من صالح بن خضر من عرب العوادين من عرب التركمان كامل حصته في قطعتي أرض العوادين الواقعتين في مرج التركمان سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م.[٢٠٤] وفي حجة أخرى أنه اشترى من محمد بن العجباوي من عرب بنيها التركمان حصته في كامل قطعة الأرض في وعر الغبية الواقعة في مرج التركمان.[٢٠٥]

كما اشترى مصطفى الخليل الأراضي من التركمان القاطنين بقيسارية. فتذكر إحدى الحجج أن موسى بن يوسف الجخيدم من العرب المذكورين استدان من توفيق بن مصطفى الخليل ٨٤٠٠ قرش، وفي مقابل ذلك باعه الأراضي التي بملكه في جميع أراضي خور البطمة في قرية الغابة. وفي حجة أخرى أنه اشترى أربع قطع أراض من حسين محمد الخطيب من التركمان المقيمين بغابة الجركس ناحية قيسارية.[٢٠٦]

(٢٠٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٧، ن ١٠٥٨، ١٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م؛
س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٢٩، ن ٦٧، ٢١ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(٢٠٤) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٤، ١٥٥، ن ١٠٦٩، ٢٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(٢٠٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٧، ن ٥٧٣، ١٨ محرم ١٣٣١هـ/ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٢م.

(٢٠٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٦، ن ١٠٧٢، ٢٨ صفر ١٣٣٤هـ/ ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

وقد حاز مصطفى الخليل، بالشراء، مساحات واسعة من الأراضي في عدد من قرى اللواء وخصوصاً في قرى قضاء حيفا. فمثلاً، اشترى الأراضي في كفر لام،[٢٠٧] وعين غزال،[٢٠٨] والطنطورة،[٢٠٩] وبلد الشيخ،[٢١٠] وأم الزينات،[٢١١] وخبيزة،[٢١٢] والطيرة. فتذكر إحدى الحجج أن مصطفى الخليل اشترى ثلثي كرم الزيتون من يوسف ابن الحاج عبد الله الزبن من الطيرة.[٢١٣]

وأشارت إحدى الحجج الشرعية إلى أن مصطفى الخليل وولديه سليم ويوسف يمتلكون ستاً وثلاثين قطعة أرض في إجزم، منها أربع وثلاثون قطعة أرض معدة للفلاحة وقطعتان مزروعتان بأشجار منوعة.[٢١٤] كما كان لمصطفى الخليل أراض واسعة في قريتي بيدوس وكركور.[٢١٥]

وقد شجع ازدهار النشاط الاقتصادي في اللواء وزيادة الطلب على الأراضي عدداً من تجار دمشق وصيدا وحماة على الهجرة إلى اللواء والإقامة به وشراء الأراضي وزراعتها. فمثلاً، استطاع سليم الخوري الذي هاجر من حماة واستقر بحيفا أن يشتري مساحات واسعة في عدد من قرى اللواء. إذ كان له واحدة وعشرون حصة ونصف حصة من مجموع سبع وعشرين حصة من جميع أراضي

(٢٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٩٣، ١٩٤، ن ٤٧، ١١ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) ١٩١٠م.

(٢٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٣، ن ١٧٢، ٢٧ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م.

(٢٠٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٣٩، ن ١٠٤٥، ٣ صفر ١٣٣٤هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(٢١٠) س ح، ش ١، س ١، ص ١٧٦، ن ٤٠٨، ٨ شعبان ١٣٣٥هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٩١٧م.

(٢١١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٤، ٢٥، ن ٢١، ٢٦ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠١م.

(٢١٢) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٤٠، ن ٥٢٥، ٢١ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٢١٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٣٩ ـ ١٤١، ن ١٠٤٦، من دون تاريخ.

(٢١٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٨٩، ن ١٤٩، ٧ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م.

(٢١٥) المصدر نفسه.

قرية بريكة.[٢١٦] ووفقاً لسجلات الأراضي العثمانية كان لسليم الخوري ١٧٧٠ دونماً في قرية بريكة،[٢١٧] ونتيجة استمرار عمليات شراء الأراضي في القرية، استطاع أن يمتلك معظم أراضيها.

كما كان لسليم الخوري أراض في قرية باقة الشرقية،[٢١٨] وله ١٧٧٧ دونماً في قرية الهربج،[٢١٩] و٦٧,٦١٢ دونماً في مزارع الخضيرة والنفيعات والدردارة في مرج التركمان.[٢٢٠]

وقد أشارت إحدى الحجج إلى أن لسليم الخوري بالاشتراك مع شاكر باشا، والي ولاية أضنة سابقاً المقيم بحيفا، ثلث الأراضي الشهيرة بأراضي النفيعات.[٢٢١] كما امتلك ٢٥١٠ دونمات في أراضي مزرعة أم العلق،[٢٢٢] وأراضي غير معروفة المساحة في قرية بلد الشيخ،[٢٢٣] ونصف أراضي مزرعة الشلالة التابعة لقرية عسفيا.[٢٢٤]

بالإضافة إلى ذلك، امتلك سليم الخوري وولداه قيصر وسليم ٦٩٤ دونماً في قرية ياجور، و٢٥٧٤ دونماً في مزرعة الخريبة بالشراء من نيقولا وجرجس ابني لطف الله سرسق،[٢٢٥] وأراضي في الريحانية قضاء الناصرة.[٢٢٦] وتشير إحدى الحجج إلى أن سليم الخوري وكّل علي الزيدان، من الطيرة، شراء

---

(٢١٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٢٠، ن ٦٦٣، ١٥ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ١٢ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(٢١٧) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٦٤، ٦٥، ٨٣، ٨٤.

(٢١٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢١٤، ن ٦٦، ٢٩ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(٢١٩) سجل أراضي رقم ١١، قضاسك حيفا، حاصلات دفتر يدر، ص ٥٨، ٥٩.

(٢٢٠) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٦٧.

(٢٢١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٤، ن ١١٢، ٢٧ شوال ١٣٠٨هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(٢٢٢) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٦٧.

(٢٢٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٣، ن ١٣٨، ١٠ رمضان ١٢٨٨هـ/ ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١م.

(٢٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٢٨، من دون نمرة، ٢٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٢٢٥) سجل أراضي رقم ١١، حيفا قضاسك، دفتر حاصلات يدر، ص ٨٠، ٨١.

(٢٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٩، ن ١٤٩، ٢٥ رجب ١٣١١هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

الأراضي في الطيرة، فاشترى له قطعة الأرض السليخ بمبلغ ١٥٠٠ قرش.[٢٢٧]

أمّا ميخائيل بن الياس جرجورة حبايب وإسكندر بن الياس كساب ورجا بن سليم الريس فاشتروا مساحات واسعة من الأراضي في اللواء وخارجه؛ إذ اشتروا أراضي في كفر قرع قضاء حيفا. فمثلاً، كان لميخائيل بن جرجورة أراضٍ في كفر قرع باع بعضاً منها لسكان القرية نفسها. وتشير إحدى الحجج إلى أن ميّخائيل ابن الياس جرجورة باع قطعة الأرض التي يمتلكها في كفر قرع إلى عيد الأحمد، من سكان القرية، بمبلغ ١٨٠ ليرة عثمانية،[٢٢٨] كما باع قطعة أرض أُخرى إلى أولاد أحمد العيسى من القرية نفسها.[٢٢٩]

وعلى الرغم من بيع هذه الأراضي فإن ميخائيل جرجورة وابنه أديب استمرا في شراء الأراضي في كفر قرع. فتذكر إحدى الحجج أن أديب بن ميخائيل بن الياس جرجورة اشترى الثلث في خمسة عشر مارساً من علي بن محمود الكلبي.[٢٣٠] كما تشير حجة أُخرى إلى أن سليم بن رجا الريس كان له أراضٍ في كفر قرع.[٢٣١]

أمّا إسكندر بن كساب فقد اهتم بشراء الأراضي في حيفا والمناطق المجاورة لها. فنجد، مثلاً، أنه اشترى من ورثة أسعد البشير ما يخصهم في كامل البساتين الواقعة في الجهة الشرقية من حيفا،[٢٣٢] كما اشترى، شراكة مع أمين عبد النور، نصف الحاكورة العائدة لمحمد طه النابلسي الملاك من حيفا.[٢٣٣]

---

(٢٢٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٤، ن ٢٩٥، ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٧هـ/ ٢٨ أيار (مايو) ١٨٨٠م؛ وانظر أيضاً:
Granott, *op.cit.*, p. 83.

(٢٢٨) س ح، ش ٢٦١، س ٩، ص ١٩، ن ٤٨٨، ٢٤ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٢٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٨، ن ٤٨٧، ٢٤ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٢٣٠) س ح، ش ١، س ١، ص ٩٧، ن ١٥٤، ٨ محرم ١٣٣٥هـ/ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٢٣١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٦، ن ٦١٠، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٢٣٢) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٦٤، ن ١٢٩، ٢ رمضان ١٣٢٨هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٠م.

(٢٣٣) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٦١، ن ٢٢٠، ٢٩ محرم ١٣٢٤هـ/ ٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٦م.

وكان إسكندر كساب يشترى الأرض ثم لا يلبث أن يبيعها إذا حصل على سعر مرتفع، وهو ما يدل على أن هدفه الأساسي لم يكن الاستثمار في الزراعة، وإنما التجارة بالأرض. ويشير السجل الشرعي، مثلاً، إلى أن المرأة نعمت بنت خليل اشترت قطعة الأرض الواقعة في جوار البرج شرقي حيفا من إسكندر كساب من تجار حيفا.(٢٣٤)

وقد امتد نشاط التجار الثلاثة إلى قضاءي جنين والسلط، فأشارت السجلات إلى أن لرجا بن سليم الريس أراضي في قرى قوص وسطة وسولم في قضاء جنين.(٢٣٥)

كما اشتروا الأراضي في قضاء السلط. فمثلاً، كان لميخائيل بن الياس جرجورة حبايب النصف من مجموع أراضي منطقة الشقاق الواقعة في أراضي عشيرة عباد في قضاء السلط.(٢٣٦) وفي حجة أخرى أن أديب بن ميخائيل جرجورة من حيفا كان له سبعة قراريط من مجموع أراضي المفصل القبلي من أراضي دامية، وستة قراريط في أراضي دامية المعروفة بقطعة دير دشمان، شراكة مع إسكندر كساب ورجا بك الريس.(٢٣٧)

وقد احتوت سجلات المحكمة الشرعية في السلط على أمثلة كثيرة لعمليات شراء قام بها التجار الثلاثة في قضاء السلط. فمثلاً، تشير إحدى الحجج إلى أن عبد الله بن نمر العبد المهدي من عرب الرواضنة المخيمين بقناة دامية باع ما في تصرفه ثلاثة قراريط في أرض قناة دامية لإسكندر كساب ورجا بك الريس بمبلغ ٨٤٠٠ قرش مناصفة بينهما.(٢٣٨)

---

(٢٣٤) س ح، ش ١، س ١، ص ٩٧، ن ١٥٤، ٨ محرم ١٣٣٥هـ/ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٢٣٥) س ح، ش ١، س ١، ص ٥٨، ن ٦١٠، ٢٣ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(٢٣٦) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣١١، ٢١ رجب ١٣٢٩هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١١م.

(٢٣٧) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣١٠، ٢١ رجب ١٣٢٩هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١١م؛
س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٥، ن ٦٠٧، ١ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٢٣٨) سجلات محكمة السلط الشرعية، سجل الإعلامات الشرعية، ص ١٨، حجة ١٩٧، ٨ صفر ١٣٢٧هـ/ ١ آذار (مارس) ١٩٠٩م.

وفي حجة أُخرى أن علي بن صالح أبو حسين، ومسعود الطليق الختالين، وبزيغ بن مثقال، وعبد الله بن بدر، ومفلح بن شداد، وهزاع بن عبد الله، وسليمان بن صحن العايش، من عشيرة عباد ومن فرقة الختالين سكان الخيم في ضواحي السلط، باعوا ما بملكهم جميع الحصة وقدرها سبعة قراريط من مجموع أربعة وعشرين قيراطاً لإسكندر كساب ورجا بن سليم الريس وميخائيل أفندي حبايب من تجار حيفا بمبلغ قدره ١١٧٦ ليرة عثمانية.(٢٣٩)

وكان ما شجع هؤلاء التجار الملاك على شراء هذه الأراضي في المنطقة انخفاض أسعارها قياساً بالأسعار في لواء عكا التي ارتفعت نتيجة زيادة الطلب عليها من جهات متعددة، وخصوصاً أنها أراض زراعية تسقى بمياه القنوات القريبة منها. ولذلك عيّن كل من إسكندر كساب ورجا بن سليم الريس يواكيم بن وهبة ابن طنوس العثماني لينوب عنهما في الإشراف على أملاكهما في قضاءي السلط وعجلون من أعمال ولاية سوريا.(٢٤٠)

ج) الملاك من العائلات المتنفذة

استطاع بعض العائلات المتنفذة حيازة مساحات واسعة من الأراضي في اللواء وخارجه. وكان بعض هذه العائلات من اللواء كآل الماضي وآل الصلاح، والبعض الآخر من خارجه كآل عبد الهادي من جنين ونابلس.

١ ـ آل الصلاح:

برز من هذه العائلة، بصورة خاصة، عبد اللطيف الصلاح وولداه سليمان ورفعت. وقد امتلك الثلاثة أراضي في عدد من قرى قضاء حيفا. فمثلاً امتلكوا، عن طريق الشراء، أراضي في عين غزال، إذ تذكر إحدى الحجج أن عبد اللطيف الصلاح اشترى سبعة أسهم من مجموع عشرة في كامل سبع وعشرين قطعة أرض من أولاد قاسم الحماد من عين غزال.(٢٤١) وتذكر حجة أُخرى أنهم اشتروا

---

(٢٣٩) سجلات محكمة السلط الشرعية، سجل حجج الشرعية، ص ١٨٩، ن ١٤٦، ٥ ذو القعدة ١٣٢٨هـ/ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠م.

(٢٤٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٥٢، ن ٥٤٩، ٢٧ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م.

(٢٤١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤٦، ن ٢٠٢، ٨ محرم ١٣٢٨هـ/ ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٠م.

ثمانية قراريط من مجموع ثمانية عشر قيراطاً في كامل الثماني عشرة قطعة أرض من ورثة عبد الهادي إستيان في عين غزال.(٢٤٢)

كما اشترى عبد اللطيف الصلاح وولداه الأراضي في الطنطورة. فمثلاً، اشتروا من نمر بن محمود العبد الله اثنتين وعشرين قطعة أرض في مناطق متفرقة من الطنطورة.(٢٤٣) وكان لهم أراضٍ في الطيرة أيضاً، فتشير إحدى الحجج إلى أن عبد اللطيف الصلاح اشترى اثني عشر قيراطاً في كرم الزيتون المشتمل على أشجار منوعة في الطيرة من معوض عبد السلام.(٢٤٤) وتشير حجة أُخرى إلى أنه اشترى كامل كرم الزيتون الذي يحدّه شرقاً أرض رفعت الصلاح، ويملكه محمود بن أسعد.(٢٤٥)

وقد استطاع عبد اللطيف الصلاح وولداه شراء معظم أراضي قرية الجعارة. فنجد في إحدى الحجج أن حماد بن محمد الجعفي قد باع حصته في أراضي قرية جعارة لعبد اللطيف الصلاح بمبلغ ٧٦٠٠ قرش.(٢٤٦) كما أشارت حجة أُخرى إلى أن عبد اللطيف الصلاح استطاع أن يمتلك واحداً وعشرين قيراطاً من مجموع أربعة وعشرين قيراطاً في كامل أراضي قرية جعارة.(٢٤٧)

ووفقاً لدفاتر الأراضي العثمانية، امتلك عبد اللطيف الصلاح ٧٠٠ دونم في قرية الصرفند،(٢٤٨) كما كان له أراضٍ في قرية جبع، فتشير إحدى الحجج إلى

(٢٤٢) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٩، ن ٦٥، ١٠ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٣ تموز (يوليو) ١٩٠٥م؛
س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٢، من دون نمرة، ١٨ رجب ١٣٢٨هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٩١٠م.

(٢٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٢١، ن ١٨٢، ٢٠ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(٢٤٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٥، ن ١٢٥، ١٦ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(٢٤٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٦، ن ١٩١، ٤ صفر ١٣٢٣هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٥م.

(٢٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٧، ن ٢٠٣، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٢٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٨، ن ٣٤٠، ١٧ صفر ١٣٠٧هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م.

(٢٤٨) سجل أراضي رقم ١١، حيفا قضاسك، حاصلات دفتر يدر، ص ١٧٣ ـ ١٧٥؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٨، ن ٣٤٠، ١٧ صفر ١٣٠٧هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م.

أنه اشترى الثلث في كامل قطع الأرض العائدة لمحمود بن حامد الحسين من جبع.(٢٤٩)

٢ ـ آل الماضي:

استطاعت عائلة الماضي السيطرة على أراضٍ واسعة في إجزم، موطن العائلة. فمثلاً، كان لعبد الله بن محمد الماضي أراضٍ واسعة فيها. وورد في إحدى الحجج أنه اشترى كامل قطعتي الأرض من صالح بن محمد صالح من إجزم البالغة مساحتهما ستة وثلاثين دونماً.(٢٥٠) كما كان له أراضٍ في قرية جبع، إذ اشترى من ساري بن محمد الملحم ما يملكه في جميع الست قطع أرض الواقعة في جبع.(٢٥١)

وفي الوقت نفسه، باع أفراد من عائلة الماضي أملاكهم في إجزم لملاك من حيفا. فتذكر إحدى الحجج أن مسعود الماضي، الوكيل المطلق عن كل من صادق وسليم وآمنة ومنصور ورثة سليمان الماضي، باع كامل كرمي الزيتون في إجزم لحيدر آغا قرداحي من عكا بمبلغ ١٠,٤٠٠ قرش.(٢٥٢)

كما امتد نشاط هذه العائلة إلى قرى في خارج اللواء. فمثلاً، تشير إحدى الحجج إلى أن عيسى بن خضر بن موسى الماضي من إجزم وأشقاءه، مسعود ومحمد وسليم ونجيب، يحوزون بالتساوي بينهم إحدى عشرة قطعة أرض: تسعاً منها في قرية عنبتا وقطعة واحدة في كل من ذنابة والطيبة من أعمال لواء نابلس.(٢٥٣)

٣ ـ آل عبد الهادي:

امتلكت هذه العائلة أراضي واسعة في قريتي كفر قرع ووادي عارة القريبة منها.(٢٥٤) فمثلاً، اشترى عبد الهادي بن قاسم عبد الهادي من فريدة بنت أحمد

(٢٤٩) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٢٨، ن ٣٧، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ١٨ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(٢٥٠) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٧٩، ن ٣٣، ٢٨ صفر ١٣٢٨هـ/ ١١ آذار (مارس) ١٩١٠م.

(٢٥١) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٦، ن ٢٦، ١١ شوال ١٣٢٥هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٢٥٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠، من دون نمرة، ٤ صفر ١٣٢١هـ/ ٢ أيار (مايو) ١٩٠٣م.

(٢٥٣) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٦، ن ٢٦، ١٦ شوال ١٣٢٥هـ/ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٢٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٩، من دون نمرة، ٢٨ شوال ١٣٢٧هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م؛ زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠، ٤١، ٤٩.

أبي الهيع، من كفر قرع، حصتها في جميع أراضي وادي عارة المعروفة بأراضي الزيادنة والعائدة لأهالي كفر قرع.[٢٥٥] وفي حجة أخرى أنه اشترى من محمد بن سلامة بن عبد الله، من كفر قرع، ربع حصة من مجموع اثنتي عشرة حصة في أراضي وادي عارة.[٢٥٦]

كما اشترى محمد ابن الحاج عبد الهادي، من جنين، من عبد الرحمن بن عيسى أبو عثمان، من كفر قرع، الثلث من مجموع اثنتي عشرة حصة في أراضي وادي عارة.[٢٥٧] بينما اشترى عفيف ابن الحاج عبد الهادي بن قاسم عبد الهادي، من نابلس، حصتين وربع حصة من مجموع اثنتي عشرة حصة في أراضي وادي عارة من فرج ابن الحاج يوسف بن علي الهيع.[٢٥٨] وفي حجة أخرى أن عباد بن قاسم بن محمد عبد الهادي اشترى حصتين من مجموع اثنتي عشرة حصة في قطعة الأرض الواقعة في وادي عارة من ورثة أحمد ابن الحاج يوسف الربيع من كفر قرع.[٢٥٩]

وقد قدر غرانوت (Granott) أراضي هذه العائلة في جنين والناصرة بـ ٦٠,٠٠٠ دونم تقريباً،[٢٦٠] بينما أشار شولش إلى أنهم يمتلكون ٢٠٠,٠٠٠ دونم.[٢٦١]

د) الملاك من كبار موظفي الدولة

بالإضافة إلى التجار والعائلات المتنفذة، ظهرت مجموعة محدودة من كبار موظفي الدولة استطاعت امتلاك الأراضي في بعض المناطق، برز منها صادق باشا

(٢٥٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤، ن ٤٧٩، ٢٣ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٢٥٦) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٩، ن ١٤، ٢٨ شوال ١٣٢٧هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(٢٥٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٩، ن ١٥٧، ٢ صفر ١٣٣٥هـ/ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٢٥٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٩، ن ١٤، ٢٨ شوال ١٣٢٧هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(٢٥٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤، ن ٤٧٨، ٢٣ شوال ١٣٣١هـ/ ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٢٦٠) Granott, *op.cit.*, p. 81.

(٢٦١) ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»، ص ١٣٦.

الذي استطاع السيطرة على مساحات واسعة في قيسارية. فتشير إحدى الحجج الشرعية إلى أنه يمتلك جميع الأراضي والأملاك في الزرغانية ومزرعة النطالة ومزرعة الشومرية وكل أراضي أم الدفوف ودالية الروحاء.[٢٦٢]

لكن المصادر المتعددة لم تحدد كيفية حصول صادق باشا على هذه الأراضي. ويبدو أنها أراضي الجفتلك السلطاني استولى عليها صادق باشا بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. فكل الإشارات في الحجج الشرعية إلى ملكية صادق باشا لهذه الأراضي جاءت بعد تلك السنة،[٢٦٣] وخصوصاً أن أراضي الجفتلك السلطاني في زور الزرقاء تقع بالقرب من أراضي صادق باشا.[٢٦٤]

وربما حصل صادق باشا على هذه الأراضي عن طريق الديون التي كان يقدمها إلى المزارعين في هذه المناطق. فاستولى على أراضيهم بعد عجزهم عن سداد ديونهم. إذ أشار دفتر قروض البنك الزراعي في حيفا إلى أن عدداً من مزارعي الزرغانية اقترض من البنك الزراعي بكفالة صادق باشا.[٢٦٥]

وقد توزعت هذه الأراضي بالميراث بين أولاده العشرة وزوجته فاطمة بنت جعفر آغا، الذين قاموا بدورهم ببيعها لجول روزنك المهندس الزراعي اليهودي الفرنسي.[٢٦٦] أمّا جمال بن صادق باشا فقد باع حصته ليوسف بن عيسى بن منصور من تجار حيفا.[٢٦٧]

كما أشارت السجلات إلى أن صادق باشا يمتلك أراضي في دير الزهراني

(٢٦٢) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٢٢، ن ٦، ١٣ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

(٢٦٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٢، ن ٧٨٧، ١٤ رمضان ١٣٣١هـ/ ١٧ آب (أغسطس) ١٩١٣م؛

س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٣، ن ٧٤٠، ١١ رجب ١٣٣٢هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٩١٤م.

(٢٦٤) س ح، ش ٤٣٦، س ٨٦، من دون صفحة، من دون نمرة، ١٧ ربيع الأول ١٣١١هـ/ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٣م.

(٢٦٥) دفتر زراعة بانقة حيفا، سجل رقم ٣، ص ٤٢ ـ ٤٤.

(٢٦٦) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، من دون نمرة، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ/ ١٩ أيار (مايو) ١٩١١م.

(٢٦٧) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٣٧، ن ٢١٥، ٢١ محرم ١٣٢٩هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١١م.

في ناحية الشقيف قضاء صيدا، لكنه باع هذه الأملاك والأراضي بمبلغ ١٧٥,٥٠٠ قرش.[٢٦٨]

أمّا شاكر باشا، والي ولاية أضنة، الذي انتقل إلى حيفا وأقام بها فكان يمتلك ثلث أراضي النفيعات في ناحية قيسارية، ويشترك مع سليم الخوري في الثلثين الباقيين.[٢٦٩]

كما أشارت السجلات إلى أن أحمد عزمي، مدير ناحية قيسارية، اشترى الأراضي في قيسارية من سكانها البوسنيين والشركس، فاشترى ٦٠ دونماً من عائشة بنت سليمان من قرية الغابة.[٢٧٠] وفي حجة أخرى أنه اشترى من زينب بنت أحمد طريطخ، من قيسارية، كامل حصتها في أربع قطع تبلغ مساحتها ١١٠ دونمات.[٢٧١]

ولم تقتصر فئة كبار الملاك على التجار وكبار موظفي الدولة فقط، بل ظهرت أيضاً فئة من الملاك من سكان بعض القرى الذين امتلكوا الأراضي في قرى متعددة. فمثلاً، امتلك الحاج عمر الأيوب، من الطنطورة، أراضي في الطنطورة والفريديس والمراح وعين غزال،[٢٧٢] كما امتلك عيسى بن خليل الزبن، من الطيرة، أراضي في الطيرة نفسها وفي قرية بريكة.[٢٧٣]

هـ) الملاك الأجانب

في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، أصدرت الدولة العثمانية قانوناً سمحت بموجبه للأجانب بتملك الأراضي. فكان اليهود والألمان من أكثر الجوالي الأوروبية التي اهتمت بشراء الأراضي.

(٢٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣٣٢هـ/١١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤م.

(٢٦٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٤، ن ١١٢، ٢٧ شوال ١٣٠٨هـ/٥ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(٢٧٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٢١، ن ٦٦٤، ٤ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٢٧١) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٦٦٥، ٤ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٢٧٢) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٦٥، ١٦٦، من دون تاريخ.

(٢٧٣) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٩٥، ١٩٨، من دون تاريخ.

١ ـ الألمان:

تقسم الأراضي التي امتلكها الألمان في اللواء إلى فئتين: أراضي الملكية الجماعية، التي اشتراها المستوطنون الألمان وأقاموا عليها مستعمراتهم، كالأراضي التي تم شراؤها في حيفا والسمنية وبيت لحم وأم العمد والطابغة؛ أراضي الملكية الخاصة (الملك الفردي) التي اشتراها المستوطنون بجهودهم الخاصة لأغراض التجارة، وللعمل في الزراعة.[٢٧٤] فكانت الكولونية الألمانية في حيفا تمتلك ١٨٠٠ دونم لزراعة الحبوب و٥٦٠ دونماً لزراعة الزيتون و٦٨ دونماً لزراعة العنب، وذلك سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م.[٢٧٥]

وقد ازدادت مساحة هذه الأراضي، سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، إلى ٢٤٠٠ دونم معدة للفلاحة، و٤٠٠ دونم معدة لزراعة العنب.[٢٧٦] ثم ازدادت سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م لتصل إلى ٢٨٠٠ دونم معدة للزراعة الحقلية، إضافة إلى أراضٍ أُخرى لزراعة الأشجار والرعي.[٢٧٧]

أمّا مستعمرة الطابغة التي أقامتها الجمعية الألمانية لفلسطين فكانت تمتلك، سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، ٢٤٠ دونماً بالقرب من نبع الطابغة، ثم توسعت بعد شراء الأراضي في خان منية وبالقرب من عين التينة، وأصبحت مساحتها ٣٥٠ دونماً في أوائل القرن العشرين، ثم ازدادت إلى ٢٢٥٠ دونماً عند بداية الحرب العالمية الأولى.[٢٧٨]

حاول بعض الألمان الشراء بصورة فردية في المنطقة، فأشارت دفاتر الأراضي إلى أن ولهلم ليوبولد الألماني يمتلك ثلاثة دونمات وست خانات وأخوراً في الطابغة.[٢٧٩]

واشترى الألمان الأراضي بصورة فردية، وخصوصاً في الطيرة بالقرب من الكولونية في حيفا. فمثلاً، اشترى فريدريس أنكر، من الكولونية الألمانية في حيفا، من أحمد بن خليل غنام ما يملكه من أشجار التين والخروب بمبلغ ٤١

(٢٧٤) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٥٠ ـ ٥٤.

(٢٧٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, pp. 283, 305-307; U.S.A.C.R. Beirut, T. 367. Roll 5, p. 346.

(٢٧٦) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 305-307; Henry B. Ridgaway, *The Lords Land*, p. 598.

(٢٧٧) Oliphant, *Haifa*, p. 20.

(٢٧٨) Karl Baedeker, *Palestine*, p. 252; L. Valentine, *Palestine*, p. 157.

(٢٧٩) دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٨٩، ٩٠.

ليرة فرنسية (٤٣٠٥ قروش).[٢٨٠] ثم اشترى من أولاد عبد الرحمن سلوم ما بملكهم، ومقداره ثلاثة قراريط في تسع قطع أرض في الطيرة، بمبلغ ٣٠٠٠ قرش،[٢٨١] كما اشترى قطعة الأرض البالغة مساحتها أحد عشر دونماً في الطيرة.[٢٨٢] في حين اشترى فريدريس أونرا كامل كرم الزيتون في الطيرة بمبلغ ٩٥ ليرة فرنسية (٩٩٧٥ قرشاً).[٢٨٣] واشترى صموئيل بن هرمن أربعاً وعشرين شجرة زيتون في الطيرة بمبلغ ٢٠٠٠ قرش.[٢٨٤]

وقد وسّع الألمان نشاطهم ليشمل شراء الأراضي في قرى أُخرى. فمثلاً، اشترى لاخمن الألماني خمساً وأربعين قطعة أرض من فؤاد السعد في قرية المراح.[٢٨٥] وأشارت إحدى الحجج إلى أن لكريستيان فريلغ ابن يوهن أراضي في جبع،[٢٨٦] ولرودلف بن يوسف لندلي المسيحي الكاثوليكي قطعة أرض مشجرة في قرية المجدل في قضاء طبرية وقفها على رهبان اللاتين الفرنسيسكان في دير تراسنطة في القدس.[٢٨٧] كما كان لكل من يعقوب كودليت وفردريك كالدربنخت أراض في قرية جبع،[٢٨٨] ولإستيرة أيمة بنت يوحنا فرانكر قطعتا أرض في الميروان شرقي حيفا.[٢٨٩] وقد اشترى المستوطنون الألمان الأراضي

(٢٨٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٣٨، ن ١٨٦، ١٤ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ٩ شباط (فبراير) ١٩٠٦م.

(٢٨١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤١، ن ١٩٠، ١٧ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٦م.

(٢٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١١٩، ن ١١٩، ١١ شوال ١٣٢٣هـ/ ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٥م.

(٢٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٤٣، ٣٤٤، ن ١١٤، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(٢٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٤، من دون صفحة، ن ٦٩، ١٩ رجب ١٣٢٠هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٢م.

(٢٨٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٠، من دون نمرة، ١٩ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٤م.

(٢٨٦) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٢٩، ن ٢٠٥، ٢٤ محرم ١٣٢٩هـ/ ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١١م.

(٢٨٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨، ن ٢٨، ١٩ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ٢٤ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(٢٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٧، ٢٨، ن ١٨١، ٢١ محرم ١٣٢١هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٩٠٣م.

(٢٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٤، ن ٥٨٥، ٩ صفر ١٣٣٢هـ/ ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م. باعت استيرة بنت يوحنا هاتين القطعتين لأرتو روبين بمبلغ ٢٧٥,٠٠٠ قرش الأمر الذي يوضح اتساع مساحتهما.

في مناطق أُخرى خارج اللواء. فمثلاً، كانت بياني بنت كريستوف هوفمان[٢٩٠] تمتلك أراضي وأملاكاً في القدس وبيت لحم وعكا.[٢٩١] كما كان لكودليب وهولدة، ابنتي ماتيوس فرانك المقيمتين بحيفا، أراضٍ وكروم في يافا وخارجها.[٢٩٢]

وأشار محمد كرد علي، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، إلى أن الألمان يمتلكون ١٥٠٠ دونم في حيفا و١٣٠٠ دونم في الطيرة.[٢٩٣]

وقد أثار توسع الألمان في شراء الأراضي قلق الدولة العثمانية من ازدياد نفوذهم في فلسطين، ولذلك رفضت الحكومة العثمانية الموافقة على تسجيل الأراضي التي اشترتها جمعية استعمار فلسطين الألمانية في قرية بيت لحم في قضاء الناصرة، إلاّ إنها عادت فوافقت على عملية البيع - وأُقيمت مستعمرة ألمانية في القرية -[٢٩٤] لأن الحكومة العثمانية خشيت أن يؤثر الامتناع من تسجيل الأرض في علاقتها الحسنة بألمانيا.[٢٩٥]

٢ - البهائيون (الفرس):

اهتم البهائيون المقيمون باللواء بشراء الأراضي في أنحاء متعددة فيه، وخصوصاً في حيفا. فمثلاً، باع يحيى بن مرزي بن محمد الإيراني قطعة الأرض التي في حيازته في موقع الحليصة في حيفا لنور الله بن محمد صادق الأصفهاني الإيراني.[٢٩٦] وفي حجة أُخرى أن هادي بن محمد بن محمد الإيراني اشترى كامل قطعة الأرض الواقعة في الجهة الغربية من حيفا من عطا حلاسو الأخرس

(٢٩٠) أرملة كريستوف هوفمان أول رئيس لجمعية الهيكل الألمانية، وأول رئيس للكولونية الألمانية في حيفا. أنظر: علي محافظة، «العلاقات»، ص ١٠١ - ١١٧.

(٢٩١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤٣، ٤٤، ن ٥٣٤، ٥ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م.

(٢٩٢) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٥١، ٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ١٣ تموز (يوليو) ١٩١٣م.

(٢٩٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٠٧٣، ١٢ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(٢٩٤) المصدر نفسه.

(٢٩٥) Oliphant, *Haifa*, p. 21.

(٢٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٨، ن ١٢، ٢٢ شوال ١٣٢٧هـ/ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

بمبلغ ١٦,٠٠٠ قرش.[٢٩٧] كما حرص البهائيون المقيمون خارج اللواء على شراء الأراضي في حيفا. فأشارت إحدى الحجج إلى أن حسين ميرزا بن حسن السيد إسماعيل الخراساني المقيم بالإسكندرية له قطعة الأرض البالغة مساحتها تسعة عشر دونماً في الجهة الغربية من حيفا.[٢٩٨]

كما اشترى البهائيون الأراضي في الطيرة. فمثلاً، اشترى ميرزا حسين، أحد تجار حيفا، قطعة الأرض في الطيرة من عبد العزيز بن أحمد بن قاسم الأبطح.[٢٩٩]

وقد مد البهائيون نشاطهم إلى قضاء طبرية، فاشتروا الأراضي بالقرب من تل الحصن على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبرية وأقاموا مستعمرة بهائية عليها.[٣٠٠] وأشارت صحيفة «الكرمل» إلى وجود مزرعتين للبهائيين الفرس في قضاء طبرية.[٣٠١] وكان لعلي رضا أمين، من الطائفة البهائية في عكا، نصف أراضي قرية أم جوني في قضاء طبرية.[٣٠٢]

٣ ـ اليهود:

استطاع اليهود شراء مساحات واسعة من الأراضي في اللواء تنفيذاً لمخططهم الاستيطاني في فلسطين. وقد استغلوا كل وسيلة ممكنة لشراء الأراضي، وساعدهم في ذلك الأموال التي قدمتها إليهم الجمعيات اليهودية في أوروبا، والمساعدات التي قدمها إليهم أثرياء اليهود في أوروبا كالبارون روتشيلد والبارون هيرش.[٣٠٣]

وقد أثارت قدرة اليهود المالية على شراء الأراضي تساؤل الصحف المحلية في تلك الفترة. فمثلاً، ذكرت صحيفة «المقتبس»: «اتصل بنا أن متصرف عكا

(٢٩٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٢٦، ن ١٦٨، ١٥ ذو القعدة ١٣٢٣هـ/ ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦م.

(٢٩٨) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٢٥٠، ١٩ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٩١١م.

(٢٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٢٢، ن ٩٣، ٥ محرم ١٣٣٦هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧م.

(٣٠٠) H. W. Dunning, *To-day in Palestine*, p. 139.

(٣٠١) صحيفة «الكرمل»، العدد ٨٥٦، ٨ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/ ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢م، ص ٢؛ جون أسلمنت، «منتخبات من كتاب بهاء الله»، ص ٧١.

(٣٠٢) أريه أفنيري، «دعوى نزع الملكية»، ص ٩٣.

(٣٠٣) Oliphant, *Haifa*, p. 209.

الجديد يرسل البرقيات تباعاً إلى حكومة طبرية ويطلب مضابط تلغرافية بعثمانية نسيم بوم بن إسرائيل وقدرته المالية لأنه يطلب إجراء فراغ قريتي تل الشمام وجيدا باسمه، فنسيم بوم على ما نعلم صهيوني ومزارع عند إحدى الجمعيات الصهيونية في بيت جن واسمه مستعار كما أن عثمانيته مستعارة لأنه روسي ومن العجب كيف يستطيع الذي لا يملك لنفسه أرض فدانين أن يشتري قرى ودساكر.»[٣٠٤]

دفع اليهود أسعاراً مرتفعة للأراضي، أعلى من أسعارها الحقيقية، لتشجيع المزارعين على بيعها؛ الأمر الذي تنبه له عدد من رجال الإدارة العثمانية. فمثلاً، يقول شكري العسلي قائمقام الناصرة سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م: «وتراهم لا يفترون طرفة عين يتجسسون أخبار من تأخرت حالتهم المالية من أهل هذه الديار ويطمّعون البائع بالثمن الفاحش.»[٣٠٥]

كما أكثر اليهود من استخدام الديون وسيلة لتملك الأراضي، فكانوا يقرضون المزارعين الأموال وفي مقابل ذلك يأخذون منهم التوكيلات التي تعطيهم الحق في بيع الأراضي في حالة عدم قدرة المزارعين على سداد ديونهم. فمثلاً، تمكن الحاخام إبراهيم كوهين اليهودي الجزائري، الفرنسي الجنسية، وجول روزنك اليهودي، الفرنسي الجنسية، من تملك مساحات واسعة من الأراضي في اللواء عن طريق القروض والديون.[٣٠٦]

واستغل اليهود تبعيتهم لعدد من الدول الأوروبية للاستفادة من الامتيازات الممنوحة لرعايا هذه الدول، فاشتروا الأراضي على أساس أنهم فرنسيون وإنكليز، إضافة إلى استغلال قناصل الدول الأجنبية في شراء الأراضي. وبرز بيترو أبيلا، القنصل الإنكليزي في حيفا، بصورة واضحة في هذا المجال.[٣٠٧] كما اشترى اليهود الأراضي على أساس تبعيتهم العثمانية.[٣٠٨] وبهذه الوسائل تمكنوا من

(٣٠٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٤٥، ١٥ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ٢، ٣.

(٣٠٥) محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٤، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٣٠٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١١١، ن ٥٨، ٣ جمادى الأولى ١٢٨٩هـ/ ٩ تموز (يوليو) ١٨٧٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٢، ن ٦٠٥، ٢١ صفر ١٣٣١هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م.

(٣٠٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ٧٠٩، ٢٤ جمادى الثانية ١٣٢٩هـ/ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١١م، ص ١.

(٣٠٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١١١، ن ٥٨، ٣ جمادى الأولى ١٢٨٩هـ/ ٩ تموز (يوليو) ١٨٧٢م.

تجاوز القانون العثماني الذي يمنع اليهود من شراء الأراضي وتملكها في فلسطين.

كان إبراهيم كوهين من أوائل اليهود الذين أشارت السجلات إلى أنهم قاموا بشراء الأراضي في اللواء منذ أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر. وتركزت عمليات الشراء التي قام بها في قرية الطيرة، فكان يشتري الأراضي أو أشجار الزيتون من دون الأرض. فتذكر إحدى الحجج أن الحاخام إبراهيم كوهين اليهودي الجزائري الفرنسي المقيم بحيفا اشترى نصف كرم الزيتون الواقع في الطيرة المحتوي على اثنين وسبعين عرق زيتون من محمد آغا النجمي.(٣٠٩) وفي حجة أُخرى أنه اشترى من بشارة عازر من حيفا كامل حصته في قطعة الأرض الواقعة شرقي حيفا بمبلغ ١٠,٣٢٨ قرشاً.(٣١٠)

واستغل إبراهيم كوهين جنسيات الدول التي ينتمي إليها فاشترى الأراضي على أساس تبعيته لها. فتذكر إحدى الحجج أن الحاخام إبراهيم كوهين الإنكليزي التبعية اشترى سبعة قراريط في كامل خمسة وعشرين عرق زيتون في الطيرة.(٣١١) وتذكر حجة ثانية أن إبراهيم كوهين من تبعية الدولة العثمانية اشترى ستة قراريط في كامل كرم الزيتون في الطيرة من عبد القادر ابن الحاج محمد بن ملحم.(٣١٢)

وأشارت الحجة الثالثة التي تلت مباشرة أن إبراهيم كوهين اليهودي الملة ومن تبعية فرنسا اشترى خمسة قراريط في الحاكورة الواقعة في الطيرة من صالحة بنت عويس بمبلغ خمسة وخمسين قرشاً.(٣١٣)

استخدم إبراهيم كوهين في القضية الأولى صفته كحاخام ومن تبعية دولة إنكلترا، وفي الحجتين الثانية والثالثة استخدم تبعيته العثمانية وتبعيته الفرنسية لكن من دون لقب الحاخام. وقد أراد إبراهيم كوهين الاستفادة من الامتيازات التي

(٣٠٩) أشارت سجلات المحكمة الشرعية إلى ١٤ عملية شراء قام بها إبراهيم كوهين في الطيرة. أنظر، مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٦، ٤٧، ن ٢٠، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٨٣م.

(٣١٠) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٧١، ن ٤٠، ٢٨ شعبان ١٣٢١هـ/ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٣م.

(٣١١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٦، ن ٤٣، ١٢ صفر ١٣٠٢هـ/ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٤م.

(٣١٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٩، ن ١٧٠، جمادى الثانية ١٢٩٠هـ/ آب (أغسطس) ١٨٧٣م.

(٣١٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٩، ن ١٧١، جمادى الثانية ١٢٩٠هـ/آب (أغسطس) ١٨٧٣م.

يمنحها له انتسابه إلى الدول الثلاث.

وقد تابع دانيان بن إبراهيم مهمة أبيه في شراء الأراضي. فمثلاً، اشترى ستة قراريط من الحاكورة الواقعة شرقي حيفا من محمد ابن الشيخ الخطيب من حيفا.(٣١٤) وفي حجة أُخرى اشترى من أحمد أبو النصر ابن آغا الأحمد ستة قراريط من الحاكورة الواقعة شرقي حيفا.(٣١٥)

ارتبطت عمليات شراء الأراضي التي قام بها اليهود بمحاولتهم لإقامة المستعمرات عليها، لذا تركزت عمليات الشراء في مناطق محددة من اللواء. فوفقاً لسجلات الأراضي العثمانية، كان عدد من اليهود الفرنسيين يمتلك مساحات من الأراضي في قضاء صفد. فمثلاً، كان لسيمون جوردا الفرنسي التبعية أراضٍ في عدد من قرى صفد على النحو التالي:(٣١٦)

الجدول رقم ٦ ـ ٥

القرية	مساحة الأراضي
الظاهرية الفوقا	٦٦٩٤ دونماً
بيريا	١٩١٤ دونماً
فرعم	١٧٦ دونماً
المغار	١٦٠ دونماً
الجاعونة	١٢٣ دونماً
قباعة	٦٠ دونماً
عرب الأكراد	٦ دونمات.
المجموع	٩١٣٣ دونماً

كما كان لإلياهو شايد الفرنسي ١٤٢٧ دونماً في قرية عين الزيتون في قضاء صفد،(٣١٧) ولهنري ألفونسو اليهودي الفرنسي ٢١١ دونماً في قرى عرّابة ودير

(٣١٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٨، من دون نمرة، ٢٢ شوال ١٢٩٠هـ/ ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٣١٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٩، ن ١٦، ٣٠ شوال ١٢٩٠هـ/ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٣١٦) دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر، ص ٥٣ ـ ٨٦.

(٣١٧) المصدر نفسه، ص ٨١ ـ ٨٢.

حنا والمغار،[٣١٨] بينما امتلك موسى زبلن الفرنسي التبعية ٢٥٣٥ دونماً في قرية الريحانية في قضاء صفد.[٣١٩]

كذلك اشترى اليهود العثمانيون الأراضي في المنطقة. فمثلاً، اشترى يعقوب دانيال اليهودي العثماني التبعية[٣٢٠] تسع قطع أرض من حمدان بن عليان زيادة في قرية الريحانية بمبلغ ١٠,٠٠٠ قرش.[٣٢١] وفي حجة أُخرى أنه اشترى تسع قطع أُخرى من محمود الصبح في القرية نفسها بمبلغ ١٠,٠٠٠ قرش.[٣٢٢] ووفقاً لسجلات الأراضي العثمانية، فإن يعقوب بن دانيال يمتلك اثنتي عشرة قطعة أرض مساحتها ٢٩٧٤ دونماً في الريحانية.[٣٢٣]

ومما لا شك فيه أن شراء اليهود للأراضي في هذه القرية والقرى السابقة مرتبط بجهودهم لإقامة مستعمرة روش بينا على أراضي قرية الجاعونة سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، ومستعمرة عين الزيتون على أراضي قرية عين الزيتون العربية سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.[٣٢٤]

كما اهتم اليهود بشراء الأراضي في منطقة قيسارية السهلية جنوبي حيفا. فأشارت دفاتر الأراضي العثمانية إلى أن أزك ليبل اليهودي الفرنسي يمتلك قطعة أرض في زمارين مساحتها ٩٤١ دونماً، وقطعة أُخرى في الطنطورة مساحتها ٣٠٨ دونمات اشتراهما من جول جرمين الفرنسي.[٣٢٥] وفي الوقت نفسه أشارت

(٣١٨) سجل أراضي رقم ٢٤، دفتر قضاء عكا، ص ١ ـ ٢؛ س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٠٤، ن ٧٦، ٢ محرم ١٣٢٢هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٩٠٤م.

(٣١٩) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٥٣، ٥٤، ١٢١، ١٢٢.

(٣٢٠) من سكان دمشق، وكان يحمل الجنسية الإنكليزية إضافة إلى الجنسية العثمانية. أنظر: س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٩، ن ٤٠، ٦ شوال ١٣٠٠هـ/ ١٠ آب (أغسطس) ١٨٨٣م.

(٣٢١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٥، ن ٥٨، ١ ربيع الثاني ١٣٠١هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٤م.

(٣٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٥، ن ٥٩، ١ ربيع الثاني ١٣٠١هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٤م.

(٣٢٣) سجل رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٦١، ١٢١، ١٢٢.

(٣٢٤) هنري لامنس، «اليهود ومستعمراتهم في فلسطين»، «المشرق»، السنة الثانية، المجلد ١، العدد ٢٣، ص ١٠٩١ ـ ١٠٩٣؛ Granott, *op.cit.*, pp. 259-262؛ أفنيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ ـ ٨٣.

(٣٢٥) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ٥٥، ٥٦؛ أفنيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

دفاتر الأراضي إلى أن جول جرمين، نفسه،[٣٢٦] يمتلك ٧٦٢٦ دونماً في ناحية قيسارية.[٣٢٧] وقد ارتبط شراء اليهود للأراضي في هذه المنطقة بإقامة مستعمرتي زمارين (زخرون يعقوف) سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، والخضيرة (حديرا) سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.[٣٢٨]

لم يتوقف اليهود عن شراء الأراضي في قيسارية على الرغم من المساحات الكبيرة التي كانوا يمتلكونها. ففي سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، اشتروا ٥٠٠٠ دونم جديدة من أراضي زمارين.[٣٢٩]

وفي الفترة ١٣٣١ ـ ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣م اشترى جول روزنك اليهودي الفرنسي مساحات جديدة من الأراضي في قيسارية من ورثة صادق باشا.[٣٣٠] وقد استخدم القروض وسيلة لشراء الأرض وتملكها، فكان يقرض أولاد صادق باشا الأموال بضمان أراضيهم، وفي مقابل ذلك يطلب منهم منح سابتاي بن لاوي الإسرائيلي توكيلاً ببيع الأرض وسداد الدين. وفي حالات أُخرى كان يشتري الأرض مباشرة. فمثلاً، اشترى من نزهة وكيال وكمال وفوزي وزينب وسنية حصصهم في أراضي قيسارية والنطالة والزرغانية.[٣٣١] واشترى من فاطمة بنت جعفر زوجة صادق باشا وولديها كيال وحمدي جميع أملاكهم البالغة ست قطع ومساحتها ٢٤٢٤ دونماً في قيسارية والنطالة والزرغانية.[٣٣٢]

(٣٢٦) قنصل فرنسا وهولندا في حيفا سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م. أنظر: س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٣٢، ن ٣١٣، ٥ ذو الحجة ١٣٠٦هـ/ ٢ آب (أغسطس) ١٨٨٩م؛ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٩.

(٣٢٧) سجل أراضي رقم ١٠، سجل أراضي دائمي، ص ١ ـ ٣؛ أفنيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

(٣٢٨) صحيفة «البشير»، العدد ٨٣٤، ٢٢ محرم ١٣٠٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م، ص ٣، ٤؛ Alex Bein, *The Return*, pp. 555-574; Granott, *op.cit.*, pp. 258-263.

(٣٢٩) صحيفة «البشير»، العدد ٨٣٤، ٢٢ محرم ١٣٠٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م، ص ٣، ٤.

(٣٣٠) أنظر عن هذه الأملاك، أعلاه، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(٣٣١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٣، ن ٤١٤، ٥ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٧، ن ٧٨٩، ٤ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(٣٣٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٥، ن ٥٨، ١ ربيع الثاني ١٣٠١هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٤م.

ويبدو أن اليهود استطاعوا منع بيع أراضي صادق باشا لدير الروم الأورثوذكس في القدس بدفع أسعار عالية ثمناً للأرض أقنعت الورثة ببيع الأرض لهم بدلاً من الدير، فذكرت صحيفة «المقتبس» في ١٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٣م: «إن كمال بن صادق باشا اتفق وأشقاؤه مع دير الروم الأورثوذكس في القدس على فراغ نصف أراضي قيسارية للدير، فحاول اليهود منع عملية البيع فراجعوا كمال بك وإخوته وقدموا لهم ثمناً أعلى مما اتفقوا عليه مع الدير إلاّ إنهم رفضوا بيعها لليهود فحاول اليهود منع عملية البيع إلاّ إن الحكومة جرت بفراغ الأرض للدير فحاول اليهود رشوة وكيل الدير لمنع التسجيل فرفض مما دفع اليهود للاستمرار في معارضة عملية البيع.»[٣٣٣] لكن اليهود نجحوا في منع البيع واشتروا الأرض باسم جول روزنك، وتمت عملية تسجيل الأرض باسمه في ٢٤ شعبان ١٣٣٢هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩١٤م، أي بعد خمسة أشهر من نشر صحيفة «المقتبس» الخبر.

وفي سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، اشترى اليهود أراضي قريتي أم العلق والغابة في ناحية قيسارية أيضاً.[٣٣٤]

ولم يقتصر شراء اليهود للأراضي على هذه المناطق، بل اشتروا أيضاً في قضاء طبرية. فمثلاً، كانت عائلة بيرغهايم (Bergheim) اليهودية المقيمة بالقدس تمتلك ٤٠٠٠ هكتار (٤٠,٠٠٠ دونم) في قرية أبو شوشة.[٣٣٥] وكان أطو واربورغ يمتلك ١٩٠٠ دونم من أراضي قرية المجدل في قضاء طبرية.[٣٣٦]

كما قام جول روزنك اليهودي الفرنسي بجهود حثيثة لشراء الأراضي في

(٣٣٣) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١١٩، ١٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٣م، ص ١.

(٣٣٤) صحيفة «البشير»، العدد ٢٣٦٣، ١٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ١١ شباط (فبراير) ١٩١٤م، ص ٣.

(٣٣٥) حصل ميلفل بيرغهايم على هذه الأراضي سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م لقاء ٤٦ ألف قرش كانت تمثل مجموع الضرائب المتأخرة على سكان أبو شوشة، وكانت هذه العائلة تمتلك أراضي ومصانع في يافا والقدس والرملة وتدير مصرفاً في القدس، ويتمتع أفرادها بالحماية الألمانية ومنهم سام بيرغهايم، نائب القنصل الأميركي في القدس. أنظر: شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١؛ عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٩٥١؛ لامنس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩٢ ـ ١٠٩٣.

(٣٣٦) صحيفة «المقتبس»، العدد ٨٥٤، ٢٧ ذو الحجة ١٣٢٩هـ/ ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١١م، ص ٣.

قضاء طبرية، فاشترى تسع قطع أرض في قرية سارونا من عزيز أفندي الميقاتي بمبلغ ١٠٠٠ ليرة عثمانية.[٣٣٧]

ويتضح من إحدى الحجج أن جول روزنك عمل لحساب الجمعيات الاستيطانية اليهودية، إذ تذكر الحجة أن إسحاق بن ريمون أشتركمت[٣٣٨] وكّل جول روزنك الإسرائيلي المقيم بالناصرة شراء أراض في قضاء طبرية لحسابه، سواء أكان ذلك بالمزاد العلني أم مباشرة من أصحاب الأراضي والأملاك.[٣٣٩]

واستخدم اليهود قناصل الدول الأوروبية لشراء الأراضي، وبرز بيترو أبيلا القنصل الإنكليزي في حيفا بصورة واضحة في هذا المجال كما ذكرت سابقاً. واشترى بيترو أبيلا الأراضي في منطقة الميروان التابعة لقرية الطيرة قرب حيفا. وقد استخدم الديون وسيلة لشرائها فكان يقرض الفلاحين الأموال بضمان أراضيهم، وفي الوقت نفسه يشترط عليهم توكيل شكري بن جبور القرداحي بيعها إذا لم يتمكنوا من سداد ديونهم لبيترو أبيلا. وهكذا استطاع شراء مساحات واسعة من الأراضي للجهات التي عمل من أجلها، واحتوت سجلات المحكمة الشرعية في حيفا على أمثلة كثيرة. ففي إحدى الحجج أن مهند بن حسن العباس الزيدان ومحمد بن أبي طيون من الطيرة استدانا ٥٠ ليرة فرنسية (٥٢٥٠ قرشاً) من بيترو أبيلا على سبيل القرض الشرعي، وفي مقابل ذلك وكّلا شكري بن جبور القرداحي بيع قطعة الأرض التي يمتلكانها في قرية الطيرة وسداد الدين لبيترو أبيلا.[٣٤٠] وفي حجة أُخرى أن مهند بن حسن العباس الزيدان ورضوان بن أحمد الجربوع القرداحي من الطيرة استدانا ٢٠٠ ليرة فرنسية (٢١,٠٠٠ قرش) من بيترو أبيلا، وفي مقابل ذلك وكّلا شكري بن جبور القرداحي بيع الأرض التي يملكانها وسداد الدين لبيترو أبيلا.[٣٤١]

(٣٣٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٢، ن ٦٠١، ٢١ صفر ١٣٣١هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م.

(٣٣٨) أشارت إحدى الحجج الشرعية إلى أنه وكيل أشغال زمارين. أنظر:
س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٣٠٤، ن ٧٦، ٢ محرم ١٣٢٢هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٩٠٤م.

(٣٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٩١، ن ١٥٤، ١٧ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م.

(٣٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٦، ن ٥٠٠، ٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٣٤١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٧، ن ٥٩٠، ٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

كما اشترى بيترو أبيلا كامل قطعة الأرض في الميروان ومساحتها ٩٠٠ دونم بمبلغ ٥٠٠ ليرة فرنسية (٥٢,٥٠٠ قرش).(٣٤٢)

وفي حجة أُخرى أنه اشترى من خليل وحسين ابني محمد طه النابلسي كامل قطعة الأرض في الميروان بمبلغ ١٢٠٠ ليرة فرنسية (١٢٦,٠٠٠ قرش).(٣٤٣)

ويلاحظ في هذه العمليات ارتفاع أسعار الأراضي والمبالغ المدفوعة ثمناً لها. كما أن عمليات الشراء في الميروان تمت في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، الأمر الذي يمكن أن يرتبط بجهود اليهود لشراء الأراضي في حيفا لإقامة معهد التخنيون وإقامة حي يهودي جديد في المدينة. ولتسهيل عملية البيع ومنع معارضة السلطات العثمانية استخدم اليهود بيترو أبيلا للقيام بذلك.

ومما يؤكد أن بيترو أبيلا عمل لحساب الجمعيات الاستيطانية اليهودية التي أمدّته بالأموال ما ذكرته صحيفة «المقتبس» سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م تعليقاً على تدخله في إطلاق أحد اليهود المعتقلين في حيفا قائلة: «ويقول العارفون بأن من جملة الدوافع لهذا العمل هو كون السيد أبيلا يتقاضى سمسرة البيع والشراء في حيفا لحساب الصهيونيين حتى أنك لتجد أكثر المعاملات في الحكومة هي لاسم المومأ إليه.»(٣٤٤)

وقد أشارت السجلات الشرعية إلى ما يؤكد أن هؤلاء اليهود والمتعاونين معهم كانوا يعملون لحساب المؤسسات الاستيطانية اليهودية كالصندوق القومي اليهودي والبنك الفلسطيني ـ الإنكليزي وشركة أنكلو ـ فلسطين (Anglo-Palestine Company). فأشارت إحدى الحجج إلى أن زالمان داويد بن لبيب مردخاي الإسرائيلي من تبعية دولة روسيا وكّل كلاً من ناتان بن يهودا كزربان من تبعية روسيا وحاييم يهودا من تبعية الدولة العثمانية، بصفتهما مديرين لشركة أنكلو ـ فلسطين في حيفا، وضع يديهما على قطع الأراضي الثلاث التي يمتلكها في

(٣٤٢) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٣، ن ١٣، ٥ شعبان ١٣٢٨هـ/ ١٢ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(٣٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٢٢، ١٨ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٩١٠م؛

س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٧، ن ١١٦، ١٤ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٢١ آب (أغسطس) ١٩١٠م.

(٣٤٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٧٠٩، ٢٤ جمادى الثانية ١٣٢٩هـ/ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١١م، ص ١، ٢.

حيفا، أو بيعها.(٣٤٥) وفي حجة أُخرى أن إسحاق بن ريمون أشتركمت من تبعية الدولة العلية وكّل كلاً من ناتان بن يهودا كزربان من تبعية دولة روسيا وحاييم بن يهودا من تبعية الدولة العثمانية، بصفتهما مديرين لشركة أنكلو ـ فلسطين، وضع يديهما على الأراضي التي يمتلكها في موقع المفحرة غربي حيفا، أو بيعها بيعاً وفائياً.(٣٤٦)

ونتيجة عمليات شراء الأراضي أقام اليهود عدداً من المستعمرات في اللواء، وقد تفاوتت مساحة هذه الأراضي من مستعمرة إلى أُخرى. ويوضح الجدول التالي مساحة ما يملكه بعض المستعمرات اليهودية من أراضٍ في سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م:

الجدول رقم ٦ ـ ٦

المستعمرة	مساحة الأراضي التابعة لها	عدد العائلات في المستعمرة
زخرون يعقوف	١٩,٦١٠	٨٣
روش بينا	٦٧,٧٩	٤٣
يسود همعلا	١٠,٥٢٦	٣٢
مشمار هيردين	٤٧٤٥	٢٣
حديرا	٧١٧٨	٥٥
كفار تافور	١٠,٨٣٣	٣٩
يفنيئيل	١٤,٢٩٦	٤١
سجرة	٨١٠٨	٢٨
محنايم	٦٧٧٢	٢١
عتليت	٤٨٥٨	١٢
بيت غان	٤٧٤٢	١٩
متسبيه	٢٤٦٩	١٠
كنيرت	٢١٤٩	٧

(٣٤٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٤، ن ٨، ١٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م؛

س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٥، ١٢٦، ن ٩، ١١ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

(٣٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٤، ن ٨، ١٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

نجم عن تكوّن الملكيات الكبيرة نتائج كثيرة، منها أن الأراضي الزراعية تركزت، بالتدريج، في أيدي فئة محدودة من الملاك الذين حازوا مساحات واسعة من الأراضي الزراعية. فمثلاً، استطاع ثمانية عشر ملاكاً من حيفا وعكا وشفا عمرو امتلاك ما مساحته ١٢٥,٢٢٨ دونماً من أراضي مرج التركمان الذي تبلغ مساحته ٤١٢,٧٤١ دونماً، أي أنهم استطاعوا حيازة ما نسبته ٢٧٪ من المرج.(٣٤٧) كما استطاع هؤلاء التجار، بالإضافة إلى تجار بيروت، امتلاك ما مساحته ٤٨٥,٢٢٨ دونماً من مجموع مساحة مرج ابن عامر.

ويوضح الجدول التالي أسماء عدد من الملاك ومساحة الأراضي التي يملكونها:(٣٤٨)

الجدول رقم ٦ ـ ٧

الملاك	مقر إقامته	موقع الأملاك	مساحتها بالدونمات
الأمير علي باشا	دمشق	كفر سبت وشعارة ومعذر وعولم	٣٠,٠٠٠
علي آغا الكردي	عكا	الغوير/ طبرية	١٢,٠٠٠
سعيد طبري	طبرية	المنصورة/ طبرية	١٠,٠٠٠
عبد الرحمن باشا	دمشق	البطيحة/ طبرية	١٥,٠٠٠
فؤاد السعد	حيفا	صور وعكا والناقورة	٣٠,٠٠٠
صالح محمد شبل	عكا	شفا عمرو	١٠,٠٠٠
فؤاد السعد	حيفا	شفا عمرو	٢٠,٠٠٠
أحمد سامي باشا	دمشق	المنشية	١٥,٠٠٠
ألفرد التويني	بيروت	كفر حتا	١٢,٠٠٠
ألفرد التويني	بيروت	جديرة	٤٠,٠٠٠
سرسق	بيروت	المجدل	١٠,٠٠٠
سرسق	بيروت	تل سماح وجديرة	٢٠,٠٠٠

(٣٤٧) سجل أراضي رقم ٢٦، سجل أراضي عشيرة التركمان، ص ١ ـ ٤٥.

(٣٤٨) أُخذت هذه القائمة من وثيقة كتبت باللغة الإنكليزية في الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠م وموجودة في الأرشيف الصهيوني تحت رقم Soco/٧٤٣٣؛ تمار غوجانسكي، «تطور الرأسمالية في فلسطين»، ترجمه عن العبرية حنا إبراهيم (لا مكان: دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٤٠ ـ ٤٢.

تابع الجدول رقم ٦ ـ ٧

الملاك	مقر إقامته	موقع الأملاك	مساحتها بالدونمات
يوسف سرسق	بيروت	منجر ومعلول والسمنية	٤٠,٠٠٠
جورج لطف الله سرسق	الإسكندرية	تل عدس	٢٠,٠٠٠
ميشيل سرسق	بيروت	العفولة	١٦,٠٠٠
سرسق وحنا بشارة	بيروت، جنين	سولم	٦٠٠٠
سرسق	بيروت	قباطية	١٠,٠٠٠
سرسق	بيروت	حنيفات	١٢,٠٠٠
فهمي وفؤاد السعد	الناصرة/ حيفا	دبورية/ أم الغنم	١٥,٠٠٠
إسكندر سرسق	-	الحارثية	٢٨,٠٠٠
ورثة الحفار	بيروت	الشيخ بريك وكسكس وطبعون	١٠,٠٠٠
يوسف الخوري	حيفا	ياجور	٧٠٠٠
عبد الغني بيضون	عكا	أبو شوشة	٨٠٠٠
جمال بن صادق باشا + التويني	حيفا، بيروت	أم الدفوف	١٣,٠٠٠
مصطفى باشا	حيفا	الريحانية	١٠,٠٠٠
يوسف خوري + التويني	حيفا/ بيروت	قيرة وقامون	٢٠,٠٠٠
ورثة مصطفى الخليل	حيفا	كفر لام	٧٠٠٠
صالح بك	حيفا	الصرفند	٨٠٠٠
عبد الهادي	جنين	وادي عارة	١٠,٠٠٠
حبايب	حيفا	كفر قرع	٨٠٠٠
حداد	حيفا	الوركاني	١٢,٠٠٠
المجموع	-	-	٤٨٤,٠٠٠

يبدو أن هذه القائمة وضعها أحد اليهود أو أحد العاملين معهم من الأوروبيين، فهي لم تُشِر قط إلى أملاك اليهود في اللواء ولا إلى أملاك الألمان أو البهائيين. كما أن الأرقام الواردة فيها غير دقيقة، والواقع أنها أعلى من ذلك. وربما يعود انخفاض أملاك بعض هؤلاء إلى أن بعضهم باع أملاكه لليهود، مثل ورثة صادق باشا، فلم تدخل الوثيقة هذه الأراضي ضمن القائمة. وعلى الرغم من ذلك فإن الوثيقة تعطي انطباعاً محدداً عن الملاك في اللواء ومناطق انتشار أملاكهم وتبين أماكن إقامتهم، فهم يتوزعون بين حيفا وعكا وبيروت ودمشق.

أمّا الجدول التالي فيوضح عدد الملاك ومساحة أملاكهم في قضاء عكا في نهاية العصر العثماني:[(٣٤٩)]

الجدول رقم ٦ ـ ٨

القضاء	عدد الملاك	مساحة الأملاك
حيفا	١٥	١٤١,٠٠٠
الناصرة	٨	١٢٣,٠٠٠
عكا	٥	١٥٧,٠٠٠
طبرية	٦	٧٣,٠٠٠
المجموع	٣٤	٤٩٤,٠٠٠

وهذه أرقام تقريبية أيضاً لأن عدد الملاك ومساحة أملاكهم أعلى كثيراً من ذلك. ويتضح من الجدولين السابقين أن الملاك الكبار يتركزون، في معظمهم، في قضاء حيفا وبدرجة أقل في الناصرة وعكا وطبرية، وأنه على الرغم من أن عدد الملاك في عكا هو خمسة أشخاص، فإن أملاكهم تفوق أملاك ملاك حيفا الخمسة عشر.

وقد أظهرت نتيجة تكوّن الملكيات الكبيرة أن عدداً من الملاك التجار استطاع حيازة أراضي قرى بأكملها تقريباً. فمثلاً، كان سليم الخوري يمتلك ٢١,٥ حصة من مجموع ٢٧ حصة من أراضي قرية بريكة،[(٣٥٠)] بينما امتلك عبد اللطيف الصلاح وولداه رفعت وسليمان جميع أراضي قرية الجعارة في قضاء حيفا.[(٣٥١)] وقد نجم عن بيع الدولة القسم الشمالي من أراضي سهل مرج ابن عامر أن أصبحت عشرون قرية ضمن أملاك سرسق والتويني وفرح من تجار بيروت.[(٣٥٢)]

وقد كان تأثير تكوّن الملكيات الكبيرة متفاوتاً من قرية إلى أُخرى. فنجد أن

---

(٣٤٩) Granott, *op.cit.*, p. 39.

(٣٥٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٢٠، ن ٦٦٣، ١٥ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ١٢ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(٣٥١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٧، ن ٢٠٣، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٣٥٢) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٦، ٢٨٧؛
Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 273;
صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٣٩، ١٧ صفر ١٣٢٤هـ/ ٩ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٢.

سكان الطيرة، مثلاً، فقدوا معظم أراضيهم لمصلحة كبار الملاك من حيفا الذين بلغ عددهم اثنين وثلاثين ملاكاً وفقاً لسجلات المحكمة الشرعية. فتحوّل سكان الطيرة إلى أجراء عند كبار الملاك، كما لجأ بعضهم إلى أعمال السرقة والنهب. وهذا يفسر الأوصاف التي أطلقها الرحالة الأوروبيون وغيرهم على سكان الطيرة بأنهم متعصبون وقساة ولصوص.[(٣٥٣)] وذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م، أن تعديات وقعت على أهالي قريتي الدالية وعسفيا قام بها بعض الأشقياء من قرية الطيرة الذين أخلّوا براحة السكان في القريتين، كما هوجم عبد الله تلحمي من أهالي عسفيا.[(٣٥٤)]

دفع فقدان سكان الطيرة لأراضيهم عدداً منهم إلى الهجرة إلى حيفا والإقامة بها، فقد كان في حيفا حارة خاصة بهم. وتشير إحدى الحجج إلى الدار الواقعة في حارة أهل الطيرة في وادي النسناس.[(٣٥٥)] وأشارت حجة أُخرى إلى دار عبد الله شبلاق الواقعة في الجهة الغربية من حيفا في حارة أهل الطيرة.[(٣٥٦)]

كما أن بيع أهالي الطيرة لمعظم أراضيهم دفع بعضهم إلى استصلاح الأراضي الموات وامتلاكها بحق الاستصلاح. فنجد في إحدى الحجج أن قاسم بن قاسم أبو حسان من الطيرة كان له كامل الحصة وقدرها تسعة قراريط من مجموع أربعة وعشرين قيراطاً العائدة له بالفتح والتنقيب في قطعة الأرض الواقعة في جبل الكرمل.[(٣٥٧)]

إن أسوأ النتائج التي نجمت عن شراء الأراضي وتكوّن الملكيات الكبيرة هي تلك التي نجمت عن شراء اليهود والألمان لهذه الأراضي؛ ذلك بأن الطرفين كانا يشتريانها لأغراض استيطانية. كما حاول الألمان واليهود العمل في هذه الأراضي بأنفسهم، الأمر الذي دفعهم إلى إخراج السكان العرب منها. فعندما اشترى اليهود أراضي قرية الجاعونة وأقاموا عليها مستعمرة روش بينا غادرها سكانها الدروز وانتقلوا للإقامة بحوران.[(٣٥٨)]

---

(٣٥٣) Oliphant, *Haifa*, p. 7.

(٣٥٤) صحيفة «البشير»، العدد ٦٢٦، ٢٣ شوال ١٢٩٩هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٢م، ص ٣، ٤.

(٣٥٥) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٨٢، ن ٧٦، ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ/ ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٢م.

(٣٥٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٧، ٢٨، ن ٥٠٢، ٣ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٣٥٧) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٤، ن ٥٨٩، ٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٣٥٨) صبري جريس، «تاريخ الصهيونية»، ص ١٤٠؛ أفنيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠، ٨١.

وقد عبّرت صحيفة «الكرمل» عن النتائج الخطرة لسياسة شراء الأراضي فقالت: «ظهرت نتيجة التساهل في أمر الاستعمار الصهيوني في قضاءي طبرية وصفد في أن ثمانين بالمئة من أملاك وأراضي الأول وخمسين بالمئة من أملاك الثاني دخلت في ملك المستعمرين وأسكنوا فيها يهوداً من يهود روسيا وورومانيا وبلدان أُخرى، فاضطر فريق من الأهالي إلى الهجرة وعاد قسم منهم إلى البداوة بعد أن كانوا قد تحضّروا وذل الباقون وحنوا رقابهم لنير المستعمرين.»(٣٥٩)

وتذكر صحيفة «المقتبس» أن قرية الملاحة كانت لقبيلة الدلايكة فاشتراها سرسق منهم ثم باعها لبعض أغنياء عكا (لم تحدد الصحيفة هؤلاء الملاك) الذين ما لبثوا أن باعوها لليهود، فساءت أوضاع الدلايكة وتفرقوا في البلاد يعيثون فيها فساداً لخلو ذات اليد.(٣٦٠)

لم تظهر النتائج السلبية لشراء اليهود للأراضي سريعاً، وإنما ظهرت بصورة بطيئة وبالتدريج، لأن اليهود، في بعض الأحيان، تركوا السكان العرب يعملون في الأراضي التي اشتروها في مقابل حصص معينة لكل منهما، إذ إن عدد اليهود في اللواء لم يكن كافياً لزراعة المساحات الواسعة التي أصبحت في حيازتهم، فضلاً عن أنه لم يكن لديهم الخبرة الكافية بزراعة الأرض. فمثلاً، ترك الحاخام إبراهيم كوهين العرب يعملون في الأراضي التي اشتراها في حيفا والطيرة.(٣٦١) وكان فلاحون عرب يعملون في الأراضي التي تملكها عائلة بيرغهايم اليهودية في قرية أبو شوشة في قضاء طبرية، في مقابل حصص معينة يدفعونها إلى العائلة.(٣٦٢)

كما أدى ظهور الملكيات الكبيرة إلى تغييرات في تركيبة المجتمع، فظهرت فئات اجتماعية جديدة كفئة الملاك الذين يملكون الأراضي ولا يعملون فيها. وفي الغالب، كان هؤلاء يقيمون بالمدن ويعيّنون الوكلاء للإشراف على أراضيهم وزراعتها.(٣٦٣) فمثلاً، كان شكري منصور وكيلاً لسليم الخوري على مزرعة

(٣٥٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٩٧٢، ٩ رجب ١٣٢٨هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٩١٠م، ص ٣ (نقلاً عن صحيفة «الكرمل»).

(٣٦٠) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

(٣٦١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٤٦، ٤٧، ن ٢٠، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٨٣م.

(٣٦٢) لامنس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩١ ـ ١٠٩٣؛ شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

(٣٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٧، ٢٨، ن ٦٤، ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٧هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٠م.

الشلالة بالقرب من عسفيا.(٣٦٤) كما ظهرت فئة المزارعين الأجراء الذين باعوا أراضيهم، لكنهم استمروا في العمل فيها في مقابل حصص معينة للطرفين.

ثالثاً: الزراعة

أ) المحاصيل الزراعية

تنوعت المحاصيل الزراعية في اللواء بين الحبوب كالقمح والشعير والذرة والسمسم، وبين الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والرمان والتفاح، بالإضافة إلى الخضروات بمختلف أنواعها.(٣٦٥)

١ ـ الحبوب:

كانت الحبوب، كالقمح والشعير والعدس والفول والحمص والكرسنة والجلبانة والقزحة والسمسم والذرة، تزرع في المدن والقرى على السواء؛ وهي من محاصيل الناصرة الرئيسية.(٣٦٦)

كما زرعت في قرى الجليل، إذ وصف محمد كرد علي رحلته في الجليل قائلاً: «وبتنا ليلتنا في المكر وسرنا إلى الرامة ثم مررنا بقرية مجد الكروم ودير الأسد والبعنة ونحف وياجور، وزراعة هذه البلاد هي الحنطة والشعير والكرسنة والحلبة.»(٣٦٧)

وقد تركزت زراعة الحبوب في السهول كسهلي حيفا وعكا، والقرى المنتشرة فيهما كدالية الكرمل وزمارين وعسفيا وأم الزينات وإجزم والطيرة.(٣٦٨) وانتشرت

(٣٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٢٨، من دون نمرة، ٢٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٣٦٥) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 137, 156; Baldensperger, *op.cit.*, pp. 10, 11; س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٥، ٦، ن ١٦٥، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م.

(٣٦٦) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 164; Charles Wilson, *The Land of Galilee*, pp. 142, 143.

(٣٦٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٣٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٥، ٦، ن ١٦٥، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م؛ العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦؛ M.C.F. Volney, *Travels*, Vol. 2, p. 227.

زراعة القمح والشعير والسمسم والفاصوليا والعدس والبازيلا في سهل مرج ابن عامر الذي كان ينتج ٥٠٠٠ طن من القمح سنوياً.[٣٦٩] وذكر أوليفانت «أن الحبوب كالقمح والشعير والسمسم هي المحاصيل الرئيسية التي تزرع في سهل مرج ابن عامر، وخصوصاً بعد شراء سرسق والتويني النصف الشمالي من السهل.»[٣٧٠]

كما انتشرت زراعة الحبوب في السهول الصغيرة، فكان القمح والسمسم والذرة المحاصيل الرئيسية التي تزرع في سهل البطوف.[٣٧١]

احتلت الحنطة المرتبة الأولى في أهميتها، وفي كثرة زراعتها، بينما احتل الشعير المرتبة الثانية. وهو يزرع للتجارة ويستخدم غذاء للدواب وأحياناً غذاء للإنسان بدلاً من القمح.[٣٧٢] وقد زرع في معظم القرى والسهول في اللواء،[٣٧٣] وخصوصاً في الأغوار لأنه ينمو جيداً في التربة المالحة، ويحتاج إلى كمية قليلة من الأمطار.[٣٧٤] فمثلاً، كانت الأراضي السهلية حول قرية لوبيا خصبة وتنتج كميات كبيرة من الحبوب، وخصوصاً الشعير.

لكن زراعة الشعير في التربة غير الملائمة كانت نتائجها عكسية، إذ كتب مراسل صحيفة «البشير» في شفا عمرو، سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م: «نضجت المحاصيل الشتوية وشرع الفلاحون بجمع محاصيل أراضيهم من الحنطة والشعير والقطانة وحالتها العمومية في الجودة والخصب ما خلا الشعير فإن العموم يشكون من عدم إقباله في الأراضي الوعر.»[٣٧٥]

وتمتاز زراعة الحبوب في اللواء بأن القرى لم تختص بزراعة محصول من دون المحاصيل الأُخرى، وإنما زرع فيها كل أنواع الحبوب مع تفاوت في أهمية هذه المحاصيل من قرية إلى أُخرى تبعاً للمناخ والتربة والطلب

(٣٦٩) حنا صلاح، «فلسطين»، ص ٣٣؛ *Hand Book*, p. 545؛ ليلى الصباغ، «الفعاليات الاقتصادية»، ص ٢٦٥.

(٣٧٠) Oliphant, *Haifa*, p. 62.

(٣٧١) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 18; ليلى الصباغ، الفعاليات...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨.

(٣٧٢) عبد الصمد الحاج يوسف أبو راشد، «طيرة الكرمل»، ص ٩٥، ٩٦.

(٣٧٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 149.

(٣٧٤) *Ibid.*, pp. 358-360.

(٣٧٥) صحيفة «البشير»، العدد ١٨٦٠، ١ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/١ حزيران (يونيو) ١٩٠٨م، ص ٣.

على هذه المحاصيل. فمثلاً، كانت الحنطة والشعير والكرسنة والسمسم والعدس تزرع في إجزم،[٣٧٦] والسمسم والحنطة والشعير في صبارين،[٣٧٧] والحنطة والشعير والعدس والكرسنة في قنير،[٣٧٨] والقمح والشعير والترمس في السنديانة،[٣٧٩] والحمص والعدس والسمسم والحنطة والشعير والذرة في عين حوض[٣٨٠] وبريكة[٣٨١] وكفر قرع[٣٨٢] والطيرة[٣٨٣] والكفرين.[٣٨٤]

٢ ـ الزيتون:

انتشرت زراعة الزيتون بصورة واسعة في اللواء، واهتم السكان بزراعته لملاءمة المناخ والتربة لهذا النوع من الزراعة، وخصوصاً أن زيت الزيتون يشكل مادة غذائية أساسية للسكان. ولذلك زرع الزيتون في كل مكان في اللواء، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من أشجاره،[٣٨٥] باستثناء بعض القرى في قضاء طبرية

(٣٧٦) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٢٠، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/١٧ آب (أغسطس) ١٩٠٤م.

(٣٧٧) المصدر نفسه.

(٣٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٤، ن ٧٥، ٢٤ محرم ١٣١١هـ/٧ آب (أغسطس) ١٨٩٣م.

(٣٧٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٠٦، ن ١٢٧، ٢ ربيع الثاني ١٣١٢هـ/٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٤م.

(٣٨٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٩٧، ٩٨، ن ١٢٧، ١٩ شعبان ١٣٢٣هـ/١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٥م.

(٣٨١) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١١، ن ١٧٤، ١٨ شوال ١٣٢٨هـ/٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(٣٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٢، ن ١٧٧، ٤ جمادى الثانية ١٣١١هـ/١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٣م.

(٣٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٣، ن ١٧٩، ٢٩ رمضان ١٣١١هـ/٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(٣٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥٤، ن ١٨٠، ٤ شوال ١٣١١هـ/١٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٤م.

(٣٨٥) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 163; Arthur Ruppin, *Syrien*, p. 223; خليل طوطح وحبيب خوري، «فلسطين»، ص ٣٧؛ *Hand Book*, p. 547.

كقريتي العبيدية والحدثة بسبب قلة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة، وهي ظروف غير ملائمة لزراعته.[٣٨٦]

وقد شجع محمد علي زراعة الزيتون في أثناء الاحتلال المصري لبلاد الشام، فأمر بزراعة ١٥٠,٠٠٠ شتلة زيتون في جهات عكا.[٣٨٧] كما وافق على اقتراح من إبراهيم باشا يقضي بأن يتنازل الضباط والجنود عن راتب شهر لزراعة الزيتون، على أن يخصص ما تنتجه هذه الأشجار لهؤلاء الجنود والضباط.[٣٨٨]

انتشرت زراعة الزيتون في المدن والقرى على حد سواء، فوصفت الناصرة بالحوض الملآن بأشجار الزيتون،[٣٨٩] كما كانت صفد محاطة بكروم الزيتون.[٣٩٠] كذلك انتشرت زراعته في حيفا والأراضي المجاورة لها،[٣٩١] مثل قريتي عسفيا[٣٩٢] والطيرة؛[٣٩٣] فذكر أوليفانت أن قرية الطيرة تضم ٣٠٠,٠٠٠ شجرة زيتون.[٣٩٤]

ويؤكد ذلك شراء تجار حيفا لأعداد كبيرة من أشجار الزيتون في قرية الطيرة.[٣٩٥]

---

(٣٨٦) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ ـ ٣١؛
Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 14, 145, 360-364.

(٣٨٧) رستم، «المحفوظات...» مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٨٨؛
John Bowring, *Syria*, pp. 16-17.

(٣٨٨) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٣٨٩) Claude Conder, *Palestine*, p. 431.

(٣٩٠) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٢٠، ن ١٨٨، ١٥ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م؛
John L. Burckhardt, *Travels*, p. 317; Valentine, *op.cit.*, p. 160.

(٣٩١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٥٣، ن ١٤٧، ١٢ ربيع الأول ١٣٠٩هـ/ ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩١م؛
س ح، ش ١، س ١، ص ٧٤، ن ١٢٥، ٢١ ذو الحجة ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م.

(٣٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٥، ٩٦، ن ٢٤، ٧ شوال ١٣٢٥هـ/ ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٣٩٣) س ح، ش ١٤١، س ١، من دون صفحة، ن ١٢٧، ١٨ شعبان ١٢٨٨هـ/ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١م.

(٣٩٤) Oliphant, *Haifa*, pp. 7, 8.

(٣٩٥) أنظر أعلاه، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٩.

كذلك انتشرت زراعة الزيتون في قرى صفورية[٣٩٦] والمغار[٣٩٧] وكفر برعم[٣٩٨] وأم الزينات[٣٩٩] وإجزم[٤٠٠] وشفا عمرو[٤٠١] وكفر ياسيف.[٤٠٢] ووصفت قرية الرينة بأنها واقعة على حقل ملآن بأشجار الزيتون، كما أحاطت كروم الزيتون الواسعة بقرية الرامة.[٤٠٣] ووصف محمد كرد علي زراعة الزيتون بالرامة فقال: «وزيتونها من أجود ما وقعت عليه العين في هذه الديار، وما ذلك إلاّ لأن أهلها توفروا على العناية بأشجارهم وحموها من فؤوس المحتطبين وأسنان المواشي وحوطوها وحرثوا أرضها وتلطفوا في قطف ثمارها حتى جادت غلة زيتونهم كل سنتين والزيتون هنا كما هو الحال في معظم البلدان يحمل سنة ويمحل سنة أُخرى.»[٤٠٤]

كما تحدث علي نصوح الطاهر عن زراعة الزيتون في الرامة فقال: «يعتبر المزارع في قضاء عكا نشيطاً كثيراً للعناية بزيتونه واشتهر من بين القضاء بصفة خاصة أهل الرامة، فإنهم بذلوا ولا يزالون يبذلون جهوداً كبيرة في تحسين غراسهم والمحافظة على قديم أشجارهم بما أقاموه ويقيمونه من الجدران ويزيلونه من الأحجار الكبيرة والصخور وهم يفلحون أشجارهم بمهارة، ولهم ولع خاص بالزيتون ومعاصرهم الميكانيكية من أحسن المعاصر في فلسطين ولزيتهم المؤني شهرة كبيرة في كل أسواق فلسطين.»[٤٠٥]

---

(٣٩٦) الطاهر، «شجرة الزيتون»، ص ٩٣.

(٣٩٧) *Hand Book*, p. 544;
فرديناند توتل اليسوعي، «رحلة رسولية»، «المشرق»، المجلد ٢٢، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ص ٨٧٦.

(٣٩٨) *Hand Book*, p. 544.

(٣٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٤، ٢٥، ن ٢١، ٢٦ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠١م.

(٤٠٠) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٤١، ن ٢٤، ٢٤ رجب ١٣١٩هـ/ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٤٠١) الأب أنطون رباط اليسوعي، «شفا عمرو»، «المشرق»، المجلد ٨، العدد ٢٢، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٠٣٥.

(٤٠٢) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠.

(٤٠٣) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧٧؛ طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠؛
Hand Book, p. 547.

(٤٠٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٤٠٥) الطاهر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

وتميزت زراعة الزيتون بأن يكون الشجر ملكاً لشخص والأرض التي عليها ملكاً لآخر. فقد يكون صاحب الشجر غير مالك الأرض، والمثال لذلك قرية المغار التي فيها مزرعة كبيرة قديمة للزيتون، لكن الأرض تخص أشخاصاً من قرية جديدة في قضاء عكا.[٤٠٦]

ويؤكد ذلك قيام عدد من تجار حيفا بشراء أشجار الزيتون من دون الأرض التي عليها. فنجد، مثلاً، أن خليل الحكيم من تجار حيفا يشتري ٦ قراريط في كامل ٨ عروق زيتون[٤٠٧] و١٢ قيراطاً أخرى في كامل ١٦ عرق زيتون في قرية الطيرة.[٤٠٨]

كما كانت أشجار الزيتون بل الشجرة الواحدة توزع بين عدد من الملاك وكل مالك يملك حصة معينة. وفي الغالب، فإن كل مالك لا يعرف الحصة التي يمتلكها بالتحديد. على سبيل المثال، اشترى فلاح ألماني ٢٤/١٦ حصة من مزرعة زيتون في قرية المغار من ثلاثة ملاك بينما الـ ٢٤/٨ حصة الباقية تخص مالكين آخرين.[٤٠٩]

وقد أكدت سجلات المحكمة الشرعية ذلك، فأشارت إلى أن أشجار الزيتون توزع حصصاً معينة بين عدد من الملاك، وفي الغالب لا يعرف هؤلاء الملاك الحصص التي تخصهم.[٤١٠] فمثلاً، اشترى إبراهيم منصور من تجار حيفا ٦ قراريط في كرم الزيتون في الطيرة المشتمل على ٢٥ شجرة زيتون بمبلغ ٢١٠٠ قرش،[٤١١] واشترى بشارة عازر من قاسم الزيدان من الطيرة الربع في كامل التسعة عروق زيتون.[٤١٢] وفي حجة أُخرى أن الشيخ داود ابن الحاج سليمان

---

(٤٠٦) شارل عيساوي، «التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب»، ص ٤٧٤.

(٤٠٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٠، ن ١٦٦، ٢٢ شوال ١٢٨٨هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٢م.

(٤٠٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩١، ن ١٦٧، ٢٤ شوال ١٢٨٨هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٢م.

(٤٠٩) عيساوي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧٤.

(٤١٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٩١، ١٩٢، ن ٢٩، ٢٤ ذو القعدة ١٣١٧هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٠٠م.

(٤١١) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٢، ن ٢٧٠، ١١ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(٤١٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٩، من دون نمرة، ١٩ ربيع الأول ١٢٨٧هـ/ ١٩ حزيران (يونيو) ١٨٧٠م.

من قرية عين حوض يمتلك، بالاشتراك مع إخوته الخمسة، الشائع من خمسة أخماس في كامل غرس أشجار الزيتون في قرية عين.[٤١٣]

ولا شك في أن الفقر الذي عاناه الفلاحون والوضع المعيشي الصعب دفعاهم إلى بيع أشجارهم أو جزء منها لتجار المدن.[٤١٤]

٣ ـ الفواكه:

زرعت أشجار الفواكه في المدن والقرى وحولهما. فذكر كوندر أن بساتين وحدائق التين والرمان والبرقوق والجوز والتفاح والتوت والكمثرى والسفرجل والبرتقال والليمون تنتشر في القرى، وخصوصاً بالقرب من الينابيع.[٤١٥]

وقد زرعت أشجار الفواكه بصورة خاصة في الحواكير في المدن والقرى لأن القانون العثماني منع المزارعين من زراعة الأشجار في الأراضي الميري. كما أن زراعة هذه الأشجار داخل المدن والقرى تسهل على أصحابها مراقبتها ومنع سرقتها أو التعدي عليها لأنها بالقرب من البيوت أو هي جزء من الأراضي التي تقام عليها الدور. وكانت الحواكير تُزرع بأنواع الفواكه المتعددة مثل: التين والرمان والصبّار والعنب والسفرجل والخروب والمشمش والنخيل والجميز. فأشارت السجلات، مثلاً، إلى الحاكورة الواقعة في باطن حيفا التي تحتوي على أشجار التين والعنب والرمان،[٤١٦] وإلى الحاكورة الكائنة بموقع الرمل في شرقي حيفا المزروعة بأشجار التين والجميز والنخيل والرمان.[٤١٧] وكانت الحواكير في الناصرة تزرع بأشجار التين والصبّار والخروب والعنب.[٤١٨]

كما انتشرت حواكير الفواكه في القرى، كالحاكورة الملك المشجرة بالتين

---

(٤١٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧، من دون نمرة، ٣٠ ذو القعدة ١٣٢١هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٠٤م.

(٤١٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٦، ن ٥٠٠، ٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٤١٥) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 252.

(٤١٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٤، ن ١٥٥، ٢٨ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م.

(٤١٧) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٦١، ن ٢٢٠، ٢٩ محرم ١٣٢٤هـ/ ٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٦م.

(٤١٨) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٢.

والرمان والعنب في قرية الطيرة،[٤١٩] وكالحاكورة الملك المشجرة بالتين والمشمش والرمان العائدة لقاسم الحماد من عين غزال.[٤٢٠]

وكانت أشجار الفواكه التي تزرع في الناصرة هي: العنب والتين والبرقوق والخوخ والتفاح والمشمش والإجّاص والدراق والسفرجل والجرنك والقراصيا والأكيدنيا والتوت واللوز والجوز والبلح والرمان والبرتقال واليوسف أفندي والصبار والليمون الحلو.[٤٢١]

وكانت أشجار العنب والتين والبرقوق والخوخ واللوز والرمان تنمو في صفد وفي محيطها،[٤٢٢] واشتهرت البقيعة باللوز والتين والرمان والكباد والسفرجل،[٤٢٣] وكفر كنا بالرمان،[٤٢٤] وشفا عمرو بحدائق الفواكه المتعددة، كالتين والبرقوق والإجّاص واللوز والرمان والمشمش، وحدائقها مسورة بنبات التين الشوكي (الصبّار) الذي يزرع ليشكل أسواراً لها.[٤٢٥] وكانت البصة محاطة بكروم الرمان والتين والتفاح وبقليل من الكرمة.[٤٢٦] واشتهرت الطيرة بزراعة اللوز حتى عرفت بطيرة اللوز،[٤٢٧] فأشارت السجلات إلى رابعة بنت الشيخ خليل السعدي من أهالي قرية طيرة اللوز التابعة لقضاء حيفا.[٤٢٨]

كما زرعت أشجار الخروب بصورة واسعة في جبل الكرمل،[٤٢٩] فاهتم

(٤١٩) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٧٤، ن ٧٩، ٣ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢م.

(٤٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٤٩، ن ٦٣، ٤ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦م.

(٤٢١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

(٤٢٢) *Hand Book*, p. 509.

(٤٢٣) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤٠؛ Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 197.

(٤٢٤) حسين روحي الخالدي، «المختصر»، ص ٥٩؛ Valentine, *op.cit*, p. 149.

(٤٢٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 272

(٤٢٦) *Hand Book*, p. 509.

(٤٢٧) عدنان البخيت، «الأسرة الحارثية في مرج بني عامر»، مجلة «الأبحاث»، المجلد ٢٨ ـ ٢٩، ص ٦٠؛ الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

(٤٢٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٥، ٨٦، ن ٢٢١، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٠٦هـ/ ٢٦ شباط (فبراير) ١٨٨٩م.

(٤٢٩) *Hand Book*, p. 544.

أهالي حيفا والقرى المجاورة بزراعته. فمثلاً، كان أحمد بن عبد الرحيم يمتلك كرمين مزروعين خروباً غربي حيفا.[٤٣٠]

وكانت أشجار التين والجوز والتوت والبرقوق والإجّاص تزرع في كل مكان في الجليل.[٤٣١] فعندما مر محمد كرد علي بقرى الرامة ومجد الكروم ودير الأسد والبعنة ونحف وياجور وجد أن التين من أكثر أشجارها.[٤٣٢] واشتهرت زراعة التوت في قرية ياجور[٤٣٣] وفي قرية الرامة وفي الناصرة.[٤٣٤]

وانتشرت زراعة الكرمة في بيت جن التي تظهر مغطاة بأشجار الكرمة التي تزحف على الأرض، فوُصفت عناقيد العنب فيها بالكبر والضخامة.[٤٣٥] وكانت الكرمة تنمو في البقيعة بصورة مدهشة،[٤٣٦] كما زرعت في جبل الكرمل ونقلها إلى المنطقة رهبان دير الكرمل، وطورها المستوطنون الألمان في حيفا، والمستوطنون اليهود في زمارين الذين زرعوها لإنتاج النبيذ.[٤٣٧]

٤ ـ الحمضيات:

لم يهتم السكان بزراعة الحمضيات في اللواء لعدم ملاءمة الظروف المناخية. وعلى الرغم من ذلك فقد زرعت في بعض المناطق السهلية والأودية. فمثلاً، زرع الليمون في وادي الطيرة وبالقرب من صفد في الأودية الدافئة، كالوادي المعروف بوادي الليمون،[٤٣٨] وفي قرية الرامة.[٤٣٩]

وكانت أشجار البرتقال والليمون تزرع في سهل عكا،[٤٤٠] وإلى الشمال الشرقي من عكا بساتين كثيرة للبرتقال عائدة لسرسق من بيروت ومحمد العفيفي

(٤٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، من دون صفحة، ن ١٣٣، ٢٥ ربيع الثاني ١٣١١هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٣م.

(٤٣١) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٤٣٢) المصدر نفسه؛ أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

(٤٣٣) *Hand Book*, p. 547.

(٤٣٤) Baedeker, *op.cit.*, p. 242.

(٤٣٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 199.

(٤٣٦) *Ibid.*

(٤٣٧) Ruppin, *op.cit.*, p. 225; *Hand Book*, p. 544.

(٤٣٨) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠؛ *Hand Book*, p. 547.

(٤٣٩) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٤٤٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 149.

من عكا.(٤٤١) كما كان لصادق باشا بيارة (بستان) للحمضيات في منطقة الزرغانية في قيسارية.(٤٤٢) وكانت أشجار الليمون والبرتقال تزرع في حيفا والمناطق المجاورة لها. فذكرت صحيفة «البشير» أن بَرَداً كبير الحجم نزل في حيفا فأنزل أضراراً كثيرة بأشجار الليمون والبرتقال.(٤٤٣) وزرع اليهود الحمضيات في مستعمرة حديرا.(٤٤٤)

كما زرع البطيخ في قرى الرامة ومجد الكروم ودير الأسد والبعنة ونحف وياجور والطيرة،(٤٤٥) وفي سهل حيفا ومرج ابن عامر، وكان ينمو بكميات كبيرة في التربة الرملية حول قيسارية، وكان الفائض منه يصدر إلى الخارج عن طريق ميناء قيسارية.(٤٤٦)

لم تقتصر زراعة الفواكه على نوع معين من الأشجار، فكان يشار، في الغالب، إلى عدة أنواع في قطعة الأرض الواحدة. فمثلاً، امتلك أولاد يوسف بن نقولا من حيفا قطعة الأرض التي تشتمل على أشجار الزيتون واللوز والرمان والتين والخروب.(٤٤٧) لكن وردت إشارات قليلة إلى وجود بعض الأراضي والحواكير المزروعة بنوع واحد من الأشجار فقط، فيذكر أحد السجلات حاكورة نجمة بنت علي الحجار في حيفا المزروعة بأشجار التين.(٤٤٨)

وكانت حواكير الفواكه في المدن والقرى تحاط بأشجار الصبّار (التين الشوكي) لمنع الناس والحيوانات من التعدي عليها. فأشارت السجلات إلى الحاكورة في الطيرة المحاطة بالصبار والتي تحتوي على أشجار التين والخروب والزيتون.(٤٤٩)

---

(٤٤١) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

(٤٤٢) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٣٧، ن ٢١٥، ٢١ محرم ١٣٢٩هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١١م.

(٤٤٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٤٢، ٢٧ ربيع الثاني ١٣٠٨هـ/ ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٠م، ص ٣.

(٤٤٤) Ruppin, *op.cit.*, p. 265.

(٤٤٥) أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥، ٩٦؛ *Hand Book*, p. 488; Oliphant, *Haifa*, p. 182.

(٤٤٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 196.

(٤٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٧، ١٢٨، ن ١١، ٢٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م.

(٤٤٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣١، ن ٢٦، ٧ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/ ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٠١م.

(٤٤٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٧، ن ١٦٣، ١ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ ٢٩ أيار (مايو) ١٨٧٣م.

٥ ـ الخضروات:

كانت الخضروات تزرع في المدن والقرى. فزرع أهالي الناصرة القثاء والخيار والبندورة والباذنجان والكوسا واليقطين والملفوف والقرنبيط واللفت والملوخية والبامية واللوبيا والبازيلا والأرض شوكي والخس والفجل والجزر والبصل والثوم والبقلة والبقدونس والنعناع والفليفلة والسلق والزعفران.(٤٥٠)

كذلك زُرعت الخضروات، وخصوصاً البطاطا والكوسا والخيار، في سهل عكا.(٤٥١) وزرع الفلفل والكوسا والبندورة والباذنجان والبامية في سهول الأغوار، وخصوصاً في المناطق المروية.(٤٥٢) كما زرعت الخضروات في سهول طبرية وكانت تباع في صفد وطبرية. وزرع الأهالي الخيار والقرع واليقطين في قرية البطيحة على الضفة الشرقية لنهر الأردن، وكانوا يبيعون ما ينتجونه في أسواق دمشق قبل ثلاثة أيام من نضج الثمار.(٤٥٣)

وتمتاز زراعة الخضروات في الأغوار بأنها تنضج في فترة مبكرة عن غيرها من المناطق، الأمر الذي يجعلها تحقق أسعاراً أعلى قياساً بغيرها من المناطق التي تنضج فيها الخضروات في وقت متأخر.(٤٥٤)

٦ ـ التبغ:

كان التبغ يزرع في مناطق متعددة من اللواء كقرية البصة في قضاء عكا.(٤٥٥) كما زرع في بعض الحواكير في المدن والقرى. وأشارت السجلات الشرعية إلى حاكورة الدخان في قرية الطيرة بالقرب من حيفا.(٤٥٦) وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، بلغت كمية التبغ المنتج في منطقة حيفا نحو ٦٠,٠٠٠ كلغ.(٤٥٧)

---

(٤٥٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠؛ زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥؛ Baldensperger, *op.cit.*, p. 273.

(٤٥١) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 143, 149.

(٤٥٢) *Hand Book*, p. 547.

(٤٥٣) *Ibid.*

(٤٥٤) Burckhardt, *op.cit.*, p. 323.

(٤٥٥) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩٦.

(٤٥٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٨، ن ٤٢، ٢٥ ذو الحجة ١٣٠٩هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٩٢م.

(٤٥٧) *Hand Book*, p. 588.

٧ ـ القطن:

ازدهرت زراعة القطن في اللواء في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وخصوصاً في أيام ظاهر العمر وأحمد باشا الجزار. وكان معظم القطن المنتج يصدر إلى الدول الأوروبية كفرنسا وإنكلترا، وكميات قليلة منه تستهلك محلياً.

كما زُرع القطن في سهل عكا وشفا عمرو وصفد.[٤٥٨] وقد شجع محمد علي على زراعته في اللواء، غير أن زراعته لم تنجح إلاّ في منطقة طبرية لشدة حرها.[٤٥٩]

ويوضح الجدول رقم ٦ ـ ٩ أنواع المحاصيل الزراعية في أقضية اللواء وكمية الإنتاج ومساحة الأرض المزروعة بكل محصول في سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م.[٤٦٠]

ويلاحظ من هذا الجدول أن أهمية المحاصيل تتفاوت من قضاء إلى آخر، وأن القمح والشعير والسمسم والذرة من أكثر المحاصيل الزراعية انتشاراً وإنتاجاً، وأن قضاء حيفا يحتل المرتبة الأولى في إنتاج القمح والشعير وغيرهما، ثم يليه قضاء عكا فطبرية فصفد فالناصرة.

ب) أساليب الزراعة

لم تكن الزراعة في اللواء أحادية المحصول، أي لم تكن مقصورة على زراعة محصول معين، وإنما زرع الفلاحون محاصيل متنوعة في وقت واحد. وساعدهم هذا النمط على تجنب الخسائر الاقتصادية، ذلك بأن انخفاضاً في إنتاج أحد المحاصيل قد يعوضه ارتفاع في إنتاج محصول آخر. وذكرت صحيفة «البشير» من شفا عمرو سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م: «نضجت المحاصيل الشتوية وشرع الفلاحون بجمع محاصيل أراضيهم من الحنطة والشعير والقطانة وحالتها العمومية في الجودة والخصب ما خلا الشعير فإن العموم يشكون من عدم إقباله في الأراضي الوعر.»[٤٦١]

---

(٤٥٨) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 164.

(٤٥٩) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٤، ٣٥٧؛ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤٦٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧.

(٤٦١) صحيفة «البشير»، العدد ١٨٦٠، ١ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/٣١ أيار (مايو) ١٩٠٨م، ص ٣.

الجدول رقم ٦ ـ ٩

المحصول	قضاء عكا		قضاء حيفا		المحصول	قضاء صفد*	قضاء الناصرة*	قضاء طبرية*
	المساحة المزروعة	كمية الإنتاج	المساحة المزروعة	كمية الإنتاج		كمية الإنتاج	كمية الإنتاج	كمية الإنتاج
القمح	٥٩,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠ كيلة	٢٠٠,٠٠٠	٤٧٥,٠٠٠ كيلة	القمح	١٦٠,٠٠٠ كيلة	١٣٤,٢٢٤ كيلة	٢٠٠,٠٠٠ كيلة
الشعير	٢٤,٥٠٠	١٠٠,٠٠٠ كيلة	٥٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠ كيلة	الشعير	٨٤,٠٠٠ كيلة	٢٤,٠٠٠ كيلة	٧٠,٠٠٠ كيلة
الذرة الصفراء	٥٨٠	٥٨٠٠ كيلة	-	-	-	-	-	-
-	-	-	-	-	الذرة	٤٠,٠٠٠ كيلة	٤٠٠٠ كيلة	٦٠,٠٠٠ كيلة
الذرة البيضاء	٥٠٠٠	١٥,٠٠٠ كيلة	-	-	الحمص	٨٠,٠٠٠ كيلة	٢٠٠ كيلة	٨٠٠٠ كيلة
السمسم	٥٠٠٠	١٠,٠٠٠ كيلة	٢٠٠٠	٥٠٠٠ كيلة	-	-	-	-
الفاصوليا	١٠٠	١٠٠٠ كيلة	-	-	البقلة	٢٦,٨٠٠ أقة	-	-
الحمص	٣٥٠٠	٧٠٠٠ كيلة	٢٠٠٠	٦٠٠٠ كيلة	الدخان	٢٦,٥٨٣ أقة	-	٢٥ أقة
العدس	١٠٠٠	٢٠٠٠ كيلة	١٠٠٠	١٥٠٠ كيلة	الزيتون	٨٠٠,٠٠٠ أقة	١٣٦,٨٠٠ أقة زيت ٣٠,٥٢٠ زيتون	٥٠٠٠ أقة
-	-	-	-	-	التين	٦٠,٠٠٠ أقة	٢٠٠٠ أقة	-
البقلة	٢٠٠٠	١٠,٠٠٠ كيلة	-	-	العنب	١٠٠,٠٠٠ أقة	١٠,٠٠٠ أقة	-
بازيلا	٢٥	١٠٠٠ كيلة	-	-	-	-	-	-
بطاطا	٥٠٠	١٠٠٠ أقة	٢٠٠	٢٠,٠٠٠ أقة	الفول	-	١٠٠ كيلة	٩٠٠٠ كيلة
دخان	٢٠٠٠	١٣٠,٠٠٠ كيلو	٣٠	١٥٠٠ كيلو	القطن	-	٤٠٠ أقة	-
-	-	-	-	-	السمسم	-	١٠,٠٠٠ أقة	٤٠,٠٠٠ أقة
الزيتون	٩٣٤	٢٦٠,٠٠٠ كيلو زيتون ٥٠,٠٠٠ كيلو زيتون	٤٠٠٠	٥٠,٠٠٠ أقة	-	-	-	-
التين	٢٠٧٠	١٨,٠٠٠	-	-	البطاطا	-	-	٥٠٠٠ أقة

* لم تشر السالنامة إلى مساحة الأراضي المزروعة بهذه المحاصيل في أقضية صفد والناصرة وطبرية.

كما امتازت الزراعة بالقدرة على التأقلم وفق الظروف المستجدة والطارئة وأوضاع الأسواق الخارجية والمحلية. فانخفاض الطلب على محصول معين لا يسبب أزمة اقتصادية للفلاحين، وإنما يعني التحول إلى زراعة محصول آخر. فعندما قل الطلب الأوروبي على القطن المحلي تحول السكان إلى زراعة السمسم الذي ازداد الطلب عليه.(٤٦٢)

كما جمع معظم المزارعين بين العمل في الزراعة وتربية الحيوانات للاستفادة من منتوجاتها المتعددة أو لاستخدامها لأغراض الزراعة والنقل. فنجد في أحد السجلات أن الشيخ محمود ابن الشيخ سلام من قرية الطيرة يمارس الزراعة إضافة إلى تربية الحيوانات، فكان عنده ٣ جمال و٦ عجول و٥٠ رأس غنم و٣ كيلات كرسنة و٦٠ كيلة عدس.(٤٦٣)

مارست الدولة تأثيراً محدوداً في الزراعة اقتصر على إجبار الفلاحين على زراعة الأراضي الميري بالحبوب وخصوصاً قبل التنظيمات، إلاّ إنها لم تحدد لهم المساحات المزروعة بكل محصول من هذه المحاصيل، ولم تقم الدولة بجهود لتحسين الزراعة وزيادة الإنتاج سواء استصلاح الأراضي أو زيادة صلاحيتها للزراعة بحفر القنوات وإنشاء شبكات الري، وتركت ذلك للفلاحين أنفسهم الذين قل اهتمامهم بذلك نتيجة نظام الأراضي المشاع.

وقد اقتصر العمل في الزراعة حتى منتصف القرن التاسع عشر على المزارعين من سكان القرى والمدن، إلاّ إن صدور قانون تمليك الأراضي الزراعية المشاع أدى إلى ظهور فئة من الملاك الذين امتلكوا الأراضي لكنهم لم يمارسوا الزراعة بأنفسهم بل تركوا فلاحتها للمزارعين في مقابل حصص معينة. وكان هؤلاء الملاك من أثرياء المدن، وخصوصاً من بيروت وحيفا ودمشق وعكا.(٤٦٤)

فعندما اشترى سرسق والتويني النصف الشمالي من سهل مرج ابن عامر، امتلكا ٢٠ قرية يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة، واستمرا في استخدامهم في

(٤٦٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 145; Baedeker, *op.cit.*, p. 230.

(٤٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٦١، ن ٣٠، ٢٤ رجب ١٣٢١هـ/ ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٣٢، ٦ شعبان ١٣٠٩هـ/ ٦ آذار (مارس) ١٨٩٢م.

(٤٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٧، ن ٥٧٣، ١٨ محرم ١٣٣١هـ/ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٢م؛
س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٦٢، من دون نمرة، ٢١ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٧م.

الزراعة،(٤٦٥) كما استخدما عدداً من سكان الناصرة في زراعة هذه الأراضي.(٤٦٦) وكانت عائلة بيرغهايم اليهودية المقيمة بالقدس تمتلك ٤٠,٠٠٠ دونم في قرية أبو شوشة قضاء طبرية ويعمل فيها فلاحون يؤدون جزءاً من إنتاجها إلى أصحاب الأرض.(٤٦٧) ووفقاً لأحد السجلات الشرعية، فإن عبد اللطيف الصلاح من حيفا كان يمتلك معظم أراضي قرية الجعارة وتبلغ حصته من إنتاجها ٢٧,٦٥٢ قرشاً سنوياً.(٤٦٨) ونجد في حجة أُخرى أن للحاج عمر بن مصطفى الأيوب من الطنطورة أراضي في الطنطورة والفريديس والمراح وعين غزال تركها بأيدي مزارعين يفلحونها في مقابل حصص معينة، فكانت قيمة مطلوباته من أراضيه في قرية الطيرة ٤٣٠ كيل حنطة، و١٥٠ كيل شعير، ومئتي كيل ذرة، وثلاثة آلاف قرش ثمن بطيخ. وكان له ثلث فلاحة قرية المراح ومطلوباته منها ٧٠ كيل حنطة، و١٥ كيل شعير، و٧ أكيال ومدان عدس، و٢٠ كيل ذرة، و٢٥ كيل سمسم، ومدان كرسنة، ومطلوباته من فلاحة قرية الفريديس ٦٣ كيل حنطة، ومد ونصف مد حنطة، وتسعة أكيال ومد ونصف مد ذرة بيضاء، و٦ أكيال شعير، و٣ أكيال كرسنة، وكيلان عدس. أمّا مطلوباته من فلاحة قرية عين غزال فهي ٥٢,٥ كيل حنطة، و٥٠ كيل ذرة، و١٦ كيل عدس، و٨ أكيال سمسم.(٤٦٩)

كما كان لعيسى بن خليل الزبن من الطيرة أراضٍ في الطيرة وفي قرية بريكة، وكانت مطلوباته من الطيرة ١٥٠ كيل حنطة، و٥٠ كيل شعير، و٥٠ كيل ذرة، و٢٥ كيل فول، و١٥ كيل عدس. أمّا مطلوباته من قرية بريكة فهي ٣٠ كيل حنطة، و٢٠٠ كيل شعير، و٢٠٠ كيل ذرة، و١٠٠ كيل فول، و٣٠ كيل عدس، و١٠ أكيال حلبة.(٤٧٠)

ولم يشرف هؤلاء الملاك على أراضيهم بأنفسهم، وإنما عينوا الوكلاء للإشراف عليها. فوكّل يوسف بن سليم الخوري من حيفا شكري بن سمعان منصور الإشراف والمحافظة على مزرعة الشلالة التابعة لعسفيا الجاري في تصرفه

(٤٦٥) Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 328-330.

(٤٦٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩.

(٤٦٧) لامنس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩٢ ـ ١٠٩٣.

(٤٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٧، ن ٣٤٠، ١٧ صفر ١٣٠٧هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م.

(٤٦٩) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٦٥، ١٦٦، من دون تاريخ.

(٤٧٠) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٩٥ ـ ١٩٨، من دون تاريخ.

نصفها مشاعاً.[٤٧١]

ووكّل إسكندر بن الياس جرجورة كساب، من تجار حيفا، نهار بن حمدان الأحمد من أهالي خربة الوهادنة (قضاء السلط) المحافظة على كل الأراضي الجارية في تصرفه في غور الوهادنة وزراعتها.[٤٧٢]

وقد شجع على شراء الأراضي والاستثمار في الزراعة، انخفاض أسعار الأراضي، وزيادة الجدوى الاقتصادية للاستثمار في الزراعة نتيجة ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية وزيادة الطلب المحلي عليها بعد ازدياد عدد السكان في اللواء وتحسن مستوى معيشتهم. كما ازداد الطلب الخارجي على المحاصيل الزراعية من الدول الأوروبية، فأشار القنصل الفرنسي في حيفا عام ١٣٢٣ـ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٥ـ١٩٠٦م إلى زيادة الطلب الأوروبي على محاصيل البلاد.[٤٧٣]

ولذلك ازدادت رغبة الرأسماليين في الاستثمار الزراعي وتطلعوا إلى استصلاح الأراضي الجديدة. ففي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، قدم اثنان من أهالي حيفا (لم يحدد المصدر اسميهما) طلباً لتجفيف أراضي المستنقعات في زور الزرقاء ومساحتها ١٥٠٠ دونم على أن يزرعاها ويؤديا ١٠٪ للحكومة ومثلها أجرة أرض و٢,٥٪ إعانة للأسطول والجيش، فيصبح مجموع ما يدفعانه ٢٢,٥٪. وقد رحبت وزارة المالية بهذا الطلب.[٤٧٤]

وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، التزم الاقتصادي جورج عيد قرى جدرو وكفرتّا والمجدل في قضاء حيفا من أصحابها الخواجات سرسق وبسترس فترة تسعة أعوام. فجاء إلى حيفا للاطلاع على أحوال هذه القرى مع الخبير الزراعي وديع الياس مدور الذي ينوي إجراء تجارب زراعية بتطبيق الطرق الفنية الحديثة على ستة آلاف دونم من أراضي هذه القرى، وسيزرع الأراضي البور البالغة مساحتها عشرين ألف دونم.[٤٧٥]

إن الإقبال على شراء الأراضي والاستثمار في الزراعة دفعا الدولة إلى طرح المشاريع لاستصلاح الأراضي وزيادة المساحات المزروعة لتحصيل مزيد من

(٤٧١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٢٨، من دون نمرة، ٢٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٤٧٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٠١، ن ٨٣٢، ٥ محرم ١٣٣٣هـ/ ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤م.

(٤٧٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٩٤، ١٣ محرم ١٣٢٤هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٧م، ص ٤.

(٤٧٤) صحيفة «فلسطين»، العدد ٦٥، ٩ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١١م، ص ٣.

(٤٧٥) المصدر نفسه، العدد ٦٤، ٦ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٩١١م، ص ٢.

الضرائب، ففي سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، اجتمع قائمقام صفد والقنيطرة والجديدة بمهندس الولاية للنظر في تجفيف بحيرة الحولة لأن ذلك سيكسب الدولة أرضاً جديدة لا تقل عن ١٦٠٠ فدان.[٤٧٦]

كما أن الاستثمار الرأسمالي في الزراعة حوّلها من نمط الزراعة المعاشية إلى زراعة رأسمالية تهدف إلى تحقيق الربح. فذكر أوليفانت، سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، أن الحبوب كالقمح والشعير والسمسم أصبحت المحاصيل الرئيسية التي تزرع في سهل مرج ابن عامر بعد أن اشترى سرسق والتويني، من تجار بيروت، النصف الشمالي من السهل، وأن كميات الحبوب التي يصدرها سرسق تبلغ ٥٠,٠٠٠ كيلة سنوياً.[٤٧٧]

لقد اختلفت شروط المزارعة بين المزارعين الأجراء وملاك الأراضي واختلفت حصص كل طرف من الطرفين من حالة إلى أُخرى. فمثلاً، اتفق سلمون بن يعقوب الإسرائيلي الذي يمتلك قطعتي أرض في الطنطورة مع الشيخ محمد العموري على أن يزرع محمد العموري الأرض ويقدم سلمون بن يعقوب البذار، وما بقي من المحصول يقسم بينهما بالتساوي.[٤٧٨]

وفي حجة أُخرى أن محمود بن عبد الفتاح بن إبراهيم أبو فروخ اتفق مع عبد الفتاح ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ عبد اللطيف من حيفا على أن يعطيه قطعة الأرض العائدة له في حيفا من أجل استصلاحها وتنقية صرارها وقلع أشجارها وغرسها بالأشجار المنوعة من زيتون ولوز وعنب وتفاح فترة معلومة. وإذا قام بذلك يكون له النصف بالأرض، ويكون منتوجها وريعها مشتركاً بينهما.[٤٧٩]

وفي حجة أُخرى أن زهرا بنت خالد المسافيري من حيفا اشترت ١٢١ عرق زيتون من سليمان بن أحمد الدرباس من الطيرة، وتركته يعمل في استثمار هذه الأشجار في مقابل ٧ كيلات زيت يدفعها لها سنوياً.[٤٨٠]

(٤٧٦) صحيفة «البشير»، العدد ٨٢١، ٢٩ شعبان ١٣٠٣هـ/ ٢ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ٣؛ وانظر أيضاً: سليم سلام، «مذكرات سليم علي سلام»، ص ١٨٨؛ يوسف الحكيم، «بيروت ولبنان»، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٤٧٧) Oliphant, *Haifa*, pp. 60 - 61.

(٤٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٧، ٢٨، من دون نمرة، ١٥ ذو القعدة ١٣٠٥هـ/ ٢٤ تموز (يوليو) ١٨٨٨م.

(٤٧٩) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ٣٠، ن ٢٠٦، ٢٧ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م.

(٤٨٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨٢، ١٨٣، ن ٢٥٤، من دون تاريخ.

وعندما التزم جورج عيد البيروتي بعض القرى في قضاء حيفا من سرسق والتويني فرض على كل فلاح من فلاحي هذه القرى أن يزرع خمسين دونماً قطعاً، في مقابل أن يحرث الأرض للمزارعين في الصيف بالآلات البخارية ويعطيهم البذار، ويأخذ منهم لقاء ذلك ٣٥٪ ما عدا الأعشار الميري.[٤٨١]

اعتمدت الزراعة، أساساً، على الأمطار فعرفت بالزراعة البعلية. ويتبين ذلك من الإشارات إلى أثر الأمطار زيادة ونقصاناً في الزراعة.[٤٨٢] وعلى الرغم من ذلك، فإن الزراعة المروية انتشرت في المناطق التي تجري فيها الأنهار والأودية والينابيع. فكان سهل مرج ابن عامر يتلقى كميات كافية من المياه من نهر الجالود، وكميات أُخرى من مياه الينابيع والعيون حول السهل، وكانت السهول جنوبي بحيرة طبرية حتى بيسان يقنّى فيها للمياه بأساليب بدائية.[٤٨٣]

وكانت مساحات كبيرة من سهل طبرية تروى من عين المدورة،[٤٨٤] وكانت حديقة البهجة شمالي عكا تروى من القناة التي تجلب الماء من الكابري.[٤٨٥]

كما حفر المزارعون الآبار والصهاريج لتجميع مياه الأمطار، من أجل استخدامها في ري الأشجار المثمرة في أراضيهم وحواكيرهم، وخصوصاً الموجودة داخل المدن والقرى. فمثلاً، أشارت السجلات إلى حاكورة حسين الخطيب من حيفا المشتملة على أشجار التين والسفرجل والرمان والتوت والنخيل والعنب وثلاث آبار للماء.[٤٨٦]

وفي حجة أُخرى أن الحاج علي آغا الطه اشترى النصف في كامل الحاكورة في حيفا المحتوية على أشجار الزيتون والنخيل والرمان والتين والمشمش والمشتملة على سبع آبار ماء معدة لري الأشجار بمبلغ ١٠,٠٠٠ قرش.[٤٨٧] وأشارت حجة أُخرى إلى الحاكورة في الجهة الشرقية من حيفا المشتملة على

(٤٨١) صحيفة «فلسطين»، العدد ٦٤، ٦ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٩١١م، ص ٢.
(٤٨٢) صحيفة «البشير»، العدد ٤٤٤، ٧ ربيع الأول ١٢٩٦هـ/ ١٤ آذار (مارس) ١٨٧٩م، ص ٢؛ صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٧٢، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ/ ١٥ آذار (مارس) ١٩٠٩م، ص ٣.
(٤٨٣) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 185.
(٤٨٤) Ridgaway, *op.cit.*, p. 145.
(٤٨٥) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 143, 149.
(٤٨٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٤، ن ٤٩، ٣٠ رمضان ١٢٩٠هـ/ ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٣م.
(٤٨٧) المصدر نفسه.

مسكنين وسبع آبار ماء نابع.[٤٨٨]

ج) الثروة الحيوانية

تنوعت الثروة الحيوانية في اللواء وتباينت الأهداف من تربيتها، فاتخذ بعض السكان تربية الحيوانات مهنة لهم، واهتم بعضهم بتربيتها لأغراض الزراعة والنقل.

١ ـ الأبقار والثيران:

اهتم السكان بتربية الأبقار للاستفادة من منتوجاتها من اللحوم والحليب ومشتقاته. أمّا الثيران فكانت تستخدم في حراثة الأرض.[٤٨٩] ويوضح الجدول التالي عدد الثيران في لواء عكا سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م:[٤٩٠]

الجدول رقم ٦ ـ ١٠

المنطقة	العدد
عكا (الساحل والجبل والشاغور)	١٥٠٠ رأس
شفا عمرو	٧٠٠ رأس
الناصرة	٩٠٠ رأس
حيفا	١٢٠٠ رأس
صفد	٧٠٠ رأس
المجموع	٥٠٠٠ رأس

وكانت الأبقار تربى في المدن والقرى، مثل إجزم[٤٩١] وصبارين[٤٩٢]

(٤٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٧، ن ٤٢، ١ ذو القعدة ١٣١٠هـ/ ١٧ أيار (مايو) ١٨٩٢م.
(٤٨٩) Baldensperger, *op.cit.*, pp. 11, 20; رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١؛ Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 20 - 21.
(٤٩٠) Smith Robinson, *Latter Biblical*, p. 630.
(٤٩١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٩، ن ٣٤١، ٩ صفر ١٣٠٧هـ/ ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م.
(٤٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٤٥، ن ١٠٩، ٢٦ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٢م.

وبريكة والطنطورة.[٤٩٣] فكان عند جابر بن سليمان النجار من قرية صبارين ١٠ رؤوس بقر.[٤٩٤] كما اهتمت العشائر البدوية بتربية الأبقار كعرب النفيعات في ناحية قيسارية،[٤٩٥] وعشيرة الصبيح في قضاء طبرية،[٤٩٦] وعرب الحمدون بالقرب من قرية السنديانة. فكان عند ذياب بن شحادة بن سلام من عرب الحمدون ١٥ رأس بقر.[٤٩٧]

٢ ـ الأغنام:

كانت الأغنام تربى في أنحاء اللواء كافة، في المدن والقرى على حد سواء. كما اهتم البدو بتربية الأغنام سواء النعاج أو الماعز. وقد شجع محمد علي على تربية النعاج بإحضار أنواع جديدة منها من إسبانيا وتربيتها بهدف توفير الصوف اللازم لصناعة المنسوجات.[٤٩٨]

كانت الماعز (الغنم السمرا) تربى في مناطق التلال المرتفعة بمحيط صفد وعكا وطبرية[٤٩٩] وفي الأودية بالقرب من كفر كنا،[٥٠٠] بينما كانت النعاج (الغنم البيضا) تربى في المناطق السهلية المنخفضة لأن أعشاب التلال لا تلائمها لخشونتها، وتخرّب صوفها.[٥٠١]

كما كانت النعاج والماعز تربى في معظم القرى، مثل قنير[٥٠٢] وصبارين[٥٠٣]

(٤٩٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٣، ن ١٥٣، ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م.

(٤٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٢٢، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ١٧ آب (أغسطس) ١٩٠٤م.

(٤٩٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٢٩، ن ١٤٢، ٣٠ صفر ١٢٩٠هـ/ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٨٧٣م.

(٤٩٦) Burckhardt, *op.cit.*, p. 333.

(٤٩٧) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٥هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

(٤٩٨) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٤٩٩) *Hand Book*, pp. 509, 548.

(٥٠٠) Ridgaway, *op.cit.*, p. 577.

(٥٠١) *Hand Book*, p. 509.

(٥٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٠، ن ٢٣٠، ١ صفر ١٣١٢هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٨٩٤م.

(٥٠٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣، ٤، ن ٧٠٨، ١٣ شوال ١٣٣١هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

والسنديانة[٥٠٤] وبريكة[٥٠٥] وأم العلق.[٥٠٦] ونجد في أحد السجلات عند حسن بن عطية المزارع من جبع ٧٥ رأس ماعز.[٥٠٧] وعند عبد الله ابن الحاج محمد اليونس من عرعرة ٢٥ رأس غنم بيضا وسمرا.[٥٠٨]

ويوضح الجدول التالي عدد رؤوس الأغنام (النعاج والماعز) سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م موزعة على الأقضية:[٥٠٩]

الجدول رقم ٦ ـ ١١

المنطقة	عكا	حيفا	الناصرة	طبرية	صفد	المجموع
العدد	٤٣,٨١٣	٣٤,٩٧٣	١٦,٢٦٢	١٨,٨٨٣	١٦٠,٩٧٣	٢٧٤,٩٠٤

يتضح من الجدول أن قضاء صفد ضم أكبر عدد من الأغنام ثم تلاه قضاءا عكا وحيفا، بينما تقل الأغنام في قضاءي الناصرة وطبرية إلى أقل من النصف قياساً بالأقضية السابقة.

واهتم السكان في اللواء بتربية الماعز أكثر من اهتمامهم بتربية النعاج (الغنم البيضا). فمن دراسة لعيّنة شملت ١٢ مربياً للأغنام[٥١٠] يتبين أن عدد الماعز بلغ ٢٨٦ رأساً، بينما بلغ عدد النعاج ١١٢ رأساً، وبلغ عدد مربي الأغنام ١٠ أشخاص منهم ٧ أشخاص اقتصروا على تربية الماعز فقط، بينما اقتصر اثنان على تربية النعاج.

(٥٠٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٥هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

(٥٠٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١١، ن ١٧٤، ١٨ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(٥٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٠، ن ١٥، ٤ صفر ١٣٢٥هـ/ ١٩ آذار (مارس) ١٩٠٧م.

(٥٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٨، ٥٩، ن ٣٩، ٥ رمضان ١٣٠٠هـ/ ١٠ تموز (يوليو) ١٨٨٣م.

(٥٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٣، ٤، ن ١٦٤، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م.

(٥٠٩) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٩٤، ٢٦ ربيع الثاني ١٣٠٤هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧م، ص ١.

(٥١٠) أنظر، مثلاً: س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٥، ٦، ن ١٦٥، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٨، ٥٩، ن ٣٩، ٥ رمضان ١٣٠٠هـ/ ١٠ تموز (يوليو) ١٨٨٣م.

ويعزى الاهتمام بتربية الماعز إلى أنها تحتاج إلى مراعٍ أقل من التي تحتاج إليها النعاج. كما أنها أكثر قدرة على تسلق المناطق المرتفعة والتلال، إضافة إلى قدرتها على الاستفادة من الأعشاب الشوكية التي تنمو بكثرة في اللواء.[٥١١]

٣ ـ الخيول والبغال:

وجدت الخيول والبغال في اللواء، ولا سيما في طبرية وصفد وجبل الكرمل، وكانت من الحيوانات المهمة سواء للركوب أو للنقل أو للحراثة، وخصوصاً في المناطق الجبلية المرتفعة.[٥١٢] ولم يقتنِ السكان الخيول والبغال بأعداد كبيرة وإنما بأعداد محدودة لا تزيد على حصان أو اثنين، أو قد يكون للشخص نصف حصان فقط، أو ربع مهرة أو نصفها. فنجد، مثلاً، أن صالح بن أحمد بن صالح الحميد من صبارين يمتلك نصف حصان،[٥١٣] بينما يمتلك الشيخ محمود ابن الشيخ محمود إسلام من قرية الطنطورة ربع مهرة والنصف في مهرة أخرى.[٥١٤]

كما كانت الحمير تقتنى بأعداد محدودة وكذلك الكلاش، وتستخدم إمّا في حراثة الأرض وإمّا في النقل.[٥١٥]

واهتم الفلاحون والبدو على السواء بتربية الإبل (الجمال) التي تستخدم لنقل الأحمال الكبيرة، من وإلى الحقول والبيادر، كما تنقل الأحمال المختلفة إلى المدن.[٥١٦] فيذكر أحد السجلات أنه كان عند ذياب بن سلام الحمدون من عرب الحمدون جملان،[٥١٧] وعند عبد الله بن محمد ابن الشيخ مرعي من

(٥١١) *Hand Book*, p. 509.

(٥١٢) *Ibid.*, pp. 509, 548.

(٥١٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣، ٤، ن ٧٠٨، ١٣ شوال ١٣٣١هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٥١٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٦١، ن ٣٠، ٢٤ رجب ١٣٢١هـ/ ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣م.

(٥١٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٣، ٤، ن ١٦٤، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م؛
س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١١، ن ١٧٤، ١٨ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(٥١٦) Baldensperger, *op.cit.*, p. 131.

(٥١٧) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٣٦، ن ٤٦، ٢٦ صفر ١٣٢٥هـ/ ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

الفريديس ثلاثة جمال.[٥١٨]

ولم تقتصر تربية الحيوانات على نوع واحد بل تنوعت الحيوانات التي اقتناها السكان، في وقت واحد، لتشمل الأبقار والأغنام والخيل والإبل تبعاً للأهداف من تربيتها. فكان الحاج صالح الضميري المخيم بأرض الضمايري يقتني الجواميس والأبقار والغنم السمرا والغنم البيضا والجمال.[٥١٩] وكان حسين بن حسن ابن الحاج محمد الغزاوي من قرية بريكة يقتني الحمير والجمال والبقر والماعز.[٥٢٠] وفي حالات محددة، اقتُصر على اقتناء نوع واحد أو نوعين من الحيوانات، فمثلاً كان محمد ابن الشيخ عبد الغني سلام الطيراوي المتوطن بالطنطورة يربي الأبقار.[٥٢١] أمّا علي الياجوري من عرب السمنية المقيم بأراضي عفارة فكان يربي البقر والإبل،[٥٢٢] بينما كان أحمد بن سلمان من أهالي صبارين يقتني الأغنام فقط.[٥٢٣] واهتم بعض سكان المدن بتربية الحيوانات، فمثلاً كان عند محمد بن خليل بن أحمد الحاج السوسي ٦ أبقار و١٥٠ رأس ماعز.[٥٢٤]

وكان مربو الحيوانات فئتين: فئة تشرف على حيواناتها، وفئة الملاك الذين يمتلكون الحيوانات ولا يربونها بأنفسهم، وإنما يعطونها للفلاحين والبدو لتربيتها في مقابل حصص معينة من منتوجها للطرفين. فمثلاً، كان الحاج عبده ابن الحاج محمد ابن الحاج فرج من حيفا يمتلك عدداً من الحيوانات موزعاً على عدد من الفلاحين والبدو في عدد من القرى على النحو التالي:[٥٢٥]

(٥١٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٢٩، ن ٦٧٦، من دون تاريخ.

(٥١٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٩، ن ٣٣، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٥٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١١، ن ١٧٤، ١٨ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠م.

(٥٢١) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٥٢، ن ٤٤، ٦ شعبان ١٣١٩هـ/ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٥٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٣، ن ٨٥، ٧ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١٨ آذار (مارس) ١٨٩١م.

(٥٢٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٥٤، ن ١٦٥، ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٦هـ/ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م.

(٥٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٧٠، ٧١، ن ٥٨، ٢٦ شوال ١٣١٩هـ/ ٥ شباط (فبراير) ١٩٠٢م.

(٥٢٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٣، ن ١، ٧ صفر ١٣١٠هـ/ ١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢م.

- ٤٧ رأس بقر عند حسين الأدهم من عرب الزبيدات؛
- ٣٣ رأس بقر هجانة عند محمود حجيري من الطيرة؛
- ١٢ رأس غنم عند محمد أبو خليفة؛
- ثلثا فرس عند أحمد إبراهيم من عين غزال.

كما اتخذت تربية بعض الحيوانات شكل الملكية المشتركة، وخصوصاً حيوانات النقل كالحمير والبغال والإبل والخيول. فقد يمتلك شخص ثلث جمل أو نصفه أو ربعه. فمثلاً، كان لإسماعيل الحمدان السهلي من بلد الشيخ ربع كديشة والنصف في كديشة أُخرى.[٥٢٦] أمّا الحاج عبده ابن الحاج فرج من حيفا فكان له ثلثا فرس، ويشترك مع أحمد إبراهيم من عين غزال في الثلث الباقي.[٥٢٧]

ويُظهر الجدول التالي أعداد الثروة الحيوانية في اللواء سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، موزعة بحسب الأنواع:[٥٢٨]

الجدول رقم ٦ ـ ١٢

نوع الحيوان	العدد
الثيران والجواميس	٢١,٤٩٦
الأبقار	١٦,٧٥٢
النعاج	٢٩,٦٩٠
الماعز	٩٦,٤١٢
الإبل	١٢٠١
الخيل والحمير	٦٢٧٢
المجموع	**١٧١,٨٢٣**

يتضح من الجدول أن الماعز من أكثر الحيوانات انتشاراً، ثم تأتي الأبقار والجواميس والنعاج في مرتبة تالية، بينما كانت الإبل أقل الحيوانات انتشاراً.

ويظهر التفاوت الكبير بين هذا الإحصاء الرسمي وبين الإحصاء الذي ذكره فيتال كونت سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٦م والذي أشار إلى أن عدد الحيوانات في اللواء يبلغ نحو ١١١,٢٦٩ رأساً موزعة على النحو التالي:[٥٢٩]

---

(٥٢٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٠، ن ٣٩، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م.

(٥٢٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٣، ن ١، ٧ صفر ١٣١٠هـ/١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢م.

(٥٢٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ٤٣٠.

(٥٢٩) *Hand Book*, pp. 509, 548.

الجدول رقم ٦ ـ ١٣

نوع الحيوان	العدد
الثيران والأبقار	١٠,٠٠٠ رأس
الجواميس	٩٠٠ رأس
الخيول	١٧٠٠ رأس
البغال والحمير	٥٢٠٠ رأس
الأغنام (النعاج + الماعز)	٩٢,٩٠٠ رأس
الإبل	٥٦٩ رأساً
المجموع	**١١١,٢٦٩ رأساً**

ويعود التناقض بين هذين الإحصاءين إلى أن فيتال كونت أدخل في إحصائه مناطق في قضاءي صور ومرجعيون لأنه يعتبرهما من منطقة الجليل، وقد يعود إلى خطأ في الإحصاءين. ففيتال كونت بنى إحصاءه على التقدير والتخمين أو معتمداً على الإحصاءات العثمانية التي تتميز بعدم الدقة، وخصوصاً أن الفلاحين لا يصرحون بالعدد الصحيح من الحيوانات التي يملكونها كي لا يدفعون الضرائب عليها.

بالإضافة إلى هذه الحيوانات، كان السكان في المدن والقرى يربون الدجاج والحمام والبط والوز في بيوتهم أو بالقرب منها.[٥٣٠]

د) العوامل المؤثرة في الزراعة

تأثرت الزراعة بعوامل متعددة أدت إلى ارتفاع الإنتاج الزراعي في بعض السنوات وانخفاضه في سنوات أُخرى. فتأثرت الزراعة سلباً بنمط الملكية الذي كان سائداً أيام العثمانيين، إذ كان معظم الأراضي الزراعية أراضي ميري مشاعاً، بمعنى أن الأرض ملك للدولة، وأُعطي الفلاحون حق الانتفاع بها وزراعتها شرط أن يدفعوا إلى الدولة ضريبة العشر السنوية. وكانت الأراضي الميري توزع، بصورة دورية، على الفلاحين بين فترة وأُخرى، قد تكون كل سنة أو كل عدة سنوات. ولذلك لم يزرع الفلاحون القطعة نفسها من الأرض سنوياً، وإنما كانوا يتنقلون من

---

(٥٣٠) زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥؛

Bladensperger, *op.cit.*, pp. 362 - 363; Theodore Larson, «Mat Makers of Huleh,» *PEF*, 1936, p. 225.

قطعة إلى أُخرى فيزرع الفلاح، بصورة دورية، معظم أراضي القرية.[٥٣١]

كان هذا النمط من الملكية المشاع من أسباب تخلف الزراعة وقلة إنتاجها لأنه لم يشجع الفلاحين على القيام بالتحسينات المختلفة التي تحتاج إليها الأرض، سواء تسميدها أو تصليحها أو إزالة حجارتها وأعشابها، لأنهم قد لا يزرعونها في السنوات المقبلة فيذهب جهدهم إلى غيرهم إذا قاموا بالعمل، الأمر الذي أدى إلى إهمال الأرض وتدني خصوبتها وقلة إنتاجها. ففي ظل نظام الأراضي المشاع يضعف الحافز الشخصي على البذل والعطاء وزيادة الإنتاج.[٥٣٢]

كما أدى تكوّن الملكيات الكبيرة إلى النتيجة السابقة نفسها، وهي انتفاء الحافز الشخصي عند الفلاحين على العناية بالأرض وتصليحها وتسميدها لزيادة خصوبتها لأنهم يدركون أن جهدهم في ذلك سيذهب إلى مالك الأرض. كما أن النمط المتبع في زراعة أشجار الزيتون وملكيتها أعاق عملية التطور الزراعي في اللواء وحدّ من إمكان زيادة الإنتاج الزراعي. ففي الغالب، كانت أشجار الزيتون ملكاً لشخص والأرض المزروعة ملكاً لشخص آخر. فنجد، مثلاً، أن سليمان بن داود بن سليمان بن حجير من الطيرة باع ٢٤ شجرة زيتون من نوع الملك الصرف، من دون الأرض، إلى صموئيل بن هرمن الألماني من حيفا بمبلغ ٢٠٠ قرش.[٥٣٣]

وهذا ما كان يحدث خلافات بين المالكين في شأن العناية بالأرض عناية ملائمة لنمو الأشجار، لأن عناية كل مالك تعني استفادة الطرف الآخر.[٥٣٤] وفي حالات أُخرى تكون الأشجار مقسمة إلى حصص معينة والمالك لا يعرف تحديداً الأشجار التي تخصه. فكان محمد أفندي الكعكي، التاجر البيروتي والمقيم بحيفا، يملك حصصاً في عدد من الكروم في قرية إجزم، كانت تحتوي على ٢٧٥ شجرة زيتون.[٥٣٥] كما أن إبراهيم منصور، من تجار حيفا، كان له حصص في ١٦ كرم زيتون تحتوي على ١٠٠٨ أشجار زيتون.[٥٣٦]

(٥٣١) *Hand Book*, pp. 248 - 249.

(٥٣٢) أنظر أعلاه، ص ٣٠٧ ـ ٣٢٥.

(٥٣٣) س ح، ش ١٤١، س ٤، من دون صفحة، ن ٦٩، ١٩ رجب ١٣٢٠هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٢م.

(٥٣٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٠، من دون نمرة، ١ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٣٠ تموز (يوليو) ١٨٧٠م.

(٥٣٥) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٣٤، ن ٣٧، ٢٣ رجب ١٣١٩هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٥٣٦) س ح، ش ١٤١، س ١، من دون صفحة، ن ٣٢، ٨ صفر ١٣٣٠هـ/ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م.

بالإضافة إلى ذلك، كان بعض الأراضي الزراعية في اللواء أراضي وقفية تعطى لأشخاص يزرعونها في مقابل حصة معينة يأخذونها سنوياً. إلاّ إن هؤلاء المستأجرين كانوا، في الغالب، يهملون الأرض ولا يعتنون بها أو يستغلونها بصورة ملائمة، فكانت تتعرض للخراب والتدمير، بل كانوا يستولون على إنتاجها لأنفسهم الأمر الذي يثير الخلافات بين المستفيدين منها. فمثلاً، اشتكى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ محمود الخطيب، إمام وخطيب جامع النصر في حيفا، ناصر وجريس ابنيْ يعقوب قطران أنهما وضعا أيديهما على قطع الأرض الوقف العائدة لمسجد النصر في حيفا، وأنهما تأخرا عن دفع المبلغ المقرر عليهما ولذلك تراكم عليهما ستة آلاف قرش لمصلحة المسجد.[٥٣٧]

كما أُوقف بعض الأراضي فترات طويلة، الأمر الذي جعل من الصعب تحديدها وإثبات أنها أراضٍ وقفية. فمثلاً، ادعى عبد الله السهلي على محمد البحيري ابن حسين البحيري، من الطيرة والمقيم بحيفا، أنه وضع يده على قطعة الأرض المشتملة على محلات وأشجار من أراضي مزرعة دشمية الواقعة في جبل الكرمل والتي أوقفها جده سهيل السهلي منذ ٤٠٠ عام مع مزرعة المغار المعروفة الآن ببلد الشيخ.[٥٣٨]

تأثرت الزراعة بالظروف المناخية المختلفة كالحرارة والأمطار والرياح. وتختلف كمية الأمطار من سنة إلى أُخرى، كما أنها غير منتظمة السقوط في الموسم الواحد، فقد تسقط بغزارة في أول الموسم وتقل في آخره أو العكس، الأمر الذي يؤثر في الإنتاج الزراعي. كما أن ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها عن المعدل السنوي يؤثر، بصورة كبيرة، في المحاصيل الزراعية فيؤدي إلى تلفها أو نضجها في وقت مبكر وهو ما يؤدي إلى زيادة العرض وانخفاض الأسعار. ففي سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، هطل مطر شديد في عكا فتسبب بأضرار للأهالي الذين لم يخرجوا السمسم من البيادر فجرفته السيول.[٥٣٩] وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ساءت أحوال الزراعة لقلة المطر، ولظهور الفأر وموت الأبقار.[٥٤٠]

(٥٣٧) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٥٩، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(٥٣٨) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٨٩، من دون نمرة، ٨ محرم ١٣٢٠هـ/ ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٠٢م.

(٥٣٩) صحيفة «البشير»، العدد ٩٤٥، ١٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م، ص ٣.

(٥٤٠) المصدر نفسه، العدد ١٦٤٢، ١٢ محرم ١٣٢٢هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٠٤م، ص ٣.

وفي آخر الموسم، هطلت الأمطار بغزارة وترافق ذلك مع شدة الحر فتضرر موسم القطاني بعد أن كان يبشر بمحصول جيد. أمّا الخيار فقد تلف تلفاً كبيراً، حتى أن البعض لم يحصل منه على بارة واحدة.[٥٤١]

وكان تأخر هطول الأمطار يؤدي إلى انخفاض إنتاج المحاصيل الزراعية، فترتفع أسعارها. فكتب مراسل صحيفة «البشير» في شفا عمرو سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م: «يشكو أرباب التجارة وأصحاب الصنائع والفعلة عندنا من وقوف الحال وعدم الحركة في الأشغال ويئن الفقراء من الارتفاع في الأسعار كالقمح والذرة والسكر وما أشبه، أمّا اللحوم فنضرب عنها صفحاً لكوننا لسنا بحاجة إليها في هذه الأيام للصوم المبارك.»[٥٤٢] ويكتب مراسل صحيفة «البشير» في شفا عمرو مرة أُخرى: «أخبرتكم برسالتي السابقة عن ارتفاع بعض الأصناف من الجملة أسعار القمح والذرة، والآن أفيدكم أنه منذ ١١ يوماً كان كيل الحنطة يباع بقيمة تتراوح بين ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٤ غرشاً، أمّا الآن فصارت قيمته ٨٠ قرشاً، وكان سعر كيل الذرة ٥٤ قرشاً والآن ٥٨ قرشاً وعلى ما يظهر فإن هذين الصنفين لا بد لأسعارهما من الارتفاع نظراً لوفرة الطلاب، أمّا السمن فتتراوح أسعاره بين ٣١ ـ ٣٢ قرشاً للرطل والسبب في ذلك أن أكثر أبقار العرب قد ماتت بداء الهدلان[٥٤٣].»[٥٤٤]

وكتبت صحيفة «الاتحاد العثماني» من صفد سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م: «وحبس المطر عن البلاد نحو شهرين ونصف إلاّ في بعض المناطق فإنه كان ينزل رذاذاً فجف الزرع واصفر العشب وارتفع سعر رطل الحنطة عشرين بارة والسمن قرشين إلى ثلاثة وعلى هذه النسبة ارتفعت أسعار الحبوب وغيرها من الحاجات.»[٥٤٥]

---

(٥٤١) المصدر نفسه، العدد ١٦٥١، ١٦ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٥٤٢) المصدر نفسه، العدد ١٦٩٣، ١٤ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٤.

(٥٤٣) داء الهدلان (Renderpest, Cattle Plague) (الطاعون البقري): مرض يصيب الأبقار والجواميس، وهو سريع الانتشار ويبدأ على شكل فترة حضانة تستمر مدة ٣ ـ ٩ أيام يصاب الحيوان خلالها بفقدان الشهية مع ارتفاع الحرارة وازدياد الإفرازات من أنفه وفمه. ومع تطور هذا المرض تصاب الحيوانات بالقرحة والهزال والجفاف، الأمر الذي يؤدي إلى نفوقها. أنظر:

W.B.E., «Cattle Plague,» Vol. 16, p. 318.

(٥٤٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٩٥، ٢٨ محرم ١٣٢٣هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٩٠٥م، ص ٣.

(٥٤٥) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ١٧٢، ٢٥ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م، ص ٣.

وفي أحيان أُخرى شكل المطر كارثة وخطراً لا على المحاصيل الزراعية فقط، بل على المزارعين أنفسهم أيضاً. ففي شتاء سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، هطلت الأمطار بغزارة فتهدم عشرون عقداً على سكانها في قرية تل عدس ملك لطف الله بك سرسق في مرج ابن عامر فأهلك نحو مئة شخص من المحليين والأغراب.[٥٤٦]

وقد عبّرت صحيفة «البشير» سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م عن أثر هطول الأمطار في المحاصيل الزراعية وأسعارها، فقالت: «بينما كان الجميع بهاجس عظيم وخوف من جراء الغلا والضيق الصادرين عن قلة الأمطار وعدم الإقبال بموسم الحبوب في هذه السنة وإذا بغتة هبت العواصف وهطلت الأمطار ولبثت الأمطار تهطل أياماً ولياليَ برمتها وقد تنازلت أسعار الحبوب وسوقها بارد من قلة الطلب والكل قد علل نفسه بالأمل بموسم جيد.»[٥٤٧]

كما تأثرت الزراعة بالأوبئة والأمراض التي أصابت الأشجار والمحاصيل الزراعية فأدت إلى تلفها. فتنقل صحيفة «البشير» عن صحيفة «اللسان»: «يشكو مكتب 'اللسان' في حيفا مما ضربت به أشجار الليمون والبرتقال والكباد بتسلط حيوانات مختلفة تقضم الأغصان وتسعى إلى الأوراق فتمتص منها ماء الحياة ويطلب المكتب ممن يعرف دواءً لقطع دابر هذه الحيوانات أن يقوم بإرساله لكف الضربة عن هذه الأشجار.»[٥٤٨]

وعانى الفلاحون جرّاء الأوبئة والأمراض التي أصابت مواشيهم وعطلت نشاطهم الاقتصادي، إذ كانت سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م سنة سيئة على الفلاحين لارتفاع عدد الأبقار التي أصيبت بداء الهدلان الأمر الذي أدى إلى هلاك عدد كبير منها فارتفعت أسعار السمن وغيره من المنتوجات الحيوانية.[٥٤٩] ووصل عدد الأبقار التي أصيبت بداء الهدلان في قرية البصة إلى ما يزيد على ٦٠٠ رأس،[٥٥٠] وفي قرية المجدل إلى ما يزيد على ١٣٠ رأساً.[٥٥١]

وقد دفع انتشار الأمراض بين الحيوانات بأصحابها إلى ذبحها والاستفادة من

---

(٥٤٦) المصدر نفسه، العدد ١١٤، ١٨ محرم ١٣٢٧هـ/ ٨ شباط (فبراير) ١٩٠٩م، ص ٢؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

(٥٤٧) صحيفة «البشير»، العدد ٤٤٤، ٧ ربيع الأول ١٢٩٦هـ/ ١٤ آذار (مارس) ١٨٧٩م، ص ٢.

(٥٤٨) المصدر نفسه، العدد ٩٢٧، ١٧ شوال ١٣٠٥هـ/ ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٨٨م، ص ٣.

(٥٤٩) المصدر نفسه، العدد ١٦٩٥، ٢٨ محرم ١٣٢٣هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٩٠٥م، ص ٣.

(٥٥٠) المصدر نفسه، العدد ١٦٩٣، ١٤ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٤.

(٥٥١) المصدر نفسه، العدد ١٦٩٢، ٧ محرم ١٣٢٣هـ/ ١٣ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٣.

لحومها قبل إصابتها. فكتب مراسل صحيفة «البشير» من شفا عمرو سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م: «لقد أصبح أصحاب المواشي عندنا في حال ينفطر لها الفؤاد وذلك من داء الهدلان الذي فتك في أبقارهم فتكاً ذريعاً إذ إن منهم أناساً قد ماتت أبقارهم ومنهم من لم يبق له كما يقول المثل الدارج ما يمشي على أربعة، ولقد كثُر في هذه الأيام ذبح الثيران السليمة والعجول الصغيرة وتنازلت أسعار لحومها إلى حد لم نعهد له مثيلاً، ولقد أضحى ثمن الرطل من هذه اللحوم الجيدة يباع بقيمة ٦ قروش وأحياناً ٥ قروش و٤ قروش وعشرين بارة وبيع مرة بثلاثة قروش وكان الكثيرون يشترونه ويرسلونه هدايا إلى أصحابهم في عكا وحيفا والجهات القريبة.»[٥٥٢]

عانت الزراعة جرّاء انتشار الجراد ومهاجمته المحاصيل الزراعية، فمثلاً انتشر الجراد بصورة واسعة سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م،[٥٥٣] وسنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م[٥٥٤] وسنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، فقضى على المحاصيل الصيفية والشتوية.[٥٥٥] وقد أشار أسعد منصور إلى أثر الجراد فقال: «كانت سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م سنة بلايا ومحن شديدة فيها تأخر المطر فجاء الموسم الشتوي رديئاً ولكنه نجا من أنياب الجراد الذي جاء في أواخر الربيع وأوائل الصيف وجرد الأرض من كل خضرة وأفنى الموسم الصيفي غير أن الذرة عادت فأفرخت وأخصبت وقد دخل الزحاف بيوت الناصرة ودكاكينها حتى اضطر أصحابها إلى قفلها وفي الصيف جاء أبو هدلان فأفنى أكثر البقر.»[٥٥٦] وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م انتشر الجراد بصورة واسعة في قرية المغار في قضاء عكا، وفي مختلف مناطق اللواء.[٥٥٧] كما انتشر الجراد في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م وسنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، فأتلف المحاصيل الزراعية المتعددة.[٥٥٨]

كذلك عانى الفلاحون جرّاء انتشار الفأر الذي أجبرهم على جني محاصيلهم قبل أوانها. فكتبت صحيفة «البشير» سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م: «مما زاد حال الفلاحين

(٥٥٢) المصدر نفسه، العدد ١٧٠٥، ١٠ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٥م، ص ٣.
(٥٥٣) أحمد البديري الحلاق، «حوادث دمشق»، ص ٨٩ ـ ٩٢.
(٥٥٤) حنانيا المنير، «الدر المرصوف»، ص ١٠٢.
(٥٥٥) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.
(٥٥٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥. وانظر أيضاً: العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.
(٥٥٧) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥١، ١٦ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٣٠ أيار (مايو) ١٩٠٤م، ص ٢.
(٥٥٨) صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢ ـ ٣٣؛ «المقتطف»، ج ٤٨، ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، ص ١٠٢؛ محمود العابدي، «صفد»، ص ١١٦ ـ ١١٧.

سوءاً سطوة الفأر الموجود بكثرة في الحقول يزاحمهم على قطع سنابل القمح وإتلافه الأمر الذي قضى عليهم أن يحصدوا القمح قبل أوان نضجه تخلصاً من هذا العدو الذي لا يرق ولا يرحم.»[٥٥٩]

وعانى الفلاحون أيضاً جرّاء ارتفاع الضرائب التي كانوا يدفعونها إلى الدولة وملاكي الأرض الذين يؤجرونهم الأراضي في مقابل حصص معينة. فدفع الفلاحون العشر من محاصيلهم للدولة، ثم زادت النسبة إلى ١٢,٥٪ من قيمة الإنتاج، كما كان نظام التقدير والتخمين للمحاصيل الزراعية، ونظام الالتزام في جمع الضرائب من العوامل التي عرقلت تقدم الزراعة وأجبرت المزارعين على تركها، لأن الزراعة أصبحت غير مجدية بالنسبة إليهم، إذ كان الملتزمون يجمعون مبالغ تفوق المبالغ المقدرة على المزارعين. فذكر أسعد منصور: «كان الفلاحون خاضعين لابتزاز الملتزمين والعشار وجامعي الضرائب الذين كانوا في الغالب يجمعون من الضرائب ما يفوق الحصة المقررة لهم ويجبرون الفلاحين على القيام ببعض الأعمال بالسخرة.»[٥٦٠]

كما دفع الفلاحون المستأجرون نسبة مرتفعة من محاصيلهم إلى ملاك الأراضي، فدفع الذين يعملون في أرض سرسق في مرج ابن عامر إليه ١٠٪ من الإنتاج، ثم رفع النسبة إلى ١٧,٥٪ ثم إلى ٢١٪، وتأخذ الحكومة ١٢,٥٪ فيكون مقدار ما يأخذه مالك الأرض والحكومة ٣٣,٥٪، أي ثلث الإنتاج تقريباً.[٥٦١] لكن هذه النسبة زادت على ذلك، فعندما التزم جورج عيد أراضي عدد من قرى سرسق وبسترس في قضاء حيفا فرض على فلاحي هذه القرى أن يدفعوا إليه ٣٥٪ من الإنتاج ما عدا الأعشار الميري.[٥٦٢]

كذلك أدت زيادة كميات الإنتاج في بعض السنوات إلى زيادة العرض وانخفاض الأسعار الأمر الذي ألحق الضرر بالفلاحين. فكتب مراسل صحيفة «البشير» في عكا سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م: «ويوجد حنطة بكثرة ولا عاد يوجد محلات لوضعها ولا يوجد مشترون بكثرة والحال واقف على كامل الأصناف من كثرة الوارد والأسعار بنزول كلي الآن.»[٥٦٣] وتكتب صحيفة «البشير» مرة أُخرى

(٥٥٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٠٥، ١ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٥م، ص ٤.
(٥٦٠) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨ ـ ٩٩.
(٥٦١) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
(٥٦٢) صحيفة «فلسطين»، العدد ٦٤، ٦ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٩١١م، ص ٢.
(٥٦٣) صحيفة «البشير»، العدد ٢٦٦، ٢ ذو القعدة ١٢٩٢هـ/ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٥م، ص ٢، ٣.

معلقة على زيادة الإنتاج وانخفاض الأسعار سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م: «كان الفلاح المسكين يعلق الآمال بأن حسن جودة موسم البطيخ والشمام يعوض عليه ما لحقه من خسائر بسبب موت أبقاره فجاء الأمر عكس أمانيه وذلك لكون أسعار البطيخ والشمام قد تنازلت إلى ثمن بخس، ففي العام الماضي وما قبله كانت وزرة البطيخ التي قيمتها ستة أرطال تباع بقيمة تتراوح بين ثلاثة ونصف إلى ثلاثة قروش وثلاثين بارة ثم أن رطل الشمام والرطل ١٢ أوقية كان يباع في السنين السالفة بقيمة غرشين ونصف أمّا في الحاضر فيباع الرطل منه بقيمة غرش ثم نزل إلى ثلاثين بارة ثم إلى خمس وعشرين بارة.»(٥٦٤)

كما تأثرت الزراعة بالأوضاع المادية للفلاحين الذين اضطروا إلى الاستدانة من المرابين بضمان أراضيهم، إلاّ إنهم لم يستطيعوا سداد الديون الأمر الذي أجبرهم على بيع أراضيهم لهؤلاء المرابين والعمل في أرضهم أجراء. فذكر أوليفانت أنه شاهد الناس في أم الفحم يجمعون محاصيلهم بينما الإبل تنقل هذه المحاصيل إلى البيادر في القرى. وهناك ترى المرابي جالساً تحت مظلته يراقب الفلاحين كي لا يسلبونه حصته. وهذا هو وقت عمل الطبقة الأرستقراطية التي تبتز الفلاحين وتقدم إليهم الأموال كديون بنسب فادحة، ففقد الفلاحون في سهل حيفا جميع ممتلكاتهم وأصبحوا غير قادرين على الوقوف أمام ابتزاز جامعي الضرائب الحكوميين من ناحية، وربا المرابي وطمعه من ناحية أُخرى.(٥٦٥)

وتحت ضغط الديون أُجبر الفلاحون على بيع أراضيهم لتجار المدن، ثم عملوا أجراء في أراضيهم السابقة.(٥٦٦) وقد أنشأت الدولة العثمانية البنك الزراعي حلاً لمشكلة الديون ولمساعدة الفلاحين وتقديم القروض إليهم. إلاّ إن البنك زاد في المشكلة بدلاً من حلها، لأنه كان يقدم القروض إلى الفلاحين بضمان أراضيهم، وعندما لا يستطيعون سداد الدين يبيع البنك أراضيهم بالمزاد العلني، الأمر الذي يؤدي إلى خسارتهم أراضيهم لمصلحة التجار والمرابين الذين يشترونها.(٥٦٧)

كما تأثرت الزراعة بتجنيد شباب القرى في الجيش، وهذا ما انتزع العناصر

(٥٦٤) المصدر نفسه، العدد ١٧١٧، ١٣ رجب ١٣٢٣هـ/١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٥م، ص ٣.

(٥٦٥) Oliphant, *Haifa*, p. 181؛ وانظر أيضاً: صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٤٦، ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/٤ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ١.

(٥٦٦) أنظر أعلاه، ص ٣٢٦ ـ ٣٣١.

(٥٦٧) أنظر أعلاه، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

المنتجة بين المزارعين. فذكر كوندر: «إن المصيبة التي تحول دون ازدهار الزراعة هي التجنيد الذي يقضي على زهرة شباب القرى.»(٥٦٨) وأدى التجنيد أيضاً إلى ترك الأرض من دون أحد يعمل فيها، فادعى محمد بن عبد الكريم آغا سويلم من حيفا على محمد بن عبد الحميد أنه يستغل أراضي وأموال خالد الغانم من عين غزال الغائب في الخدمة العسكرية.(٥٦٩)

كما أدى استخدام الأساليب الزراعية غير الملائمة إلى انخفاض الإنتاج الزراعي وخسارة الفلاحين لمحاصيلهم. فكتب مراسل صحيفة «البشير» من شفا عمرو سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م: «نضجت المحاصيل الشتوية وشرع الفلاحون بجمع محاصيل أراضيهم من الحنطة والشعير والقطانة وحالتها العمومية في الجودة والخصب ما خلا الشعير فإن العموم يشكون من عدم إقباله في الأراضي الوعر.»(٥٧٠)

وتعلق صحيفة «المقتبس» على ذلك قائلة: «فلو تجولنا بين مَزارع المهاجرين وتأملنا في أحوالهم وآدابهم لما أمكننا أن نجعل شبهاً بينهم وبين المزارعين الذين تربّوا وترعرعوا على الجهل والعوائد القديمة وهم لا يعرفون ولا يفقهون سوى ما تناقلوه عن أجدادهم وآبائهم وما رسخ في عقولهم من تجارب السنين الطوال.»(٥٧١)

كذلك، فإن مهنة الزراعة لم تكن من المهن المرغوب فيها حتى من الفلاحين أنفسهم. ولذلك لم يقبل بعض الفلاحين على العمل بجد ونشاط فانخفض الإنتاج الزراعي بصورة عامة، فيذكر الأب أنطون رباط اليسوعي: «إن الزيتون هو أهم محاصيل شفا عمرو، ولكن يؤخذ على الملاكين أنهم لا يسهرون على تجديد ما هرم من زيتونهم ونخر السوس ساقه فأشرف على التلف، وقد يمنعهم عن ذلك ما قيل صعوبة حفظ الغرس الناشىء الضئيل من عبث المارين وفتك القطعان به وقد يكون لهذا التهاون أسباب أُخرى أهمها تكاسل الإنسان عن الاهتمام بما لا يأمل منه المنفعة القريبة، فالزيتون لا بد له من سنين لينمو ويثمر والإنسان كثيراً ما ينسى قول من قال ‹زرعوا فأكلنا وزرعنا فيأكلون›.»(٥٧٢)

(٥٦٨) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 266.

(٥٦٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، من دون صفحة، ن ٤٣، ٢٣ شوال ١٣٠٥هـ/٢ تموز (يوليو) ١٨٨٨م.

(٥٧٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٨٦٠، ١ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/٣١ أيار (مايو) ١٩٠٨م، ص ٣.

(٥٧١) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٤٦، ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/٤ نيسان (أبريل) ١٩١٢م، ص ١.

(٥٧٢) رباط اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣٦.

وكتب صاحب صحيفة «الكرمل»: «من أغرب الأمور أن أهالي لوبيا يتلهون بالقيل والقال عن غرس الأشجار مع أنه في إمكانهم أن يزرعوا أراضيهم بأشجار الزيتون.»[٥٧٣]

وقد كان الاهتمام بالأشجار والزراعة وبذل الجهد وتحسين الأرض تعطي نتائج حسنة. وقد تحدث محمد كرد علي عن زيارته قرية ياجور فقال: «مررت بأرض ياجور فرأيتها عامرة أكثر من غيرها من القرى فسألت عن صاحبها فقيل لي إنه غني من أهل عكا اسمه فؤاد السعد فقلت سبحان الله أبت الدراهم إلاّ أن تخرج أعناقها، هذا الرجل ينفق نعمة غناه في إصلاح التربة والغراس والفقير في جواره بكسله وقلة وسائطه يكاد لا يجد سداداً من عوز ويعيش عيشة القلة.»[٥٧٤]

وتأثرت الزراعة سلباً بانتشار القبائل البدوية في اللواء والمناطق المجاورة، إذ كانوا يهاجمون القرى الزراعية ويستولون على محاصيل الفلاحين ومواشيهم، ويطلقون مواشيهم لترعى في أراضي القرى المزروعة. وقد أغارت قبائل بدوية (لم يحددها المصدر) من شرق الأردن على قرية لوبيا، فقتلت وجرحت عدداً من سكانها، واستولت على مواشيهم.[٥٧٥] وكانت قبيلة الصبيح التي تقيم بالمناطق القريبة من قرية لوبيا تهاجم باستمرار هذه القرية.[٥٧٦]

وفي سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، هاجم عرب الصبيح رعيان قرية صفورية في قضاء الناصرة، فأخذوا منهم ١٥٠ رأس بقر.[٥٧٧] وكانت قرى شريعة العدسية وباب البويري ووادي الفجاس الواقعة في الغور قرب طبرية منسية من الحكومة والقائمين عليها من عرب الخوالد والفحيلي والجبور من بني صخر. وكان هؤلاء يعترضون السابلة ويتقاضون من القرى خراجاً أو ما يسمونه الخوة.[٥٧٨]

كما فرض بعض القبائل البدوية سيطرته على سهل مرج ابن عامر حتى منتصف القرن التاسع عشر. إلاّ إن سيطرة هذه القبائل انحسرت، بالتدريج، بعد

(٥٧٣) صحيفة «الكرمل»، السنة التاسعة، العدد ٨٥٧، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/ ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢م، ص ٣.

(٥٧٤) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٥٧٥) Dunning, *op.cit.*, p. 136.

(٥٧٦) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 273.

(٥٧٧) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٨٠، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م، ص ٢.

(٥٧٨) صحيفة «المقتبس»، العدد ٥٥٢، ٨ ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠م، ص ١.

ازدياد قوة الدولة في المنطقة. وأحد مظاهر ذلك كان القضاء على عقيلة آغا، زعيم قبيلة الهنادي، سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م.[٥٧٩] كما أن ظهور كبار الملاك من أصحاب النفوذ والثروة وشراءهم مساحة كبيرة من السهل قد حدّا من حركة القبائل فيه. فكتب أوليفانت سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م: «القراء سيدهشون عندما يقرأون أن كل إكر (٤٠٠٠ متر) في سهل مرج ابن عامر مزروع بشكل جيد في هذه اللحظة وبأسلوب متطور، وأصبح من الأمان أن تسير فيه من دون سلاح في الاتجاهات كافة. وأستطيع أن أشهد أن البدو القليلين الذين يعيشون غير بعيد عن القرى التي تتعرض للسلب والنهب، والمعروفين بأصحاب الخيام السود، أصبحوا الآن محصورين في الطرف الجنوبي لسهل مرج ابن عامر.»[٥٨٠]

ويذكر أوليفانت، مرة أخرى، «أن البدو دُفعوا، بالتدريج، إلى شرقي نهر الأردن وأصبحوا قليلين ولا يشاهدون في المناطق المستقرة والمزدهرة.»[٥٨١] ويقصد بهؤلاء البدو بني صقر الذين ادّعوا نوعاً من الحماية على سهل مرج ابن عامر، وقد قلّت هجماتهم على السهل بعد أن انتقلوا إلى المناطق المحيطة ببيسان ووادي الأردن.[٥٨٢]

وتأثرت الزراعة، وخصوصاً زراعة الحبوب والقطن، بالطلب من الأسواق الخارجية، فأدت زيادة الطلب على بعض المحاصيل إلى زيادة زراعته وقلة الطلب على محصول آخر إلى انحسار زراعته. وبرز ذلك واضحاً في زراعة القطن التي ازدهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وصُدر معظم القطن المنتج إلى الدول الأوروبية. إلاّ إن زراعته تدهورت لقلة الطلب الأوروبي بعد استيراد القطن من الولايات المتحدة الأميركية. فذكر داولنغ سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م: «منذ أربعين عاماً كان السهل العظيم (سهل عكا) شمالي حيفا بين نهري المقطع والنعامين مزروعاً بالقطن، إلاّ إن المزارعين كانوا غير قادرين على منافسة حقول القطن في الولايات المتحدة إذ كانت تعوزهم القدرة على استعمال الطرق الحديثة في الزراعة.»[٥٨٣] وعللت صحيفة «البشير» تدهور تجارة عكا سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م فقالت: «التجارة هنا في كساد وقد انحطت عما كانت عليه قبلاً لأن

(٥٧٩) أنظر أعلاه، ص ٣٧ - ٣٩.

(٥٨٠) Oliphant, *Haifa*, p. 59.

(٥٨١) *Ibid.*, p. 62.

(٥٨٢) *Ibid.*, pp. 328-330.

(٥٨٣) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 164; Archdeacon Dowling, «Haifa,» *PEF*, 1917, p. 189.

أهمها قائم بالحبوب وقد عدلت المراكب الأوروبية أن تأتي عكا لأن الحنطة في بعض جهات أوروبا تباع بأبخس مما تباع في عكا وإذا احتاج أهلها إلى القمح اجتلبوه من أميركا فيصلهم أرخص من حنطة عكا التي هي الآن رخيصة وإذا لم تطلب للخارج تبقى إلى السنة القادمة.»[٥٨٤]

كما أدت زيادة الطلب الأوروبي على المحاصيل المحلية إلى ارتفاع أسعارها، فكتب مراسل صحيفة «البشير» من عكا سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م: «نفيد حضرتكم أنه من مدة شهر تصاعدت أسعار الغلة بعكا وبيعت كيلة الحنطة بخمسين قرشاً والذرة بخمسة وثلاثين قرشاً وحيث بطل الطلب إلى يافا بهذه الجمعة تنازلت الأسعار جداً فتباع الآن كيلة الحنطة من ٣٢ـ٣٥ والذرة من ٢٠ـ٢٢ وفي الناصرة غلال كثيرة وافرة لم يرض أصحابها أن يبيعوا الكيلة منها بخمسين قرشاً والآن ليس من يبتاعها بأبخس ثمن وغلال هذه السنة على ما يقال بغاية الإقبال لم ير لها مثيل من عدة سنوات.»[٥٨٥]

ويلخص أسعد منصور المشكلات التي تواجه الفلاحين وتعرقل الزراعة وتؤدي إلى انخفاض الإنتاج الزراعي وفقر الفلاحين وتدني مستوى معيشتهم، فيقول عن أوضاع الفلاحين الاقتصادية سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م: «ابتدأ الجوع والضيق من تشرين الثاني [نوفمبر] سنة ١٨٧٠م في القرى الكبيرة والمراكز وامتنع التجار عن تسليم الفلاحين بسبب حرب أواسط أوروبا ومما زاد البلاء سماح الدولة بدخول عربان البادية إلى هذه البلاد فرعت مواشيهم فضلة الجراد واشتروا هم غلال البلاد فضلاً عن التشليح والخطف وقطع الطرق ثم طردتهم الحكومة ولكن بعد فوات الوقت ونفاد القوت فارتفعت أسعاره ارتفاعاً فاحشاً لم يعهد له مثيل كيل الحنطة من ٥٠ غرشاً إلى ١٢٠ نقداً و١٨٩ إلى ٢٠٠ ديناً والذرة من ٣٠ إلى ١٢٠ نقداً و١٩٠ ديناً وهذا الدين إلى سبعة أشهر فقط والسمن من ٢٩ إلى ٣٣ والسكر من ١٤ إلى ٢٤ وباع بعض أهالي جبل عجلون بناتهم من ٥٠ إلى ٦٠ مد حنطة البنت.»[٥٨٦]

ويقول أسعد منصور مرة أُخرى «... هذا فضلاً عن الضربات البشرية كاللصوص في الفريك والحصاد والبيدر والعشارين الذين تضمنهم الحكومة حصتها

(٥٨٤) صحيفة «البشير»، العدد ٩٤٥، ١٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م، ص ٣.

(٥٨٥) المصدر نفسه، العدد ٣٩٧، ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٥هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٨٧٨م، ص ٣.

(٥٨٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

وتطلق يدهم في الاستبداد. والمرابين الذين لجهل الفلاح وضعفه يمتصون البقية الباقية. أمّا الضربات الطبيعية فهي قلة المطر فتجف المزروعات. أو كثرته فتغرق أو تشرق. والفار والجراد والدود والمن واللفح والوباء البقري (أبو هدلان) كل هذه جعلت الفلاح في حالة الفقر المدقع.»[٥٨٧]

وقد أدت كل هذه العوامل المتعددة إلى تدهور الأوضاع المالية والمعيشية للفلاحين، لأن الإيرادات من الزراعة لم تكن كافية لتغطية نفقات المعيشة اليومية فلجأ المزارعون إلى الاستدانة من الأغنياء لتوفير الأموال اللازمة لسد حاجاتهم الأساسية، وهذا يفسر ارتفاع حجم الديون التي وقع فيها الفلاحون سواء في المدن أو في القرى. فمثلاً، اقترض سكان قرية الطيرة نحو ٨٨,٦٥٤ قرشاً من البنك الزراعي، واستدانوا ٢٥٧,٥٠٠ قرش من بيترو أبيلا القنصل الإنكليزي في حيفا، واقترض سكان قرية عرعرة مبلغ ٢٧٣,٨٧٢ قرشاً من البنك الزراعي في حيفا وبلغ مجموع ما استدانته ٣١ قرية في قضاء حيفا بالإضافة إلى حيفا نفسها مبلغ ١٩,٢٨٤,٣٧٣ قرشاً.[٥٨٨] وهذا مبلغ كبير جداً في تلك الفترة، ويؤكد أن الفلاحين كانوا في حالة عجز مالي دائم، وأن عائداتهم من الزراعة لم تكن كافية لتغطية نفقات معيشتهم اليومية الأمر الذي دفع الكثيرين إلى بيع أراضيهم أو رهنها لتجار المدن لتوفير الأموال اللازمة لنفقاتهم اليومية.

(٥٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٥٨٨) سجل رقم ٣، زراعة بانقة، ص ١ ـ ١٠٠؛

س ح، ش ١٤١، س ٢٦، من دون صفحة، ن ٥٠٠، ٨ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م؛

س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٥٩، ن ١٢٢، ١٨ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٠١م.

الفصل السابع
الصناعة والتجارة والموارد المالية

أولاً: الصناعة

أ) معاصر الزيتون

وجدت المعاصر في معظم المدن والقرى في اللواء لانتشار زراعة الزيتون فيه بصورة كبيرة. فنجد في حيفا المعصرة الواقعة في حارة الدير العائدة لراشد ومحمد علي،[١] والمعصرة الواقعة في باطن حيفا العائدة لأسعد صندوقة ابن موسى صندوقة من تجار حيفا.[٢] وأشارت حجة أُخرى إلى أن أسعد صندوقة اشترى حصة عباس محمود البحري في المعصرة الواقعة في حيفا، لكن السجلات لم تحدد موقعها في المدينة.[٣]

كما وجدت المعاصر في القرى، حتى أنه وجد في بعضها أكثر من معصرة، واعتمد ذلك على مدى انتشار زراعة الزيتون. فمثلاً، وجد في الطيرة عدة معاصر نتيجة انتشار زراعة الزيتون.[٤] فكان للشيخ أحمد بن إبراهيم الحلبي كامل المعصرة المعروفة بالمعصرة الحديثة.[٥] وعُرفت المعاصر في الطيرة بأسماء

---

(١) باع راشد ومحمد علي هذه المعصرة لخليل الحكيم من تجار حيفا بمبلغ ١٥٠ قرشاً، ومن المعروف أن خليل كان له أراض مزروعة بالزيتون في كل من حيفا والطيرة. أنظر:
س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٧٢، من دون نمرة، ٢٠ جمادى الثانية ١٢٨٨هـ/٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٧١م.

(٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٩، ن ١٣٩، جمادى الأولى ١٢٩٠هـ/تموز (يوليو) ١٨٧٣م.

(٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٤٤، من دون نمرة، ٥ شعبان ١٢٨٧هـ/٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٠م.

(٤) حسين روحي الخالدي، «المختصر»، ص ٤٤٦
Hand Book, p. 547.

(٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٦٩٦، ٧ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/٣ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

أصحابها كمعصرة عثمان السعدي،[٦] ومعصرة دار علوة،[٧] ومعصرة خليل بن عيسى الزبن وأخيه عبد الله،[٨] أو بأسماء الأماكن التي توجد فيها كمعصرة المفازة.[٩]

وقد تنوعت الأدوات والآلات المستخدمة في هذه المعاصر. فاستُخدم في بعضها الأدوات القديمة مثل الحجر والفرشة والمدرسة وخشبة اللولب والقفاف الزيتية والمكابس التي ترفع بالأيدي،[١٠] واستُخدم في بعضها الآخر الآلات الحديثة. فمثلاً، أقام الألمان في حيفا معصرة استُوردت من بريطانيا.[١١] وكان لفؤاد السعد من حيفا معصرتان على الطريقة الأوروبية في قريتي الرامة والمغار.[١٢] وأشارت السجلات إلى المعصرة المشتملة على ماكنة إفرنجية لعصر الزيت ويمتلكها أحمد بن عبد الله ابن الشيخ إبراهيم الحلبي.[١٣]

كانت المعاصر إمّا ملكاً لشخص واحد، وإمّا مشتركة الملكية بين عدد من الملاك على أساس حصص معينة لكل منهم. فكانت المعصرة الموجودة في حيفا بالقرب من البوابة الغربية موزعة بين كل من عيسى الشالجي وعيسى آغا النجمي وذيب منصور من حيفا،[١٤] وتتلاءم حصة كل مالك من إنتاج المعصرة بنسبة مساهمته المالية فيها. وفي الغالب، كانت هذه المعاصر تتقاضى جزءاً من الزيت المنتج. فمثلاً، كان حاصل إنتاج معصرة خليل بن عيسى الزبن من الطيرة ٦٠ كيلة زيت.[١٥]

وقد اشترى تجار حيفا معظم المعاصر في حيفا وقراها. فمثلاً، اشترى أسعد

---

(٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٢، ن ٤٤، ١١ شعبان ١٢٩٠هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٣م.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٩٥ ـ ١٩٨، من دون نمرة، من دون تاريخ.

(٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٢، ن ٤٤، ١١ شعبان ١٢٩٠هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٣م.

(١٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٤، ن ٨٤، ٦ محرم ١٢٩١هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٤م؛ عبد الصمد الحاج يوسف أبو راشد، «طيرة الكرمل»، ص ٧٢.

(١١) Claude Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 308.

(١٢) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١، ٢.

(١٣) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٦٩٦، ٧ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

(١٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٤، ن ٨٤، ٦ محرم ١٢٩١هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٤م.

(١٥) س ح، ش ١٤١، س ٨، حجج ودعاوى، ص ١٩٥ ـ ١٩٨، من دون تاريخ.

صندوقة معصرتين في حيفا.[١٦] وفي حجة أُخرى أن إبراهيم كوهين الإسرائيلي، من حيفا، اشترى ثمانية قراريط في معصرة المفازة في الطيرة من عبد الله السلمان،[١٧] كما ضمن قيراطين ونصف قيراط حصة أسعد بن محمود الدرباس في معصرة عثمان السعدي في الطيرة.[١٨] في حين اشترى حنا جدعون ابن إبراهيم من حيفا ثلاثة قراريط من حسن بن محمد علوة في المعصرة المعروفة بمعصرة دار علوة في الطيرة.[١٩]

ب) المطاحن

كانت المطاحن نوعين: المطاحن اليدوية (الطاحونة)، ولا يكاد يخلو بيت من البيوت الريفية من طاحونة ذات حجرين من حجار الرحى تدار باليد وتسد الحاجة عند الضرورة؛[٢٠] المطاحن الآلية التي انتشرت في معظم المدن والقرى، مثل طاحونتي النطالة وأبي النور في النطالة،[٢١] وطواحين الراهب والدروز بالقرب من شفا عمرو،[٢٢] والطاحونة الواقعة في عين الطابغة على ساحل بحيرة طبرية،[٢٣] والطاحونة العائدة لكل من عبداه وشبلي التلحمي من عسفيا، والطاحونة الواقعة في قرية قيرة في قضاء حيفا والعائدة لكل من محمد الحاج ابن عمر الأيوب من الطنطورة وحسن آغا ابن صالح الماضي من إجزم،[٢٤] وطاحونة اللجون المملوكة من حسن آغا الماضي من إجزم ومصطفى بن محسن

---

(١٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٤، ن ٨٤، ٦ محرم ١٢٩١هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٤م.

(١٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨٥، ن ١٤٦، ١ رمضان ١٢٨٨هـ/ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧١م.

(١٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٣، ن ٢١٥، ٢٩ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(١٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٢، ن ٤٤، ١١ شعبان ١٢٩٠هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٣م.

(٢٠) Frances Newton, *Fifty*, p. 49; ليلى الصباغ، «الفعاليات الاقتصادية»، ص ٢٨٠.

(٢١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤٤، ن ٧٦١، ٧ شعبان ١٣٣٢هـ/ ٦ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٦، ن ٢٤١، ٥ رجب ١٣٠٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٢٣) John L. Burckhardt, *Travels*, p. 318.

(٢٤) س ح، ش ١٤١، س ٨٨، من دون صفحة، ن ٢٤٦، ٥ رجب ١٣٠٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

من أم الفحم.[٢٥] كما وجدت طواحين أُخرى في قرى العبيدية وأبو شوشة وأم جوني في قضاء طبرية.[٢٦]

واشتهر بين الطواحين في اللواء، طواحين النهر، والنعيمة في قضاء عكا، وهي ست طواحين: الريس والمطروق والمفشوخ وأم قنطرة وأم جميز وأم مجدبة ملك نجيب وإيدي ابني يوسف بن منصور سرسق البيروتي.[٢٧]

وكانت هذه الطواحين تعمل بالبخار والرياح والبغال والنفط والماء. وقد أقيم معظم الطواحين التي تعمل بالماء بالقرب من مجاري الأنهار والجداول المائية. وحتى بالقرب من عيون الماء. فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م أن ضائقة شديدة ألمت بالعسكر والأهالي جراء عدم وجود الفحم والطحين لأن الأنهار طافت على الطواحين الخارجية.[٢٨] كما كان في البقيعة عين ماء تحرك طاحونتين.[٢٩] وإضافة إلى الطواحين المائية، وُجدت الطواحين البخارية في حيفا وفي كل من جبع والطيرة. ووجدت طاحونة مائية في الشلالة الغربية، وطاحونة ذات رافعة تحركها البغال وتعرف بطاحونة البغال في دالية الكرمل وأُخرى في عسفيا.[٣٠] كما أنشأ الألمان ثلاث طواحين في حيفا: طاحونة هوائية وطاحونتين بخاريتين.[٣١] وكان في الناصرة ثلاث طواحين تعمل بالبخار والنفط قادرة، مجتمعة، على طحن ٤٠٠ ـ ٥٠٠ كيس من القمح يومياً، ومنها المطحنة العائدة للخواجة عيسى بن يوسف وبشراكة أولاد الكردوش.[٣٢]

---

(٢٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٥٧، ن ٥٦، شوال ١٢٩٠هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٢٦) Claude Conder & H.H. Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 362.

(٢٧) وقد بيعت هذه الطواحين والأرض التي عليها الطواحين لمحمد أفندي العفيفية من أثرياء عكا بمبلغ ٤٠,٠٠٠ قرش. أنظر:
س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١٠٥ ـ ١٠٧، ن ٧، ٢٤ شعبان ١٣٢٧هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م.

(٢٨) صحيفة «البشير»، العدد ٣٣٧، ٩ صفر ١٢٩٤هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ص ٣.

(٢٩) فرديناند توتل اليسوعي، «رحلة رسولية»، «المشرق»، المجلد ٢١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص ٧٤١.

(٣٠) Henry B. Ridgaway, *The Lords Land,* p. 598.

(٣١) بطرس البستاني، «دائرة المعارف»، «حيفا»، ج ٢، ص ٢٧٨؛
Conder, *Tent Works,* Vol. 2, p. 308; Ridgaway, *op.cit.,* p. 598.

(٣٢) نقولا زيادة، «أيامي»، ج ١، ص ٣٥؛
Hand Book, p. 546; Schumacher, «Nazareth,» *ZDPV,* Vol. XIII, 1890, p. 244;
س ح، ش ١٤١، س ٨٤، ن ١٣٧، ٢٣ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

تنوعت الآلات والأدوات المستخدمة في هذه المطاحن، فاستُخدم في بعضها الحجارة لطحن الحبوب، واحتوت طاحونة اللجون على حجر واحد،[٣٣] وطاحونة قرية قيرة على حجرين،[٣٤] بينما استُخدم في مطاحن أُخرى الآلات (الماكنات) الحديثة. فيذكر السجل الشرعي، مثلاً، أن محمد البشير من حيفا كان يمتلك مع الخواجة جانيت حصة في طاحونة النطالة والماكنة المعروفة فيها والتي تغني شهرتها عن التحديد والبيان.[٣٥]

وتشابهت المطاحن والمعاصر في أنها كانت ملكاً لشخص أو مشتركة الملكية. كما اتجه تجار بيروت وملاكها لشراء المطاحن في اللواء. فتذكر إحدى الحجج أن خليل المدور من بيروت اشترى الربع وقدره ستة قراريط في طواحين النطالة، شراكة مع محمد البشير.[٣٦]

ويبين الجدول التالي عدد المطاحن في اللواء سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م:[٣٧]

الجدول رقم ٧ ـ ١

المدينة	العدد
الناصرة	١٠
حيفا	١٠
عكا	٧
صفد	١٥
طبرية	ـ
المجموع	٤٢

وقد عُرف من يعمل في هذه المطاحن بالطحان. فأشارت السجلات إلى

---

(٣٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٥، ن ٦٦، شوال ١٢٩٠هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٣م.

(٣٤) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٨، ن ٢٢٥، ٥ رجب ١٣٠٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٨٨٩م.

(٣٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٣٣، ن ١٥٥، ٨ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٨٧٣م.

(٣٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١١٤، من دون نمرة، ٢٥ جمادى الثانية ١٢٨٩هـ/ ٢٩ آب (أغسطس) ١٨٧٢م.

(٣٧) ألكسندر شولش، «تحولات جذرية»، ص ١٤٤.

حسن ابن الحاج أحمد الطحان،[٣٨] وإلى شعبان بن أحمد الطحان.[٣٩]

ج) الصناعات الغذائية

كانت عملية الخَبْز تتم في الأفران أو في الطوابين. وقد أقيمت الأفران في المدن، فأشارت السجلات إلى فرن البليك في حيفا،[٤٠] وإلى فرن الطويل في الناصرة.[٤١] وقد يشترك اثنان في إقامة الفرن والعمل فيه، فأشارت إحدى الحجج إلى أن يوسف بن أحمد بن أسعد عزوقة اشترى نصف الفرن حصة عبد الرزاق بن سعيد الشامية في الفرن الواقع في الجهة الغربية من حيفا.[٤٢] وفي حجة أُخرى أن خليل بن إبراهيم شقبادة الفران ادعى على علي بن محمود برغوت الفران الحيفاوي أن له في ذمته ٣٠٥ قروش باقية من حساب شراكة الخَبْز، و١٦٣ قرشاً ثمن الأحطاب عما خصه في وقت الشراكة.[٤٣] وأشارت السجلات إلى العاملين في هذه المهنة، فذكرت سليم بن أحمد أبو طه الفران.[٤٤] وأشارت حجة أُخرى إلى خليل بن إبراهيم شقبادة الفران وشريكه علي بن محمود برغوت الفران الحيفاوي.[٤٥]

أمّا الطوابين فقد وجدت في القرى خاصة، فتشير إحدى الحجج إلى أن إبراهيم الخليل من عسفيا اشترى الدار والطابون التي بالقرب منها بمبلغ ٩٠٠ قرش.[٤٦] كما أشارت السجلات إلى دار أحمد بن عيسى الجبرين في قرية عين غزال المحتوية على بيتين وخشة ورواق وطابون مسقوفة بالخشب.[٤٧] وربما

(٣٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠١، ن ٦٩، ٢ محرم ١٣١١هـ/ ١٦ تموز (يوليو) ١٨٩٣م.
(٣٩) س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ١٠، ن ٣، ١٠ رجب ١٣٣٧هـ/ ١١ نيسان (أبريل) ١٩١٨م.
(٤٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٩، ن ٢٥٠، ٣٠ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٨ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.
(٤١) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥.
(٤٢) س ح، سجلات ضبط الدعاوى، ص ٦، ٢٠ ذو القعدة ١٣٠٧هـ/ ٨ تموز (يوليو) ١٨٩٠م.
(٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢١٠، ن ٢٦٢، ٢٣ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.
(٤٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٢٩، من دون نمرة، ١٨ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ/ ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٠٤م.
(٤٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢١٠، ن ٢٦٢، ٢٣ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.
(٤٦) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣١، ن ٢٦٢، من دون تاريخ.
(٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٤، ن ٨٧، ٨ رجب ١٣٠٨هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٨٩١م.

يكون الطابون مشتركاً بين عائلتين أو ثلاث عائلات.[٤٨]

انتشرت في اللواء صناعات غذائية أُخرى كصناعة الجبن. فمثلاً اشتهرت عكا وحيفا بصناعة الجبن العكاوي الذي كان يصدّر إلى صيدا وبيروت.[٤٩] كذلك اشتهرت القبائل البدوية التي تقيم بسهل تربيخا شمالي اللواء بعمل الجبن،[٥٠] بينما كان الفلاحون والبدو في محيط شفا عمرو يعملون السمن من حليب أبقارهم وأغنامهم.[٥١]

وبرع السكان في صناعة الدبس في بيوتهم،[٥٢] فاشتهرت قرية عين حوض بعمل الدبس والرب من الخروب، كما كان الدبس يصنع من الصبّار والقرع.[٥٣] وكان سكان المدن والقرى، على السواء، يصنعون الزبيب والملبن والمربى من العنب، وكذلك جفف السكان التين وعملوا منه القطين.[٥٤] وعُرف من الصناعات الغذائية الأُخرى في اللواء صناعة الحلاوة من السكر وقشرة حبة السمسم، التي تركزت في صفد،[٥٥] واستخراج الزيت من السمسم،[٥٦] والملح عن طريق التبخير في الأراضي الضحلة بالقرب من الشاطىء وخصوصاً في الملاحة على بعد ٣ كلم جنوبي عتليت، حيث كان الفلاحون يعملون أحواضاً وينقلون ماء البحر إليها ليحصلوا على الملح بعد تبخير الماء.[٥٧]

د) صناعة المنسوجات

تشمل صناعة المنسوجات غزل القطن والصوف ونسج الأقمشة المتعددة والعباءات والبسط والسجاد. وتقوم النساء بصناعة هذه المنسوجات في البيوت.

(٤٨) Philip Baldensperger, «The Immovable East,» *PEF,* 1905, pp. 360, 362.
(٤٩) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٣٨، ١٣ ذو القعدة ١٣٢٤هـ/ ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٦م، ص ٣.
(٥٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* p. 144.
(٥١) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٩٥، ٢٨ محرم ١٣٢٣هـ/ ٤ نيسان (أبريل) ١٩٠٥م، ص ٣؛ المصدر نفسه، العدد ١٦٩٢، ٧ محرم ١٣٢٣هـ/ ١٣ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٣.
(٥٢) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٢؛ أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.
(٥٣) أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧، ٩٩، ١٠٠.
(٥٤) خليل طوطح وحبيب خوري، «فلسطين»، ص ٢.
(٥٥) *Hand Book,* p. 54.
(٥٦) حنا صلاح، «فلسطين»، ص ٣٤.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٥٦؛ *Hand Book,* p. 505.

وكان البدو يصنعون السجاد والبسط ويبيعونها لأهل المدن والقرى. وقد اشتهرت عكا بصناعة المنسوجات الحريرية وجنس الزنار والعبي والمقصب وأنواع السروجية.(٥٨) كما اشتهرت الناصرة بصناعة النسيج، فكان فيها أنوال بعدد أيام السنة، إلاّ إن هذه الصناعة تأخرت مع بداية القرن العشرين، فأصبح فيها نول أو نولان فقط لحياكة الفرش والشراشف. ووجد فيها بعض الآلات الحديثة لحياكة الكلسات (الجوارب).(٥٩)

وبرعت النساء في كفر كنا، قضاء الناصرة، في صناعة المنسوجات القطنية وكن يبعن بضائعهن لزائري الناصرة والمسافرين منها.(٦٠) كما برع سكان صفد في صناعة اللباد.(٦١)

وكان هناك، خلال الحكم المصري لبلاد الشام، محاولات جادة لإقامة مصانع للمنسوجات على النمط الأوروبي. فأنشأ إبراهيم باشا مصنعاً للعباءات في عكا تدار دواليبه بالمياه، وقد أرسلت إليه المدقات والدواليب من مصر. وعيّن علي آغا الداوزلي مديراً له، ونقل إليه الصناع المهرة من جزيرة كريت ومصر.(٦٢) فأشارت الوثائق المصرية إلى إرسال اثنين من معلمي غزل الصوف من الفيوم إلى عكا،(٦٣) إلاّ إن المصنع واجه مشكلة تتمثل في خشونة الصوف في بلاد الشام ولذلك لم يتمكن الصناع فيه من صناعة عباءات شبيهة بتلك التي أرسلت إليهم من مصر.(٦٤)

وحاول اليهود في اللواء إقامة بعض الصناعات النسيجية الحديثة، فأقام الثري

(٥٨) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٠٤، ٥ جمادى الأولى ١٣٠٠هـ/ ١٤ آذار (مارس) ١٨٨٣م، ص ١، ٢.

(٥٩) أسعد منصور، «تاريخ الناصرة»، ص ٢٨٥.

(٦٠) H.W. Dunning, *To-day in Palestine*, p. 144.

(٦١) اللباد: نوع من القماش السميك يصنع من الصوف وشعر الحيوانات ثم يغسل ويمشط ويرتب بكميات بحسب الحجم والسُمك المطلوبين ثم يعرّض لعوامل الترطيب والحرارة والكبس الشديد إمّا بالضغط وإمّا بالدرفلة. واستعمل أغطية للرأس وألبسة ضد البرد وبطانة لسروج الخيل والحصر والبشت التي تفرش على الأرض. أنظر: محمود العابدي، «صفد»، ص ٩٠؛ محمد سعيد القاسمي، «الصناعات الشامية»، ج ٢، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٦٢) أسد رستم، «المحفوظات»، ج ٢، ص ٢٦٣، ٢٩٥، ٣٣٠.

(٦٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٢.

اليهودي روتشيلد مصنعاً للحرير في مستعمرة روش بينا (الجاعونة) اعتماداً على زراعة التوت في مستعمرة يسود همعلا (المنية) في قضاء صفد. لكن هذه الصناعة لم تحقق النجاح المطلوب بسبب النقص في الأيدي العاملة المتخصصة، الأمر الذي أدى إلى إغلاق المصنع سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.(٦٥) ويرتبط بصناعة النسيج مهنة الخياطة، فأشارت السجلات إلى سليم بن حبيب الخياط المسيحي العثماني من حيفا، وإلى يعقوب بن يوسف إسحاق الخياط من حيفا.(٦٦) وعُرف الخياط أحياناً بالترزي، فأشارت السجلات إلى حاييم بن كزرباه الترزي من الطائفة الموسوية في حيفا.(٦٧)

هـ) صناعة الحصر والسلال

توجد صناعة الحصر في المناطق التي تنمو فيها المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة كالمستنقعات الواقعة حول مصب نهر الزرقاء(٦٨) التي تنمو فيها آجام القصب والأسل،(٦٩) وفي المستنقعات الواقعة شمالي بحيرة الحولة. ولذلك اشتهر الغوارنة بصناعة الحصر من نبات البردي الذي ينمو بكثرة حول البحيرة وخصوصاً على الضفة الشمالية.(٧٠) كما كانت الحصر تصنع في الأغوار من أعشاب الحلفا ومن نبات الأسل والسمار التي تنمو بكثرة في المستنقعات في محيط عتليت والحولة.(٧١)

(٦٥) روجر أوين، «الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي»، ص ٥٨٢، ٥٨٣.

(٦٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٢٦١، ن ١٢٤، ٦ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/ ٦ حزيران (يونيو) ١٩٠٨م.

(٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٠، ن ١٠، ٢٩ ربيع الثاني ١٣١٩هـ/ ١٥ آب (أغسطس) ١٩٠١م.

(٦٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 3.

(٦٩) الأسل: نبات رقيق الغصن، ينمو على شكل عيدان ليس لها شعب أو أوراق، ولا ينمو إلاّ في المناطق التي توجد فيها المياه. أنظر: محمود مصطفى الدمياطي، «معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي»، ص ١١.

(٧٠) البستاني، مصدر سبق ذكره، «الحولة»، ج ٧، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠؛ «دائرة المعارف الإسلامية»، «الحولة»، ج ٨، ص ١٥٢؛ E.W.G. Masterman, «Cana of Galilee,» *PEF*, 1908, p. 40; Bernard Lewis, «Safed,» *BSOAS*, Vol. XV, Part 1, 1933, pp. 193, 480.

(٧١) *Hand Book*, p. 548.

لم تقتصر صناعة الحصر على المناطق المذكورة فقط، بل انتشرت أيضاً في مناطق أُخرى كالطنطورة والطيرة والناصرة.(٧٢) ويعرف من يعمل في هذه الصناعة بالحصري، فأشارت السجلات إلى مريم بنت خليل ابن الشيخ إبراهيم التي تعمل عند مصطفى بن حسن بن حسين الحصري في حياكة الحصر في بيته الكائن في قرية الطنطورة.(٧٣)

كانت صناعة الحصر في الحولة تمر في عدة مراحل: أولاً، يقوم الرجال بإحضار عيدان قصب البردي من المستنقعات حول البحيرة، ثم تقوم النساء بتجفيفها وإعادة ترطيبها من جديد، وشقها إلى نصفين، ثم يجدلن القصب المقطوع بفركه بين أيديهن حتى يصبح ملائماً للاستخدام.(٧٤)

وتنسج الحصر بواسطة نول مكون من خشبتين متعامدتين أو أربع خشبات، وتكون الخشبتان العلوية والسفلية مثقوبتين ثقوباً متوازية ومتقابلة، ثم تمد خيوط من الحبال الرفيعة من الأعلى إلى الأسفل وتدخل في الثقوب وتشد بصورة جيدة، فيدخل الصناع عيدان القصب بين تلك الخيوط، فإذا انتهوا من ذلك قصّوا الخيوط وربطوها ربطاً محكماً.(٧٥)

أمّا السلال فتصنع من أغصان بعض الأشجار كالزيتون والنخيل والعنب، ومن بعض النباتات الحقلية كالقمح، وتستعمل لنقل الفواكه والخضروات إلى المدن.(٧٦)

وتصنع الأدوات الجلدية من جلود الحيوانات كالتراف الذي يصنع من جلود الأغنام، ويستخدمه السقا لبيع الماء في المدن التي يقل فيها الماء، والقربة التي تحمل على الحمير وتستخدمها النساء في القرى لنقل الماء من العيون والينابيع.(٧٧)

---

(٧٢) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥، ٢٨٦؛ الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.

(٧٣) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٣٩ ـ ١٤١، ن ١٠٦، ٦ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٢م.

(٧٤) Grace M. Crowfoot, «The Mat Looms of Huleh,» *PEF,* 1936, pp. 195-198; Theodore Larson, «Mat Makers of Huleh,» *PEF,* 1936, pp. 225-227.

(٧٥) القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٩٨، ٩٩؛ Larson, *op.cit.,* pp. 226-228.

(٧٦) Baldensperger, *op.cit.,* pp. 56, 57; Newton, *op.cit.,* p. 49.

(٧٧) Baldensperger, *op.cit.,* p. 54.

و) صناعة مواد البناء

ازدهرت صناعة حجارة البناء في اللواء نتيجة استخدام الحجارة بصورة واسعة في البناء، فكثرت المقالع الحجرية في المناطق القريبة من المدن والقرى، كالمقالع في وادي روشميا شرقي حيفا.(٧٨) وقد انتعشت صناعة حجارة البناء مع ازدهار الحركة العمرانية، فأشار أسعد منصور إلى هذه الصناعة في الناصرة قائلاً: «البناء وما يتعلق به من قطع الحجارة ونحتها وبنائها، قد تقدمت هذه المهنة كثيراً في الناصرة. كانت أكثر أبنيتها من الحجر الناري الطري، أمّا الآن فمن الحجر اليابس وأقدم ما رأيت من الحجر اليابس هذا بضع سافات (مداميك) سفلية في كنيسة البروتستانت وقد لاقوا في نحتها صعوبة شديدة لعدم استعدادهم لها بالآلات اللازمة أمّا الآن فينحتونها بكل دقة أشكالاً مختلفة وصخر الناصرة اليابس جيد جداً في بعضه عروق حمراء إذا صقل جيداً أشبه بالمرمر.»(٧٩)

وانتشرت المقالع في القرى الواقعة على الجبال أو بالقرب منها،(٨٠) فأشارت صحيفة «البشير» إلى مقلع الحجارة في قرية المزرعة في قضاء عكا.(٨١) وعُرف العاملون في هذه الحرفة بالحجّارة، فأشارت السجلات إلى عبد العزيز محمد أبو سالم الحجّار.(٨٢)

ويقوم بصناعة حجارة البناء مجموعة من العمال كقاطعي الحجارة، ويسمون الحجّارة أو المقالعجية، والقصاصين والدقاقين، وعدتهم الشاقوش والزاوية والمسطرين والمطرقة.(٨٣) وأشارت السجلات إلى شكري وشبلي ابني عوض بن ميخائيل عطا الله اللذين يعملان في صناعة الأحجار في حيفا.(٨٤)

---

(٧٨) Laurence Oliphant, *Haifa,* p. 23; *Hand Book,* p. 505.

(٧٩) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦؛ وانظر أيضاً: زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٤؛ Canaan, «Arab House,» *JPOS,* Vol. 11-12, 1931-1932, pp. 282-340.

(٨٠) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee,* pp. 145-148, 360-362.

(٨١) صحيفة «البشير»، العدد ١٥١٤، ٩ رجب ١٣١٩هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠١م، ص ٣.

(٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٧٦، ن ٤٧، ٢١ ذو الحجة ١٣١٩هـ/ ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٢م.

(٨٣) إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا»، ص ١٩٢؛ Baldensperger, *op.cit.,* p. 135; القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٩١ ـ ٩٢؛ Canaan, *op.cit.,* Vol. 11-12, 1931-1932, pp. 288-340.

(٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٦، ن ٧٩، ٥ صفر ١٣١١هـ/ ١٨ آب (أغسطس) ١٨٩٣م.

أمّا الآجر أو الطين فكان يصنع بخلط القش (التبن) بالتراب ثم يوضع المزيج في حفرة في الأرض فيخلط الطين بالقش والماء.[٨٥]

ويصنع الكلس (الشيد) بعمل حفرة في الأرض قطرها نحو أربعة أمتار وعمقها كذلك، تسمى قبارة، ثم يختار الحجر الكلسي الملائم لتحويله إلى شيد، ويقطع قطعاً تصف على جدر الحفرة الداخلية صفاً أو اثنين ثم تملأ الحفرة بالنتش اليابس (نبات شائك)، ثم تعقد قبة من الحجر الكلسي على الحفرة وتوقد فيها النيران فيحترق النتش ويستمر الحرق حتى تستوي الحجارة وتصبح كلساً. ولا بد من إطفاء الكلس بالماء قبل استعماله، ويتم هذا إمّا في حفرة وإمّا في وعاء كبير يملأ بالحجارة المحروقة ويصب عليها الماء حتى تصبح شبيهة بالعجين الرخو.[٨٦]

وقد أنشئت مواقد خاصة لإحراق الجير خلال الحكم المصري لبلاد الشام، فأشارت إحدى الوثائق المصرية إلى ضرورة الإسراع في إنشاء مواقد لإحراق الجير اللازم لترميم الاستحكامات في عكا.[٨٧] ويوضح الجدول التالي عدد العاملين في مهنة البناء في الناصرة سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م:[٨٨]

الجدول رقم ٧ ـ ٢

معلمو البناء	معلمو النقش (الدقاقون)	الحجّارة	الكلاّسون	القصّارون	المجموع
١٦	٥٣	٢٢	٦	١٥	١١٢

ويمثل هؤلاء نحو ثلث العاملين في المهن والحرف المتعددة في الناصرة البالغ عددهم نحو ٣٧٧ عاملاً.[٨٩]

(٨٥) صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠؛
Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 237, 238; Canaan, *op.cit.*, Vol. 13-14, 1933, pp. 1-7.

(٨٦) العورة، مصدر سبق ذكره؛ زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٨٥؛
Canaan, *op.cit.*, Vol. 11-12, 1931-1932, pp. 240-248.

(٨٧) رستم، «المحفوظات. . .»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٨.

(٨٨) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

(٨٩) *Ibid.*

ز) صناعة الفخار

انتشرت صناعة الفخار في معظم المدن والقرى. فمثلاً اشتهرت دالية الكرمل بصناعة الأواني الخزفية (الفخارية) التي يقوم بصناعتها الرجال والنساء والأولاد.[٩٠] كما وجدت صناعة الفخار في عكا في التلة المعروفة بتلة الفخار، فكانت الأباريق والجرار والأطباق الفخارية تصنع فيها، وخصوصاً أن التربة الحمراء في المنطقة ملائمة لهذه الصناعة.[٩١]

ويُستخدم في هذه الصناعة بعض الأدوات البدائية كالدواليب الخشبية ذات الأقراص الدائرية التي تساعد الصُنّاع على تشكيل العجينة الطينية التي تشوى في أفران نارية بعد تشكيلها بأشكال وحجوم متعددة.[٩٢]

وساعد على وجود هذه الصناعة استخدام الأدوات الفخارية في البيوت كالزير الذي يستعمل لحفظ الزيت، والجرة الأصغر حجماً وتستخدمها النساء لنقل الماء من العيون والينابيع، والعسلية والشربة اللتين استخدمتا لوضع العسل والماء. كما استخدمت الأسر الفقيرة الصحون الفخارية[٩٣] لعدم قدرتها على شراء الأدوات والصحون النحاسية الأغلى ثمناً.[٩٤]

ح) صناعة الأدوات والأواني النحاسية

وجدت هذه الصناعة في المدن كعكا والناصرة وحيفا وصفد.[٩٥] وتنوعت الأدوات والأواني النحاسية المصنوعة لتشمل الطناجر والصحون والطاولات والتخوت. فمثلاً كان عند حسين بن أحمد الزايدي المغربي أربع طناجر ولَكَنْ غسيل وقلاية وصدر كلها من النحاس.[٩٦]

(٩٠) الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

(٩١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٦؛ متى البوري ويوسف شبل، «عكا»، ص ٨٠؛ «موسوعة المدن الفلسطينية»، ص ٥٠٦.

(٩٢) «موسوعة المدن الفلسطينية»، ص ٥٠٦؛ أبو راشد، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٩٣) Baldensperger, *op.cit.*, p. 51.

(٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٠٦، ن ٧٩، ٥ صفر ١٣١١هـ/ ١٨ آب (أغسطس) ١٨٩٣م.

(٩٥) *Hand Book*, p. 548.

(٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢١٠، ن ٢٧٠، ٨ جمادى الثانية ١٣١٢هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٤م.

ط) صناعة الفحم النباتي

تقوم هذه الصناعة على جمع الحطب من الغابات والأشجار ويعرف من يقوم بها بالحطابين. ويحرق الحطب في حفر داخل الأرض تسمى الأتون أو الكلاسة حتى يصبح فحماً.[٩٧] فمثلاً، كانت كميات من الفحم النباتي تنتج في الأودية التي تكثر فيها الغابات عند أطراف الكرمل.[٩٨] ويسمى العامل في هذه الحرفة الفحّام، فأشارت السجلات إلى محمد بن حمدان الفحماوي.[٩٩]

ي) استخراج الإسفنج

كان خليج عكا من المناطق الملائمة لنمو الإسفنج الذي يكثر في المناطق القريبة من الصخور والحجارة في قاع البحر، ولذلك كان العثور عليه يحتاج إلى الغوص العميق، وكانت السفن المحلية والأوروبية تأتي لاستخراجه خلال أشهر الصيف.[١٠٠]

وعمل بعض أهالي المدن الساحلية كعكا وحيفا في استخراج الإسفنج، فأشارت صحيفة «البشير» إلى وفاة حنا الضبعة من عكا وهو يستخرج الإسفنج من قاع البحر بالقرب من جبل الكرمل.[١٠١] وقد حظي الإسفنج المستخرج من خليج عكا بالإعجاب والتقدير في أسواق الدول الأوروبية كفرنسا والنمسا.[١٠٢]

ك) الصناعات والحرف اليدوية

إضافة إلى الصناعات السابقة، وجدت صناعات وحرف يدوية أُخرى في معظم مدن اللواء. ولم تقتصر هذه الصناعات على مدينة واحدة، وإنما انتشرت

(٩٧) Baldensperger, *op.cit.*, pp. 132, 133;
القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠١.

(٩٨) *Hand Book*, p. 50.

(٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، من دون صفحة، ن ١٤٣، ٣ ربيع الأول ١٣٠٩هـ/ ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩١م.

(١٠٠) John Bowring, *Syria*, p. 19; Slewant, *The Tent*, p. 453.

(١٠١) صحيفة «البشير»، العدد ٨٨٧، ١٣ رمضان ١٢٩٤هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٧م، ص ٣.

(١٠٢) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 173, 174; George Napier Wittingham, *The Home of Fadeless*, p. 239.

في مدن اللواء كافة. وقد وضع شوماخر جدولاً بيّن فيه الحرف الصناعية في الناصرة وعدد الذين يعملون في كل حرفة على النحو التالي:[١٠٣]

الجدول رقم ٧ ـ ٣

الحرف الصناعية	العدد
اللحامون	٨
الطحانون	٩
نجارو الأثاث	١٥
صانعو العربات	٨
البياطرة	١٢
صانعو السكاكين	١٨
النحاسون	٧
الصاغة	٩
صانعو اللباد (اللبابدية)	٨
خياطو الجلود	٨
صانعو العلب	٨
صانعو رؤوس الغلايين	٨
صانعو الغرابيل	٧
السمكرية	٣
النساجون	٨
الخياطون	١٠
الصباغون	٦
الدباغون	١٢
الحذاؤون	٣٩
الصبانون	١
المجموع	٢٠٤

يبين هذا الجدول أن عدد العاملين في هذه الحرف تفاوت من صناعة إلى أُخرى بحسب أهمية الصناعة وحاجة السكان إليها. فارتفع عدد العاملين في صناعة السكاكين إلى ١٨ شخصاً، وعدد العاملين في النجارة إلى ١٥ شخصاً، بينما انخفض عدد الصبانين إلى شخص واحد فقط.

(١٠٣) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

وذكر أسعد منصور الصناعات والحرف اليدوية في الناصرة على النحو التالي:[١٠٤]

النجارة: وهي نوعان للأبنية وما شاكلها وللمحاريث الخشبية، فضلاً عن صناعة الأثاث الخشبي كالكراسي والطاولات.

الصباغة: تأخرت هذه الصناعة في الناصرة.[١٠٥]

الخياطة: نوعان: إفرنجية على الطراز الأوروبي، وعربية.

الدباغة: ويوجد قليل منها الآن.

الفراء: وهي إعداد الجلود وتفصيلها وخياطتها.

الحدادة: تشمل صناعة السكاكين ومناجل الحصاد وسكك المحاريث.

النحاسة: تشمل صناعة آنية الطبخ والغسيل وما شابهها.

هذا فضلاً عن صناعة الحصر والقفاف والجرار وشد الغرابيل وصناعة السروج والجلالات واللباد والبيطرة.

وقد مارس هؤلاء الصنّاع عملهم في أسواق خاصة، فسوق الشيخ كان فيه الخياطون، وسوق دار فرح فيه الكندرجية وصانعو الأحذية. وهناك سوق الصياغ، وسوق الإسكافية، وسوق المواستية والحدادين ويعمل فيه الحدادون وصانعو المواسي والمدي (السكاكين) على أنواعها ومناجل الحصاد، وفيه النحاسون والسروجية والصباغون. أمّا سوق النجارين فكان مخصصاً لنجاري المحاريث. وفي أواخر العصر العثماني لم يعد يوجد فيه نجار منهم وإنما دكان حداد فقط. وسوق الخان في جوار خان الباشا وفيه البياطرة واللبابدية والجلالاتية والغرابلية وباعة ما يلزم للسياح من أخشاب وصور ومسابح.[١٠٦]

اشتهرت الناصرة، بصورة خاصة، بصناعة مناجل الحصاد وسكك المحاريث، وبصناعة مواد البناء والمصنوعات الخشبية، وبالنجارة وهي أقدم مهنة عرفتها الناصرة، وبإعداد الجلود وتفصيلها وخياطتها لاستعمالها كالفراء، وبصناعة الهدايا التذكارية التي تصنع من السجاد والأوعية النحاسية. واشتهرت نساء الناصرة بعمل

---

(١٠٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(١٠٥) كانت الصباغة من الصناعات المزدهرة في صفد منذ أوائل العصر العثماني، لكنها بدأت بالانكماش، بالتدريج، في أواخره. أنظر: توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩٨؛ Burckhardt, *op.cit.*, p. 317.

(١٠٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

الدنتيلا وتطريز الحرير وغيرهما مما هو خاص بهن.[١٠٧]

واشتهرت صفد بصناعة الأحذية وكانت مركزاً لصناعة السروج وأطقم الخيل والحمير والإبل، وعُرف من يقوم بهذه الصناعة بالبرادعي.[١٠٨] كما اشتهرت بصناعة خيم البدو من شعر الماعز الخشن.[١٠٩]

وكان بين سكان الكولونية الألمانية في حيفا عدد من الحرفيين كالحدادين واللحامين والنجارين والخياطين، واستعان هؤلاء بعدد من الحرفيين العرب من حيفا.[١١٠]

ل) الصناعات الحديثة

بدأت المحاولات الأولى لإنشاء صناعات حديثة ومتطورة في اللواء خلال الحكم المصري لبلاد الشام، فأشارت المصادر إلى أن إبراهيم باشا أنشأ في عكا مصنعاً للأحذية اللازمة للجيش،[١١١] ومصنعاً للحديد،[١١٢] وبنى فيها أيضاً حوضاً لصناعة السفن. وقد أشارت إحدى الوثائق المصرية إلى القبض على عدد من أعيان بني صخر وإرسالهم إلى عكا للعمل في صناعة السفن.[١١٣]

لكن العمل في هذه المصانع توقف مع انتهاء الحكم المصري، إذ لم تشر المصادر إلى هذه المصانع بعد ذلك.

وقد تطورت الصناعة في اللواء مع قدوم المهاجرين الألمان واليهود، وأُقيمت المصانع لتوفير العمل لهؤلاء المهاجرين، فأقام البارون روتشيلد مصنعاً للزجاج في الطنطورة إلاّ إنه أُغلق بعد فترة. كما أقام مصنعاً للعطور في الجاعونة (روش بينا) وأنفق عليه ٣٠٠ ـ ٤٠٠ فرنك (١٥٠٠ قرش ـ ٢٠٠٠ قرش)، لكن العمل توقف فيه بعد عامين من إنشائه.[١١٤]

---

(١٠٧) *Hand Book*, p. 548.

(١٠٨) Baldensperger, *op.cit.*, p. 55.

(١٠٩) العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦؛ *Hand Book*, p. 548; Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

(١١٠) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 346.

(١١١) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦٤، ٢٧٨.

(١١٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٤.

(١١٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(١١٤) رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت»، ص ٣٣؛ Albert Hyamson, *Palestine: The Rebirth*, p. 143.

وأقام اليهود والألمان، كل على حدة، ثلاثة مصانع للصابون في حيفا. وكانت الشركة اليهودية ـ الروسية تملك أكبر هذه المصانع الذي أنتج نحو ٢٠٠ طن سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م. وقد تضاعفت كمية الإنتاج بعد توسيع المصنع وزيادة قدرته الإنتاجية. وفي سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، أنشىء مصنع ثانٍ بإشراف أميركي ينتج ٥٠ طناً سنوياً. كما أقام الألمان مصنعاً ثالثاً مجهزاً بالآلات الحديثة كان معظم إنتاجه يصدر إلى ألمانيا والولايات المتحدة.(١١٥)

أدى ازدياد ثراء التجار والملاك في اللواء إلى الاهتمام بإقامة المصانع التي تستخدم الأساليب الحديثة. فمثلاً، كان في حيفا سبعة مصانع للخشب،(١١٦) وكان لفؤاد السعد، من أغنياء اللواء، مصنعان للثلج: واحد في عكا والآخر في حيفا.(١١٧) وأقامت إدارة خط سكة حديد الحجاز مصنعاً للآلات الصناعية، ومصنعاً لتجميع المركبات التي يحتاج إليها الخط في حيفا.(١١٨) كما أقامت إدارة حصر الدخان (الريجي) مصنعاً للسعوط في صفد، وبلغت قيمة ما أُنتج في هذا المصنع، في الفترة ١٣٠٢ـ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٤ـ١٨٨٦م، نحو ١٧٨٦ ليرة عثمانية.(١١٩)

وقد تطور النشاط الصناعي في اللواء بإقامة الصناعات المساهمة التي يشترك فيها عدد من أصحاب رؤوس الأموال. فذكرت صحيفة «البشير» سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، أن عدداً من أصحاب رؤوس الأموال طلب من الحكومة منحه امتيازاً لتأسيس شركة عثمانية للدباغة على أن تكون مدة الامتياز ٣٠ عاماً.(١٢٠) وفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، تأسست شركة التنقيب السورية برأس مال إنكليزي، وفي سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، احتفلت الشركة بحفر أول بئر بترولية في وادي الأردن.(١٢١) وضمت الشركة عدداً من أصحاب رؤوس الأموال المحليين في

---

(١١٥) صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩؛ ألكس كرمل، «حيفا»، ص ١٨٦؛
Hand Book, p. 49;
صحيفة «البشير»، العدد ١٩٢١، ٨ رجب ١٣٢٧هـ/ ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٠٩م، ص ٤.

(١١٦) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣.

(١١٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(١١٨) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣.

(١١٩) صحيفة «البشير»، العدد ٩٦٠، ٣٠ شعبان ١٣٠٧هـ/ ٢٠ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م، ص ٣؛ القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٧١.

(١٢٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٦٣، ١١ رجب ١٣٢٠هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٢م، ص ١.

(١٢١) Archdeacon Dowling, «Haifa,» *PEF*, 1917, p. 191.

حيفا وبيروت ودمشق، فذكرت إحدى الحجج الشرعية أن في المجلس الشرعي الذي عقد في محكمة قضاء حيفا حضر سليمان بن ناصيف، الملاك العثماني من أهالي دير القمر اللبناني، وقرر بحضور الخواجة سليم بن فضول بن جريس الحداد والحاضر معه بالمجلس، قبول الفراغ الذي يصدر له من عبد القادر أفندي العثماني البيروتي، الوكيل الشرعي عن مصطفى باشا الخليل والحاج محمد الحبال وسليم الريس وإسكندر كساب وفؤاد السعد وسليم الخوري من أهالي حيفا والدكتور شوماخر الألماني وأنيس الأبيض، أصحاب الست رخص للتحري عن المعادن والبترول الصادرة من ولاية سورية.(١٢٢)

كان معظم الصناعات في اللواء صناعات تحويلية تعتمد على الإنتاج الزراعي وتقوم على تحويل المحاصيل الزراعية إلى أشكال أكثر ملاءمة للاستهلاك، كتحويل الزيتون إلى زيت، والقمح إلى طحين (دقيق)، أو صناعات تقوم على تحويل المواد الخام المتوفرة في البيئة المحلية إلى أدوات وسلع يستفاد منها بشكل أفضل من حالتها الأولى، كتحويل البردي إلى حصر، وتحويل التربة الحمراء إلى فخار وطين للبناء، وتحويل الحجارة الجيرية إلى شيد، والقطن والصوف إلى منسوجات، وأغصان الزيتون وسيقان القمح إلى سلال وغيرها.

كما كان بعض هذه الصناعات صناعات يدوية يقوم بها السكان في بيوتهم، كصناعة الجبن والسمن والسلال والحصر، أو صناعات وحرف يدوية تقام في محلات خاصة في وسط المدن، كالحدادة والنجارة، بينما أُقيمت صناعات أُخرى بالقرب من أماكن وجود المواد الخام كصناعة حجارة البناء التي تقام في محاجر خاصة، أو صناعة الفخار التي تقام بالقرب من مناطق وجود التربة الملائمة لهذه الصناعة.

وقد تفاوت الهدف من إقامة هذه الصناعات، فبعضها يقوم به السكان في أوقات محددة لسد حاجتهم وبيع ما يفيض عن هذه الحاجة، كصناعة الجبن والسمن وغيرهما من الصناعات الغذائية.

وفي حين اتخذ آخرون الصناعة مهنة لهم كالحدادين والنجارين والصباغين، اتجه أصحاب رؤوس الأموال من التجار والملاك إلى الاستثمار في الصناعة، وخصوصاً في المعاصر والمطاحن لغرض الربح والتجارة. ولم يعمل هؤلاء في معاصرهم ومطاحنهم وإنما عيّنوا الأجراء للعمل فيها.

---

(١٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤١، ن ٥٢٧، ٢١ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

واجهت الصناعة في اللواء مشكلات أعاقت تطور بعضها وقضت على بعضها الآخر بصورة متدرجة، وأهمها صغر حجم السوق المحلية وضعف قدرة السكان الشرائية لقلة أعدادهم وانخفاض مستوى معيشتهم، إضافة إلى قلة رأس المال المحلي اللازم للصناعة وعدم تشجيع الحكومة العثمانية للصناعة، فتركت للسكان حرية إقامة الصناعات التي يريدونها.

كما واجهت الصناعة المحلية منافسة الصناعة الأوروبية المتطورة. وقد تفاوت تأثير المنافسة الأوروبية من صناعة إلى أخرى، فكان تأثيرها ضعيفاً في المعاصر والمطاحن التي استفادت من التبادل مع أوروبا باستيراد الآلات الحديثة، بينما كان تأثيرها شاملاً وسلبياً في صناعات أخرى كصناعة المنسوجات التي أصبحت غير قادرة على منافسة المنسوجات الأوروبية الأرخص، وقد أشار إلى ذلك أسعد منصور.[١٢٣]

ثانياً: المهن

أ) الزراعة

كانت الزراعة وتربية المواشي مهنة معظم سكان المدن والقرى. فكان القسم الأكبر من أهالي طبرية يزرع السهل الواقع غربي المدينة،[١٢٤] كما كان سكان الناصرة يعملون في زراعة أراضيهم وحقولهم وحدائقهم.[١٢٥] فذكر بيدكر أن سكان الناصرة يعملون في الزراعة وتربية المواشي،[١٢٦] كما عمل بعض سكان الناصرة في زراعة أراضي سرسق والتويني في مرج ابن عامر.[١٢٧]

وكان قسم من سكان صفد يعمل في زراعة الحبوب والزيتون والعنب في الأراضي التي تحيط بالمدينة.[١٢٨]

وقد ميّزت السجلات الشرعية المزارع من غيره من أصحاب المهن الأُخرى إذ وصفته بالمزارع. فأشارت السجلات إلى يوسف بن سليمان الغزاوي

(١٢٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥.

(١٢٤) Burckhardt, *op.cit.*, p. 323.

(١٢٥) Wittingham, *op.cit.*, p. 264.

(١٢٦) Karl Baedeker, *Palestine*, p. 246.

(١٢٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩.

(١٢٨) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ٣؛ Burckhardt, *op.cit.*, p. 317.

المزارع،[١٢٩] وإلى قاسم بن عقلة المزارع العثماني من قرية أم الزينات،[١٣٠] وإلى عبد السلام ابن الشيخ قاسم الغزالي المزارع من قرية عين غزال.[١٣١]

كما فرقت السجلات بين المزارع الذي يمتهن الزراعة والمزارع الملاك الذي لا يعمل في الأرض. فأشارت إحدى الحجج إلى ميخائيل بن نقولا بن جبور الملاك المزارع العثماني من حيفا،[١٣٢] وإلى يوسف بن قاسم العثماني المزارع المقيم ببيت خيش في أراضي قيسارية.[١٣٣]

وكان المزارعون فئتين: المزارعين الملاك الذين يعملون في أراضيهم؛ المزارعين الأجراء الذين يعملون في أراض لا يملكونها في مقابل حصص معينة يدفعونها إلى مالك الأرض. ومعظم هؤلاء المزارعين ممن باع أرضه واستمر في العمل لحساب الملاك الجدد.[١٣٤] كما ظهرت مهن أُخرى ارتبطت بالزراعة كالحراثين، وهم فئتان: الحراثون مالكو الأرض الذين يعملون في أراضيهم في موسم الزراعة، ويُعرف هؤلاء بالشدادين لأنهم يشدون عدة الحراثة ويجهزونها للعمل؛[١٣٥] الحراثون الأجراء الذين يعملون عند أحد المزارعين في مقابل أجر سنوي. وقد أشارت السجلات إلى عبد العزيز بن محمد مصطفى الحوراني، من أهالي الطيرة، الذي يعمل حراثاً عند أحمد القاسم في خربة روشميا.[١٣٦]

ومن أصحاب المهن المرتبطة بالزراعة الحصادون، وهم ثلاث فئات: الحصادون الذين يعملون في أرضهم، والحصادون الأجراء الذين يعملون في مقابل أجر يومي قد يكون عينياً أو نقدياً، والحصادون المعاونون. وذكر بالدنسبرغر: «عندما يريد صاحب الأرض أن يحصد كثيراً ويريد أن ينجز عمله بسرعة كبيرة، فإنه يدعو جميع أصدقائه وأقاربه وتسمى هذه العملية العونة. وعندما تملك القرية

(١٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٨، ن ٦٣، ٢ محرم ١٣٠٥هـ/ ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٧م.

(١٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٦٨، ن ١٩٠، ١٢ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ/ ٢٩ نيسان (أبريل) ١٩١٢م.

(١٣١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣١، ن ٥٠، ١٠ صفر ١٣١٠هـ/ ٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢م.

(١٣٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٤، ن ٢٦٤، ٢٢ شعبان ١٣٠٦هـ/ ٢٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م.

(١٣٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٨، ن ٦٣، ٢ محرم ١٣٠٥هـ/ ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٧م.

(١٣٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩؛ *Hand Book*, p. 250.

(١٣٥) Baldensperger, *op.cit.*, p. 11; Samuel Bergheim, «Land Tenure,» *PEF*, 1894, p. 199.

(١٣٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤، ن ٨٥٧، من دون تاريخ.

مساحة كبيرة من الأرض على مسافة بعيدة عن القرية، فإن سكانها يذهبون جميعاً إلى الأرض ويبنون فيها أكواخاً تسمى عرائش ويعيشون فيها فترة طويلة قد تستمر عدة أشهر، فتصبح القرية التي جاؤوا منها مهجورة باستثناء الحراس والنواطير.»[١٣٧]

ب) الرعي

انتشرت مهنة الرعي في المدن والقرى، وهي نوعان: النوع الأول هو الرعي العائلي، ويقوم به أحد أفراد الأسرة إذ يرعى الحيوانات لأسرته. فكان ابنا صالح ابن محمد بن صالح السهلي من بلد الشيخ يرعيان الأغنام والماعز العائدة لوالدهما.[١٣٨] ولم يكن الرعاة في هذه الحالة يمتهنون الرعي عملاً لهم لأنهم لا يتقاضون أجراً عن عملهم وإنما يشاركون الأسرة في أعمالها؛ النوع الثاني هو الرعي المأجور، بمعنى أن يعمل شخص ما راعياً عند شخص آخر ويتقاضى أجراً عن عمله. فكان عودة بن جراد هيكل من تل الشمام راعي غنم عند حبيب الداموني من الناصرة.[١٣٩] وقد يعمل راعٍ واحد لجميع حيوانات القرية. فكان حسين بن علي من قرية أم الفحم راعياً لأبقار القرية.[١٤٠] وغالباً ما كان يوجد في القرية الواحدة عدة رعاة، كرعيان سيرة دير قطمون،[١٤١] ورعيان قرية صفورية.[١٤٢] كما عمل بعض سكان المدن في مهنة الرعي، فأشارت السجلات إلى منصور بن محمد منصور الراعي من حيفا.[١٤٣]

---

(١٣٧) القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٩٨؛
Baldensperger, *op.cit.*, pp. 18, 19.

(١٣٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٢١، ن ٧٣٦، ٩ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

(١٣٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١١٤، ١١٥، ن ٢٢/ ٧/ ٢٢٢، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ/ ١٤ شباط (فبراير) ١٩٢٠م.

(١٤٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٦٦، ن ٨٦، ٦ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(١٤١) صحيفة «البشير»، العدد ١١٧٦، ٢٤ شوال ١٣١٣هـ/ ٨ أيار (مايو) ١٨٩٥م، ص ٣.

(١٤٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٠٨، ١٩ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٤م.

(١٤٣) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٥٤، ن ٥٥٣، ٢٤ ذو الحجة ١٣٣١هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م.

ج) العربجي

ظهرت مهنة العربجي في اللواء بعد استعمال العربات وسيلة للنقل. وقد يعمل العربجي لحسابه الخاص، فأشارت السجلات إلى حسن بن السودي العربجي،[١٤٤] وإلى عبد العزيز أبو سراج العربجي،[١٤٥] وإلى عبد الله بن إبراهيم السايس العربجي.[١٤٦] أو أن يعمل العربجي أجيراً عند رجل آخر، إذ اشتكى خالد بن أحمد العربجي حسين آغا زيد أنه يطلب منه ٣٠٠ قرش أجرة أربعة أعوام في مقابل خدمته عنده، عن كل شهر ليرتان فرنسيتان (٢١٠ قروش) وتبلغ قيمة تلك الأجرة ٩٦ ليرة فرنسية (١٠,٠٨٠ قرشاً).[١٤٧]

لم يقتصر العمل في هذه المهنة على العرب فقط، بل عمل فيها الألمان من الكولونية الألمانية في حيفا أيضاً، فأشارت نيوتن إلى جورج سوس الألماني الذي نقل قيصر ألمانيا بعربته خلال جولته في فلسطين.[١٤٨] وفي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، بلغ عدد العربات عند الألمان مئة عربة، فسيطروا على حركة نقل المسافرين بين حيفا والناصرة.[١٤٩]

ومن المهن الأُخرى المرتبطة بالحيوانات مهنة البغّال، فأشارت السجلات إلى محمد بن شريف بن ذيب منصور البغال،[١٥٠] والخانجي،[١٥١] فأشارت إلى يوسف بن بطرس المسيحي الخانجي.[١٥٢] أمّا المكاري فكان ينقل الأشخاص

---

(١٤٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٦، ن ٢٣، ١٧ ذو القعدة ١٣٠٦هـ/ ١٥ تموز (يوليو) ١٨٨٩م.

(١٤٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٢٣٣، ن ١٠١، من دون تاريخ.

(١٤٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٦١، ن ١٦٨، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٩هـ/ ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩١م.

(١٤٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥١، ن ٣٥٢، ٢٦ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩م.

(١٤٨) Newton, *op.cit.*, p. 37.

(١٤٩) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.

(١٥٠) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٥٨، ١٥٩، ن ١٢، ٨ محرم ١٣٢٨هـ/ ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٠م.

(١٥١) هو العامل في خان الدواب. أنظر: القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٠، ١١١.

(١٥٢) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٥٠٧، ٥ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

والبضائع على الدواب،[١٥٣] فأشارت السجلات إلى أحمد بن علي المكاري من حيفا،[١٥٤] وإلى شمعون بن شمويل الموسوي المكاري من صفد.[١٥٥] بينما يقوم الحذاؤون بحذو الخيل لتبقى قادرة على السير بسرعة. وقد ارتفع عدد العاملين في هذه المهنة بسبب الحاجة إلى الخيل في الزراعة والنقل، فكان في الناصرة ٣٩ حذّاءً، و١٠ مكارية سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.[١٥٦]

د) العتالون والحمالون

العتال هو الرجل القوي الذي يحمل كميات كبيرة على ظهره،[١٥٧] فأشارت السجلات إلى محمد مصطفى العتال من حيفا.[١٥٨] وقد شجع انتعاش الحركة التجارية في حيفا العتالين على القدوم إليها من المدن الأُخرى. فذكر التميمي: «وقد اضطر الحمالون الذين كانوا يربحون يومياً ستة مجيدية أو سبعة لأن يتركوا عكا ويذهبوا إلى حيفا.»[١٥٩] وأشارت السجلات الشرعية إلى انتقال العتالين من المدن الأُخرى إلى حيفا، فأشارت إحدى الحجج إلى سليمان بن حسين الخليلي النابلسي العتال،[١٦٠] وأشارت حجة أُخرى إلى مصطفى عبد العال اليافاوي العتال المتوطن بحيفا.[١٦١] وعمل الحمالون في سكة حديد الحجاز، فيشير السجل الشرعي إلى مصطفى بن داود الزعبوطي من أهالي صفد المستخدم حمالاً في خط سكة حديد الحجاز.[١٦٢]

---

(١٥٣) القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٦٦، ٤٦٧؛ العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(١٥٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٤١، من دون نمرة، ٢ محرم ١٣٠٦هـ/ ٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٨م.

(١٥٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٦٨، ن ٩٣، ٤ رجب ١٣٢٢هـ/ ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م.

(١٥٦) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

(١٥٧) Baldensperger, *op.cit.*, p. 56; القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٢.

(١٥٨) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦، ن ١٢، ٧ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م.

(١٥٩) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.

(١٦٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٦، ن ٩٤٠، من دون تاريخ.

(١٦١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٦، ن ١٢، ٧ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م.

(١٦٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٩، ن ٥٥٧، ٨ محرم ١٣٣٢هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

هـ) القصابون (اللحامون)

وجدت هذه المهنة في المدن بصورة خاصة، فأشارت السجلات إلى علي ابن الحاج حسن المعروف بالحاج علي شنكل القصاب.[١٦٣] وقد انتقل بعض القصابين إلى حيفا من المدن المجاورة، فأشارت إحدى الحجج إلى بدوي بن محمد الحلبي القصاب الصيداوي.[١٦٤] ويظهر أن مهنة القصابة كانت وراثية، فأشارت السجلات إلى عبد الله بن عثمان المحمود القصاب،[١٦٥] وإلى ابنه عثمان بن عبد الله القصاب من حيفا.[١٦٦] وفي سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، بلغ عدد اللحامين في الناصرة ثمانية لحامين.[١٦٧]

و) الحلاقون

وجدت هذه المهنة في المدن، فأشارت السجلات إلى محمد بن طافش الحلاق.[١٦٨] وفي سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، بلغ عدد العاملين في هذه المهنة في الناصرة نحو ١٦ حلاقاً.[١٦٩]

ز) القهوجية

يعمل القهوجي في أحد المقاهي أو في أحد الحمامات فيقدم القهوة إلى

---

(١٦٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٢، ن ١٠٥، ١٢ شوال ١٣٠٨هـ/ ٢١ أيار (مايو) ١٨٩١م.

(١٦٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٧٨، ن ٣٩٣، ٢٦ جمادى الثانية ١٣٠٧هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٨٩٠م.

(١٦٥) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٧٣، ن ٩٩، ٢٢ رجب ١٣٢٣هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٥م.

(١٦٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٧، ن ١٥، ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٠١م.

(١٦٧) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245; القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(١٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، من دون صفحة، ن ٧٦، ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ/ ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٢م.

(١٦٩) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

الرواد. فأشارت السجلات إلى أحمد المصري القهوجي من حيفا.(١٧٠) وقد انتقل بعض القهوجية إلى حيفا من المدن الأخرى، فأشارت إحدى الحجج إلى محمد ابن أحمد الكز العثماني القهوجي العكي،(١٧١) وإلى العبد الطقوط النابلسي القهوجي من حيفا.(١٧٢) أمّا في الناصرة فبلغ عدد العاملين في هذه المهنة ثلاثة قهوجية سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.(١٧٣)

ح) صيد السمك

انحصرت هذه المهنة في المناطق المحيطة ببحيرتي الحولة وطبرية والمنطقة الساحلية على البحر الأبيض المتوسط، وكانت نوعين: الصيد المأجور، إذ كان السكان المقيمون في محيط بحيرتي طبرية والحولة يعملون صيادي سمك عند ملتزمي الصيد في البحيرتين. فمثلاً، استخدم ملتزمو الصيد في البطيحة السكان المحليين في الصيد، واستخدم ملتزمو الصيد في بحيرة الحولة البدو المجاورين للبحيرة صيادين. وكان الصيادون يتقاضون أجوراً عينية ونقدية، فكان الملتزمون يدفعون لهم إمّا نسبة من السمك، وإمّا قرشين عن كل رطل من السمك الجيد وقرشاً عن كل رطل من السمك الأقل جودة.(١٧٤)

وقد عمل السكان المحليون في صيد السمك لحسابهم الخاص، فذكر بيركهارت أن السكان القليلين بالقرب من الطابغة يعيشون من صيد السمك.(١٧٥) كما كان بعض سكان الطنطورة وحيفا يعمل في الصيد،(١٧٦) فأشارت صحيفة «البشير» إلى مقتل أربعة أشخاص من سكان حيفا وهم يصطادون سمكاً عندما هبت عليهم عاصفة قلبت زورقهم.(١٧٧)

(١٧٠) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٦٨، ن ٣٧، ٥ شعبان ١٣٢١هـ/ ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣م؛ القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٧.

(١٧١) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٦٩، ن ٣٧٩، من دون تاريخ.

(١٧٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٢٢، ن ١٨٤، ١ ربيع الأول ١٣٢١هـ/ ٢٨ أيار (مايو) ١٩٠٣م.

(١٧٣) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

(١٧٤) Masterman, *op.cit.*, p. 40; Larson, *op.cit.*, p. 226; James Neil, *Every Day Life in the Holy Land*, pp. 137-145.

(١٧٥) Burckhardt, *op.cit.*, p. 330.

(١٧٦) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 495.

(١٧٧) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٣٦، ٨ محرم ١٣٢٠هـ/ ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، ص ٣.

ط) المهن الحديثة

أدى التطور الاقتصادي والاجتماعي في اللواء وزيادة تأثير الحضارة الغربية إلى ظهور مهن جديدة، كالطب والمحاماة ووكلاء الدعاوى. وهذا ما يبين وجود الأطباء العاملين في الإدارات الحكومية والعسكرية، فأشارت السجلات إلى إسكندر ابن أيوب داود الطويل طبيب الأسنان من سكان حيفا،(١٧٨) وإلى الدكتور سليم صبري ابن حسين بن درويش الطبيب في سكة حديد الحجاز في حيفا،(١٧٩) وإلى الدكتور محمد علي بن قاسم الشقيري الطبيب العسكري في حيفا،(١٨٠) وإلى عزتلو فيضي بك الطبيب في سكة حديد الحجاز.(١٨١)

بينما أشارت السجلات إلى العاملين في المحاماة بتسميات مختلفة، فأشارت إلى شكري قرداحي ابن جبور قرداحي الأفوكات من سكان حيفا،(١٨٢) وإلى صاحب الفضيلة عبد الرحمن بن محمد عزيز خليل أحد منتسبي علم الحقوق في حيفا.(١٨٣) كما أشارت إلى ظهور مهن جديدة في المجتمع، كمهنة التصوير، فذكرت إحدى الحجج المصور حسن بن خليل بن حسين أبو طويلة من سكان حيفا.(١٨٤)

ي) المهن التجارية

أسهبت السجلات الشرعية في الإشارة إلى التجار، إلاّ إنها اكتفت بنعت

(١٧٨) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٠٦، ن ٨٤٢، ١٠ صفر ١٣٣٣هـ/ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٤م.

(١٧٩) س ح، ش ١، س ٣، ص ٩٢، ن ٦٥، ١ رجب ١٣٢٥هـ/ ١٠ آب (أغسطس) ١٩٠٧م.

(١٨٠) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩، ن ٧٦، ١١ ذو القعدة ١٣٣٥هـ/ ٢٩ آب (أغسطس) ١٩١٧م.

(١٨١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١١٠، ن ١٥، ١٧ محرم ١٣٣٠هـ/ ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م.

(١٨٢) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٨٠، ٨١، ن ١١٤، ٤ شعبان ١٣٢٣هـ/ ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٥م.

(١٨٣) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٨٥، ن ٨٠٨، ٢٨ شوال ١٣٣٢هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤م.

(١٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٢٨، ن ٣٧، ١١ ربيع الأول ١٣٢٥هـ/ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٠٧م.

الواحد بالتاجر، وقليلاً ما أشارت إلى نوع التجارة التي يعمل فيها. فمثلاً، أشارت إلى تجار الخشب، إذ ذكرت إسحاق بن شلبون اليهودي الخشاب،[١٨٥] وإلى تجار الزيت، فأشارت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن أقبيعة الزيات الطيراوي المقيم بحيفا.[١٨٦]

وذكرت السجلات الشرعية مهنة الصرافة. وكان العاملون في هذه المهنة من اليهود والمسيحيين، فذكرت إحدى الحجج يوسف بن إبراهيم بن يعقوب شبان التاجر الإسرائيلي الصراف،[١٨٧] وشكري بن سمعان منصور التاجر المسيحي الصيرفي من سكان حيفا.[١٨٨] ويعمل الصرافون في تبديل العملات، كما كانوا يقومون بتحويل الأموال من مدينة إلى أُخرى. فذكرت إحدى الحجج أن فوزي بك مدير جفتلك بيسان الهمايوني، وأخيه صدقي، ابني محمد نظمي من أهالي الشام، وكّلا محمود أفندي الطحان، من أهالي دمشق، ببيع أملاكهما في الشام وقبض الثمن وإيصاله تحت يد الخواجات أساه لاوي وحكم، الموسويين من تجار حيفا.[١٨٩]

وعمل بعض التجار في تجارة المحاصيل الزراعية، فمثلاً كان محمد ابن الحاج محمود الأحمد الجرار متخصصاً بتجارة السمسم في حيفا.[١٩٠]

وقد ذكر شوماخر أصناف التجارة وأعداد التجار في كل صنف في الناصرة سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م على النحو التالي:[١٩١]

---

(١٨٥) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ١٠، ن ٦، ٢٩ ربيع الثاني ١٣١٩هـ/ ١٥ آب (أغسطس) ١٩٠١م.

(١٨٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٨٢، ن ٧٦، ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ/ ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٢م.

(١٨٧) المصدر نفسه.

(١٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢١٥، ٢١٦، ن ١٧٥، ٢٨ صفر ١٣٢١هـ/ ٢٦ أيار (مايو) ١٩٠٣م.

(١٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٢٣، ن ٣٦، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ١٨ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(١٩٠) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٩٥، ن ٨٢، ٢٠ ذو القعدة ١٣٤٠هـ/ ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٢٢م.

(١٩١) Schumacher, *op.cit.*, pp. 243-245.

الجدول رقم ٧ ـ ٤

التجارة	العدد
تجار الحبوب وملاكو أراضٍ كبار في وقت واحد	٢٤
تجار التوابل والبهارات والسمن والزيت والجبن	٥٦
تجار الخضروات	١٥
بائعو الخبز وأصحاب المطاعم ومحلات الحلويات	٤٣
تجار الحديد والزجاج والخزف الصيني	١٠
المجموع	١٤٨

يبيِّن الجدول أن تجار المواد الغذائية يتفوقون على غيرهم عدداً، فيشكلون ١١٤ تاجراً من مجموع تجار الناصرة البالغ ١٤٨ تاجراً.

كما ظهرت المهن التجارية، التي ارتبطت بتطور وازدياد التبادل التجاري مع أوروبا، عندما قامت الشركات والمؤسسات التجارية الأوروبية بتعيين وكلاء لها في مدن اللواء. فمثلاً كان فرانك بن إبراهيم اليهودي وكيل البابورات (السفن) الإنكليزية في حيفا،[١٩٢] ويوهنس شميت وكيل البواخر الروسية.[١٩٣] وكان راجي بن ميخائيل كرامي وكيل ماكنات سنجر في حيفا.[١٩٤] كما أشارت السجلات الشرعية إلى القومسيونجي[١٩٥] محمد بن فواز علي المصري.[١٩٦]

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تتكون فئة من الأثرياء (التجار والملاك) في اللواء، وقد ازدادت عدداً وثراء بصورة متدرجة حتى أواخر العصر العثماني. وساعد في ظهور هذه الفئة وازدياد تأثيرها صدور قانون تمليك الأراضي الميري الذي سمح بتملك الأراضي وبيعها، وازدهار حركة التجارة

---

(١٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٣، ن ١٢٠، من دون تاريخ.

(١٩٣) صحيفة «البشير»، العدد ٢٠١٢، ٢٥ صفر ١٣٢٩هـ/ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩١١م، ص ٣.

(١٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٤، ن ١٢٥، ٢١ ذو الحجة ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م.

(١٩٥) القومسيونجي: التاجر الوسيط بين التجار المحليين والتجار في الدول الأُخرى، فيطلب منه التجار المحليون إحضار البضائع لهم من الخارج في مقابل نسبة مالية معينة يأخذها لنفسه. أنظر: القاسمي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٧١.

(١٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢١٥، ٢١٦، ن ١٧٥، ٢٨ صفر ١٣٢١هـ/ ٢٦ أيار (مايو) ١٩٠٣م.

بين أوروبا وفلسطين عامة، واللواء خاصة، الأمر الذي مكّن هؤلاء التجار من تكوين ثروات مالية كبيرة.

وتشكلت هذه الفئة من المسيحيين والمسلمين واليهود ومن التجار الأجانب من فرنسيين وإيطاليين وإيرانيين. ويبين الجدول التالي، الذي اتخذ على أساس عينة من تجار حيفا بلغت ٦١ تاجراً، فئات التجار بحسب مذاهبهم ودولهم:[(١٩٧)]

الجدول رقم ٧ ـ ٥

الطائفة	المسيحيون	المسلمون	اليهود	الفرنسيون	الإيرانيون	الإيطاليون	المجموع
العدد	٣٣	١٥	٦	٣	٣	١	٦١

يبيِّن الجدول أن المسيحيين سبقوا الطوائف الأُخرى في العمل في التجارة لأنهم اهتموا أكثر من غيرهم بالتعليم، وخصوصاً أن المدارس الأجنبية والطائفية التي تعلم فيها المسيحيون اهتمت بتعليم الأعمال المالية والتجارية واللغات الأجنبية كاللغة الفرنسية والإنكليزية، بينما تعلم المسلمون في المدارس الحكومية التي اهتمت بتعليم العربية والتركية وأهملت التعليم المالي والتجاري وتعليم اللغات.[(١٩٨)] ولذلك وجد المسيحيون المجال واسعاً للعمل مع الشركات والمؤسسات التجارية والمالية الأجنبية، ففازوا بأغلب المناصب التجارية، وكان منهم المترجمون، وكتبة المصارف والمخازن، ومديرو إدارة البريد وشركات البواخر وسكك الحديد، وإدارة التلغراف.[(١٩٩)]

كما عمل المسيحيون موظفين مع القنصليات الأجنبية كقناصل أو وكلاء للقناصل، بل إن بعضهم حصل على جنسية الدول الأوروبية فاستفاد من الامتيازات

(١٩٧) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٤٩، من دون نمرة، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٠م؛
س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥٢، ن ٣٤٧، ١٥ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩م.

(١٩٨) نعمة الله نوفل، «الدستور العثماني»، ج ٢، ص ١٥٩ ـ ١٦٢؛ صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١؛ Derek Hopwood, *Russian Presence*, p. III.

(١٩٩) صحيفة «البشير»، العدد ٢٢٨٢، ١٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٣م، ص ٣؛
س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٩، ن ١٤٩، ٢٥ رجب ١٣١١هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

الممنوحة لهذه الدول. فكان سليم الخوري وكيلاً لقنصل روسيا، وفي حجة أُخرى وكيلاً لقنصل دولة اليونان.[(٢٠٠)] وكان بيترو بن سليمان أبيلا قنصلاً لإنكلترا في حيفا،[(٢٠١)] وفؤاد السعد ابن جبران السعد المسيحي ترجمان قنصل دولة ألمانيا في حيفا،[(٢٠٢)] والياس الأبيض قنصل دولة أميركا،[(٢٠٣)] وموسى بن منصور ناصرية، من تبعة دولة فرنسا، مترجماً لراهبات دير الناصرة.[(٢٠٤)]

أمّا المسلمون فكان المجال أمامهم واسعاً للعمل في الوظائف الحكومية، الدينية والعسكرية، بينما كان هذا المجال محدوداً أمام المسيحيين، فاتجهوا إلى العمل في التجارة وخصوصاً أنهم كانوا أكثر تقبلاً للتعامل مع الحضارة الغربية في ذلك الوقت.

وقد هاجر بعض هؤلاء التجار والملاك إلى اللواء من مدن بلاد الشام، كدمشق وبيروت وطرابلس وصور. إذ إن الازدهار الاقتصادي الذي حققه اللواء بصورة خاصة، وفلسطين بصورة عامة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شجع هؤلاء التجار على الهجرة. فمثلاً قدم عبد الغني بيضون، أحد أثرياء عكا، من بيروت،[(٢٠٥)] ومحمد أفندي الكعكي ابن محمد الكعكي، أحد أثرياء حيفا، من بيروت أيضاً،[(٢٠٦)] وجاء سليم الخوري إلى حيفا من حماة،[(٢٠٧)] وإسكندر بن الياس كساب من دمشق،[(٢٠٨)] وسليم الخياط من صور.[(٢٠٩)]

(٢٠٠) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٨٣، ٨٤، ن ٢٣٢، ١٣ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ٢ حزيران (يونيو) ١٩٠٩م.

(٢٠١) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٦٨، ن ٢١٠، ١٧ ربيع الأول ١٣٢٧هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٩م.

(٢٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٢٩، ن ٩٦، ١٧ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ١ حزيران (يونيو) ١٩٠٤م.

(٢٠٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٥٨، ن ١٦٥، ٣ ربيع الثاني ١٣٠٦هـ/ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٨م.

(٢٠٤) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٥، ن ٣، ٢٩ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣٠ نيسان (أبريل) ١٨٩٢م.

(٢٠٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٣، ن ١٧٥، من دون تاريخ.

(٢٠٦) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ٣٤، ن ٣٧، ٢٣ رجب ١٣١٩هـ/ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١م.

(٢٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٩، ن ١٤٩، ٢٥ رجب ١٣١١هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٨٩٤م.

(٢٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(٢٠٩) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٣٠٦، ن ٧٩، ١٠ محرم ١٣٢٢هـ/ ٢٧ آذار (مارس) ١٩٠٤م.

لم تقتصر فئة التجار والملاك على المهاجرين إلى اللواء من خارجه فحسب، بل كان عدد منهم أيضاً من السكان المحليين، فأشارت السجلات إلى خليل الحكيم من حيفا،(٢١٠) وإلى فؤاد السعد من عكا،(٢١١) وإلى مصطفى الخليل من حيفا،(٢١٢) وإلى عبد اللطيف الصلاح من حيفا،(٢١٣) على أنهم من تجار حيفا وسكانها. وأشارت إلى جورج وإيليا ابني حبيب حوا من عكا،(٢١٤) وإلى عائلتي كركبي(٢١٥) والداود من شفا عمرو،(٢١٦) وإلى محمد أفندي العفيفية من تجار عكا وملاكها.(٢١٧)

لقد تنوعت الأعمال التي مارسها هؤلاء التجار الملاك، فاتجه بعضهم لامتلاك الأبنية والدور والدكاكين والمخازن. فأشارت السجلات إلى جميل بن الياس الأبيض الملاك المقيم بحيفا الذي كان يمتلك بالاشتراك مع أخويه يوسف وأنيس حصصاً في أربعة مخازن وأحد عشر دكاناً، وثلاثة يواخير، وبئراً للزيت، وخانتين، وحصصاً في اثني عشر مخزناً.(٢١٨) وكان الياس بن أندراوس المجدلاني من حيفا يمتلك المفازتين مع الدار المشتملة على خمس أوض، وحصصاً في دار وخانة، وأربع عشرة مفازة أُخرى، و«أوتيلا» (فندق)، ومكتباً، وحوشاً، إضافة إلى سبعة خانات في يافا، ودارين في بيروت.(٢١٩)

(٢١٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٨، ن ٢٤٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.
(٢١١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٥٢، ن ٦٠٧، ٢٢ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ/ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٠٥م.
(٢١٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٣٩، ن ١٠٤٥، ٣ صفر ١٣٣٤هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.
(٢١٣) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٤٦، ن ٢٠٢، ٨ محرم ١٣٢٨هـ/ ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٠م.
(٢١٤) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٨٩، ١٩٠، ن ٤٣، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٨ نيسان (أبريل) ١٩١٠م.
(٢١٥) سجل أراضي رقم ٥٦، دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، ص ١٠١ ـ ١١١.
(٢١٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٨، ن ٩٤٤، ٢٥ شعبان ١٣٣٣هـ/ ٨ تموز (يوليو) ١٩١٥م.
(٢١٧) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٥ ـ ١٠٧، ن ٧، ٢٤ شعبان ١٣٢٧هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م.
(٢١٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٩٣، ن ٢٣٦، ٤ رجب ١٣٠٦هـ/ ٦ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م.
(٢١٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٠٠، ن ٦٣٢، ٢٦ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩١٤م.

كما جمع بعض الأثرياء بين ملكية الأبنية والاستثمار في الزراعة وتربية الحيوانات، فمثلاً كان للحاج عبده ابن الحاج محمد فرج من حيفا خمس دور ومخزن ودكان وبئر للزيت في حيفا ودار وكرم للزيتون في الطنطورة وكرم ثانٍ للزيتون في عين غزال،(٢٢٠) كما ربى الحيوانات التي رعاها له عدد من الفلاحين، فكان له أبقار في أم الزينات، وماعز وغنم في الطيرة، وخيل في عين غزال، وفلاحة أرض في كفر لام.(٢٢١)

أمّا عبد اللطيف بن أحمد الصلاح فكان له أربع دور في حيفا ومخزنان، ودكان في سوق حيفا، و٢١ قيراطاً من مجموع ٢٤ قيراطاً من أراضي قرية جعارة، وله مطلوبات من فلاحة قرية الصرفند.(٢٢٢)

لم تقتصر فئة التجار والملاك على الأثرياء من المدن، وإنما شملت بعض كبار الملاك من سكان القرى الذين امتلكوا مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في عدة قرى. فمثلاً كان عيسى بن خليل الزبن من الطيرة يمتلك أراضي واسعة في قرية الطيرة، ومطلوباته منها ٤٥٠ مجيدياً (٩٠٠٠ قرش)، ومطلوباته من قرية بريكة ١١٩٥ مجيدياً (٢٣,٩٠٠ قرش) سنوياً. كما امتلك ١٢ كرماً للزيتون ومعصرة ودكانتين في الطيرة وداراً في حيفا.(٢٢٣)

وكان الحاج عمر بن مصطفى الأيوب من الطنطورة يمتلك داراً في الطنطورة مكونة من ١٦ محلاً. كما جمع بين تربية الحيوانات والزراعة، فكان عنده ١٦ رأس بقر، وله فلاحة أربعة أفدنة في الطنطورة، وثلث فلاحة قرية المراح، وفلاحة في الفريديس وفي قرية عين غزال.(٢٢٤)

كما اتجه آخرون إلى الاستثمار في الصناعة. فمثلاً اشترى أسعد صندوقة معصرتين في حيفا.(٢٢٥) بينما كان لالياس بن حنا غنطوس من حيفا معصرة

(٢٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٨، ٣٩، ن ٥٩، ١٤ ربيع الأول ١٣١٠هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢م؛
سجل قرية الطنطورة، رقم ٥٣، ٥٤، ص ١٠٦.
(٢٢١) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٣٣، ن ٥١، ٧ صفر ١٣١٠هـ/ ٣١ آب (أغسطس) ١٨٩٢م.
(٢٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٨، ن ٣٤٠، ٦ ذو الحجة ١٣١٢هـ/ ٣١ أيار (مايو) ١٨٩٥م.
(٢٢٣) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٩٥ ـ ١٩٨، من دون نمرة، من دون تاريخ.
(٢٢٤) س ح، حجج ودعاوى، س ٨، ص ١٦٥ ـ ١٦٦، من دون نمرة، من دون تاريخ.
(٢٢٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٦٤، ن ٨٤، ٦ محرم ١٢٩١هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٤م.

في الطيرة،[٢٢٦] وكان فؤاد السعد يمتلك معملين للثلج في عكا وحيفا.[٢٢٧]

وحاول هؤلاء الأثرياء تطوير مشاريعهم التجارية والمالية وعلى رأسهم فؤاد السعد، فحاولوا إنشاء بنك أهلي برأس مال قدره خمسون ألف ليرة عثمانية،[٢٢٨] كما عملوا على إنشاء شركة للتنقيب عن المعادن في بلاد الشام.[٢٢٩]

وجمع بعض الأثرياء بين العمل التجاري والمالي والعمل الإداري، فمثلاً عمل مصطفى الخليل رئيساً لبلدية حيفا، وعضواً في مجلس إدارة قضاء حيفا.[٢٣٠] كذلك كان عبد الغني بيضون عضواً في مجلس إدارة لواء عكا،[٢٣١] وأميناً لصندوق شعبة المعارف، وعضواً في دائرة النافعة (الأشغال).[٢٣٢] وكان ابنه زكي رئيساً لبلدية عكا.[٢٣٣]

كما تمتع هؤلاء التجار والملاك بمكانة مرموقة في المجتمع، وتمثل ذلك في الألقاب التي أطلقتها السجلات عليهم، فأشارت إحدى الحجج إلى الوجيه إبراهيم الخوري، التاجر الملاك من حيفا،[٢٣٤] وأشارت حجة أُخرى إلى صاحب السعادة الحاج مصطفى باشا ابن إبراهيم الخليل من وجهاء حيفا.[٢٣٥]

---

(٢٢٦) س ح، ش ١٤١، س ٩، من دون صفحة، ن ٦٩٦، ٧ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ١ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

(٢٢٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٤، ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٢م، ص ١.

(٢٢٨) صحيفة «البشير»، العدد ٢٣٥٤، ١١ ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م، ص ١.

(٢٢٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٤١، ن ٥٢٧، ٢١ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٢٣٠) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٦٥، ١٦٦، ن ١٦٩، ١٠ ذو القعدة ١٣٢٣هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦م.

(٢٣١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٣٤.

(٢٣٢) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ١٧٨.

(٢٣٣) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ١٨، ن ٢٧، ٤ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(٢٣٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٢، ن ٢٦٥، ١١ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(٢٣٥) س ح، ش ٢٦١، من دون صفحة، ن ٢٥٣، ٢١ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) ١٩١١م.

ثالثاً: التجارة

أ) الصادرات

شكلت المحاصيل الزراعية، كالقمح والشعير والذرة والعدس والقطن وزيت الزيتون، الصادرات الرئيسية من اللواء. وكان معظم هذه المحاصيل يصدر إلى الدول الأوروبية كفرنسا وبريطانيا والنمسا، وإلى المدن الإيطالية كجنوى والبندقية.[٢٣٦]

١ ـ القطن:

كان القطن من أهم محاصيل التصدير الزراعية في اللواء. وقد استوردت البندقية القطن منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي. فكان تجارها يشترونه ويجمعونه في بعض المنازل والأقبية في عكا لشحنه إلى البندقية.[٢٣٧]

وقد ازداد اهتمام الفرنسيين باستيراد القطن من اللواء في القرن السابع عشر، وبدأ التجار الفرنسيون منافسة تجار البندقية، فأشار حيدر الشهابي في حوادث سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م، إلى وصول مركبين تجاريين فرنسيين إلى عكا لشحن القطن.[٢٣٨]

وكانت فرنسا تستورد القطن الخام والقطن المغزول، فكانت خيوط القطن المغزولة في بلاد الشام تلقى إعجاب الفرنسيين. وقد أشار القنصل الفرنسي في صيدا، في رمضان سنة ١١٠٤هـ/ أيار (مايو) ١٦٩٢م، إلى ذلك فقال إنه لا يمكن غزل القطن في فرنسا بهذا الإتقان الذي يتم في بلاد الشام، ولا بذلك البياض وتلك النعومة والطراوة، وإذا أريد غزله بهذه الجودة في فرنسا فإن سعره سيرتفع إلى أكثر من ٤٠٪ عن سعره في بلاد الشام.[٢٣٩]

كما أشارت تقارير القناصل الفرنسيين في صيدا، في أواخر القرن السابع عشر، إلى أنه كان ينقل عبر عكا ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ بالة من القطن الخام، و٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ بالة من القطن المغزول.[٢٤٠]

---

(٢٣٦) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 155, 156, 343; Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 145; Bowring, *op.cit.*, p. 8; Charles-Roux, *Les Echelles*, pp. 194 - 195.

(٢٣٧) Amnon Cohen, *Palestine*, p. 12.

(٢٣٨) أحمد حيدر الشهابي، «الغرر الحسان»، ج ١، ص ٦٨١.

(٢٣٩) Adel Asmail, *Document*, Vol. I, p. 27.

(٢٤٠) *Ibid.*, Vol. I, p. 17.

وكان القطن المنتج في اللواء يصدّر عن طريق صيدا أيضاً. فكان محصول القطن يجمع من اللواء وينقل في القوارب بحراً إلى صيدا. كما أن السفن الأوروبية، وخصوصاً الفرنسية، كانت تأتي إلى عكا فتنقل القطن المخزن فيها ثم تكمل حمولتها من صيدا وغيرها من المدن الساحلية السورية. وهذا يفسر ربط القناصل الفرنسيين تجارة عكا بتجارة صيدا في تقاريرهم في أواخر القرن السابع عشر الميلادي.(٢٤١)

لكن أهمية عكا التجارية أخذت تزداد بالتدريج منذ سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، عندما انتقل إليها عدد من التجار الفرنسيين من صيدا في إثر خلافهم مع واليها، على الرغم من أن معظمهم قد عاد إلى صيدا بعد انتهاء هذا الخلاف.(٢٤٢)

ولم تقتصر التجارة مع عكا في هذه الفترة على التجار الفرنسيين فقط، إذ تذكر التقارير الفرنسية لسنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، أن قافلة هولندية كانت تصل إلى عكا سنوياً وتنقل من الميناء ٢٠٠ ـ ٤٠٠ بالة من القطن الخام والمغزول، ثم تتابع رحلتها شمالاً نحو الإسكندرونة وغيرها من مدن الساحل السوري لتكمل حمولتها منها. كما كانت تأتي إلى عكا مراكب إنكليزية لنقل القطن، وكان بعضها يحمل أكثر من ٢٠٠ بالة من القطن.(٢٤٣)

من الواضح أن التجار الفرنسيين استطاعوا فرض سيطرتهم على تجارة القطن في عكا في هذه الفترة، فأصبح عددهم في المدينة سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، اثني عشر تاجراً، كما كان تجار صيدا الفرنسيون يرسلون مبعوثين عنهم إلى المدينة أو يأتونها بأنفسهم لشراء القطن. وقد بلغ عدد السفن الفرنسية التي وصلت إلى المدينة سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، عشرة مراكب نقلت ما قيمته ٥٥ ألف قرش من القطن الخام والمغزول.(٢٤٤)

كما كان الفرنسيون ينقلون القطن عبر ميناء حيفا، فأشار الفرنسي دارفيو (D'Arvieux) إلى أن حيفا كانت تستقبل سفناً فرنسية لنقل القطن.(٢٤٥)

ولقد أصبح القطن، نتيجة إقبال الفرنسيين خاصة على شرائه، المحصول الزراعي الرئيسي في اللواء، فازدهر الاتجار به مع فرنسا، وازداد عدد التجار

(٢٤١) *Ibid.*, Vol. 1. pp. 162-174, 278-292; *Ibid.*, Vol. 2, pp. 51-65.

(٢٤٢) عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني»، ص ٨٦٣.

(٢٤٣) ليلى الصباغ، «الجاليات الأوروبية»، ج ١، ص ٢٩٧.

(٢٤٤) المصدر نفسه.

Bowring, *op.cit.*, p. 58.

(٢٤٥) الصباغ، «الفعاليات...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤.

الفرنسيين في عكا، وأصبحت السفن الفرنسية تبحر مباشرة بين عكا ومرسيليا.(٢٤٦)

وقد كانت الواردات الفرنسية من القطن عبر ميناءي عكا وصيدا، سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م، على النحو التالي:(٢٤٧)

القطن الخام	٦٧٨,١٢٥ بالة	ثمنها ٦١,٠٣١ قرشاً
القطن المغزول	١,٠٥٦,٦٦٥ بالة	ثمنها ٢٢١,٣٣٣ قرشاً

بينما ازدادت الكمية المستوردة عبر ميناءي عكا وصيدا، سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م، فأصبحت على النحو التالي:(٢٤٨)

القطن الخام	١٣٩,٦٣٠ بالة
القطن المغزول	١,١١٥,٣٨٥ بالة

لكن في سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، انخفضت كمية القطن المصدرة إلى فرنسا عبر ميناءي عكا وصيدا، وأصبحت على النحو التالي:(٢٤٩)

القطن الخام	٥٩١,٦١٨ بالة	ثمنها ٥٩,١٦١ قرشاً
القطن المغزول	٩٠٢,١٠٣ بالات	ثمنها ٢٧٠,٦٤٠ قرشاً

ولا شك في أن انخفاض الكميات المصدرة، سواء أكانت من القطن الخام أم من القطن المغزول، يعود إلى انخفاض الإنتاج. وكذلك يتبين إقبال الفرنسيين على شراء القطن المغزول أكثر من القطن الخام.

شكلت تجارة القطن العنصر الأساسي للصادرات خلال سيطرة ظاهر العمر الزيداني على شمال فلسطين، فيذكر عبود الصباغ «أن ظاهر العمر كان محبوباً من الفرنساوية وكان كامل ما يطلع في بلاده من قطن وغلال يبيعها للفرنساوية في عكا».(٢٥٠)

ونتيجة ذلك ازدادت أهمية عكا التجارية، فارتفع عدد التجار الفرنسيين في المدينة إلى ثلاثة وعشرين تاجراً سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. ويبين الجدول التالي عدد

(٢٤٦) Cohen, *op.cit.*, p. 132.

(٢٤٧) Asmail, *op.cit.*, Vol. 1, p. 175.

(٢٤٨) *Ibid.*, Vol. 1, p. 155.

(٢٤٩) *Ibid.*, Vol. 1, pp. 166-170.

(٢٥٠) عبود الصباغ، «الروض الزاهر»، ص ٤٩ وانظر أيضاً:

Cohen, *op.cit.*, pp. 127-139.

التجار الفرنسيين في عكا قياساً بالمدن السورية الأُخرى في السنة نفسها:[٢٥١]

الجدول رقم ٧ ـ ٦

المدينة	الإسكندرونة	حلب	طرابلس	اللاذقية	صيدا	عكا	يافا	الرملة	المجموع
العدد	٤	٤٢	١٥	٣	٣٤	٢٣	١	٨	١٣٠

ويلاحظ أن عكا تأتي في الدرجة الثالثة بالنسبة إلى التجارة الفرنسية بعد مدينتي حلب وصيدا إذا اعتُبر عدد التجار مقياساً لذلك.

لكن العلاقات التجارية ساءت بين التجار الفرنسيين وظاهر العمر مرات كثيرة بسبب إصراره على احتكار تجارة القطن لنفسه ولكبار معاونيه، ومنعه التجار الفرنسيين من الشراء المباشر من المزارعين. وقد انتهت هذه الخلافات بتوقيع اتفاقية لتنظيم التجارة بين الطرفين سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.[٢٥٢]

تدهورت تجارة القطن في أوائل السبعينات من القرن الثامن عشر بعد أن تأثرت زراعة القطن بالحروب التي عانى جراءها السكان في اللواء. وتمثلت هذه الحروب في الهجمات التي شنها علي بك الكبير، ومحمد بك أبو الذهب من مصر على فلسطين في الفترة ١١٨٤ ـ ١١٨٩هـ/ ١٧٧٠ ـ ١٧٧٥م، فانخفض إنتاج القطن وتدنت الكميات المتوفرة للتصدير. كما جاء في رسالة للقنصل الفرنسي في صيدا بتاريخ ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٧٧٣م، أنه كان يصدّر في الأوقات العادية ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ بالة من القطن سنوياً، لكن الأوضاع الحالية خفضت الكمية إلى ٥٠٠ بالة في سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م.[٢٥٣]

ومما لا شك فيه أن تجارة القطن تأثرت، بصورة كبيرة، بالأوضاع السياسية والعسكرية في أوروبا في هذه الفترة وخصوصاً فرنسا، المستورد الرئيسي للقطن. فقد شهدت فرنسا قيام ثورة خلال فترة ١٢٠٤ـ١٢٣١هـ/ ١٧٨٩ـ١٨١٥م، ولم يكن تأثيرها محصوراً في فرنسا بل امتد إلى الدول الأوروبية الأُخرى، وخصوصاً أن فرنسا وبريطانيا عملتا على عرقلة تجارة تلك الدول في البحر الأبيض

(٢٥١) Charles-Roux, *op.cit.*, p. 83.

(٢٥٢) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢٠ ـ ٨٢٢؛
Cohen, *op.cit.*, pp. 128-132; Charles-Roux, *op.cit.*, pp. 84-93.

(٢٥٣) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢١.

المتوسط.[٢٥٤]

كما تأثرت زراعة القطن، في هذه الفترة، بسياسة الاحتكار الزراعي والتجاري التي انتهجها الجزار عندما فرض على الفلاحين زراعة القطن وغيره من المحاصيل، كالقمح، وبيعها له بالأسعار التي حددها لهم. ثم قام الجزار ببيع هذه المحاصيل للتجار الفرنسيين بالأسعار التي حددها لهم، الأمر الذي أوقع الخلاف بينه وبينهم، وكانت النتيجة أن أمرهم بمغادرة عكا فاتجهوا إلى يافا وصيدا، لكنهم عادوا إلى عكا بالشروط التي فرضها الجزار عليهم.[٢٥٥]

استمر التدهور في تجارة القطن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي لأن الدول الأوروبية، وخصوصاً إنكلترا وفرنسا، بدأت تستورد القطن من الولايات المتحدة الأميركية. كما أن الثورات التي شهدها اللواء خاصة، وفلسطين عامة، خلال الحكم المصري لبلاد الشام في الفترة ١٢٤٧ ـ ١٢٥٦هـ/ ١٨٣١ ـ ١٨٤٠م، أعاقت زراعة القطن فانخفضت الكميات المتوفرة للتصدير.[٢٥٦] وعلى الرغم من أن محمد علي شجع زراعة القطن في اللواء، فإنها لم تنجح إلاّ في منطقة طبرية لشدة حرارتها.[٢٥٧]

لكن الطلب الأوروبي على القطن المحلي أخذ يزداد، بالتدريج، في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر مع اندلاع الحرب الأهلية الأميركية التي وقعت في الفترة ١٢٧٨ـ١٢٨٢هـ/ ١٨٦١ـ١٨٦٥م.[٢٥٨] فانقطع القطن الأميركي عن أوروبا وازداد الطلب على القطن المحلي فانتعشت زراعته في اللواء، إلاّ إن هذا الانتعاش كان لفترة موقتة ولسنوات محدودة. فمثلاً، كانت كمية القطن المصدر من اللواء في الفترة ١٢٦٩ ـ ١٢٧٩هـ/ ١٨٥٢ ـ ١٨٦٢م على النحو التالي:[٢٥٩]

(٢٥٤) Asmail, *op.cit.*, Vol. 3, pp. 23-40.

(٢٥٥) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤٣؛ أحمد حيدر الشهابي، «تاريخ أحمد باشا الجزار»، ص ١٢٣؛ طنوس الشدياق، «أخبار الأعيان»، ج ٢، ص ٣٤٨، ٣٤٩؛
Cohen, *op.cit.*, p. 121.

(٢٥٦) Bowring, *op.cit.*, p. 14; Carl Lamm, *Cotton*, p. 229.

(٢٥٧) رستم، المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٤، ٣٥٧؛ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥٦؛
Bowring, *op.cit.*, p. 58.

(٢٥٨) *W.B.E.*, Vol. 4, pp. 614-634; *E.B.*, Vol. 1, p. 327.

(٢٥٩) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

الجدول رقم ٧ ـ ٧

السنة	١٢٦٩هـ ١٨٥٢م	١٢٧٠هـ ١٨٥٣م	١٢٧١هـ ١٨٥٤م	١٢٧٢هـ ١٨٥٥م	١٢٧٣هـ ١٨٥٦م	١٢٧٤هـ ١٨٥٧م	١٢٧٥هـ ١٨٥٨م	١٢٧٦هـ ١٨٥٩م	١٢٧٧هـ ١٨٦٠م	١٢٧٨هـ ١٨٦١م	١٢٧٩هـ ١٨٦٢م
كمية التصدير	٤٤٦,٥٤٥	٢٩٤,٥٤٥	٣٧٠,٩١	٣٨١٩	-	-	-	٥٢٣٧	٦٩,٤٥٥	٥٨,٩٠٩	٥٥,٢٧٣

ثم أخذت هذه الكمية ترتفع بالتدريج، فكانت كمية القطن التي صدرت عبر عكا، سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، نحو ٦٥٠٨ بالات، ثم ارتفعت فجأة سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م إلى ١,١٣٤,١٧٦ بالة صدّر منها ٧٥٥,٠٤٨ بالة إلى فرنسا والباقي إلى مناطق أُخرى ضمن الدولة العثمانية، كبيروت وصيدا. كما ارتفعت الصادرات عبر ميناء حيفا من ١١,٥٢٠ بالة سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م إلى ٣٢٢,١٠٤ بالات سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، منها ٦٥,٨١٦ بالة إلى إنكلترا و٨٢١٤ بالة إلى فرنسا والباقي إلى مناطق ضمن الدولة العثمانية.(٢٦٠)

وقد بقيت كميات القطن المصدرة من اللواء مرتفعة حتى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر، وهذا ما يتضح من الجدول التالي الذي يبين الكميات المصدرة من اللواء إلى عدد من الدول الأوروبية في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م:(٢٦١)

الجدول رقم ٧ ـ ٨

المدينة	ليفربول/ إنكلترا	مرسيليا/ فرنسا	تريستا/ إيطاليا	جنوى/ إيطاليا	المجموع
الكمية	٢٦٢,٥٠٠	١٢٢,٥٠٠	٥٢,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٤٧٧,٠٠٠

٢ ـ الحبوب:

كانت الدولة العثمانية تمنع تصدير الحبوب، وخصوصاً القمح، إلى الدول الأُخرى لأهميته كغذاء أساسي للسكان والجنود في السلم والحرب. لكنها سمحت، أحياناً، بتصدير الحبوب في بعض الظروف الخاصة، كتعرض الدول الأوروبية للمجاعة، وانخفاض إنتاجها من الحبوب، بعد أخذ ترخيص بذلك من السلطات العثمانية.(٢٦٢)

(٢٦٠) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343.

(٢٦١) *Ibid.*, p. 165.

(٢٦٢) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨١٧.

وقد ذكر إسطفان الدويهي، في أخبار سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، أن مراكب كثيرة جاءت عكا وصور والطنطورة من بلاد الفرنج لقلة محصول القمح في الدول الأوروبية، وأن الأوروبيين يشترون الحبوب بأسعار مرتفعة، وأشار إلى أنه وصل إلى عكا في هذه السنة مئة وعشرون برشة (سفينة) لطلب القمح، فارتفعت الأسعار في البلاد.(٢٦٣)

وتبين تقارير القناصل الفرنسيين في صيدا وعكا أن الحبوب تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في جدول الواردات الفرنسية من ميناءي عكا وصيدا بعد القطن.(٢٦٤)

لكن من الواضح أن حاجة الدول الأوروبية إلى الحبوب أخذت تزداد، بالتدريج، في القرن التاسع عشر. ويرتبط ذلك بالثورة الصناعية في أوروبا وبازدياد أعداد السكان فيها وحاجتهم إلى مزيد من المواد الغذائية، وخصوصاً القمح. كما أن فرنسا شهدت مواسم زراعية سيئة نتيجة الجفاف الذي تعرضت له في الأعوام التي سبقت الثورة الفرنسية، فازداد الطلب الفرنسي على القمح من البلاد.(٢٦٥) ويؤكد ذلك أن الجزار أجبر المزارعين سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م على زراعة القمح، واشترى القمح لحسابه الخاص ومنع التجار من الشراء المباشر من المزارعين. وقد حقق جراء ذلك أرباحاً عالية، وخصوصاً أن الموسم الزراعي كان جيداً، كما ارتفعت الأسعار بصورة كبيرة.(٢٦٦)

وهكذا ازدادت صادرات اللواء من الحبوب المتنوعة، كالقمح والشعير والذرة والسمسم، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهذا يتضح من الجدول التالي الذي يبين أثمان الحبوب المصدرة عبر ميناء عكا إلى عدد من الدول الأوروبية سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م قياساً بالسنة السابقة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م:(٢٦٧)

(٢٦٣) إسطفان الدويهي، «تاريخ الأزمنة»، ص ٤٩٨.

(٢٦٤) Asmail, *op.cit.*, Vol. 1, pp. 278-292; *Ibid.*, Vol. 2, pp. 51-64.

(٢٦٥) *E.B.*, «History of France,» Vol. 7, pp. 640-665.

(٢٦٦) Cohen, *op.cit.*, p. 22.

(٢٦٧) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 347.

الجدول رقم ٧ ـ ٩

الدولة	القمح/ قرش	الذرة/ قرش	الشعير/ قرش	السمسم/ قرش
إنكلترا	٢٩٩,٥٠٠	١٥,٠٩٠	٤٨,٠٠٠	-
فرنسا	٢,١٣٠,٢١٠	-	٢٤,٠٠٠	٣٨٣,٣٥٦
اليونان	٨٠٣,٥٠٠	-	-	-
إيطاليا	٥٨٣,٢٠٠	-	-	-
الدولة العثمانية	٨١٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٢٤,٠٠٠	-
المجموع (القيمة)	٤,٦٢٦,٤١٠	٥٠,٠٩٠	٩٦,٠٠٠	٣٨٣,٣٥٦
قيمة الصادرات سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م	٦,٥٦٦,٧٤٢	٣٧,٥٠٠	١١٤,٦٨٠	٣٤٦,٠٤٨
الفارق في قيمة الصادرات في السنتين	١,٩٤٠,٣٣٢	١٢,٥٩٠	١٨,٦٨٠	٣٧,٣٠٨

ووفقاً لهذا الجدول، كانت فرنسا من أكثر الدول الأوروبية استيراداً عبر عكا، وكانت تستورد القمح وكل كمية السمسم، وتليها إنكلترا التي تستورد القمح والذرة والشعير. كما يتضح أن القمح كان المادة الرئيسية المصدرة إلى كل من فرنسا وإيطاليا وإنكلترا واليونان، وأن فرنسا استوردت ٤٦٪ من كمية القمح المصدر عبر عكا في تلك السنة.

وتظهر المقارنة بين الكميات المصدرة في الفترة ١٢٧٩ ـ ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣م ارتفاع الكميات المصدرة في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م على تلك المصدرة في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، ويرتبط ذلك باختلاف كميات الإنتاج في السنتين وحاجة الدول الأوروبية إلى هذه المادة.

أمّا الجدول التالي فيوضح أنواع وأثمان الحبوب التي تم تصديرها عبر ميناء حيفا سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م قياساً بالسنة السابقة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م:[٢٦٨]

(٢٦٨) *Ibid.*, p. 343.

الجدول رقم ٧ ـ ١٠

الدولة	القمح/ قرش	الذرة/ قرش	الشعير/ قرش	السمسم/ قرش
إنكلترا	٢١٠,٠٠٠	١٦,٠٧٠	-	-
النمسا	٣٥,٠٠٠	-	-	-
فرنسا	٢٥٠,٠٠٠	-	-	٤٠٦,٠٠٠
اليونان	٤٥,٧٤٥	-	-	-
إيطاليا	١١٠,٠٠٠	-	-	-
الدولة العثمانية	٤١٨,٠٠٠	-	١٠,٥٥٤	٣٠٢,١٢٣
المجموع (القيمة)	١,٠٦٨,٧٤٥	١٦,٠٧٠	١٠,٥٥٤	٧٠٨,١٢٣
قيمة الصادرات سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م	٩٥٥,٩٠٨	١٥,٠٠٠	٤٠٠٠	٨٢١,٥٥٩
الفارق بين السنتين	١١٢,٨٣٧	١,٠٧٠	٦٥٥٤	١١٣,٤٣٦

يبين الجدول أن القمح يشكل المادة الأساسية للتصدير عبر ميناء حيفا إلى فرنسا وإنكلترا، وأن النمسا استوردت أكبر كمية من القمح المصدر عبر حيفا. كما يبين ارتفاع كميات القمح المشحونة من حيفا إلى المناطق العثمانية الأُخرى، والتي شكلت ٣٩٪ من القمح المشحون عبر ميناء حيفا. وقد انخفضت كميات الشعير والذرة المنقولة عبر حيفا، ما عدا السمسم الذي صدر، في معظمه، إلى فرنسا فقط بين الدول الأوروبية.

إن المقارنة بين الجدولين السابقين تبين أن كميات الحبوب المصدرة عبر عكا تفوقت، في جميع المواد، على تلك المصدرة عبر حيفا. كما يتبين أن القمح شكّل المادة الرئيسية للتصدير عبر الميناءين، وأن الدول المستوردة من عكا هي الدول نفسها التي استوردت من حيفا ما عدا النمسا التي اقتصر تعاملها على ميناء حيفا فقط.

كما تفاوتت كميات الحبوب المصدرة من اللواء من سنة إلى أُخرى. وهذا ما يتضح من الجدول التالي الذي يبين أنواع الحبوب المصدرة عبر عكا وحيفا وكمياتها في الفترة ١٢٨٩ ـ ١٢٩٨هـ/ ١٨٧٢ ـ ١٨٨٠م:[٢٦٩]

(٢٦٩) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

الجدول رقم ٧ ـ ١١

	السنة	القمح/ كيلة	الشعير/ كيلة	الذرة/ كيلة	السمسم/ أقة
عكا	١٨٧٢	١,٥٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
	١٨٧٣	٤٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	-	٥٠٠,٠٠٠
	١٨٧٤	٢,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
	١٨٧٥	٣,٥٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
	١٨٧٦	١,٥٠٠,٠٠٠	-	٢٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
	١٨٧٧	٥٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠
	١٨٧٨	١,٧٥٠,٠٠٠	-	-	-
	١٨٧٩	٢١١,٢١٩	٤٧٨٠	-	-
	١٨٨٠	٢٦٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
حيفا	١٨٧٢	٨٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٣٥٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠
	١٨٧٣	٤٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	-	٥٠٠,٠٠٠
	١٨٧٤	٨٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
	١٨٧٥	١,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٧٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
	١٨٧٦	١٠٠,٠٠٠	٢٥٠٠	١٥٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠
	١٨٧٧	٨٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
	١٨٧٨	٢٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	-	-
	١٨٧٩	-	-	-	-
	١٨٨٠	٤٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠

يبين الجدول تفاوت كميات الحبوب المصدرة من سنة إلى أُخرى. فمثلاً كانت سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م سيئة المحصول بسبب الجفاف وقلة الأمطار،(٢٧٠) فانخفضت كميات القمح المعدة للتصدير عبر عكا من ١,٥٠٠,٠٠٠ كيلة سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م إلى ٤٠٠,٠٠٠ كيلة سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. وكذلك الحال بالنسبة إلى كميات القمح المصدرة من حيفا والتي انخفضت من ٨٠٠,٠٠٠ كيلة إلى ٤٠٠,٠٠٠ كيلة في الفترة نفسها.

ويلاحظ أن معظم السمسم الذي يصدر عبر عكا وحيفا كان ينقل إلى فرنسا، فذكر بطرس البستاني، سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، أن تجارة حيفا محصورة في الحبوب التي كانت تُجلب من المناطق الداخلية بقصد الشحن إلى أوروبا فيصدر من مينائها سنوياً ٦٠٠ كيلة من الحنطة وقدرها من الشعير ومليون أقة من

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص ١٠٥ ـ ١١٢.

السمسم.(٢٧١)

وتشير تقارير القنصلية الأميركية في بيروت إلى أن معظم السمسم المصدر من بلاد الشام كان ينقل إلى مرسيليا. ويبين الجدول التالي قيمة السمسم المصدر عبر موانىء بلاد الشام الرئيسية إلى مرسيليا سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م:(٢٧٢)

الجدول رقم ٧ ـ ١٢

المدينة	يافا	اللاذقية	طرابلس	عكا وحيفا	المجموع
كمية التصدير	٤٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٩٥٠,٠٠٠

يبين الجدول أن ميناءي حيفا وعكا يأتيان في المرتبة الثانية بعد ميناء يافا من حيث كميات السمسم المصدرة من موانىء بلاد الشام إلى ميناء مرسيليا.

وقد استمر تصدير الحبوب من اللواء حتى نهاية العصر العثماني، فكانت كميات القمح المصدرة من حيفا في الفترة ١٣٢٨ـ١٣٣٣هـ/ ١٩١٠ـ١٩١٤م على النحو التالي مقدرة بالأطنان:(٢٧٣)

الجدول رقم ٧ ـ ١٣

السنة	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م	١٣٢٩هـ/ ١٩١١م	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م
الكمية	٦١٧١	٤٥٦٣	١٣٥٣	٥٩٦٠

بينما بلغت كمية السمسم التي صدرت من حيفا في سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م نحو ٩٠٠٠ طن جاء معظمها من السهل الساحلي ومرج ابن عامر.(٢٧٤)

كما انخفضت كميات المحاصيل المصدرة في الفترة ١٢٩٣ ـ ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٨٧٩م بسبب تناقص كميات الأمطار، الأمر الذي أدى إلى تدني الإنتاج، إضافة إلى الحرب مع روسيا التي دفعت الدولة العثمانية إلى منع التصدير، وتخصيص الحبوب المتوفرة لتموين الجيش العثماني على جبهات القتال.(٢٧٥)

(٢٧١) البستاني، مصدر سبق ذكره، «حيفا»، ج ٦، ص ٢٧٨.
(٢٧٢) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 169.
(٢٧٣) Arthur Ruppin, *Syrien*, p. 216.
(٢٧٤) *Ibid.*, p. 217.
(٢٧٥) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧، ١٠٨؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

إن المقارنة بين الكميات المصدرة عبر ميناءي عكا وحيفا، تظهر ازدياد الكميات التي صدرت عبر عكا على تلك التي صدرت عبر حيفا حتى سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، التي زادت فيها الكميات المصدرة عبر ميناء حيفا على تلك المصدرة عبر ميناء عكا. ويوضح ذلك انتعاش الحركة التجارية من ميناء حيفا وازدياد الاتصال المباشر بينه وبين الموانىء الأوروبية في الوقت الذي أخذت الحركة التجارية في عكا في الانكماش لمصلحة ميناءي حيفا وبيروت.

ويبين الجدول التالي أسعار تصدير الحبوب في كل من عكا وحيفا في الفترة ١٢٩١ ـ ١٢٩٨هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٨٨٠م بالقروش العثمانية:[٢٧٦]

الجدول رقم ٧ ـ ١٤

السنة	المدينة	القمح	الشعير	الذرة	السمسم بالأقة
١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م	عكا	٢٧	١٤	١٨	٣
	حيفا	٢٤	١٤	١٨	٣
١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م	عكا	٢٥	١٢	١٧	٢,٥
	حيفا	٢٤	١٢	١٨	٢,٥
١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م	عكا	٢٢	ـ	١١	٢,١٢٥
	حيفا	ـ	ـ	ـ	ـ
١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م	عكا	٣٦	٢٠	٢٢	٣
	حيفا	٣٤	٢٠	٢٢	٣
١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م	عكا	٣٨	ـ	ـ	ـ
	حيفا	٣٠	١٤	ـ	ـ
١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م	عكا	٤٠	ـ	١٦	ـ
	حيفا	٣٥	ـ	ـ	ـ
١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م	عكا	٣٠	١٢	١٦	٢,٧٥
	حيفا	٣٠	١٢	١٦	٢,٧٥

ولم يقتصر تصدير الحبوب إلى الخارج عبر ميناءي حيفا وعكا إلى أوروبا فقط، بل إن كميات منها أيضاً كانت تنقل إلى صيدا وتصدر عبر مينائها إلى أوروبا. فقد نشرت صحيفة «البشير» عن نقل ١٠٠,٠٠٠ كيلة من الحبوب من عكا

(٢٧٦) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

وحيفا إلى صيدا،[٢٧٧] وقد انخفضت الكمية إلى نحو ٥٥,٠٠٠ كيلة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.[٢٧٨]

كما نقلت الحبوب من حيفا وعكا إلى بيروت، إلاّ إن المصادر المتوفرة لم تشر إلى حجم هذه الكميات. لكنها أعطت أسعار الحبوب الآتية من عكا وحيفا والتي تباع في بيروت. فمثلاً بيعت كيلة الحنطة وارد عكا في ٢ ذو القعدة ١٢٩١هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٤م بمبلغ ٣٣ قرشاً، بينما بيعت الكيلة وارد حيفا بمبلغ ٣٠ قرشاً، وبيعت الكيلة وارد عكا في ٢٧ شعبان ١٢٩٥هـ/ ٢٦ آب (أغسطس) ١٨٧٨م بمبلغ ٤٠ قرشاً، بينما بيعت الكيلة وارد حيفا بمبلغ ٣٩ قرشاً. وقد ارتفعت الأسعار في سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م قياساً بالأسعار في السنوات السابقة، ويعود ذلك إلى انخفاض كمية الإنتاج وازدياد الطلب على الحبوب من روسيا.[٢٧٩]

٣ ـ زيت الزيتون:

كان زيت الزيتون من مواد التصدير الأساسية منذ بداية العصر العثماني. وكانت الدولة العثمانية تمنع تصدير الزيت إلى الخارج، لكنها سمحت بتصديره أحياناً، فكان الزيت يصدر إلى المدن الإيطالية وإلى إنكلترا وفرنسا التي كانت تفضله على زيتها المحلي.[٢٨٠]

ويبين الجدول التالي كمية الزيت التي تم تصديرها عبر ميناءي عكا وصيدا في الفترة ١١٢٥ ـ ١١٢٧هـ/ ١٧١٣ ـ ١٧١٥م إلى فرنسا مقدرة بالأقة:[٢٨١]

(٢٧٧) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٣٨، ٢٥ ذو الحجة ١٣٢٣هـ/ ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٦م، ص ٣.

(٢٧٨) توما كيال، «تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها»، «المشرق»، العدد ٣، السنة الحادية عشرة، ص ٧٨، ٧٩؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٨٤٨، ٤ صفر ١٣٢٦هـ/ ٧ آذار (مارس) ١٩٠٨م، ص ٤.

(٢٧٩) صحيفة «البشير»، العدد ٣٩٧، ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٥هـ/ ١٩ نيسان (أبريل) ١٨٧٨م، ص ٤؛ المصدر نفسه، العدد ٢٢١، ١٠ شوال ١٢٩١هـ/ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٤م، ص ٤.

(٢٨٠) ليلى الصباغ، «الجاليات...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٨.

(٢٨١) Asmail, *op.cit.*, Vol. 1, pp. 155-167.

الجدول رقم ٧ ـ ١٥

السنة	الكمية	الثمن
١١٢٥هـ/ ١٧١٣م	١,٤٢٥,٤٦٥	٧١,٢٧٣ قرشاً
١١٢٦هـ/ ١٧١٤م	٤٧٨,٢٨٧	٢٣,٩١٤ قرشاً
١١٢٧هـ/ ١٧١٥م	١,٨٤١,٩١٨	٩٢,٠٩٥ قرشاً

وقد حافظ الزيت على أهميته كمادة للتصدير في القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، بلغت قيمة كمية الزيت التي صدرت عبر عكا نحو ١,٠٩٧,٢٨٠ قرشاً، ثم انخفضت هذه القيمة إلى ٤٧,٥٠٠ قرش في السنة التالية ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، وقد صدرت هذه الكمية كلها إلى اليونان التي يظهر أنها كانت تعاني موسماً زراعياً (زيتون) سيئاً.

كما بلغت قيمة كمية الزيت التي تم تصديرها عبر حيفا، سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، نحو ٣٦١,٧٧٦ قرشاً. وقد انخفضت هذه القيمة إلى ١٠٧,٥٠٢ قرش في السنة التالية ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، إذ صدر منها إلى فرنسا ما قيمته ٧٧,٥٠٢ قرش والباقي صُدر إلى مناطق أُخرى ضمن الدولة العثمانية.[٢٨٢]

وكانت كمية الصادرات من الزيت تختلف من سنة إلى أُخرى تبعاً لمستوى إنتاج اللواء والمناطق المجاورة، وهذا ما يتضح من الجدول التالي الذي يبين كمية الصادرات من الزيت في الفترة ١٢٨٩ ـ ١٢٩٨هـ/ ١٨٧٢ ـ ١٨٨١م:[٢٨٣]

الجدول رقم ٧ ـ ١٦

السنة	١٢٨٩هـ ١٨٧٢م	١٢٩٠هـ ١٨٧٣م	١٢٩١هـ ١٨٧٤م	١٢٩٢هـ ١٨٧٥م	١٢٩٣هـ ١٨٧٦م	١٢٩٤هـ ١٨٧٧م	١٢٩٥هـ ١٨٧٨م	١٢٩٧هـ ١٨٧٩م	١٢٩٨هـ ١٨٨١م
عكا	١٠٠,٠٠٠	-	٣٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	-	٤٠,٣٠٧	-
حيفا	١٠٠,٠٠٠	-	٥٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	-	-	-

يبين الجدول، بصورة واضحة، ازدياد كمية الزيت المصدرة عبر عكا على الكميات المصدرة عبر حيفا. فبينما كان يصدر عبر عكا، سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، نحو ٦٠٠,٠٠٠ أقة انخفضت هذه الكمية في حيفا إلى ٣٠,٠٠٠ أقة بفارق

(٢٨٢) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343.

(٢٨٣) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

٥٧٠,٠٠٠ أقة بين صادرات المدينتين. كما يبين الجدول عدم تصدير الزيت من اللواء في سنة ١٢٩٠هـ/ ١٩٧٣م، وسنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وسنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م، جراء انخفاض مستوى الإنتاج في هذه السنوات.

٤ ـ الصوف:

يتضح من تقارير القناصل الأوروبيين أن الصوف كان إحدى سلع التصدير إلى الدول الأوروبية، وخصوصاً إلى فرنسا وإنكلترا وإيطاليا. فقد أشارت تقارير الفرنسيين في صيدا إلى أن الصوف كان يصدر إلى مرسيليا عبر ميناءي عكا وصيدا في القرن الثامن عشر الميلادي.[٢٨٤]

وكانت فرنسا تستقبل معظم الصوف المصدر من اللواء. وبلغت قيمة الصوف الذي صدر عبر ميناء عكا إلى فرنسا، سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، نحو ١٩٠,٢٧٥ قرشاً، وارتفعت هذه القيمة إلى ٢٠٣,٠٧٦ قرشاً في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، بزيادة مقدارها نحو ١٢,٨٠١ قرش.[٢٨٥]

وقد انخفضت كمية الصوف المصدرة عبر حيفا في الفترة نفسها قياساً بعكا. ففي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، صدرت حيفا كمية قيمتها نحو ٣٤,٥٥٠ قرشاً، ثم انخفضت قيمة الكمية إلى ٧٠٧٨ قرشاً في السنة التالية، ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م.[٢٨٦]

وفي سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، أشارت صحيفة «البشير» إلى تصدير الصوف من عكا إلى مرسيليا، فذكرت أن الصوف الوارد من عكا إلى مرسيليا بيع بسعر ٨٢ ـ ٨٥ فرنكاً (٤١٠ ـ ٤٢٥ قرشاً) للبالة.[٢٨٧] لكن هذه الأسعار انخفضت في سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، فبيعت البالة بسعر ٦٧,٢ فرنكاً (٣٣٥ قرشاً) للبالة. وكان الصوف المستورد من عكا يلقى منافسة من الصوف المستورد إلى مرسيليا من جورجيا (جنوب روسيا) والذي كان يباع بسعر ٨٠ فرنكاً للبالة (٤٠٠ قرش).[٢٨٨]

٥ ـ التبغ:

كان التبغ يصدر من اللواء عبر ميناءي عكا وحيفا إلى مصر والموانىء الأُخرى ضمن الدولة العثمانية. ففي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، بلغت قيمة التبغ

(٢٨٤) Asmail, *op.cit.*, Vol. 1, pp. 278-292.

(٢٨٥) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 345.

(٢٨٦) *Ibid.*

(٢٨٧) صحيفة «البشير»، العدد ٢٤٤، ٢٣ ربيع الأول ١٢٩٢هـ/ ٣٠ نيسان (أبريل) ١٨٧٥م، ص ٣.

(٢٨٨) المصدر نفسه، العدد ٣٦٥، ٢٨ شعبان ١٢٩٤هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٧م، ص ٣.

المصدر عبر عكا نحو ٥٠,٠٠٠ قرش ثم ارتفعت إلى ١٧٠,٠٠٠ قرش سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م. كما أن كميات محدودة من التبغ صدرت عبر حيفا فكانت قيمة هذه الكمية نحو ١٠,٢٠٠ قرش في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م ولم يصدّر التبغ نهائياً من حيفا سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م.(٢٨٩)

وقد أشار روبين إلى أنه صُدِّر عبر حيفا نحو ١٦٤,٦٣٠ كلغ من التبغ إلى مصر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، كما صُدر نحو ١٠٤٠ طناً من التنباك عبر حيفا إلى كل من مصر وإستنبول.(٢٩٠)

ولم تقتصر عملية التصدير على ميناءي عكا وحيفا فقط، بل ظهرت حركة تجارية ضعيفة وموسمية في موانىء اللواء الأخرى أيضاً، فكانت السفن ترسو في ميناء قيسارية لنقل البطيخ المنتج في السهل الساحلي إلى إستنبول ومصر وبريطانيا.(٢٩١) كما كان سكان الطنطورة ينقلون الخضروات والفواكه بحراً إلى يافا لتباع فيها.(٢٩٢) وكان النبيذ يصدر عن طريق ميناء الطنطورة إلى أوروبا، فكان ينقل من الميناء ١٠٠٠ برميل يومياً.(٢٩٣)

أمّا عن كيفية شراء هذه السلع من المزارعين، فأشارت المصادر إلى أن التجار الأوروبيين، والفرنسيين خاصة، كانوا يشترون المحاصيل المتنوعة كالقطن والحبوب من مراكز بيعها في القرى والأسواق التي تعقد لبيعها. فيذكر أمنون كوهين (Amnon Cohen) أن التجار الفرنسيين وغيرهم كانوا يحصلون على القطن من أسواق عكا وصيدا والمدن الساحلية، أو يتصلون بممثلي القرى المنتجة فيشترون منهم مباشرة.(٢٩٤)

ويشير دارفيو إلى أن الفلاحين كانوا، في بادىء الأمر، يحضرون السلعة إلى المدينة ويبيعونها للتجار الفرنسيين، إلاّ إنهم انقطعوا عن ذلك خوفاً من السلطات الحاكمة التي كانت تطالبهم بدفع رسوم كبيرة، فاضطر التجار إلى الذهاب إليهم

(٢٨٩) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343.

(٢٩٠) Ruppin, *op.cit.*, pp. 221, 222.

(٢٩١) *Ibid.*, p. 218; *Hand Book*, p. 494.

(٢٩٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, pp. 3, 4.

(٢٩٣) تجدر الإشارة هنا إلى أن الثري اليهودي الفرنسي روتشيلد أنشأ مصنعاً للنبيذ في الطنطورة معتمداً على العنب المزروع في المستعمرات اليهودية. أنظر:
Hand Book, p. 494.

(٢٩٤) Cohen, *op.cit.*, p. 132.

في قراهم على الرغم من تعرضهم للأخطار والخسائر جراء مهاجمتهم في الطرق ونهب أموالهم وسلعهم.(٢٩٥)

لكن ازدهار التجارة مع أوروبا وتحقيق الأرباح الكبيرة منها دفعا ولاة صيدا إلى احتكار تجارة المحاصيل الزراعية، فاحتكر ظاهر العمر تجارة القطن والزيت والحبوب ولم يسمح لأحد بالتجارة فيها.(٢٩٦) فيقول جورج يني: «لقد كان من عادة الكثيرين من الأمراء والحكام في الشرق أن يتخذوا إمارتهم سبيلاً لحصر التجارة بين أيديهم وحظر مواردها عن محكوميهم فجرى ظاهر العمر على نهجهم واتسعت لذلك موارد ثروته.»(٢٩٧)

كما احتكر الجزار تجارة الحبوب وأجبر المزارعين على زراعة القمح سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م على الرغم من معارضتهم. وأصدر الجزار أمراً بمنع جميع المزارعين من بيع الحبوب أو خزنها واشترى جميع المحصول لحسابه الخاص، وصدّر الفائض إلى مصر والدول المجاورة، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعارها محلياً بصورة كبيرة. ومن أجل إحكام سيطرته على التجارة شيد الجزار المخازن الكبيرة لخزن الحبوب المتنوعة، وخصوصاً القمح.(٢٩٨) ويقول كوهين: «احتكر الجزار التجارة فأصبح المشتري الوحيد والبائع الوحيد للقطن والحبوب، وحدد الأسعار فأصدر أمراً، في أواسط سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، يقضي ببيع كل ما ينتج في بلاده لوكلائه في عكا، ومنهم فقط يمكن أن يشتري التجار.»(٢٩٩)

ويشير العورة إلى أن الجزار احتكر تجارة الزيت والحبوب في منطقة الجليل ومنع الناس من التعامل بهما.(٣٠٠)

كما كانت أية محاولة من التجار الفرنسيين للشراء المباشر من المزارعين تقابل بالرفض من طرف الجزار، الأمر الذي أوقع الخلاف بين الطرفين، ودفع الجزار إلى إصدار أمر يقضي بإخراج التجار الفرنسيين من عكا فاتجهوا إلى صيدا ويافا. وتجاهل الجزار القرارات جميعها التي أصدرتها الدولة العثمانية لإعادة هؤلاء

(٢٩٥) ليلى الصباغ، «الفعاليات...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٣.

(٢٩٦) ميخائيل مشاقة، «منتخبات من الجواب»، ص ٧؛
Charles-Roux, *op.cit.*, p. 68.

(٢٩٧) جورج يني، «ظاهر العمر»، «المقتطف»، المجلد ٢٨، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢٩٨) Cohen, *op.cit.*, p. 22.

(٢٩٩) *Ibid.*, p. 23.

(٣٠٠) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧، ٥٨.

التجار إلى عكا، ولكنهم عادوا إليها(٣٠١) بالشروط التي فرضها عليهم. وقد أكد الجزار احتكاره للتجارة بأن وضع سفناً لمراقبة الشواطىء وشدد المراقبة على جميع الموانىء لمنع أي محاولة للتهريب.(٣٠٢)

وانعكست سياسة الاحتكار التي اتبعها الولاة في زيادة ثرائهم وثراء موظفيهم على حساب السكان. فمثلاً ازدادت ثروة ظاهر العمر بصورة كبيرة الأمر الذي مكنه من تشكيل الجيوش والإنفاق عليها، كما أنه بنى القلاع والأسوار والحصون في عكا وطبرية وحيفا، وفي القرى كدير حنا، وبنى المساجد في عدد من مدن اللواء وقراه. كذلك فإن إبراهيم الصباغ، أحد المقربين من ظاهر العمر والمسؤول عن ماليته، كان من أكبر أثرياء اللواء.(٣٠٣) وينطبق الشيء نفسه على الجزار إذ كانت الأرباح من الزراعة والتجارة تذهب إلى خزينته، الأمر الذي مكنه من الإنفاق بسخاء على جنوده المرتزقة، كما بنى الأسوار والأسواق وبنى المسجد الذي عرف باسمه في عكا.(٣٠٤)

وفي المقابل، فإن المزارعين والتجار المحليين لم يستفيدوا من انتعاش التجارة لأن الولاة أجبروا المزارعين على زراعة محاصيل محددة وبيعها لهم بالأسعار التي يحددونها هم، وهذا يفسر الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية إلى تدهور الزراعة في اللواء وهجر المزارعين أراضيهم وانتقالهم إلى المناطق المجاورة في حوران وشرق الأردن.(٣٠٥)

كما أن سياسة الاحتكار التي اتبعها الولاة حالت دون ظهور فئات ثرية في مدن اللواء لأنه لم يسمح للتجار المحليين أو لغيرهم من السكان بالقيام بدور الوسيط التجاري في هذه الفترة، فاختفت الفئة الوسطى بين السكان.

لكن أساليب التجارة وأنماطها تغيرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد صدور التنظيمات التي حددت أعمال الولاة والمتصرفين وقلصت كثيراً

---

(٣٠١) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٤٣؛ الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣؛ الشدياق، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣٠٢) Cohen, *op.cit.*, p. 23.

(٣٠٣) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٥؛ الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧١؛ ميخائيل مشاقة وملحم عبده وأندراوس شخاشيري، «مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان»، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٣٠٤) أنظر أعلاه، ص ٢٤٠.

(٣٠٥) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

نفوذهم السياسي والاقتصادي وأصبح عملهم مقصوراً على النواحي الإدارية. فلم تشر المصادر التاريخية إلى ممارسة الولاة والمتصرفين أية أعمال تجارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. واتبعت الدولة العثمانية سياسة تقوم على حرية التجارة. فقام التجار المحليون بدور الوسيط التجاري، وكانوا يشترون المحاصيل والسلع المتنوعة من الفلاحين ويبيعونها للمستهلكين، سواء التجار أو السكان المحليين في المدن. بل إن هؤلاء التجار انتقلوا للاستثمار في الزراعة فاشتروا مساحات واسعة من الأراضي واستخدموا المزارعين والعمال في زراعتها. فمثلاً كان سرسق والتويني، من كبار تجار الحبوب في بيروت، يشتريان الحبوب من مناطق بلاد الشام المتعددة ويصدرانها إلى أوروبا.(٣٠٦)

وأشار شوماخر إلى وجود ٢٤ تاجراً للحبوب ومالكاً للأرض في الناصرة سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م. كما كان التجار المحليون يشترون المحاصيل الزراعية عن طريق وكلائهم في المدن والقرى ثم تجمع هذه الحبوب في الموانىء لتصدر إلى الخارج. وقد أشارت السجلات الشرعية إلى ذلك بطريقة غير مباشرة، فنجد في إحدى الحجج الشرعية أن محمد ابن الحاج محمود الأحمد الجرار، من حيفا ومن تجار السمسم فيها، كان يشتري السمسم من المدن والقرى عن طريق وكلاء له وهو بدوره يقوم ببيعه للتجار الأوروبيين في اللواء. وتذكر إحدى الحجج أن حمزة العبد الله ابن الشيخ عبده الإسماعيل من سيلة الظهر في قضاء جنين كان له عند محمد ابن الحاج محمود الجرار ١٣٠,٥٢٥ قرشاً ثمن سمسم.(٣٠٧) وتشير حجة أُخرى إلى أن محمد بن محمود الأحمد الجرار كان يشتري السمسم من تجار الناصرة، فقد باعه قسطة بن ورور بن خليف من تجار الناصرة ٤٦٥ كيل سمسم بثمن مقداره ٤٥,١٠٣ قروش.(٣٠٨)

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن محمود الأحمد الجرار يشتري السمسم من التجار المحليين فإنه كان يقوم ببيعه للتجار الأوروبيين، فتذكر إحدى الحجج الشرعية أن التاجر الإيطالي إنكو بيكا لوكا، وكيل قنصل إيطاليا، كان يشتري

---

(٣٠٦) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٩٥، ن ٨٢، ٢٠ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٨ شباط (فبراير) ١٩٠٣م.

(٣٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٩٩، ن ٨٤، ٢٧ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٣م.

٢١١٥ أقة سمسم في آخر كل موسم من محمد بن محمود الأحمد الجرار بناء على اتفاق بينهما.(٣٠٩)

ونتيجة ظهور فئة التجار المحليين وازدياد ثرائها وقوتها، فقد تقلص كثيراً دور التجار الأوروبيين عما كان عليه الحال في القرنين السابع عشر والثامن عشر، لأن التجار المحليين قاموا بدور الوسيط التجاري وأصبحوا يصدرون السلع والمحاصيل الزراعية إلى أوروبا. كما أن بعض التجار عيّن وكلاء له في المدن الأوروبية، فمثلاً أسس الأخوان نعوم من طرابلس الشام محلاً تجارياً في مدينة أودسا الروسية لتصريف الليمون المصدر من طرابلس.(٣١٠)

وعلى الرغم من ظهور فئة التجار المحليين والقضاء على سياسة الاحتكار التجاري التي مارسها الولاة قبل صدور التنظيمات، فإن أوضاع المزارعين وسكان القرى خاصة لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في السابق، لأن الأرباح من التجارة وارتفاع أسعار المحاصيل كان يحصل عليها التجار الذين يشترون المحاصيل الزراعية بأسعار متدنية ويبيعونها بأسعار مرتفعة. وهذا يفسر الثراء الكبير الذي نعم به التجار وملاكو الأراضي في اللواء، ويفسر الفقر المدقع الذي عاناه المزارعون، الأمر الذي أجبر عدداً كبيراً منهم على الاستدانة والاقتراض من المرابين أو من البنك الزراعي.(٣١١)

ب) الواردات

كانت الأجواخ أهم السلع المصدرة من أوروبا منذ بداية العصر العثماني. فكانت البندقية وإنكلترا وهولندا وفرنسا تصدر هذه الأجواخ إلى الولايات العثمانية في بلاد الشام، كما نقل تجار البندقية إلى بلاد الشام المصنوعات الزجاجية المذهبة والمرايا، ونقل الإنكليز والهولنديون المعادن الخام والمصنعة كالقصدير والحديد والنحاس والرصاص والورق والحبال. وكان الورق يصدر من مرسيليا والبندقية، كما كان يصدر إلى اللواء المواد القاطعة كالسكاكين والمقصات والإبر والدبابيس من فرنسا وإنكلترا، والخشب والسكر والبن والورق من البرازيل عبر

(٣٠٩) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٦٠، ١٦١، ١٩٣، ن ١٩٤، ١٩ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٠٣م.

(٣١٠) سميح وجيه الزين، «تاريخ طرابلس»، ص ٣٤٨.

(٣١١) أنظر، أعلاه، حجم عمليات الديون من البنك الزراعي لعدد من القرى، ص ٣٣١ ـ ٣٣٤.

هاتين الدولتين،(٣١٢) والبن من مخا في اليمن.(٣١٣)

استمرت الواردات إلى اللواء من دون تغيرات كبيرة في القرن التاسع عشر. فاستُورد السكر من مصر(٣١٤) وفرنسا،(٣١٥) والأرز من إنكلترا.(٣١٦) فأشارت السجلات إلى ثلاثة شوالات أرز إنكليزي.(٣١٧) كما استُورد الأرز من مصر وإيطاليا وفرنسا،(٣١٨) والسجاد الخراساني من إيران،(٣١٩) والحصر والسمك القديد من مصر،(٣٢٠) والخشب من الأناضول والبرازيل،(٣٢١) والكاز من روسيا. فأشارت نيوتن إلى أن تنكة الكاز المسكوبي للطباخ (البريموس) وللمصباح من العناصر الرئيسية في البيوت.(٣٢٢)

كما استُورد الحديد والآلات والأدوات لسكة الحديد من إنكلترا عبر ميناء حيفا، وشملت هذه الأدوات القضبان الحديد والأخشاب والمعاول والعربات.(٣٢٣)

كذلك استُورد البن من أميركا الجنوبية واليمن، والمصنوعات القطنية من

(٣١٢) M.C.F. Volney, *Travels*, pp. 339, 340.

(٣١٣) Bowring, *op.cit.*, pp. 32-40; Asmail, *op.cit.*, pp. 50, 51; Ruppin, *op.cit.*, pp. 390-410.

(٣١٤) الشهابي، «الغرر...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٨٦؛ عبد الرحمن الجبرتي، «عجائب الآثار»، ج ٣، ص ١٦.

(٣١٥) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣؛
Bowring, *op.cit.*, pp. 33, 34.

(٣١٦) من المعروف أن إنكلترا لا تزرع الأرز وإنما تستورده من مستعمراتها في الهند وإفريقيا وأميركا الجنوبية. أنظر:
Bowring, *op.cit.*, p. 34.

(٣١٧) س ح، ش ١٤١، س ٥، من دون صفحة، ن ١١، ١٦ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ١٠ آب (أغسطس) ١٩٠٣م.

(٣١٨) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

(٣١٩) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ٣١٨، ٩ رجب ١٣٢٩هـ/ ٦ تموز (يوليو) ١٩١١م.

(٣٢٠) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٤٦ ـ ١٤٨، ن ٣٤٠، ١٧ صفر ١٣٠٧هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٩م؛ العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

(٣٢١) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٧٤، ١٥ ذو الحجة ١٣٠٨هـ/ ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٩١م، ص ٢؛
Bowring, *op.cit.*, p. 36.

(٣٢٢) Newton, *op.cit.*, p. 50.

(٣٢٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٥٩، ٢١ رجب ١٣١٠هـ/ ٨ شباط (فبراير) ١٨٩٣م، ص ٢؛
Bowring, *op.cit.*, p. 38.

إنكلترا وفرنسا، والأقمشة المتنوعة من سويسرا وألمانيا، والمصنوعات من الحديد ولوازم الخياطة من ألمانيا وإنكلترا والنمسا.[(٣٢٤)]

واستُوردت قوالب الفحم الحجري من بريطانيا، وخصوصاً بعد إنشاء سكة حديد الحجاز، فكان معدل ما يتم استيراده من الفحم عبر ميناء حيفا نحو ٢٠,٠٠٠ طن سنوياً تستورد خصيصاً لإدارة سكة حديد الحجاز.[(٣٢٥)] وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، جنحت باخرة إنكليزية كانت تحمل فحماً بالقرب من ساحل عكا.[(٣٢٦)] كما جاء القرميد والرخام من أوروبا نتيجة ازدهار الحركة العمرانية في اللواء، ففي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، انقلبت سفينة قبالة ساحل حيفا تحمل ١٥٠,٠٠٠ قرميدة.[(٣٢٧)]

كما نقلت من أوروبا الآلات والمعدات الصناعية والمطاحن البخارية. فقد نشرت صحيفة «الاتحاد العثماني» إعلاناً لشركة عتيد في حيفا يوضح بعض الآلات والمعدات التي تم استيرادها من أوروبا، وتشمل المطاحن البخارية والتوربينات والمضخات والآلات الزراعية والآلات الغازية والماكنات البخارية لسحب الماء والنواعير والقساطل.[(٣٢٨)] كما استُوردت ماكنات الخياطة سنجر، فأشارت السجلات إلى راجي بن ميخائيل كرامي مدير ماكنات سنجر في حيفا.[(٣٢٩)]

ويبين الجدول التالي أنواع الواردات وكمياتها عبر ميناء حيفا في الفترة ١٣٢٨ـ١٣٣١هـ/ ١٩١٠ـ١٩١٣م مقدرة بالكيلوغرام:[(٣٣٠)]

---

(٣٢٤) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣؛

Bowring, *op.cit.*, p. 37.

(٣٢٥) كامل العسلي، «تراث فلسطين»، ص ١٧؛

Hand Book, p. 494.

(٣٢٦) صحيفة «فلسطين»، العدد ١٠١، ١٦ محرم ١٣٣٠هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢م، ص ٢.

(٣٢٧) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٢٠، ٢٢ رمضان ١٣٢٧هـ/ ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م، ص ٤؛

Ruppin, *op.cit.*, pp. 402-407.

(٣٢٨) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٢٠، ٢٢ رمضان ١٣٢٧هـ/ ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م، ص ٤.

(٣٢٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٧٤، ن ١٢٥، ٢١ ذو الحجة ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م.

(٣٣٠) Ruppin, *op.cit.*, p. 392.

الجدول رقم ٧ ـ ١٧

	١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م	١٣٢٩هـ/ ١٩١١م	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م	١٣٣١هـ/ ١٩١٣م
الطحين	١,٩٨٨,٠٠٠	٢,١٩٧,٠٠٠	٦٦٦,٠٠٠	١,٥٦٠,٠٠٠
السكر	٤,١٥٤,٠٠٠	٥,١٦١,٠٠٠	٢,٣١٠,٧٠٠	٨,٥٣٨,٦٠٠
الأرز	٣,٦١٥,٠٠٠	٢,٧٩٦,٠٠٠	١,٧١٣,٠٠٠	٣,٧٦٥,٠٠٠
البن	٣١٢	٣٤٠	١٢٥	٣٢٨
الكحول	٥٣٠٠	٤٧٠٠	٧٣٠٠	٣٧,٠٠٠
البترول	٨٠,٠٠٠ صندوق	٨٥,١٧٩ صندوقاً	٦٠,١٤٦ صندوقاً	١٠١,٠٠٠ صندوق

يتضح من الجدول أن الطحين (الدقيق) شكّل عنصراً أساسياً في واردات حيفا، وهو سلعة لم تكن ضمن سلع الاستيراد قبلاً. ولعل ذلك يعود إلى ازدياد عدد السكان في اللواء وازدياد حاجتهم إلى الدقيق، وإلى أن الدقيق المحلي أصبح لا يكفي الأعداد المتزايدة من السكان. كما يتضح أن الأرز والسكر مادتان أساسيتان في الواردات عبر ميناء حيفا.

لقد تأثر حجم الصادرات والواردات من اللواء وإليه بعوامل كثيرة، منها كمية الإنتاج الزراعي في اللواء والذي يرتبط بالظروف المناخية. وبالتالي، فإن حجم الإنتاج كان يتفاوت من سنة إلى أُخرى تبعاً لاختلاف كميات الأمطار. أمّا الواردات فقد أخذت تزداد باستمرار منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين لازدياد عدد السكان وازدياد ثراء البعض منهم، إضافة إلى ارتفاع مستوى معيشتهم وانخفاض الرسوم الجمركية على الواردات. ويوضح تقرير للقنصل الفرنسي في حيفا حجم الصادرات والواردات من المدينة وإليها في سنة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦م، فقال: «إن السنة المالية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ من أفضل السنين في تجارة حيفا فبلغ حجم التجارة فيها ٦,٨٥٨,٠٣٦ فرنكاً (٣٤,٢٩٠,١٨٠ قرشاً) منها ٣,٩٣٢,٥٠٩ فرنكات (١٩,٦٦٢,٥٤٥ قرشاً) للواردات، و٢,٩٢٥,٥٢٧ فرنكاً (١٤,٦٢٧,٦٣٥ قرشاً) للصادرات، بينما كانت في السنة الماضية ٥,٢٦٦,٥٨٦ فرنكاً (٢٦,٣٣٢,٩٣٠ قرشاً)، فتكون الزيادة في هذه السنة ١,٥٩١,٤٥٠ فرنكاً (٧,٩٥٧,٢٥٠ قرشاً).» وتعزى هذه الزيادة إلى أسباب متعددة، منها تحسن الموسم الزراعي وكثرة الطلبات على محاصيل البلاد ونشاط المواصلات بعد إنشاء سكة حديد الحجاز وزيادة السكان وزيادة المحلات التجارية التي تتعامل مع الخارج.

وقدم القنصل جدولاً بيّن فيه حجم حركة التجارة عبر حيفا مع عدد من

الدول الأوروبية والدولة العثمانية نفسها مقدرة بالفرنكات الفرنسية:[٣٣١]

الجدول رقم ٧ ـ ١٨

الدولة	الواردات	الصادرات إلى الدول الأوروبية
الدولة العثمانية	٣,٠١٩,٩٩٤	١,٠٠٨,٩٦٠
فرنسا	١٣١,٦٤٨	١,٠٢٢,٩٩٧
إنكلترا	٧٥٠,٩٨٢	٤٠,٥٢٧
ألمانيا	٣٦,٧٥٦	١٠٥,٠٦٣
النمسا	٤٢٦,١٣٩	٢٤,٤٨٦
روسيا	١١٤,٥١٠	٣٨٠٦
الولايات المتحدة	٥٦٦٤	١٧,٩١٦
بلجيكا	٣٩,٩٢٢	٦٢٠,٢١٦
إسبانيا	-	٢٤,٥٣٠
إيطاليا	٧٧,٥٤٨	٥٨,٠٢٤
اليونان	٤٣٤٣	-
المجموع	٤,٦٠٧,٥٠٦	٢,٩٢٥,٥٢٥

يتضح من الجدول أن التجارة عبر حيفا تركزت، بصورة أساسية، على التجارة مع المناطق العثمانية. كما أن الاستيراد والتصدير كانا يتمان عبر ميناء حيفا إلى غيره من الموانىء كميناءي بيروت وصيدا حتى إلى الآستانة نفسها. وقد شكلت الواردات من المناطق العثمانية الأخرى ٨٣٪ من مجموع واردات المدينة، بينما شكلت صادرات حيفا إلى المناطق العثمانية الأخرى نحو ٣٤,٥٪ من مجموع صادرات المدينة.

وجاءت فرنسا في المرتبة الأولى بين الدول الأوروبية المتعاملة مع حيفا، إذ استوردت من حيفا أكثر مما صدرت إليها. وشكلت الصادرات عبر حيفا إلى فرنسا ٣٥٪ من مجموع صادرات المدينة، بينما شكلت صادرات فرنسا إلى حيفا نحو ٣,٥٪ فقط من مجموع واردات حيفا. وعلى العكس من ذلك، فإن بريطانيا وروسيا وإيطاليا صدرت إلى حيفا أكثر مما استوردت منها، بينما استوردت ألمانيا والولايات المتحدة من حيفا أكثر مما صدرتا إليها. ويعود ذلك إلى أن الدولتين

(٣٣١) صحيفة «البشير»، العدد ١٧٩٤، ١٢ محرم ١٣٢٥هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٧م، ص ٤.

كانتا تستقبلان كميات مختلفة من إنتاج الكولونية الألمانية في حيفا، سواء الإنتاج الصناعي أو الزراعي.

وقد شجع ازدهار حركة التجارة في حيفا شركات الملاحة البحرية على تسيير خطوط ملاحية دائمة ومباشرة للركاب والبضائع إلى حيفا.[٣٣٢] فرسا في حيفا، في الفترة ١٣٢٧ ـ ١٣٣١هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٣م، نحو ٥٣٠ مركباً بخارياً[٣٣٣] توزعت بين عدد من الدول على النحو التالي:[٣٣٤]

الجدول رقم ٧ ـ ١٩

الدولة	بريطانيا	روسيا	النمسا	الدولة العثمانية	فرنسا	المجموع
عدد السفن	١٤٠	١١٥	١٠٦	٤٥	٤٨	٤٥٤

ويوضح الجدول التالي حمولة السفن التي دخلت ميناء حيفا في الفترة ١٣٢٦ ـ ١٣٣٢هـ/ ١٩٠٨ ـ ١٩١٣م[٣٣٥] مقدّرة بالأطنان:

الجدول رقم ٧ ـ ٢٠

الدولة	١٩٠٨	١٩٠٩	١٩١٠	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣
بريطانيا	١٨١,١٠٠	١٨٣,٣٠٠	١٦٧,٧٠٠	٢٣٣,٣٠٠	٢٠١,١٠٠	١٨٩,٩٠٠
النمسا	١٦٩,٦٠٠	١٧٥,١٩٩	٩٨,٢٠٠	٢٠٩,١٠٠	٢٠٧,١٠٠	٢٣٦,٥٠٠
روسيا	١٣٢,١٠٠	١٥٩,٦٠٠	٢٧٨,٢٠٠	١٤٤,٤٠٠	١٦٦,٤٠٠	١٩٣,٥٠٠
فرنسا	٦٣,٠٠٠	٦٥,٦٠٠	٦٩,٠٠٠	٧٦,٠٠٠	٧٢,٧٠٠	٤٩,٣٠٠
إيطاليا	١١٤,٨٠٠	١٣٠,٠٠٠	٨٢,٦٠٠	٣٣,١٠٠	١٢,٠٠٠	٦٥,٤٠٠
ألمانيا	٣٠,٤٠٠	١٣,٥٠٠	١٧,٨٠٠	٢١,٣٠٠	٢٩,٨٠٠	٤٩,٤٠٠

(٣٣٢) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ٨١، ٨٢؛
U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 343, 344;
كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ٨١، ٨٢؛ عبد الباسط الأنسي، «دليل بيروت»، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

(٣٣٣) اقتصر الجدول على السفن البخارية من دون السفن الشراعية. فمثلاً بلغ عدد السفن الشراعية التي دخلت حيفا، سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، ٧٤٣ سفينة تبلغ حمولتها ٤٨٦٣ طناً.

(٣٣٤) *Hand Book*, p. 514.

(٣٣٥) *Ibid.*, pp. 316, 317; Ruppin, *op.cit.*, pp. 492-494.

يبين الجدول أن شركات السفن البريطانية والنمساوية والإيطالية والروسية كانت من أكثر الشركات التي تعاملت مع ميناء حيفا، وأن السفن الفرنسية والألمانية كانت هي الأقل تعاملاً مع حيفا. وتجدر الملاحظة هنا أن حمولة السفن لا تعطي انطباعاً عن حجم التجارة مع حيفا بين الدول صاحبة هذه السفن، لأن السفن الروسية والنمساوية والإيطالية كانت تقوم بنقل البضائع بين مختلف الموانىء الأوروبية والموانىء العثمانية، كما أنها كانت تقوم بنقل البضائع والسلع بين الموانىء العثمانية نفسها، وهذا ما يوضح أن فرنسا التي كانت أول الدول المتعاملة مع حيفا كانت، في مجال نقل البضائع، في المرتبة الرابعة قبل إيطاليا.[٣٣٦]

إن اللافت للانتباه في هذا الجدول هو انخفاض حمولة السفن الإيطالية بصورة حادة بدءاً من سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، فوصلت إلى أدنى مستوى لها في سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م عندما هبطت حمولة هذه السفن إلى ١٢,٠٠٠ طن فقط. ويعود ذلك إلى تدهور العلاقات التجارية والسياسية بين إيطاليا والدولة العثمانية بعد الهجوم الإيطالي على ليبيا في الفترة ١٣٢٨ـ١٣٣١هـ/ ١٩١٠ـ١٩١٢م.

كانت عكا الميناء الرئيسي لتصدير الحبوب من حوران والبلقاء واللواء إلى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر،[٣٣٧] فكان يصل إلى عكا خلال موسم الحصاد ٤٠٠ ـ ٥٠٠ جمل يومياً محملاً بالحبوب.[٣٣٨] وقد ساعدت العوامل الطبيعية على أن تكون عكا الميناء الرئيسي لتصدير الحبوب إلى أوروبا، بينما حالت الجبال العالية دون نقل هذه الحبوب عبر بيروت أو طرابلس.[٣٣٩] فذكر كوندر: «أن ميزة عكا في موقعها وأن خليجها هو الميناء المهم جنوبي صور ومن عكا تقود الطرق إلى الجليل الأعلى شمالاً وفي اتجاه السهل الساحلي في الجنوب، وتصدر الحبوب التي تنتج في حوران عن طريق ميناء عكا عبر سهل مرج ابن عامر الملآن بالطرق الطبيعية التي تؤدي إلى مناطق فلسطين كافة.»[٣٤٠]

(٣٣٦) هذا ما يظهر من المقارنة بين هذا الجدول والجدول الخاص بحركة التجارة في ميناء حيفا سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م والذي قدمه القنصل الفرنسي في حيفا. أنظر أعلاه، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨؛ وانظر أيضاً: شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٥؛ كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

(٣٣٧) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 343; John Fulton, *Palestine*, pp. 406, 407.

(٣٣٨) Laurence Oliphant, *The Land of Gilead*, p. 334.

(٣٣٩) George A. Smith, *The Historical Geography of the Holy Land*, pp. 425-427; طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٣٤٠) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 176.

وذكر التميمي: «كانت عكا حتى الزمن الأخير مخرجاً لكافة حبوب حوران وما جاورها من البلاد الداخلية فكانت بهذه الواسطة أسكلة تجارية مهمة وكان مرفؤها المساعد على دخول المراكب الشراعية الكبيرة فيه خير مسعف لها على المعاملات التجارية. ويدعون أنه كان يخرج من مرفأ عكا سنوياً مليونان ونصف مليون كيلة من الحبوب.»[٣٤١]

لكن حركة الاستيراد والتصدير عبر عكا بدأت تنحسر بالتدريج في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في الوقت الذي أخذت الحركة التجارية تنتعش في حيفا. ويعود ذلك إلى أن عكا أصبحت مدينة مكتظة سكانياً وعمرانياً في حيز جغرافي محدود ومحاط بالأسوار من الجهات كافة. بالإضافة إلى أن الدولة العثمانية لم تسمح لسكانها بالبناء خارج أسوار المدينة إلاّ في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م،[٣٤٢] فوقف ضيق مساحة عكا وعدم قدرتها على التوسع حاجزاً منعها من استيعاب النمو المتزايد في حركة التجارة.

كما كانت عكا مركزاً لحامية عسكرية عثمانية ومركزاً لتجمع الجنود المرسلين إلى جبهات القتال. وكان وجود هؤلاء الجنود يحدث إرباكاً وعرقلة لحركة التجارة الأمر الذي كان يدفع تجارها إلى إغلاق محلاتهم خوفاً من تعرضها للسلب والنهب.[٣٤٣] ومما لا شك فيه أن مكانة عكا التجارية تأثرت، إلى حد بعيد، بالتدمير الذي تعرضت له خلال الحكم المصري لبلاد الشام.

كما أن نمو ميناء بيروت وانتعاش الحركة التجارية فيه أثرا سلباً في الحركة التجارية في عكا، وخصوصاً بعد إنشاء خط سكة الحديد بين بيروت ودمشق سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، الأمر الذي أدى إلى نقل جزء كبير من حبوب حوران إلى بيروت بدلاً من عكا.[٣٤٤]

وقد أكد شولش ذلك قائلاً: «ولا بد لنا بالأحرى أن نؤكد الحقيقة المتمثلة في أن معاملات عكا التجارية والمالية الأكثر أهمية انتقلت إلى أيدي بورجوازية بيروت التجارية والمالية النشيطة، أي إلى المجموعة نفسها التي بدأت بالسيطرة

(٣٤١) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦.

(٣٤٢) Oliphant, *Haifa*, p. 208؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦.

(٣٤٣) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٣٠٢، ٢٥ محرم ١٣٠٢هـ/ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٤م، ص ١؛ صحيفة «البشير»، العدد ٣٣٧، ٩ صفر ١٢٩٤هـ/ ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٧٧م، ص ٣.

(٣٤٤) طوطح وخوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣، ١٦٤؛ محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٥، ص ١٥٥؛ سليم سلام، «مذكرات سليم علي سلام»، ص ١٥١.

أيضاً على جانب كبير من الإنتاج الزراعي لشمال فلسطين.»[٣٤٥]

وارتبط تطور الحركة التجارية في حيفا بعوامل طبيعية واقتصادية وملاحية، إذ كان ميناؤها أكثر صلاحية لرسو السفن لأن جبل الكرمل يحميه من الرياح الجنوبية الغربية، بينما كان ميناء عكا أكثر عرضة لهذه الرياح التي كانت تؤدي أحياناً إلى غرق السفن التجارية.[٣٤٦] كما أن ميناء حيفا أصبح أكثر صلاحية لرسو السفن من ميناء عكا الذي امتلأ بالرمال ولم يبق فيه من العمق سوى مترين، ولذلك رست السفن الكبيرة في عرض البحر.[٣٤٧]

كل هذه العوامل جعل ميناء حيفا أكثر ملاءمة لرسو السفن الكبيرة، وخصوصاً السفن البخارية. ويتضح ذلك من المقارنة بين عدد السفن البخارية والشراعية التي دخلت الميناءين سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م وسنة١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، وهذا ما يبينه الجدول التالي:[٣٤٨]

الجدول رقم ٧ ـ ٢١

السنة	المدينة	أعداد السفن			حمولتها (بالطن)		
		السفن البخارية	السفن الشراعية	المجموع	السفن البخارية	السفن الشراعية	المجموع
١٨٩٤	عكا	٦٦	٩٩١	١٠٥٧	٦٠,٥٩٠	١١,٧٨٧	٧٢,٣٧٧
	حيفا	٦٩	٥٢٧	٥٩٦	١٠٣,١٤٥	٧٤٨١	١١٠,٦٢٦
١٩١٣	عكا	٣٦	٦٩١	٧٢٧	١٧,٣٠٩	٩١٠٩	٢٦,٤١٨
	حيفا	٤٨٦	١١١١	١٥٩٧	٨٠٨,٧٦٣	١٤,٣١١	٨٢٣,٠٧٤

يتضح من الجدول أن عدد السفن البخارية التي دخلت ميناء حيفا سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م زادت على تلك التي دخلت ميناء عكا، بينما زادت السفن الشراعية التي دخلت ميناء عكا على تلك التي دخلت ميناء حيفا. كما زادت حمولة السفن البخارية التي أفرغت حمولتها في ميناء حيفا الضعف تقريباً عن تلك التي أفرغت حمولتها في ميناء عكا. وعلى العكس من ذلك السفن

(٣٤٥) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

(٣٤٦) كرد علي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠؛
Oliphant, *The Land of Gilead*, p. 332; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 176.

(٣٤٧) كرد علي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٣٤٨) Gad Gilbar, *Ottoman Palestine*, p. 81.

الشراعية. أمّا في سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، فزادت السفن التي دخلت ميناء حيفا، سواء السفن الشراعية أو البخارية، على تلك التي دخلت ميناء عكا. إذ بينما دخلت ٣٦ سفينة بخارية ميناء عكا، دخلت ٤٨٦ سفينة بخارية ميناء حيفا، وهو ما يدل على أن ميناء حيفا كان أكثر صلاحية لاستقبال السفن البخارية، كما يؤكد أن استخدام السفن البخارية كان أحد العوامل التي ساعدت في تدهور وضع عكا التجاري لمصلحة بيروت وحيفا بسبب عدم صلاحية ميناء عكا لاستقبال السفن البخارية جراء قلة عمق الماء.

وهذا يفسر قول فايز الكردي إن السفن البخارية كانت بداية النهاية لمدينة عكا.[٣٤٩] ويشير ألكس كرمل إلى أن عهد السفن البخارية ألحق الأذى بعكا لأن الدول الأوروبية اتجهت لاستعمال السفن البخارية بصورة واسعة، وخصوصاً أن شركتي الملاحة لويد (Loyd) النمساوية، وماسغري ماريتيم (Masgrey Maritime) الفرنسية، استصوبتا إقامة محطة لنقل الركاب والبضائع من حيفا بسفنهما البخارية.[٣٥٠]

كما شكّل إنشاء خط سكة الحديد بين حيفا ودمشق، سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، مرحلة حاسمة في ازدهار حيفا وتطور تجارتها على حساب كل من بيروت وعكا. فقد تم نقل كميات كبيرة من حبوب حوران إلى حيفا عبر هذا الخط. وهكذا، فبعد أن ربط الخط الحديدي مدينة حيفا بجهتي جنين والشام أخذت تجارة عكا تضمحل وبدأت واردات الجمرك فيها تنقص.

وتحدث البحري عن العوامل التي ساعدت في ازدهار الحركة التجارية في حيفا فبيّن أن الدولة العثمانية شيدت فيها محطة كبيرة جعلتها مركز مديرية سكة حديد الحجاز التي مدت خطوطها إلى الحجاز وإلى شمال سورية، فسهلت اتصالاتها بالمناطق الداخلية من البلاد، وأنها لفتت أنظار العالم إليها فجاءها التجار والمتمولون وأسسوا فيها المحلات التجارية والمصارف، كما صارت البواخر والسفن ترسو في مينائها في أوقات معينة وجعلت لها فيها وكالات خاصة. كذلك فإن الدول الأوروبية أرسلت من يمثلها فيها أمام الحكومة المحلية كقناصل ووكلاء القناصل، ثم أضحت محط رحال الحجاج من العالمين المسيحي والإسلامي، يأتيها الأولون لزيارة النبي إيليا على رأس جبل الكرمل، ويذهبون منها إلى الناصرة

(٣٤٩) فايز الكردي، «عكا»، ص ١٢٣.

(٣٥٠) كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥، ١٣٦.

والقدس. أمّا المسلمون فيأتون حيفا ويذهبون بواسطة سكة حديد الحجاز ليؤدوا فريضة الحج.(٣٥١)

ويبين الجدول التالي الكميات التي نقلت بين حيفا ودمشق بالقطارات في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وسنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م:

الجدول رقم ٧ ـ ٢٢

١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م		١٣٣١/ ١٩١٣م	
من حيفا إلى دمشق من دمشق إلى حيفا	١٤,٧٦٥ طناً ٣٥,٠٠٠ طن	من حيفا إلى دمشق من دمشق إلى حيفا	٢١,٧٦٥ طناً ٩,٩١٥ طناً

وقد أثر تحول حركة التجارة من عكا إلى بيروت وحيفا تأثيراً قوياً في عكا فوصفها كوندر قائلاً: «عكا مدينة مسورة ببوابة واحدة في الجنوب الشرقي وتجارتها الآن أكثر تدهوراً وتخلفاً ونقصاناً وأسواقها مدمرة وأغنى سكانها لا يمتلك أكثر من ١٠٠٠ جنيه. وعندما دخلت المدينة وجدت أسواقاً كثيرة تحولت إلى إصطبلات للفرسان، وحانوتاً فقط من عشرة حوانيت مشغولاً في الجزء الجنوبي من المدينة.»(٣٥٢)

دفع هذا التدهور التجاري في عكا عدداً من تجارها إلى محاولة إصلاح أوضاع المدينة الاقتصادية. ففي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وضع تجارها بياناً بصادرات المدينة التجارية ووارداتها وقدموا صورة عنه إلى شركات البواخر الخديوية والنمساوية والشركات الأُخرى يطلبون منها أن ترسل بواخرها إلى مينائهم في أوقات معينة أسوة بالموانىء التجارية الأُخرى، وطلبوا من إدارة المصرف العثماني أن تفتح لهم شعبة في عكا.(٣٥٣)

(٣٥١) جميل البحري، «تاريخ حيفا»، ص ١٥، ١٦؛ كرمل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩، ٢٢٠؛ العسلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧، ١٨؛ محمد عارف الدمشقي، «السعادة النامية الأبدية في السكة الحجازية الحديدية»، ص ١٠٠ ـ ١٤٠، نشر باللغة العربية ضمن كتاب: Jacob Landau, *The Hejaze Railway and the Muslim Pilgrimage.*

(٣٥٢) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 188, 189.

(٣٥٣) صحيفة «القبس»، العدد ٤٧، ١ محرم ١٣٣١هـ/ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣م، ص ٢.

ج) التجارة الداخلية

ويقصد بها المبادلات التي كانت تجري في أسواق المدن الرئيسية وفي الأسواق الدورية. فكان سكان الريف يحملون منتوجاتهم الزراعية والفائض عن استهلاكهم من الحبوب والخضروات والفواكه إلى المدن، حيث الأسواق الدائمة أو الأسواق الدورية التي تعقد في أماكن محددة وآمنة، لمبادلتها بمنتوجات صناعية أو زراعية أو بمواشٍ أو ليحصلوا على ثمنها نقداً فيشترون به ما يريدون. كما كان البدو ينقلون مواشيهم ومنتوجاتهم من ألبان وأصواف إلى تلك المدن والأسواق لإجراء عملية التبادل، وكذلك كان بعض التجار في المدن يحمل سلعه وينقلها إلى الأسواق الدورية في مواعيدها.

فمثلاً أشارت صحيفة «البشير»، سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، إلى رجل من سكان قرية الزيب كان ينقل ما ينتجه من الفواكه والخضروات إلى الحسبة خارج عكا.(٣٥٤)

وقد ساعد في ازدهار تجارة الفواكه والخضروات بين مناطق اللواء اختلاف المناخ بين مناطقه المتعددة. فمثلاً كان أهالي طبرية يزرعون الخضروات والشمام والبطيخ ويبيعونها في عكا ودمشق لأن نضج هذه المحاصيل يتأخر شهراً في هذه المناطق عنه في طبرية.(٣٥٥)

وعلى العكس من ذلك كانت الحبوب تباع لتجار المدن مباشرة، فتشير إحدى الحجج إلى أن إبراهيم وعبد الرحمن، ولدي أحمد إبراهيم، التاجرين في حيفا اتفقا مع محمود بن يوسف عمرو من الطيرة على أن يبيعا له أربعة وعشرين كيل حنطة نظيفة قيمتها عشرون ريالاً مجيدياً واردة لباب مخزنه.(٣٥٦)

ويظهر أن ظروف الفقر التي كان يعانيها المزارعون كانت تجبرهم على بيع محاصيلهم من الحبوب قبل مواسمها. فتذكر إحدى الحجج الشرعية أن علي زادة ابن علي بن حسين التاجر المتوطن بقيسارية دفع مبلغ ٢٠٠ ريال مجيدي إلى صالح ابن حافظ بن يازبك من سكان قرية الشركس (الغابة) في مقابل أن يقوم الأخير بتسليمه ٢٤٥ كيل ترمس بعد مضي ٩ أشهر.(٣٥٧) وتشير حجة أُخرى

(٣٥٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٠٤، ١ جمادى الأولى ١٣٢١هـ/ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٠٣م، ص ٤.

(٣٥٥) *Hand Book*, p. 541; Burckhardt, *op.cit.*, pp. 323, 332.

(٣٥٦) س ح، ش ٢٦١، من دون سجل، ص ٣٣، ن ١٢٢، ٢١ ذو الحجة ١٣٠٥هـ/ ٢٩ آب (أغسطس) ١٨٨٨م.

(٣٥٧) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٥٥، ن ٦٦، ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٢م.

إلى أن الشيخ عبد الحفيظ بن محمود بن مصطفى الولي السهلي من بلد الشيخ اتفق مع محمد بن حسين أبو سالم من تجار حيفا على أن يبيعه ثمانية أكيال حمص، على أن يكون الحمص وارداً إلى محل محمد بن حسين أبو سالم في حيفا.[٣٥٨]

واجهت هذه التجارة مشكلات تتعلق بعدم التزام أحد الطرفين العقد المتفق عليه. فمثلاً اتفق التاجر سعدو بن محمد الشيخ من حيفا مع محمد بن سليمان اليوسف من أهالي شفا عمرو على أن يورد له خمسين وزنة بطيخ بثمن ٢٠٠ قرش، إلاّ إن سعدو التاجر دفع ريالاً مجيدياً فقط وتخلف عن دفع المبلغ المتبقي عليه.[٣٥٩]

لم يقتصر نقل السلع إلى مناطق الاستهلاك على الحبوب، وإنما شمل سلعاً أُخرى. فمثلاً كان السمك ينقل طازجاً من طبرية إلى صفد ومرجعيون ويرسل مملحاً إلى زحلة وأماكن أُخرى في لبنان. أمّا في الصيف فكان يرسل إلى أماكن قريبة، كصفد التي كان يتراوح معدل سعر السمك الجيد فيها بين ١٠ قروش و١٤ قرشاً للرطل الواحد. وقد ينخفض السعر إلى أقل من ذلك ثلاث مرات عندما تزداد كمية الأسماك المعروضة في الأسواق.[٣٦٠]

ومن أجل تشجيع التبادل التجاري في المدن بُنيت الأسواق التجارية فيها. فكان المشترون يأتون هذه الأسواق ويشترون ما يلزمهم من بضائع وسلع متنوعة، فأشار بيركهارت إلى سوق في طبرية فيها ١٢ حانوتاً للبيع بالمفرق، ويتعامل الأهالي، بصورة خاصة، مع بدو الغور ومنطقة صفد المجاورة.[٣٦١] وفي الناصرة، كانت السوق المركزية مبنية بشكل جيد وفيها دكاكين صغيرة كثيرة كدكاكين النجارة والحدادة وصناعة الأحذية ومحلات أُخرى تستخدم الآلات.[٣٦٢] وذكر أسعد منصور أن أسواق الناصرة متعددة يطلق عليها أسماء مالكيها أو أسماء ما يباع أو يصنع فيها، ويبلغ عددها ١٥ سوقاً.[٣٦٣]

---

(٣٥٨) س ح، ش ١، س ١٢، ص ١١٧، من دون نمرة، ٢٨ رمضان ١٣٣٠هـ/ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢م.

(٣٥٩) س ح، ش ١، س ١٢، ص ١٢٧، من دون نمرة، ٨ ذو القعدة ١٣٣٠هـ/ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢م.

(٣٦٠) E.W.G. Masterman, «The Fisheries,» *PEF*, 1908, p. 43.

(٣٦١) Burckhardt, *op.cit.*, p. 323.

(٣٦٢) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 378.

(٣٦٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٣، ١٤.

وعرف في عكا سوق الخواجات،[٣٦٤] والسوق الأبيض إلى الشرق من جامع الجزار. وتتألف السوق من الحوانيت المعقودة التي يفصل بعضها عن بعض ممر عريض. وقد بنى ظاهر العمر هذه السوق وجعلها من أملاكه وأملاك كاتبه ميخائيل الصباغ، ثم انتقلت الملكية إلى الجزار. وقد كان بعض دكاكين السوق وقفاً على الجامع الذي بناه الجزار في عكا. وفي سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، شب حريق في السوق فأعاد سليمان باشا بناءها من جديد.[٣٦٥]

وعرف من أسواق حيفا السوق السلطاني،[٣٦٦] وسوق اليهود،[٣٦٧] وسوق الدلالة التي تباع فيها الحيوانات فقط. فذكر أحد السجلات أن عمر ابن الحاج درويش من سكان قيسارية اشترى فرساً من سوق الدلالة في حيفا بمبلغ ثلاث عشرة ليرة فرنسية.[٣٦٨]

تنوعت البضائع والسلع التي تباع في هذه الأسواق والدكاكين. فتبين تركة سليم بن سليمان بن داود الطويل التاجر من حيفا نموذجاً لهذه البضائع التي تشمل الأدوات المنزلية المتنوعة كأباريق النحاس، وأباريق القهوة، والأراكيل، وأوراق السجاير، والدفاتر، والفشك (الرصاص)، والصناديق الخشبية، وأقلام الرصاص، وألواح الكتابة، والطباشير، والعطور، والخيوط، والحبال، والمسامير، والقباقيب، وفناجين القهوة، والمسابح، ومغلفات الرسائل، والمقصات، وسلاسل الحديد، وماكنات الحلاقة، ومعالق الحديد، وأقفال الحديد، وكل ما يلزم للخيل والإبل من أدوات.[٣٦٩]

---

(٣٦٤) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣٤، ٣٥، ن ٧٥، ٢٨ جادى الأولى ١٣٣٢هـ/ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩١٤م.

(٣٦٥) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٠؛ محمد أمين الصوفي الطرابلسي، «سمير الليالي»، ج ١، ص ١١١، ١١٢؛ Cohen, *op.cit.*, p. 133.

(٣٦٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٢٥، ن ١٠٢٠، ١٢ ذو الحجة ١٣٣٣هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٥م.

(٣٦٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٥، ن ١١٤، ٢٥ شوال ١٣٠٨هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٨٩٠م.

(٣٦٨) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ١١٢ ـ ١١٥، ن ١٢، ٦ رمضان ١٣٢٧هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م.

(٣٦٩) س ح، ش ١٤١، س ١٠، من دون صفحة، ن ٨٦٢، ٩ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ/ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩١٥م.

وكان الشراء بالدين من الأمور السائدة والمتعارف عليها من قِبَل أصحاب الدكاكين في هذه الأسواق، فتذكر إحدى الحجج أن ميرزا حسين بن عبد الرحيم العجمي التاجر من حيفا ادعى أن محمد بن محمود الصفدي أخذ بضاعة من دكانه بقيمة ٦٨٨ قرشاً رائج حيفا ولم يدفع المبلغ.(٣٧٠)

١ ـ الأسواق التجارية الموقتة:

تقام هذه الأسواق في مناطق بالقرب من المدن والقرى والتجمعات السكانية، فيجلب التجار والفلاحون والبدو بضائعهم ويتبادلونها. ففي سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، أصدر والي بيروت أمراً بإقامة سوق للبيع والشراء بالقرب من جسر بنات يعقوب في يوم الاثنين من كل أسبوع، لأن إقامة السوق تسهل على الأهالي في القرى المجاورة شراء ما يحتاجون إليه.(٣٧١)

وعُرف من الأسواق الموقتة الأُخرى سوق الجمعة في صفد وكانت تباع فيها المنسوجات من جوخ وحرير وشالات وبشت، بالإضافة إلى الأرز والصابون وغيرهما من السلع،(٣٧٢) وسوق الثلاثاء في ترشيحا.(٣٧٣)

واشتهر بين الأسواق الموقتة في اللواء سوق الخان التي كانت تقام يوم الاثنين من كل أسبوع عند سفح جبل طابور،(٣٧٤) وتجري فيها مقايضة البضائع بالمواشي.(٣٧٥) وقد وصف ثومسون (Thomson) هذه السوق فقال: «تُعقد يوم الاثنين من كل أسبوع سوق عظيمة عند الخان، ويحتشد الآلاف من الناس من جميع أنحاء البلد للبيع والتجارة والشراء. فينقل القطن في بالات من نابلس، والشعير والقمح والسمسم والذرة من الحولة وحوران ومرج ابن عامر وبيسان، وتأتي الخيول والحمير والمواشي والأغنام مع الجُبْن واللبن والسمن والعسل

(٣٧٠) س ح، ش ٢٦١، س ٥، من دون صفحة، ن ١٨٦، ١٣ رمضان ١٣٣٠هـ/٢٦ آب (أغسطس) ١٩١٢م.

(٣٧١) صحيفة «البشير»، العدد ١٠١٥، ١٩ شعبان ١٣٠٩هـ/١٩ آذار (مارس) ١٨٩٢م، ص ٣.

(٣٧٢) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ٢٢، ٢ صفر ١٣١١هـ/١٥ آب (أغسطس) ١٨٩٣م، ص ٣؛ توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤٢.

(٣٧٣) توتل اليسوعي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤٢.

(٣٧٤) أصدر السلطان العثماني أمراً بإقامة هذه السوق في ٢٨ رمضان ٩٩٠هـ/٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٥٨٢م؛ U. Heyd, *Ottoman Documents*, pp. 114, 115.

(٣٧٥) Burckhardt, *op.cit.*, p. 323.

والمواد الشبيهة من المناطق المجاورة. وهناك أشياء متنوعة كالدجاج والبيض والتين والزبيب والتفاح والبطيخ والعنب وجميع أنواع الفواكه والخضروات في مواسمها. يفتح الباعة المتجولون رزمهم ذات الأقمشة المغرية، ويأتي الجوهري إلى هنا بحليه، والخياط بأثوابه الجاهزة، والحذّاء بمخزونه من الأحذية من صنادل خشبية يغطيها الشعر وأحذية مغربية حمر، ويأتي البيطار إلى هنا بعدته ومساميره وحدواته الحديدية المستوية فيقوم بعمل تجاري مزدهر لساعات قليلة، وكذلك يفعل السراج بأكياسه الخشنة وأقمشته المزدانة بالألوان الزاهية. وهكذا الأمر مع جميع البضائع والمهن المعروفة لهؤلاء الناس. إلاّ إنه مع غياب الشمس لا يبقى أحد من هذا الحشد المتصل الحركة في هذه البقعة، ويعودون جميعهم إلى بيوتهم أو يلجأون إلى قرية من القرى المجاورة.»(٣٧٦)

٢ ـ التجارة المتجولة:

يشتري بعض السكان البضائع والسلع المتنوعة، وخصوصاً الأقمشة، ويتجولون بين المدن والقرى لبيعها أو مبادلتها بسلع أُخرى. فأشار العورة إلى خروج جماعة من الباعة المتجولين من زحلة إلى نواحي صفد، فتجولوا في أسواقها وفي أسواق صيدا للبيع والشراء.(٣٧٧) كما أشارت صحيفة «طرابلس» (الشام) سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، إلى خروج جماعة من باعة الأقمشة من قرية الكفير متجولين في جهات عكا للبيع والشراء.(٣٧٨) كما عمل عدد من يهود صفد خاصة في البيع المتجول.(٣٧٩)

٣ ـ تجارة الدور:

تفاوتت أسعار الدور بحسب طبيعة بنائها وعدد الغرف فيها وموقعها في المدينة. فمثلاً اشترى الياس أبو رحمة البايكة والدار فوقها من شبلي الصيقلي بنحو ٣٠٠٠ ريال مجيدي (٧٢,٠٠٠ قرش).(٣٨٠) وفي حجة أُخرى أن عبد

(٣٧٦) Thomson, *The Land and the Book*, p. 442.

(٣٧٧) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣٧٨) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ١٢٨، ١٠ جمادى الأولى ١٣١٣هـ/٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٥م، ص ١.

(٣٧٩) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

(٣٨٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٩، ن ٦٦، رمضان ١٢٩٠هـ/تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٣م.

الغني بيضون، المقيم بعكا، اشترى من محمد بن محمد الكعكي الدار المشتملة على ثلاثة محلات سفلية وصهريج للماء وفسحة سماوية وسبع أوض علوية ومطبخ وبيت خلا بمبلغ ٤٠,٠٠٠ قرش.[٣٨١]

في الوقت نفسه، بيعت دور أُخرى بأقل من ذلك كثيراً. فنجد في إحدى الحجج أن جبران فرسون ابن يوسف فرسون اشترى من عصفور بن عيسى عصفور نصف الدار الواقعة في باطن حيفا بمبلغ ١٠٠٠ قرش.[٣٨٢]

وقد أدت الهجرة الخارجية المستمرة إلى اللواء إلى ازدياد الطلب على الدور والأراضي في المدن فارتفعت أسعارها، إذ تذكر إحدى الحجج الشرعية: «حضر سعد بن عبد اللطيف الصلاح الوصي على رفيق بن المرحوم محمود بن مصطفى الصلاح القاصر عن درجة البلوغ وقرر أن من الجاري بتملكه الخانة الواقعة في نفس قصبة حيفا وأن هذه الخانة آيلة للخراب وليس عند القاصر المذكور ما يقوم بتعميرها وارداتها السنوية لا تكفي بمصاريفها من تعمير وترميم، وحيث أن الحاخام يعقوب اللزام الإسرائيلي من سكان حيفا الروس راغب بشرائها جميعها بمبلغ قدره ٥٠٠٠ قرش صاغ الخزينة وبما أن هذا الثمن هو مضاعف عن قيمة مثلها فقد رغب توفيق بك المذكور شريك القاصر في بيع النصف وإذا بقيت حصة القاصر يخشى عليها من الضياع فلذلك يطلب له السماح ببيعها.»[٣٨٣]

كما استخدم اليهود كل وسيلة ممكنة لشراء البيوت فقدموا القروض إلى أصحابها وشجعوهم على رهنها لدفعهم إلى بيعها. فمثلاً رهن الياس المجدلاني من حيفا الدارين اللتين بملكه في الجهة الشرقية من حيفا إلى الخواجة يعقوب بتشيمول الإسرائيلي الفرنساوي وكيل أشغال زمارين بمبلغ ٥٠,٠٠٠ قرش فترة عامين.[٣٨٤]

كما اهتم المستوطنون الألمان في حيفا بشراء الدور للتجارة والاستثمار. فمثلاً اشترى ولهم بن أدولف فابر الدار الواقعة في حيفا من فؤاد السعد بنحو

(٣٨١) س ح، ش ٢٦١، س ٢، ص ٢٣٢، ن ١٤١، ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٦هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٨م.

(٣٨٢) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٩، ن ٦٨، ذو القعدة ١٢٩٠هـ/كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤م.

(٣٨٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ٢٣٢، ن ٨٢، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ٤ تموز (يوليو) ١٩١٠م.

(٣٨٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٢٥، ن ٨٩، ٢١ شعبان ١٣٠٨هـ/ ١ نيسان (أبريل) ١٨٩١م.

٣٩,٠٠٠ قرش،[٣٨٥] وفي حجة أُخرى أن عبد اللطيف بن سعيد أبو صلاح من حيفا باع الخانة المكونة من سبع أوض ودكانتين مع الأرض التابعة لها في حيفا إلى كل من خريستيان وفردريك ومناديل أولاد فريدريس كلدمباخ بمبلغ ٦٠٠٠ قرش.[٣٨٦]

وأدت الحرب العالمية الأولى إلى انخفاض أسعار الدور في اللواء. ويتبين هذا من مقارنة أسعار الأراضي والدور التي بيعت خلال الحرب العالمية الأولى بتلك التي بيعت قبل ذلك، وخصوصاً أن الحرب أدت إلى توقف النشاط الاقتصادي، فأفلس عدد كبير من السكان واضطروا إلى رهن بيوتهم أو بيعها. فمثلاً رهن محمد بن حسن بن حماد العثماني من حيفا الدار الواقعة في الجهة الشرقية من حيفا إلى عبد الله بن سعد بن عبد الله الخطيب بمبلغ ٣٠ ليرة عثمانية سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.[٣٨٧]

وأدت الحرب العالمية الأولى، أيضاً، إلى إفلاس بعض التجار الذين اضطروا إلى بيع دورهم وأملاكهم. فمثلاً باع الياس بن إبراهيم الخوري المسيحي، الملاك التاجر المقيم بحيفا، ما بملكه الربع، وقدره ستة أسهم في قطعة الأرض في الجهة الغربية من حيفا بيعاً وفائياً ورهنها رهناً دورياً مدة عام كامل بمبلغ ٢٠٠٠ قرش صاغ الخزينة عند الحاج محمود استيتية النابلسي التاجر العثماني الملاك المقيم بحيفا.[٣٨٨]

كانت الدور تباع كاملة أو أقساماً. فمثلاً اشترى درويش بن إبراهيم كوهين الإسرائيلي العقد الشرقي الواقع ضمن الدار الواقعة في باطن حيفا.[٣٨٩] وفي

(٣٨٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٨، ن ٥٧٤، ٢٦ محرم ١٣٣٢هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

(٣٨٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٠، ن ٨٩٠، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

(٣٨٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٩٤، ن ٩٧٠، ٧ شوال ١٣٣٣هـ/ ١٨ آب (أغسطس) ١٩١٥م؛
س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٩٠، ن ٩٦٥، ٢٤ رمضان ١٣٣٣هـ/ ٥ آب (أغسطس) ١٩١٥م.

(٣٨٨) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٣٠، ٢٣١، ن ١٠٣، ٢٥ محرم ١٣٣٦هـ/ ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧م؛
س ح، ش ١، س ١، ص ١٤٣، ن ٦، ٢١ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ١٥ آذار (مارس) ١٩١٦م.

(٣٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٧، ن ٢٧٠، ١٠ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١٠ أيار (مايو) ١٨٨٩م.

حجة أُخرى أن مريم بنت الياس من عكا باعت السدس المكون من غرفة واحدة في الدار المشتملة على عدد من الغرف الواقعة في محلة الشيخ عبد الله في عكا.[٣٩٠]

كان بيع الدور والعقارات الأُخرى نوعين: الأول، بيع قطعي لا تراجع فيه. فمثلاً، باع عزيز ابن حنا العبراني من تجار حيفا كامل الخانة الواقعة في حيفا بيعاً باتاً قطعياً لجرجي بن موسى الزامل من الرينة قضاء الناصرة بمبلغ ٣٣٦ ليرة عثمانية؛[٣٩١] والثاني، بيع وفائي، وهو الذي يكون لفترة موقتة قد تدوم عاماً أو أكثر. فيقرض المشتري البائع مبلغاً من المال في مقابل بيعه الأرض فترة محدودة على أن يعيد القرض في نهاية هذه الفترة، وإذا لم يفعل ذلك يستولي المشتري على العقار أو يبيعه في المزاد العلني ويحصل على أمواله. فمثلاً، باع إبراهيم بن جريس عزام الملاك من تجار حيفا ما بملكه الحصة وقدرها ستة وعشرون سهماً من مجموع ستة وثلاثين سهماً في المفازتين الواقعتين في الجهة الغربية من حيفا بيعاً وفائياً ورهناً دورياً لسعيد ابن الحاج عبد الرحيم قاسم من حيفا بمبلغ ٩٣٤٥ قرشاً.[٣٩٢]

ويتضح، بصورة عامة، ارتفاع حجم عمليات البيع والشراء بالوكالة، إضافة إلى البيع والشراء المباشر. فتشير إحدى الحجج، مثلاً، إلى أن جرجس بن جدعون الوكيل المطلق عن هيلانة بنت سمعان اشترى بمال موكلته لموكلته كامل البيت الواقع خارج حيفا بمبلغ ١٥٠٠ قرش.[٣٩٣]

وقد عين تجار حيفا وكلاء لهم لشراء الأراضي في القرى، فتشير إحدى الحجج إلى أن بشارة عازر اشترى عن وكيله حبيب تلحمي كامل اثني عشر عرق زيتون من مصطفى المحمود من الطيرة.[٣٩٤]

---

(٣٩٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٩٢، ن ١٧٣، ٨ رجب ١٢٨٨هـ/ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٧١م.

(٣٩١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٥٦، ن ٧٧٩، ٥ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩١٤م.

(٣٩٢) س ح، ش ١، س ١، ص ٤٠، ن ٨٧، ٢١ شوال ١٣٣٤هـ/ ٢١ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(٣٩٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٥، ن ٢٧٩، ٢٠ جمادى الثانية ١٢٨٧هـ/ ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٠م.

(٣٩٤) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٧، ن ٢٦٠، ٥ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

وكان عيسى الزبن من الطيرة وكيلاً لخليل الحكم فيها ويقوم بشراء الأراضي فيها لحسابه.[٣٩٥] وقد تكون الوكالة لإدارة الأملاك والإشراف عليها، فمثلاً وكّل شاكر باشا علي أفندي مفتي عكا وكالة مطلقة للإشراف على حصته في أراضي النفيعات في ناحية قيسارية.[٣٩٦] وفي حجة أُخرى أن يوسف بن الياس الأبيض الملاك في حيفا وكّل محمد بن قاسم الشقيري الطبيب العسكري الإشراف على أملاكه كلها، والتأجير والاستئجار وقبض الأجرة وإجراء المحاسبات والمطالبات.[٣٩٧]

وقد يكون التوكيل لغرض بيع أملاك الموكل. فمثلاً وكّل صادق باشا إسكندر كساب التاجر الدمشقي المقيم بحيفا ببيع أملاكه في دير الزهراني قضاء صيدا.[٣٩٨] وفي حجة أُخرى أن جمال بن صادق باشا وكّل ميخائيل بن بولص بن حنا حبايب ببيع وفراغ كامل داره في الجهة الغربية من حيفا إلى هرمن بن يوحنا فرونكر الألماني.[٣٩٩]

وأحياناً يستدين البائع مبلغاً من المال من أحد الأغنياء وفي مقابل ذلك يمنحه توكيلاً لبيع أرضه أو داره. فمثلاً استدانت نجمة بنت أحمد حجير ١٠٠ ليرة عثمانية من عبد القادر بن إبراهيم شبلاق، وفي مقابل ذلك وكّلته ببيع حصتها في الخانة الواقعة في الجهة الغربية من حيفا.[٤٠٠]

ويلاحظ أن عدداً كبيراً من البائعين في القرى كان يوكّل أصحاب النفوذ والجاه متابعة عملية البيع وتسجيل الأرض في دوائر الحكومة، وربما يعود ذلك

---

(٣٩٥) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٨، ن ٢٤٥، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٧هـ/ ٢٤ آب (أغسطس) ١٨٧٠م.

(٣٩٦) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٢٣٤، ن ١١٢، ٢٧ شوال ١٣٠٨هـ/ ٥ حزيران (يونيو) ١٨٩١م.

(٣٩٧) س ح، ش ١، س ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩، من دون نمرة، ١١ ذو القعدة ١٣٣٥هـ/ ٢٩ آب (أغسطس) ١٩١٧م.

(٣٩٨) س ح، ش ١٤١، من دون سجل، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(٣٩٩) س ح، ش ١٤١، س ٧، ص ٩٢، ن ١٩، ٢٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧م.

(٤٠٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١١٤، ن ٦٥٣، ٧ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٤ آذار (مارس) ١٩١٤م.

إلى خوف البائعين من قيام المشترين بالاستيلاء على أملاكهم عنوة. فمثلاً باع يوسف ابن الحاج عبد الله الزبن من الطيرة كرم الزيتون الواقع في الطيرة لمصطفى الخليل من وجوه حيفا بمبلغ ٣٠ ليرة عثمانية، فوكّل عنه الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الحي الخطيب الحضور لدى قومسيون الفراغ في حيفا والإقرار بهذا البيع والاعتراف بقبض البدل المذكور وكالة دورية لا تقبل العزل لتعلق حق المشتري بها لا تحتاج إلى التصديق إذا مرت عليها سنة فأكثر وكالة مطلقة مفوضة لرأيه وقوله وفعله.[٤٠١]

وفي حجة أُخرى أن فاطمة بنت أحمد جركس ونامق أفندي الجركسي باعا قطعة الأرض في الريحانية وقطعة الأرض في بيريا قضاء صفد لإبراهيم بن حسن ابن نور الجركسي من عكا، ومنحا رشيد بن محمد يوسف قدورة، من أخص معتبري صفد، وكالة مطلقة بالحضور لدى الحكومة السنية والدوائر الرسمية وقومسيون الفراغ في صفد وقبض الثمن وإجراء كل المعاملات المقتضية ذلك.[٤٠٢]

وقد حقق العاملون في تجارة الأراضي والدور أرباحاً كبيرة. فتذكر إحدى الحجج أن سابا بن إبراهيم الخوري استدان مبلغ ١٥,٠٠٠ قرش من عزيز بن حنا العبراني وفي مقابل ذلك وكّله ببيع الخانة التي بملكه واستيفاء دينه.[٤٠٣] وفي اليوم التالي، باع عزيز بن حنا العبراني الخانة لأوتو الألماني بمبلغ ١٧,٠٠٠ قرش،[٤٠٤] فحقق بذلك ربحاً مقداره ٢٠٠٠ قرش.

لم تشر السجلات الشرعية إلى عمليات بيع وشراء للدور بين سكان القرى، لكنها أظهرت أن عدداً من تجار المدن اشترى الدور في القرى. فتشير إحدى الحجج إلى أن أسعد بن إبراهيم رحيل من حيفا اشترى داراً في الطيرة بمبلغ ٢٤ ليرة عثمانية. كما باع الشيخ محمد بن عمر الأيوب الدار العائدة له في الطنطورة لسليمان بن عبد اللطيف الصلاح من حيفا بمبلغ ٩٥٠٠ قرش.

---

(٤٠١) س ح، ش ١، س ١، ص ٣٩، ن ٨٥، ٩ شوال ١٣٣٤هـ/ ٩ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(٤٠٢) س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٢٦٦، ن ٣٥، ١٤ رجب ١٣٢١هـ/ ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣م.

(٤٠٣) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٠، ن ٥٥٩، ١١ محرم ١٣٣٢هـ/ ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

(٤٠٤) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٠، ن ٥٦٠، ١٢ محرم ١٣٣٢هـ/ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

رابعاً: الموارد المالية

أ) الضرائب

١ ـ الميري (العُشر):

فرضت الدولة العثمانية على المزارعين دفع الميري (العشر) على الإنتاج الزراعي، لكن هذه النسبة كانت تزيد على ذلك كثيراً، فتذكر إحدى الوثائق المصرية: «أن الأعشار في بر الشام لا تُستوفى على أساس واحد في جميع الأراضي فهنالك من يكتفي بالعشر ولكن البعض يستوفون التُسع أو الثُمن أو السُبع أو السُدس أو الخُمس، وفي بعض الجهات لا تستوفى الأعشار وإنما تقسم المحصولات أقساماً متساوية ومن ثم تؤخذ منها مقادير باسم فيصلي بدلاً عن العشر يقدرها الخبراء بالنسبة إلى محصولات القرية، والبعض من القرى يؤدي مال العشر نقداً وثمة قرى لا تؤخذ منها غلال وإنما تستوفى منها مبالغ من المال معلومة القدر باسم مقطوع.»[٤٠٥]

ويقول عبود الصباغ: «كانت عادة البلاد في دفع الميري أنه في السنة المخصبة يعطون الحاكم [يقصد ظاهر العمر] الربع والسنة غير المخصبة يعطونه الخمس، فلما دخلت سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وقد جاءت مخصبة أمر جميع الفلاحين بأن يدفعوا الخمس فقط.»[٤٠٦]

وقد اختلفت طريقة جباية الميري (العشر) قبل التنظيمات عنها بعد التنظيمات. فغالباً ما كان الوالي قبل التنظيمات يلتزم حق جمع الميري في ولايته ثم يلزمها لأتباعه. فقد التزم ظاهر العمر مناطق واسعة من لواء عكا ثم صار يلزمها لأقاربه، فيقول عبود الصباغ: «ومنح والي صيدا ظاهر التزام عكا وقد وزع ظاهر البلاد على أولاده فأعطى طبرية إلى ابنه صليبي وصفد إلى علي وعثمان، وأعطى شفا عمرو إلى ابنه سعيد.»[٤٠٧]

كما كان سليمان باشا والي صيدا يلتزم بيروت من الباب العالي بمبلغ ٦٠٠ كيس، ثم يلزمها للأمير بشير الشهابي بمبلغ ١٦٠٠ كيس.[٤٠٨]

---

(٤٠٥) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٨٦، ٨٧.

(٤٠٦) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

(٤٠٧) المصدر نفسه، ص ٧ ـ ٩؛ إبراهيم الصباغ، «تاريخ ظاهر»، ص ٣٤.

(٤٠٨) Asmail, *op.cit.*, Vol. 4, pp. 215-246.

ولم يقتصر الالتزام الثنائي على الولاة بل شمل أيضاً الملتزمين الذين لا يتولون مناصب وأعمالاً إدارية. فمثلاً كان علي آغا محمود، الذي يقيم بصيدا، يلتزم عكا من ولاة صيدا ثم يرسل متسلماً عنه يتولى التزامها بدلاً منه.[٤٠٩]

كذلك لم يقتصر منح التزام جمع مال الميري على الملتزمين المحليين من سكان البلد فقط، بل كان بعض الأجانب المقيمين باللواء يُمنح هذا الالتزام أيضاً. فمثلاً، منح ظاهر العمر التاجر الفرنسي موسو روسو المقيم بعكا حق جمع الميري في منطقة عكا والمناطق المحيطة بها، وقد استمر في جمع الميري أكثر من سبعة أعوام.[٤١٠]

كما شارك قناصل الدول الأوروبية في التزام الميري. ففي سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م، التزم أنطون كتافكو، قنصل النمسا لدى عكا، الناصرة واثنتي عشرة قرية من قراها، بما يعادل ٣٠٠٠ جنيه استرليني.[٤١١]

وكانت الدولة تعفي بعض المواطنين من دفع العشر، فأشارت إحدى الوثائق المصرية إلى أن الشيخ عبد الله الفاهوم كان له فدانان في قرية نين في قضاء الناصرة معفيان من دفع الميري.[٤١٢] وكان الولاة يمنحون القرى التزاماً لبعض الأشخاص ولا يدفعون من التزامها شيئاً إلى الدولة وإنما يستولون عليه لأنفسهم في مقابل قيامهم ببعض الخدمات الأمنية في منطقتهم. فقد منح سليمان باشا علي جهير شيخ قرية الناقورة مال ميري الناقورة وجعلها معاشاً له بشرط أن يتكفل المحافظة على الطرقات ابتداء من الناقورة شمالاً إلى قرية البصة جنوباً.[٤١٣]

وكثيراً ما كان الملتزمون من أبناء العائلات القوية أو المتنفذة في اللواء، الأمر الذي كان يسهّل عليهم جمع الضرائب. فمثلاً كان مسعود الماضي ملتزماً حيفا وساحل عتليت في ولاية سليمان باشا العادل سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م.[٤١٤] وكان عبد الله الماضي ملتزماً حيفا وساحل عتليت في ولاية عبد الله باشا وفترة من الحكم المصري لبلاد الشام.[٤١٥]

(٤٠٩) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

(٤١٠) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٨١٩.

(٤١١) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦ ـ ١٦٦؛
Burckhardt, *op.cit.*, p. 341.

(٤١٢) أسد رستم، «الأصول»، ج ١، ص ٢٣.

(٤١٣) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

(٤١٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٤١٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥؛ رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٢٨.

ثم تغيّر أسلوب جمع العشر بعد التنظيمات، فكانت قيمته تقدر عن طريق التخمين. فيقدر الموظفون المختصون قيمة المحصول قبل حصاده، وعلى أساس قيمة التخمين تحدد قيمة العشر. وفي الغالب كان المخمنون يبالغون في تقدير قيمة المحصول الأمر الذي يؤدي إلى زيادة نسبة العشر. وفي سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ذكر كوندر «أن نظام التخمين من أسوأ الأنظمة المتعلقة بالأرض والفلاح. فمن أجل أن يحافظ الفلاح على محاصيله من هؤلاء المخمنين وظلمهم فإنه مضطر إلى رشوتهم. كما أن الضرائب على الأرض قد تكون ثابتة من دون النظر إلى الاختلاف في المحصول في الأعوام المجدبة والخصبة، وقد أخبرني سكان قرية قراوى (قراوى بني حسّان) أن محصول الزيت سيىء جداً وأنه ليس أكثر من الضرائب التي جمعت.»[٤١٦]

وكان جمع العشر (الميري) يتم عن طريق الالتزام بوضع حق جمع العشر في منطقة ما في المزاد العلني كل عام أو عامين، ويكون المزايد الأعلى صاحب حق العشر في هذه المنطقة. فذكر أسعد منصور: «لم يكن للحكومة قاعدة واحدة مطردة فكانت أحياناً تجبي الأموال بطريقة الالتزام فيدفع الملتزم مبلغاً معيناً وهو يأخذ حصة الحكومة وهناك الطامة الكبرى والبلية على الفلاح وكانت أحياناً تفرض على الأرض مبلغاً معيناً يسمى مال شوك تأخذه الحكومة فلحت الأرض أم لم تفلح.»[٤١٧]

وقد بالغ الملتزمون في جمع العشر وجمعوا من الفلاحين مبالغ تفوق النسبة المقررة، فكتب مراسل صحيفة «البشير» من الحولة: «إن أكثر ملتزمي الحولة يأخذون من الحبوب عشرها ونصف عشرها، ويأخذون أجرة نقل حبوبهم مع زوائد على كل فدان يسمونها فوقانية ويكلفون الأهالي تقديم أكل لخيلهم ولوكلائهم.»[٤١٨]

وهناك وصف دقيق للأساليب التي كان يلجأ إليها بعض العشار لابتزاز المال

(٤١٦) Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 265, 266.

(٤١٧) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٦؛ محمد عزة دروزة، «نشأة الحركة العربية»، ص ٢٠٤؛ Kenneth Stein, *The Land Question*, pp. 16-20؛ أحمد جودت، «تاريخ جودت»، ج ١، ص ١١٥ ـ ١١٧؛ محمد جميل بيهم، «فلسفة التاريخ العثماني»، ج ٢، ص ٤٧ ـ ٥٠.

(٤١٨) صحيفة «البشير»، العدد ٩٤٦، ٢٤ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٨م، ص ٤.

من الفلاحين. فيبين بيرغهايم أنه لم يكن يسمح لأي مزارع ببدء الحصاد قبل أن يصل العشار أو ممثله في القرية. ويتأخر هذا عن القدوم عمداً من أجل أن يجبر الفلاحين المضطرين إلى الحصاد على الاتفاق معه على كمية معينة من المحصول لقاء العشر. وعندما يصل إلى القرية مع جمع من المرافقين يستريح أربعة أو خمسة أيام بحجة عناء السفر أو المرض. وتقدم القرية إليه وإلى مرافقيه الطعام، وإلى خيولهم العلف في أثناء ذلك. ومن ثم يقوم العشار بإحصاء الشدادين وأفدنة كل منهم، ويدور على الحقول مصطنعاً الدهشة من وفرة المحصول بغية الحصول على حصة أكبر. ثم يعود إلى القرية ويدعو الشدادين أو الخطيب والمسنين إلى الاجتماع به، ويخاطب أحد الشدادين باسمه ممتدحاً خصب المحصول ويذكره بكرم الله الذي منّ عليه بذلك. ويضطر الشدادون إلى الإجابة «الحمد لله»، فيشكره العشار على اتفاقه معه على أن هذه السنة سنة خير، وأن الموسم ممتاز ويسأله كم يعتقد أن محصوله من القمح والشعير وغيره مقدراً بالصاع سيكون بعد عملية الدرس؟ وقبل أن يرد الشداد يجيب عنه العشار أنه يعتقد أن المحصول سيكون كذا وكذا، والرقم الذي يعطيه يبلغ خمس أو ست مرات مقدار ما يمكن أن يكون عليه في أحسن الأحوال. ويتذكر الشدادون ويقولون إنه مهما يأتيهم في الموسم فهو بركة، لكن لن يبلغ ذلك الرقم الذي ذكره. ويتكرر هذا المشهد عدة أيام إلى أن يمل الشدادون فيقبلون عندئذ بكمية معينة من المحصول لقاء العشر. فيغادر العشار القرية مبقياً لهم ممثله ليتأكد من استلام حصته، وبالتالي، لا يمكن للشدادين درس حصصهم من دون حصته التي من واجبهم القيام بها. ثم يجمع العشار حصصه في مكان معين، ويخرج بشيء جديد، وهو أن أكثر من نصفها سُرق وأنه سيبلغ الدولة عن ذلك، وعندها يضطر الشدادون إلى جمع حصة إضافية لتغطية ما سرق. وعندها يسمح بدرس قمحه ثم قمحهم، ويأتي الفلاحون بجمال على نفقتهم لنقل حصة العشار، ولا تقل إلاّ فيما ندر عن ثلث المحصول في حين أنها محددة بعشره فقط. وهكذا تؤدي كثرة الضرائب وإرهاق الفلاحين بها إلى تعطيل فعالياتهم والإضرار باقتصادهم.(٤١٩)

بعد صدور التنظيمات، انتقل حق تعيين الملتزمين من الولاة إلى موظفين مختصين في كل ولاية. فكان مجلس إدارة ولاية بيروت يعين الموظفين المكلفين تلزيم الأعشار في الألوية. وفي سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، عهد المجلس إلى حسين

(٤١٩) Bergheim, *op.cit.*, pp. 195-199.

أفندي متصرف لواء عكا بتلزيم الأعشار في قضاء عكا، وعيّن محاسب الولاية مأموراً لتلزيم الأعشار في قضاء طبرية، وبديع أفندي مأمور الويركو في عكا مسؤولاً عن تلزيم الأعشار في قضاء صفد، وطلب من متصرفية عكا أن تعيّن من تراه ملائماً وكفوءاً لتلزيم الأعشار في قضاء الناصرة.(٤٢٠)

وكان هؤلاء الموظفون المكلفون تلزيم الأعشار يعملون على رفع قيمة الالتزام باستمرار. فذكرت صحيفة «البشير»، سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، «أن متصرف لواء عكا أحمد باشا أباظة قد وصل إلى صفد لأجل إحالة الأعشار وكان من المتوقع أن تأتي الأعشار بالناقص عن بدلاتها السابقة ٢٠٪ أو أكثر لقلة المطر، ولكن اهتمام المتصرف ومساعده قائمقام صفد سعيد بك ومدير مال القضاء سعيد أفندي حبيب الحاج وعموم هيئة مجلس الإدارة قد توصلوا إلى نسبة تقل عن بدله السابق(٤٢١) بحوالي ٨٪.»(٤٢٢)

استمرت الدولة العثمانية بعد التنظيمات في إعفاء بعض المزارعين من دفع العشر. ففي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، أسكنت الدولة العثمانية بعض المهاجرين الجزائريين قرية كفر سبت في قضاء طبرية وأعفتهم من دفع ضريبة العشر وغيرها من الضرائب فترة عشر سنوات.(٤٢٣) وفي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، باعت الدولة قسماً من أراضي مرج ابن عامر لسرسق والتويني من تجار بيروت،(٤٢٤) فاحتج أهالي الناصرة على ذلك، فأرجعت الدولة لهم الأراضي الوعر، وأعفتهم من دفع العشر عليها، وصاروا يدفعون الويركو فقط. وكانت أراضي قرى الطيرة والمقبي والصفصافة من الأراضي التي أعادتها الحكومة إلى أهل الناصرة وأعفت أصحابها من العشر.(٤٢٥)

كما أعفت الدولة من دفع العشر على بعض المحاصيل تشجيعاً للمزارعين على زراعتها وزيادة إنتاجها. ففي سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، صدرت الإرادة السنية

(٤٢٠) صحيفة «البشير»، العدد ١٣٣٦، ١٦ محرم ١٣١٦هـ/٦ حزيران (يونيو) ١٨٩٨م، ص ٢.

(٤٢١) تقصد الصحيفة أن قيمة الالتزام قد انخفضت سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م بنسبة ٨٪ عن السنة السابقة.

(٤٢٢) صحيفة «البشير»، العدد ٨٧٩، ٧ ذو القعدة ١٣٠٤هـ/ ٢٨ تموز (يوليو) ١٨٨٧م، ص ٣.

(٤٢٣) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, p. 360; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, p. 164.

(٤٢٤) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. I, *Galilee*, pp. 355-356; *Ibid.*, Vol. II, *Samaria*, p. 168; Oliphant, *Haifa*, p. 60; Oliphant, *The Land of Gilead*, pp. 330-332.

(٤٢٥) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

بإعفاء الكروم التي تتجدد بفصائل العنب الأميركي في الأماكن المصابة بآفة الكروم من الويركو والعشر مدة عشر سنين،[٤٢٦] كما أعفت كروم الزيتون التي تزرع حديثاً من العشر مدة ثلاث سنوات اعتباراً من أول سنة محصول.[٤٢٧]

كما تهرّب سكان المناطق المعزولة من دفع العشر وغيره من الضرائب للحكومة، فكان الغوارنة المقيمون في محيط قيسارية وبالمستنقعات التابعة لنهر الزرقاء لا يدفعون الضرائب للحكومة بسبب صعوبة الوصول إليهم.[٤٢٨]

وقد زادت الإجراءات الإدارية، التي اتخذتها الدولة العثمانية بعد التنظيمات، في الأموال التي تعود على خزينة الدولة من العشر (الميري). إذ إنه قبل التنظيمات كان الولاة يستولون على جزء من هذه الأموال لأنفسهم. فمثلاً، تأخر ظاهر العمر عن دفع الأموال المقررة عليه مدة سبعة أعوام.[٤٢٩] كما أن الدولة كانت تمنح الولاة، أحياناً، الحق في التصرف في الأموال الميري في مناطقهم.[٤٣٠]

ويبين الجدول التالي مقدار الأموال الميري المفروضة على ظاهر العمر أن يدفعها إلى الدولة:[٤٣١]

الجدول رقم ٧ ـ ٢٣

المنطقة	المال (بالقرش)
صفد وعكا	٨٥,٣٢٢,٣٠
ريف عكا	٢٦,١٨٤,٢٠
جبال عكا	٢١,٦٠٨,٢٠
الناصرة	٤,١٧٩,٢٠
المجموع	**١٣٧,٢٩٣,٩٠**

(٤٢٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٩٣، ١٣ محرم ١٣٢٣هـ/ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٠٥م، ص ٢.

(٤٢٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٤٢٨) Conder & Kitchener, *Survey:* Vol. II, *Samaria*, p. 45.

(٤٢٩) الشهابي، «تاريخ...»، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ ـ ٧١؛ عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠؛ إبراهيم الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥ ـ ٦٠.

(٤٣٠) عبود الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٠؛ Cohen, *op.cit.*, pp. 204-211.

(٤٣١) Asmail, *op.cit.*, Vol. 2, pp. 325, 326.

أمّا الجدول التالي فيبين مقدار الأموال الميري المفروضة على اللواء في ولاية الجزار، ومقدار الأموال التي تبقى للجزار بعد دفع مال الميري المقرر للدولة:

الجدول رقم ٧ ـ ٢٤

المقاطعة	مال الميري	الفائض للوالي بعد دفع المبلغ المقرر للدولة
عكا	١١٢,٨٨١	٥٨,٨٥٤
الناصرة وشفا عمرو	٤٨,٠٨١	٥٤٠٤
أملاك ظاهر العمر	٣٤,٨٨٠	١٩,٠٠٠
صفد والرامة	٤٥,٠٧٦	١٣,٧١٢
المغار وجولس	١٨,٤١٥	١١,١٦٥
سهل عكا	١٠٣,٥٥٠	٣١,٩٣٦
حيفا وياجور	٢٠,٧٥٧	٧٥٠٠
المجموع	**٣٨٣,٦٤٠**	**١٤٧,٥٧١**

تبين المقارنة بين الجدولين أن مقدار الميري (العشر) المجموع في ولاية الجزار قد تضاعف عما كان يجمع في أيام ظاهر العمر بنحو ٦٤٪، كما تضاعفت الأموال المجموعة من معظم المناطق. فبعد أن كانت عكا وصفد تدفعان معاً ٨٥,٣٢٢,٣٠ قرشاً أصبحت عكا فقط تدفع ١١٢,٨٨١ قرشاً، كما أن الناصرة وشفا عمرو أصبحتا تدفعان ٤٨,٠٨١ قرشاً بعد أن كانت الناصرة تدفع فقط ٤,١٧٩,٢٠ قرشاً.

ولا شك في أن هذه الأموال التي كانت تجمع من المزارعين مضاعفة ساهمت، بصورة كبيرة، في إفقارهم ودفعت عدداً كبيراً منهم إلى ترك الزراعة والانتقال إلى المدن والقرى البعيدة عن سيطرة الجزار، الأمر الذي أدى إلى تدهور الزراعة وانحسار مساحة الأراضي المزروعة.[٤٣٢]

وقد تضاعفت المبالغ المجموعة من العشر بعد التنظيمات لأن الأموال التي جمعت من العشر تحولت إلى خزينة الدولة، وقلّ استيلاء الموظفين والولاة على مبالغ كبيرة منها كما حدث في السابق. وهذا ما يتضح من الجدول التالي الذي

(٤٣٢) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

يبين مقدار واردات الدولة من العشر ونسبة العشر إلى مجموع واردات الدولة وفقاً لسالنامتي ولاية سوريا لعام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣م، ولعام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤م:(٤٣٣)

الجدول رقم ٧ ـ ٢٥

سالنامة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣م			سالنامة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤م		
العشر	مجموع الواردات	النسبة	العشر	مجموع الواردات	النسبة
٣,٩٢٠,٧١٧	٦,٥٤٢,١٨٨	٥٩,٩٢٪	٣,٨٠٢,٠٠٠	٦,٤٢٧,٣٧٧	٥٩,١٥٪

يبين الجدول أن العشر يشكل أكثر من نصف واردات الدولة من اللواء، وأن قيمة العشر تختلف من سنة إلى أخرى. فقد بلغت واردات العشر سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ٣,٨٧٢,٥٢٩ قرشاً، وقد انخفضت إلى ٣,١٧١,٤٩٦ قرشاً في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م. ويعود هذا الانخفاض إلى أن قيمة العشر تعتمد على الإنتاج الزراعي الذي يختلف من سنة إلى أُخرى بحسب كميات الأمطار، كما أن قيمة العشر تختلف من قضاء إلى آخر بحسب مساحة الأراضي المزروعة في كل قضاء، وهذا ما يبينه الجدول التالي، إذ يبين واردات الدولة من العشر سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م موزعة بحسب أقضية اللواء:(٤٣٤)

الجدول رقم ٧ ـ ٢٦

القضاء	المبلغ (بالقرش)
عكا	١,٠٠٢,٧١٢
حيفا	٧٤٩,٤٠٤
الناصرة	٦٤٨,٦٠٨
صفد	٥٠٣,٠٥٥
طبرية	٣٣٥,٨٥٨
المجموع	٣,٢٣٩,٦٣٧ قرشاً

(٤٣٣) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢٩، ٩٣٠؛ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤م، ص ٤٦٠.

(٤٣٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٠٠٦، ٤ شعبان ١٣٠٧هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٨٩٠م، ص ٣.

يتضح من الجدول أن قضاء عكا ساهم في أكبر نسبة من العشر في اللواء، ثم تلاه قضاءا حيفا والناصرة، بينما انخفضت نسبة العشر في قضاء طبرية؛ وهذا يدل على انحسار الزراعة في القضاء قياساً بالأقضية الأُخرى.

٢ ـ الويركو:

فرضت الدولة العثمانية هذه الضريبة بموجب خط كولخانة الذي صدر سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، بحيث تعيّن على كل فرد أن يدفع الويركو الملائم. وقسم الويركو قسمين: الأول ويركو الأملاك من أراضٍ ودور ودكاكين وصدر في ٥ رجب ١٢٧٧هـ/ ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦١م، وتسهيلاً على المواطنين قسطت الدولة ويركو الأملاك إلى عشرة أقساط.(٤٣٥) وكان دفع ضريبة ويركو الأرض أحد العوامل التي تؤكد حق المزارع في ملكيتها وتسجيلها باسمه. فتذكر إحدى الحجج الشرعية أن محمد ومنى، ولدي عبد الله بن محمد الزيني من حيفا، قررا أنهما ورثا عن والدهما قطعة الأرض الواقعة في الجهة الغربية من حيفا، وأن والدهما كان يدفع الويركو من تاريخ تحرير الأراضي.(٤٣٦)

بلغت واردات الدولة من ضريبة ويركو الأملاك في لواء عكا سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ١,٦٩٢,٣٩٨ قرشاً، وقد ارتفع هذا المبلغ إلى ١,٨٤١,٣٣٤ قرشاً سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م بزيادة مقدارها ١٤٨,٩٣٦ قرشاً.(٤٣٧) ويعود هذا الارتفاع إلى التوسع في إقامة الأبنية المتعددة، من دور ودكاكين، في مختلف مدن اللواء.

أمّا القسم الثاني من ضريبة الويركو، فكان ويركو التمتع الذي فرضته الدولة على التجار بنسبة ثلاثين في الألف من الريع السنوي ثم رُفعت إلى أربعين في الألف بموجب القرار الذي صدر في ٤ ربيع الأول ١٢٩٧هـ/ ١٥ شباط (فبراير) ١٨٨٠م. وتشمل هذه الضريبة ضريبة الويركو المقطوعة والتي تفرض على كل من لم يتخذ محلاً لممارسة مهنته، كالمتعهدين والأطباء والمهندسين.(٤٣٨)

(٤٣٥) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٩ ـ ٣١؛ U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, pp. 87, 88.

(٤٣٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٧٢، ن ٩٣٥، شعبان ١٣٣٣هـ/ حزيران (يونيو) ١٩١٥م.

(٤٣٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٢٠٠؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٤٣٨) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٠ ـ ٣٣؛ كرد علي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ٩٧، ٩٨؛ U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 87.

وقد بلغ مقدار ضريبة التمتع المجموعة من اللواء سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ٨٩,٣٩٩ قرشاً، وارتفعت إلى ١٢٨,٢٠٤ قروش سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م بزيادة مقدارها ٣٨,٨٠٥ قروش.(٤٣٩) وتعود هذه الزيادة إلى ارتفاع عدد العاملين في الحرف والمهن المتنوعة.

وكانت الدولة العثمانية تلجأ إلى بيع قسم من أملاك أولئك الممتنعين من دفع ضريبة الويركو، فتذكر صحيفة «الاتحاد العثماني»، مثلاً، أنه يوجد في صفد اثنتا عشرة عائلة من اليهود تدعي التابعية الأجنبية، لكن الحكومة لا تعترف لهم بذلك، وإنما تعتبرهم عثمانيين، وقد امتنع هؤلاء من أداء ضريبة التمتع بحجة أنهم أجانب فاضطرت الحكومة إلى معاملتهم بحسب قانون التحصيلات فباعت قسماً من أموالهم المنقولة واستوفت الرسم المذكور.(٤٤٠)

٣ ـ الرسوم والضرائب على الحيوانات:

فرضت الدولة الرسوم على الحيوانات بحسب أنواعها، فاستوفت أربعة قروش عن كل رأس من الغنم والماعز، وأربعة قروش عن الجاموس، وعشرة قروش عن الإبل. كما أنها كانت تزيد في هذه الرسوم بين فترة وأُخرى، فأضافت إليها ٢٥ بارة باسم التجهيزات العسكرية سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م و١٠ بارات باسم الأسطول سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، فأصبحت ٥ قروش و٢٥ بارة عن كل رأس من الغنم. وفرضت الدولة ١٠ قروش على الجمل المعد للنقل ثم أضافت قرشاً باسم التجهيزات العسكرية وقرشاً ونصف قرش باسم الأسطول إلى أن أصبح ١٣ قرشاً و٢٠ بارة عن كل جمل، وأعفت الدولة الجمال المعدة لحراثة الأرض من الضرائب.(٤٤١)

ويوضح الجدول التالي عدد الأغنام والرسوم المفروضة عليها في اللواء سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م:(٤٤٢)

(٤٣٩) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٢٠٠؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٤٤٠) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٨١، ٦ ذو الحجة ١٣٢٧هـ/ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(٤٤١) صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨؛ كرد علي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ٨١؛ عارف العارف، «المفصل في تاريخ القدس»، ص ٣٣١.

(٤٤٢) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٩٤، ٢٦ ربيع الثاني ١٣٠٤هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧م، ص ١.

الجدول رقم ٧ ـ ٢٧

القضاء	الرسوم المقررة	عدد الأغنام
عكا	١٥٤,٦٥٤,٢٠	٤٣,٨١٣
حيفا	١٢٣,٠٤٢,٢	٣٤,٩٧٣
الناصرة	٥٧,٠٧٨	١٦,٢٦٢
طبرية	٦٦,٧٢٧,٢	١٨,٨٨٣
صفد	٥٦,٦٦٦,٧	١٦,٩٧٣
المجموع	٤٥٨,١٦٨,٣٠	١٣٠,٩٠٤

يتضح من الجدول أن سكان قضاء عكا كانوا يدفعون أعلى نسبة من رسوم الأغنام في اللواء، ثم تلاهم سكان قضاء حيفا، بينما تقاربت نسبة ما يدفعه سكان بقية الأقضية.

ووفقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، بلغت رسوم الأغنام في اللواء نحو ٤٣٧,٣٠٢ قرش، وقد ارتفعت هذه الرسوم إلى نحو ٤٤٠,٩٧٧,٢٠ قرشاً سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م بزيادة مقدارها ٣٦٧٥ قرشاً خلال ثماني سنوات.(٤٤٣)

ولا شك في أن المجموع النهائي للرسوم على الحيوانات يعتمد على قدرة الدولة على إحصائها وجمع الرسوم المقررة عليها، فتذكر صحيفة «البشير» سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، أن متصرف البلقاء هولو باشا حضر إلى جنين لردع عرب الصقر والصخور والصبيح ومعه ٥٠٠ فارس، فعندما شاهد هؤلاء قوة الدولة حضروا وأدوا الطاعة والانقياد وامتثلوا لأوامر الدولة وتعهدوا بدفع الويركو والرسم على الأغنام وجميع البواقي لجانب الخزينة.(٤٤٤)

كما أن الحكومة كانت تخفض الرسوم المفروضة على الحيوانات أحياناً. ففي سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، مثلاً، أصدرت متصرفية عكا أمراً إلى مدير ناحية شفا عمرو بالذهاب إلى العرب المخيمين بجهات الناحية للتحقيق في عدد الأبقار التي ماتت بداء الهدلان (الطاعون البقري) كي تخفض الرسوم المفروضة عليها استجابة لاسترحام أصحابها الفقراء.(٤٤٥)

(٤٤٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ٢٠٠؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٤٤٤) صحيفة «البشير»، العدد ٣٠٦، ٢٤ جمادى الأولى ١٢٩٤هـ/ ٦ حزيران (يونيو) ١٨٧٧م، ص ١.

(٤٤٥) المصدر نفسه، العدد ١٧١٠، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٠٥م، ص ٤.

٤ ـ ضريبة العمال المكلفين:

صدر نظام هذه الضريبة المعروف بنظام الطرق والمعابر في ١٨ جمادى الأولى ١٢٨٦هـ/ ٢٦ آب (أغسطس) ١٨٦٩م، وبموجبه كُلف الأفراد من الذكور في المدن والقرى، الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ عاماً و٢٠ عاماً، العمل مدة عشرين يوماً طوال خمسة أعوام بمعدل أربعة أيام في السنة. وأجاز النظام أن يدفع المكلفون بدلاً مالياً مقداره ريال مجيدي في مقابل إعفائهم من العمل. كما أجاز القانون لمجلس إدارة الولاية أن يزيد مدة العمل إلى خمسة أيام بدلاً من أربعة، لكن النظام منع العمال من العمل في مواسم الزراعة ومنع تكليفهم العمل في المناطق التي تبعد عن مراكز سكنهم مسافة تحتاج إلى أكثر من اثنتي عشرة ساعة إلاّ بإذن سلطاني.(٤٤٦)

وقد ساهم سكان اللواء، تطبيقاً لهذا القانون، في إقامة عدد من الطرق. ففي سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، شارك العمال المكلفون في إصلاح الطريق التي تصل بين صفد وجسر بنات يعقوب عن طريق وادي برعم.(٤٤٧) وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، بوشر إصلاح طرق شفا عمرو وطبرية بمشاركة العمال المكلفين في ذلك.(٤٤٨)

وكانت الدولة تعفي بعض فئات السكان في المدن من العمل في مقابل دفع بدل نقدي، فذكرت «جريدة ولاية سوريا» سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، «أنه من المقرر إنشاء طريق الشوسة بين طرابلس وعكا عبر الساحل. وبما أن القسم الأعظم من الأهالي في بيروت وصيدا وصور وعكا وطرابلس هم من التجار ولا يمكنهم أن يقوموا بالعمل في الطريق، لذلك أعطى مجلس إدارة ولاية بيروت قراراً بأن يؤخذ منهم بدل مالي وقد فرض على الشخص أن يدفع ريالاً مجيدياً على قسطين بدلاً من العمل لمدة أربعة أيام.»(٤٤٩)

---

(٤٤٦) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦١ ـ ٢٦٧؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

(٤٤٧) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٠٣، ٣ جمادى الأولى ١٣٠٢هـ/١٨ شباط (فبراير) ١٨٨٥م، ص ١.

(٤٤٨) المصدر نفسه، العدد ١٠٥٨، ٢٦ رجب ١٣٠٣هـ/٣٠ نيسان (أبريل) ١٨٨٦م، ص ١.

(٤٤٩) المصدر نفسه، العدد ٩٨٥، ٢٥ محرم ١٣٠٢هـ/ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤م، ص ١.

٥ ـ البدل العسكري:

كان البدل العسكري يستوفى من غير المسلمين باسم الإعانة العسكرية إلى أن سُمح لهم بالخدمة العسكرية الفعلية سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.(٤٥٠) وقد أصدرت الدولة العثمانية قانوناً نظم دفع البدل العسكري على عشرة أقساط تدفع ابتداء من شهر آذار (مارس) من كل سنة،(٤٥١) ويبلغ مقدار هذا البدل خمسة وعشرين قرشاً على جميع الذكور ما بين ١٨ عاماً و٦٠ عاماً.(٤٥٢)

ويشير أسعد منصور إلى أن معدل هذه الضريبة يبلغ عشرين قرشاً على الشخص الواحد إذ يقول: «لم أقف على قيمة ما كان يدفعه المسيحيون عسكرية وإنما معدلها ٢٠ غرشاً عن كل ذكر مسجل اسمه في سجل الحكومة وعلى المختار أن يسجل اسم كل ولد في السنة التي يولد فيها ولكنهم لم يكونوا يفعلون ذلك بالدقة ثم إنه وإن كانت الحكومة تطلب المبلغ حسب عدد الذكور ولكن لا تتقاضاه إلاّ من البالغين والمقتدرين فتوزع كل طائفة كمية ما يطلب منها على هذا النسق وترسل به قائمة إلى الحكومة مختومة بختم المختار واللجنة وهي تحصله. وهذا المبلغ يزيد وينقص بحسب الظروف. وعندي قائمتان بما كان يدفعه البروتستانت (١) عن سنة ١٢٩٦هـ (١٨٨١[؟]) ٣٠٥٥ غرشاً و٢٥ بارة (٢) وعن سنة ١٣٢١هـ(١٩٠٥[؟])، ٤٨٥٢ غرشاً»،(٤٥٣) بزيادة مقدارها نحو ١٧٩٧ قرشاً خلال أربع وعشرين سنة. ولا شك في أن هذه الزيادة تعود إلى تحول عدد من سكان الناصرة المسيحيين إلى المذهب البروتستانتي.

أمّا سكان الناصرة المسيحيون فكانوا، سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، يدفعون ٦٠,٠٠٠ قرش، على أساس أن الذين يدفعون البدل العسكري يبلغ عددهم نحو ٣٠٠٠ شخص، وعلى اعتبار أن كل شخص يدفع ٢٠ قرشاً على أقل تقدير.(٤٥٤)

وقد بلغت قيمة البدل العسكري في اللواء سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ٢١٢,٦٤٠ قرشاً، وارتفع المبلغ إلى ٢٧٥,٦٧١,٤٨ قرشاً سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، بزيادة مقدارها نحو ٦٣,٠٣١,٢٨ قرشاً خلال ثماني سنوات.(٤٥٥) وتعود هذه

---

(٤٥٠) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٤٨، ٢٧ شوال ١٣٢٧هـ/ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩م، ص ١.

(٤٥١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٧.

(٤٥٢) U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 90.

(٤٥٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧.

(٤٥٤) المصدر نفسه.

(٤٥٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٩٩، ٢٠٠.

الزيادة إلى ازدياد عدد المسيحيين في اللواء نتيجة الهجرة إليه من المناطق المجاورة، كبيروت ودمشق وغيرهما.[٤٥٦]

ولا شك في أن السماح للمسيحيين بالخدمة العسكرية الفعلية وإعفاءهم من دفع البدل العسكري، إذا أرادوا ذلك، خفضا مقدار الضريبة المجموعة من اللواء. وقد أشارت السجلات إلى مسيحيين يؤدون الخدمة العسكرية، فأشارت إحدى الحجج إلى عبد الله بن بطرس صهيون من أهالي حيفا الغائب في الخدمة العسكرية.[٤٥٧]

ويظهر أن المسلمين كانوا، أحياناً، يدفعون البدل العسكري في مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية. ففي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ذكر شولش أن ١٠٣ أشخاص اشتروا الخدمة العسكرية في مقابل ١,٠٣٠,٠٠٠ قرش على أساس أن كلاً منهم دفع مبلغ ١٠,٠٠٠ قرش، بالإضافة إلى دفع ٤٠٠,٠٠٠ قرش رشوة إلى المسؤولين عن التجنيد لتسهيل إعفائهم من الخدمة.[٤٥٨]

٦ ـ ضريبة قلم الغابة:

فُرضت هذه الضريبة على الذين يستفيدون من الغابات المحيطة بقراهم ومدنهم. وقد صدر النظام الذي يحدد الاستفادة من الغابات في ١١ شوال ١٢٨٦هـ/ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٠م.[٤٥٩] وتبلغ هذه الضريبة ٢٠٪ من قيمة الأخشاب التي تقطع من الغابات العامة. ويظهر أن الدولة فرضت هذه الضريبة على سكان الحولة الذين يستفيدون من نبات البردي المحيط بالبحيرة، فذكرت صحيفة «البشير» «أن مال قلم الغابة يؤخذ من سكان الحولة بدون تميز من ينتفع ومن لا ينتفع من نبات هذه الغابة على حد سواء فإن كثيرين لا ينتفعون منها، إمّا لعدم احتياجهم إليه وإمّا لعدم مقدرتهم إلى الوصول إلى الغابة، وإمّا لأن بعد محلاتهم يحوجهم إلى شرائهم ما يحمل منها بالدراهم فهؤلاء مع ذلك

---

(٤٥٦) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٣٩، ن ١٤٩، ٢٥ رجب ١٣١١هـ/ ١ شباط (فبراير) ١٨٩٤م؛

س ح، ش ١٤١، س ٥، ص ٦٥، ن ٥٢، ٢٠ شوال ١٣١٩هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢م.

(٤٥٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٤٣، ن ١٠٥١، ١٠ صفر ١٣٣٤هـ/ ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥م.

(٤٥٨) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٤٥٩) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٤ ـ ٣٦٧.

يدفعون الرتب فمثلهم كمثل من يشتري بضاعة مكمركة (مجمركة) ثم يدفع كمركها، أمّا الذين ينتفعون من نباتها كحاكة الحصر فيدفعون عن كل نوع خمسة ريالات مجيدية رسماً وإذا بنوا عريشة محوكة على هذا النول يدفعون عنها ريالاً مجيدياً هذا والحكومة السنية تعلم يقيناً حالة سكان الحولة وما هم عليه من التغفل الزائد والفقر المدقع وكفى برهاناً عليه سكناهم باصطكاك الحر وزمهرير البرد بظل حصيرة.»[٤٦٠]

٧ ـ مال الحوالة الحجازية:

جمعت الأموال أيضاً من السكان في اللواء باسم «مال الحوالة الحجازية». فذكرت صحيفة «البشير» أن والي بيروت أصدر أمراً إلى الأقضية بجمع مال الحوالة الحجازية، فأصاب قضاء صفد مبلغ ١٠٠,٠٠٠ قرش. وعلى الرغم من ضيق الوقت وحاجة الأهالي إلى النقود وتأخر دخول الغلال، فإن صاحب العزة محمد سعيد بك، قائمقام صفد ومدير مالها، تمكن من تحصيل المال المطلوب.[٤٦١]

ب) التبرعات للدولة

قدم السكان بين فترة وأُخرى التبرعات العينية والنقدية إلى الدولة. وقد اتخذت هذ التبرعات أشكالاً متعددة. ففي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وبعد وصول جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، بدأت حملة لجمع التبرعات لمصلحة الجمعية. فمثلاً، تبرع أهالي شفا عمرو بنحو ٢٠ ليرة عثمانية دفع المسيحيون منها ١٥ ليرة بينما دفع الدروز ٥ ليرات فقط.[٤٦٢]

كما تبرع أهالي اللواء لإعانة المنكوبين في ولايات الدولة العثمانية الأُخرى. ففي سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، صدرت الإرادة السنية إلى جميع أنحاء الدولة بوجوب التعاون لإغاثة المنكوبين بالقحط في ولايات أضنة وأنقرة وقونية، ففرض والي بيروت على أهالي لواء عكا دفع مبلغ ٧٥,٠٠٠ قرش.[٤٦٣]

وجُمعت التبرعات لدعم الأسطول العثماني في أوقات الحروب. ففي سنة

---

(٤٦٠) صحيفة «البشير»، العدد ٩٤٦، ٢٤ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م، ص ٤.

(٤٦١) المصدر نفسه، العدد ٨٧٤، ١ شوال ١٣٠٤هـ/ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٨٧م، ص ٣.

(٤٦٢) المصدر نفسه، العدد ١٨٧٨، ٩ رمضان ١٣٢٦هـ/ ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٨م، ص ٣.

(٤٦٣) المصدر نفسه، العدد ٨٨٤، ٢٢ ذو الحجة ١٣٠٤هـ/ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٧م، ص ٣.

١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، تكونت في عكا لجنة إعانة الأسطول لجمع التبرعات برئاسة متصرف عكا. فمثلاً، تبرع زكي بن عبد الغني بيضون، من أثرياء عكا، بخمس وعشرين ليرة عثمانية نقداً وتعهد بدفع ليرتين شهرياً.[٤٦٤] وفي سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، تبرع أهالي اللواء بنحو ٧٠٠ ليرة عثمانية لدعم الأسطول خلال الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب.[٤٦٥]

كما قدم السكان الخيول لدعم الجيش. ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، قامت حملة من أجل جمع الخيول لمصلحة الجيش العثماني، فكان عدد الخيول التي جمعت من ولاية سورية ٦١١ حصاناً، منها ٩٠ حصاناً من لواء عكا.[٤٦٦] وفي سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، تبرع أهالي طبرية بنحو ٢٤ حصاناً رفضوا قبض ثمنها.[٤٦٧]

كذلك تبرع الأهالي للمساهمة في إقامة الأبنية الحكومية وإنشاء المدارس. ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، تبرع أهالي الناصرة بمبلغ ١٠٠٠ ريال لإنشاء مكتب ابتدائي يستوعب ٢٠٠ تلميذ.[٤٦٨] وفي سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، تبرع عدد من سكان الناصرة بمبلغ ٢٤,٠٠٠ قرش للمساهمة في إقامة دار للحكومة فيها لأن الدار الموجودة آيلة للسقوط والخراب.[٤٦٩] وفي سنة ١٣٠٧/ ١٨٩٠م، تبرع أهالي قضاءي صفد وطبرية لإنشاء جسر على وادي العمود لتسهيل المرور عليه.[٤٧٠]

وقد فرضت الدولة رسوماً على استخدام بعض الخدمات التي قدمتها إلى المواطنين لتغطية نفقات هذه المشاريع. ففي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، تمت الموافقة على توسيع ميناء عكا عشرة أمتار على أن تؤخذ خمس بارات عن كل رزمة من

---

(٤٦٤) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٩٢، ٢٢ ذو الحجة ١٣٢٧هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م، ص ٣.

(٤٦٥) صحيفة «البشير»، العدد ٢٠٧٨، ١٩ شوال ١٣٢٩هـ/ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١١م، ص ٣.

(٤٦٦) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٤، ٨ رمضان ١٣٠٣هـ/ ١٠ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ٢، ٣.

(٤٦٧) صحيفة «فلسطين»، العدد ١٦٩، ٢٥ رمضان ١٣٣٠هـ/ ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢م، ص ٣.

(٤٦٨) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٠، ١٠ شعبان ١٣٠٣هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٨٦م، ص ١.

(٤٦٩) المصدر نفسه، العدد ١٤٤٠، ٦ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٧م، ص ١.

(٤٧٠) صحيفة «البشير»، العدد ٩٨٢، ١٥ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٠م، ص ٣.

البضائع التجارية التي تخرج وتدخل الميناء لحساب بلدية عكا في مقابل إنشائه وإصلاحه في المستقبل.[٤٧١] وفي سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، أنشىء جسر على كل من نهر النعامين ونهر المقطع الواقعين بين عكا وحيفا، على أن تدفع بلدية حيفا نفقات الجسرين وتسدها بأخذ ستين بارة رسماً عن كل عربة تمر عليهما، وعشر بارات عن كل جمل، وخمس بارات عن كل بغل.[٤٧٢]

ج) تركات المتوفين من دون ورثة

كانت الدولة تستولي على أموال المتوفين من دون ورثة وتحولها إلى بيت المال. ففي سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، توفي أحد أصحاب الدكاكين في عكا ففتح دكانه ووجد فيها ٣٦,٠٠٠ قرش، فأمر سليمان باشا بنقل الأموال إلى الخزينة.[٤٧٣] وتشير إحدى الحجج الشرعية إلى أن فاطمة بنت أحمد الجركسية زوجة المرحوم علي بك مدير ناحية قيسارية توفيت من دون وارث شرعي وتركت ١٦,٦٠٠ قرش، و١٦٦ ليرة إنكليزية، وساعتين من ذهب وألماس، وخاتمين من ألماس وذهب، وخاتم زمرد، وزوج حلق ألماس، ودبوس ألماس فيه ستة أحجار ثمينة حولت جميعها إلى بيت المال.[٤٧٤] وفي حجة أخرى أن الحاج بكر بن محمد الدارندوي مأمور رسومات قضاء حيفا توفي من دون وارث فتحولت تركته إلى بيت المال.[٤٧٥]

د) الاحتكارات الحكومية

احتكرت الدولة العثمانية استثمار الحمامات المعدنية في طبرية وأجّرتها للراغبين في مقابل رسوم سنوية يدفعونها إلى الدولة. فذكرت صحيفة «البشير»،

---

(٤٧١) المصدر نفسه، العدد ٨٠٥، ١٤ جمادى الأولى ١٣٠٣هـ/ ١٨ شباط (فبراير) ١٨٨٦م، ص ٣؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٦٥، ١٥ رمضان ١٣٠٣هـ/ ١٧ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ١.

(٤٧٢) صحيفة «البشير»، العدد ٨٢٤، ٢٢ رمضان ١٣٠٣هـ/ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٨٦م، ص ٣.

(٤٧٣) العورة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٢.

(٤٧٤) س ح، ش ٢٦١، من دون سجل، ص ٤٣، من دون نمرة، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(٤٧٥) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٦٣ ـ ١٦٥، ن ١٩٥، من دون تاريخ.

سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، «أن قائمقام طبرية طرح في المزايدة العلنية ضمان حمام المياه المعدنية في طبرية لمدة خمس عشرة سنة على أساس أن الضامن يرمم الحمامات ترميماً كاملاً بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ قرش ويدفع للخزينة سنوياً مبلغ ٣٠,٠٠٠ قرش.»(٤٧٦)

كما احتكرت الدولة حقوق الصيد في بحيرتي الحولة وطبرية.(٤٧٧) فكانت تأخذ خُمس السمك المصيد من طبرية. وكان ملتزم الخُمس يدفع إلى الدولة مبلغ ١٠٠٠ ليرة كل ثلاث سنوات في مقابل أن يحصل على خُمس السمك. وفي سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، ذكر ماسترمان أن كل الضرائب على الأسماك تؤخذ مباشرة عند الصيد في البحيرة وفي المناطق المجاورة لنهر الأردن وهي خُمس السمك الذي يتم صيده. ومثل كل الضرائب، فإن هذه الضريبة تخرج من الأسماك، والعشّار يدفعها إلى الدولة وهو يقول إنه يدفع ١٠٠٠ ليرة عثمانية كل ثلاث سنوات من أجل حقه في أخذ الخُمس. أمّا حقوق الصيد في البطيحة بالقرب من بحيرة الحولة فكانت تعود لعبد الرحمن باشا اليوسف مالك البطيحة ولذلك كان اليهود من صفد يدفعون له ٢٠٠ ليرة فرنسية ليسمح لهم بالصيد فيها.(٤٧٨)

أمّا حقوق الصيد في بحيرة الحولة وفي عين المالحة فتخضع لإشراف الجفتلك السلطاني ولا يوجد عليها ضرائب حكومية، لكن حقوق الصيد فيها تُمنح سنوياً في مقابل ٢٦٠ ليرة فرنسية.(٤٧٩) ويمنح حق الصيد في بحيرة الحولة عن طريق المزايدة، فكتبت صحيفة «الاتحاد العثماني» سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م: «نعلن أنه بناء على إفادة دفتردار الولاية فإن رسوم الصيد الميرية في بحيرة الحولة من الأملاك المدورة العائدة لشعبة صفد عن سنتين قد جرى طرحها في المزاد العلني وبلغت على الطالب أربعة عشر ألفاً ومئتي قرش تحت شروط معلومة فمن له رغبة فليراجع مجلس إدارة الولاية لأجل إطلاعه على الشروط وقبول مزايدته حسب الأصول.»(٤٨٠)

وفي سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، حصل أحد اليهود (لم يشر المصدر إلى اسمه) على امتياز لصيد السمك في بحيرة الحولة وعين المالحة لمدة خمس سنوات في

(٤٧٦) صحيفة «البشير»، العدد ١٥٣٨، ١٩ محرم ١٣٢٠هـ/ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، ص ٣.

(٤٧٧) Burckhardt, *op.cit.*, pp. 330-332.

(٤٧٨) Masterman, «The Fisheries,» *PEF*, 1908, p. 40; U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 5, p. 191.

(٤٧٩) Masterman, «The Fisheries,» *PEF*, 1908, p. 40; *Hand Book*, p. 549.

(٤٨٠) صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٤٧٠، ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ ٧ نيسان (أبريل) ١٩١٠م، ص ٢، ٣.

مقابل ٣١٠٠ ليرة عثمانية، وكان قبلاً قد التزم الخمس من بحيرة طبرية فحقق بذلك أرباحاً قيمتها ٦٠٠ ليرة عثمانية.(٤٨١)

هـ) التحويلات المالية الخارجية

شكلت الأموال التي كانت تحوّل من الخارج جزءاً من الموارد المالية في اللواء، لكن هذه الأموال كانت تحوّل إلى المؤسسات والأفراد لا إلى الدولة التي استفادت منها بطريقة غير مباشرة. وقد كانت الأموال تحوَّل من أوروبا وأميركا لمساعدة اليهود وتمكينهم من شراء الأراضي والدور وإقامة المستعمرات.(٤٨٢) كما كانت الأموال تحوَّل إلى المؤسسات التبشيرية للإنفاق على المدارس والكنائس والمستشفيات التي ساهمت في إقامتها في اللواء.(٤٨٣) كذلك ازداد عدد الحجاج المسيحيين المتوجهين إلى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان هؤلاء يزورون الناصرة وحيفا وغيرهما من المناطق. فسيّرت خطوط ملاحية منتظمة بين الدول الأوروبية وكل من حيفا وعكا لنقل هؤلاء الحجاج وتطلّب ذلك إقامة الفنادق والنُزُل لإيوائهم. وأنفق هؤلاء الأموال في اللواء كما أنهم دفعوا الرسوم عند زيارتهم للأماكن المقدسة. وقد حفلت الصحف المحلية بأخبار هؤلاء الحجاج وخصوصاً صحيفة «البشير» التي أوردت أنه في سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م، مثلاً، وصل ٣٧٢ حاجاً إلى حيفا على الباخرة الفرنسية بواتو،(٤٨٤) وأنه في سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، قدم إلى الناصرة ١٣٠٠ حاج روسي عن طريق القدس.(٤٨٥)

وفي سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ازداد عدد الحجاج المسيحيين في حيفا إلى حد أن المدينة لم تكن قادرة على استيعابهم. فذكرت صحيفة «البشير»: «كثُر عدد الحجاج في حيفا للعودة إلى أوطانهم وبلغوا الآلاف فازدحمت بهم النزل والحوانيت بل الطرقات المسقوفة والخانات وارتفعت أسعار المأكولات ارتفاعاً كبيراً.»(٤٨٦)

(٤٨١) E.W.G. Masterman, «Safed,» *PEF*, 1917.

(٤٨٢) Burckhardt, *op.cit.*, p. 327; Conder, *Tent Works*, Vol. 2, pp. 293-295.

(٤٨٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٦١١، ٢٩ جمادى الثانية ١٣٢١هـ/ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م، ص ٤؛ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦.

(٤٨٤) صحيفة «البشير»، العدد ١٠١٢، ٢٤ رمضان ١٣٠٧هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٩٠م، ص ٣.

(٤٨٥) المصدر نفسه، العدد ١٦٤٢، ١١ محرم ١٣٢٢هـ/ ٢٨ آذار (مارس) ١٩٠٤م، ص ٣.

(٤٨٦) المصدر نفسه، العدد ٢٠١٢، ٢٤ صفر ١٣٢٩هـ/ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩١١م، ص ٣.

ونقلت صحيفة «المقتبس» عن تقرير للقنصل الروماني في دمشق: «إن الحجاج المسيحيين الذين يأتون سوريا سنوياً لا سيّما البلاد المقدسة في فلسطين يعرجون على حيفا وبيروت ودمشق وأن سوريا تنتفع من هؤلاء بما يقدر بثلاثة ملايين فرنك سنوياً (١٥ مليون قرش)، كما أن البعثات الدينية المسيحية والإكليروس الوطني يتلقون إعانات كثيرة من إخوانهم في المذهب تقدر بأربعة ملايين من الفرنكات (٢٠ مليون قرش).»(٤٨٧)

كما حوّل المهاجرون الألمان الأموال إلى اللواء واستثمروها فيه لتمويل نشاطهم الاستيطاني والاقتصادي في فلسطين. ويتضح ذلك من المبالغ التي استثمرها الألمان في شراء الأراضي والعقارات المتنوعة، فاشترى ولهم بن أدولف فابر الألماني المتوطن بحيفا الخانة المشتملة على سبع غرف وثلاثة مخازن وقطعة أرض من فؤاد السعد بمبلغ ٣٩,٠٠٠ قرش،(٤٨٨) واشترى الألمان أراضي في قرية الطيرة بقيمة ٤٦,٦٥٠ قرشاً، كما اشتروا في حيفا بنحو ٣٤,٧٨٥ قرشاً.(٤٨٩)

وباع المهاجرون إلى اللواء أملاكهم وعقاراتهم في البلاد التي هاجروا منها وحوّلوا أثمانها إلى اللواء. فمثلاً، كان المهاجرون من البوسنة والهرسك يوكّلون من ينوب عنهم في بيع أملاكهم في المدن والقرى التي هاجروا منها وتحويل أثمانها إليهم. وقد حفلت سجلات المحكمة الشرعية في حيفا بأمثلة كثيرة لذلك. فتذكر إحدى الحجج أن أحمد ومحمد وعبد الله وحميدة أولاد حسن الحاج ابن علي من مهاجري هرسك التابعة لولاية البوسنة المتوطنين بقيسارية وكّلوا عمر بن علي بك نقل أراضيهم وأملاكهم وعقاراتهم جميعها التي ورثوها من والدهم في ولاية البوسنة عن اسم والدهم إلى اسمهم وبيع الأملاك لمن يرغب وقبض الثمن وإرساله إليهم مع أمين معتمد.(٤٩٠)

ولم يقتصر بيع الأملاك وتحويل أثمانها على المهاجرين من البوسنة بل شمل أيضاً المهاجرين من المناطق المجاورة، كبيروت ودمشق وصور وغيرها من المدن.

(٤٨٧) صحيفة «المقتبس»، العدد ١٤٣٢، ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/٩ آذار (مارس) ١٩١٤م، ص ١، ٢.

(٤٨٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٦٨، ن ٥٧٤، ٢٦ محرم ١٣٣٢هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م.

(٤٨٩) أنظر أعلاه، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٧.

(٤٩٠) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٨٥، ن ٤٢، ٢٩ شوال ١٣١٠هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٨٩٣م.

فوكّل فوزي بك مدير جفتلك بيسان الهمايوني وأخوه صدقي أفندي ابنا محمد نظمي من أهالي الشام المقيمين بحيفا، الحاج محمود أفندي الطحان من أهالي دمشق بيع أملاكهم جميعها في الشام وقبض الثمن والبدل وإيصاله إليهم تحت يد الخواجات أسباه لاوي وحكيم الموسويين من تجار حيفا.(٤٩١) ووكّلت أحيا بنت جريس عازار وولدها فخر الدين الحلاق من مسيحيي حيفا ميشيل فخر بن خليل البيع القطعي لكامل الدار الملك الواقعة في حي الدحداح في بيروت بالثمن الذي يراه ملائماً وإيصاله إليهم في حيفا.(٤٩٢) ووكّل مصطفى زين الدين ابن عبد الله أفندي المقيم بحيفا عبد الرحمن ابن الحاج إسماعيل بيع ممتلكاته وما يخصه في بغداد ونقل ثمنها إليه.(٤٩٣) كما باع بعض اليهود الذين هاجروا إلى اللواء أملاكهم في مواطنهم الأصلية. فوكّلت دنيا بنت فارحي الإسرائيلية الدمشقية المقيمة بحيفا، رفائيل بن سلمون بيع كامل الثلاثة دكاكين الواقعة في حارة اليهود في دمشق وتحويل ثمنها إليها في حيفا.(٤٩٤)

و) الواردات والنفقات المالية (ميزانية اللواء)

اختلفت واردات الدولة ونفقاتها في اللواء من سنة إلى أُخرى. وارتبط ذلك بقيمة العُشر وبزيادة الضرائب أو تخفيضها، وبقدرة الدولة على تحصيل هذه الضرائب. فقد بلغت الواردات سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م نحو ٣,٢١٦,٥٨٨,٢٠ قرشاً كما يتضح من الجدول التالي الذي يبين الواردات موزعة بحسب مناطق اللواء الجغرافية:(٤٩٥)

(٤٩١) س ح، ش ١٤١، س ٦، ص ٢٣، ن ٣٦، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٣هـ/ ١٨ أيار (مايو) ١٩٠٥م.

(٤٩٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٩٠، ن ٢٢٩، ٣٠ محرم ١٣١٢هـ/ ٣ آب (أغسطس) ١٨٩٤م.

(٤٩٣) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ١٦، من دون نمرة، ١٦ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٨٨٩م.

(٤٩٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٠٠، ن ٢٥١، ٨ شعبان ١٣٠٦هـ/ ٩ نيسان (أبريل) ١٨٨٩م.

(٤٩٥) Smith Robinson & Others, *Latter Biblical*, p. 629.

الجدول رقم ٧ ـ ٢٨

المنطقة	الضرائب على الأملاك	الضرائب على الأشخاص	المجموع
سهل عكا	١٧٢,٢١٣,٠١	٢٦,٧٥٠,٢٧	١٩٨,٩٦٣,٢٨
الشاغور	٢٠٦,٦٤٢,٢١	٢٤,٣٢٣,١٣	٢٣٠,٩٦٥,٣٤
جبل عكا	١٢٢,٩٣٦,٢٦	٢٧,٩٤٠,٠٢	١٥٠,٨٧٦,٢٨
شفا عمرو	٢٣٧,٠٧١,٠٥	٣٨,٩٨٨,٠٥	٢٧٦,٠٥٩,١٠
حيفا وعتليت	٢٩٩,٩٦٤,١٦	٧٧,١٢٦,٢٣	٣٧٧,٠٩٠,٣٩
الناصرة	٢٠٥,٧٧٤,٠٣	٦٥,٧١٥,٢٠	٢٧١,٤٨٩,٢٨
طبرية	٨٨,٨٢٦,٠٤	٥٩,٢٨٢,٢٣	١٤٨,١٠٨,٢٧
صفد	١٥٥,٤٩٧,١٥	٤٩,٦٦٨,٢٨	٢٠٥,١٨٤,٣
المجموع	١,٤٨٨,٩٢٣,٩١	٣٦٩,٨١٣,٢١	١,٨٥٨,٧٣٨,٣٢
		الرسوم على الجمارك	١,٣٥٧,٨٥٠
المجموع			٣,٢١٦,٥٨٨,٣٢

يتضح من الجدول أن قضاء عكا ساهم في أعلى نسبة من الواردات في اللواء، سواء الواردات على الأملاك التي شكلت نحو ٥٠٪ من مجموع الواردات أو على الأشخاص التي شكلت نحو ٣٢٪، بينما انخفضت مساهمة قضاء طبرية في واردات اللواء سواء على الأملاك أو على الأشخاص. وقد شكلت الواردات من قضاء طبرية نحو ٨٪ فقط من مجموع الواردات، ويعود ذلك إلى قلة عدد السكان وانحسار الزراعة في قضاء طبرية قياساً ببقية الأقضية.

وقد تضاعفت واردات الدولة العثمانية في اللواء في السنوات التالية، وهذا ما يتضح من الجدول التالي الذي يبين الواردات والنفقات في اللواء في الفترة ١٢٨٨ـ١٣٠١هـ/ ١٨٧١ـ١٨٨٣م:[٤٩٦]

(٤٩٦) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧.

الجدول رقم ٧ ـ ٢٩

السنة	الإيرادات	النفقات	الفرق بين الإيرادات والنفقات	نسبة النفقات إلى الإيرادات
١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م	٦,٤٤٢,٧٧٥	١,٨١٣,٠٨٣	٤,٦٢٩,٦٩٢	٪٢٨
١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م	٥,٨٥٣,٠٤١	٨٧٥,٤٥٦	٤,٩٧٧,٥٨٥	٪١٥
١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م	٦,٤٢٧,٣٧٧	٧٦٣,٨٤٨	٥,٦٦٣,٥٢٩	٪١٢
١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م	٦,٤٤٨,١٧٤	٧٦٥,٥٣٨	٥,٦٨٢,٦٣٦	٪١٢
١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	٧,٥٥٥,٣٧٢	٨٢٨,٧٠٢	٦,٧٢٦,٦٧٠	٪١١
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	٥,٩٢٤,٤٦١	٨٩٥,٧٥٤	٥,٠٢٨,٧٠٧	٪١٥

ويبين الجدول ارتفاع حجم الواردات بالنسبة إلى النفقات، وأن الواردات تتغير من سنة إلى أُخرى، إذ بلغت سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م نحو ٧,٥٥٥,٣٧٢ قرشاً وانخفضت في السنة التي تليها إلى ٥,٩٢٤,٤٦١ قرشاً بانخفاض قدره ١,٦٣٠,٩١١ قرشاً، بينما كانت سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م السنة الوحيدة التي تجاوزت فيها النفقات حدود المليون قرش، وعلى الرغم من ذلك فإنها شكلت نسبة ضئيلة من الواردات لم تتجاوز ٢٨٪ من مجموع الواردات.

أمّا الجدول التالي فيوضح واردات الدولة ونفقاتها سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م وسنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م:[٤٩٧]

(٤٩٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ٢٢٠، ٢٢١؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

الجدول رقم ٧ ـ ٣٠

١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م				١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م			
الواردات		النفقات		الواردات		النفقات	
الويركو	١,٦٩٢,٣٩٨	النفقات الشرعية	٨٧,٠٠٠	الويركو	١,٨٤١,٣٣٤,٢١	النفقات الشرعية	١,١١٠,٥٠٢
تمتع	٨٩٣,٩٩	النفقات الداخلية	٤٤٣,٦٨٨	تمتع	١٢٨,٢٠٤	النفقات الداخلية	٤٥٥,٨٦٠
بدل عسكري	٢١٢,٦٤٠	النفقات العدلية	٢٠٨,٧٤٠	بدل عسكري	٢٧٥,٦٧١,٢٨	نفقات عدلية	١٧١,١٤٨
رسوم أغنام	٤٣٧,٣٠٢	نفقات المعارف	٢٠,٧٨٤	رسوم أغنام	٤٤٠,٩٧٧,٢٠	الويركو وأورمان وأغنام	١٩,٧٥٣
جنوار	٢٤٥	نفقات النافعة	-	جنوار	٥٠	نفقات ذاتية	١٠,٢٠٠
رسوم دوه	١٨٧٠	نفقات أورمان (غابات)	-	الأعشار	٣,١٧٠,٤٩٦,١٩	نفقات في الأوقاف	١٩,١٦٥
الأعشار	٣,٨٧٧,٥٢٩	نفقات مالية	٨٤٩,٢٠٥	تابع الأعشار	٦٨٠,٤٢٥	نفقات خزينة خاصة شاهانية	٧٦١,٣١٥
أورمان (غابات)	٢٠,٠٠٠	معاشات ذاتية	٨١,٢٢٣	إيجار حاصلات وأملاك أميرية	٦,٠٠٢,٢٠	نفقات نظامية	١٠,٧٤٩
معادن	-	أعشار أمانتي	٦٥,٨٨٨	رسوم متنوعة	١٥,٥٨٦	نفقات بحرية	-
طابو	٤٥,٠٠٠	اسهام متنوعة	٣١,٩٧٣	معادن	-	نفقات نقل	٧٣,٠٦٤
أملاك أميرية	-	ضبطية وزاندرمة	-	أورمان حقه وكرسته	٥٦٩٣	نفقات زاندرمة (درك)	٣٩,٠٠٠
صيد بحري وبري	٥٢,٨٠٠					نفقات ضبطية (شرطة)	٢٦,٩٨٠
رسوم محاكم	٨٧,٠٠٠	بوليس	-	رسوم أملاك وطابو	١٨٧,٧٠٢	نفقات متفرقة	٦٧١٢
رسوم متنوعة	٢٤,٩٩٨			رسوم محاكم	٦٩٣,٠٩٨		
حاصلات متفرقة	١١٠٠			حاصلات متفرقة	٤٠٧,٣٤٧		
المجموع	[٦,٥٤٢,٢٨١]		[١,٧٨٨,٥٠١]		[٥,٧٥٥,٦٦٢,١٣]		[٢,٧٠٤,٤٤٨]

يبين الجدول أن العُشر يشكل أهم الواردات في اللواء، إذ بلغت قيمته سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م نحو ٣,٨٧٧,٥٢٩ قرشاً، وشكّلت ما نسبته ٦٠٪ من مجموع الواردات في تلك السنة الذي يبلغ ٦,٥٤٢,٢٨١ قرشاً، ثم انخفضت نسبة العشر إلى ٤٩٪ من مجموع الواردات سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.

ويأتي الويركو في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في الواردات، إذ شكل ما نسبته ٢٦٪ من مجموع الواردات سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، و٢٨٪ سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م. كما شكّل العشر والويركو معاً ٨٦٪ من الواردات سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م بينما شكل باقي الواردات نحو ١٤٪ فقط. وشكل العشر والويركو ٧٧٪ من الواردات سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، وإذا أضفنا رسوم الأغنام التي تشكل ٧٪ من الواردات إلى العشر والويركو نجد أنها معاً تشكل نحو ٩٠٪ من مجموع الواردات، وهذا يعني أن النسبة العظمى من الضرائب تقع على عاتق الفلاحين. وهو يفسر ما كان يعانيه الفلاحون من أوضاع مالية سيئة وفقر، إذ يتضح أن جهودهم كانت تذهب لمصلحة الحكومة التي تجبي الضرائب ولمصلحة التجار الذين يشترون المحاصيل بأسعار متدنية ويبيعونها بأسعار عالية.

وتبين المقارنة بين الواردات في السالنامتين أن سالنامة سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م أشارت إلى رسوم صيد بري وبحري، بينما سالنامة بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م لم تشر إلى مثل هذه الرسوم.

أمّا النفقات فقد شكلت نسبة محدودة من الواردات إذ شكلت نحو ٢٤٪ من مجموع الواردات سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ثم ارتفعت هذه النسبة إلى ٣٧٪ سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م. وشكلت النفقات الداخلية ما نسبته ٢٨٪ من مجموع نفقات اللواء بينما انخفضت النفقات المخصصة للتعليم إلى أقل من ١,٣٪ سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.

وأشارت سالنامة سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م إلى نفقات المعارف وخلت من إشارة إلى نفقات الدرك والشرطة. وعلى العكس من ذلك نجد أن سالنامة بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م لم تشر إلى نفقات للمعارف، لكنها أشارت إلى نفقات للدرك والشرطة.

ز) النقود

استخدم السكان في اللواء وحدات نقدية متعددة، منها العملة العثمانية ـ وهي العملة الرسمية ـ وبعض العملات الأجنبية كالليرة الفرنسية والإنكليزية والجنيه المصري، الذي استخدم في فلسطين قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى.

١ ـ النقود العثمانية:

انقسمت وحدات النقد العثمانية التي استخدمت في اللواء إلى ثلاث فئات: القطع الذهبية، كالليرة العثمانية ووحداتها الخمس ليرات والليرتين ونصف الليرة وربع الليرة؛ النقود الفضية، كالريال المجيدي ووحداته المجيدي ونصف المجيدي والغرشين أبيض (أبو المئة بارة) والقرش (الخمسين بارة)؛ النقود النحاسية التي يدخل فيها قليل من الفضة كالزهراوي[٤٩٨] ونصفه وربعه، والبشلك[٤٩٩] ونصفه، والمتليك[٥٠٠] ونصفه وربعه.[٥٠١]

وأصبحت الليرة العثمانية وحدة النقد الرئيسية في الدولة سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، وعرفت بالليرة المجيدية نسبة إلى السلطان عبد المجيد، وهي تساوي ١٠٠ قرش و٥ ريالات مجيدية.[٥٠٢]

واختلفت قيمة العملة العثمانية في لواء عكا من مدينة إلى أُخرى، واختلفت في لواء عكا عن غيره من الألوية المجاورة، فيذكر أسعد منصور: «تختلف قيمة النقود في الناصرة وقضاها عما هو في غيرها.»[٥٠٣]

(٤٩٨) الزهراوي: عملة نحاسية فيها قليل من الفضة وتساوي خمسة قروش. وقد سُمِّيت الزهراوي لوجود زهرة على وجهي قطعة النقود. أنظر:
Baldensperger, *op.cit.*, p. 50;
أنستاس الكرملي، «النقود العربية»، ص ٩٤، ١٧٧، ١٧٨؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٥، ١٣ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ١.

(٤٩٩) البشلك: كلمة تركية تعني خمسة، وقد سكّت في زمن السلطان سليمان الثاني ١٠٩٩ ـ ١١٠٢هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٦٩١م. ويغلب على البشلك النحاس، وهو يساوي خمسة قروش. أنظر: الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨، ١٦٩؛
Baldensperger, *op.cit.*, p. 50;
«دائرة المعارف الإسلامية»، «بشلك»، ج ٣، ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٥٠٠) المتليك: تحريف لكلمة Metalike وتعني معدن، وتتكون من مزيج من النيكل والنحاس. وقد سكّت في عهد السلطان محمود الثاني، وكل متليك يساوي ثلاثة قروش. أنظر:
Baldensperger, *op.cit.*, pp. 49 - 50;
الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.

(٥٠١) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٠٥، ٢٠ محرم ١٣٢٢هـ/ ٥ نيسان (أبريل) ١٩٠٤م، ص ٤؛
Ruppin, *op.cit.*, pp. 454, 535.

(٥٠٢) الأنسي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦؛
Baldensperger, *op.cit.*, p. 50; *Hand Book*, p. 318;
دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

(٥٠٣) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

وقد احتوت سجلات المحكمة الشرعية في حيفا على أمثلة كثيرة لذلك. فمثلاً، ادعى كمال بن أمين من حيفا أن له في ذمة مختار قرية السنديانة مبلغ ٧٧٤ قرشاً من عملة حيفا الدارجة،[٥٠٤] بحساب الليرة العثمانية ١٢٥ قرشاً والمجيدي ٢٣ قرشاً.[٥٠٥] وفي الوقت نفسه، كانت الليرة العثمانية تساوي في مرج التركمان، ناحية شفا عمرو، ١٤٠ قرشاً والمجيدي ٢٦ قرشاً، فتشير إحدى الحجج إلى أن مصطفى الخليل اشترى من صالح بن خضر الحسن المقيم بمرج التركمان ثلاثة أرباع الفدان بمبلغ ٥١٤,٢٩٥ قرشاً عملة الروحة على أساس أن الليرة العثمانية تساوي ١٤٠ قرشاً والمجيدي ٢٦ قرشاً.[٥٠٦]

وفي الناصرة كان سعر الريال المجيدي يساوي ٢٧,٥ قرشاً، فتذكر «جريدة ولاية سوريا» أن محكمة بداية الناصرة حكمت على يعقوب وبطرس وميخائيل قعوار بدفع مبلغ ٥١٥٠ قرشاً من عملة الناصرة على أساس ٢٧,٥ قرشاً للمجيدي.[٥٠٧] وفي حجة أُخرى كان سعر المجيدي ٢٨ قرشاً، فتذكر إحدى الحجج أن قسطة بن خليف التاجر من سكان الناصرة ادّعى أن له في ذمة محمد ابن الحاج محمود الأحمد الجرار التاجر العثماني المتوطن بحيفا مبلغ ٤٥١,٥٣٥ قرشاً من العملة الدارجة في الناصرة على اعتبار سعر المجيدي ٢٨ قرشاً.[٥٠٨]

كما اختلف سعر العملة العثمانية في جنين المجاورة للواء عكا عنها في مدن اللواء، فتشير إحدى الحجج إلى أن فايز بن نمر المصطفى قد تزوج من مريم بنت مصلح الحنتوري على مهر قدره ٢٥٠٠,٥ قرش رائج جنين[٥٠٩] بسعر المجيدي ٢٥ قرشاً وربع القرش وسعر الليرة العثمانية ١٣٧,٥ قرشاً.[٥١٠]

(٥٠٤) القرش الرائج يساوي ١٠ بارات فقط، وهو أقل من القرش الصاغ. أنظر: الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

(٥٠٥) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٣٦، ن ٨١، ٤ شوال ١٣٣٤هـ/ ٤ آب (أغسطس) ١٩١٦م.

(٥٠٦) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ١٥٤، ن ١٠٦٩، ٢٧ صفر ١٣٣٤هـ/ ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م.

(٥٠٧) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٥، ن ١٩٩، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٥٠٨) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١١٩، ن ٨٤، ٢٧ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٣م.

(٥٠٩) رائج جنين: سعر الليرة العثمانية أو المجيدي على أساس أسعارهما في جنين لا على أساس أسعارهما في المدن منعاً للاختلاف بين المتعاقدين.

(٥١٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١١٣، ن ٦٤٩، ٤ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

أمّا في نابلس فكان سعر المجيدي ٢٥ قرشاً، فنجد في أحد السجلات أن حمزة العبد الله من سيلة الظهر ادعى أن له عند محمد بن محمود الأحمد الجرار من حيفا مبلغ ١٣٠,٥٢٥ قرشاً من العملة الرائجة في بلاد نابلس بسعر المجيدي ٢٥ قرشاً.(٥١١)

كما اختلف سعر العملة حتى في المدينة الواحدة. ففي حيفا مثلاً تباينت الأسعار من حالة إلى أخرى، فمثلاً باع الحاج يوسف ابن الحاج محمود الأحمد الجرار العثماني من قرية البارد في قضاء جنين ما يخصه من أملاك في حيفا بمبلغ ١٢,٠٠٠ قرش صاغ الميري،(٥١٢) على أساس أن سعر الريال المجيدي يساوي ١٩ قرشاً.(٥١٣) وفي حجة أخرى أن محمد بن صالح أبي سالم العثماني باع ما يخصه في الدار الكائنة في حيفا ليوسف بن الياس بمبلغ ٧٠ ريالاً مجيدياً على أساس أن الريال المجيدي يساوي ٢٣ قرشاً.(٥١٤)

كذلك اختلفت أسعار العملة العثمانية بين المؤسسات الحكومية نفسها في اللواء، فذكر بيدكر سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م، أن أسعار تبديل العملات العثمانية والأجنبية في حيفا هي على النحو التالي:

الجدول رقم ٧ ـ ٣١

المجيدي	٢٣ قرشاً
الجنيه الإنكليزي الملكي (الليرة الإنكليزية)	١٣٧ قرشاً
قطعة الـ ٢٠ فرنكاً فرنسياً (الليرة الفرنسية)	١٠٩ قروش
الليرة العثمانية	١٢٤ قرشاً
الفرنك الفرنسي	٥ قروش
الشلن الإنكليزي	٦ قروش
البشلك	٣ قروش

(٥١١) س ح، ش ١٤١، س ٤، ص ١٩٥، ن ٨٢، ٢٠ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/١٨ شباط (فبراير) ١٩٠٣م.

(٥١٢) وهو القرش الصحيح، ويساوي ٤٠ بارة. أنظر: الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩.

(٥١٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥٢، ن ٣٤٧، ١٥ ربيع الأول ١٣٠٧هـ/٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩م.

(٥١٤) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ١٥٨، ن ٣٥٧، ١١ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٩م.

بينما كانت أسعار تبديل العملات المتعددة من سكة حديد الحجاز على النحو التالي:

الجدول رقم ٧ ـ ٣٢

النابليوني (الليرة الفرنسية)	٨٦ قرشاً
الجنيه الإنكليزي (الليرة الإنكليزية)	١٠٩ قروش
الليرة العثمانية	٩٦ قرشاً
المجيدي	١٩ قرشاً

كما كان صندوق الأيتام في حيفا يقدم قروضاً إلى السكان على أساس سعر ١٠٠ قرش لليرة العثمانية. فمثلاً اقترض توفيق بن صادق باشا من حيفا ١٠٠ ليرة عثمانية على أساس أن سعر الليرة العثمانية يساوي ١٠٠ قرش صاغ.(٥١٥) وفي سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، نشرت «جريدة ولاية سوريا» إعلاناً طلبت فيه شراء أقوات للجنود الموجودين في عكا، وقد حدد الإعلان أسعار العملة العثمانية على النحو التالي:(٥١٦)

الجدول رقم ٧ ـ ٣٣

الليرة العثمانية	١٠٠ قرش
المجيدي	١٩ قرشاً
الزهراوي	٥ قروش
البشلك	٢,٥ قرش

ويعني هذا وجود سعرين للعملة العثمانية: السعر الرسمي الذي تتعامل به الدولة وهـو ١٠٠ قرش لليرة، والسعر الذي يتعامل به السكان والذي يختلف من حالة إلى أخرى.

وقد كانت السجلات الشرعية تحدد قيمة المبلغ المستخدم في عمليات البيع والشراء إمّا بتحديد سعر الليرة العثمانية، وإمّا بتحديد سعر المجيدي. فإذا كان المبلغ المتداول كبيراً يشار،في الغالب، إلى سعر الليرة العثمانية والمجيدي معاً.

(٥١٥) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٧٨، ن ٢٠٣، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩م.

(٥١٦) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ٩٠٢، ٢٠ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ/٢٨ شباط (فبراير) ١٨٨٣م.

فمثلاً اشترى عبد الغني بيضون الدار في حيفا من محمد أبي خليل الكعكي بمبلغ ٤٠,٠٠٠ قرش صاغ الميري.[٥١٧] وإذا كانت المبالغ المتداولة متوسطة الحجم أو قليلة، ففي الغالب يتم تحديد سعر المجيدي من دون تحديد سعر الليرة العثمانية. فمثلاً اشترى محمد أبو خليل الكعكي البيروتي المقيم بحيفا من مصطفى بن محمود بن الياس من الطيرة عشرة عروق زيتون بمبلغ ١١٣٤ قرشاً من عملة رايج بندر حيفا على اعتبار الريال المجيدي ٢٢,٣٠ قرشاً.[٥١٨] وفي حجة أُخرى أن الياس أبو رحمة من حيفا اشترى من شبلي صيقلي البايكة والدار عليها بمبلغ ٣٠٠٠ قرش بسعر ٢٤ قرشاً للمجيدي.[٥١٩] وانفرد إبراهيم كوهين اليهودي بتحديد قيمة البيع والشراء على أساس أسعار ثلاث وحدات نقدية: الليرة العثمانية والمجيدي والليرة الفرنسية. فتشير إحدى الحجج إلى أن إبراهيم كوهين الجزائري الفرنساوي من طائفة الإسرائيليين المقيم بحيفا اشترى كامل نصف كرم الزيتون في الطيرة من محمد آغا النجمي بسعر ١٣٥٠ قرشاً، سعر المجيدي الأبيض ٢٢,٣٠ قرشاً باعتبار الليرة العثمانية ١٢٢ قرشاً والليرة الفرنسية ١٠٦,٥ قروش.[٥٢٠]

إن الهدف الأساسي من تحديد أسعار العملة، سواء العثمانية أو الأجنبية، هو منع الخلاف بين المتعاقدين بشأن تحديد أسعارها عند البيع والشراء.

ومما يميز عمليات البيع والشراء والتبادل النقدي بين سكان اللواء استخدام الصرة المجهولة[٥٢١] في عمليات البيع والشراء. فمثلاً باع حسن بن عبد الله أزويد من حيفا الأرض والحواكير لمحمد طه بمبلغ ٤٠٠ ريال مجيدي البالغ قيمتها ٩٤٠٠ قرش من العملة الدارجة[٥٢٢] وصرة مجهولة الجنس والعدد والنوع

(٥١٧) س ح، ش ٢٦١، من دون سجل، ص ٢٣٢، ن ١٤١، ٢١ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(٥١٨) س ح، ش ١٤١، س ٢، ص ٨٥، ن ٢٤٠، ١٩ جمادى الثانية ١٣٠٦هـ/ ٢٠ شباط (فبراير) ١٨٨٩م.

(٥١٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٠٩، ن ٦٧، ٣٠ رمضان ١٢٩٠هـ/ ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٣م.

(٥٢٠) س ح، سجلات ضبط الدعاوى، ص ١٩، ن ٢٣، ١٥ ذو الحجة ١٢٩٨هـ/ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨١م.

(٥٢١) مبلغ من المال يضعه البائع في كيس ويقدمه إلى الشاري إضافة إلى ثمن العقار المتفق عليه ولا يعرف البائع مقدار ما في هذا الكيس من نقود إلاّ بعد استلامه.

(٥٢٢) س ح، ش ١٤١، س ٣، ص ٥٦، ن ٨١، ٢١ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/ ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٢م.

والكمية.[٥٢٣]

ويبين الجدول التالي أسعار الليرة العثمانية في عدد من مدن بلاد الشام سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م:[٥٢٤]

الجدول رقم ٧ ـ ٣٤

المدينة	طرابلس	حمص	القدس	بيروت	غزة	اللاذقية	حلب	دمشق	يافا
السعر	١٢٤	١٢٤	١٢٤	١٢٤,٢٥	٢٢٥	١٢٤,٢٥	١٢٥	١٣٠	١٤٠

يتضح هنا التفاوت الكبير في أسعار الليرة العثمانية بين مدينة وأُخرى. إذ ارتفع سعر الليرة العثمانية في غزة فوصل إلى ٢٢٥ قرشاً وانخفض إلى ١٢٤ قرشاً في طرابلس وحمص والقدس بفارق ١٠١ قرش.

ويبين الجدول التالي أسعار الليرة العثمانية والريال المجيدي في بعض مدن اللواء والمدن المجاورة له في سنوات متعاقبة في الفترة ١٢٨٩ـ ١٣٣٤هـ/ ١٨٧٢ـ ١٩١٦م:[٥٢٥]

الجدول رقم ٧ ـ ٣٥

الليرة العثمانية			المجيدي		
المدينة	السنة	السعر	المدينة	السنة	السعر
بيروت	١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م	١١٥	بيروت	١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م	٢٢,١٢
بيروت	١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م	١٢٠	حيفا	١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م	٢٤
حيفا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م	١٢٥	بيروت	١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م	٢٢,١٢
حيفا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م	١٢٢	حيفا	١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م	٢٢,٣٠
حيفا	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م	١٢٢	حيفا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م	٢٢,٣٠
حيفا	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م	١٢٢,٥	حيفا	١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م	٢٢
حيفا	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م	١٠٠	حيفا	١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م	٢٢,٣٠
بيروت	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٢٣,١٠	حيفا	١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م	٢٢,٣٠
بيروت	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٢٤,٥	الناصرة	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	٢٧,٥

(٥٢٣) س ح، ش ٢٦١، من دون سجل، ص ٢٣٢، ن ١٤١، ٢١ ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٨م.

(٥٢٤) *Hand Book*, p. 320.

(٥٢٥) الجدول مستخلص من سجلات المحكمة الشرعية في حيفا.

تابع الجدول رقم ٧ ـ ٣٥

الليرة العثمانية			المجيدي		
المدينة	السنة	السعر	المدينة	السنة	السعر
حيفا	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٢٣,١٠	حيفا	١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	١٩
حيفا	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م	١٢٤,٥	حيفا	١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م	٢٢,٢٢
حيفا	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م	١٠٠	حيفا	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م	١٩
حيفا	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م	١٢٢,٥	حيفا	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م	٢٠
جنين	١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	١٣٧	حيفا	١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م	٢٣,٢٠
الناصرة	١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	١٤٩	حيفا	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٩
			حيفا	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	٢٣,٢٥
			حيفا	١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	٢٢,١٢
			حيفا	١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م	٢٣,٥
			حيفا	١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م	٢٣
			حيفا	١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م	٢٣,٥
			(شفا عمرو)	١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م	٢٦
			جنين	١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	٢٥,٢٥
			الناصرة	١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	٢٧
			حيفا	١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م	٢٣

ويلاحظ أن التفاوت كان كبيراً في أسعار الليرة والريال المجيدي في المدينة الواحدة، وأن التفاوت كان واضحاً بين الناصرة وحيفا اللتين تقعان في اللواء نفسه، بينما كانت الأسعار في حيفا متقاربة من أسعار بيروت.

ويعود السبب في وجود عدة أسعار للعملة العثمانية، واختلافها من مدينة إلى أُخرى، إلى أن هذه العملة كانت نوعين: العملة الذهبية الأصلية، والعملة المغشوشة التي كانت رائجة في أسواق التجارة ومتداولة بين الناس. وكان لكل نوع من النقود العثمانية أربع قيم، هي: القيمة الخالصة وتعني قيمة الشيء عندما يدفع نقداً ذهباً أو فضة؛ القيمة المغشوشة وهي قيمة الدفع بالعملة النحاسية؛ القيمة الصاغ التي تحددها الحكومة؛ القيمة الشرك وهي قيمة الشيء بالعملة الدارجة وأصلها كلمة جورك العثمانية ومعناها فساد.(٥٢٦)

كما أن العملة العثمانية كانت تتعرض للمسح والنقص في وزنها الأمر الذي

(٥٢٦) العارف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٩، ٣٤٠؛ «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤١، ١٤ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٧م، ص ١.

يجعلها تفقد جزءاً من قيمتها. ففي سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، أصدرت وزارة المالية أمراً بضرورة قبول الريالات المجيدية التي أطرافها أو خطها ممسوحة جزئياً أو مسودة في صناديق الأموال، وإلزام الصرافين والمحتكرين بقبول هذه الريالات وعدم وضع العوائق أمام الناس، وهدفهم من ذلك الحصول على بعض الأرباح بأخذها بسعر أقل من السعر المقرر لها.(٥٢٧)

وزاد في مشكلة تعدد أسعار النقود العثمانية أن هذه النقود كانت تسك في الخارج بحجوم وأوزان مختلفة تختلف عن النقود التي تسك في الدولة العثمانية. وكانت تهرّب إلى الأراضي العثمانية ويتداولها الناس بأسعار أقل من أسعار العملة العثمانية الأصلية، فتذكر «جريدة ولاية سوريا» أن بعض المحتكرين اتخذ إحضار المسكوكات من الخارج مهنة كي يبدلها بالمسكوكات الذهب فيحقق جراء ذلك ربحاً يصل إلى عشرين أو ثلاثين قرشاً في المئة قرش. وكان المحتكرون يبتكرون الطرق المتنوعة لتهريبها من الجمارك، ولذلك قررت الدولة منع تداول المسكوكات الأجنبية.(٥٢٨)

ومنعاً للتلاعب بقيمة النقود المعدنية وتهريبها من الخارج قامت الدولة العثمانية باستبدال العملات المعدنية بعملة ورقية وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى، فكانت تدفع نصف رواتب الموظفين في المؤسسات الرسمية ذهباً والنصف الثاني ورقاً.(٥٢٩)

استخدم السكان القرش في العمليات التجارية، فكان معظم عمليات البيع والشراء يتم به. فمثلاً حكمت محكمة بداية طبرية على الحاج أحمد الكلاحي ببيع داره الكائنة في طبرية بمبلغ ٧٨٧٢ قرشاً وخمس عشرة بارة.(٥٣٠) وكانت قيمة القرش ونوعيته تختلفان من مدينة إلى أُخرى، ولذلك كان من الضروري الإشارة إلى المدينة التي تمت فيها عملية البيع والشراء. مثلاً، حجز على كروم الزيتون العائدة للمزارع العثماني حسين بن علي من قرية المجدل بسبب دينه لقسيطة بن سعيد جرجورة بمبلغ ٢٣٩٠ قرشاً من عملة بندر الناصرة.(٥٣١)

(٥٢٧) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٨٧، ٦ ربيع الأول ١٣٠٤هـ/ ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٦م، ص ١.

(٥٢٨) المصدر نفسه، العدد ٩٠٧، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٠٠هـ/ ٣ نيسان (أبريل) ١٨٨٣م، ص ١.

(٥٢٩) زيادة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٦.

(٥٣٠) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٢، ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ٢.

(٥٣١) المصدر نفسه، العدد ١٠٨٠، ١٦ محرم ١٣٠٤هـ/ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٦م، ص ٢.

وقد أشير إلى القرش بتسميات متعددة كقرش صاغ الميري، فتشير إحدى الحجج إلى عقد قران آمنة بنت أحمد من حيفا على مهر قدره ألف قرش صاغ الميري.[٥٣٢] وأشارت حجة أُخرى إلى القرش الصاغ التركي؛[٥٣٣] فقد تزوج فهيد بن حتو من عرب الطرابين المقيم بحيفا على مهر قدره ٣٠٠٠ قرش صاغ تركي.[٥٣٤] وأشير أيضاً إلى قرش صاغ الخزينة، فمثلاً باع أمين نخول داره التي في حيفا بمبلغ ٧٠٠٠ قرش صاغ الخزينة.[٥٣٥] كما أشير إلى القروش الأسدية[٥٣٦] وإلى الرائجة السلطانية[٥٣٧] وإلى القرش رائج البلدة،[٥٣٨] وإلى قرش معاملة يومئذ.[٥٣٩] فمثلاً اشترى يوسف سويدان قطعة الأرض خارج حيفا بمبلغ ١٤٠ قرشاً معاملة يومئذ،[٥٤٠] وأشير أحياناً أُخرى إلى البلدة التي تمت فيها عملية البيع كالقرش رائج عكا.[٥٤١]

ونتيجة هجرة بعض التجار من بيروت وشرائهم الأراضي والدور في لواء عكا، أشير إلى القرش بقيمته في بيروت. فتذكر إحدى الحجج الشرعية أن بشارة

(٥٣٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٧، من دون نمرة، ٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ٧ أيار (مايو) ١٨٧٠م.

(٥٣٣) وتعني القرش الصحيح، وهو يساوي ٤٠ بارة. أنظر: الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩.

(٥٣٤) س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ٥٠، ن ١٣١، ٢٢ ذو الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م.

(٥٣٥) س ح، ش ٢٦١، س ١، ص ٥٣، ن ١٠٠، ١٤ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م.

(٥٣٦) سميت القروش الأسدية بهذا الاسم لوجود صورة أسد على أحد وجهي القرش. وقد أخذه العثمانيون عن العملة الهولندية التي كانت رائجة آنذاك ويسمى، أحياناً، القرش التركي أو القرش العثماني. وضرب القرش، أول مرة، في عهد السلطان سليمان الثاني في الفترة ١٠٩٩ ـ ١١٠٣هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٦٩١م. أنظر: العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٣٨.

(٥٣٧) س ح، ش ٢٦١، س ١، ص ٤٠، ن ٤١، ٢٨ ذو القعدة ١٣٠٥هـ/ ٦ آب (أغسطس) ١٨٨٨م.

(٥٣٨) القرش الرائج يساوي ١٠ بارات فقط، وهو أقل من القرش الصاغ. أنظر: الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

(٥٣٩) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٢، ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ١.

(٥٤٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨، من دون نمرة، ١٤ صفر ١٢٨٧هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٨٧٠م.

(٥٤١) س ح، ش ١٤١، س ١٠، من دون صفحة، ن ٩٣٩، ١٩ شعبان ١٣٣٣هـ/ ٢ تموز (يوليو) ١٩١٥م.

عازر اشترى كرماً للزيتون في الطيرة بمبلغ ٣٤٧ قرشاً وعشر فضة عملة بيروتية.[٥٤٢] وتشير حجة أُخرى إلى أن بشارة عازر اشترى ثلاث شجرات زيتون في الطيرة من أحمد الحمدان بمبلغ ١٢٩٧,٥ قرشاً عملة بيروتية.[٥٤٣]

كما أشارت السجلات إلى استخدام الزهراوي في التداول بين السكان، لكنه استخدم بصورة محدودة. فمثلاً أقرض الشيخ عبد الله بن صالح السهلي العثماني، من بلد الشيخ، خضر ومحمد ابني محمود الحمدان أربع زهراويات.[٥٤٤] وحاولت الدولة سحب الزهراوي من الأسواق، فذكرت «جريدة ولاية سوريا» أن الزهراويات التي تتداول الآن بقيمة خمسة قروش ستبطل وسترفع فيما بعد إلاّ إنه يتعامل بها الآن في أسعارها الحاضرة في صناديق الأموال حتى نهاية شهر آب (أغسطس) المقبل وأنه ستعلن فيما بعد مدة وأصول مبادلة الزهراويات التي تبقى في أيدي الأهالي بعد ختام المدة المذكورة.[٥٤٥] وذكرت صحيفة «البشير» أن قيمة الزهراوي في حيفا كانت تساوي ستة قروش سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م.[٥٤٦]

كما أشير إلى استخدام البشلك، وخصوصاً عند تقدير نفقة الزوجة المطلقة أو أحد الوالدين أو الأقارب. فمثلاً فرض نايف عبد الله فياض من أهالي حيفا على نفسه نفقة لأخته خمسة بشالك كل شهر،[٥٤٧] وفرض حسين بن محمود من بلد الشيخ نفقة شرعية لزوجته كل يوم نصف بشلك بواقع خمسة عشر بشلكاً كل شهر.[٥٤٨]

وعلى الرغم من أن البشلك كان يساوي خمسة قروش، فإن قيمته انخفضت إلى ثلاثة قروش سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م.[٥٤٩]

(٥٤٢) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٤، ن ٢٢٥، ١٢ ربيع الثاني ١٢٨٧هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٨٧٠م.

(٥٤٣) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٢٤، ن ٢٢٦، ١٢ ربيع الثاني ١٢٨٧هـ/ ١٢ تموز (يوليو) ١٨٧٠م.

(٥٤٤) س ح، ش ٢٦١، س ١، ص ٥، من دون نمرة، ١٧ رجب ١٣٠٥هـ/ ٣٠ آذار (مارس) ١٨٨٨م.

(٥٤٥) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٥، ١٣ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨م، ص ١.

(٥٤٦) صحيفة «البشير»، العدد ٩٦٨، ١١ رمضان ١٣٠٦هـ/ ١١ أيار (مايو) ١٨٨٩م، ص ٣.

(٥٤٧) س ح، ش ١٤١، س ١٠، من دون صفحة، ن ٨٧٤، من دون تاريخ.

(٥٤٨) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١٦، ن ١٨٠، ٢١ ذو القعدة ١٣٢٨هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠م.

(٥٤٩) صحيفة «البشير»، العدد ٩٦٨، ٢٠ رمضان ١٣٠٧هـ/ ١١ أيار (مايو) ١٨٩٠م، ص ٣.

كما استُخدم المتليك عند تقدير النفقة لأحد أفراد العائلة. فمثلاً فرض محمد وسليم ابنا خليل الضابطية من حيفا على أنفسهما نفقة شرعية ثمانية متاليك إلى أولاد أخيهما الصغار.(٥٥٠)

وفي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، كانت أسعار هذه الوحدات النقدية في الناصرة على النحو التالي:(٥٥١)

المتليك	١٥ بارة
البشلك	٣,٣٠ قروش
الزهراوي	٧,٥ قروش

وقد تردد التجار والصيارفة في ولاية بيروت في قبول هذه الوحدات النقدية الصغيرة أملاً بقبولها بأسعار أقل من أسعارها الحقيقية، الأمر الذي دفع والي بيروت إلى إصدار أمر بتعقب كل من يمتنع من قبول الزهراويات والبشالك والأنصاف البيض.(٥٥٢)

وكانت البارة أصغر وحدات النقد المستخدمة في اللواء، وكل ٤٠ بارة تساوي قرشاً، وأشير إلى البارة عند تقدير النفقة. فمثلاً قرر قاضي حيفا نفقة لالياس بن نخلة الحداد من ولديه نخلة وإسكندر: خمسين بارة من نخلة وستين بارة من إسكندر، وتساوي ثلاثة قروش كل يوم.(٥٥٣)

وقد فقدت البارة قيمتها الشرائية بالتدريج، فذكر أسعد منصور: «بل البارة التي هي الآن القياس العمومي للنقد هي اسم بلا مسمى فلا توجد مسكوكات بقيمة بارة. وقيمة البارة نفسها غير ثابتة. كل ٤٠ بارة غرش، ولكن القطعة الواحدة من النقد تكون قيمتها في بلاد ٥ غروش أو ٢٠٠ بارة وفي غيرها ٧ غروش أو ٢٨٠ بارة.»(٥٥٤)

---

(٥٥٠) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٤٤، ن ٨٤٩٦، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٣هـ/ ١٠ أيار (مايو) ١٩١٥م.

(٥٥١) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٥٥٢) صحيفة «البشير»، العدد ٢٣٥٥، ١١ صفر ١٣٣٢هـ/ ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م، ص ٢.

(٥٥٣) س ح، ش ١٤١، س ٢، من دون صفحة، ن ٣٣، ٥ ذو الحجة ١٣٠٧هـ/ ٢٣ تموز (يوليو) ١٨٩٠م؛ «دائرة المعارف الإسلامية»، «بارة»، ج ٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤؛ الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٦.

(٥٥٤) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

كما شاع قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى استخدام الجنيه المصري بين السكان مع قدوم الجيش البريطاني من مصر إلى فلسطين.(٥٥٥) فذكرت إحدى الحجج الشرعية أن سعدى بنت داود المهتدية جرى عقد نكاحها على يوسف بن عثمان الترك من حيفا على صداق قدره ٥٠٠ قرش مصري مقدم وقرش واحد مؤخر.(٥٥٦) وفي حجة أُخرى أن حمزة بن حسني علي البليجي المصري تزوج هنية بنت الحاج أحمد بن محروس المصرية على مهر قدره عشرة جنيهات مصرية مقدمة وخمسة مؤخرة الموافق كل جنيه للعملة الدارجة في حيفا على حساب ١٤٠ قرشاً رائجاً.(٥٥٧)

٢ ـ العملات الأجنبية:

استخدم السكان في اللواء العملتين الفرنسية والإنكليزية، لازدياد العلاقات التجارية بين الدولتين وبلاد الشام عامة، ولفقدان السكان الثقة بالعملة العثمانية جراء عدم ثبات أسعارها وانخفاضها بصورة مستمرة. واستُخدمت الليرة الفرنسية، على نطاق واسع، نظراً إلى علاقة فرنسا الاقتصادية والسياسية ببلاد الشام منذ أوائل العصر العثماني.

وكانت العملة الفرنسية المتداولة في اللواء من فئة ٢٠ فرنكاً (النابليوني) وتعرف، محلياً، باسم الليرة الفرنسية وتساوي رسمياً ٨٧,٥ قرشاً و١٠٩ قروش بحسب أسعار السوق. أمّا الجنيه الاسترليني (الليرة الإنكليزية) فكان يساوي ١١٠ قروش رسمياً و١٣٧ قرشاً بحسب سعر السوق. وعلى الرغم من ذلك، فإن أسعار هاتين العملتين اختلفت من مدينة إلى أُخرى، ومن سنة إلى أُخرى، وهذا ما يبينه

---

(٥٥٥) س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ٥، ٢٠، ن ١٨، ٩ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ/ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠م؛

س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ٤٠، ن ٥٠، ٢٧ ذو القعدة ١٣٣٧هـ/ ٢٣ آب (أغسطس) ١٩١٩م.

(٥٥٦) س ح، ش ٢٦١، س ٧، من دون صفحة، ن ٢٧/ ٢٠١، ٢٣ ذو الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م.

(٥٥٧) س ح، ش ٢٦١، س ٧، من دون صفحة، ن ٦٣، ٢٣ ذو الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١٩م؛

س ح، ش ٢٦١، س ٧، ص ٤٠، ن ٥٠، ٢٧ ذو القعدة ١٣٣٧هـ/ ٢٣ آب (أغسطس) ١٩١٩م.

الجدول التالي:[٥٥٨]

الجدول رقم ٧ ـ ٣٦

المدينة	الليرة الفرنسية	الليرة الإنكليزية
بيروت	١٠٨,٣	١٣٥,٣
دمشق	١١٤	١٤٣,٥
حلب	١١٠	١٣٨,٣
طرابلس	١٠٧,١٥	١٣٥
حمص	١٠٨	١٣٦
اللاذقية	١٠٨,٣	١٣٦,٣
يافا	١٢٤,١٥	١٥٦,١
صيدا	١٠٩	١٣٧,٢

واستُخدمت الليرة الفرنسية في عمليات شراء الدور والأراضي وعمليات البيع والشراء والإقراض. فمثلاً، اشترى بشارة عازر من جدعون خليل كامل الحاكورة خارج حيفا بثمن قدره ٣٥ ليرة فرنسية على اعتبار أن سعر الليرة ١٠٥ قروش.[٥٥٩] وفي حجة أُخرى أن عيسى نوصر التاجر العثماني المقيم بأم الفحم كان مديوناً لبشارة عزام وسعد داود بمبلغ ٩٤٥ ليرة فرنسية.[٥٦٠]

وقد شجع على استخدام الليرة الفرنسية ثبات أسعارها، فخلال الفترة ١٢٨٧ـ ١٣٣٢هـ/ ١٨٧٠ ـ ١٩١٤م كان سعر الليرة الفرنسية يتراوح ما بين ١٥٠ قرشاً و١٣٠ قرشاً.[٥٦١] وهذا الثبات في أسعارها شجع السكان على اقتنائها والاحتفاظ بها. فمثلاً توفي إبراهيم حسن من قرية الغابة وعنده ليرتان فرنسيتان.[٥٦٢] إلاّ إن الحرب العالمية أدت إلى خفض قيمة العملة الفرنسية بصورة كبيرة، فتشير إحدى الحجج إلى أن حامد بن محمد البنا من حيفا رهن

(٥٥٨) الكرملي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢؛
Hand Book, p. 319.

(٥٥٩) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٤، ن ١٨٠، رجب ١٢٩٠هـ/أيلول (سبتمبر) ١٨٧٣م.

(٥٦٠) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٧، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ١٠ شباط (فبراير) ١٨٨٨م، ص ٢.

(٥٦١) أنظر أدناه، ص ٥٢٣، الجدول رقم ٧ ـ ٣٧.

(٥٦٢) س ح، ش ١٤١، س ٣٠، ص ١٩٦، ١٩٧، ن ٢٤١، ٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م.

داره إلى محمد ابن الحاج المزين من عكا بمبلغ ٧٠ ليرة فرنسية بسعر الليرة ٨٦ قرش صاغ الخزينة.[٥٦٣]

ويبين الجدول التالي أسعار الليرة الفرنسية في حيفا في سنوات متعاقبة:[٥٦٤]

الجدول رقم ٧ ـ ٣٧

السنة	السعر
١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م	١٠٤
١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م	١٠٥
١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م	١٠٧
١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م	١٠٧,٥
١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م	١٠٨
١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٠٨,١٥
١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	١٠٧
١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م	١٠٩
١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	١٣٠
١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م	٨٦

يلاحظ من هذا الجدول أن قيمة الليرة الفرنسية كانت في ارتفاع مستمر حتى قيام الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى خفض سعرها إلى ٨٦ قرشاً بفارق ٤٤ قرشاً عن أعلى سعر لها (١٣٠) سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

كما استخدم الفرنك الفرنسي مرة واحدة في المعاملات المالية بدلاً من الليرة الفرنسية، فأشار أحد السجلات إلى أن أرتو روبين اشترى من أستيرة، بنت يوحنا فرانكر الألمانية، قطعتي الأرض في الميروان بالقرب من حيفا بمبلغ ٥٥,٠٠٠ فرنك (٢٧٥,٠٠٠ قرش).[٥٦٥] أمّا الليرة الإنكليزية فقد استخدمت في

(٥٦٣) س ح، ش ١، س ١، ص ٨٨، ن ١٤٢، ١٥ محرم ١٣٣٥هـ/ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م.

(٥٦٤) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ٨، ن ٢٠١، ١٢ صفر ١٢٨٧هـ/ ١٤ أيار (مايو) ١٨٧٠م؛
س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٤٤، ن ١٨٠، رجب ١٢٩٠هـ/أيلول (سبتمبر) ١٨٧٣م؛
«جريدة ولاية سوريا»، العدد ١١٤٧، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ١٠ شباط (فبراير) ١٨٨٨م، ص ٢.

(٥٦٥) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٧٤، ن ٥٨٥، ٩ صفر ١٣٣٢هـ/ ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

المعاملات المالية والتجارية بصورة أقل من الليرة الفرنسية. وعلى الرغم من ذلك فإنها حافظت على سعر ثابت تقريباً، فكانت قيمتها تتراوح بين ١٣٦ قرشاً و١٣٧ قرشاً.(٥٦٦) وهذا الثبات في أسعارها شجع السكان على الاحتفاظ بها. فمثلاً توفيت أمينة بنت الحاج علي فارس الكردي وتركت عشر ليرات إنكليزية، باعتبار كل ليرة ١٣٧ قرشاً.(٥٦٧)

ويوضح الجدول التالي أسعار الليرة الإنكليزية في بعض المدن وفي سنوات مختلفة:(٥٦٨)

الجدول رقم ٧ ـ ٣٨

السنة	المدينة	السعر
١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م	بيروت	١٢٦
١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م	بيروت	١٣١
١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م	بيروت	١٣٤,١٥
١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م	حيفا	١٣٦
١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	حيفا	١٣٦,٣٠
١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م	بيروت	١٣٦,٣٠
١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م	بيروت	١٣٦
١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م	الناصرة	١٩٣

٣ ـ البنوك:

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر إنشاء فروع لبنوك عثمانية وأُخرى أجنبية. وقامت هذه البنوك بالأعمال المالية والمصرفية وقدمت القروض إلى السكان.

(٥٦٦) س ح، ش ٢٦١، س ٤، ص ٤٣، من دون نمرة، ٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٠م.

(٥٦٧) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ٢٦، من دون نمرة، ٢٢ شوال ١٣١٢هـ/ ١٨ نيسان (أبريل) ١٨٩٥م.

(٥٦٨) س ح، ش ٢٦١، س ٣، ص ١٩٦، ن ٢٤١، ٢٨ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٤م؛
U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 28, 28 May 1877, No. 28;
منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

أ ـ البنك الزراعي العثماني: تأسس هذا البنك سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م بهدف تقديم القروض إلى المزارعين بفائدة مخفضة لا تزيد على ٦٪، لكنها عملياً ربما تصل إلى ٩٪ إضافة إلى ١٪ رسم خدمة. وكان للبنك فروع في كل من طبرية وعكا وحيفا والناصرة وصفد.(٥٦٩)

أنشىء البنك الزراعي لتقديم القروض المالية إلى المزارعين بشروط سهلة وميسرة منعاً لاستدانتهم من المرابين الذين كانوا يستولون على أراضيهم بعد عجزهم عن سداد ديونهم. لكن إنشاء البنك لم يغير من الواقع شيئاً لأنه كان يقدم القروض إلى المزارعين بضمان أراضيهم، وفي حالة عدم قدرتهم على سداد قروضهم كان يقوم ببيع أراضيهم في المزاد العلني. وفي الغالب، كان التجار وكبار الملاك يشترون هذه الأراضي. ويوضح الإعلان التالي الذي نشرته جريدة «طرابلس» ذلك إذ تقول: «سيطرح للمزايدة تسع وثلاثون قطعة أرض في قرية المكر لواء عكا ملك الكفيلين أحمد وأخيه الشيخ خليل إبراهيم من أهالي وتجار عكا نظراً لامتناع المكفول مصطفى الأسود من أهالي القرية المذكورة عن سداد مبلغ ثلاثة آلاف قرش رائج الخزينة لصندوق شعبة بنك زراعة عكا.»(٥٧٠)

وقد احتوت الصحف وسجلات المحكمة الشرعية على أمثلة كثيرة لبيع أراضٍ اقترض أصحابها من البنك الزراعي وعجزوا عن سداد قروضهم. فمثلاً وكّل محمود بن عبد الرحيم ابن الشيخ محمد الخطيب، من عرعرة، عبد الله بن محمد الماضي بيع ما هو في تصرفه كامل الست عشرة قطعة أرض المرهونة للبنك الزراعي للحاج محمود بن أحمد من أهالي حيفا بمبلغ ٧٢٠٠ قرش وعشر ليرات فرنسية ودفع قيمة الرهن البالغ ٧٢٠٠ قرش إلى البنك الزراعي في حيفا.(٥٧١)

ونشرت جريدة «طرابلس» إعلاناً آخر من محكمة بداية عكا عن بيع أراضٍ مرهونة للبنك الزراعي، وفيه: «بعد مرور خمسة عشر يوماً سيطرح في المزايدة عشرون قطعة أرض واقعات في أراضي قرية تمرة ملك المديونين حسين وحسن ولدي علي الناصر وجميعهم من أهالي القرية المذكورة، وأنه يطلب منهما لصندوق

(٥٦٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٧٨ ـ ١٨٦؛ صحيفة «المقتبس»، العدد ١٢١٦، ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ٣؛ صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥٨، ١٦ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٩ تموز (يوليو) ١٩٠٥م، ص ٢.

(٥٧٠) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ١١١، ٢٦ ذو القعدة ١٣١٢هـ/ ٢١ أيار (مايو) ١٨٩٥م، ص ٤.

(٥٧١) س ح، ش ٢٦١، س ٥، ص ١١٢، ن ١٤٢، ١٩ رجب ١٣٣٠هـ/ ٢ تموز (يوليو) ١٩١٢م.

شعبة بانك زراعة عكا مبلغ ٢٢٠٠ قرش، ومن يرغب في شرائها فعليه أن يخابر هذه الدائرة.»(٥٧٢)

وزاد في عجز البنك عن القيام بالدور المحدد له أن القائمين عليه في مدن اللواء كانوا من كبار الملاك والتجار فسخّروا البنك لخدمة مصالحهم. فمثلاً كان علي عرابي وميخائيل عيد وجرجي خوام أعضاء في مجلس إدارة البنك الزراعي سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م،(٥٧٣) في الوقت الذي كان فيه ميخائيل عيد من كبار الدائنين في عكا. فكان يقرض المزارعين الأموال بضمان أراضيهم ويبيعها بالمزاد العلني عند عجزهم عن سداد ديونهم. ونشرت «جريدة ولاية سوريا» الإعلان التالي الذي يوضح ذلك: «أنه طرح قبلاً للمزايدة النظامية العلنية الأرض المشجرة زيتون بموقع التين بأرض قرية المغار التابعة لعكا... ملك أصليبي الحلو من أهالي القرية المذكورة المحكوم عليه بموجب إعلام تجاري بمبلغ ٢٣٠٠ قرش إلى ميخائيل عيد وأخيه جبرائيل من أهالي عكا، فقد انتهى مزاد الأرض والزيتون المذكورة على عزيز عيد أحد أهالي عكا بمبلغ مئة وثمانين ريالاً مجيدياً أبيض.»(٥٧٤)

ولم يقتصر عمل البنك الزراعي على تقديم القروض إلى المزارعين فحسب، بل كان أيضاً يقبل الإيداعات المالية للسكان. فمثلاً كان صالح بن أحمد بن صالح الحميدي من قرية صبارين يملك إيداعاً في البنك الزراعي في حيفا بمبلغ ٦ ليرات عثمانية.(٥٧٥) وقد قام البنك الزراعي في حيفا بنحو ٧٢٢ عملية إقراض في الفترة المالية ١٣١٠ ـ ١٣٣١هـ، قدم خلالها قروضاً بقيمة ١٩,٢٨٤,٣٨٣ قرشاً لسكان واحدة وثلاثين قرية في قضاء حيفا. فمثلاً اقترض سكان قرية إجزم مبلغ ٢٦١,٨٠٢ قرش من خلال خمس وتسعين عملية اقتراض. واقترض سكان قرية عرعرة مبلغ ٢٧٣,٨٧٢ قرشاً من خلال خمس وستين عملية اقتراض.(٥٧٦)

(٥٧٢) صحيفة «طرابلس» (الشام)، العدد ٩١، ٢٦ جمادى الثانية ١٣١٢هـ/ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٤م، ص ٤.

(٥٧٣) صحيفة «البشير»، العدد ١٦٥٨، ٥ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ/ ١٨ تموز (يوليو) ١٩٠٤م، ص ٢.

(٥٧٤) «جريدة ولاية سوريا»، العدد ١٠٩٠، ٢٧ ربيع الأول ١٣٠٤هـ/ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٦م، ص ٢.

(٥٧٥) س ح، ش ١٤١، س ١٠، ص ٣، ٤، ن ٧٠٨، ١٣ شوال ١٣٣١هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩١٣م.

(٥٧٦) أنظر أعلاه، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

ب ـ **صندوق الأيتام**: صدر القانون الذي قُرر فيه إنشاء صندوق للأيتام في مراكز الأقضية في ٧ ربيع الأول ١٢٦٨هـ/ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥١م، ونص على حفظ أموال القُصّر واليتامى فيه إلى حين بلوغهم سن الرشد.(٥٧٧)

لكن الصندوق مارس الأعمال المصرفية والمالية، فكان يُقرض السكان وخصوصاً إذا كانوا من أقارب اليتيم أو القاصر. فمثلاً استدانت نجمة بنت أحمد حجير، زوجة صالح بن عثمان من أهالي الطيرة ومن سكان حيفا، مبلغ ٤٠ ليرة فرنسية من الصندوق من مال ابنها القاصر العبد بن صالح بن عثمان.(٥٧٨) وفي حجة أُخرى اقترضت آمنة بنت محمد التركمان من سكان بريكة مبلغ ٧٥٢٢ قرشاً من صندوق الأيتام في حيفا،(٥٧٩) كما استدان محمود بن حسن حسني الجبالي مبلغ ٢٧١٣ قرشاً من الصندوق.(٥٨٠)

ولم يكن الاقتراض من الصندوق مقصوراً على الفقراء فحسب، بل شمل الأغنياء أيضاً. فمثلاً استدان توفيق مصطفى الخليل مبلغ ١٠٠ ليرة عثمانية من صندوق الأيتام في حيفا.(٥٨١)

ج ـ **البنك السلطاني (The Imperial Ottoman Bank)**: تأسس هذا البنك سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م برأس مال إنكليزي ـ فرنسي مشترك قدره عشرة ملايين ليرة إنكليزية (١,٣٥٠,٠٠٠,٠٠٠ قرش). واتخذ البنك الآستانة مقراً رئيسياً له، وكان له فروع في لندن وباريس ومصر وقبرص ومختلف الولايات العثمانية.(٥٨٢) كما كان للبنك فروع في مدن اللواء، ومنها فرع في حيفا، وكان مديرا هذا الفرع

(٥٧٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٣ ـ ١١٢.

(٥٧٨) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٠٧، ن ٦٤٢، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٥٧٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٣٩، ن ٦٩١، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(٥٨٠) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ١٣٩، ن ٦٩٢، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٤م.

(٥٨١) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٨٣، ن ٦٠٣، ٢٠ صفر ١٣٣٢هـ/ ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م.

(٥٨٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٦٥؛ صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩؛ U.S.A.C.R. Beirut, T. 367, Roll 8, p. 188; Ruppin, *op.cit.*, pp. 445-447; صحيفة «الاتحاد العثماني»، العدد ٢٩٩، ٢٦ شعبان ١٣٢٧هـ/ ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٩م، ص ٣.

الخواجة رفائيل بيشوتو وموسى نمره سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.[٥٨٣]

د ـ البنك الألماني الشرقي (بنك فلسطين الألماني) (German Bank of Palestine): أسس هذا البنك سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م لتشجيع المصالح الاقتصادية الألمانية وشراء الأراضي وممارسة الأعمال المصرفية.[٥٨٤]

وقد افتتح البنك فرعاً له في القدس أولاً. ثم امتد نشاطه ليشمل اللواء، فافتتح فرعاً في حيفا،[٥٨٥] وآخر في الناصرة.[٥٨٦] ومارس البنك العمل المصرفي عن طريق الوكلاء، فكان N. & S. Trowitz وكيلاً له في صفد، وسلمون غروس (Solomon Gross) وكيلاً له في طبرية.[٥٨٧]

وكان مديرو هذه الفروع إمّا من الألمان، وإمّا من المتمتعين بالحماية الألمانية. فكان فرينكر السويسري المتمتع بالحماية الألمانية مديراً لفرع حيفا سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م،[٥٨٨] وكان إشتيرن مديراً سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م،[٥٨٩] وويلهم ابن أدولف الألماني مديراً سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.[٥٩٠]

وأنشأ اليهود فروعاً لبنوك يهودية مقرها في أوروبا، كالبنك الإنكليزي ـ الفلسطيني الذي أُسس سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، وعرف في فلسطين باسم شركة أنكلو ـ فلسطين (Anglo - Palestine Company). وكان للبنك فروع في طبرية وصفد[٥٩١] وحيفا.[٥٩٢] ومارس البنك الأعمال المصرفية، فكان يقرض

(٥٨٣) صحيفة «البشير»، العدد ٢٢٧١، ٢٠ رجب ١٣٣١هـ/ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٨٤) صلاح، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠؛
Ruppin, *op.cit.*, pp. 448-450;
صحيفة «البشير»، العدد ١٨٥٩، ٢٤ ربيع الثاني ١٣٢٦هـ/ ٢٥ أيار (مايو) ١٩٠٨م، ص ٤.

(٥٨٥) صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٨٦) منصور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

(٥٨٧) Baedeker, *op.cit.*, pp. 252, 259.

(٥٨٨) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٧٣، ن ٤٣، ١٧ رجب ١٣٣٥هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩١٧م.

(٥٨٩) س ح، ش ١٤١، س ٩، ص ٣٨، ن ٥٢٢، ٢٦ ذو القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٣م.

(٥٩٠) س ح، ش ١٤١، س ١، ص ١٧٣، ن ٤٣، ١٧ رجب ١٣٣٥هـ/ ٩ أيار (مايو) ١٩١٧م؛
صحيفة «المقتبس»، العدد ١١٢٧، ٢٣ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ١ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٩١) صحيفة «البشير»، العدد ٢٢٧١، ٢١ رجب ١٣٣٢هـ/ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٤م، ص ٤؛
صحيفة «المقتبس»، العدد ٩٣٥، ١١ ربيع الثاني ١٣٣١هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٩١٣م، ص ٣.

(٥٩٢) Baedeker, *op.cit.*, p. 229.

الفلاحين الأموال بضمان أراضيهم. وكان له وكلاء من اليهود يشترون الأراضي من العرب ويسجلونها باسم البنك، فأشارت إحدى الحجج إلى أن زالمان بن داويد ابن لبيب مردخاي الإسرائيلي من تبعية دولة روسيا وكّل كلاً من ناتان بن يهودا كرزبان من تبعية روسيا، وحاييم يهودا من تبعية الدولة العثمانية بصفتهما مديرين لشركة أنكلو ـ فلسطين الإنكليزية في حيفا وضع يدهما على قطع الأرض الثلاث العائدة له في حيفا.[٥٩٣] وقد أنشأ اليهود البنك على أنه شركة إنكليزية لاستغلال الامتيازات التي يتمتع بها المواطنون البريطانيون في الدولة العثمانية وشراء الأراضي من دون إثارة اعتراض السلطات العثمانية التي لم تسمح لهم بالتملك في الدولة العثمانية.

ونتيجة الدور السلبي الذي قامت به البنوك الأجنبية في عملياتها المصرفية وتقديم القروض بشروط صعبة، بينما كانت تسهل الحصول على القروض للرعايا الأجانب، ظهرت فكرة إنشاء بنك وطني في حيفا، فذكرت جريدة «فلسطين» أن مجموعة من أغنياء حيفا اجتمعت في منزل فؤاد السعد وتداولت أمر إنشاء مصرف أهلي، وقررت أن يكون رأس ماله خمسين ألف ليرة تقسم إلى ٢٥ ألف سهم ثمن السهم ليرتان يدفع نصفه نقداً والنصف الآخر حين الاقتضاء. فاكتتب الحاضرون بما ينوف على سبعة آلاف سهم، والسبب في ذلك هو تضييق البنك العثماني في حيفا على التجار في المعاملات وحبس المال عنهم.[٥٩٤] وأوردت صحيفة «البشير» عن مراسلها في حيفا، سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤، قائلة: «يتكلمون عندنا كثيراً عن تأسيس بنك وطني مساهم تكون قيمة السهم ليرتين فرنسيتين ليتمكن الجميع من الاشتراك فيه ويكون عدد الأسهم ٢٥ ألف سهم.» لكن قيام الحرب العالمية الأولى قضى على محاولة إنشاء البنك.[٥٩٥]

(٥٩٣) س ح، ش ١٤١، س ٨، ص ١٢٤، ن ٨، ١٠ شوال ١٣٢٧هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩م.

(٥٩٤) صحيفة «فلسطين»، العدد ٢٩٥، ٣ صفر ١٣٣٢هـ/ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م، ص ٢.

(٥٩٥) صحيفة «البشير»، العدد ٢٣٥٤، ١٣ صفر ١٣٣٢هـ/ ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م، ص ٣.

الخَاتِمَة

شهد المجتمع العربي، في لواء عكا وفي غيره من مناطق بلاد الشام، سلسلة من التغيرات الإدارية والاجتماعية والعسكرية والسياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ساهم في حدوثها صدور التنظيمات العثمانية التي هدفت إلى تنظيم الجيش والإدارة، وأهمها: قانون الولايات، وقانون تمليك الأراضي الميري، والقوانين المتعلقة بالمساواة بين السكان والمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، وتنظيم جباية الضرائب والقضاء والخدمة العسكرية.

أولاً: الإدارة

اتصف نظام الإدارة العثماني قبل التنظيمات باللامركزية، فكان الوالي هو المسؤول عن إدارة ولايته وتعيين موظفيها وعزلهم، وكان يجمع في سلطته بين الشؤون الإدارية والعسكرية والأمنية والمالية، وكان صاحب السلطة في هذه المجالات كافة. وعندما تولى سليمان باشا العادل ولاية عكا أعاد تعيين المتسلمين والكتّاب الصيارفة فيها بصورة مختلفة عما كان الوضع عليه في الفترة السابقة لولايته.

وفي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، أصدرت الدولة العثمانية قانون الولايات العثماني الجديد المستمد من التقسيمات الإدارية الفرنسية، والذي حوّل الولايات القديمة إلى ولايات جديدة على رأس كل منها والٍ، وكل ولاية مقسمة إلى ألوية وأقضية ونواحٍ، يديرها كل من الوالي والمتصرف والقائمقام ومدير الناحية.

اتصف نظام الإدارة العثماني الجديد بالمركزية لأنه قيد الجهاز الإداري في الولايات والألوية والأقضية بتعليمات معينة حددها النظام الجديد. وأصبح الموظفون الإداريون في الولايات يتلقون التعليمات والأوامر من الوزارات التابعة لها إدارتهم في العاصمة، ولا سيما وزارة الداخلية التي أصبحت مسؤولة عن تعيين الولاة والمتصرفين والقائمقامين. وهذا يبين حرص الدولة العثمانية على فرض الحكم المركزي على الولايات. فكل موظف أصبح يتبع مباشرة من هو أعلى مرتبة. وعلى سبيل المثال، أصبح المختار يتبع مدير الناحية الذي يتبع بدوره القائمقام الذي يتبع المتصرف الذي يأتي بعد الوالي، الذي تعيّنه وزارة الداخلية ويتلقى التعليمات مباشرة منها.

كذلك حدد نظام الإدارة العثماني الجديد صلاحيات الموظفين وأعمالهم، فحُددت اختصاصات الولاة والمتصرفين ومدراء النواحي، وحُصرت في الشؤون الإدارية فقط. ولم يسمح لهم بأي دور في الشؤون المالية أو العسكرية. وعُيّن موظفون خصوصيون في الولايات، للأشغال العامة والمالية والنفوس والتحريرات والأوقاف وإدارة الأملاك، لا يتبعون الولاة والمتصرفين وإنما الوزارات المعنية في الآستانة. فمثلاً، أصبح مدير القضاء تابعاً لمدير مالية اللواء الذي يتبع بدوره المحاسب في مركز الولاية الذي تعينه وزارة المالية في العاصمة. وقد أدت هذه التغيرات إلى زيادة عدد الموظفين العاملين في الدوائر المتعددة في الولايات، الأمر الذي زاد في تعقيد العمل الإداري، وأوجد فئة كبيرة من الموظفين التابعين للدولة.

إضافة إلى ذلك، شكّلت الدولة العثمانية مجالس للإدارة في مراكز الولايات والألوية والأقضية والنواحي. وقد شاركت الطوائف المسيحية واليهودية في هذه المجالس بحسب نسبة أعدادها في هذه المناطق، الأمر الذي يظهر تغير سياسة الدولة العثمانية نحو رعاياها من غير المسلمين بعد التنظيمات التي خلصتهم من القيود السابقة المفروضة عليهم، وسمحت لهم بالمشاركة في الوظائف الإدارية المتعددة في الدولة.

والملاحظ في تكوين مجالس الإدارة أن أعضاءها كانوا، في معظمهم، من أبناء العائلات الغنية والمتنفذة في مناطقهم. كما جمعت الدولة فيها بين موظفي الحكومة، كالولاة والمتصرفين والقائمقامين والمحاسبين والأعضاء، وبين المنتخبين الذين يمثلون السكان بطوائفهم المتعددة. وقد أرادت الدولة بذلك إشراك ممثلي السكان في اتخاذ القرارات المتعلقة بألويتهم وأقضيتهم ونواحيهم، مع تفوق عددي في هذه المجالس لمصلحة ممثلي الحكومة كي تبقى الحكومة مسيطرة على عملية اتخاذ القرارات وتنفيذها فيما لو اتخذت هذه المجالس قرارات تتعارض مع توجهات الحكومة المركزية.

كما اتخذ نظام الإدارة العثماني الجديد من الملكية ودفع الضرائب أساساً للترشيح لعضوية المجالس الإدارية، وأساساً للمشاركة في انتخاب أعضائها. فاشترط القانون أن يكون أعضاء مجالس الإدارة من أصحاب الأملاك والعقارات، واشترط على الذين يحق لهم الانتخاب أن يكونوا ممن يدفعون أكثر من ١٠٠ قرش ضريبة ويركو، فحرمت هذه الشروط فئات كثيرة من السكان حق الترشيح لعضوية المجالس الإدارية أو المشاركة في الانتخابات، ولا سيما الفئات الفقيرة.

ثانياً: التحولات الاقتصادية

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي تبدل الأنماط الاقتصادية التي كانت سائدة قبل التنظيمات، فتغيرت أنماط التجارة وأساليبها عما كانت عليه في الفترات السابقة. إذ كانت التجارة قبل التنظيمات خاضعة لاحتكار الولاة الذين سيطروا على تجارة المحاصيل الزراعية وأجبروا الفلاحين على زراعة محاصيل معينة. وكان الولاة، أو من ينوب عنهم، يشترون المحاصيل من الفلاحين ويبيعونها للتجار الأوروبيين الموجودين في المنطقة محددين أسعار البيع والشراء.

انعكست سياسة الاحتكار التي اتبعها الولاة في زيادة ثرائهم وثراء كبار الموظفين التابعين لهم على حساب باقي السكان، وخصوصاً الفلاحين، الأمر الذي مكن هؤلاء الولاة من الإنفاق على الجيوش التي أقاموها، وساعدهم في بناء القلاع والحصون حول المدن الخاضعة لسيطرتهم، وشجعهم على محاولة الانفصال عن الدولة.

دفعت سياسة الاحتكار التي اتبعها الولاة الفلاحين إلى ترك العمل في الزراعة والهجرة من القرى إلى المدن، أو الهرب إلى المناطق النائية بعيداً عن سيطرة الولاة وتعسفهم، الأمر الذي أدى إلى تدهور الزراعة وترك مساحات واسعة من الأراضي من دون زراعة. كما أن سياسة الاحتكار التي مارسوها، وقيامهم بدور الوسيط التجاري، حدّا من نشاط التجار الاقتصادي في معظم مدن بلاد الشام، فتقلّصت فئة التجار وقل نفوذها وانحسر نشاطها التجاري إلى حد كبير.

لكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تغيّرت أساليب التجارة وأنماطها بعد صدور التنظيمات التي حددت أعمال الولاة والمتصرفين وحدّت من نفوذهم الاقتصادي، فأصبح عملهم مقصوراً على الشؤون الإدارية. هذا في الوقت الذي اتبعت فيه الدولة العثمانية سياسة حرية التجارة، الأمر الذي فتح المجال واسعاً أمام التجار المحليين لزيادة نشاطهم التجاري، فازدادت أعدادهم وازداد ثراؤهم ونفوذهم، وهو ما أدى إلى تكوين فئة من الرأسماليين في مختلف مدن بلاد الشام، ولا سيما المدن الساحلية منها. وتزامن هذا التحول مع صدور قانون تمليك الأراضي العثماني الذي سمحت الدولة بموجبه بتمليك الأراضي الميري (المشاع) للفلاحين القائمين بزراعتها، فتحولت الأراضي الزراعية إلى سلعة تجارية تباع وتشترى. ولمّا كان الفلاحون يعانون أوضاعاً مالية سيئة وفقراً مدقعاً فإنهم اتجهوا إلى بيع أراضيهم، فقام الأثرياء والتجار (الرأسماليون) بشراء الأراضي الأمر الذي زاد في ثرائهم وفي نفوذهم في المجتمع.

ثالثاً: التعليم

كان التعليم محدوداً في الدولة العثمانية قبل التنظيمات. وكانت المدارس قليلة، واقتصرت على بعض المدارس الدينية. ولم يكن للدولة العثمانية سياسة تعليمية محددة، ولم تعتبر التعليم من المهمات التي عليها القيام بها والإشراف عليها. كما أن السكان لم يقبلوا على التعليم لعدم حاجتهم إليه في حياتهم العملية واليومية، بينما اقتصر دور المدارس الدينية القليلة على توفير أعداد محدودة من المتعلمين ليتولوا الإمامة والفقه والقضاء والتدريس.

لكن بعد التنظيمات ازدادت حاجة الدولة العثمانية إلى المتعلمين لتوفير الموظفين لأجهزة الدولة الحديثة التي أراد العثمانيون إقامتها. لذلك أصبح من الضروري وضع سياسة تعليمية ذات أهداف واضحة، ولا سيما بعد أن رأت الدولة العثمانية تطور أنظمة التعليم في أوروبا، واعتبرت أن من مهمة الدولة إنشاء المدارس ووضع المناهج الدراسية وتشجيع التلاميذ على الالتحاق بالمدارس، فأصدرت القوانين لتنظيم التعليم وتطويره. ففي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، أصدرت نظام المعارف العمومية الذي قسم المدارس إلى فئتين: المدارس الحكومية، والمدارس الخاصة. فتولت الدولة إدارة المدارس الحكومية، وتركت أمر تأسيس المدارس الخاصة وإدارتها للأفراد والجمعيات الطائفية.

نجم عن هذه التغيرات أن بدأت الدولة العثمانية إنشاء المدارس الابتدائية والإعدادية في مختلف المدن والقرى في أنحاء بلاد الشام كافة. وفي الوقت نفسه، نشطت الإرساليات التبشيرية والطوائف المسيحية المحلية في إنشاء المدارس في المدن والقرى، ولا سيما تلك التي يوجد فيها المسيحيون بعد أن سمحت لها الدولة العثمانية بذلك.

وقد أدى انتشار المدارس في جميع أنحاء بلاد الشام إلى تطورات مهمة في المجتمع، أولها ازدياد عدد المعلمين وعدد الطلاب، وبالتالي ظهور فئات جديدة في المجتمع كانت قليلة ومحدودة قبل ذلك. كما أدى إلى انحسار نسبة الأمية وزيادة نسبة الذين يقرأون ويكتبون.

بالإضافة إلى ذلك، ساعد إنشاء المدارس الأجنبية في زيادة تأثير الثقافات الأجنبية وتنوعها، ولا سيما أن التدريس في هذه المدارس كان باللغات الأوروبية مثل الروسية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية. كما اهتمت بتدريس التاريخ والآداب الأوروبية، بينما قل اهتمامها بالآداب العربية. في الوقت نفسه، ركز بعض هذه المدارس على تدريس المناهج الدينية للمذاهب العائدة لدولها. فتعلم الطلاب

المذهب البروتستانتي في المدارس الإنكليزية، والمذهب الكاثوليكي في المدارس الفرنسية والإيطالية، والمذهب الأورثوذكسي في المدارس الروسية، الأمر الذي أدى إلى مزيد من الانقسام بين الطوائف المسيحية المحلية بانضمام بعضها إلى المذاهب المسيحية الغربية.

إن اهتمام المدارس الأجنبية بتدريس العلوم الغربية ساهم في تخريج مجموعات من الطلاب الذين يتقنون اللغات الأوروبية، ولذلك كان المجال واسعاً أمامهم للعمل في البنوك والشركات والمؤسسات التابعة للدول الأجنبية في بلاد الشام. وتمتع هؤلاء بدخل مرتفع عن غيرهم من الموظفين، ولا سيما أولئك الذين عملوا في المؤسسات والأجهزة الحكومية المتعددة.

رابعاً: التجنيد

إن إصلاح الجيش العثماني وتعديل أنظمة التجنيد كانا من أهم التغيرات التي نجمت عن التنظيمات العثمانية، لأن الخدمة العسكرية قبل التنظيمات كانت مقصورة على الجنود الإنكشارية والفرق العسكرية التي يكونها الولاة من المغاربة والأكراد والبوسنيين والشركس، بينما كانت الدولة العثمانية تعفي السكان المحليين من الخدمة العسكرية.

وقد نجم عن التنظيمات العسكرية الجديدة التي أصدرتها الدولة العثمانية، فيما يتعلق بالتجنيد، القضاء على الفرق العسكرية القديمة وإقامة فرق عسكرية على الطريقة الأوروبية مع فرض التجنيد الإجباري على السكان من مسلمين ومسيحيين، علماً بأن غير المسلمين كانوا معفين من التجنيد؛ وكان ذلك اعترافاً من الدولة بالمساواة بين السكان بمختلف طوائفهم الدينية.

إن فرض التجنيد الإجباري كان له أثر سيىء في السكان المحليين بعد أن ابتعدوا عن الخدمة العسكرية مئات الأعوام، فعمدوا إلى التهرب منها إمّا بدفع البدل العسكري، وإمّا بالانتقال إلى المناطق البعيدة عن سيطرة الدولة والإقامة بها.

في الوقت نفسه، أدت الخدمة العسكرية إلى وفاة عدد كبير من السكان في مختلف ميادين القتال، ولا سيما في شرق أوروبا واليمن. لكن حركة التجنيد ساهمت، من ناحية أُخرى، في ظهور عدد من القادة العسكريين العرب من مختلف مناطق بلاد الشام قام بدور بارز في الأحداث العسكرية والسياسية التي شهدتها البلاد في أواخر العصر العثماني وبعد ذلك.

خامساً: السكان

بالإضافة إلى التطورات السابقة، شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعديلاً في مفهوم الدولة والمهمات والأعمال التي يجب القيام بها. فلم يعد دور الدولة مقصوراً على الجهاد وجمع الضرائب فحسب، بل وجهت اهتمامها أيضاً إلى تقديم الخدمات للسكان. فبدأت تعمل على إنشاء شبكة من المواصلات لتربط بين الولايات العثمانية وبين المدن والقرى، ولا سيما طرق العربات وسكك الحديد، الأمر الذي أدى إلى سهولة اتصال السكان بعضهم ببعض، وسهولة انتقالهم من منطقة إلى أخرى، وهذا ساعد في توفير الوقت والجهد بالنسبة إلى المسافرين، وخصوصاً مع انخفاض أجور النقل. كما أن إنشاء وسائل النقل الجديدة قضى على وسائل النقل القديمة والمهن المرتبطة بها. فمثلاً اختفت الخانات التي كانت تقام على طرق النقل القديمة بعد أن قل دور القوافل كوسيلة للنقل.

إضافة إلى وسائل النقل، اهتمت الدولة بإنشاء المدارس والمستشفيات والمجالس البلدية وشبكات المياه والخدمات المتعلقة بالبريد والتلغراف.

ومن التغيرات المهمة التي ترافقت مع التنظيمات، السماح للسكان بممارسة الانتخابات أول مرة في العصر العثماني. وقد مارس السكان الانتخاب على شكلين: الأول انتخاب النواب الذين يمثلونهم في مجلس المبعوثان (مجلس النواب العثماني)؛ الثاني انتخاب الأعضاء غير المعينين في مجالس الإدارة، لمراكز الولايات والألوية والأقضية. فكانت ممارسة السكان للانتخاب اعترافاً من الدولة العثمانية بالمشاركة الشعبية في الحكم والإدارة. كما تزامن ذلك مع زيادة تأثير الأفكار السياسية الغربية في البلاد العربية، إمّا عبر الاتصال المباشر، وإمّا عبر المدارس الأجنبية الكثيرة التي أنشئت هناك. فبدأ المفكرون والسياسيون تأليف الجمعيات والأحزاب السياسية، وخصوصاً في بيروت ودمشق، والتي كانت تسعى إمّا لإصلاح أوضاع الدولة العثمانية وإمّا للانفصال عنها.

كذلك شهدت بلاد الشام زيادة سكانية كبيرة، ولا سيما في المدن نتيجة الهجرة المستمرة إليها من القرى، ونتيجة الزيادة الطبيعية للسكان بعد القضاء على الأمراض والأوبئة التي كانت تقضي على أعداد كبيرة منهم. وكانت الزيادة السكانية كبيرة في معظم المدن، وخصوصاً المدن الساحلية كبيروت وحيفا. فمثلاً ارتفع عدد سكان بيروت من ٤٥,٠٠٠ نسمة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م إلى نحو ١٣٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.

وترافقت هذه الزيادة السكانية مع تغيير في أهمية المدن الساحلية. فبعد أن

كانت كل من صيدا وصور الأكثر ازدهاراً في القرن السابع عشر أصبحت عكا أهم هذه المدن في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. لكن أهمية عكا التجارية والإدارية والسياسية تراجعت في أواخر القرن التاسع عشر لحساب كل من حيفا وبيروت، وأصبحت الأخيرة مركزاً للولاية الجديدة التي استحدثت سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م وضمت المناطق الساحلية من حيفا حتى اللاذقية.

وقد تزامنت التنظيمات العثمانية مع زيادة الاتصالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين أوروبا والشرق، وساعد على ذلك حركة المواصلات والاتصالات بين المنطقتين، ولا سيما بعد الثورة الصناعية في أوروبا، واختراع السفن البخارية التي سهلت انتقال السكان بين المنطقتين وزادت في حجم التبادل التجاري بينهما. كما تزامن ذلك مع ازدياد النفوذ الاقتصادي والثقافي الأوروبي في البلاد العربية، وبرز ذلك في اهتمام الشركات الأوروبية بإقامة خطوط سكك الحديد وشبكات الطرق ومكاتب البريد والتلغراف في بلاد الشام، بالإضافة إلى افتتاح فروع لمعظم البنوك الأوروبية في المدن الرئيسية، فضلاً عن إنشاء المدارس والمستشفيات من قبَل المؤسسات التبشيرية الأوروبية. وبلغ هذا النفوذ درجة كبيرة من التأثير بحيث أصبحت العملتان الإنكليزية والفرنسية هما السائدتان في التعامل بصورة أساسية بين السكان.

أدت هذه العوامل كلها إلى سلسلة من التغيرات في تركيبة المجتمع، الذي كان يتكون قبل التنظيمات من فئات اجتماعية كثيرة تفاوت تأثيرها ومكانتها بحسب نشاطها الاجتماعي والسياسي والديني والمالي. وكان على رأس هذه الفئات الولاة ورجال الإدارة من متصرفين وعسكريين، إضافة إلى أصحاب الحرف والصنائع الذين كانوا يتجمعون فيما عرف بالطوائف الحرفية. إذ كانت كل طائفة تنظم المشتغلين بالحرفة الواحدة التي كان لها نظامها وكيانها الخاص وتقاليدها ورئيسها، إلى جانب فئة محدودة من التجار في المدن، بالإضافة إلى الملتزمين والإقطاعيين الذين تمتعوا بالثراء على حساب الفلاحين لما جمعوه من أموال كانت، في الغالب، تزيد على الضرائب المقررة. أمّا الفلاحون فكانوا يشكلون معظم السكان، ولا سيما في القرى والمدن الصغيرة، وكانوا يعانون أوضاعاً مالية واجتماعية ومعيشية سيئة بسبب الضرائب المرتفعة المفروضة عليهم من الدولة ومن الولاة ونتيجة سياسة الاحتكار التي اتّبعها هؤلاء الولاة، في حين انتشر البدو في المناطق الداخلية والسهلية من بلاد الشام، واعتمد بعضهم على رعي المواشي، بينما اتخذ آخرون من السلب والغزو وسيلة للعيش والكسب.

أمّا بعد التنظيمات، فقد تغيرت تركيبة المجتمع العثماني وظهرت فئات

اجتماعية جديدة واختفت فئات اجتماعية أُخرى. وظهر، نتيجة إصدار قانون تمليك الأراضي الميري، فئة كبار الملاك الذين تمكنوا من امتلاك مساحات واسعة من الأراضي، ولا سيما في المناطق السهلية الخصبة. وقد تركزت هذه الفئة في المدن الساحلية، وخصوصاً في بيروت وحيفا وغيرهما من المدن. لكن هؤلاء الملاك لم يمارسوا الزراعة بأنفسهم، وإنما قاموا بتأجير أراضيهم للفلاحين في مقابل حصص معينة يدفعها الفلاحون إليهم. وتشكّل الملاك الجدد من التجار وبعض كبار موظفي الدولة ومن بعض العائلات المتنفذة.

إن السماح بحرية التجارة ومنع موظفي الدولة من ممارستها فتحا المجال واسعاً أمام التجار المحليين للقيام بدور الوسيط التجاري. وترافق ذلك مع زيادة التبادل التجاري بين بلاد الشام والدول الأوروبية، إذ قام هؤلاء التجار بدور فعال في حركة التبادل التجاري بين المنطقتين، الأمر الذي أدى إلى زيادة ثرائهم فأخذوا يعملون على توسيع نشاطهم الاقتصادي ليشمل شراء الأراضي والاستثمار في الزراعة وإقامة الصناعات المختلفة وإنشاء البنوك. كما امتد نشاطهم ليشمل إنشاء الشركات المساهمة الكبرى، مثل تلك الشركة التي أنشأها رأسماليو لبنان وفلسطين للبحث عن النفط والمعادن. لكن قيام الحرب العالمية الأولى وما رافقها من تطورات سياسية حدّا من نشاط هذه الشركات الاقتصادي وأديا إلى تفككها في أُطر إقليمية، فاقتصر نشاطها على الدول التي وجدت فيها فقط، بينما امتد نشاطها في العصر العثماني ليشمل مختلف نواحي بلاد الشام. فقد وسع رأسماليو بيروت ودمشق نشاطهم الاقتصادي ليشمل فلسطين. وكان العكس صحيحاً، إذ مارس بعض رأسماليي حيفا نشاطاً اقتصادياً امتد إلى لبنان وسورية وشرق الأردن، وإن كان ذلك على نطاق أضيق.

في الوقت نفسه، انحسر نفوذ فئات اجتماعية أُخرى، ولا سيما الولاة وكبار الموظفين والمتصرفين لأن التنظيمات الجديدة حدّت من صلاحياتهم وجعلت نشاطهم مقصوراً على العمل الإداري فقط، وأصبحوا مجرد موظفين تابعين لوزارة الداخلية بعد أن كان الولاة شبه مستقلين في إدارة ولاياتهم، إضافة إلى أن الدولة أنشأت مجالس للإدارة في الولايات والألوية والأقضية شاركت الولاة والمتصرفين في أعمالهم. كما حدّت التنظيمات الجديدة من سلطة القضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين الدينيين. فمثلاً كان القضاة يتمتعون بصلاحيات واسعة في الأمور الدينية والمدنية والتجارية، لكن جزءاً كبيراً من هذه الصلاحيات انتُزع منهم بعد إنشاء المحاكم المدنية والتجارية والنظامية. هذا في الوقت الذي ازدادت فيه أعداد الموظفين من معلمين وإداريين وموظفي البلديات وموظفي الأجهزة الإدارية

المتعددة التي أقامتها الدولة في مختلف مدن بلاد الشام، إضافة إلى فئة من الموظفين تعمل في الشركات والمؤسسات الاستثمارية الأجنبية التي تمتع موظفوها برواتب عالية قياساً بموظفي المؤسسات الحكومية.

وكان الفلاحون يشكلون نسبة كبيرة من سكان بلاد الشام في العصر العثماني، لكن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية لم يطرأ عليها أي تغير يذكر بعد التنظيمات عما كانت عليه قبل ذلك. فقد عانوا أوضاعاً مالية ومعيشية سيئة قبل التنظيمات جراء تدني أسعار المحاصيل الزراعية، وجراء سياسة الاحتكار التي اتبعها الولاة العثمانيون، وجراء تذبذب كمية الإنتاج الزراعي من سنة إلى أُخرى وارتفاع الضرائب المفروضة على المزارعين، ولا سيما مع تطبيق الالتزام وسيلة لجمع الضرائب. وفي الغالب، كان الملتزمون يجمعون أموالاً تفوق الضرائب أصلاً.

لكن التنظيمات التي أصدرتها الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تؤد إلى أي تغيير يذكر في أوضاعهم الاجتماعية والمعيشية، إذ ظلوا يعانون الفقر وارتفاع الضرائب المفروضة عليهم. وعلى الرغم من ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية نتيجة ازدياد الطلب الأوروبي عليها وإلغاء الدولة لسياسة الاحتكار التي مارسها الولاة، فإن ذلك لم يؤد إلى تحسن أوضاع الفلاحين لأن الأرباح من الزراعة كانت تذهب إمّا على شكل ضرائب تدفع للدولة وإمّا على شكل مبالغ وحصص تدفع إلى التجار وكبار الملاك.

لكن يجب التمييز في هذا الصدد بين فئتين من الفلاحين: الفلاحين الذين يعملون بأنفسهم في أراضيهم، والفلاحين الأجراء الذين كانوا يعملون في أراضي كبار الملاك.

أمّا البدو فظلوا يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، وفي المناطق الداخلية والسهلية، ويعتمدون في حياتهم الاقتصادية على رعي المواشي، بينما مارس بعض العشائر البدوية الأُخرى الغزو والسلب ومهاجمة بعضها بعضاً والقرى الزراعية القريبة منها. لكن الدولة العثمانية استطاعت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الحدّ من تحركات البدو، ولا سيما بعد اختراع الأسلحة الحديثة التي تسلحت بها الجيوش العثمانية، وبعد تقدم وسائل المواصلات وجهود الدولة المستمرة في فرض سيطرتها الكاملة على ولاياتها كافة.

المَـرَاجِـع

أولاً: المخطوطات

١ - سمارة، حنا. «تاريخ الناصرة». مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية، شريط رقم ١٣٤٥.

٢ - الصباغ، إبراهيم. «تاريخ ظاهر العمر». مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية، شريط رقم ١٣٢٩.

٣ - الصباغ، عبود (القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي). «الروض الزاهر في تاريخ ظاهر». مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية، شريط رقم ١٣٥٩.

ثانياً: سجلات المحاكم الشرعية

١ - سجلات المحكمة الشرعية في حيفا، مصورة على أشرطة ميكروفيلم محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ١٤١، ويتضمن السجلات التالية، من ١ - ٧، ١٢٨٧ - ١٣٤١هـ/١٨٧٠ - ١٩٢٢م.

٢ - سجلات المحكمة الشرعية في يافا، شريط ٤٣٦، سجل ٨٣ - ٩٢، ١٣١٨ - ١٣٢٢هـ/١٩٠٠ - ١٩٠٥م، محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات.

٣ - سجلات محكمة السلط الشرعية، سجل الإعلامات الشرعية، سجل حجج شرعية، ١٣٢١ - ١٣٣٠هـ/١٩٠٣ - ١٩١٢م، محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات.

ثالثاً: دفاتر وسجلات الأراضي العثمانية

١ - دفتر قضاء عكا، حاصلات دفتر يدر، سجل ٥٦.

٢ - دفتر قضاء صفد، حاصلات دفتر يدر.

٣ - سجل أراضي دائمي، المجلد ١٠ (دفتر خاص بقضاء حيفا).

٤ - سجل أملاك دايمه بحيفا، المجلد ٣، جدول شهر حزيران ١٢٩٤م.

٥ - جدول بو قلمه أملاك نفس حيفا عن شهر أيلول ١٢٩١م، المجلد ٣.

٦ - قضاسي دايمي دفتري، قضاسي بو قلمه دفتري، سجل ٤٢.

٧ ـ حيفا قضاسك، حاصلات دفتر يدر، المجلد ١١.

٨ ـ دفتر خاص بقضاء حيفا، شهر تشرين الثاني ١٣٢٩هـ/ من نمرة ١٨٦ شهر أيلول ١٣٢٩هـ إلى نمرة ١٧٩ شباط ١٣٣٠هـ مالية.

٩ ـ سجل قرية فارة قضاء صفد.

١٠ ـ سجل قرية كفر برعم قضاء صفد، رقم ٣.

١١ ـ سجل قرية صبارين قضاء حيفا.

١٢ ـ سجل قرية خبيزة، رقم ٢١، ٢٢.

١٣ ـ سجل قرية الزيب وعمقا، رقم ٧.

١٤ ـ سجل قرية الجش قضاء صفد، رقم ٦.

١٥ ـ سجل قرية السنديانة، رقم ٣٥، ٣٦.

١٦ ـ سجل قرية قنير، رقم ٢٥، ٢٦.

١٧ ـ سجل قرية كفر قرع، رقم ٢٧.

١٨ ـ سجل قرى مجد الكروم والزيب وعمقا ويانوح وكسره والشيخ داود، رقم ١٧.

١٩ ـ سجل قرية طيطة وسموعي قضاء صفد، رقم ٢٥.

٢٠ ـ سجل أراضي وأملاك قرى زبوبيا والمشهد، رقم ٦.

٢١ ـ سجل أراضي عشيرة التركمان، رقم ٢٦.

رابعاً: دفاتر الديون والرهونات

١ ـ دفتر زراعة بانقه (أراضي دفتري)، سجل ٣.

٢ ـ دفتر خاقاني أراضي رهونات، المجلد ١.

خامساً: كتب السالنامة العثمانية
(باللغة التركية)

١ ـ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م.

٢ ـ سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.

٣ ـ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.

٤ ـ سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.

٥ ـ سالنامة الدولة العلية العثمانية لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.

سادساً: الوثائق والتقارير غير المنشورة
(باللغة الإنكليزية)

ـ تقارير القنصليتين الأميركيتين في بيروت والقدس، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية في قسم المصغرات الفلمية، مصورة عن النسخة المحفوظة في:

– National Archives and Record Service Administration, Washington, Dispatches From United States Consul in Beirut 1836-1906, T. 367, Roll 1, 25 March 1836 - 13 December 1850 to Roll 23, 4 January - 4 August 1906.

– National Archives and Record Service Administration, Washington, Dispatches From United States Consul in Jerusalem 1856-1906, T. 367, Roll 1, 1 November 1856 to Roll 2, 3 January 1898-20 August 1906.

سابعاً: الوثائق والتقارير المنشورة
(باللغة الفرنسية)

– Asmail, Adel. Document diplomatiques et consulait relatife a l'histoire du Liban. Beyrouth: Edition des Œuvres Politiques et Historiques, 1975.

ثامناً: الموسوعات
(باللغة الإنكليزية)

– *Encyclopaedia Britannica*. London: Heln Hemingway Benton, Publisher, 1973-1974.

– *Encyclopaedia Judaica*. Jerusalem: Keter Publishing House Ltd., 1971.

– *World Book Encyclopaedia*. Chicago, London, Paris, Sydney, Tokyo, Toronto: World Book-Chidcraft International, Inc., 1992.

تاسعاً: الموسوعات المترجمة

ـ «دائرة المعارف الإسلامية»، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس.

عاشراً: الصحف والمجلات

- «الاتحاد العثماني»، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية.
- «البشير»، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية.
- «جريدة ولاية سوريا»، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات.
- «طرابلس» (الشام)، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية.
- «فلسطين»، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية.
- «القبس» و«المقتبس»، محفوظتان على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز المصغرات الفلمية.
- «الكرمل»، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات.
- «الوقائع الفلسطينية»، العدد ١٣٧٥، ٧ ذو الحجة ١٣٦٣هـ/ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤م.

حادي عشر: المراجع باللغة العربية

أ) المقالات

- أشير. «التلقيح ضد الخانوق». «مجلة الكلية»، ج ١٦، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ص ٣٧٢ـ ٣٨٤.
- البخيت، محمد عدنان. «من تاريخ حيفا العثمانية، دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي». «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني»، المجلد ١، العدد ٢، شعبان ١٣٩٨هـ/ تموز (يوليو) ١٩٧٨م، ص ١١٢ ـ ١٣٧.
- توتل، فرديناند. «رحلة رسولية إلى بلاد الجليل الأعلى». «المشرق»، المجلد ٢١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص ٦٩٣ ـ ٧٠١؛ ٧٣٦ ـ ٧٤٨.
- جراهام. «حمى الدنج (أبو الركب)». «المقتطف»، ج ٢٨، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م،

ص ٤٩٥ ـ ٥٠٣.
- حرفوش، إبراهيم. «سياحة أسقفية إلى بلاد بشارة». «المشرق»، المجلد ١٠، ص ٩٨٩ ـ ٩٩٥.
- داية، جان. «النفائس العصرية». «شؤون فلسطينية»، العدد ٨٦، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٦٨ ـ ١٨١.
- دوغراشي، أمل. «الهجرة الجزائرية إلى سوريا في أواخر القرن التاسع عشر». جامعة دمشق، كلية الآداب، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ٩٢٢ ـ ١٣٥٨هـ/ ١٥١٦ ـ ١٩٣٩م، ص ٢٨٣ ـ ٢٩٠.
- رباط اليسوعي، أنطون. «شفا عمرو». «المشرق»، المجلد ٨، العدد ٢٢، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٨.
- رستم، أسد. «صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨م». «المشرق»، المجلد ٣٥، ص ٤٧٥ ـ ٤٩٠.
- ساعاتي، نجيب ميخائيل. «الجمعيات الفلسطينية». «مجلة النعمة»، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، نشرها العابدي في كتابه: «أوابد من التاريخ»، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م، ص ١١٢ ـ ١٢٠.
- سعيدوني، ناصر الدين. «يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية». الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، ص ٢٤٥ ـ ٢٧٥.
- سليم أفندي، محمد. «شفا عمرو». «المشرق»، المجلد ٨، العدد ٢٢، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٨.
- شقير، نعوم. «مدرسة في عكا». «المقتطف»، المجلد ١٩، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ٦٩٢.
- صالح، حسن عبد القادر. «الأساس الجغرافي للنزاع حول مياه نهر الأردن». «مجلة كلية الآداب»، الجامعة الأردنية، المجلد ٣، ١٩٧٢م، ص ٢٨ ـ ٥٠.
- الصباغ، ليلى. «الفعاليات الاقتصادية في فلسطين من أواخر العقد السابع وحتى منتصف الثامن من القرن الحادي عشر الهجري/ من أواخر العقد السادس وحتى منتصف السابع من القرن السابع عشر الميلادي، من خلال مذكرات الفارس دارفيو (١٦٥٨ ـ ١٦٦٥)». مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني. جمع وتقديم عبد الجليل التميمي. تونس، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٢٥ ـ ٣٢٣.

- الصباغ، ليلى. «نشاطات صندوق استكشاف فلسطين ١٨٦٥ ـ ١٩١٥م». «شؤون فلسطينية»، العدد ١٠٤، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧١ ـ ٩٧.
- قاسمية، خيرية. «نجيب نصار في جريدة الكرمل ١٣٢٧ ـ ١٣٣٢هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م». «شؤون فلسطينية»، العدد ٢٣، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٠١ ـ ١٢٣.
- قبعين، سليم. «الناصرة وطن يسوع». «مجلة الجامعة»، ج ٥، السنة الثالثة، رمضان ١٣١٩هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠١م، ص ٤٦٧ ـ ٤٧٠.
- الكرملي، ماري جوزف. «حيفا ماضيها ومستقبلها». «المشرق»، المجلد ٧، العدد ٢٢، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م، ص ٦٨ ـ ٧٣.
- كيال، توما. «تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها». «المشرق»، العدد ٣، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٦م، ص ٧٨، ٧٩.
- لامنس، هنري. «اليهود ومستعمراتهم في فلسطين». «المشرق»، المجلد ١، ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، ص ١٠٨٨ ـ ١٠٩٤.
- المعلوف، عيسى إسكندر. «تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني». «المشرق»، المجلد ٢٤، ١٣٤٤ ـ ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ص ٥٣٩ ـ ٥٦٠.
- ـــــ. «عقيلة آغا الحاسي». «مجلة الآثار» لسنة ١٩٢٧م، نشرها محمود العابدي في كتابه: «أوابد من التاريخ». عمان، ١٩٧٨م، ص ٧٥ ـ ٨٨.
- المقدسي، جرجس. «التعليم قديماً وحديثاً في سوريا». «المقتطف»، المجلد ٣١، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ٧٤٥ ـ ٧٥١.
- مكاريوس، شاهين. «المعارف في سوريا». «المقتطف»، المجلد ٧، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م. ص ٣٨٥ ـ ٣٩٢؛ ٤٦٥ ـ ٤٧٦.
- هوبود، ديريك. «المجهود التعليمي الروسي في سوريا حتى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م». جامعة دمشق، كلية الآداب، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ٩٢٢ ـ ١٣٥٩هـ/ ١٥١٦ ـ ١٩٤٠م، ص ٩٠ ـ ١١٢.
- يني، جورج. «ظاهر العمر». «المقتطف»، المجلد ٢٨، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ص ٣١٧ ـ ٣٢٣.

ب) الكتب

- أبشرلي، محمد؛ ومحمد داود التميمي. «أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون». حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية في القرن العاشر الهجري. إستنبول: مركز الأبحاث للتاريخ

والفنون والثقافة الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة». القاهرة: دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م). «تاريخ الملك الظاهر». تحقيق أحمد حطيط. فسبادن: منشورات دار النشر شتايتر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ابن عبد الظاهر، القاضي محيي الدين. «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر». تحقيق عبد العزيز الخويطر. الرياض: لا ناشر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
- أبو راشد، عبد الصمد الحاج يوسف. «طيرة الكرمل (طيرة حيفا)». إربد: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- أبو عز الدين، نجلاء. «الدروز في التاريخ». بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الأرناؤوط، محمد. «معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر (وقفية سنان باشا)». دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الأسد، ناصر الدين. «محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين». القاهرة: معهد الدراسات العربية، لا تاريخ.
- إسطفان، ميشال سمعان. «فلسطين بالصورة والطوابع (طوابع وأختام من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين)». لا مكان: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، المركز الجغرافي الفلسطيني، لا تاريخ.
- أسلمنت، جون. «منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد: مقدمة لدراسة الدين البهائي». بيروت: مؤسسة الريحاني، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الأسود، إبراهيم (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م). «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية». بعبدا: المطبعة العثمانية، ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.
- أفنيري، أريه. «دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي... والعرب ١٢٩٦ ـ ١٣٦٧هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٩٤٨م». ترجمة بشير شريف البرغوثي. عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية. «القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني». بحوث أعدها نخبة من الباحثين: وليد الخالدي ومروان بحيري

وصبري جريس وعبد العزيز الدوري وماريوس ديب ونقولا زيادة وأحمد طربين وسمير صيقلي وشاكر مصطفى. منشورات الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، لا تاريخ.

- الأنسي، عبد الباسط (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م). «دليل بيروت». تقويم الأقبال لسنة ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م. بيروت: مطبعة الأقبال، لا تاريخ.
- أوين، روجر. «الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي ١٢١٥ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٠٠ ـ ١٩١٤م». ترجمة سامي الرزاز. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- أيوب، سمير (محرر). «وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني». بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- بازيلي، قسطنطين. «سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني». موسكو: دار التقدم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- البحري، جميل (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م). «تاريخ حيفا». دمشق: لا ناشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- بحيري، مروان. «القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني». القاهرة: الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، لا تاريخ.
- البخيت، محمد عدنان ونوفان رجا الحمود (محرران). «دفتر مفصل لواء اللجون (طابو دفتري ١٨١) سنة هجري ١٠٠٥ موافق ميلادي ١٥٩٦». عمان: لا ناشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- البوري، متى سمعان؛ ويوسف أحمد شبل. «عكا: تراث وذكريات». بيروت: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- البيطار، عبد الرزاق (ت ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م). «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر». تحقيق محمد بهجت البيطار. دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- بيهم، محمد جميل. «فلسفة التاريخ العثماني». بيروت: لا ناشر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- الترك، نقولا (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م). «ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية وبلاد الشام (الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام)». تحقيق ياسين سويد. بيروت: دار الفارابي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- تشرتشل، تشارلز هنري. «بين الدروز والموارنة». ترجمة فندي الشعار. بيروت: دار المروج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

- تلحمي، إفرايم ومناحيم. «معجم المصطلحات الصهيونية». ترجمة أحمد بركات العجرمي. عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- التميمي، محمد رفيق؛ ومحمد بهجت الكاتب. «ولاية بيروت». بيروت: مطبعة الاقبال، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.
- ـــــ. «ولاية بيروت». لا مكان: دار لحد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- الجالودي، عليان. «قضاء عجلون، ١٨٦٤ ـ ١٩١٨». عمان: منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م). «عجائب الآثار في التراجم والأخبار». بيروت: دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.
- جريس، صبري. «تاريخ الصهيونية ١٢٧٩ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٩٤٨م». بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- جولدتسهير، أجناس. «العقيدة والشريعة في الإسلام». ترجمة محمد يوسف وموسى علي وحسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق. بغداد: مكتبة المثنى؛ القاهرة: دار الكتب الحديثة، لا تاريخ.
- الحصري، ساطع. «حولية الثقافة العربية الثانية». القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
- الحكيم، يوسف. «سوريا والعهد العثماني». بيروت: دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- الحلاق، أحمد البديري (عاش في القرن الثامن عشر الميلادي). «حوادث دمشق اليومية (١١٥٤ ـ ١١٧٥هـ/ ١٧٤١ ـ ١٧٦٢م)». تنقيح محمد سعيد القاسمي، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم. القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
- حمادة، حسين عمر. «تاريخ الناصرة وقضاها». عمان: دار منارات للنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- الحمصي، محمد أديب التقي. «منتخبات التواريخ لدمشق». بيروت: دار الآفاق الجديدة، لا تاريخ.
- الخازن، فيليب وفريد (تعريب). «مجموعات المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من ١٨٤٠ ـ ١٩١٠م». لا مكان: لا ناشر، الطبعة الثانية،

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- الخالدي، حسين روحي. «المختصر في جغرافية فلسطين». القدس: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.
- الخالدي الصفدي، أحمد بن محمد. «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني». تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- الخطيب، علياء. «عرب التركمان أبناء مرج بن عامر». عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الخطيب، محمد أحمد. «عقيدة الدروز». عمان: مكتبة الأقصى، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- الدباغ، مصطفى مراد. «بلادنا فلسطين: ديار الجليل». القسم ٢، ج ٦. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- ـــــ. «بلادنا فلسطين: ديار الجليل». القسم ٢، ج ٧. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الدر، إبراهيم فريد. «شفا عمرو فسطاط صلاح الدين الأيوبي». بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- دروزة، محمد عزة. «نشأة الحركة العربية الحديثة». صيدا، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- «دفتر مفصل مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م». عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٩م.
- الدمشقي، محمد عارف بن السيد أحمد المنير. «السعادة النامية الأبدية في السكة الحجازية الحديدية». نشر في كتاب: Landau, Jacob M. *The Hejaze Railway and the Muslim Pilgrimage*. Detroit: Wayne State University Press, 1971.
- الدمياطي، محمود مصطفى. «معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي». القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- الدويهي، إسطفان (ت ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م). «تاريخ الأزمنة». جونيه، لبنان: مطابع الكريم الحديثة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- دي طرازي، فيليب (ت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م). «تاريخ الصحافة العربية». بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.
- ديفيس، أوري؛ وأنطونيا ماكس؛ وجون ريتشاردسون. «السياسة المائية لإسرائيل».

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- رافق، عبد الكريم. «فلسطين في العهد العثماني». في: «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني، الدراسات التاريخية. بيروت: الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- الراميني، أكرم. «نابلس في القرن التاسع عشر». عمان: نشر بدعم من الجامعة الأردنية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.
- رستم، أسد (محرر) (ت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م). «الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا». بيروت: الجامعة الأميركية، كلية العلوم والآداب، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤م.
- ـــــ. «بشير بين السلطان والعزيز». بيروت: لا ناشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- ـــــ. «المحفوظات الملكية المصرية». بيروت: المطبعة الأميركية، ١٣٥٩ ـ ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٠ـ ١٩٤٣م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م). «تاج العروس من جواهر القاموس». تحقيق عبد الكريم العزباوي. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
- الزحيلي، وهبة. «الفقه الإسلامي وأدلته». دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الزركلي، خير الدين. «الأعلام». بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- زكريا، وصفي. «عشائر الشام». دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- زيادة، نقولا. «أيامي: سيرة ذاتية». بيروت: المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الزين، سميح وجيه. «تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً». بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٦٠هـ/ ١٩٩٠م.
- سركيس، خليل (ت ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م). «رحلة الإمبراطور غليوم الثاني ملك بروسيا وإمبراطور ألمانيا والإمبراطورة أوغستا فكتوريا في فلسطين وسوريا ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م». بيروت: المطبعة الأدبية، لا تاريخ.
- سلام، سليم. «مذكرات سليم علي سلام: ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨». قدم لها حسان علي

حلاق. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، لا تاريخ.
- سنو، عبد الرؤوف. «المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ١٢٥٧ ـ ١٣١٩هـ/ ١٨٤١ ـ ١٩٠١م». بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- الشدياق، طنوس (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م). «أخبار الأعيان في جبل لبنان». تحقيق فؤاد أفرام البستاني. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- الشهابي، حيدر أحمد (ت ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م). «تاريخ أحمد باشا الجزار». نشره الأب أنطونيوس شبلي والأب أغناطيوس عبده خليفة. بيروت: مطبعة تطوان، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- ـــــ. «لبنان في عهد الأمراء الشهابيين (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان)». تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- شولش، ألكسندر. «تحولات جذرية: ١٢٧٣ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٨٨٢م». ترجمة كامل العسلي. عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- الصباغ، ليلى. «الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر». بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- صلاح، حنا. «فلسطين وتجديد حياتها». نيويورك: المطبعة التجارية الأميركية، ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م.
- صيدح، جورج. «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية». بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ضاهر، مسعود. «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية ١٢٠٨ ـ ١٢٧٧هـ/ ١٦٩٧ ـ ١٨٦٠م». بيروت: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- الطرابلسي، محمد أمين الصوفي السكري. «سمير الليالي». الشام: مطبعة الحضارة، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.
- طريف، جورج فريد. «السلط وجوارها ١٨٦٤ ـ ١٩٢١م». عمان: نشر بدعم من بنك الأعمال، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- طوبى، أسمى. «عبير ومجد». عمان: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- طوطح، خليل (ت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)؛ وحبيب خوري. «جغرافية فلسطين». القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.
- العابدي، محمود. «صفد في التاريخ». عمان: جمعية المطابع الأردنية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- العارف، عارف. «المفصل في تاريخ القدس». القدس: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- عبد الرحمن، عائشة. «قراءة في وثائق البهائية». القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- عبد السلام، عادل. «المياه في فلسطين» في: «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الثاني للدراسات الخاصة، المجلد الأول، الدراسات الجغرافية. بيروت: الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- عبد العزيز، هشام فوزي. «التعليم اليهودي حتى نهاية المرحلة الثانوية في فلسطين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨م». رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الآداب ـ قسم التاريخ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- عبد الكريم، أحمد عزت. «دراسات في تاريخ العرب الحديث». بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- العسلي، كامل جميل. «تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص». عمان: لا ناشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- عطا الله، محمود. «فهارس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا». لا مكان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٨٨٣م.
- العودات، يعقوب. «من أعلام الفكر والأدب في الأردن وفلسطين». عمان: لا ناشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- العورة، إبراهيم (ت ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م). «تاريخ ولاية سليمان باشا العادل». نشره الخوري قسطنطين المخلصي. صيدا: مطبعة دير المخلص، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- عوض، عبد العزيز. «الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٢٨١ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٦٤ ـ ١٩١٤م». القاهرة: مطبعة المعارف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- عيساوي، شارل. «التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٢١٥ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٠٠ ـ ١٩١٤م». ترجمة عباس حامد. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- غوجانسكي، تمار. «تطور الرأسمالية في فلسطين». ترجمه عن العبرية حنا إبراهيم. لا مكان: دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- القاسمي، محمد سعيد (ت ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م). «قاموس الصناعات الشامية». تحقيق ظافر القاسمي. باريس، لاهاي: لا ناشر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- القطشان، عبد الله عبد السلام. «التعليم العربي الحكومي في فلسطين إبان الحكم

التركي والانتداب البريطاني ٩٢٢ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٥١٦ ـ ١٩٤٨م». عمان: دار الكرمل، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- كالي، إليشع. «المياه والسلام: وجهة نظر إسرائيلية». بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- كرد علي، محمد. «خطط الشام». دمشق: مكتبة النوري، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- كرمل، ألكس. «تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين». ترجمة تيسير الياس. حيفا: المركز اليهودي العربي، معهد دراسات الشرق الأوسط، جامعة حيفا، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- الكرملي، أنستاس ماري. «النقود العربية الإسلامية وعلم النميات». القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
- «كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام». حققه ميشال أبي فاضل وجان نحول. طرابلس الشام: جروس برس، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- كناعنة، شريف؛ وبسام الكعبي. «القرى الفلسطينية المدمرة (عين حوض)». بير زيت: جامعة بير زيت، مركز الوثائق والأبحاث، لا تاريخ.
- كيلي، جون. «المياه في فلسطين، بؤرة الصراع الدائم». ترجمة محمود برهوم ومحمد خروب. عمان: دار الكرمل، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- لجنة من الأدباء. «لبنان مباحث علمية واجتماعية». وضع مقدمته وفهارسه فؤاد أفرام البستاني. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٣٨٩ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠م.
- محافظة، علي. «العلاقات الألمانية الفلسطينية ١٢٥٧ ـ ١٣٦٥هـ/ ١٨٤١ ـ ١٩٤٥م». بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- مختار باشا، محمد. «كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية». دراسة وتحقيق محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- مخول، ناجي حبيب. «عكا وقراها من أقدم الأزمنة إلى الوقت الحاضر ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م». لا مكان: لا ناشر، لا تاريخ.
- المرادي، محمد خليل (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م). «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر». القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩١ ـ ١٣٠١هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٨٨٣م، أعادت مكتبة المثنى في بغداد طبعه بالأوفست.

- مركز الدراسات الفلسطينية. «شبكة التحالف الإسرائيلي العالمي قبل عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م». دمشق: مركز الدراسات الفلسطينية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- مرمرجي الدومنكي، الأب أ. س. «بلدانية فلسطين». بيروت: مطبعة جان دارك، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.
- مشاقة، ميخائيل (ت ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م). «منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب». تحقيق أسد رستم وصبحي أبو شقرا. بيروت: لا ناشر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- مشاقة، ميخائيل؛ وملحم خليل عبده؛ وأندراوس بن حنا شخاشيري. «مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان». نشره سهيل زكار ضمن كتاب «بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي، روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ومقدماتها في سوريا ولبنان». بيروت: دار حسان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- منصور، أسعد (ت ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م). «تاريخ الناصرة». القاهرة: دار الهلال، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.
- المنير، حنانيا (ت ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م). «الدر المرصوف في تاريخ الشوف». تحقيق أغناطيوس جوزف إليان. لا مكان: جروس برس، لا تاريخ.
- النابلسي، عبد الغني (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م). «الحقيقة والمجاز في رحلة مصر وبلاد الشام والحجاز». تحقيق رياض عبد الحميد مراد. دمشق: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- النحال، محمد سلامة. «جغرافية فلسطين». بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- نعيمة، ميخائيل. «سبعون: حكاية عمر». بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- النمر، إحسان. «تاريخ جبل نابلس والبلقاء». نابلس: مطبعة النصر التجارية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- نوفل، نعمة الله (مترجم). «الدستور العثماني: مجموعة التنظيمات العثمانية». بيروت: المطبعة الأدبية، ١٤٠٤هـ/ ١٨٨٤م.
- نويهض، عجاج. «رجال من فلسطين». بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- هشي، حسن (تحقيق). «تاريخ الأمراء الشهابيين». لا مكان: منشورات المديرية

العامة، قسم الدراسات التاريخية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية: أحمد المرعشلي، عبد الهادي هاشم، أنيس الصايغ. «الموسوعة الفلسطينية». بيروت: الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤.
- «وثائق مقدسية تاريخية». عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- يزبك، محمود. «النظم الإدارية والبنى الاجتماعية في حيفا أواخر العهد العثماني ١٨٧٠ - ١٩١٤م». الناصرة: مطبعة النهضة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ثاني عشر: المراجع باللغة الأجنبية

أ) المقالات

- Amiran, D.H.K. and A. Shahar. «Estimate of the Urban Population of Palestine in the Second Half of the Nineteenth Century». *IEJ,* Vol. 10. 1910, pp. 180-183.
- Baldensperger, Philip. «The Immovable East». *PEF,* 1906-1920.
- Ben Arieh, Yehoushua. «Fluction in the Level of Lake Tiberias». *IEJ,* Vol. 15, 1965, pp. 160-168.
- ——. «The Population of the Large Towns in Palestine during the First Eighty Years of the Nineteenth Century According to Western Sources». *SPDOP,* 1800-1918, Edited by Moshe Ma'oz. Jerusalem: The Magness Press, The Hebrew University and Yad Izhak Ben-Zvi, 1975.
- Ben-Zvi, J. «The Druze Community in Israel». *IEJ,* Vol. 4, 1954, pp. 65-76.
- Bergheim, Samuel. «Land Tenure in Palestine». *PEF,* 1894, pp. 191-199.
- Berine, M. Milwright and E.J. Simpson. «An Architectural Survey of Muslim Building in Tiberias». *Levant,* Vol. XXIV, 1992, pp. 70-130.
- Blanckenhorn, Max. «Studien Ubar das Klima de Jordantals». *ZDPV,* Vol. 32-33, 1909-1910, pp. 38-109.
- Canaan. «Arab House». *JPOS,* Vol. 13-14, 1933, pp. 1-17.
- Carmel, Alex. «The German Settlers in Palestine and their Relation with Local Arab Population and the Jewish Community». *SPDOP,* 1868-1918, Edited by Moshe Ma'oz. Jerusalem: The Magness Press, The Hebrew University and Yad Izhak Ben-Zvi, 1975, pp. 442-467.
- Crowfoot, Grace M. «The Mat Looms of Huleh, Palestine». *PEF,* Vol. 1,

66, 1936, pp. 195-198.
- Dowling, Archdeacon. «The Town of Haifa». *PEF,* 1917, pp. 184-190.
- Falah, Salman. «A History of the Druze Settlement in Palestine during the Ottoman Period». *SPDOP,* Edited by Moshe Ma'zo. Jerusalem: The Magness Press, The Hebrew University and Yad Izhak Ben-Zvi, 1975.
- Feri, Adolf. «Beobachtungen Vom See Genczareth». *ZDPV,* Vol. 9, 1886, pp. 81-125.
- Haddad, E. N. «The Guest-House in Palestine». *JPOS,* Vol. 1-2, 1920, 1921, pp. 280-284.
- Harian, Ben. «An Official Report on the Earthquake of 1837». *IEJ,* Vol. 13, 1963, pp. 63-65.
- Hilderscheid, Heinrich. «Die Nieder Schlags Verhaltnisse Palestine in Alter und Neur Zeit». *ZDPV,* Vol. 24-25, 1901-1902, pp. 5-105.
- Joseph (Rappi). «The Praises of the Land of Israel». Translated from Hebrew by Fridmann and edited by Masterman. *PEF,* 1917, pp. 67-81.
- Kallner, Amiran. «A Revised Earthquake Catalogue of Palestine». *IEJ,* Vol. 1, 1950-1951, pp. 223-231.
- Karmon, Y. «The Settlement of the Northern Valley since 1838». *IEJ,* Vol. 3, 1953, pp. 4-26.
- Klein, F. A. «Life, Habits and Customs of the Fallahin of Palestine». *PEF,* 1883, pp. 41-48.
- Larson, Theodore. «A Visit to the Mat Makers». *PEF,* 1936, pp. 225-229.
- Lewis, Bernard. «An Arabic Account of the Province of Safed». *Bulletin of the School of Oriental and African Studies,* University of London, Vol. XV, Part 1, 1933. Published by School of Oriental and African Studies, pp. 477-488.
- Macalister, Stewart and E.W.G. Masterman. «Dhaher Elomar and Jezzar Pasha». *PEF,* 1900, pp. 120-125.
- ——. «Akili Agha». *PEF,* 1906, pp. 286-290.
- Margalit, Hanna. «Some Aspects of the Cultural Land Scape of Palestine during the First of the Nineteenth Century», *IEJ,* Vol. 13, 1963, pp. 208-223.
- Masterman. E.W.G. «Cana of Galilee». *PEF,* 1914, pp. 179-183.
- ——. «The Fisheries of Galilee». *PEF,* 1908, pp. 40-51.
- ——. «Safed». *PEF,* 1914, pp. 169-179.

- Neumann, J. «On the Water Balance of the Lake Huleh». *IEJ,* Vol. 5, 1955, pp. 49-58.
- Post, George E. «Land Tenure». *PEF,* April 1891, pp. 99-112.
- Regen Fall in Winter. *ZDPV,* 1913-1914, Vol. 37, 1914, pp. 372, 373.
- Regen Fall in Winter. *ZDPV,* 1914-1915, Vol. 39-40, 1916, 1917, pp. 122, 123.
- Regen Fall in Winter. *ZDPV,* 1917-1918, Vol. 41, 42, 1918, pp. 166, 167.
- Regen Fall in Winter. *ZDPV,* 1918-1919, Vol. 43-45, 1920, 1922, pp. 36, 37.
- Rustum, A. «Akka (Acre) and its Defences». *PEF,* 1926, pp. 143-157.
- Schumacher. «Das Jetzige Nazareth». *ZDPV,* Vol. XIII, 1890, pp. 235-244.
- ——. «Population List of the Liva Akka». *PEF,* 1887, pp. 169-191.
- ——. «Von Tiberias Zum Hule-see». *ZDPV,* 1890, pp. 65-75.
- «Translation of the Firman of His Imperial Majesty Sultan Abd El-Mejid». *JAOS,* Vol. 3, pp. 218-221; *Ibid.,* Vol. 4, pp. 443-445.

ب) الكتب

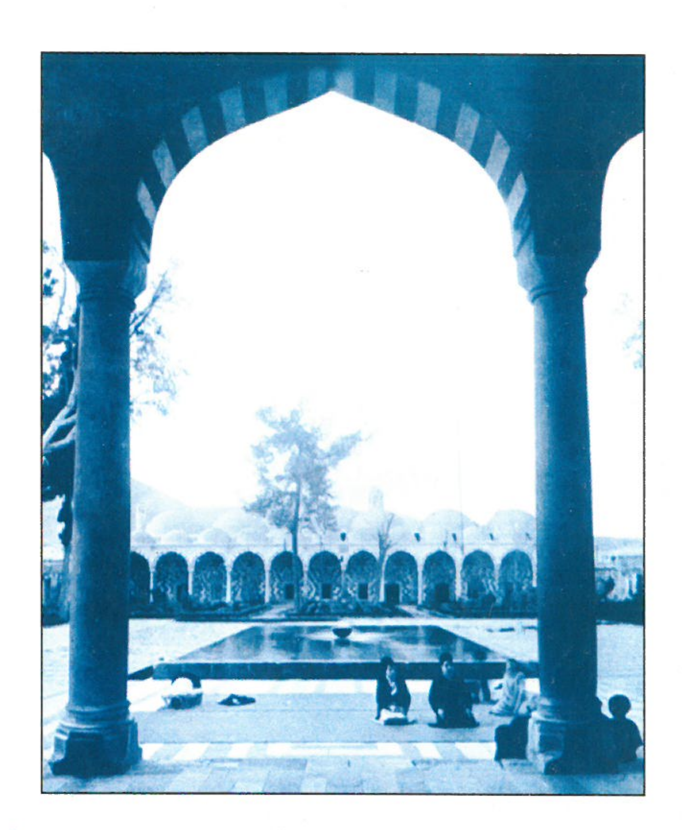
- Baedeker, Karl. *Palestine and Syria: Hand Book for Travellers.* Leipzig: Karl Baedeker Publisher, 1912.
- Bein, Alex. *The Return to the Soil: A History of Jewish Settlement in Israel.* Translated from Hebrew by Israel Scheme. Jerusalem: The Youth and Heehalutz Department of the Zionist Organisation, 1952.
- Bowring, John. *Report on the Commercial Statistics of Syria.* New York: Arno Press, 1973 (First Edition, London, 1840).
- Burckhardt, John Lewis. *Travels in Syria and The Holy Land.* London: John Murray, 1822.
- Charles-Roux. *Les Echelles de Syrie et de Palestine.* Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1928.
- Cohen, Amnon. *Palestine in the 18 Century: Patterns of Government and Administration.* Jerusalem: The Magness Press, The Hebrew University, 1973.
- Conder, Claude. *Palestine.* New York: Dadd, Mead Company, 1878.
- ——. *Tent Works in Palestine.* London, 1878.

- Conder, Claude and H. H. Kitchener. *The Survey of Western Palestine.* Vol. I, *Galilee,* Vol. II, *Samaria.* London: The Committee of the Palestine Exploration Fund, 1882.
- Duning, H.W. *To-day in Palestine.* New York: no pub., 1907.
- Franklin, G.E. *Palestine Depicted and Descripted.* London: Sons Ltd.; New York: E. P. Dutton, 1911.
- Fulton, John. *Palestine, The Holy Land.* Philadelphia: Henry T. Coats & Co., 1900.
- Geography Section of the Naval Intelligence Division, Naval Staff Admiralty (England). *Hand Book of Syria Including Palestine.* Oxford: Frederick Hall at the University Press, no da.
- Gerson, Gera. *Church of the Holy Land.* No pl.: American-Israeli Publishing Company, 1969.
- Gilbar, Gad. *Ottoman Palestine 1800-1914.* Leiden: E.J. Brill, 1990.
- Glueck, Nelson. *The River Jordan.* Philadelphia: The Westminster Press, 1945.
- Graham, Stephen. *With the Russian Pilgrims to Jerusalem.* London: MacMillan and Co., Ltd., 1916.
- Guerin, Victor. *Description geographique historique et archeologique de la Palestine.* Amsterdam: Oriental Press, 1969.
- Hebrew Technical Institute. *The Hebrew Technical Institute.* Haifa: no pub., 1939.
- Hennittaszold. *Recent Jewish Progress in Palestine.* Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1915.
- Heyd, U. *Ottoman Documents on Palestine, 1552-1615.* Oxford: Clarendon Press, 1960.
- Hichens, Robert. *The Holy Land.* No pl.: no pub., 1913.
- Hopwood, Derek. *Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914.* Oxford: Clarendon Press, 1969.
- Hyamson, Albert. *Palestine Old and New.* London: Methuen & Co. Ltd., 1982.
- ——. *Palestine: The Rebirth of Ancient People.* London: Sidwick, 1917.
- Karmon, Yehuda. *Israel A Regional Geography.* London, New York, Sydney, Toronto: WileyInterscince a Division of John Wiley & Son Ltd., 1971.

- Lamm, Carl John. *Cotton in Medieval Textiles of the Near East*. Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1973.
- Leach, Charles. *The Romance of the Holy Land*. London: Edward Arnold, 1911.
- Lewis, Norman. *Nomads and Settlers in Syria and Jordan 1800-1980*. No pl.: Cambridge Press, 1987.
- L'Orient des Provencaux, dans: *L'Histoire archives departmentals*. Marseille: Chambre de Commerce d'Industrie Marseille, Archives la Ville-Marseille, no da.
- Macalister, R. A. S. *A Century of Excavation in Palestine*. London: The Religious Tract Society, 1925.
- Manneberg, Eliezer. *The Evolution of Jewish Education Practices in Sanacak of Jerusalem under Ottoman Rule*. Connecticut: The University of Connecticut, 1976.
- McCarthy, Justin. *The Population of Palestine, Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate*. New York: Columbia University Press, 1990.
- Neil, James. *Every Day Life in the Holy Land*. London: Publisher Church Mission to Jews, 1913.
- Newton, Frances. *Fifty Years in Palestine*. London: Coldharbour Press Ltd., 1948.
- Oliphant, Laurence. *Haifa, or Life in Modern Palestine*. Edinburgh and London: William Black Wood and Sons, 1887.
- ——. *The Land of Gilead*. Edinburgh and London: William Black Wood, no da.
- Orani, Efraim and Elisha Efrat. *Geography of Israel*. Jerusalem: Israel Universities Press (Third Edition, London, 1971).
- Palestine Census Office. *Report and General Abstract of The Census 1922*. Compiled by B. Barron. Jerusalem, 1922.
- Parfitt, Tudor. *The Jews in Palestine 1800-1882*. No pl.: The Royal Historical Society, The Boydell Press, 1987.
- Parkes, James. *A History of Palestine from 135 to Modern Times*. London: Gallancz Ltd., 1949.
- Redhouse, James. *Turkish and English Lexion*. Beirut: Librarie du Liban, 1947.

- Ridgaway, Henry. *The Lords Land*. New York: Nelson & Phillips, 1876.
- Ritter, Carl. *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula*. Translated from German by William L. Gage. New York: Greenwood Press, 1968.
- Robinson, E. Smith and Others. *Latter Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Ruins, Journal of Travels in the Year 1852*. Boston: no pub., 1956.
- Ruppin, Arthur. *Syrien als wirt-schaftsgebiet*. Berlin: no pub., 2nd. Edition, 1916.
- Smith, George Adam. *The Historical Geography of the Holy Land*. London: Hodder and Stougton, Sixteenth Edition, no da.
- Stanley, Arther. *Sinai and Palestine*. London: Albemarie Stree, 1800.
- Stein, Kenneth. *The Land Question in Mandatory Palestine 1929-1936*. North Carolina: University of North Carolina Press, 1984.
- Stephens, John Lioyd. *Incident of Travel in Egypt Arabia and the Holy Land*. Oklahoma: University of Oklahoma Press, 1970.
- Tibawi, A. L. *British Interests in Palestine 1800-1901*. Oxford: Oxford University Press, 1961.
- Valentine, L. *Palestine Past and Present*. London, New York: Frederick Warne & Co., no da.
- Volney, M.C.F. *Travels Through Syria and Egypt*. New York: no pub., 1798.
- Von Oppenheim, Max Freiherr. *Die Beduinen*. Leipzig: Otto Harrasso-witz, 1943.
- Wilson, Charles. *The Land of Galilee and North Palestine Including Samaria, Haifa and Esdralon Valley*. Jerusalem: Ariel Publishing House, no da.
- Wischnitzer, Mark. *Traditional Institution in Palestine*. New York: Council of Jewish Federation, 1946.

الكِتاب



هذا الكتاب دراسة تاريخية واقتصادية وسكانية وعمرانية لمنطقة محددة من فلسطين، في فترة مفصلية من التاريخ العثماني عامة، ومن تاريخ البلاد التي كانت تابعة للعثمانيين خاصة. ففي هذه الفترة ساهمت التنظيمات العثمانية مساهمة كبيرة في إحداث تغييرات مهمة في تركيبة المجتمع المحلي، الأمر الذي أدى إلى انحسار فئات اجتماعية وظهور فئات أُخرى جديدة، وإلى تغيير في أنماط الأنشطة الاقتصادية، من زراعة وصناعة وتجارة، ترافق مع ازدياد العلاقات الاقتصادية بالغرب الأوروبي ومع بداية التغلغل الاستعماري في المنطقة.

المؤلِّف

زهير غنايم: مؤرخ، من مواليد قضاء طولكرم سنة ١٩٥٥. حصل على الليسانس من جامعة عين شمس/القاهرة سنة ١٩٧٤، والماجستير والدكتوراه من الجامعة الأردنية. عمل في وزارة التربية والتعليم الأردنية، واللجنة الملكية لشؤون القدس. ساهم في تأليف بعض الكتب الدراسية، وله كتب وأبحاث منشورة.

$ 10.00